قَبِيلَةُ إِدَوْعَلِ

(عبد الله بن محمد) : بن عبد الله بن الطالب بن حبيب بن أبيجَ ينتهى نسبه إلى يحيى العلوى الجد الجامع لأكثر القبيلة فى تلك البلاد ، يعرف بابن راز كه بكاف معقودة[1] وهى أمه ، ويعرف أبوه بمحم وجده بالغاظى (بالظاء والغين المعجمتين تصحيف القاضى) ويعرف أيضاً بقاضى البرا كنية العالم النحرير ، المقدَّم على أهل قطره من غير نكير . كلّ عن مداه كلّ جواد ، يعترف بذلك الحاضر والباد ، وانتشر صِيتهُ فى تلك الصحارى والأقطار ، حتى صار كالشمس فى رابعة النهار ، وضُرب بفهمه المثل . واستوى فى معرفته السهل والجبل .

وكان مولدُه فى أرض القبلة ، ثم نشأ بها إلى أن ترعرع ، فطمحت نفسه إلى العلوم ، فاشتغل بها حتى تضلّع . وكان ذلك على طريق خرق العادة ، إذ مدة طلبه لما نال ليست معتادة . ثم جعل يرجع إلى بلده تارة وإلى مسقط رأسه أخرى . ثم طمحت نفسه إلى الأعتاب السلطانية . وكان ذلك فى إقبال الدولة العلوية . فاتصل بأمير المؤمنين مولاى إسماعيل رحمه الله ، فحظى عنده . وكان ذلك وقت نبوغ المولى محمد بن مولاى إسماعيل المعروف بالعالم ، الذى اشتهر علمهُ وفضله فكان من خاصته . وكان يكرمه بمالم يقصر عما يذكر من إكرام الرشيد وأضرابه لمن توجهوا إليه ، فكان يفد إليه ثم يرجع إلى بلاده ، فإذا تذكر تلك الشمائل العالمية ، والأيادى الحاتمية . تتصاغر عنده الصحراء وأهلها ، ثم يرجع إلى الحضرة السلطانية . وكان له صديق من التراررزه ، أسمه أعل شنذوره ، جد محمد لحبيب الأمير المشهور . وكان تضطهده أبناء رزك ، لشوكتهم فى ذلك العصر ، فأخذه مرة وتوجه به إلى مكناسة الزيتون حرسها الله ، ولما قدماها ونزلا عند المولى إسماعيل أكرمهما ، وقال سيدى محمد العالم يرحب بهما :

---

(١) الكاف المعقودة : أصلها قاف وتكتب كاف يعلوها ثلاث نقط وهكذا فى سائر مايأتى بكاف معقودة .

مكناسة الزيتون فخراً أصبحت تزهو وترفلُ فى ملاء أخضرِ
فرحاً بعبدِ الله نجل محمدٍ قاضى القضاة ومن ذؤابة مغفر

ثم ذكرا للسلطان صولة أبناء رزك فى أرض القبلة ، فأمدّهما بمحلة كبيرة وأمّر عليها أعل شنذوره ، فسار بها إلى أن وصل أرض القبلة ، فأباد أبناء رزك ولم يبق إلا مواليهم من ذلك الوقت .

ولم يزل سيدى عبد الله يعود إلى أرض المغرب مرةً بعد مرةٍ ، إلى أن ثار المولى محمد صاحبه بأرض السوس على أخيه ، وله فيه قصيدتان جيدتان سأورد ماتذكرت منهما .

وكان عبد الله المذكور متفننا فى فنون شتى . منها : النحو . والعربية . والبيان . والمنطق . والفقه . والهندسة . والرياضة . والتربيع وغير ذلك ، ولم نر من أخذ عليه شيئا إلا ماقيل عن بعضهم ، إنه غلّطه فى فائيته حيث يقول :

قفوت بها الشامىّ فى الفاء موقناً بأنى وإن دون إدراكه ضعفا

قال : لأن الذى تقدمه فى هذا الروى واقتفاه ، هو ابن هانىء الأندلسى وهو مغربى ، فكيف يقول إنه شامىّ ، وهذا غير صحيح ، لأن الشامىّ الذى يعنى ، هو أبو الحسن على بن أحمد الشامىّ المغربى ، وإنما لقب أبو الحسن هذا بالشامى ، لأن جده قدم من الشام على حضرة فاس حرسها الله ، فاشتهرت بنوه بالنسبة إلى الشام .وأبو الحسن هذا ، مات بعد الثلاثين والألف ، ويدل عليه أن فائية عبد الله المذكورة فى مدح نعال النبى صلى الله عليه وسلم ، كما أن قصيدة أبى الحسن الشامى كذلك . أما فائية ابن هانىء المعروف بمتنبى المغرب ، فإنه مدح بها جعفر بن علىّ صاحب الزاب . قالوا وأخذ عليه أيضاً قوله :

ترى عَين الفتى جناتِ عدْنٍ وتُصلى قلبهُ نار الجحيم

لأن هذا البيت هو بيت المتنبى :

حَشايَ على جمرِ ذكىّ من الغضى وعَيناىَ فى روضٍ من الحسن ترتع

وهذا غيرُ صحيح ، لأن قوله جنات عدن ، أبلغ من روض من الحسن ، ولأن نار الجحيم أحرُّ من جمر الغضى ، فاستحق هذا المعنى بما زاد فيه . قالوا وأخذ عليه أيضاً قوله ـ وكان : يقرأ بين يدى المولى إسماعيل أو ابنه مولاى محمد العالم ـ فقال : الوخيذ بالذال المعجمة ، فأرجعه السلطان أو ابنه . فقال : إنه بالذال المعجمة وبالمهملة ، فطلب منه شاهداً على ذلك فارتحل :

أقولُ لصاحبى لما ارتحلنا ... وأسرَعنا النجائبَ فى الوخيذِ

تمتّع من لذيذ كلام حورا ... فما بعدَ العشيةِ من لذيذِ

وهذا مغالطة منهُ ، والجواب عن هذا أن ذلك يغتفر كما وقع لأبى العباس المبرد فإنه ورد الدينور زائراً لعيسى بن ماهان ، فأول مادخل عليه وقضى سلامه . قال له عيسى : أيها الشيخ ! ما الشاة الجثمة التى نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن أكل لحمها . فقال : هى الشاة القليلة اللبن مثل اللجبة ، فقال: هل من شاهد ؟ قال نعم ، قول الراجز :

لم يبق من آل الحميد نسمه ... إلا عنيز لجبة مجثمه

فإذا الحاجب يستأذن لأبى حنيفة الدينورى ، فلما دخل عليه قال : أيها الشيخ ما الشاة الجثمة التى نهينا عن أكل لحمها ؟ فقال : هى التى جثمت على ركبهـا ، وذبحت من خلف قفاها ، فقال : كيف تقول ذلك ، وهذا شيخ أهل العراق يقول : هى مثل اللجبة ، وأنشده الشعر . فقال أبوحنيفة : أيمان البيعة تلزم أبا حنيفة إن كان هذا التفسير سمعه هذا الشيخ أو قرأه ، وإن كان هذا الشعر إلا لساعته هذه ، فقال أبو العباس : صدق الشيخ ، فإننى أنفت أن أرِد عليك من العراق ، وذكرى ماقد شاع ، فأول ما تسألنى عنه لا أعرفه ، فاستحسن منه هذا الاعتذار . ولعمرى إن بيتيه أحسن من بيت أبى العباس عند المنصف .

ولنبدأ بقصيدته التى مدح بها نعله صلى الله عليه وسلم وهى :

غرام سقى قلبى مدامته صرفا ... ولمّا يقم للعذل عدلا ولا صرفا
قضى فيه قاضى الحب بالهجر مذ غدا ... مريضاً بداء لا يطبّ ولا يُشفى
نهارىَ نهرٌ بين جَفنىَ والكرى ... وليلىَ بحرٌ مرسَلٌ دونه سَجفا
جريحُ سهام الحب عاث به الهوىٰ ... فأبدى الذى أبدا وأخفى الذى أخفى
توطّنتِ الأشواقُ سوداء قلبهُ ... فترفعهُ ظرْفاً وتخفضهُ ظرْفا
يحاولُ سلوانى الأحبة عُذّلى ... وهل يجد السلوان مَنْ يفقد الإلفا
سهرنا فناموا ثم عابوا جفوننا ... لقد صدقونا المُرهُ[1] لا تشبه الوُطْفا
فحسبُ المحبّ الصادقِ الودّ قلبهُ ... جفاء بشكواهُ مرارة ما يخفى
وما ضرّ أوصالَ المحبّ مقوّتاً ... رجاء وصال الحب إسناتُها عجفا
لئن فاتنا عين الحبيب فإنما ... بآثاره الحسنى أكتفاء من استكفى
فإن لم تر النعل الشريفة فانخفض ... لتمثالها وأعكف على لثمها عكفا
وقف رائماً إشمام ريا عبيرها ... حشاشة نفس ودّعت جسمها وقفا
ولا ترض فى تقبيل إلف تحبهُ ... إذا أمكن التقبيل ألفاً ولا ضعفا
بدت روضة مسكية النشر أوشكت ... لطيب شذاها العين أن تحسد الأنفا
أيمكن رس ضمه الفم دونها ... أيملك جفن غضه دونها الطرفا
ترد الردى الخشىّ وشْكُ بلائه ... ولولا قضاء سابقٌ ردّت الحتفا
وتجلب فى سوق التكسب طرْفةً[2] ... وتجنب فى مضمارِ نيل العلى طرْفا
ورمحاً ردينياً وسهماً مفوّقاً ... وسيفاً سريجياً وسابغة[3] زَغْفا
فشمّر وأظهرْ كل سرّ تضمهُ ... وإياك والإضمارَ فى الشرح والحذفا
وحكم لها من هنّ بالفصلِ حُكّم ... ثلاثتهن الشرع والعقل والعرفا

(١) المره : جمع مرهاء ، وهى التى فسدت لترك الكحل. والوطف : جمع وطفاء ، مأخوذة من الوطف ، وهو كثرة شعر الحاجبين والعينين .
(٢) الطرفة : اسم من أطرف فلان فلاناً ، إذا أعطاه ما لم يعط أحداً قبله .
(٣) الدرع السابغة : التى تجرها فى الأرض أو على كعبيك طولا وسعة . والزغف : اللينة الواسعة .

مضى سلف فى خدمة النعل صالح ... فكن خَلَفاً فيما تعاطوه لا خَلْفا
رأوا تلك فى الدنيا الدنية قربة ... إلى الله فى الأخرى مقربةً زلْفى
أرى الشعراء الهائمين تشببوا ... بذكر المحاكى من يحبونه وصفا
يُذيعون ذكر البان والحقف ذى النقى ... ويطرون ذات الخشف بالقول والخشفا
فها أنا فى تمثال نعليك سيدى ... مضيت على التحقيق فى الوصف كالأشفا
وإنى وتوصافى بديع حلاهما ... كمن همَّ بالبحرين يفنيهما غرفا
موازى تراب النعل بالتبر سائمٌ ... جبال شرورى الشمِّ أن تزن الزفا
أيا من سَقَتْ ألفاً ظماء بنانُه ... كما وهبت ألفاً كما هزمت ألفا
يد سميت فى فادح الفقر راحة ... كما سميت فى كفها للعدى كفا
من قام فى الإسراء والحشر خَلفه ... نبيؤ إله الحق كلهم صفا
نبى وقانا صرفِ الدهر يمنه ... فها نحن لا أزلا نخاف ولا عنفا
له مكنة فى علم كل خبيئة ... يقيناً ولم يخطط على مُهْرَقٍ حرفا
تناهى إليه علم ما كان أودعت ... بنات لبيدٍ بيرَ ذروان والجفا[1]
وما فى ذراع الشاة مما تعمدت ... يهود ولكن ما أعفّ وما أعفا
وما ملكوت العرش عنه مغيباً ... يعاينه والعين نائمة كشفا
يجوز عليه النوم شرعا وماسهى ... له قلبه اليقظان قط وما أغفا
وما أرضة البيت الحرام تعقبت ... كتاب قريش إذ نفت كل ماينفى
لمولدك الميمون آىٌ شهيرةٌ ... شفت غُلَّةَ الراوين من قولها الشفا
وفيما رأت عينا حليمة مذ رأت ... تبنيكه هو[2] الاحظى شفاء من استشفى
ولو لم يجبك البدر لما دعوتُه ... لما شئت لم ينفكَّ نصفين أو نصفا
ولم تك أمّ المؤمنين وإن سخت ... لتفنى لولا كيلها ماعلى الرفا

(١) يشير إلى شعر لبيد بن أعصم اليهودى النبى صلى الله عليه وسلم بمشاطة رأسه ، ثم أودع ذلك بئراً لبنى زريق ، يقال لها بئر أروان ، وقيل بئر ذى أروان وصوبه الأصمعى .
(٢) قوله تبنيك هو ، هو ضمير فصل بين النعت والمنعوت .

إلى معجزات أنجم الجوّ دونها ... نُموًّا وحُسناً وارتفاعاً ومُصْطَفا
فلا الدهرُ يحصيهنّ عدًّا ولوغدت ... مداداً لياليه وأيامه صُحُفا
بك الله نادى عالم العقل باليًا ... فأغواهمُ عدلا ووفقهم لطفا
تأثل منك النجم كيفية الهدى ... وشمس الضحى الإشراق والعنبر العرفا
ورشدك ما أبداه فانكشف العمى ... ووجهك ما أبهى وقلبك ما أصفا
ونوّرت أضغان العدوّ مواليا ... عليهم هدى الآيات يشرقن والزحفا
ولى فيك عين ما إن العين ثرة ... حكتها ولا هامى الحيا مثلها وكفا
وخد كما تحت المحيط من الثرى ... فآليته لاجف إلا إذا جفا
وفكرة حيران الحجا قذفت به ... نَوًى شُطُرٌ من حيث لم يحتسب قذفا
وقلب تولى الحب تصوير شكله ... صنوبرة[1] ثم استبد به حلفا
فكان سواء عذبه وعذابه ... عليه فما استعفاه قط ولا أعفا
وشعر بديع لو حوى الفتح شينه ... تمنت عذارى الحىّ وارده الوحفا
فإن لم يكن حق النبىّ فزخرف ... إذا زلزلت للحشر ألفيته كهفا
قفوت بها الشامىّ فى الفاء موقناً ... بأدنى وإن دون إدراكه ضعفا
أنا التابع النعّات فيك مؤكداً ... بيانهمُ أرجو به عندك العطفا
تخذتك كهفاً دون ما أنا خائفٌ ... فلم أخش فى أعقاب حادثة لهفا
فرشنى ومن راشت يداك جناحه ... يكن آمناً ماعاش من دهره النتفا
وأطلق سراحى من ذنوب عظيمة ... تعاظمنى إبثاقها ليتنى أكفى
عليك صلاة الله جمعاء كلها ... وتسليمه ما طاش عقلٌ وما ألفى
وآلك والصحب الذين علاهمُ ... أقلتهمُ أرضاً أظلتهمُ سقفا

(١) الصنوبرة : معروفة . والمهندسون يقولون فى الشكل المشابه لها شكل صنوبرى.

وهذه قصيدة على بن أحمد الشامى المغربى التى تقدمت الإشارة إليها :

دعوا شفة المشتاق من سقمها تشفى ... وترشف من اسآر ترب الهدى رشفا
وتلثم تمثالا لنعل كريمة ... بها الدهر يستسقى الغمام و يستشفى
ولا تصرفوها عن هواها وسؤلها ... بعدلكم فالعدل يمنعها الصرفا
ولا تعتبوها فالعتاب يزيدها ... هياماً و يسقيها مدام الهوى صرفا
جفتها بكتم الدمع بخلا جفونها ... فمن لامها فى اللثم فهو لها أجفى
لئن حجبت بالبعد عنهم فهذه ... مكارمهم لم تبق ستراً ولا سجفا
و إن كان ذاك الحيف ملفى وصالهم ... فها نفحة الإفضال قربت الملفى
فحركت الأشواق منا لروضة ... أباح لنا الإسعاد من زهرها قطفا
زماناً به موصولنا نال عائداً ... وأكدنعت الوصل من نحوهم عطفا
تولى كمثل الطيف إن زار فى الكرى ... و إلا كمثل البرق إن سارع الخطفا

ومنها :

كأنا وما كنا نجوب منازلا ... يود بها المشتاق لو راهق الحتفا
ولم تبصر الأبصار منها محاسنا ... ولم تسمع الآذان من ذكرها هتفا
كذاك الليالى لم تحل عن طباعها ... متى واصلت يوما تصل قطعها ألفا
فلاعيش لى أرجوه من بعد بعدهم ... وهيهات يرجو العيش من فارق الإلفا

ومنها :

أيا من نأت عنه ديارُ أحبةٍ ... فمن بعدهم مثلى على الهلك قد أشفى
لئن فاتنا وصل بمنزل خيفهم ... فها نفحة من عرفهم للحشا أشفى
وهاذيك أنفاس الرياض تنفست ... برياهُم فاستشفينَّ بها تشفى
وقل للأولى هاموا اشتياقاً لبابهم ... هلموا لعرف البان نستنشق العرفا
فصفحة هذا الطرس أبدت نعالهم ... وصارت له ظرفاً فيا حسنه ظرفا
تعالوا نغالى فى مديح علائها ... فرُب غلوٍ لم يعب ربه عُرفا
ولله قوم فى هوانا تنافسوا ... وقد غرفوا من بحر أمداحها غرفا

وإنا وإن كنا على الكل لم نطق نحاول بعض البعض من بعض ما يلفى
لئن قبلوا ألفاً نزد نحن بعدهم على الألف ما يستغرق الفرد والألفا
وإن وصفوا واستغرقوا الوصف حسبنا نجيل بروض الحسن من وصفهم طرفا
ونقبس من آثارهم قدر وسعنا ونركض فى مضمار آثارهم طِرْفا

ومن مديحها فى سيد البشر ، الشافع المشفع فى المحشر ، صلى الله عليه وسلم :

أناديك ياخير البرية كلها نداء عبيد يرتجى العفو واللطفا
وأين محق فى هوى حبك الذى يقل جيوش الهم إن أقبلت زحفا
وما أنا فيه بالذى قال هازلا أليلتنا إذ أرسلت وارداً وحفا

وأشار بهذا إلى قصيدة ابن هانىء الأندلسى ، التى تقدمت الإشارة إليها ومطلعها :

أليلتنا إذ أرسلت وارداً وحفا وبتنا نرى الجوزاء فى أذنها شنفا

وهى مشهورة فلا نطيل بذكرها ، وإنما الغرض تبرئة المترجم من الغلط .

وقال أيضاً ملغزاً فى قوله تعالى ﴿ ثم استخرجها من وعاء أخيه ﴾ ويخاطب علماء فاس عموماً ، ويخص العلامة ابن زكرى :

شيوخ البيان الذائقين حلاوة من العلم لم تطعم لغير ذويه
سلام من الله السلام ورحمة يعمانكم من خامل ونبيه
سؤال غريب دون شنجيط أرضه من البعد تيه يتصلن بتيه
إذا شبّه الهادى بها وجه مرشد تشابه فى عينيه وجه مُتِيهِ
قِراهُ لديكم أهل فاس جوابهُ بنص بيان فى البيان وجيهِ
سما بكمُ علم البيان وحقه إذا ماهوى ظن بمختلجيهِ
أسائلكم ماسر إظهار ربنا تبارك مجداً من وعاء أخيهِ
فلم يأت عنه منه أو من وعائه لأمر دقيق جلّ ثم يخيهِ
فإن تك أسرار المعانى خفية فمرآتها أفكار كل نبيهِ
وأنت ابنَ زكرىّ نبيهٌ محقق تفرّدْتَ فى الدنيا بغير شبيهِ
إذا غصت فى بحث حصلت بدره وخليت عن سفسافه ورديهِ

يمدك فى إتقـــان علم تبثـه قياس أصولىّ ونص فقيـــهِ
وفاك الذى أبداك كالنجم يتقى به الغىّ من يبغى الهـدى ويعيه

وقد أجاب هذا اللغز ، محمد بن سعيد اليدالى الديمانى ، بقصيدة طويلة . قال فى الذهب اقتصرنا منها على محل الفائدة وهو :

سؤال بليغ فى البيـــان نبيه أديب من ارباب الهدى وذويهِ
عليه مدار العصر فى العـلم سيما علوم المعانى وهو قطب رحيـه
سبوق لدى قيد الشوارد راكب من الفهم متنيٌ لاحق ووجيه
عن السرّ فى إتيان ربى بظاهرٍ مكان ضمـير فى وعاء أخيـهِ
معمّى قد أعيا أهل فاس وغيرهم فـكنا بحمـــد الله مفتتحيـهِ
وكلّفنى نصحُ الـبرية فـكّهُ فأعْظِمْ بمـا قد كان كلفنيـهِ
فقلت وبالله الصَّوَابُ مجـاوباً له بقياس فى الأصول وجيـــه
ولـكنه صعْبُ المدارك معْسِرٌ على ضُعَفَاءِ الفهم مُنْتَقصيـــه
فهذا بحمـد الله إيضـاح لُغْزِهِ مســاوٍ له فى بحـره ورويهِ
فلو قال فرضاً ربنـا من وعائه فذالـكم بعـد التفـكرِ فيـهِ
يؤدى إلى عود الضمير ليوسفٍ فيفسد معنـــاه لمختـبريه
لأنّ الضميرَ فى الصناعة عائد لأقرب مذكور هنـاك يليـه
وإن قال منه أختل أيضاً لأنه يؤدى لعود مضمر لأخيـــه
فتنزع منـه الصاع لا من وعائه وتأنف من ذا نفس كل نزيه
لما فى انتزاع من أذىً ومهـانةٍ ولم يرد الرحمٰن من ذا بنبيـــهِ
ونص على هذا السيوطى فهاكه بوجه بيـــانى ونص فقيـــه
ويعرف هذا الذائقون حلاوة الـ معانى ومن يدرى الهدى ويعيه
وفى فضلك أجمع شملنا ربنا كما فعلت بيعقوب النبى وبنيـــهِ
وصل على الهـادى وسـلم وآله وأصحـابه طرًّا ومتبعيـــه

وقائل هـذا ابن السعيد محمـد محبُّ النبيِّ المصطفى وسميـه

وله أيضاً يشكو حال بعض علماء وقته:

سقى دمن الحى الحيـا المتفائض وفى وجهه برقٌ من البشر وامض
يَصُبُّ عليهنّ الميـــاهَ كأنه لما دنّس العصران منهن راحض
معاهد أرآم الأنيس فأصبحت وفيهـا لأرآم الفضـــاء مرابض
رياض لوى بيض العمائم حزنها كما قمّصت خضر الملاء الروائض
تذكرنا هاتى بتلك تشابهاً يبين فيخفيه الشوى والمآبض(١)
فتلك التى يغذو صناب وناطف وهاتى التى يغذو كباث و بارض(٢)
أثار الذكارُ العنـــبرية حبهـــا ففاض على الأحشاء والصبر غائض
وليل قضينا فيـــه للأنس حقهُ فتمت بما نهوى الأمانى الغوائض
تدوّم غربان الدجى فـــتردها إلى الجوحيـات الشماع النضانض
زمان توانى فى المصالح أهله وكلهم نحو المفـــاسد راكض
يقولون خير الدين والعلم سعيهم وسعيهمُ للدين والعـــلم هائض
عجزت فأظهرت القبول كتـــابع عجوزا يصلى خلفها وهى حائض
فلو كنت أرجو الودّ منهم تواخياً وما منهمُ إلا عدُوٌّ مباغِضُ
لـكنت كراج للنوافـــل حفظها لدى مَنْ مضاعاتٌ لديه الفرائض
وراج لداء طب من هو مشكل عليه مريض المـاء والمتمارض
كما خض ماء الشنّ جرًّا إتائه ومُطلّب عنّـاهُ أبلق ماخض
إلى كم وهـذا الجور يبرم حكمهُ ولم يتعقبه من العـــدل ناقض
ولم يبق إلا مغمض متبـاصر يخـاف أذاه مبصر متغـامض

(١) المآبض : جمع مأبض كمجلس وهو باطن الركبة .

(٢) الصناب : صباغ يتخذ من الخردل والزبيب . والناطف: نوع من الحلوى. والكباث : النضيج من ثمر الأراك ، وقيل هو مالم ينضج منه . والبارض : أول ماتخرج الأرض من نبت قبل أن تتبين أجناسه .

يروح جراب الباطل الفم جهده وما فى جراب الحق إلا نفائض
على صورة الإنسان غطيت صورة الـــحمارِ وغطتها الثيابُ الفضافض
سأعصى عذولى فى الشرى وهو ناصح وأغشـه فى نصحه وهو ماحض
وتطوى عواصى القفر عيسى بأذرع طوال التمشى بالخضم النضانض
إلى حيث صيرُ الشرع لانهج ظاهر ولا باطـل من حكمه متناقض
ومن عد للجلّى وحملان عِبْئِهـا تأرّضَ عنه المُستَطيلُ الجرائض
إذا ما اللحى لم تَسْعَ فى النفع أهلها لأهليهمُ فلتسع فيها المقـارِضُ
ولىّ حفىّ بالمريد فعـــذقه بحفتـــه والدواء أدوه نابض
يرجيه عنـد البسط والله باسط ويخفيه عند القبض والله قابض

وقال أيضاً يمدح أبناء أحمد من دامان فى أول القصيدة ، ثم عاد إلى الغزل ، ثم استأنف مدح العلامة ابن الفاضل من أهل بارك الله ، ويعرف بالفظيل ، مجيباً له عن قصيدة مدحه بها لم تحضرنى :

تخـافقت البروق على الغميم شفـاؤك يامقيلة أن تشيم
مخيّم جـيرة شُمّ كرام طهـارى أوجهٍ بيض وخيم
أعزاه القنا حىٌّ لقـاحٌ[1] يرون الموت فى عيش المضيم
مُسِيموا الغضَيّات بكل أرضٍ حَماما الخوفُ غاشيةَ المسيم
فوارس يركضون بنـات عوج أتوا وأتين بالعجب الجسيم
حقيقة أن جنس الليث يعـــدو إلى الهيجـا على جنس الظليم
بُنـاتُ الرّيط فى الفلوات يبدو على الأميـال كالرمل العظيم
خيام النـاسِ لـكن كل سجف يزاوج بين قسـورة وريم
سقـاةُ الضّيفِ ألبان المهـارى ومَن عادوه بالآن الحميم
فى أسيـافهم حتف الأعادى وفى راحاتهم كسب العـديم

(١) أى لا يدينون للملوك أو لم يصبهم فى الجاهلية سباء .

نأوا بخريدة غيداء رأدٍ ونيم للغوانى أىُّ نيم (١)
طوَتْ كشحى على جمرٍ تلظى غضى طيانةُ الكشح الهضيم
أثيثَةُ وحْفِها الحاكى أسوادًا وطولا ليل عاشقها السليم
يصول إلى مُخاتلها هُوِيًّا لينقذه من الحِجْلِ الفصيم
تُرى عين الفتى جنات عدن وتُصلى قلبه نار الجحيم
قواطع فى حشا المصفى إليها مقاطع درّ منطقها الرخيم
وتسرى فى حُشاشته فيحيى حميا الكأس فى قلب النديم
أقرّ الحُسْنُ ملكا فى يديها وتيرةَ ذى الأناة المستديم
أردتُ وصالها طمعاً فهمنا بأودية الغرام المستهيم
وحالت دُونَ رُقبِاها خيالا عوارضُ من عذاب هوًى أليم
مُبينةُ خُلْفِ عُرقوب وحقٌّ لديها واجبٌ مَطْلُ الغريم
ثنا القرطان أذنيها وأصغا هما الشنفان للواشى النميم
لرِدْفيها وخصْرَيها اختلاف رجاجةُ مقعدٍ وضوًى مقيم
وأنوارُ الدَّرارى والزهاوى تلاشت فى محياها الوسيم
رَدَاحٌ فَعْمَةُ اللاذى اليمانى روى ماء الشبيبة والنعيم
وما أدرى أعارت أم أعيرت محاجرها بنات مها الصريم
أألبسها الكمالَ كما اكتساهُ محمدٌ الكريم بن الكريم
إمامٌ بلغت يده المعالى محلاً لم تَرُمْهُ يَدا أريم
كأنْ قد خُوطبت فيه استقرى لديه كيف شاءَ ولا تريم
يدافع عن حقائق كل مجدٍ مدافعة الغيور عن الحريم
لآل الفاضل الفضلاءِ أيد شددن على عُرى المجد الصميم
كسُوا حُلَلَ التقى الضَّفْيا وأعطوا تمام الخُلق والخَلق التميمى

(١) النيم : الفرو الخلق ، وقيل فرو يسوى من جلود الأرانب ، أى يغطى حسنها حسنهن .

هم الأمثال فى الآفاق سارت ... مسير الشمس بالضوء العميم
لشرحهمُ خبايا كل فن ... جهلنا ما البليد من الفهيم
فما نخشى الضلال وهم نجومٌ ... ترينا الهدْى فى الليل البهيم
أئمة حزبِ أحمد مانعيهم ... مكايد حزب إبليس الرجيم
سعت فى الخدمة الدنيا عليهم ... وهم فى خدمة الدين القويم
ثمالُ الناسِ فى اللأواءِ يسلى ... بهم فقدان كلّ أب رحيم
جميلٌ ليس معزواً إليهم ... بلا حاء ولا دال وميم
بيانُ محمدٍ صبحٌ منيرٌ ... فأفحم كل ذى جَدَلٍ خصيم
مُحَلّى [1] حلبة الأدب المسمى ... مسابقة المبرز باللطيم
أبو الطلاّب لا ينفك منهم ... حنانَ الأمِّ بالطفل الفطيم
أقول لحاسدٍ رام أعتسافاً ... يسابقه ركبت على مليم
تيقظ من كرى حسد محلٍّ ... شبعت به من البنج المقيم
فأمٌّ كوالديك بوالديه ... به أمُّ الصراط المستقيم
عسيرٌ ماتعالجه فأولى ... علاجك داء خاطرك السقيم
فما ساع إلى مجدٍ بجدٍّ ... كمتكل على عظم رميم
أترضى ويح أمك مايؤدِّى ... إلى تعقيب أقضية الحكيم
زَعمنك بيننا ملكا مُطاعاً ... ليهنئكَ الخراجُ بغير جيم
ظننناك الزعيم وما صدفنا ... وفزنا منه بالرجل الزعيم
شفى السُّؤال إلا حاسديه ... وهل يشفى الزلال غليلَ هيم
أسيدىَ العزيز علىّ قدراً ... رضيتُ له بمكنة الخديم
أخلت فتاك محظوظاً بعلم ... نخفتَ عليه تعلاك الشكيم

(١) المحلى : السابق فى الحلبة . والمبرز : بمعنى المحلى . واللطيم : تاسع خيل الحلبة ، وليس وراءه غير الفسكل ويقال له السكيت .

أفادك محض وُدِّك فيه ظنًّا جميلا صنع ذى قلب سليم
فَلِمْ ولديك روض العلم غضًّا رعاك الله تُعنى بالهشيم
وكائنْ حزت من مرعىَ مريء فأيَّةُ حاجةٍ لك بالوخيم
وشرُّ إصابة الدنيا كريما إذا ما أحوجته إلى لئيم
ينال أبن الكريمة شرَّ خطب ولا يرضى التخلص بالذميم
أجلْ درجات أهل العلم شتى تناهيها إلى الله العليم
لأمرٍ فى أزدياد العلم سارت إلى الخضر العزيمة بالكليم
عدمنا قبل شعرك كون شعر قوافيه من الدرّ اليتيم
جواب عنه جهد أخ مقل جزاء الترب عن تبر نخيم
ترى العيفان فى رشآت مسك لأول وهلة شبه الوَنيم
فتفصل مِسْكَ تُبَّتَ[1] دون لَبْسٍ من الحتيتِ جارِحَةُ الشميم
وما العرّارُ كالرئبال بطشاً وإن حاكاه فى رجع النئيم
إليك فأغض جحمرشٌ[2] عجوز تقص معالم الزمن القديم
لها فى اللهو ضرب بعد ضرب على آذان أصحاب الرقيم
فتاة حين جُرهم[3] استعاذوا وطافوا بالمقام وبالحطيم
وإذ بكرت على طَسْمٍ جديسٌ[4] وإذ خربت ديار بنى أُمَيمِ
وإذ صَليت تميم نار عمرو[5] مُضيف البُرْجُمى إلى تميم
هدية عبدك البادى المساوى فغطِّ مساوىَ العبد الجريم

---

(١) تبت : بلد جيد المسك والحتيت والحتات واحد .
(٢) الجحمرش : العجوز الكبيرة والمرأة السمجة الثقيلة .
(٣) جرهم : هم الذين كانوا ولاة على البيت الحرام .
(٤) طسم وجديس : قبيلتان من العرب البائدة تفانتا . وأميم : قبيلة من العرب البائدة أيضاً
(٥) عمرو : هو عمرو بن هند الذى حلف ليحرقن مائة من تميم ، فلما حرق منهم تسعة وتسعين ، وافاه برجمى شم رائحة التميميين وكان أصابه الجوع فجاء ليأكل ، فأكمل به المائة . وورد فيه أن الشقى وافد البراجم .

خدمتُ مقامك الأعلا أمتداحاً أتيت به على نمط عقيم
لشعرى منهُ عزاً وارتفاعاً نصيب السلك من شرَفِ النظيم
ودادك فى مشيج دمى ولحمى وفى عظمى وفى ضاحى أديم
صلاة الله أزكى مايحيى زُجاجةَ ذلك الوجهِ الوسيم
مطايا الشوق فى قلب المعنى إليك الدهرَ عاملةَ الرسيم
وفضَّ تحيتيك ختامُ مسك يُذيع أريجَه طيب النسيم

وقال أيضاً يرثى أعمر آكجّيل (بكاف معقودة) أبن هدّ التروزى :

هو الموت عضب لاتخون مضاربه وحوض زعاف كل من عاش شاربهْ
وما الناس إلا واردوه فسابقٌ إليه ومسبوق تخبُّ نجائبهْ
يحبُّ الفتى إدراك ماهو راغبٌ ويدركه لابد ماهو راهبهْ
فكم لابس ثوب الحياة فجاءَه على فَجْأَةٍ عادٍ من الموت سالبهْ
ولم يقه فرعونَ[1] عونٌ أعده ولا مُرْدُ نَمْرُودٍ حمت وأشائبهْ
وهل كان أبقى بُخْتَنصّر بَخْتُه وأنصاره لمّا تحدّاه واجبهْ
فما صان حبراً علمه وكتابه ولا ملكا أعلامه وكتائبهْ
ولسنا نسب الدهر فيما يصيبنا فلا الدهرُ جاليه ولا هو جالِبُهْ
مضى مشرق الأيام حتى إذا انقضتْ ليالى أبى حفص تولت غياهِبُه
نقيبٌ نسينا كل شىء لرزئه تُذكرناه كلّ آنٍ مناقِبُه
أناعيَه أرسلت عزلاء مهجتى فهادَمها حلاق جفنىَ ساكبُهْ
طوى نعيه وهي فيها أنا غائب عن الحسّ فيه ذاهل العقل ذاهبه
تمكن من نفسى بنفس سماعه جوًى فيه كُلّى ذاب قلبى وقالبُه
فلاقيته لقيا شج متعلّلٍ بصدق الأمانى والأمانى كواذبه
عزاء حيّ عمه الشجو لاينى تساوره حياتُه وعقاربُه

(١) فرعون : بدل من الضمير مثل زره خالدا .

أعاتبه فيما أقام ولم يقم ... على حجة المعذور فيما أعاتبهْ
أهاذى السحاب الغر وهى مُلثَّةٌ ... بواكيه أم تلك الرعود نوادبه
تضعضعتِ الدنيا فسلمى رأيته ... لفقد ابن هَدٍّ هُدَّ بالهم جانبه
فلا حَىٌّ إلا وهو أصبح مأتماً ... تداوله أشياخه وكواعبه
فقد صح موت المكرمات بموته ... وصرح ناعيه ولوّح ناعبه
إلى أين منْ أيامه العيد كلها ... مآكله مصفوفة ومواكبه
دعاه السميع المستجاب وطالما ... دعى الأجفلى[1] والعام أشهب آدبه
ألازمه المكتوب إن حل رأبنا ... ولكن نظام العالم أنحل كاتبه
وما مثل الدنيا وراء خصاله ... بشىء سوى ليل تهاوت كواكبه
فياطِرفه ما كنت كالخيل لاأرى ... سواكَ غداة الهيعة[2] البدُّ راكبه
هو السيد الممتد فى الناس ذكره ... وفى البُؤس كفاه وفى البأس قاضبه
يلاين مرتاضاً أريباً ويبترى ... هزبراً أبا أجرٍ على من يغاضبه
فتًى يهب الآلاف عفواً وتنكفى ... مخافته الآلاف حين تحاربه
تنوع فيه الناسبون فكلهم ... إلى كل جنس كامل الوصف ناسبه
فللأبحر الراوون أخيار جوده ... وللقمر الراؤون كيف مناضِبُهْ
وللأسد الواعون شدة بأسه ... وما دافعت فى كل هيجا مَناكِبُهْ
مذاهب من يولى الجزيل ويقتنى ... به الوفرَ مَنْ أعيت عليه مذاهبه
يجد فيغنى من يناوى مهابةً ... ويجدى ويغنى من يوالى مواهبه
علانية يأتمه الجم وارداً ... فيضربه[3] أو مارداً فيضاربه
يناجى بما فى نفس عافيه قلبه ... فيتحفه مافيه نيطت مآربه

(١) الأجفلى والجفلى : الدعوة العامة ، وعكسها النقرى .
(٢) الهيعة والهائعة : الصوت تفزع منه وتخافه ، والبد : التعب .
(٣) أى يعطيه ما يكتفى به عن سؤال غيره ، ومن هذا المعنى حديث : ضرب الناس بعطن ، أى رويت إبلهم حتى بركت وأقامت مكانها .

أبا فَضْلُهُ الحذّاقَ أن يحذقوا به ... فلا اليـد تحصيه ولا الفم حاسبه
فلم يغنه المجـــد الذى هو حائز ... تراثاً عن المجد الذى هو كاسبه
علا حزمه من طبعـــه متعقب ... يباعده الأمر الملوم مقـاربه
فما سَدُّه مستأنساً مايريبـــه ... محاكيه السد الذى شـادَ ماربه(١)
معاطفـــه ماضقن ذرعا بحادث ... جليل وإن كانت تخاف مَعَاطبه
إمامُ ندىً فى جامع المجدِ راتبٌ ... تحيـل القضـايا أن تنـال مراتبه
منوّر مرآت الفـــؤادِ موفّقٌ ... ترا آى له من كل أمر عواقبه
تفرّق مايكفى البريّة كفهُ ... وتجمع من فوق التراب ترائبـه
نسوجٌ على منوال ما كان ناسجاً ... على ذكره من عهد يحيى عناكبه
على يده الطولى تقمّصت مِطرفا ... من العز والإثراء ها أنا ساحبـه
أيجتمع البحـــران إلا إذا رسا ... سفينٌ مدنّات إليـه قواربه
يحكمه ربّاته فى نفيسها ... ويدعوه فيما يصطفى فيجاوبه
فيصدر ركبا بعد ركب ثقيلة ... بما وهبت تلك اليمين ركائبه
فنبصره عذبا فراتا غطمطمـا ... يذِلُّ له حقو الاجاج وغاربه
تزاحم فى بث الجميـل تسابقاً ... إلى شكره أفواهه وحقائبُهْ
إلى بابه فى كل تيهاء منهج ... يؤدى إليه طالبَ العرف لاحبُهْ
عجبتُ لأيدٍ كيف وارت بمضجع ... غمام أيادٍ يوعبُ الأرض صائبُهْ
سقى الله قبراً ضمّهُ وبلَ رحمةٍ ... من الرّوح والرّيحان تهمى سحائبه
وأوفض فى وحش التراب بروحهِ ... إلى حيث أترابُ الجنانِ تلاعبه
فصاحب علىٌّ الصبرَ فيه وآخِه ... فمحمودة عقبى من الصبر صاحبه

(١) سد مارب هذا يوجد باليمن ، قيل إن بانيه سبأ بن يشجب وقيل: إن مارب تقال لكل ملوك اليمن .

فما حان حتى بان منك سميذع[1] يجاريه فى ميـــدانه ويحـاذبه
هو الفاعل الخيرات قدِّر حتفه فثق بوجوب الرفع إنك نائبه
تبارَيتما بدرين فى أفُقِ العُـلا وقد سُرَّ باديه وأحْزَنَ غائبه
وما قلدوك الأمر إلا تيقنـــاً لإدراكك الأمرَ الذى أنت طالبه
فقم راشداً واقصد عدوَّك واثقـاً بفتحكه إذ همُّ خوفك ناصـبه
فيؤْيدكَ الله الذى هو باسط يديك فمغلوب به من تغالبـــه
فلا يَثْنِكَ الحساد عمـا تشاؤه فلن يمنع الحساد ماالله واهبـــه
فأموالهم ما أنت بالسَّيْبِ واهبٌ وأعمارهم ما أنت بالسيف ناهبه
كما لك يا إنسان عـــين زمانه تـكنفـه حفظ من الله حاجبـه

وقال أيضاً يرثى العلامة أحمد بن يوسف البوحسنى :

هو الأجل الموقوت لايتخلّفُ وليس يرد الفائتَ المتأسِفُ
رضينا قضاء الله جلّ جـــلالهُ وإن ضَلّ فيه الجاهلُ المتعَسِفُ
هو الحق يجزينا ثواب صنيعه وننفق من خـيراته وهو يُخْلِفُ
يعافى ويعفو عن كثير ولم يزل حليما وما زلنـا نسىء ونسرِفُ
فـكيف يؤدّى حمدَهُ حق حمدِه كما ينبغى مجداً لِسانٌ وأحرفُ
إلهى عجزنا دون ما أنت أهـله وخفنـا ونرجوا مالديك ونرجفُ
أشارت يد الدنيـا بتوديع أهلهـا وكدنا نرى الأشراطَ والله يلطف
رجوناك مفضالا وخفنـاك عادلا فهب مانرجّى واكفف مانتخوّف
هى الجسر للأخرى فسِر ضيف ليلة عليها فـكلٌ ماتستضاف وتعلَفُ
تـكلفنا أشيـاء لانستطيعهـا ونعلق فيها بالمحـال ونـكلفُ
فأما هوانا طولهـــا فلأنفس شديد عليها ترك ما كان تألفُ

(١) قوله : فما حان ، أى فما هلك ، والحين : الهلاك . والسميذع : بالذال المعجمة ، السيد الـكريم ، الشريف السخى ، والأكثر على إهمال داله .

تصرّفت الهوجاء فينـا على عَمًى ... فلا غرض تبغيـه فيما تصرف
وما ذاك إلا أنهـا جد كلبـة ... وماطبعت إلا على الكلب تصرفُ
يبشّ محيـاها إلى كل ناقص ... وتعبس فى وجه الكريم وتصدفُ
وليس يفى فيما يفيـدُ سرُورها ... بأحزانها فيما تبيـد وتتلفُ
فلا ترضها جمعـاءَ كتعـاء جملةً ... تحلّةَ ماتولى عليـــه وتحلفُ
ولا دار سكنى وهى قصرٌ مُشَيَّدٌ ... فكيف وهذا قاعُهَا وهى صفصفُ
وما الزهدُ فى إلفَائهـا وهى علقمٌ ... زعاقٌ ولـكن وهْيَ صهباء قرقفُ
مضت غيرمأسوف على زَرَجُونها[1] ... ولـكن على مثل ابن يوسف يؤسف
فتانا ومفتينـا المصيب وشيخنـا ... ونبراسنـا فيما يهم ويسدف
يعاين أعقـاب الأمور فراسة ... إياسيه تلقى إليـــه وتهتفُ
وتسمع عنه بالمجيب وماترى ... بأحسن مما كان يروى وأظرفُ
تهم قلوب الحاسدين بغمصه ... فتسبقهم أفواههم فتشرّفُ
بصيرٌ بحـل المشكلات كأنمـا ... يكاشف عن أسرارها ثم يكشفُ
حكيمٌ تلاشى[2] فيه سَحبان وائلٍ ... وقس وأفعى الجرهمى وقِلطفُ
ورسْطا[3] وقسْطاوابن سيناوهُرْمِسٌ ... وإقليدس ذو الجوسقين وأسقفُ

---

(١) الزرجون : الخمر ، أى غير مأسوف على حلاوتها .

(٢) قوله تلاشى فيه : أى صار كلا شىء ، وسحبان وائل : بليغ مشهور ببلاغته يضرب المثل ، وقس بن ساعدة : فصيح أيضاً ، وقد رآه النبى صلى الله عليه وسلم يخطب على جمل أورق بعرفات ، وهو أول من قال : أما بعد . وأفعى الجرهمى : حكيم جاهلى مشهور ، وهو الذى أوصى نزار بنيه إذا أشكل عليهم شىء من أمر تقسيمه لماله فيهم ، أن يرجعوا إليه ، وكان أفعى هذا من ملوك نجران . وقلطف : كزبرج ، هو ابن صعترة الطائى أحد حكام العرب وكهانهم .

(٣) ورسطا : هوارسطوطاليس اليونانى المشهور ، وقسطاابن لوقا البعلبكى فيلسوف مشهور . وابن سينا هو الحكيم المشهور وهو إسلامى . وهرمس بالضم اسم ذى القرنين على أحد الأقوال التى نقلها ابن هشام عن السهيلى . واقليدس مهندس مشهور . وذو الجوسقين لم يشتهر بهذا اللقب ولعله يشير إلى مهارته فى البناء وهما تثنية جوسق وهو القصر . وأسقف : هو أسقف نجران ، هو الذى أراد أن يباهله صلى الله عليه وسلم فاستقاله ، وكان من كبار أحبار أهل الكتاب .

غمامٌ بماء المزن ينهل مزنه ... وبحر بأصداف المكارم يقذفُ
تملك أطراف القضاء وفقهه ... وما هو إلا مالك أو مطرفُ[1]
تخاطبنا كبرى ابن يوسف عنده ... دعوا كثرة الآراء هذا المصنفُ
درى في اللغى والنحو ماشاء في الصبا ... فشبَّ على تحقيقه يتفلسفُ
يجوّدُ آيات الكتاب فصدرُه ... لمجموع ذي النورين عثمانَ مصحفُ
عواطل آذان من العلم لم يكن ... يقرّطها تدريسه ويشنفُ
يفسرُه تفسير حبر موفق ... يسنى له فيض العلوم فيغرفُ
نضت جودها في كفّه كفُّ حاتم ... وزرَّ عليه جبة الحلم أحنفُ
أشمُّ المعالي همه وهو همها ... ويشغف فيها مثل مافيه تشغفُ
قصرن عليه الطَّرف وهو كأنما ... برؤياسواها كان يقذى ويطرفُ
وما كنت أدري قبله الموت زعزعا ... يدكُّ جودىّ المعالي وينسفُ
ولا حاجياً أن يستهلَّ ابن ليلة ... على الناس بدراً كاملاً يكسفُ
توغلت سجن الهم فاصبره حسبة ... يجازيك من مجزيٍّ يوسفَ يوسفُ
أراد بك الله التي هي عنده ... أحظُّ وأحظى بالمفاز وأشرفُ
ولو أن آثام البرية كفّةٌ ... لخفت بما فيها ثوابك يصرفُ
وبَخٍ بَخٍ وبشرِ أمّ أحمد بالذي ... يثنى لها من أجرها ويضعّفُ
فلا تجزعا يا ولديه فربه ... أبرُّ به من والديه وأرأفُ
وخلى ومن أصفيت ودى ومن به ... أقيم أعوجاجي كله وأثقفُ
وأفرشتني شوك القتاد وإنما ... فراشاك في الفردوس لاذٍ ورفرفُ
وجازاك عنها خير خير يناله ... ويُجزَى به الدَّيانة المتحنفُ
وخلِّي لمولاه الحضيضَ وأهلَه ... فليس له إلا إليه التشوّفُ
وتعزوه للأحداث سن صغيرة ... ويعزوه للأشياخ علم يؤلفُ

(١) وقوله : وما هو إلا مالك ، يعني مالك بن أنس الإمام . ومطرف بن مازن : هو قاضي صنعاء ، يعد من أشياخ الشافعي .

تعجبت من تقديمه عند عدمه ... وهم وهو عقد السؤدد المحض نيفُ
تغلغل فى علم التصوّف آخذاً ... على نفسه دون الحظوظ التصوفُ
وأدناك إذ لم ترض نفسك حية ... بما ليس يدنى من رضاه ويزلفُ
وغل لسانى فيك ماغمّ خاطرى ... فيها أنا أرسو فى الكلام وأرسفُ
ولم أقض أدنى حقه غير أننى ... أبهرج فى تأبينه وأزخرفُ
رثاء الذى لا يسخط اللهَ قولُهُ ... ويحزن منه القلب والعين تذرفُ
تمنيت لو أعطيت فى القول بَسْطة ... فأهتف فيه بالذى أنا أعرفُ
نعم كيف يفنى غارف متحفِّنٌ ... بغرفته البحر المحيط وينزفُ
له شيمٌ مثل النجوم عديدة ... فمنهن موصوف وما ليس يوصفُ
وغايات سبق فى الكمالات تنتهى ... جياد القوافى دونهن وتوقفُ

وقال أيضاً يمدح سيدى محمد بن مولاى إسماعيل الذى اشتهر فضله بين الخاصة والعامة (ومن أراد أن يقف على بعض مآثره فلينظر فى كتاب الاستقصا، ومن سمع ماترويه مشايخ الصحراء علم أنه ما استقصى) :

دع العيس والبيداء تذرعها شطحا ... وسِمْها بحورَ الآل تسبحها سبحا
ولا ترعها إلا الذميل فطالما ... رعت ناضر القيصوم والشيح والطلحا
ولا تصغ للناهين فيما نويته ... وخف حيث يخفى الغش من يظهر النصحا
فكن قمراً يفرى الدجى كل ليلة ... ولا تك كالقمرىّ يستعذب الصدحا
وقارض هموم النفس بالسير والسرى ... على ثقة بالله فى نيلك الربحا
وأمّ بساط ابن الشريف محمد ... مبيد العدا ذكرا ومبدى الهدى صبحا
فتى يسع الدنيا كما هى صدره ... فأضحى به صدر الديانة منذحا
ومن هو غيث أخضل الأرض روضه ... فلا يظمأ الآوى إليه ولا يضحى
فتى يستقل البحر جود بنانه ... على حالة استكثار حاتم الرشحا
تزيد على الفاقات فيضات كفه ... فيغرق فى التيار من يأمل النضحا

وَمنْ هديه ساوى النهار وليله فأمسى يسير الخافقين كما أضحى
أميرٌ ملوك الكفر أضحت بسيفه كما تتبغى الذبح فى عيدها الأضحى
مساعيه فى الخطب الجليل يرومه كآمال من يرجوه تستصحب النجحا
صفات كدُرِّ البحر صفواً ولجه حساباً فمن يأتى على مائه نزحا
وآيات علم أغمد الجهل نورها وغايات جد ليس تطلا بها مزحا
وكفٌّ تُرى وكفٌ أُلحيا كيف ينهمى إلى خُلق يرى نسيم الصبا النفحا
وبشرٌ محيا علّم الصبح ما السنا وقبض أرى النار التأجّجَ واللفحا
وتأليفه أشتات كل فضيلة ومكرمة غراء تعجزنا شرحا

ومنها :

أبوك لحكم الشرع ولاّك عهده فلم تلق كدًّا للسؤال ولا كدحا
وأعطاكه إذ ليس غيرك أهله وللعقل نور ميز الحسن والقبحا
كفى باتخاذ المال فى القصد يمنه فلسنا نخط الرمل أو نضرب القِدْحا
مهيب مخوف بطشه تحت حلمه عفوٌّ يرى إلا عن الباطل الصفحا
فهل كان معزوا إلى الحلم قبله نعم أو كريم يدّعى غيره السمحا
فأقدم حتى فارق الجبن صافرٌ وجاد إلى أن عاف مادِرٌ الشحا
ولم تُذْعِنِ الأعداء محض مودّة إليه ولكن إنما كرهوا القرحا
رأوا ضيغما يعطى الحروب حقوقها وإن تضع الأوزار يُبْرِمْ لها صلحا
ويستغرق الأوقات فى الجد كلها ولا يهب التّلعاب مايسع اللمحا
مواصلة حبل الجهاد جياده ووقفا على غزو العدا عدوها ضبحا[1]
معاديه مُعْطًى بالحياة منية وبالجنة الأخرى وبالسُّندس المُسْحَا
أبى أبن أمير المؤمنين وسيفه وصمصامه أن يرفع الضرب والنطحا
تشابهه خَلْقا وخُلْقا فسامه إلى الفلك الأعلى فإنك لا تلحا

(١) ضبح الخيل : عدو دون التقريب .

تهندست العليا فأحرزت جسمها لإحرازك النقطات والخط والسَّطحا

ومنها :

فأعطيتنى الأعيان والعين والكسى و بيض الظبا والنوق والخيل والطلحا[1]

فخذها أبنةَ الحاء التى الحمد مبتدا لها وبها خلاّقها كل المدحا

وقال يمدحه أيضاً :

أثار الهوى سجع الحمام المغرد وأرّقنى الطيف الذى لم أطرّدِ

ومسرى نسيم من أكَيْناف حائل و برق سقى هاميه برقة نهْمِدِ

وذكر التى بالقلب خيَّم حبها وألبسنى شوقا علالة مكمد

فبت أقاسى ليلة نابغيّة تعرفنى هم السليم المُسَهَّدِ

طويلة أذيال الدجى دب نجمها إلى الغرب مشىَ الحائر المتردّدِ

و يزعج وُرّاد الكرى دون مقلتى بُعُوث غرام من لدنْ أم مَعْبَدِ

بنفسىَ عرقوبية الوعد ما نوت و إن حلفت قط الوفاء بموعدِ

ترُدُّ إلى دين الصبابة والهوى فؤاد الحليم الراهب المُتَعَبِّدِ

وتقصد فى قتل الأحبة قربة بشرعة ديان الهوى المتأكّد

سبتنى فقبّلت الثرى متخلصا أمام أمتداح أبن الشريف محمد

هو الوارث الفضلَ النبيئ خالصا من المجد والعليا ومن طيب مَحتِدِ

بمال اليتامى والأيامى موكلٌ بتفريج غماءِ الشجىّ المكمدِ

وضاع أكثرها من حفظى . وله أيضاً :

يَتَفَيْهَقُ الغمر المغمر مُسْهَباً والمِصْقَعُ العِدُّ القريحة موجزُ

كالوعد يقوى المخلفون بحمله ويهاب عهدةَ عقده مَنْ يُنْجِزُ

وله أيضاً :

إلى الله أشكو طوع نفسىَ للهوى وإسرافها فى غيها وعيوبها

(١) الطلح : الرعاة .

إذا سقتها للصالحات تقعّست ودبّت على كره إليها دبيبها
وتشتد نحو الموبقات نشيطة إذا فاوقتها الريحُ فاقت هبوبها
وما هى إلا كالفراشة إنها ترى النار ناراً ثم تصلى لهيبها

ومن بديع قوله :

ألا إنى خليلك ياحويرى ومبسمك المُبَرِّدِ للغليل
فقولى للنحاة حماىَ عنه دعوا بين المبرد والخليل

وسواء فتحت راء المبرد أو كسرتها كما ضبط بالوجهين . ومما أنشدنى له العلامة أستاذنا المختار بن ألّما الديمانى رحمه الله تعالى من أبيات :

إذا جلت فكراً فى العلوم عويصها ومادت بى الأفراح كل مميدِ
تصاغرت الدنيا لدىّ وأهلها وجئتُ بما يشفى غليل مريدِ
ونلتُ لذيذ العلم بالذوق وحده وكل لذيذ غيره كهبيدِ

هذا ما علق فى الخاطر من شعره ومحاضراته ، سوى قصيدة ستأتى فى ترجمة أُلَيْدَالِى ولم ننقل شيئاً من الغرائب التى تتداولها العامة من أخباره لعدم صحتها . وكان رحمه الله تعالى موجوداً فى صدر القرن الثانى عشر .

(حرم بن عبد الجليل العلوى) : ويقال له حرمة الله وحرمة الرحمن بن الحاج ابن سيدى الحسَنْ بْنُ القاضى ، يجتمع فيه مع الذى قبله علامة عصره . وأعجوبة دهره . جدّ واجتهد حتى ظفر بمناه ، وأقام بمدينة شنقيط وآطار لطلب العلم . وكان أبوه من أمثل قبيلته يقطن أرض القبلة ، فلما تأخرت عنه المؤونة لقلة القادمين ، كتب إلى أهله يعرض لهم ، بأن كثرة مالهم لم يحصل منها على طائل فى وقت الحاجة إليه فقال :

عليكم سلام مارست شمٌ يذبل وماجال ذكر الزاد فى قلب مرمل
وما أنشرحت نفس امرىء متغرب لثوب قشيب ناله بعدَ مسمل

وبعـــد فبرق خلب متألق على البعد لم تمرع به أرض ممحل
ومن لا يغادر ثلمة فى المَنيل لا يسـدُّ جداه ثلمـة المتنوّل

ويحكى عنه من الاجتهاد فى طلب العلم ، وتحمل المشاق والصبر ، شىء عجيب . ومن شعره فى جواب أبيات لأحمد بن الطلبة اليعقوبى ، يسأله إعارة كتاب التبصرة لابن فرحون .

يابن المشايخ والأشياخ أسـلافه جزاء من يسعف العـافين إسعافُه
لكنّ تبصرة الحُـكّام مَبْخَلَةٌ واؤلؤ وسواد القلب أصـدافُه
ومن أعار سواد القلب أتلفـه لـكن يهون علينا فيك إتلافُه

ومن أشهر مشايخه المختار بن بون ، وكان عليه اعتماده من كل طلبته ، ولم يحمل عنه أحد من علمه ماحمل ، وكان يساعده فى نظم التسهيل حتى إنه قال : لو أخذت مايخصنى لم يبق منه مايسمى به .

وكان حرمة الله هذا رحمه الله ، من عجائب الدهر ، ولما تضلع من ابن بون ، جلس لإفادة الناس ، وضربت إليه أكباد الإبل ، وانتفع به خلق كثير ، ولم يبلغ أحد من تلامذته مبلغ الشيخ سيـدى ومحنض بن سيدى عبد الله الشقروى ، وكانت له اليد الطولى فى جميع العلوم . أما النحو فاشتهر به بعد ابن بون . وأما الفقه فـكان المرجع فيه إليه أيضاً ، ويدل على تفننه قوله ، وقد مر بربع خلا كانوا يطلبون العلم فيه على بن بون :

دمن دعتك إلى القريض فإن تجب فلمثلها يهدى القريض ويندبُ
وإذا سكتّ عن الجواب لشرّةٍ فاضت فذاك من الإجابة أصوبُ
أما النسيبُ فلا يسوغك ذكرهُ عصر التعـلم والمشايخ يعذبُ
كنا مع البونىِّ فى عرصاتهـا هالات بدر لم يشبها غيهبُ
فيها تجمّعَ سيبويهِ ويوسفٌ والـكاتبى والأشعرىّ وأشهبُ
شاقتـك أطلال بَلين لهم وما شاقتك سعدى إذ نأتكَ وزينبُ

ومن عجيب أمره ، أنه لما كبر أصيب ببصره ، فكان لا يميز الناس ولا الدواب ولكنه يقرأ الكتب ، وقد حدثنى عمنا العلامة البركة مأمون ، أنه كان يكتفى فى الليل بضوء قليل يقرأ الكتب عليه ، وهذا شائع هناك . وله شواهد منها قول العلامة باب الآتى يرثيه من منظومته :

أغناه نور القلب عن نور البصر يطالع الكتب ولا يرى البشر

وقال ابن عَيدُّ الجكنى يخاطبه ويشكو إليه ناساً من أقاربه هجوه :

ياحرمة الله يانبراس ذى العُصُرى يامن بصيرته أغنت عن البصرِ
ماذا تقول لمن أمسى يخاطرنى من خاطر البزل لم يسلم من الخطرِ

وكان مع علمه وصلاحه يجيد النسيب . ومن بديع قوله :

إلى متى تظهرُ السلوان والفكرُ تعلو بقلبك أحياناً وتنحدرُ
ماأنت أوّل من أفنى تجلده وصبره دعج العينين والحورُ
ولو مرّ أهيفُ مجدولٌ على حجر صبا له إن رآه ذلك الحجرُ
هيف الخصور خدال الشوق قد صرعت
قَيساً وقيساً وغيلاناً[1] وما انتصروا
جرّ عن عروة كأس الموت قبلهم وقال فيهنّ ماقد قاله عمرُ
عراك منذ شهور ماألمّ بهم رِدْ مثل ماوردوا وأصدر كما صدروا
لايصدر الطرف عن جيداء منعمة إلا امرؤ لم يكن فى وجهه بصرُ
واجعل سريرك رحلا فوق يعملة من شدة الخطو لا يبدو لها أثرُ
سايِر براحا عليها كل هاجرة وأدلج كما تدلج الجوزاء والقمرُ
حتى تُؤوِّب غزلاناً تسامرها ياحبذا تلكم الغزلان والسمرُ
إن شاكلت كل خضر ادمنة زَهَرًا ياحبذا الدمن اللاتى بها الخضرُ
ماذا تضرُّ عروقٌ غير طيبة إن طاب للمجتنى أثمارها الثمرُ

(١) يعنى قيس ابن الملوح المعروف بمجنون ليلى ، وقيس بن ذريح .

ومن جيد نظمه :

لقد عادنى ماخلته غير عائدى ... بساسية الأنساب فى حيى عائدِ
ضنىً من هواها واصلى وهى لم تصل ... ولا بد الموصول من عود عائد

وقال أيضاً فى حرب أهل شنقيط وأهل وادان :

إذا الدهر بالمكروه سامك فاصبرا ... ولا تجزعن منه أقلّ أو أكثرا
فما دام شجو لأمرىء أو مسرّة ... أرى الدهر من هذا وهذاك أكثرا
لقد كنت أحجوا الهجر أكبر فاجع ... فألفيته من أصغر البين أصغرا
أرى البين عن ساقيه أضحى مشمرا ... وشجوك لما شمر البين شمرا
وليس يرد الحزن مَنْ شط وليُها ... فأقصر عن الأحزان إن كنت مقصرا
تغيرت أحوالا كما أن رسمها ... وحق له من بعدها قد تغيرا
غدا رائح الأرواح والمغتدى به ... إذاً بدلا منه أصمّ أو أعورا

ومنها :

تقول وقد أضمرت مابى أترتضى ... هوى لم يزل فى مضمر القلب مضمراً
فقلت لها أضحى وأصبح أمرهُ ... من الشمس أومن فتح وادان أظهرا
أقرّ بذاك الفتح من كان منكراً ... له وغدا من كان يخفيه مظهرا
وأدلج إدلاجاً به كل راكب ... على رغم أنف الحاسدين وهجّرا
فصير فى الآفاق أمر وقائع ... تطيل إذا فكرت فيها التفكرا
دعا عاجل الآجال للحين معشرا ... بوادان لن يدعى مدى الدهر معشرا
فشنجيط ظنوا هدمه متيسرا ... فألفوه من إحياء كبّادِ[1] أعسرا
كأنهم لم يعرفوا بأس أهله ... ولو سألوا بان أمُّ[2] والمسك أخبرا

---

(١) كباد : بكاف وباء موحدة مشدودة ودال مكسورة : اسم رجل مات فى تلك الحرب.
(٢) بان أم: فعل وفاعله فى الأصل ، إلا أن حق بان أن يؤنث لإسناده إلى مؤنث حقيقى، لكن الأعلام تحكى كما سمعت ، وهو اسم شخص .

لئن وردت شنجيط يوماً ظماؤهم لقد شربوا زعقاً من الموت أكدرا
وكان لهم شر الموارد مورداً وكان لهم شرُّ المصادرِ مصدرا
همُ حزب الأحزابَ من كل جانب كما حزّبت أحزابها أهلُ خيبرا
أتوا بالرعايا[1] ينشرون وعيدهم فصاروا على البطحاء لحماً منشرا
وفاض أتيٌّ من نجيعِ دمائهم به شجر البطحاء أصبح مثمرا

ومنها :

غدت كنت تقضى دونهم ماينوبهم من الأمر كانوا غائبين وحُضّرا
أتوا بخميس لم نكن خمس خمسه فقل فيه لو ساواه أو كان أكثرا
وأقبل من آكان جند لنصرهم وقد فرّ عنه النصر إذ فرّ مذعَرا
فمن كر منهم قد تكسر عمرُه ومن فرّ منهم صبره قد تكسرا
نجا مذعراً مما رأت عينه وما نجا من نجامن مأزقِ الحرب مذعرا
إذا هو فى المرآة أبصرَ وجههُ توهم وجه القِرن ما كان أبصرا
وإن نام لو حفته منه عساكرٌ رأى مشرفياً فوق فوديه أحمرا
بدا إذ رأى ماقد رآه تواضعٌ لمن كان منهم طاغياً متكبرا
فقال زعيم القوم أصبحت راضياً بما كان فى أمر القديرِ مقدّرا
فنالوا إذاً عبداً ببعض دمائهم ونيما وتنّورَيْن والبعض أهدرا
دمٌ أهدرتهُ سادة علوية وما كان فيهم مثل ذلك منكرا
وما أستنصروا غير الصوارم ناصرا وأغنتهم عمن أتى متنصرا
يخوضون يوم الروع فى لجج الردى لأن منالَ العز فيهنّ أبحرا
يسابق عَزْرائيلَ وقعُ سيوفهم إذا ماتحيّا الحرب أصبح مسفرا
فكم مشهد فى الحرب يثنى عليهمُ وكم معشر من بأسهم كان أزورا
تراهم وليس الدهرُ إلا نوائباً إذا كبرت تلك النوائب أكبرا

(١) الرعايا : قبيلة . ويقال لها الرعيان .

سما المعالى من تقدّم منهم ... ويسمو على آثاره من تأخرا
مآثرهم حَلْيُ الزمان لو أنهُ ... على صورة الإنسان كان مصوّرا
فكم من فتى منهم يروقك علمه ... ويهزم من أنجاد وادان عسكرا
ويجعل فى إحدى يديه مهندا ... طريراً وفى الأخرى كتاباً مطرّرا
يحب الردى يوم الوغى فكأنه ... إذا مات فيه لا يزال معمّرا
بطرفك فانظر كَىْ ترى بعض مجدهم ... إذا أنت عن إدراكه كنت مُقْصرا

وأنت ترى كيف نزه شعره عن هجو أعدائه مع ظفر قومه .

وله من أبيات يخاطب فيها العلامة بُلاًّ بن مكبد الشقروى . وكان مدحه بقصيدة فأطال غزلها ، ثم نال من ابن أحمد دامْ ، وسأذكرهما فى موضعهما إن شاء الله تعالى :

دع التطويل فى ذكر الغوانى ... ودع عنك البكاء على المغان
أسن الدهر عن هذا فقصّرْ ... عنان الشوق وأثن من العنان
فإن المرء يحسن فى زمانٍ ... عليه ما يشنّع فى زمان

ووقعت بينه و بين ابن عمه باب الآتى ، مناظرات ومشاعرات فى مسائل فقهية ، ومع محْنضْ بابه الديمانى وكنت أظنه ممن أدرك المائة الثالثة عشرة ، فوجدت فى رسالة للعلامة ولى الله ، سيدى أحمد بن محمد الآتى ، يخاطب فيها العلامة الحارث بن محنض الشقروى مانصه : « وقبولك لكلام الدسوقى ، وهو ووالدك متعاصران ووالدك منه أقدم ، لأنه ينقل فى حاشيته عن الأمير ، من غير سماع منه ، معبراً عنه بخاتمة المحققين ، والأمير وحرم ولدا فى عام واحد ، فقد قال فى مجموعه : شرعت فيه وأنا ابن إحدى وعشرين سنة فى القرن الثانى عشر ، ثم تم تبييضه سنة ست وستين ومائة وألف ، وحرم مات عام ثلاث وأربعين قبل لميلح[1] بأربعة أعوام ، وهو شيخ والدك ، فهلا نقلت عن والدك » انتهى .

(١) لميلح : بتشديد الميم ، اسم موضع وقعت فيه فتنة سيأتى بيانها فى الخاتمة .

وهذا لاينافى ما كنت أعتقده ، بل لنا قرائن كثيرة ، تدل على أنه كان فى القرن الثالث عشر ، منها أن لميلح الذى أرّخ به ، نعرف من أدركه ، وهو رجل كان موجوداً من نحو خمس عشرة سنة . فذلك دليل على أن لميلح كان فى القرن الثالث عشر ، ومنها أن الشيخ سِيدْى الآتى بعده ، كان معاصراً لصاحب الترجمة ، وقرأ عليه ، وقد مات الشيخ سيدى فى حدود سبع وسبعين أو نحوذلك من القرن الثالث عشر .

(محمد بن سيدى عبد الله) بن الفغ سيدى أحمد بن محمد بن القاضى المتقدم العلوى . كان وحيداً فى العلم والصلاح ، وله اليد الطولى فى العربية والفقه والبلاغة وغير ذلك . وكان غاية فى جودة الشعر ، ولولا ماهو متصف به من العبادة والاشتغال بطريق الصوفية ، ما اشتهر فى قطره أحد سواه بالشعر ، ولولا دفاعه عن الصوفية لم ينظم بيتاً واحداً .

كان لايشتغل بما لايعنيه ، جواداً يعطى الناس ولا يأخذ منهم ، وهو شيخ طريق ، والمعتمد عنده الكتاب والسنة .

وقال سيدى العربى بن السايح ، فى كتاب الوفية فى ترجمة التيجانى بن باب العلوى : وأخذ الطريقة عن العلامة الأوحد الفاضل الأمجد ، أبى عبد الله سيدى محمد المدعوّ مُحَمْد الملقب بالخليفة ، لقيامه بالخلافة فى إعطاء الطريق ، بعد وفاة شيخه سيدى محمد الحافظ رضى الله عنه ، وله خمسة جدود ، كل واحد منهم أعلم أهل زمانه وهم : أبوه سيدى عبد الله بن سيدى أحمد الفغ بن سيدى محمد بن سيدى عبد الله المعروف بالقاضى ، وهو الذى تقدم لنا أنه قرأ على الشيخ على الأجهورى انتهى المراد منه . وهذا صحيح ، غير أن قوله سيدى أحمد الفغ ، فيه تقديم وتأخير إذ الصحيح الفغ سيدى أحمد .

وقال فى أناس مخصوصين :

وأرثُ إن كنت راثياً لأناس فتنوا ليس فيهمُ من رشيدِ

أصبحوا بعد نورهم وهداهم حسبنا الله فى الضلال البعيد
مثل القوم إذ تولوا سراعا عن طريقٍ معبَّدٍ معهودِ
مثلُ ظمآن سار حتى إذا ما كان من منهل قريب الورود
رجع القهقرى يأمُّ القيافى تائهاً نائياً عن المقصود
أو كصبٍّ رجا وِصالَ حبيبٍ بعد حرص على اللقاء شديد
منعت وصلَه مقالةُ واشٍ تركت حبَّه مديمَ الصُّدود
أو كراء شمس الظَّهيرةِ صَحواً قام يسعى لدرك أمر نكيد
بينما هوَ مبصرٌ قال أعمى إنه الليل مال للتقليد
صاح من يرتدد على عقبيه معرضاً عن وفائه بالعهود
لم يضر غيره فنقض عهود القوم فى الله بالمعاهد مود

وأهل الخبرة بالشعر ، يفضلونه على أبنه الآتى بعد ، وإنما فضل أبنه عليه عند أكثر الناس لكثرة شعره ، غير أن والده شغلته العبادة و إفادة الناس ، مع ما كان متصفاً به من التصوف الحقيقى ، وكفاه شاهداً ، أن نابغة قطره وجرير عصره ، إدبيج المشهور ، هاجى كثيراً من فطاحل تلك البلاد فظهر عليهم ، حتى تصدى للشيخ سيدى أحمد التجانى ومريديه ، فشمر له عن ساعده وقاومه مقاومة شديدة . والناس مختلفون منهم من يقول : إن محمد ظهر عليه ، ومنهم من يقول: تكافأ ، أما العكس فلم أر من قال به . ومن بديع قوله فيه من قصيدة :

ادبيج إذ صار كالعصفور صال على باز حديد شبا منقاره قرم
أو كالضفادع فى أحشاء ذى زبد نَقَّتْ فصال عليها سالِخُ الرُّقُم

وله فيه أيضاً ، من قصيدة :

وإنى لحسان الطريق وأهلها أزودُ أبا جهل النكيرِ وأزجرُ
أقيس ذراعاً كلما قاس إصبعاً أخب إذا يسعى عليهم وأحضرُ

ووقعت بينهما أشعار كثيرة ، لم يقع لى بها اعتناء . وفى البغية ، لسيدى العربى بن السائح بعد كلامه السابق :

وكان لهذا السيد على ما أخبرنى به الناظم ـ يعنى التجانى ابن باب الآتى ـ باع فى العلوم ، وله فى مدح شيخه الحافظ ، ومولانا الشيخ رضى الله عنه ، قصائد كثيرة وكان يقال له حسان الطريق ، لقوله فى قصيدة يمدح بها الشيخ رضى الله عنه ، ويرد على المنتقدين على أهل طريقتنا :

* وإنى لحسان الطريق وأهلها *

البيت المتقدم .

وله أيضاً يسلم على أهل تيشيت :

سلامٌ كعُرْف الروض غبَّ وكيفِ ... وإلاَّ فنخلٌ آذنتْ بقطُوفِ
وإلاَّ فطعْمُ الرَّاح مسك مزاجه ... يُعمكمْ مِن طالبٍ وشريف
وكلٌّ أخ ليست بتيشيتَ داره ... وكل صميم منكم وحليفِ
سلامُ محبٍّ ليس ينسى ودادَكم ... على حين ينسى الودَّ كلُّ أسيفِ
أخَلّى لجمع الشمل بينى وبينكم ... بلادى وأعطى تالدى وطريفى
فكم بكِ ياتيشيتَ من ذى بلاغةٍ ... أديبٍ فصيحٍ فى المقال ظريفِ
يغوص ببحر الشعر يخرج دُرَّهُ ... بسيط طويل كامل وخفيفِ
له وافرٌ من حظه مقاربٌ ... سريع إلى الخيراتِ غير عنيف
له رملٌ للشاردات يردها ... بمنسرح للمعضلات كشوفِ
ويرمى بمُجتَثِّ الخطوط لظهره ... له هزج للذكر غيرُ ضعيف
وفارس علم لا يُشَقُّ غبارهُ ... وذى خشية عالى المقام عفيف
وذى قلم أزرى بخط أبن مقلةٍ ... وكان على الحرَّاق أى منيف
وذى شرف من بضعة نبوية ... موطَّإٍ أكناف البيوت ألوف
وذى شرف علماً وآخر جامع ... لدين جسيم المكرمات نحيف

سقى الله مصرًا همْ به كل ممرع من الودق يغشاه بكل مصيف

ومن جيد نظمه ، قوله يخاطب ولىّ الله ابن أخته الشيخ سيدى أحمد بن الشيخ محمد الحافظ ، وكان صغيراً إذ ذاك :

إنّ السيادة فى أثنتين فلاتكن يابن المشايخ فيهما بالزاهدِ
حمل المشقة واحتمال أذى الورى ليس المشمّرُ للعلى كالقاعدِ
قل للذى طلب العلى بسواهما هيهات تضرب فى حديد باردِ

وله أيضاً من قصيدة ، يتكلم فيها عن حال سيدنا الشيخ سيدى أحمد التجانى رضى الله عنه :

إنْ لم تعاين فضلهُ وكمالهُ وغدوت منه فى محل نازح
طالع لتعرفه شوارد علمه تظفر بنور كالمجرة لائح
وإذا تكلم فى الحقائق مرة بهر العقول كلام عبد صالح

وله أيضاً من قصيدة أخرى :

طالع جواهره واصحب رسائله وما يَبُثُّ من الأنوار والحكمِ
وما يدل على المولى الكريم وما أبانه من مقام الصادق القدمِ
تجدْ ولايته لاحت معالمها كما تُرَى فى الدُّجى نارٌ على علم
تجد كلاما جلا عن شأنِ صاحبه إنّ الزمان بمثل الشيخ ذو عُقُم
قد يحجب الله أقواما ويظهرهُ لآخرين وشتّ الناس فى القِسَمِ

و « شت » هذه فصيحه ، يقال أمر شت أى متفرق . قال الطرماح بن حكيم :

شت شعب الحىّ بعد التآم وسجال الربع ربع المقام

وله أيضاً من قصيدة نونية يتشوّق بها إلى فاس . ويبث ما يكابده من شدة الأنفاس وماذاك إلا لقوله :

وما حبُّ الديار شغفن قلبى ولكن حب من سكن الديارا

ومطلع القصيدة :

حيّ داراً لدى أبى سمغـــون وأسـقها من مصون ماء الشؤون

وهى طويلة ، يحن فيهـا إلى زيارة الشيخ سيدى أحمد التجانى رضى الله عنه ، وأبو سمغون المذكور قرية من عمل الجزائر .

(باب بن أحمد بيب) : بن عثمان بن سيدى محمد بن عبد الرحمن بن الطالب ويقال له الطالب تحمّ ، يجتمع فيه مع الذين قبله . هو العالم الأوحد الذى أغار ذكره وأنجد .

وفى البغية ، لسيدى العربى بن السائح الرباطى فى ترجمة التجانى ابن باب المذكور .

وأسم والده بابا حسبما تقدم مصرّحاً به فى النظم . وكان عالماً ناسكاً فاضلاً ، مشاراً إليه فى بلده وجيله ، ملحوظا بعين التعظيم فى معشره وقبيله .

وأخبرنى ولده الفـاظم رحمه الله ، أن له شرحاً للتحفة العاصمية ، وتـكملة التـكملة للديباج ، انتهى فيهـا إلى ذكر أهل القرن الثانى عشر ، فترجم الشيخ التاودى ابن سودة ، والشيخ أبا حفص الفاسى وغيرهما . وستأتى بقية مافى البغية ، فى ترجمة التجانى بن باب المترجم . وكلما فى البغية من نقله صحيح ، إلا أنه كان يكتب بابا بألف مقرون بالباء الأخيرة ، وقد رأيت خط صاحب الترجمة مراراً هكذا : باب بن أحمد بيب ، وقد سقط من نسخة البغية أسم سيدى محمد بن عبد الرحمن ، ويبعد أن يكون سقط من إملاء التجانى على صاحب البغية ، لأنه هو جده الثالث . وكان من أعلم أهل وقته ، بعد عمه القاضى الذى تقدم .

كان باب ، رحمه الله ، يناظر العلماء وعمره ثلاث عشرة سنة ، وكان الناس يتعجبون منه ، وكان ابن عمته حرمة الله بن عبد الجليل المتقدم ، يقول إذا زار أخواله أمسكوا : عنى بابتكم وعيش ذؤابتكم . وكان يقول لاتذاكرنى بعلمك هذا الفرخ ، والفرخ الولد الذى لغير رشدة ، فصار الجهال يحملون ذلك على غير معناه ،

ويجعلونه طعناً فى علم آباء صاحب الترجمة ، وهذا محال ، لأن والده كان من أفقه قومه . وأما جده الأدنى ، فإنه كان بتيرس ، فلما كُفَّ عمه القاضى ، لم يجد من أولاده من ينوب عنه فى قراءة الحديث ، فأرسل إليه فترك أولاده ، ولم يزل هو النائب عنه حتى مات . والمعنى عند حرمة الله ، أنه لم يتلق علمه عن شيخ ، لأن أساتذته كانوا أقل منه منزلة فى العلم ، ولأن مدة طلبه تقتضى أن لا يناظره ، لما اشتهر عنه من العلم ، وهذا قريب مما كان أبو حيان يقول عن ابن مالك ، فإنه قال : بحثت عن شيوخ ابن مالك فلم أجد له شيخاً مشهوراً يعتمد عليه ، ويرجع فى حل المشكلات إليه ، إلا أن بعض تلامذته ذكر أنه قال : قرأت على ثابت بن حيان بجيّان ، وجلست فى حلقة أبى على الشلوبين ، نحواً من ثلاثة عشر يوماً ، ولم يكن ثابت بن حيان من الأئمة النحويين وإنما كان من الأئمة المقرئين قال وكان ابن مالك لا يحتمل المباحثة ، ولا يثبت للمناقشة لأنه إنما أخذ العلم بالنظر فيه بخاصة نفسه ، ومن تتبع شرحه للتسهيل ، وجد كثيراً من طعنه عليه ، عفا الله عنه ، حتى قال معرضاً به :

يظن الغمر أنّ الكتب تهدى أخا فهم لإدراكِ العلومِ
وما يدرى الجهول بأن فيها غوامض حيّرتْ عقل الفهيمِ
إذا رُمت العلوم بغير شيخ ضللت عن الصراط المستقيم
وتلتبس الأمور عليك حتى تصيرَ أضلّ من تُوما الحكيم

ولم يحط هذا من قدر ابن مالك ، ولا صدّ الناس عن كتبه المفيدة ، ومن تتبعَ بيان العلم وفضله ، لابن عبد البر ، علم أنّ هذا الداء قديم فى العلماءِ من أئمة المذاهب فمن دونهم . وبالجملة فكان باب هذا ، من أعاجيب الدهر فى العلم والانفاق فى سبيل الله ، والرجوع إلى الحق ، وقد سمعت من بعض الشيوخ أنه ذاكره فى مسألة . فشدد صاحب الترجمة فى النكير عليه ، فلما أمعن النظر فى المسألة ، علم أنه مخطىء ، فترك الناس حتى فرغوا من الصلاة فى المسجد ، فقال لهم : لا يخرج أحد

فجعل يشرح لهم غلطه و إصابة من خالفه . أما الأنساب فإنه كان دغفل زمانه فيها .

قال محمد محمود بن أكْتَوَشْن من قصيدة يرثيه فيها :

سل الآى والخبر الصحيح كليهما والفقـــــه والتاريخ والأنسابا

وكان إذا ألقى كلـكله على مسألة ، لا يقدر أحد أن يفوقه فيها . وأشتد الخلاف بينه و بين حرمة الله فى مرجع حبس ، وانضمّ إلى كل واحد منهما طائفة من العلماء فممن انضمّ إلى صاحب الترجمة ، العلامة مَحْنَضْ بابه بن اعبيد الديمانى وممن انضم إلى حرمة الله ، إذْ يَبْجَ الـكمايلى :

قال باب من جملة أبيات :

فحجتى وصحابى غـير داحضة من نص بهرام والتوضيح والـكاف
صدعت بالحق لـكن من يقله لكم يادبيج يوطأ بأخفـاف وأظلاف
فالحق أمسى هوالهفـا ووا أسفا مثـل الديار التى يسفى بها السافى
فمالكُ إنْ تصف عما يقول فإنـــى لست عن قوله يوماً بصيّـاف
إنى أوافقـهُ حقاً وأتبعـــــهُ هل مهتدٍ ناعلٌ كالحائرِ الحاف

ولا دبيج من أبيات يخاطبه فيها هو ومحنض بابه :

فوافقا حُرْمَ فيما قال ويحـكما فإن شيخـكما أدرى بالاوْقاف
فحجة الشيخ فى بهرام ناهضـة لو كان يكفيكما ما كان فى الـكافى

ومن جيد شعره قصيدته التى أوّلها :

ألوى بصـبرك لاعج الأشواق إنّ الأحبـــــة آذنوا بفراق

إلى أنْ يقول :

يا مَنْ يسابقنى ويطلب عـثرتى إنى لعمـرى سابق السبّاق
وإذا قرنت أبن اللبـون وبازلا ملّ القرين ولم يزل بخنـاق
وإذا المسائل أحجمت وتمنعت وأبت مشاكلها على الحُـذّاق
أعملت سيف الفـكر نحو عويصها فحنت علىّ خواضع الأعنـاق

فتبـــوح لى بسرائر مكتومةٍ حـــتى عنِ الاسطار والأوراق

وقلما مات أحد ممن يشار إليه من قبيلته إلا رثاه . ووقعت بينه و بين إديبج مشاعرة كثيرة ، وكذلك إجدود بن أكتوشن العلوى ، ورحرمة الله بن عبد الجليل كما تقدم . وتوفى رحمه الله تعالى ، بسبب سقطة سقطها من فوق جمل ، ثم تطاول مرضه بعدها سنة وكان ذلك قبل الثمانين من القرن الثالث عشر . وكان أعجوبة فى تعبير الرؤيا . أخبره شخص بأنه رأى أنه يؤذن ، فقال : ستحج ، وكان الأمر كذلك وأخبره آخر بأنه رأى مثله ، فقال له : ستثبت عليك سرقة وكان الأمر كذلك أيضاً . وكانت بين طائفتين مناوأة ، فقدم عليه شخص ، فأخبره أن بنى فلان أرادوا قتل فلان وفلان ، فقتلوا رجلا اسمه بَيْبَّات ، فكتب اسمه فى الأرض وقال : تاء التأنيث زائدة ، سيموت خمسة عشر ، فيهم امرأتان وأجنبى ، فقال له المخبر : إنّ هذا ليس برؤيا ، فقال له : أعهدتنى لا أفسر غير الرؤيا ، والله ليقعن هذا ، وكان الأمر كما قال . وهذا يصدق من كان يقول : إنه يستتر بتعبير الرؤيا من الكشف .

ومن عجيب استحضاره ، أنه فى وقعة لُمَّيلِحَ ، بين إدَوْعْلِ ، و إدَابلِحْسَنْ ، سعت بينهم وفود الزوايا فى الصلح ، فتراضوا بحكم الشرع ، وحكموا عالما ديمانيا فاستظهر أن يقتل أربعة من إدوعل ، بأربعة من إدابلحسن قتلوا فى تلك المعركة . فقال صاحب الترجمة : إنّ مثل هذا لا قصاص فيه . فقال القاضى : إن هذا لا يوجد فى كتاب ، فقال هو لم يخل منه كتاب . فقال القاضى : هذا القاموس ، يعنى أنه يدخل فى عموم كتاب ، فتناول صاحب الترجمة القاموس ، وأول ماوقع نظره عليه : والهيشة الفتنة وأم حبين ، وليس فى الهيشات قود ، أى فى القتيل فى الفتنة لا يدرى قاتله ، فتعجب الناس من مثل هذا الاستحضار ، فى ذلك الموقف الحرج .

(سيدى عبد الله) : بن الحاج إبراهيم بن الإمام مَحْنضْ أحمد العلوى يجتمع مع الذين تقدموا عليه فى يحيى ، علامة نحرير ، طار ذكره وانتشر ، واشتهر

علمه فى الآفاق وأبذعر ، ماعاصره مثله علماً وفهماً مكث أربعين سنة يرتاد لطلب العلم لم يشبع منه يأخذ عن من وجد عنده زيادة ، حتى انتهى إلى الغاية القصوى ، جمع أولا مافى الصحراء ، ثم أقام بفاس مدة كثيرة للنظر والتحرير وتلقى على البنانى محشى عبد الباقى ، وتلقى البنانى عنه أيضاً ، فحج ولقى من يشار إليه من علماء مصر ، وذاكرهم أيضاً وأفادهم وأستفاد منهم ، وبلغ خبره أمير مصر ، ولعله محمد على باشا فأكرمه . ومن جملة ما أتحفه به ، فرس من عتاق خيل مصر المعروفات بالكحيلات ، فسئل عنها فقال : جعلتها حطّابا (اسم كتاب فى فقه المالكية). ولما اشتهر ذكره بفاس ، أرسل إليه السلطان سيدى محمد بن عبد الله ، فامتنع من الذهاب إليه ، فأمر المخازنية بحمله إليه ، على الهيئة التى يجدونه بها ، فوجدوه على فراشه يطالع ، فأدخلوه عليه على تلك الهيئة . وكان السلطان عالماً ويجل العلماء ، فلماذاكره أعجب به ، وصار لايصبر عن مذاكرته ، فسأله بعد تسع سنين عن نسبه ، فأخبره بأنه علوىّ وبيّن له ، فقال : سبحان الله أنت معنا منذ تسع سنين لم تذكر لنا نسبك يوماً واحداً ، وفلان أتعبنا بنسبه ، يعنىَ لِمْجَيْدْرِى اليعقوبى. وكان جعفريًّا ، وفى أول جزء من كتابه نشر البنود على مراقى السعود ، المطبوع بفاس مانصه :

قال العلامة الأديب ، سيدى محمد الطالب بن الحاج رحمه الله تعالى ، فى الأزهار الطيبة النشر ، بعد أن ذكر أن الحافظ السيوطى ، نظم جمع الجوامع فى رجز سماه الكوكب الساطع مانصه :

وكذلك نظمه بعض علماء المتأخرين من علماء شنقيط ، وهو الفقيه سيدى عبد الله بن إبراهيم بن الإمام العلوى ، المتوفى فى حدود الثلاثين ومائتين وألف ، فى رجز سماه : مراقى السعود . ثم ذكر أبياتاً لوالده أبى الفيض سيدى حمدون بن الحاج فى مدحه فلتنظر فيه .

وقال فيه الإمام العلامة الدرّاكة الفهامة مالكى زمانه ، أبو عبد الله سيدى

محمد بن مايابى الشنجيطى الجكنى الملقب بالخضر ، أبقاه الله ورعاه ، وأدام الانتفاع بعلمه وهداه : هو سيدى عبدالله بن الحاج إبراهيم ذى العلم العميم والذوق السليم العلوى ، نسبة إلى سيدنا علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه ، من غير مولاتنا فاطمة الزهراء رضى الله عنها ، من قبيلة من الشناقطة ، يقال لها إدوعل ، كثيرة بحور العلم ، تفقه فى بلده بالمختار بن بون الجكنى ، فريد دهره وعالم عصره ، باديه ومصره ، وارتحل إلى الحرمين وقضى نسكه ، ورجع وصحب البنانى بفاس المحروسة الحمى ، بحول رب السما ، سنين عديدة ، أعطته العلوم بأزمتها فصار من علماء أئمتها ، حاوٍ جميع الفنون كثير الشروح والمتون ، ألف هذا النظم المسمى بمراقى السعود ، وشرحه نشر البنود ، على أصول الإمام مالك رضى الله عنه ، لم يأت الزمان بمثله ، ولا جاد فيما مضى بشكله ، وألف فى علم البيان نظمه نَوْرَ الأقاح ، وشرحه فيض الفتاح ، جمع من الفنون الثلاثة الدرّ الثمين ، ألغى الغث وأخذ السمين ، ونظمه طلعة الأنوار فى مصطلح الحديث ، وشرحه كذلك ، إلى غير هذا من التآليف العديدة ، التى لم يبق للطالب بعدها فائدة مفيدة ، مآثره لا ترام بالحصر ، لما نشر الله به فى ذلك القطر اه .

قوله : إنه أخذ عن العلامة المختار بن بون ، لم نسمعه من غيره ؛ ولعله سمعه ممن تحقق ذلك ، ولا يعارضه أن المختار المذكور ، كان يقرأ بالجيم للتفشية ، مع أنه نص على أنها شديدة فى احراره وطرته[1] ، فلما قدم تكانت ، صار يقرأ بالشديدة ، فسئل عن ذلك ، فقال : لا يمكن مخالفة ابن الحاج إبراهيم مادمنا بتكانت[2] ، فربما كان الرجل يأخذ من آخر ، ثم يجوزه فى المرتبة ، فيضطر الأخير للأخذ عنه ، ثم إنه ترك من كتبه المشهورة ، نوازله فى الفقه ، ولنذكر بعض ماترك من أخباره ، فنقول : كان رحمه الله أوحد زمانه فى جميع العلوم ، ولم يبلغ

(١) الاحرار : نظم له مزجه بألفية ابن مالك ، والطرة شرح لها ، وقد طبعا بمصر .
(٢) بكاف معقودة : اسم اقليم هناك .

أحد من العلماء هناك مبالغه فى الحديث ، بعد العلامة القاضى بن الطالب العلوى .

وقال العلامة باب بن أحمد بيب ، فى منظومة يرثيه بها :

قد كاد أن يوصف بالترجيح لفهمه ونقله الصحيح
وكان فى الحديث لا يبارى كأنما نشأ فى بخارى

ولمّا أبرزه الله جوهرة لأهل زمانه ، حسده أبناء عمه الأدنون ، وهم أهل أطويلب فهموا بقتله ونقبوا داره ، فلم يجدوه فيها ، وكان أخبر ، فخرج مختفياً يصحبه تلميذه الطالب بن حنكوش ، ولم يزل ذكره يعلو ، حتى صار أمير تكانت أحمد بن محمد شين ، لايقطع أمراً دونه مما يتعلق بالشريعة ، ولم تشتهر له قصائد حتى نوردها ، وإنما له أنظام تدل على قوة سليقته ، وهذا أول نظمه مراقى السعود :

يقول عبد الله وهو ارْتَسَمْى سُمِّى له والعلوىّ المنتمى
الحمد لله على ما فاضا من الجدى الذى دهورًا قاضا
وجعل الفروع والأصولا لمن يروم نيلها محصولا
وشاد ذا الدين بمن ساد الورى فهو المجلّى والورى إلى ورا
محمد منوّر القلوب وكاشف الكرب لدى الكروب
صلى عليه ربنا وسلما وآله ومن لشرعه انتمى

(أُبَّد) هو محمد بن محمود وأبد لقب غلب عليه ، ابن محمد بن أحمد بن خيار بن القاضى المتقدم ، شاعر مجيد ، شديد متون القوافى ، كأنما ينحت من صخر ، مع قلة غلط وأمن من السقط ، كان متضلعاً من العربية قليل الطيش ، نشأ فى حرب العلويين وإدابلحسن ، ولولا أن الحرب شغلته ، لفاق معاصريه فى العلم ، لشدة فهمه ، ولم ر من انتقد عليه شيئاً ، إلا مابلغنا أن بعضهم طعن فى قوله :

فما راعهم غير قيل الكماة أتى الغرماء وهب وأخبطا

وما ندرى ماينتقد فى هذا البيت ، فإن هب اسم صوت وهو واسم الفعل من

وادٍ واحد ، فإن ادعى المعترض أنهما لا يسندان ولا يسند إليهما ، فالحجة قول زهير:

ولنعم حشو الدرع أنت إذا دعيت نزال ولج فى الذعر

فإن قال : إنّ بيت زهير ، أوّلَ بأن المراد دعيت لفظة نزال ، فكذلك هذا البيت يمكن أن يؤول ، بأن المراد فما راعهم غير قيل الكماة أتى الغرماء، وقيامهم هب ، على أن مثل هذا ورد فى شعر طرفة وهو قوله :

رِزه قدم وهبْ وهلا ذى زهاء جمّة بُهْمَهْ

وكذلك قوله اخبطا ، أصله اخبطن ، وأبدلت نون التوكيد ألفاً فى الوقف ، وأخذ عليه قوله :

جاءت بحائنهم رجلاه وانقلب الباقى ليؤثر بالملحاة والعار

لأنّ أصل المثل : جاءتك بحائن رجلاه والأمثال لا تغير . والجواب أن هذا ليس بتغيير ، لأن تركيبه فصيح ولم يلاحظ فيه المثل . وهو قليل الشعر ، وله قصيدتان نقض بهما قصيدتى الأحول اللتان سترداد فى موضعهما ، أو يرد بعضهما ، وأكثر الناس يفضل الأحول عليه ، و بعضهم يعكس ، ولكلٍ وجه ، لأن الأحول كان أرق ألفاظاً ، وهذا أقوى تركيباً منه ، كما وقع للناس فى جرير والفرزدق ، إلا أن الأحول أقذع فى قصيدتيه ، وأما هو فإنه سكت عن الجواب لما كانت الغلبة عليه ، فلما انتصر أجاب ولم تحمله سَوْرة النصر على القذع ولا كافأ السيء بمثله كما سيظهر ، وقال من يعترض عليه إنه عجز عن جواب قصيدة الأحول الطنّانة التى مطلعها :

تداعت حداة الركب من كل جانب فودّعْ سُلَيْمى قبل سير الركائب

وستأتى فى موضعها . قال من ينتصر لابن محمود : إن سبب عدم جوابه لها ، قتل الأحول قبل أن تصل إليه ، لأن الأحول قالها فى طريقه التى قتل فيها فى وقعة تندوج ، أو كما قال الكميت بن معروف :

فلا تكثروا فيها الضجاج فإنه محا السيف ماقال ابن دارة أجمعا

وقال من قصيدة يرد بها على قصيدة الأحول التى مطلعها :

ألا بلّغا بابَ عنا جانى الحروب وجان الحروب رهين الخطا

وقصيدته هو هذه :

ألا بلّغَنْ باب عنّا سلاما ينـاسب منصبه الأوسطا
بأنّا بتيججْك فى ذروة من المجد والعزّ لم تُمْتَطَا
وأهل الجبال يحوطوننا جميعًا وكنا لهم أحوطا
يجلون ذا الحلم منسا الجليل ويخشون ذا الجهل أن يفرطا
وكنا قديماً سراة الأديم نجود ويعطوا لنا من عطا
ونؤمن من سالمَ المسلمين ونجفوا ونسطوا على من سطا
ونحن الكماة ونحن القضاة والعالمون بما أُسْتُنْبِطا
متى تتشعب دعاوى الخصوم يكن حكمنا الفاصل المسمَطا
وأنا أغرنا على معشر لدى تغررَيت[1] وإيشنكطا
وأخرى أغرنا على آخرين بتندَيجمار[2] وآغَوْرَطا
حملنا الخيام وأنضادها وسرنا جميعًا ثقالا بطا
نَجُرُّ العجاف رويداً لئلا تخُبَّ فتبهر أو تثلطا
فجاءت عُمَير وما جَمّعت وجاء حُمَيْدٌ وما جَمَّطا[3]
وفرّط فى الحزم إذ جاءنا ولو يعلم الغيب ما فرّطا
وقد أقسموا جهد أيمانهم لا يردون حلفة من أسخطا

---

(١) بتاء مفتوحة وغين معجمة وراءين مفتوحتين وبعدها تاء مفتوحة : اسم موضع . وقوله ايشنكطا : بهمزة مكسورة وبعدها ياء ساكنة وشين معجمة ونون وكاف وطاء وهو فى ، الأصل ايشنكاط ، بألف بين الكاف والطاء ، اسم منهل .

(٢) تندجمار : بكسر التاء وسكون النون ودال مهملة مفتوحة : اسم منهل . وآغورط بمدة وغين معجمة مفتوحة واو ساكنة وراء وطاء ساكنة : اسم موضع .

(٣) جمط : بمعنى جمع وليست عربية ، بل هى من كلام العامة ، وهذا عندهم غير لحن ، لانه لم يدع انها عربية .

وقد يقلب الله قلب المزوم وقد يحنث الحالف المُخْلِطا
وبالبـــــــئر صبّحهم بُكرة كما نبه الورد سِرب القطا
عـذاب رجال يحسـونهم رأوا ذلك الأمثلَ الأقسطا
بأجرِى فرانص فيهـا صواعـــق تصمى الفتى قبل أن يسقطا
أنخنـــــا بحيث نرى نارهم طرائف ما إن عليهنّ طا[1]
إذا رجعتنـــا أستأسْنا بهـا كل أغلبَ ذى ضاغط أعيطا
معوّدة أن تسـير النهـار وأن تدلج الليـل ما أخروّطا
وينجاب عنها الدجا رُسّماً ونحبسهـا ريث أن نعبِطا
ويحـتز كل أمرىء فِلْذَة بجلدتها قبل أن تكشطا
فما راعهم غـير قيل الكماة أتى الغـرماء وهبْ وأخبطا
كأنا غـدَاةَ إذٍ إذْ نُقَتِّـلُ أشرافَهُـمْ ثائرٌ سُـلّطا

ومنهـا :

قتلنا سراة بنى أحمـــــد وفتيـــــان أولادِ لِمْرَ يْبِطا
ولم نُرْدِ شـيخاً ولا يافعـاً ولم ينقـذِ الأمردُ الأشمطا
رجالا وعشرين من ضئضىء لا نعـد حليفـاً ولا أشرطا
سـقونا ذنوباً سـقيناهموه بضعف وكنا لهـم أضغطا
وردوا لحـــافرة فى السجال كذى لعب رد من صَلبطا[2]

فأنت تراه مع ظفره ، وما سبق من هجو الأول لوالده خصوصـاً ، ولقومه عموماً ، لم يذكره بسوء مع نصفه إياهم ، فانظر إلى قوله :

* سقونا ذنوباً سقيناهموه * الخ

مع قول الأحول :

(١) طا : سمة قبيلة الشاعر ، يعنى أنها ليست من تلادهم .
(٢) صلبط : آخر لعبة من لعب عندهم معروف ، فاذا رد منها صاحبها إلى الأولى يتحسر.

لما رأوا عابد الرحمن منقبضاً تحت العجاجة مثل الضيغم الضار
ولوْا تبـــاديد مثنى وفراد ولم يثنوا من الرعب وجهاً بعد إدبار

تعلم أنه كان أعلم منه بسيرة العرب ، إذ من تتبع أيامهم ، يجد منهم من الثناء على أعدائهم ، ما يدل على كمال أخلاقهم ، كما قال العباس بن مرداس فى حربه لبنى زبيد :

فلم أر قوماً صابروا مثل صبرهم ولا مثلنا يوم التقينـــا فوارسا
أكرّ وأحمى للحقيقـة منهـم وأضرب منا بالسيوف القلانسا

وقال أبَدٌ أيضاً فى وقعة تندوج :

مابال عينك تذرى دمعها الجارِ كأنّ جفنـــك مكحول بعُوّارِ
من ذكرِ سَلْمَى وقد شط المزار بها إلا ملمـات أحـلامٍ وتذكارِ
لم ألقها بعـد أيّام المُلَيْحِ وقدْ قامت لتصمينى من بين أنصار

إلى أن يقول :

وذكرْ بلاء علىّ فى بنى عُمَر بين الأجارع من تِندَوْجَ والغار
جاءت بحائنهم رجلاهُ وانقلب البـــاقى ليؤثر بالملحاة والعـــــار
ينجو نجاء نجاة الوحش صيح بها من كلّ فرّارةٍ تبرى لفرّار

ومنهـا :

واستنشدوا الأحولَ الهجاء كلته جادتْ بطيفٍ سرى لى أمُّ عَمَّارِ
والعـلويون ركبـان تنوشهم بالأندرية تردى كلّ ختّـارِ
حتى إذا أنخنـوهم محنقين وهمْ مابين ملـتزمٍ أو واجب خار
ولوْ اتبـاديد مثنى وفراد ولم يثنوا من الرُّعب وجهاً بعد إدبارِ[1]
غرَّتهم غـدَرَات غـير معـذرةٍ كانت رجال علىّ غـير حُضَّارِ
ووقعـــة فى براء فى مساجـدهم لم يحملوا من سلاح غـير أسفارِ

(١) وهذا البيت وقع فى قصيدة الأحول ، وهى أقدم من هذا ، وإنما ذكره ليقلب عليهم ماعيروهم به .

إن يغدروا بعد إيمانٍ ومقسمةٍ ... ويحقروا نَهَب العلاّمة القار[1]
فإنّ ذلك أمرٌ من شمائلهم ... نكث اليمين وأخذ الجارِ بالجارِ
فاليوم قد أصبحوا لحماً على وضمٍ ... مستضعفين بحمدِ الخالق البارِ
لايدفعون يداً منّا تنالهمُ ... كذلك الله يجزى كل غدّارِ

وقال أيضاً بعد انعقاد الصلح الأخير :

عفونا عن القوم إذ أصبحوا ... كطالع نيق ترق بعيدا
فأعيا فأصبح لا يستطيع الهبوط ولا يستطيع الصعودا
غدوا مستكنّين لا يبعثون الوفود ولا يدفعون الجنودا
ولا يستطيعون للسلم حولا ... ولا للمصيبات إلا الجحودا
أبَدْنا سراتهم الأكبرين ... وأهل المدافع فيمن أبيدا
ولو أمسكوا قدح الحرب شيئاً وليس شهاب يُديم الوَقودا
لما زلتُ أغزوهُم لا أبي إلى أن أبيدهُم أو أبيدا
أبحنا حريم عُمَيْر ومن كلّ خير أنلناه إلا الخلودا
حمدناك ربى على ذلا ... ك نرجو رضاك ونرجو المزيدا

وله أيضاً من قصيدة ، يمدح بها ولىّ الله ، الشيخ محمد الحافظ بن المختار بن لحبيب العلوى ، وقد ضاع منى أوّلها :

كانتثار الدُّرّ من أسلاكه ... أو كجرى الماء فى الحوض اللّقيفْ
هجر النوم فما تطعمه ... حَجْمتاه غيرَ تهجاع خَفيفْ
من غزالٍ صادَ قلبى بعدما ... أن تصوّفتُ فغزلى اليوم صوفْ
يوسفىُّ الوجهِ والبيع لهُ ... خلفُ عرقوب وقلب الفيلسوفْ
وتراءت بين أترابٍ لها ... تتهادى مثل ما ناء النزيفْ
خدلة الساق عروب لدنة ... تَطْبى القلب بمصقول مشوفْ

(١) يعنى المختار بن عبد الجليل ، وكان اعتزل الحرب ، فنهبوا جميع ما عنده .

أسْمُ يا قاتلتى فى غـــــيرما ... تَرَةٍ ماذا جـــــزائى لاتحيفْ
بأبى أنت وأمّى ما كذا ... يُشْـكم العاشق والوجـدُ اللّهيفْ
عمـــــرك الله صلينى ثم لا ... تصرمينى لا تزيرينى الحـتوفْ
وأعلمى أنك إن لاتفعـــلى ... أترك البيـض وربات الشُّنُوفْ
وأصلا حبـــلى بأقوى سبب ... بالشريف ابن الشريف بن الشريف
حافـظ العصر مـربى عصره ... من له الفضل علينـا والشفُوفْ
وهو الغيث إذا ما أخلفَتْ[1] ... وهو العُـدّةُ فى كل مَخُوفْ
بارك الله على أستـــاذنا ... ليس بالوانى ولا الواهى الضعيفْ
قام بالسنة لمـــا جعلت ... قَدَحَ الراكب والدين الحنيفْ
مارأى الراؤون خلقاً مثـــله ... خُلُقًا أكمله الـــبر الرؤوفْ
لم يزل منـــذ عرفنـاه على ... خلق لم تتخونه الصُّرُوفْ
ذاهبات وافرات وافيـــات ... بالمواعيـــد ولا وعْدَ مُوفْ
قدمته العـــلويون ومن ... يَسِمُ الطَّامن صميمٍ أو حليفْ
سادهم بالعلم والحـــلم معا ... وطعـام الضيف أيام المَصيفْ
صادفته غـــير مجزاع ولا ... وكلِ نعم منـاخ المستضيفْ
مُعْتِـــدٌ للضَّيفِ مايُحْسِبُه ... من حليب وحقـين وسَديفْ
وقـــدورٍ راسياتٍ لاتنى ... وجفانٍ كالجوابى الجوف[2] جُوف
شيخنـــا آثرك الله على ... من يناويك على رغم الأنوفْ
وتفرّعت مقامات عُـــلاً ... أنْتَ فى الذروة منها والشُّغوفْ
دونك الأقطاب فيها رُتَباً ... وعلى قنتها العلياء مُوفْ
من تحدّثه بهـا النفس فقـــد ... حـدّثته بأحاديث الـــنزوفْ[3]

(١) يعنى السماء ، ولم يتقدم مفسر للمضمر استغناء عنه بالحضور الذهنى .
(٢) جمع جوفاء ، أى متسعة .
(٣) النزوف : الكذب وهى عامية .

كلُّ عالٍ ومجيـــد مَجْدُهُ وعـلاه معَ ما خُوِّلْتَ فُوفْ[1]
ماعلى من جاءكم مستعطفـاً عالما أنك للجـــانى العَطوفْ
قائلا ياسيـدى خـذ بيـــدى طال قرعى وعنائى والوقُوفْ
وإلى الرحمن أشكو قائلاً ياقريبٌ يامجيبٌ ياالطيفْ
سَيئاتٍ شفَّ جسمى ذكرُها وبراه مثـل تعريق الصَّليفْ
وعلى هادى العبـادِ المصطفى وإمام الحـق والدين الحنيفْ
صلوات ماشدت قمـــــرية وتغنّتْ فـوق ميـاد قَصيفْ
وعلى المختارِ مصباح الهـــدى من شآبيب رِضى اللهِ وكِيفْ
وعلى أستـــــاذنا وارثه وسقـاه اللهُ من نَوْء الخـريفْ

(محمد بن سيدى محمد) المتقدم، برع فى عنفوانه فى العلوم، وصرف همته إلى نظم الشعر، وبلغ صيته فى قطره مبلغاً لم يبلغه أحد ممن عاصره، فإذا قيل: ابن محمد، خضعت له رقاب الأدباء وفطاحل البلغـاء، وأنا أسوق عنه بعض ما يبرهن عما ذكرت، وغطت شهرة شعره على علومه، مع أن له اليد الطولى فى العربية والفقه، وكان ينظم القصيدة، فيقدمهـا إلى العلامة باب بن أحمد بيب العلوى، فينشده إياها فيأمره بسترها، فيمتثل أمره ثم يعود إليه بغيرها، حتى قال قصيدته التى رثى بها محمد الدَّنَبْج التَّنْدَغى وهى:

لاعـذر للقلب أن يقنى السلوّ ولا للعـين أن تبق فى آماقها بللا

فأنشده إياها فاستحسنها، وجعل يزحف عن مجلسه استحسانا لها، وهى فى غاية الانسجام. ومنها بعد المطلع:

انَّ النعىّ بفيـه الترب فاه بمـا أسهى وأسهر من تبريحـه المُقَلا
رمى القلوب بمـا لو كان صادفه رَضوى ولبنان دهدى منهما القُلَلا

(١) الفوف: القطمير، يعنى أن علاه يجنب علا الممدوح كالعدم.

نعى محمـــدنا النـــاعى فقلت له هلا عطفت عليه العـــلم والعملا

ومنها يخاطبه :

ياهالـكا وقسىُّ الموت مابرحت ترى واغراض رامى نبلها النُّبَلاَ
إن تعتـــبرها قنى أم اللُّهَيْم لـكمْ نفست معضلها المرهوب إن نزلا
أوسرت عن هذه الدنيا الغداة لقد سارت مزاياك فى أقطارها مثـــلا
نفـــاد زادك من دنيـاك زودنا حزنا وإن كنت مسرورا به جذلا
ووردك الموت روانا الزعاقَ وإن رواك مورده الصهباء والعسلا

ومنها يخاطب قومه ، وكانوا يلقبون بحلة أربعين جوادا :

ياأربعين جوادا إنّ حسبكم لطف المهيمن فلترضوا بما فعلا
ولْتذكروا الرزء لاضاعت أجوركم بخاتم الرسل تنسوا خاتم الفضلا

ولما نبغ محمد ، طار صيته فى ذلك القطر ، وكان صغير السنّ يدهش الناس بسلاقته وحدَّةِ ذهنه . ولما كان محمد بن الطُّلْبَ المشهور فى تلك البـلاد موجوداً إذ ذاك ، فاجتمع به يوما ، فأنشده قصيدتهُ التى يقول فيها :

فيمنْ أهيم بهـــالاموا ولوْ هاموا بمن أهـــيم بها يوما لمـا لاموا
هامَ الفـؤاد بمن لولا ملاحتها ماسفّهتْ من ذوى الأحلام أحلامُ
هامَ الفؤاد بحيتِ الناس بحت بها إذ فى الـكناية تلبيسٌ و إبهامُ

حتى أتى على آخرها ، فقال له امحمد المذكور : الحمد لله الذى جعلك فى غير زمنى ، وكان امحمد إذ ذاك شيخاً كبيراً . ولما حدقت إليه العيون ، نزعته أعراقهُ إلى طاعة الله والتفكر فى أمر الآخرة ، فاشرأبّتْ نفسه إلى حج بيت الله الحرام وزيارة نبيه صلى الله عليه وسلم ، فوازره على ذلك صديقه وابنُ عمه ، سيدى أحمد بن حرمة ابن الصبَّار العلوى ، وكان فاضلا عاملا . وكان لهما ابن عم آخر ، فوافقهما على ذلك ثم بدا له فيه ، فجلس وجعل يثبط همة محمد فقال فيه :

يامُشفقاً من رحيـــلى لجَّ فى كمدٍ هل أنت من دون ربى آخذ بيدى

أمسى يفنّدنى فيما أرى وأرى ... مفنّدى فيه منسوباً إلى الفَنَد
دعنى وعزمىَ والبيدا وراحِلتى ... وماجرى من بناتِ الفكر فى خلدى
أللهِ حسبىَ لا ألوى على أحدٍ ... كلاّ ومثلىَ لا يلوى على أحدِ
وعقدة العزم منى لا يحلُّ بها ... حل إذا حُل عزم محكم العُقَدِ

وقال أيضاً لما عزم على الحج :

تجلّدْ جهدَ نفسك للفراق ... وكفكف غَرْبَ ساخِنةِ المآق
وجرّد من عزيمك مايوازى ... مُثِرّات المهنـــــدة الرقاق
ونكّب عن مقال أخى الهويفا ... وعنها فهى خاسرة الصفاق
وعن باكٍ وباكية أراقا ... دموعا ليس واكفها براق
إلى البيت العتيق بنص إحدى ... عتاق الكوم أو أحدِ العتاق
بنص شِملّة تعدو بعالى ... قَراها عدو منفرد لَهاق(١)
أجادت خلف غاربها بناء ... يدا صفو المراتع والمساق
تبارى الريح جافلة وتطوى ... عَريضات الفلا طىّ البطاق
لو أرسلها وقد لحقت كُلاَها ... على خرجاء أيقن باللّحاق
فلا تبرح تروحُ بها وتغدو ... وتدلج لاتناخ سوى فُوَاق
إلى أن تستحيل على حنايا ... فقار الظهر لاصقةَ الصفاق
وتحسبها إذا بغمت لُغوبا ... من الادلاج ثاغية العَناق(٢)
وعاشرْ كل منتدب ليرقى ... من أبنية العلى صعب المراق
به حملت مفـزعةَ نوارٌ ... على الإحكام من حُبُك النطاق
أأحبابى أعاد الله منى ... ومنكم بعد فُرقتنا التلاق
إلى أرض الحجاز أحَلْتُ عنكم ... صفيحة وجه وجدى وأشتياق

(١) القرا : الظهر . واللهاق : الثور الوحشى الأبيض.
(٢) بغمت : صوتت . واللغوب : الاعياء . والثغاء : صوت الشاء . والعناق : أنثى المعزى .

سلوت أحبتى واشتاق قلبى بتلك الأرض لا لنُجْلِ الحداق
ولا بيض الترائب والثنايا مديرات الجمان على التراق
بزمزم غلتى تغلى فمنْ لى بكأسٍ من مُدامتها دِهاق
صفا نفسى الصفا ومِنىً مُناها وبالجَمَرات قلبى ذو احتراق
ألا ياركبُ حُقَّ مارجوتم على حسن التلاطف والوِفاق
ثِقوا بالله واعتصموا وسيروا خِفافا فالمهيمنُ خيرُ واقِ
فلا الإقدامُ يجلبُ ما كُفينا ولا الاحجامُ يصرفُ ما نلاقى
وشدوا الميس من قود النواجى[1] بجنبى كلِّ يَعْمَلة دِفاقِ
وذوقوا السهد فَوقَ ذرى المطايا لذيذا والكرى مرُّ المذاقِ
وشجوا البيد عازفة النواحى وجنح الليل منسدل الرُّواقِ
وخوضوا فى الهواجر كل آلٍ طمى والشمس لافظةُ البصاقِ
وإنْ عرضَ العباب فمنشآتٌ مواخر لاتزال على اختراقِ
هوابط من جبال الموج طَوْرًا وطوراً فى بواذخه رواق
إذا جاشت دواخنها تناهت صواعدها إلى السبع الطباق
نجائب لا تعرّس فى مبيتٍ ولا ترعى ولست لها بساق
إلى حيث النجاحُ وحيث يغدو أسيرُ الذنب مفكوك الوثاق
وحيثُ تنيخ حامدةً سُراها لدى الاصباح مُدْلجةُ الرفاق
وحيث نطوف سبعاً ثم نسعى ونُسرِع للمواقف فى استباق
ونشعرُ بعد وقفتنا ونرمى ونأوى للمحلّقِ للحِلاق
ونرجع للطواف وقد أرقنا دماء المشعَرات من النياق
ونُمضى يومنا بمنًى فنقضى بلا عَجَل ليالينا البواقى
فإن طبنا بطيّتنا نفوساً تنادَينا لطيبة بانطلاق

(١) جمع ناجية ، وهى السريعة . واليعملة : النجيبة المعتملة . والدفاق : السريعة .

فوافينـا الحبيب وذاك أوفى وأوفرُ ما نؤمّلُ من خلاق
ودُرْنا بالقبـاب كما أردنا ودُرْنا بالنخيل و بالزقاق
ألا يا نعم طيْبَةُ والعـــــوالى وحيطانُ الحـدائق والسواق
هى الدارُ التى شرُفت وتاهت على شـام المواطن والعـراق
على من صاغ منصـبه جُلاها وسـاق لها العـلا كلّ المساق
صـلاة الله ما لبّي حجيجٌ وما حُمَّ اللقـا عقب الفـراق

ولما وصلا إلى مُرَّاكش ، نزلا عند محمد الأمين بن أبى ستة ، وكان من المقربين عند السلطان مولاى عبد الرحمن ، فلم يوصل خبرها من أوّل الأمر إلى حضرة السلطان . فقال :

هل حامل أسنى السـلام كله لحـــــاملِ الملك وعبء كلِّه
ومتـولى عقـده وحـله وواضعِ الأمر على محـلِّه
من لا يجـود زمن بشـكله ولا يُرى عـدلٌ عديل عدله
مأوى الغريب ومَحَـط رَحْلِه وملتقى نُزُولِه ونُزْلِه
قضى له الله بجمع شمـله ووطء من خالفـــهُ بنعله
ودام خفض العيش تحت ظله وعزّ الاسلام وعزّ أهـلِه
موجبه لا زال فوق سؤلِه ما يرتجى سـائله من بذله
أنّا نرجى من جميل فعله ما ترتجى أمثالنـا من مثله

ولما أبلغ ابن أبى ستة خبرها إلى السلطان ، أمر باحضارهما ، فلما سلما عليه واستقصى خبر الجهة التى قدِما منها ، أنشده قصيدتيه الآتيتين . وكان السلطان رحمه الله ، شديد الاهتمام بأقصى المسلمين من أهل مملـكته ، حتى انه يعلم أهل الخير من كبار أهلها وأهل الشر . ولما أنشد القصيدتين استحسنهما السلطان . وأولاهما :

هل فى بكا نازح الأوطان من باس أمْ هل لداء رهين الشوق من آسِ
أم هل مُعين يعين المستهامَ على ليل كواكبهُ شدّت بأمراسِ

آهٍ لمغترب بالغرب ليس لهُ ... جنسٌ و إن كان محفوفا بأجناسِ
علّ الامامَ بفضل الله يمنحه ... رُحمى فيكشف غم الآسف الآسِ
أقولُ والرّكب محزون بوحشتنا ... صبراً فكم وحشة أفضت لإيناس
إذا وضعنا بأرض الغرب أرحُلنا ... راح الرجاء علينا طارد الياس
إنى كفيلٌ بنيْل السؤْل لى ولكم ... إما بمُرّاكشَ المحروس أو فاس
أمامنا فى كلا المصرين نُورهما ... إمامنا المستماح المطعم الكاس
خَليفةَ المصطفى وهو ابن بَضْعته ... ثوبا من المجدِ لم يعلق بإدناسِ
أللهُ منك حقوق الناس قلدها ... يقظان لا غافل عنها ولا ناس
عَمّرْت عُمّرْت من عهد الشريعة ما ... باض النعام بدور منه أدراسِ
داركتها بعدما مالت دعائمُها ... فاستحكمتْ واطمأنت فوق آساس
وافاك ركب تعاطوا من نعاسهمُ ... على متون المطايا قهوة الكاس
حثواجلاس المهارى لا يُرَوْن على ... مغابر الميس منها غيرَ جُلاّسِ
حتى برى السير منهم كالقِداح ومنـ ... ـها كالقسىّ حنتها كفُّ قوّاسِ
فواسنا بلقا ما أعتيدَ منك وما ... فضل المقالة إلا قولنا واسِ
وحقق الظنّ أنّا سوف تحملنا ... على مجوّفة الحيزوم كالرّاسِ
لها دُخَانٌ حريقُ الغاب أزعجهُ ... أنفُ الجنوب بأنفاسٍ فأنفاسِ
وأسمحْ لنا بدعاء منك صالحهُ ... بيمنه يسهل المستصعب القاس

والقصيدة الثانية :

ألمّتْ بنا أهلاً بها أمّ سالم ... على نأيها أم تلك أحلامُ نائمِ
ألمّت بنا وهناً وقد ضرَب الدجى ... علينا خباء فى مُتِيهِ المخارِمِ
ألمّت بشُعْث فى الفلاة توسّدوا ... مرافق خوصٍ كالسهام سواهم
نضونا على أنضائها من عزيمنا ... سواهمَ أمضى من شفار الصوارمِ
وجبنا عليها مهمهاً بعد مهمهٍ ... إلى ابن هشام كى نزور ابن هاشم

إلى أن أخنساها لديه ولم نكن ... كمن عاقه عن ذاك ضعف العزائم
خليفةُ مصباح الهدى وحفيده ... ومحييُّ عافى ربعه المتقادم[1]
غيور على بيضاء سنته التى ... أبيحت لها لولاه كلُّ محارم
فكم غض عنها طرفَ من رام طرفَها ... بغضٍّ وكم قد كَفَّ من كَفِّ ظالم
أنامَ عيون الناس تحت عدالةٍ ... وقمتْ رجل سار الليل لدغ الأراقم

ومنها يخاطب السلطان :

تعاظمنا هول الطريق ومنكمُ ... عظامَ اللُّهى نعتاد دفع العظائم
وثقنا بِرِيٍّ حين أمت ظماؤنا ... موارد طامى بحرك المتلاطم

ومنها :

أمولاىَ لازالت مدى الدهرِ منكم ... حصون المعالى عالياتِ المعالمِ
ولا برح التقبيل شغل أكفكم ... وأقدامكم تُحْذى أديم الجماجم
فأصبح ثَغْرُ الأرض سوقا وأصبحت ... مَآسِدُها مرعى المخاض السواهمِ
حماها حماهُ الله أن تستبيحها ... من أعدائها دُهم الدواهى الدواهمِ
وبشَّرَنا أن سوف تأتى ركابنا ... أبا فاطم أنَّا أتينا ابن فاطمِ
على جدّه فى كل بدء ومختم ... مبادى صلاة مالها من مخاتمِ

وقال أيضاً يخاطب ابن أبى ستة ، ويسأله التوسط فى أمر السلطان :

أثار من التذكُّرِ حين زارا ... خيالٌ من أمَيْمَة ماأثارا
سرى بعد الهدوّ فما أعيرت ... قلوب العاشقين كما أعارا
وكم بعث الخيالُ لذى انْتِزاح ... نزوعا للأحبةِ وادٍّ كارا
ألا أهلاً بها ولو استحالتْ ... على قرب زيارتها أزورارا
لئن أنأى أميمة ماعتسفنا ... رواحا بالنجائب وابتكارا

(١) قوله ومحي ، هو مثل قول جرير :

وعرق الفرزدق شر العروق ... خبيث الثرى كابى الازند

فقد أدنت مباراةُ المطـايا نوافخ فى البُرى منْ لا يبارا
أزارتنا الفقيـه فأنصفتنـا من أيدِ النأى إذ تَعطلَ المزارا
وغادر طيُّهـا نشر الموامى إليه طىٌّ حاجتنا أنتشـارا
قد أهدى الدهر إذ أهدى إلينـا لقاه من إسـاءته أعتـذارا
إلى مثل ابن أحمـد فليسافرْ أخو العزمات أو يدع السّفارا
هُمامٌ سَـلَّ صارمَهُ ليحمى من الحق الحقيقةَ والذمارا
أبى نور الهـداية من يديهِ لحيـار الضـلالة أن يحـارا
وشـيّدَ للحقيقةِ من زوايا تعاطِى الذكـر أرفعَها منارا
له خلق يُدير مدى الليـالى عليهـا من معارفه عُقارا
سرى لمحمد فى الأرض حمد يسـير به المسافر أين سارا
حكمنا فيـه بالخـير أمتداحاً إلى أن أصبح الخير أختبارا
فأبصرنا شـواهد ماسمعنـا كمفتوق الصبـاح إذا أستطارا

ومنها :

أسـيدنا النبيه ومن تحلّى بمـا فضح الجواهر والنُّضارا
أُسارانا ببـابـكمُ فبـادرْ إلى تخليص إخوتك الأسارى
ودارك بالنجاة ذَماء غرقىٰ قد أقتحموا بما أقتحموا بحارا
أطاعوا أمرَ غيِّهمُ ولَجُّوا غروراً فى عمايتهم سُكارى
فانهمُ وإن شَحَطت نواهم لجارك فارعَ حق من أستجارا
رعاك الله من راعٍ نصيح رعاية من قد أودع واستعارا
وباركَ فيك ربك من خـديم قد أحسن فى أوامره أئتمارا

ومنها :

أمتخذ الهـدى خذها هَدِيًّا بدت فى زىّ فارهة العَذارا
تغضُّ الطرف من خجل وتدنى عليهـا من مهابتك الخمـارا

قد أكسبها فَخَارك حين زُفَّتْ إليك على نظائرها فَخَارا

وقال أيضاً يصف ليلة سهرها عند بعض أفاضل أهل مرّاكش ، ويصف ما اعتراهم فيها من السرور ، ويصف منزل صاحب الدعوة وكيفية شرابهم للشاهى :

ياليلةً راحَ فيها عازب الوطرِ بات الصفاء بها يسطو على الكَدَر
طابتْ مجالسنا فيها وخامرنا حسنُ السرور على موضونة السُّرُر
إذ بات أحمدُ يسقينا على مَهَل أشهى من الراح فى أبهى من الدرَر
فى منزل تُتْعِبُ الأفكارَ عبرتُها فيه كما يُتْعِبُ الأبصارَ بالنظرِ
فيه النّهار عِشاء والمعايش والـ أنهار تجرى وفيه مُثْمِرُ الشَّجَرِ

ثم إنه رحمه الله ، بعد مقابلة مولانا السلطان عبد الرحمن وحفاوته به وبمن معه ، ركبا البحر متوجهين إلى الحرمين الشريفين وفى الركب ابن أبى الشيكر (بكاف معقودة) قائد أبناء أبى السباع فبدءوا بالزيارة ، ثم قضوا حجهم ، فتوفى رحمه الله بين مكة وجدة . ولم نعثر له على نظم فى الحجاز ، سوى بيتين قالهما لإبراهيم القاضى صاحب الصولة فى الينبوع وضواحيه . وكان تلقى ذلك الركب بما ينبغى ، وهما :

ياقاصداً بطحاء مكة يرتجى نيل الطواف ببيتها المرفوع
لا تخش من ينبوع حاجِك غورةً مادام إبراهـــيمُ بالْيَنْبوع

وقال يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم :

هاج التفرُّق فاعذليني أو دَعى شوقاً أصمّ عن العواذل مسمعى
لا تُنكرى منى الشحوب فهكذا فعلُ الفراق بكل صبٍّ مولع
إنّ الأحبة أوْدَعوا إذ ودّعوا فى القلب شجواً لم يكن بمودّع
كيف السلوّ خلافهم أم كيف لى بالكف بعد تواهم من مدمعى
بانوا فبتُّ بليلة لم تنكشف من بعدهم وبمقلة لم تهجع
بانت ببينهمُ الرباب وخلفت بين الجوانح غُلّة لم تنقع
دارَ الرباب أربَّ فيك على الرُّبى ينهل مرتجس الركام الممرع

حيّى الإلهُ زماننا إذ لم يرعْ فيك الصدود ولا نعيبُ الأبقع
دهرٌ مضى جمعت لنا أيامهُ شمل السرور فهل له من مرجع
أم هل تقرّبها النجائب إن ترح عوجاً سَواهمَ جائلات الأنسُع
من كل مُخفَرة لها بعد الونى عدوُ الهجفّ أو الأتان الملمع
يانفس قد ولّى الشباب وأنت عن غىّ البطالة والصبا لم تنزع
قد تعلمين مصير أمرك فارعوى فالعلم محض الجهل إن لم ينفع
والموت منتظرُ اللقاء وذو الحجا متأهب للقائه المتوقع
مالى أشاهد كل حين عِبرَةً وعن الغواية سادراً لم أقلع
وارحمتا لأسير ذنب تاه فى ظُلَمِ الضلالة عن قويم المهيع
إنى فزعت وفكرتى جعلت إلى خير البرية مُشتكاىَ ومفزعى
إنسان عين الكون غرّة وجهه حاوى التفرّد بالمقام الأرفع
ذو الرتبة العليا التى ما للورى من مطمع فى نَيلها من مطمع
بابُ الإله ومصطفاه لسره وسراج حجته الذى لم يقشَع
مَنْ خصهُ بحُلى الكمالِ إلهُهُ والكون واقع أمره لم يوقع
وإلى أسمهِ ضمّ أسمَهُ شرفاً له من قبل حيعلة المنادى المسمع
وبه توسل الأنبياء إلى الذى حازوه من سرّ النبوّة أجمع
أسرى الإله به وأودع صدره فى ستر جنح الليل أشرف مودع
يامولد الهادى لشهرك نفحةٌ أرج الزمان بنشرها المتضوّع
أكرم بمولد ذى الختام بيومه وبشهره وبعامه والموضع
حَلِىَ الزمان به كما حَلِىَ الرُّبَىْ بالروض إثر السارياتِ الهمّع
لله أكملُ خلقة وخليقة مُنِحا لصفوة هاشم ومُجمّع
بحر إذا ورد العُفاة وإن بدا فالبدرُ ماضى عَشْرِه والاربَع
يغشى الهياج إذا التظى متبسما والبيض تلمع والفوارس تدّع

والخيل ثائر نقعها من نسجه ... وجه الغزالة مدرج فى برقع
فى سرج مشرفة التليل طِمِرَّة ... أو سلهب ظامى المفاصل جرشع
حطم الأعادى حطمة جنحت بهم ... لِتَبَذُّلٍ من بعد طول تمنع
وبها غدى مَنْ أبا السجود لربه ... وله سجودٌ بعدها لم يرفع
قَتْلى تنازعُ فى الوغى أشلاءها ... بين الجيوش جيوش طير وقع
فغدت حصون الشرك رسما دائراً ... لعبت به أنفاس ريح زعزع
لم يُبْقِ فيه المصطفى من قيصر ... كلا ولا كسرى ولا من تبّع
يُهدى الكتاب دعا فمن لم يرتدعْ ... يُهدى الكتاب فبالكتائب يُردع
فرقٌ هُدِين به وأخرى حُمِّلت ... من سيف سطوته الذى لم تسطع
لاَ تألُ مدحا للنبىّ وبله ما[1] ... تدرى النصارى فى المسيح وتدّعى
ياخيرَ من حمل المطىُّ ومن به ... زُجِرَ العتاق بلامعات أليلع
أثنى عليك إلهنا فلتعترف ... بقصورها فكرُ البليغ المصقع
إنى بمدحك أستجيرُ وإننى ... منه لفى الحصن الحصين الأمنع
فأمنتُ طارقةَ الحوادث وأنثنت ... عنى دواهم كلِّ خطب مفظع
وبك أحتميتُ من المكاره فاحمنى ... وبك أستعنتُ على الزمانِ فكنْ معى
لتكن معى عند الممات وكن معى ... عند السؤال وكن معى فى مضجع
لتكنْ معى يوم الجزا إن قُدِّمت ... نفسى لما صنعت وما لم تصنع
صلى الإله عليك ماصدحتْ على ... فَنَنٍ مُطَوِّقة الحمام السُّجَّع

ومن غرر قصائده قوله يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً :

زارت عُلَىٌّ على شحط النوى سحرا ... فاعتاض جفنك من عذب الكرى سهرا
زارت فبات نظام الهمِّ مجتمعاً ... شوقاً وبات نظام الدمع منتثرا
فالقلب يغلى وجفن العين يُسعده ... بمدمع كلَّما كفكفته انحدرا
يارب مشتبهات لا منار لها ... من خاضها ركب الأهوال والغررا
خاضت إلىَّ ودونى من هوائلها ... مايستتيه عن القصد القطا الكُدُرا

(١) قوله بله : اسم فعل بمعنى اترك .

زارت مُعَرِّسَ سَفْرٍ بعد ما ارتحلوا شهرًا رواحاً وتهجيراً ومبتكرا
تهوى بهم راقصات العيس طاوية أخفافها من عراض اليد ما انتشرا
تعلو الهضاب وصمّ الصخر حافية ما إنْ ترى نقباً فيها ولا دَبَرا
بُزْلا سمى النئ فى أثباجها وعلى غِرْبانها لبّدتْ أذنابها الخطرا
عهدى بها لم تزر جاراتها كسلا واهاً لها كيف باتت تسلك الوعرا
باتت تشقُّ ظلامَ الليل نحوهمُ ياعظم مَا كلّفتْ أوصالها الفُترا
ما أنس لا أنس والأيّامُ مولعةٌ بفرقة الشمل إذ خالستها النظرا
فأومأتْ بكحيل الطرف باسمة نحوى لكيما أرى أن الرقيب يرى
أيام أحسو رحيق الوصل آمنة نفسى أن أحسوَ سمّ الصرم والصبرا
ما كنتُ أحسب هذا الدهر تُحدث لى أحداثه من ليالى صفوه كدرا
إنى إذا الحبل أمسى من عُلَيَّةَ ذا صرْم وأمسى تدانيها نوًى شُطُرا
عديت عنها وعن جاراتها وَخَدَتْ بى نجب فكرىَ للمختار من مضرا
من يشغل الذهن منه فى محاسنه يستقبح اللعسَ المعسول والحَوَرا
لمّا برى كبدى ماقد جنته يدى يممته صارفاً عن غيره البصرا
وجّهتُ وجْهى إلى خير الورى وأرى لنفسىَ الفوز بالمطلوب والظفرا
وجّهت وجْهى إلى مُغْنى الفقير ألا إنى لمعروفه من أفقرِ الفقرا
وجّهت وجْهى لذى الخُلُق العظيم وذى المجد الصميم عديم الشكل والنُّظَرا
وجّهت وجْهى لمحمود المقام ومقـ ـصود الأنام إذا الخطب الجليل عرا
مولى الشفاعة فى الهول العظيم إذا ما صدّ عنها جميع الرسل وأعتذرا
منير صبح الهدى للمهتدين به من بعد ملجنّ ليل الكفر وأعتكرا
به إلى مَهْيع الحق أهتدى نفرٌ وضلّه نفرٌ من قوله نَفَرا
قد أخرست عن مقال الحق ألسنهم والضبُّ أخبر لما استُخبر الخبرا
وخالفوه ففاض الماء منفجراً لمّا دعاه ونادى فاندعى الشجرا

والشمس عن صوبها ردّت له وله ... قد أسبل المزن لمّا أستمطر المطرا
من آيه وكفى القرآن معجزة ... ما كان من خارق فى بدئه ظهرا
يكفيك أنّ إله العرش صوّره ... كما يشاء ومنهُ صوّر الصورا
لا لانقس بالورى الماحى فذو خطإٍ ... من قاسهُ بالورى لو لم يكن بشرا
أثنى عليه بما قد كان ناسبه ... رب العباد فماذا يبلغُ الشُّعَرا
أهدى إليه قديماً من بدائعه ... كعب وحسّان والهمزىّ ما كثرا
أشدوا به وأناروا ثم ما بلغوا ... كلاّ لعَمْرُك من معشاره العُشرا
لكن أتوا فيه بالقدرِ الذى اقتدروا ... قبلى فهلّلتُ أقفوا منهم الأثرا
لا يوجدُ الدهرَ إلا راكباً خطراً ... أو قائداً شقراً أو طارداً أخرا
أو قائداً عسكراً أو مفنياً زمراً ... أو قارئاً سوراً أو قائماً سحرا
مازال يغزو وجند الله يؤزره ... والنصر يصحَبُه فى كلّ ماشجرا
حتى استبد وبزّ الكفر دولته ... بالغزو واستعبد الأشراف والأمرا
وأصبحت ملة الإسلام واضحة ... وعمّ نور هداه البدوَ والحضرا
قد أنكروا ماأتى البر الصدوق به ... والبر أنزلَ تصديقاً له السورا
من صدّ عن آيه العظمى أعدّ له ... بواتر الهند والخَطّيّةَ السمرا
والجرد جرد المذاكى القود حاملة ... رُبْداً ضراغم فى زِى الورى جسرا
مستلئمى حَلَق الماذىّ يقدمهم ... شاكى السلاح يهز الصارم الذكرا
ثَبْتُ الجنان وموج البحرِ ملتطم ... والحرب رامية من شهبها الشررا
يخوض ثم بحار الموت مبتسما ... تلك الجراءة بَلْهَ الضيغم الهصرا

هذا مابقى فى الخاطر منها ، وربما وقع فيها تقديم وتأخير . ومن بديع قوله فى الغزل :

ولت ليالٍ إلينا ساقها الزمنُ ... ماسيق من بعدها للأعين الوسنُ
ولّتْ سِراعاً وولّى البشر يتبعها ... عنا وأقبل من إدبارها الحزن
ولّتْ فقائم ركن الصبر منهدم ... من بعدها ومصون الدمع ممتَهَنُ

قد غبن بالوصل ممن لم يغب جزعى ... من بعد ماغاب عنا وجهها الحسنُ
بمن إذا قابلت يوماً محدّثةً ... تحاسَدتْ عند ذاك العين والأذن
بانوا بها لاسَقى السّاقى مَطيَّهمُ ... ولا رعَتْ ماوَشاهُ العارضُ الهتن
يا ظاعنين ولى نفس تصاحبهم ... فى بينهم حيثما ساروا وما سكنوا
حملتمونى ثقلاً من تحملكم ... يعوق جَلْدَ القوى عن حمله الوهَنُ
إن ظَلْتُ بعدكم أدعو الربوع لِمَا ... هاجت لقلبى من ذكراكم الدِّمنُ
تعتادنى زفرة يرتدُّ صاعدها ... عن عبرة ضاق عن منهلّها الجفنُ
فإننى ببكا غَيْلان ربع لوى حزوى ... أو أربع وعسى مشرق قمنُ
ليت الألى ظعنوا بالقلب إذ ظعنوا ... لم يظعنوا والالى لم يظعنوا ظعنوا

وما وقع بينه وبين سيدى محمد بن الشيخ سِيدىّ رحمهما الله ، ذكره أكثر منه.

كان محمد هذا رحمه الله فى غاية الآداب ، ولا يلاحى الناس ، ولم تزل الفتن تقع بواسطة أهلُ الوشاية ، ونقل الأخبار على غير وجهها ، فاتفق أن أحد الأدباء من تلامذة الشيخ سِيدىّ ، أنشد أبياتاً لسيدى محمد المذكور وأوّلها :

يامعملين قلاصاً حاكت الحِرَفا ... صارت وصارتْ لها أنواعه حرفا

فتوقف محمد المذكور فى جمع حَرْفٍ على حِرَفٍ ، وهو فى الحقيقة غير مقيس ، ولم ينكر ، فأبلغ ذلك الأديب سيدى محمد المذكور ، أن ابن محمد لحنهُ ، فكتب إليه:

يامنكراً جمعنا حَرْفاً على حِرَفٍ ... لتَتَّئِدْ لاتكن للرمى هدفا
إنكار من ليس يدرى أشدد به غَرَرا ... إذ هو من جُرُف الألحان فوق شفا
ينهارُ من هَذَرٍ والصمت يثبتُهُ ... والفرّ قبل اللحاق للجبان شِفا
لو خضت لُجةَ قاموسٍ وجدت به ... درّاً جلا جلوه مصباح الدجى الشدفا
حرف الكدى لاسواه جمعهُ حِرَف ... وزانه عِنَبٌ والجمع قد عُرفا
ثانيه طَلٌّ ولم يجمع على فِعَلٍ ... فَعْل سوى ذَيْن قد كانا به أتصفا
والعلم ذو كثرة فى الصحف منتشرٌ ... وأنت ياخلُّ لم تستكمل الصحفا

فلما وصلته الأبيات ، استغرب ذلك ، لأنه لم يتكلم بما يمس كرامة صاحبها ، فأمر رجلاً كان معه أن يكتب ، فأملى عليه ارتجالا أربعين بيتاً فى ذلك البحر والروى . وكان يملى بيتاً فيكتبه بسرعة ، فيأتى بغيره قبل تمام نسخه . ولما بلغت باب المتقدم الذكر ، محا بعضها وأقسم عليه أن لا يتفوه به ، حفظا لكرامة ابن الشيخ المذكور . والقصيدة هذه :

منى إلى ابن كمال الدين من خلفا ... بين الورى أحمدَ المختارَ والخلفا
أزكى سلام يحاكى حسن سيرته ... وطيبَ شيمته لا روضة أنفا
سيدىّ قطبِ رحا أهل المعارف مَنْ ... أمسى يجدّدُ رسم الدين حين عفا
مازال مُذْ عقدت منه الإرارَيدْ ... صبًّا مشوقا بأبكار العُلى كلفا
فنال منزلةً تعلو السعود إلى ... أن صارَ للناس من داء القلوب شفا
إعْلَمْ أياخِلُّ أنى لستُ حاسِدَكم ... وأنّ منى لكم محضُ الوِدادِ صَفا
لاتَسْمَعَنْ ماوَشَى بعض الوُشاةِ به ... وَاسْمَعْ مقالى فليْسَ الأمر ماوُصِفا
إذ قد حكى البيتَ راويهِ على حِرَفٍ ... فقلت مستفهما لامنكراً حِرَفا
وهل سمعتم بحرف جمعهُ حِرَفٌ ... قد كان ذاعنْ قياسِ الجمع منحرفا
ما كان من شيمتى نكرٌ على أحدٍ ... يأبى لِيَ النُّكرَ طبْعٌ منهُ قد أنِفا
ولا مُجَافاةُ أرْبابِ الجفا شُغُلى ... مثلى إذا ما جفا حِلْفُ الجفا صدَفا
وإن أتى سائلاذو الضعف يوعدنى ... فاللهُ يعصمنى من صولة الضُّعَفا
قد سرّهُ جريه فى القفر منفرداً ... فظن سرعتَهُ فيه وقد دَلفا
أقصر بطرفك لا تطمحْ إلىّ به ... فشأن من ليس يدرى الجريَ أن يقفا
ومن يخض لجة القاموس ليس له ... فُلْكٌ تقيهِ من الألحانِ قد تلفا
أهدىْ إلىّ من الأشعارِ مضحكة ... للخلق أودعها من لحنه كِسَفا
إذا صَيَّر الهمز همز القطع متّصلاً ... وقال جلوى وجـــلوا ثمّ ما ألِفا

ومنهـا :

والشعر صعب عزيز ليس يدركه سوى ذكىّ حديد الفهم قد ثقفا
لا يكسب الشعر تبجيـل وقولهمُ عسى تـكون لنا من شيخنا خَلَفا
كلاّ ولا أنا نجلُ الشيخ سـيدنا أبى وأمّىَ قد فاق الورى شرفا

وهذا ماتذكرت منها ، وربما وقع فيها تقديم وتأخير لقدم عهدى بها . ولما شاعت هذه القصيدة ، تداولها الناس ، فتداعب تلاميذ الشيخ سيدىّ على هجو أبن محمد ، فلم يكترث بهم ، ولم يجب منهم غير الشيخ أحمد بن سليمان الدّمانى ، لأنه رآه كفؤاً ، وهذه العادة قديمة فى الشعراء كانوا لايهاجون من يرون أنه دونهم . فلما بلغ الشيخ سيدىّ انتصارهم لابنه ، دعاهم وقال لهم : إن انتصرتم لابن شيخكم فإنى أنتصر لابن شيخى . وكانت أمّ محمد للذكور ، بنت حرم بن عبدالجليل المتقدم . وكان الشيخ سيدىّ تلميذاله ، فهذه إحدى مكارم أخلاق الشيخ سيدى ، ولما بلغ الأمر أيضاً ولد محمد صاحب هذه القصيدة ، أقسم عليه ليذهبنّ إليه ويطلب منه الصفح ، فركب وأناخ فى مسجد الشيخ ، فوجده فيه فأنشده قصيدته الآتية ، فقال ليتك سجوتنا فى كل يوم ، واعتذرت بمثل هذه القصيدة ، استحساناً لها ، وهى :

هَاجتْ رسيس بلابلى وهمـومى قَسْرًا دَوَارِسُ أربُعٍ ورُسُومِ
أودَتْ بهنّ يَدُ الزمان فأسأرتْ كالوحىْ أو كمُرَجَّعَاتِ وشومِ
كانت لروض اللّهْوِ مرعىً فانتهتْ للعِين مرعى الشيحِ والقيصوم
لله ما جلبتْ له عرصـاتُها من ذكر عهدٍ للشباب قديمِ
فأراد يكتم مابه وبدمعـه ظهرت ضمائرُ سرّهِ المكتوم
إن ترمنى بسهام لحظ غادرت بـين الجوانح داميات كُلُوم
فلربما سَرَّتْ بمرأى رائقٍ عينى أوان مسرّةٍ ونعيم
ولكم سحبتُ بربعها بُرْدَ الصِّبا وشربْتُ عذْب رحيقه المختوم
ولكم عمدت إلى الملاعب مائساً كالغصن عطّفَهُ هبوبُ نسيم

ولكم رشفتُ من الشفاه بريقها ... عذب الزُّلال بعانق الخُرطُوم
قد خنتُ عهد عهودها إن لم أقِفْ ... حيرانَ يَلتَهِبُ الأسى بحَزِيم
بل لم أقمْ بحقوقها إن لم أقمْ ... منهلّ جفنٍ بالدموع جَهُوم
مازال يعهَدُها السِّماكُ مَعاهِداً ... بأجشّ مُنبَجِس الصَّبيرِ هزيم
مُرْخى الجوانبِ ذى روايا حُفَّلٍ ... تمرى قوادِمَها الجنائبُ شيم
لمَّا رأت دِمَنَ الصَّبابة والهوى ... سَفَهْنَ حلمى واستَبَحْنَ حريمى
هيَّجْنَ تلُومُ وَمَنْ يلُمْ مُتذكراً ... عَهْدَ الشبيبةِ لامَ غَيْرَ مُليم
فأجبْتُها نهْىُ المحبّ كأمرِهِ ... فَدَعِى الملاَمَةَ فى الهوىٰ أو لومى
ماخلتنى أجدُ السُّلوَ ولم تزلْ ... ذِكَرُ الأحبَّةِ تستثيرُ همومى
قالت وكنتُ فى الضلالةِ سائراً ... فى ظلّ مُسترخِ السُّدُول بَهيم
هلاّ اهتديت بنجم شَيْبِك إذ بدا ... فكم اهتدى ذو حيرة بنجوم
أو ما كبِرْتَ عن النَّسيب ألا ترى ... عند العدول إلى امتداح كريم
بمحاسنٍ تنسيك ما للبيض من ... وجهٍ أغرَّ الوجنتينِ وسيم
هذى محاسن من غدا بصفاتهِ ... مستوْجبَ الإجلال والتعظيم
مَنْ بالسيادةِ والمحامدِ وسْمُهُ ... وفق اسمه فالإسْمُ كالموسوم (١)
نالت من الرُّتَب العوالى كَفُّهُ ... ما لم تكن لقنال كف أريم
ألفى المكارم قد تهدّ ركنها ... فأقام ساقطَ ركنِها المهدوم
خلق الإله بنانه للبحث عن ... صعب العلوم وكسب كل عديم
ولسانه للكف إلا مدمناً ... لتعـــــلم أو مدمنَ التعليم
وجنانهُ الماضى المنيرَ لفهم ما ... عنه قد أكدىٰ فهمْ كل فهيم
قصائدٍ وَدَّ العذارى جعلها ... حَلْياً مكان اللؤلؤ المنظوم
يارا كباً يدنيهِ ساحة بابهِ ... تقريب دامية الأظلّ رَسُوم

(١) معناه أن الذى يخاطب به لفظة سيدنا فهو سيد كاسمه .

أبشرْ فقد يَمّمتَ من مَنْ ينحه ... يظفر بنيل مؤمّل ومروم
إن سائلاً يممت بحر مواهب ... أو جاهلاً يممت بحر علوم
أو مشتكٍ من ذى عداه مَظْلِماً ... يمّمت رفع شكاية المظلوم
عَلَم المعارف والمعانى والمعا ... لى من أب نَبِهٍ بهنّ عليم
شيخ هدىٰ من ضلّ عن سنَن الهدٰى ... حتى كسى الأنوار كل أثيم
عمّ الأنام بهديه وأمدّهم ... كلاً بفيضٍ من نداه عميم
وردت حياض نواله وعلومه ... هِيمُ الورى فشفى غليلَ الهيم
فى كفه رزق الأنام فكلهم ... ساعٍ لموضع رزقه المقسوم
فترى البيوت أمامه مملوأة ... مابين غاوى رِحْلَة ومقيم
كُلاً بنسبة ما يحاول خصه ... من قوت أفئدةٍ وقوتِ جسوم
لم يكفه المِئْرُ الكثيرُ لدى القرى ... كلاً ورِسْلُ الكوم نحر الكوم
فترى بساحته الدماء وفرْشَها ... ولَقَىٰ العظام جديدة ورميم
وترى القدور رواسياً وترى الجفا ... ن لوامعاً بحواضرِ المطعوم
من قاسه بالأكرمين فإنه ... فى الشأو قاس مجلياً بلطيم
بل قاس ملتطم البحار بنطفةٍ ... والروضَ غضاً ناضراً بهشيم
حدّث ولا حرج عن الشيخ الرضا ... أو دع إذا حدثت بالمعلوم
ياحبذا ذاك الكمال وحبذا ... جلساؤه من زائر وخديم
ولحبذا تلك القصيدة إنها ... حَلِيَتْ بدر من حُلاه يتيم
نالت عظيم الحظ حين تعلقت ... بمنال حظ لا يُنال عظيم
قد أكملتْ خَلقاً وخُلقاً وانتمت ... لأروم صدق فوق كل أروم
عُدمت نظائرها فواجد من لها ... شبهٌ لعمرك واجد المعدوم
إن كنت قد أخرتها ذكراً فكم ... من آخر فى رتبة التقديم
ياحائز الشرف الصميم ومنتهى ... أمل المريد وحيلة المحروم

حُزْ ما ابتغيت من الكمال فأنت فى زمن بمثلك فى الأنام عقيم
لا زلت باقى الدهر سالك مهيع فى إثر والدك الكريم قويم
وبقيتما زمناً فكلٌّ منكما غوث المَضيم وبره كل سقيم
منى إليك تحيةٌ تزدادَ ما بعث التشاجرَ من مشى بنميم
ونفى إساءته بعتبىٰ معتب وعلا بصون الحلم كل حليم
وعلى النبىّ من الإله صلاتهُ وسلامهُ فى ألبدء والتتميم

ومن رقيق شعره قوله :

شَمِّرْ لعلّ رَسِيمَ الأينُقِ الذُّلُلِ مِنْ بعدِ عشرين يُدنى ساكنى العُقُلِ[1]
سِرْ مُدْمِناً عبْرَ أمواج الهجير وسِرْ تَحْتَ الدُّجى ثالثَ البيداءِ والإبلِ
وأعص العذول فمشتاقُ الأحبةِ مَنْ ما إنْ يُميّزُ بين العذرِ والعَذَلِ
وأصحبْ دليلاً من الشوقِ المُبرِّح إن مال القطاعن سبيلِ القصدِ لم يَملِ
وأجعلْ مِهادَكَ بَطنَ الرحل من جملٍ جون المؤخّرِ أو وجناء كالجملِ
رعَتْ من الروض فى أكتاف دُومِسَ مالم ترَعْ منهُ بِجَنْبَىْ هضبة الوعِلِ

ومنها :

سهلٌ تجشّمِيَ البيداء مُقتَسِفاً لو كنتُ من وصلِ من أهوى على أملِ
إنى وإن حلت ياذى عن مودّتنا عما عهدتِ لَدَىَّ الدهرَ لم أحُلِ
سلى فؤادىَ عنى هل سلوتكم والجفنَ بعدك هل ذقتُ المنامَ سَلى
بوَرْد خدّكِ إلا ما وصلتِ أخا بث ألم يأنِ بعد الهجرِ أن تَصلى
صلى أخا كلف كم بات من شغفٍ إلى لقاك سمير النجم أو زُحَلِ

ومن رقيق غزله قوله :

بعد الهدوِّ يمين الضَّرْع أسْرَالى طَيفٌ أحَلَّ ببالى كلَّ بَلْبالِ

(١) العقل : مواضع معروفة لها آبار غير طويلة ، بالنسبة لما يقال له بئر فى عرفهم .

أسرىٰ فنبهنى وهنا بتيبرس مِنْ بارَيْن[1] طيف قطوف المشى مكسالِ
زارتك عائشُ والجوازء جانحةٌ واللّيلُ مُلتفٌ أرْواقٍ وأذيالِ
زارت ومن دونها ثُم الجبالِ وأو عاثُ الرمالِ ولمّاعٌ من الآلِ
وكلُّ مُغبرّةِ الأرجاءِ طامِسَة ال أعْلامِ حفّتْ بأوجالٍ وأهوال

ومنها :

أما وكل خلوب اللحظ ساعِدُها والسّاق غصّا بدُمْلُوجٍ وخُلخال
لئن الفؤاد هوى منى لعائش لا يَبْلى وكلُّ جديدٍ غيرهُ بالِ
مَلّ المُعاتِبُ فيه من معاتبتى فكفّ عنى وملّ العذلَ عذالى
وطالما سمتهُ كتما فنمّ به دمعى وأخبر عنهُ مخبرُ الحال
دَعْنى إليها . أجوب البيدَ ممتطياً بزلا تواصلُ إرْقالا بإرْقالِ
أدنى بها النازحَ النائى وأسبحها بحر الدُّجى وبحور الآل فى الآل

وله أيضاً :

أرْضَ العُقيلاتِ يابرقَ الحيا وعَلى أحْيائها لعيون الشائمين لُحِ
ولا تُرِقْ دونَها فى الأرض مِلءَ فَمٍ من سارياتِ رَوايا ودقك الدُّلُحِ
حولَ المُليحَة خيّمْ واغدونّ ورُحْ ثمّ أغدوَنّ وَرحْ ثمّ أغدوَنْ ورُحِ
ولا تَزَلْ مُسْتطيراً مثلَ مارَحَتْ بُلْقُ العوادى زهاها قادحُ المرحِ
حتى إذا عَمّتِ الشّقيا مسارحها فاسقِ المسارح من بارين واسترِحِ

ومن ظريف ما يحكى عنهُ ، أنهُ كان مسافراً ومعه ناس من أهل الفضل ، فنزلوا أمام بيت فيه عبيد لابن جَيْرفِينَ ، أحد من اشتهر فى بلده . وكان أبن جيرفين المذكور ، موجوداً فى تلك الليلة عند عبيده ، فلم يسلم عليهم ولم يبعث إليهم بفراش ولا قرى ، فاجتمعوا به من غد تلك الليلة ، فأخبرهم أنه غداً يذهب إلى أبن أحمد بن عَيْدٌ أمير آدرار ، فقالوا له : نريد منك أن توصل إليه هذا

(١) بارين : بباء موحدة بعدها ألف وراء مفتوحة وياء ساكنة ونون مفتوحة : اسم بئر

المكتوب ، فظن أن المكتوب فيه سلامٌ على الأمير لاغير ، فلما ناوله إياه أمر من يقرأه ، فإذا فيه :

إنْ يمنع الله رزق العبد ينزله ... ضيفاً لدى نجل جَيْرِفِينَ ذى البقر
أهدى إليه بنا عوز الكرام وما ... لاقَتْ نجائبُنا مِنْ شِدَّةِ السَّفر
لم يأتنا بفراش لا ولا بقرىً ... ولم يُسلِّمْ ولم يسألْ عن الخبر
فباتَ ملآنَ بطنٍ حولنا ولنا ... مبيت موسى كليمِ الله والخضرِ

فلما قرئت الأبيات ، ضحك الناس ممن يحمل هجو نفسه إلى أمير ، فهذه الصحيفة مثل صحيفة المتلمس ، وكان لابن جَيْرفين هذا ، ابن عم يملك الإبل ، فلما سمع الأبيات قال : الحمد لله على أن لم يقل ذى الإبل .

وقال أيضاً يرحب بأحد أفاضل قبيلته قادماً من الحج :

وافى الهمام فقاه الدهرُ وأبتهجا ... وأنزاحَ برْحُ هموم النفس وأنفرجا
لم يأتِ دهر لعمرى قبلَ حَجتهِ ... بحجَّةٍ أشبهتْ أيّامها حِجَجا
وافى فزاد به الرحمان شانئنا ... كَرْباً وكان لنا من كربنا فرجا
وافى وقد شادَ من بنيان والدِهِ ... والعمِّ وأنتهجَ النَّهج الذى أبتهجا
قومٌ شِعارُهمُ قدماً ودَيْدَنُهمْ ... فى اللهِ أن يبذلوا الأرواح والمُهَجَا
قد وجَّهَ العِيسَ نحو البيتِ تمرح فى ... فيح الفلا والخلايا تعبر اللججَا
تَقْتَادهُ همة قُصوى ويَجْذِبهُ ... شوقٌ جَوى الصد منه لوعةً وشجَا
لم يثن همتهُ ظِلُّ البيوتِ ولا ... بيضُ العوارض تجلو الظَّلْمَ والفَلَجا
مضى مُذيلاً لحرّ الشمسِ وجْنتَهُ ... والهوامى إذا الليلُ البهيمُ دَجا
حَتى قضى ما انطوى فى النفس من أربٍ ... وتمّ ماقد رجا يا نعمَ ذاك رجا
فقرَّتِ العينُ إذا ألقى عصاه لدى ... حيث الإلهُ يحطُّ الوِزرَ والحرجا
وطابتِ النفس منه حين فاحَ لهُ ... من طيبِ طيبة أذكى فائحٍ أرَجا

فنال من زورة الهادى وشيعته ... ما نال والصيد كلا فى الفرا اندرجا(١)
سقيا ورعيا لعيس بلغته على ... أين نشكته من أيدى النوى ووجا
راحت سواهم عوجا بعد مارحلت ... غلباً مباريةً هوجَ الصبا هوجا
ياضيعة الناجيات القود ليس لها ... تحت العجاج بمغبرٍّ الفجاج نجا
والحمدُ لله ربى إذ أتيحَ لهُ ... من ورطة البحر والدأماء المضال نجا
لازال آخرُ آل الحبر أولهم ... يقفو ولا زال يعلو كعبهم درجا
ثم الصلاة على المختار مادلجَ الـ ... ـركبُ المجدُّ إلى البطحاء وادلجا

وله من قصيدة يرثى بها ولى الله سيدى مولود ، قال اليعقوبى :

ما لراجى الخلود نيل خلودِ ... إنَّ ورد المنون حتمُ الورود
إنما الموت عُرْضَةٌ ليس عنهُ ... من محيص كلا ولا من محيدِ
إنَّ ليلى فى جنبهِ لقصيرٌ ... ليلُ بنتِ الشريد بابن الشريد

ومنها :

غادروه تحت الصعيد دفينا ... نِعم ذاك الدفين تحت الصعيد

وهى تقرب من قصيدة ابن مناذر ، التى رثى بها عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفى .

ومن غزله :

ردَّتهُ بعد تمام الحلم والنبهِ ... إحدى الجوارى رهين الشوق والولهِ
إنَّ امرأ سفهته بعد كبرته ... بنات عشر لمعذور على السَّفَهِ
كَمْ قائلٍ لى إلى كم لاتُربى أبداً ... من نومةِ الحبِّ إلاَّ غيرَ منتبهِ
فقلتُ لاتعجبى منى فكم سلبتْ ... حسناء قبلىَ لُبَّ الحازم النبهِ
يمينَ حقٍ بمرآها المليح وما ... بالباطل الحقُّ إن يسمع بمُشتبهِ
إنَّ الذى قد جنى ما كان من ولهى ... لهى وإنَّ شفا برح الغرام لهى

(١) قوله : والصيد كلا فى الفرا اندرجا ، هذا إشارة إلى مثل مشهور وهو : كل الصيد فى جوف الفرا ، يعنى أن كل قربة يرتجى ثوابها من غير الفرائض ، أفضلها زيارته صلى الله عليه وسلم

وقال فى مدّة إقامته بفاس حرسها الله ، لمّا زار ضريح الشيخ سيدى أحمد التجانى رضى الله عنه .

أبدى الزمانُ من البشاشة والصّفا ... سرًّا وأثبت منهما ما قد نفـــا
إن غاب قبل اليـوم عنا سعدُهُ ... فاليوم أسعدَ بالمـــرام وأسعفا
وقضى بعدل وهو قدما جائرٌ ... ووفى وعادته العدول عن الوَفا
وصفا لنا بعد الصـــدود وصالُهُ ... بوصول قبر المصطفى أبن المصطفى
بالأحمـــدىّ خليفةً وطريقة ... وأسمًا ووسْمًا وأقتداء وأقْتِفا
الله يمنحه الكرامة كلمـــــا ... ذكر المشايخ ما أشفّ وأشرفا
إن رُمتَ حال مقامهِ ومقامهم ... فانظر لحـال المقتفى والمُقْتفى
منه استمدُّوا واستبدّ بزائدٍ ... فات المعارف كنهُهُ أن يُعْرَفا
قد خصّهُ الهادى بأنفس تحفةٍ ... ولكم أبٍ خصّ البَنِينَ وأتحفا
بأروضة شمخت بطوْدٍ شامخ ... أنفًا وأكسبها علاهُ تأنُّفا

ومنهـا :

يدلى ببرح محبـــة قد طالما ... منهـــا تشوّف للقـاء تشوُّفا
وبخـدمةٍ سلفت لوالده الذى ... لو سمتموهُ البيـع لن يستنكفا

وهذا ماتذكرت الآن من شعره ، وديوانه مجلدٌ ضخمٌ ، رحمه الله رحمةً واسعةً ، وكان حيا بعد الخمسين والمائتين والألف .

﴿ التجانى بن باب بن أحمد بيب ﴾ : تقدّم نسبه فى ترجمة والده . ظهرت عليه أمارات النجابة فى صغره ، واشتغل على والده فى أوّل أمره ، وعلى والدته الصالحة العالمة ، خديجة بنت المختار بن عثمان ، وتوجه إلى المشرق وهو شاب على طريق الغرب برًّا ، ثم نزل من مراكش إلى الجديدة ، فركب فى البحر إلى طنجة فأصابه الميد الشديد ، فعزم أن يحجّ برًّا ، وفعل ذلك ، ولمّا نزل فى طنجة

توجه إلى مكناسة فى غالب ظنى ، فقد أخبرنى بعض شيوخ مكناسة الزيتون حرسها الله ، أنه دخل عليهم فى زاوية سيدنا الشيخ أحمد التجانى رضى الله عنه ، وبات معهم ، فسألوه عن طريقه ، فأخبرهم أنه رافق رجلا ودخلا مكناسةَ ،وترك عنده كتبه ، وفيها أربعون ريالا ، وهو لايعرف اسمه ولا أين نزل . قال فقلنا له: إن الكتب والدراهم مضت لسبيلها ، فقال لايكون ذلك ، فإنى قد حصّنتها بآية الكرسى . قال : فبينا نحن وقوف على باب الزاوية من الغد ، إذا بالرجل مارًّا ، فقال هاهو رفيقى ، فوجد عنده الكتب بحالها ، قال فتعجبنا من ذلك ، ووجد فى الزاوية سيدى العربى بن السائح الرباطى ، ووقعت بينهما محبة زائدة ، وهو الذى أحيى منظومته « منية المريد » بشرحه لها المسمى « بغية المستفيد » . قال بعد نسبه إياه :

وكانت له اليد الطولى فى العلم ، وخصوصاً فى فنّ السير والفقه والأصول والبيان والنحو والتصريف واللغة والمنطق والعروض وأشعار العرب وأيامها ، وغير ذلك من الأشعار والنوادر . وأما التصوّف ، فقد رزق من الذوق الغريب فيه مايشهد له بالتقدُّم التام ، وستقف فى نظمه هذا على بعض الرشحات والدقائق ، التى تحارُ فى دركها الأفهام ، مع إفراغه ذلك فى قوالب القواعد العلمية ، ستراً لما له مع الله تعالى من الأحوال الخصوصية ، وله نظمٌ فى أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وبنيهنّ منه عليه الصلاة والسلام ،وما لبناته من بنين و بنات أيضاً ، قرأناه عليه وكتبنا عليه من إملائه فى مواضع منه ، وكتب لنا بخط يده فى مواضع من هوامشه كذلك أيضاً ، وأذن لنا فى شرحه ، وقد قيدنا بحسب ماتيسر لنا فى الوقت . وله عليه شرح نفيس فى مجلد ، أبدع فيه غاية ، ولم يمكنا كتبه لاستعجاله له ، وله أرجوزة ، نظم فيها الوقوات للشيخ أبى المعالى إمام الحرمين رحمه الله تعالى ، وله رحلة ، التزم فيها ذكر من لقيه من الأعلام ، فى وجهته لبيت الله الحرام ، وابتدأ بأشياخه الذين قرأ عليهم ، كوالده ووالدته وغيرهما ، رأيتها عنده ، وقد كمل

منها محلد ، وذلك قبل أن يحتاز ببلاد الواسطة والجريد وتونس والبلاد المشرقية .

ثم قال بعد كلام تقدم بعضه فى ترجمة والده باب : وكان الناظم رحمه الله ، من أعاجيب الدهر فى الذكاء والفطنة ومكارم الأخلاق وحسن الشيم وعلوّ الهمة عن الخلق ، والتّجافى عن سفاسف الأمور ، مع ماهو عليه من الجدّ والاجتهاد فى طاعة رب العباد . وكان اجتيازه بنا بمكناسة الزيتون ، عام سبعة وخمسين ومائتين وألف ، ومكث عندنا ثلاثة أشهر ، صحبناه فيها وذاكرناه ، واستفدنا منه مانرجو الله تعالى أن ينفعنا به فى الدين والدنيا والآخرة . وكانت وفاته رحمه الله تعالى أوائل العشرة التى بعد الستين ومائتين وألف ، وذلك قبل وفاة والده بما يزيد على العشرة أعوام بالمدينة المنوّرة ، على مشرفها أفضل الصلاة والسلام. اه الغرض منه .

وحدّثنى العلاّمة عبد الجليل براده رحمه الله تعالى ، سنة سبع عشرة وثلاثمائة وألف بالمدينة المنوّرة ، ان له فى ذلك العام ستين سنة وهو متوفى ، وأبرز لى ورقة صغيرة فيها مقطعة من نظم صاحب الترجمة وقد كتبتها منه ثم ضاعت منى قبل أن أحفظها وأوّلها:

الدّهرُ يأتى بأفراح وأحـــزان ... وكلّ شىء على ظهر البرَا فانِ
والموت بئر جميع النـاس وارده ... ولاحبٌ فيـه يمشى كل إنسانِ
لو كان بالموت من عارٍ ومنقصةٍ ... ما ماتَ أحمد عالى القدرِ والشانِ
أو كان فى غـيره عز ومنقبـة ... ما عاش من بعـده يوماً فُلانانِ
قـلْ للذين هُما بموته شَـمَتا ... قد مات جاراً لطه خـير عـدنانِ

وهى أكثر من هذا ، وقال : إن أحمد المذكور ، كان صديقاً لصاحب الترجمة ، فشمت به اثنان من شنقيط ، كانا فى المدينة المنوّرة ، وكانا يحسدان صـاحب الترجمة . قال : ومدة إقامته بالمدينة سنه ، وتزوّج بها إحدى بنات أهل المدينة . وأخبرنى أنه مات ، هو وصديق له اسمهُ المختار ، فى يوم واحد ، ودفنا بالبقيع

رحمهما الله تعالى ، ولم أعرف المختار ولا أحمد ، الذى ذكرفى أبياته . وقد رأيت قصيدة رائية له عند العبد اللاوى الفاسى ، فكنت أريد أن أنسخها منه ، فوقع مانع منع من ذلك . وأوّل منظومته التى شرحها سيدى العربى بن السائح رحمه الله تعالى :

قال ابن باب العلاوىّ نسبه المغربىّ المالكىّ مذهبهْ
الحمد للجاعل الأوْلياء ورثة الكُمّل الأنبياءِ
والجاعل النبىّ خيرَ الانبيا وشيخنا أحمد خير الأوليا
حمداً يدومُ بدوام النعم على الخلائقِ وكل مسلم

﴿ الهادى بن محمد ﴾ ، المتقدّم ، وشقيق محمد المتقدم أيضاً . كان فقيهاً محققاً وخنذيذاً[1] مفلقاً ، رزق فهماً ثاقباً ورأياً صائباً ، أحد الرواة المتقنين والعُبّاد الناسكين ، كان موجوداً فى أيامنا هذه ، و بلغنا موته ونحن بدمشق ، سنة تسع عشرة وثلاثمائة وألف . وكان غاية فى الظرف ومعرفة آداب المجالس ، له اليد الطولى فى نسج الشعر ونظم الأزجال العامية ، وقلما تساويا عند شخص ، بل لابد أن يكون الشخص أتقن لأحدهما من الآخر . وكان الظلمة من قبائل حسّان يخافون من لسانه ، لأنه كان يذكر قبائحهم فى أزجاله فتحفظها العامة ، وكانوا يتأثرون منها أكثر مما لو كان نظمها بالشعر الحقيقى . فمن ذلك قوله فيهم :

مَذَ مِنْ وَخْشِ : فيشا يتْمَشّ مَاهُ آمْخَلّ شِ : ألاهُ امْخَلّ شَ

قوله مذ : أصله ماذا ، فساقها على عرف العامة هناك . والوخش : رذال الناس وسقاطهم وهى عربية خالصة . وقوله : ماه امخل ش : معناه أنه لايترك شيئاً . وقوله : ألاه امخل ش : أصله شاة ، وهو من عطف الخاص على العام ، وهذا النظم يسمونه كاف (بكاف معقودة) وضابطه أن يكون الشطران مختومان بحرف

(١) الخنذيذ : الشاعر المجيد ، وبعبارة المفلق ، وبعده الشاعر المطلق . ثم الشويعر . ثم الشعرور . ثم المتشاعر .

واحد بشكل واحد ، أعنى الأول والثالث ، وكذلك الأخيران ، أعنى الثانى والرابع ، وأقله أربعة أشطار كما تقدم ، ولا حدّ لأكثره .

مَـــذَ مِنْ عَـلَالْ مَعْـــدُودْ أَفْلِعْيَـالْ
افْكَلْ أَنْوَالْ اسْرَ مِنْ حَنْشَ
ماخَـــلّ سِرْوَالْ أُلاَ خَـلّ فَشّ

قوله مذ : أصله ماذا كما تقدّم ، وعلال : فعّال من العل ، يعنى أنه يحلب نوق الناس بعد أن تذهب للرعى من عند أهلها ، وهذا عندهم وصف فى غاية الذمّ ، ومعنى معدود افلعيال : أنه كلّ على الناس ، فيعدونه فى عيالهم ، وافلعيال : أصله فى العيال ، إلا أنا كتبناها على مايتلفظون به ، ولأنّ بحرَهم الذى ينظمون فى ميزانه لا يصلح فيه إلا هكذا ، لأنا لو قلنا فى العيال ، ينكسر الوزن فى اصطلاحهم ، إذا المعتبر عندهم فيه قدر المتحركات ، ولا يبالون بالسواكن قلّتْ أو كثُرت ، وكذلك لا يعدون الهمز المتحرك الواقع فى أوائل الأشطار ، ويسمون المصراع تافلْويتْ ، وما أدرى اشتقاقها ، وهذا يسمونه طلعة ، وضابطها أن تكون على ستة أشطار ، ثلاثة هى الأولى على روى واحد ، وبعدها واحد على روى آخر الكاف الذى تقدمها ، وبعدها شطران أحدهما مساو للثلاثة التى تقدمته ، والآخر على آخر ماقبله وهكذا ، وأقل الطلعة ستة ، كما تقدم ، ولا حدّ لأكثرها ، وقوله أفكل أنوال : أصله فى كل ، وأنوال عندهم تقال لبيوت من الشعر غير كثيرة ، وقوله : أسر من حنش : أصله أسرى ، أى أكثر منها سرى ، أو حَنْشَ هى الحية الأنثى ، ومذكرها إحْنَشْ عندهم ، وهذا غير المعروف فى لغة العرب ، لأن الحنش تقال للذكر والأنثى من الأنواع التى اختلف فيها عندهم ، ومعنى ماخل : ماترك ، وسروال : هو المعروف عند المشارقة أيضاً ، مع أن الصحيح سراويل ، وهو مفرد ملحق بالجموع ، وقيل : هو جمع ، ومفرده سروالة ، وأنشدوا عليه قوله :

عليه من اللؤم سروالة وليس برق لمستعطف

ومنها :

مافـــم أتمغفير وبلاخيـــم أكبير
أنشوف البنـــدير من عزت لعش
يوكل لـين الخير يبـــــك يدش

قوله : فم ، أصله ثم . وهى لغة معروفة فى ثم ، وليست دخيلة ولا عامية ، وتمغفير : معناه التخلق بأخلاق بنى مغفر ، قبيلة كبيرة ، وهذه التسمية تطلق على كثير من القرارزة ، كما يقال : تمعدد الرجل : إذا صار جسمه كأجسام بنى معد ، قال :

ربيتـــه حتى إذا تمـــددا وآض نهداً كالحصان أجردا
كان جزائى بالعصى أن أجلدا

وبنو مغفر : قبيلة كبيرة فى نواحى فاس ، وهم أخوال ملوك المغرب ، إذ أمهم أى ملوك المغرب ، السيدة خناثى بنت الشيخ بكار العالمة المشهورة ، ذكرها صاحب الاستقصا فى تاريخ المغرب الأقصا ، وذكر أن لها حواش فى هامش نسخة من كتاب الإصابة لابن حجر بخطها ، والخيم عندهم حسن السجية ، وقريب منه مافى التاج . قال وفى المحكم : هو الخلق ، وقيل سمة الخلق ، فارسى معرب . وتشوف ، بمعنى ترى ، والبندير عندهم بمعنى صاحب العظمة والكبرياء ، ولعش ، أصله العشاء ، ويوكل ، أصله يأكل ، وهذه اللغة هى الدارجة هنالك ، وهى صحيحة ، مثل أكد ووكد ويبك (بكاف معقودة) بمعنى يبقى ، ويدش ، بمعنى يتجشأ يذمه بالشره ، وبالجملة ، فقد أثر فيهم زجله ، أكثر مما لو كان نظم فيهم شعراً من أضراب ، قفانبك : لأنهم لا يفهمونه .

ومما اتفق ، أنه كان يوماً راكباً مقبلاً من جهة ، فرآه أحدهم وهو راكب أيضاً يقصده ، فعرفه قبل أن يقرب منه ، وكان تحت ذلك الراكب شىء من اللحم معلق ، فقطعه ورمى به خوفاً أن يراه عنده فيظنه ممن وصف ، وهذا الزجل يسمونه

الغناء ، و يسمون صاحبه مغنياً ، سواء كان عالماً أو جاهلا ، شريفاً أو وضيعاً ، وليس هو بمنزلة المغنى عند المشارقة ، فإن ذلك من يغنى للناس ليأخذ منهم أجره ، فإن هذا فى بلاد شنقيط ، لا يتعاطاه إلا طائفة يسمونها إيكاون (بكاف معقودة) ومفردهم إيكيو ، وعادة أولئك ، أن من يحب السماع يذهب إليهم فى بيوتهم فيغنونه ذكرهم وأنثاهم ، صغيرهم وكبيرهم ، لا يستحى بعضهم من بعض ، أعنى إيكاون ، ولهم أوتار يضربونها ولها أعصاب ، فإذا حرك أحدهم وتره ، علم الماهر من الحاضرين يضرب فى أى ظهر ، وهو مايقابل البحر الذى أنشده منه بيتاً يكون طويلاً أو بسيطاً ، أما الذى يطرب بصوته من غير هذه الطائفة ، فيسمونه نشاداً ، ويزعم أهل تلك البلاد ، أن إيكاون أصلهم يهود أسلموا ، ولم أر مايصحح زعمهم .

ولنرجع لصاحب الترجمة فنقول : إنه كان راوية لأشعار العرب ، عالماً بسيرة النبى صلى الله عليه وسلم ، ظريفاً لا تمل مجالسته ، ولا يسمع فى مجالسه إلا مايعلى الهمم ، ويحض على التقوى والدين ، ومن جيد شعره قوله يرثى الشيخ سيدى :

الأرضُ بعد الشيخ ثكلاً يالها ... قد زُلزلَتْ من فقْدِهِ زِلزَالَها
أنَّى لها تجدُ السُّلُوَّ وَرَاءه ... عزَّ السُّلُوُّ وَرَاءهُ أنَّى لها
يالِلْحَوائج والخطوبِ إذا دَهَتْ ... ذَهَبَ الْمُعَدُّ لهنَّ كان فيا لها
رُزْءٌ أصاب العالمين جميعَها ... أطفالها ونساءها ورجالَها
كهفُ البريَّةِ حاملٌ أعْبَاءها ... دون الورى ومصدّق آمالَها
غوثُ الأنام إذا السُّنون تتابَعَت [1] ... والأرضُ أصْبَحَ ماؤُها صَلْصَالَها
كم كاعِبٍ أو فارضٍ أو يافِعٍ ... أو عائل قَدِمَتْ إليه فعالَها
كم عصبة ضربت إليه جيادَها ... وَعِصَابَةٍ ضَرَبَتْ إليه جِمَالَها
تبغى حوائج من يديهِ كثيرة ... حطت لهنَّ سرُوجَها وَرِحَالَها

(١) التتابع : الإسراع فى الشر ، وأما فى الخير . فبالباء على الأرجح فيهما .

الواهبُ الجردَ العتاق وقد حَمَتْ قَصَبَ الرهان إذا تجول مَجالها
إنّ العَطِيَّةَ لا يَتِمُّ نفاذُهـا إلا وأَرْدَفَ بعدَها أمثالَها
دارٌ رأى إقبالها إدبارَها ورأى الورى إدبارَها إقبالَها

ومنهـا :

مَأْوَى الورى قطبُ الرحى مَنْ جاءهُ يَجِدَ الرّحى أبداً تحكّ ثِقالَها
ويجدْ كريمة شولهِ معقولةً بالباب قد خَضَبَ النّجيعُ عِقالَها
تخشى المساء أو الصباح سوامهُ فكلاهما انقظرت بهِ آجالَها
فالناسُ ينتجعونَ سَيْبَ يمينهِ لا سيفَها وسنانَهـا وبلالَهـا
كم ليلة أو بلدةٍ أحياهمـا بالذكرِ والحفرِ المفيض زُلالَها
لمّا رأى سُبُلَ الرّفاقِ مَضَلّةً عَمَرَ البلادَ وهادَها ورمالَهـا
منعَ البلادَ مِنْ أن تُصابَ بَبَيءٍ حتى أجارَ من الرُّعاةِ سَيالَهـا
وإذا العُداةُ مَعَ العُداةِ تقابلَتْ وضَعَ العُداةُ عن العُداةِ نبالَهـا
وحَمى جميعَ العالمين حِمايةً لَمْ تحمها أسد الشّرَى أشبالَهـا
لكنّما المولى رحيمٌ بالوَرى فالتحمّدِ المولى الذى أبقى لهـا
مَنْ كان وارث سِرّهِ ومقامِهِ حَذوَ الرِّجالِ على النّعالِ نعالَهـا
أتتِ الخلافَةُ مَرْبعاً قد طالمـا سَحِبتْ بهِ منْ قبلِ ذا أذْيالَهـا
وتَسنمتْ أرآمُهـا أرآمَهـا وتكنّستْ أطلاؤها أطلالَهـا

وهذا مابقى فى خاطرى منها وهى طويلة . ومن جيد شعره ، قوله فى موعظة ذكر فيها ثلاثة تجار من النصارى ، مشهورين بكثرة المال ، اسمُ أحدهم ويتْ ، واسمُ الآخر حجم ، واسمُ الآخر كزبار (بكاف معقودة) .

إجْعَـل جميعَ السّعى فى الإلهِ لافى التجـارَةِ ولا المَلاهِ
مُغتبطُ الدُّنيـا حَرِيٌّ بالنّدَمِ وغـيْرُ فاطِرِ السّما لم يَدُم

فَلْتَسْرَعِ العِبَادُ بالسِّباقِ ... لِرَبِّها الحَيِّ القَيُّومِ البَاقِي
فإنما الدُّنيا كَمَحْضِ العَدَمِ ... لاهِيَ بالبقا ولا بالقِدَمِ
عَنْ حِجَمٍ زَالَتْ وقَلَّ عَجَمِى ... وعَرَبِىّ فى الفنا كَحِجَمِ
بَعْدَ اشْتِرائِهِ لِكُلِّ عِيرِ ... عَدَلَ الخُلُودِ فى السَّعِيرِ
بَعْدَ اشْتِراءِ كُنْدَرِ الأغْلالِ ... أصْبَحَ فى القُيُودِ والأغْلالِ
خَلاَ قِلالَ الشَّهْدِ فى انْتِظامِ ... وهْوَ أعُوذُ بالإلهِ ظَامِ
وقَعَ فى عِظامِهِ العِظامِ ... تَزَلَّعُ اللَّحْمِ عَنِ العِظامِ
مِنْ قَعْرِهِ ولَجَّ فى الجَحِيمِ ... ولَمْ يَلِجْ فى رَحْمَةِ الرَّحِيمِ
ولَمْ تَفُزْ فِيما إليهِ صَارا ... يا وَيْحَهُ مَكائِدُ النَّصارى
حَلَّ بِهِ يا وَيْحَهُ الوَبارُ ... ويَقْتَفِى سَبِيلَهُ كَزْبارُ
قَبْلَهُما قَدْ هَلَكَتْ وبارُ ... وأُمَمٌ تَنَعَّمُوا وبارُوا(١)
لِباسُهُمْ لَمَّا مَضَوا غُبارُ ... ودَمُهُمْ إذ قُتِلُوا جُبَارُ
وأصْبَحَتْ مِنْ بَعْدِها الدِّيارُ ... وهْىَ يَبابٌ مابِها دَيَّارُ
لَمْ يَبْقِ بِيَقاً وهْوَ حَىٌّ مَيِّتُ ... فُلْكٌ ولا حُصْنٌ ولا كُمَيْتُ
ولا دَجاجَةٌ ولا حَمامُ ... لَمَّا عَلَيهِ أشْرَفَ الحِمامُ
يَرَى الخَنازِيرَ تُدَاسُ بالعَمَدْ ... مَا كانَ ذاكَ ظَنَّهُ طُولَ الأمَدْ
تَقْتُلُها أرَاذِلُ الرُّعاةِ ... وكانَ جَبَّاراً قَوِيًّا عَاتِ
كانَ القَتَادُ دُونَها والضَّالُ ... حَتى أتاهُ دَاؤُهُ العُضَالُ
تَبًّا لَهُ مِنْ مَعْشَرٍ أفْرَنْجِ ... يَلْعَبُ بالنَّرْدِ وبالشَّطْرَنْجِ
فَمالُهُ فى اللهِ دَمْعٌ ذَارِفُ ... شَغَلَهُ النَّعِيمُ والزَّخارِفُ

(١) قوله : قد هلكت وبار ، وبار قبيلة سميت بوبار بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام ، وقيل وبار بن أميم بن لاوذ بن سام المتقدم ، ولما أهلك الله هذه القبيلة ، أسكن الجن فى موضعها ، فلا يسكنها غيرهم ، وهذا أصح ما قيل فى وبار ، وباروا الأخيرة فعل ، ومعناه هلكوا .

مَنْ لاحَظ الأشْيـاء فى المـآل وجـدَها معدومَةً كالآل
مَنْ لَزِمَ الدُّنيـا وَرَبَّ زَمْزَم لَزِمَ مالزُومُهُ لَمْ يَلزَم

وكان تَرَكَ الشِّعْرَ رحمهُ الله ، قبل موته بمدَّة . وقال فى ذلك :

مَنْ بصَوْغ الشِّعْرِ أصْبَحَ مولَعاً فالمرء يُسْئَلُ عَنْ مَقاصِدِ شِعْرِه
فَلْيَذْكُرَنّ المرء عِنـدَ سُؤالِه وليذكُرَنّ قِيامَهُ من قَبْرِه
هَذى الثلاثةُ لاارْتِحـالَ وَراءها فَطَوَيْتُ رَقَّ الشِّعْرِ خيفَةَ نَشْرِه

قوله : فليذكرن المرء الخ . المرء فاعل ليذكرن ، وقوله عند ، ظرف توسع فيه فنصبه على المفعول به ، ليذكرن . والمعنى : أن المرء إذا تذكر ذينك الوقتين ، ينبغى له أن لا يشتغل بغير ما يجدى عليه نفعاً هناك .

﴿ حرم بن عبد الله ﴾ : المعروف بِلِـكْنِيزْ بن عبد الله بن عثمان . يجتمع فيه مع باب المتقدم ، و باقى النسب هناك ، فقيه ورع متواضع نحوى سليم الذوق ، يتدفق ذكاء وفطنة ، تطربه الأشعار الحسان . وكان فى زمننا هذا رحمه الله ، ولم تشتهر له قصائد كبار ، وإنما له مقطعات حسان ، ولم يعلق بخاطرى منها الآن إلا أبيات ، كتب بهـا إلى أبناء أحمد بن أعمر أكداش (بكاف معقودة ودال بعدها ألف وشين ، بطن من بنى أعمر أكداش) وكان شاعرهم المشهور ، المختار ابن المعلى ، قال قصيدة يمدح بها العلويين ، تشتمل على ثلاثة بحور ، فأجابها شاعر العلويين ، أبَّدّ بن سيدى أحمد بن محمود بن أخى أبَّدّ المتقدم ، بقصيدة تشتمل على عشرة بحور ومطلعها :

دُرَرُ البهاء رَمَى بِهِنّ غَطَمْطَمُ حارَ البليغُ بِهـا فَبالَغَ طِمْطِمُ

فأجابها ابن المعلى بأربعة أبيات ، تقرأ فى كل البحور أوجلها ، فردعليه أبَّدّ ببيتين يقرآن فى كل البحور ، وساقا هذا الشعر فى معرض المدح ، وإنما المراد به التعجيز لما بين الحيين من المنافرة القديمة ، ولم يزل هذان الشاعران موجودين فيما أظن ، أما أبَّدّ ، فمن تحقيق ولله الحمد . فقال حرم المذكور :

أبنى أحمد بن أعمر كنتم لمن أغترّ مأمناً وربيعا
إن يكن من صنيعكم أن رفعتم عالىَ الناس فوقكم والوضيعا
لايضرّكم ذاكم فأنتمُ الأعلَوْ نَ أتضعتم تأدّباً وخشوعا
ضَمنَ البرُّ والتُّقى لكم أن لاتزالوا فوقَ الأنامِ جميعا
فى مكانٍ لايطمعُ الناس فيهِ وكفاهم ما دونهُ ترفيعا
فسامیكم والمسابقُ كابٍ قاصرٌ عمّا لم يكن مُستطيعا
فدعُوا عنكمُ التأنقَ فى المدْ حِ والإعجاز فيهِ والتنويعا
ليس بعد النور المنزل إعجا زٌ فما الحُسْنُ بعدهُ ممنوعا
وعَليكم منّا السّلامُ سَلامٌ كشذَا المِسْكِ بعدَ هَدْءِ أذيعا

﴿ محمد الحسن بن محمد ﴾ : عبد الجليل بن الحسن بن الأمين بن الحاج . يجتمع فيه مع حرم الذى تقدمت ترجمتهُ فى أوّل الكتاب ، ومع غيره ممن تقدم فى الطالب ، و بقية النسب واحدة ، نحوى متقن ، وفقيه متبحر ، راوية لأشعار العرب ، مكب على المطالعة ، جواد الكف ، حسن الطباع ، تقىٌّ نقىٌّ ، رحم الله روحه الطاهرة .

طلب النحو على سيبويه تلك البلاد من غير دفاع ، أستاذنا يخطّيه بن عبد الودود ، أطال الله حياته ، ثم على خليلها ، محمد عالى بن سيدى بن سعيد ، والفقه على أهل محمد سالم المشهورين هناك بهذا الفنّ . وكان رقيق الشعر ، سهل العبارة ، أمون من الغلط ، كأنما الشعر فى جيبه ، يأخذ منه فى أى وقت شاء ، مع قلة ماحفظت له ، لزهد الناس فى معاصريهم ولعمرى إنها لبلية .

ومما فى ذهنى من شعره بعض أبيات ، كتب بها إلى شقيقنا محمد سالم رحمه الله ، وكان صديقا له يسأله إعارة التصريح على التوضيح :

منى سلامٌ إلى ذى المجد السام محمد سالم الأعراض من ذام
فإننى أرتجى التصريح عارية من راحتيهِ مدى عامين أو عام

وله من قصيدة ، يمدح بها أحمد ابن أبى محمد ابن عَبِيدٍ أمير أدرار ، وقد ضاع منى أولها :

أميرٌ فارسٌ بَطَلٌ جَوادُ خَليفةُ فارسٍ بَطَلٍ جوَادِ
وغيثٌ لا يملّ إذا تمادى وكان الغيثُ يسأمُ بالتمادِ
وبحرٌ ترتوى منهُ الرّوايا بما يشفى الغليلَ لكلِّ صادِ
شرابٌ إن أتوهُ بلا شرابٍ وزاد إن أتوه بغير زادِ
لنعم الجلد أنت إذا تبدّتْ نواصى الخيلِ مقبلةً بدَادِ

وبداد : حال ، وقعت معرفة ، وقد نص عليها فى كتب النحاة ، فهى من الألفاظ المسموعة من العرب ، لكن لا يقاس عليها مايشابهها . ولهُ من أبيات يقولها فى المشاعرة ، التى تقدم ذكرها ، فى ترجمة الذى تقدمهُ ، وقد ضاع منى أوّلها :

فإنْ تلكُ الأزْمُنُ النسوانُ نيطَتْ عليها من مآثركم رِعاثُ
قد أنبتّتْ مناقبُكم وشاعَتْ كما فى الناس للمثلِ أنبتاثُ

ومن طريف أخباره ، أنه كان مع العلاّمة المتقن ، ولىّ الله أحمد بن محمد ، فى حىّ ينتجعون المراعى بإبلهم ، فوصل إليهم مكتوب من العلامة الشهير ، صاحب القدر الكبير ، الشيخ سعد أبيه ابن محمد فاضل ، أخى الشيخ ماء العينين ، فيه أبيات من الرجز ، وكتب قبلها أسطراً من النثر ، معناها إن هذه كرامة أكرمنى الله بها ، ولا يقدر عليها أحد ، وكانت تلك الأبيات من الحروف المقطعة ، فأخذ هو تلك الأبيات ، ونظم اثنى عشر بيتاً من الحروف المقطعة ، فيما بين الظهر والعصر ، وكتب بها إلى الشيخ المذكور ، وكتب إليه فى مقدمة الكتاب إنى لست ولياً ، ولا من أهل الكرامات ، وها هى الأبيات ، لم يتخلف عن ذهنى منها إلا بيت واحد ، وهى فى مدح الشيخ أحمد بن محمد المذكور :

أرَأى زَوْرَهُ دَوَاءَ أوَارِ ذُودوَى زَارَ أدْوُرًى وأوارِى[1]

(١) زوره : زيارته . والأوار : كغراب شدة العطش . وذودوى : ذومرض وهو فاعل أرأى . وأدؤر : جمع دار ، مثل نار وأنؤر ، وهما ، غير مقيسين لاعتلال عينهما . والأوارى والأواخى واحد ، وهى التى تحبس بها الخيل .

آلُ أرْوَى أوْدَى وَرَاءَ رَدَاحٍ دُورَهُ أرْيُ وَادِقٍ وَذَوَارِ (١)
وَرِئَالٌ إزَاءَ دَوْحِ أرَاكٍ وَأرَاوٍ وَرَدْنَ دُونَ أزْوِرَارِ (٢)
وَدَعِ أذْ ذَاكَ وِرْدَ دُرَّسٍ دُورٍ أجَّ دَاءَ أرَبٌّ دُونَ إزَارِ (٣)
وَإذَا ذُو وُدٍّ أرَادَ أذًى دَعْ وَأزِلْ وِزْرَهُ وَوَاسِ وَوَارِى
وَإذَا زَارَهُ وَرَاءَكَ وَاشٍ رُمْ وِدَادًا وَدَاوِ ذَاكَ وَدَارِى
ذَادَ دَاءَى أنْ زرتُ ذَا أدَبٍ إذْ زورُهُ رَادِعٌ إذَا أوْزَارِى
وَرِعٌ رَاقِ ذِرْوَةَ وَاقِ أرْوَا حَ ذَوِى ذُلِّ وُرِّدٍ زُوَّارِ
وَرَدَتْ وَارِدُوهُ آذِيَ رَامٍ دُرَرًا زِنَّ دَارَةً وَدَرَارِ (٤)
أرَؤفٌ ذُدْ وِرْدَ وِزْرِىَّ وَأرْأفْ ذَارِءِى إذْ أرَاكَ أرْأفُ ذَارِ (٥)
وَأرْأبَ أرْ آبَ ذَا وَدَاوِ أذَاهُ وَأزِلْ وِزْرَهُ وَوَارِ أوَارِ (٦)

﴿ إجْدُودْ ﴾ : واسمه عبد الوهاب بن اكتوشن بن السيد العلوى . يجتمع مع الذين فى أوّل الكتاب فى أبيج ، وبقى نخذه بالنسبة إليه دون إخوتهم .

---

(١) قوله : آل أروى : أى أهلها . وهو مبتدأ ، والجملة بعده خبره . وأودى : بمعنى أهلك . ورداح : عظيمة الوركين . ودوره : مفعول به لأودى ، وإنما أفرد الضمير فى دوره لأن الآل اسم جمع ، وليس جمعا . والوادق : المطر . وأراد به : صبه الماء شيئاً بعد شىء . وذوار : جمع ذارية . وهى الريح التى تذرى التراب .

(٢) قوله ورئال : هو جمع رأل ورألة . وهو ولد النعام . ودوح : جمع دوحة . وهى الشجرة العظيمة . والأراك شجر معروف . وأراو : جمع أروية . وهى أنثى الوعول . ووزن أراوى أفاعيل . والأكثر أروى . وقيل : هو للجمع . والازورار : الميلان .

(٣) دع : بمعنى أترك . وأج : أوقد . وأرب : أقام .

(٤) قوله آذى رام ، الآذى : الموج الشديد . ورام : صفة لمحذوف . أى بحر رام ، ودررا : مفعول به لرام . وزن : حسن . ودارة القمر : معروفة . والدرارى : هى الكواكب الخمسة السيارة .

(٥) قوله وأرأف : أى ياعطوف . وذارئى : أى مصلحى ، مأخوذ من ذرأ الأرض يذرأها . لأنه كان شيخه . وأرأف : أعطف . وذار : أصله ذارء .

(٦) قوله وأرأب : أى أصلح ، وآراب : جمع إرب بالكسر ، وهو العضو ، أى أصلح ما فسد منى .

عالم نحرير ، اشتهر علمه فى تلك البلاد ، وله صيت حسن فى قبيلته وفى غيرها . وطلب عليه كثير من الزوايا ، مثل تاكنيت (بكاف معقودة) وأولاد أبيير وغيرهم ، واشتهر بالفقه واللغة والنحو ، ووقعت بينه وبين باب بن أحمد بيب المتقدم ، مخالفات فى مسائل فقهية ، وانبنت عليها وحشة بينهما زمانا . وكان أهل بيته أكثر العلويين كتباً ، وكانت تحت يد باب جملة من كتبهم ، فأخذها منه بسبب ماتقدم . ثم إن باب أكبّ على شراء الكتب ، بأيّ ثمن طلب صاحبها ، وأستجلب النساخ من الخارج ، فما مرّ بضع سنين عليه ، إلا وهو أكثر منهم كتباً وكان يقول : جزى الله عنى إجدود خيراً ، لأنه لمّا أخذ كتبه ، أحدث ذلك فيه همة بتحصيل الكتب حتى صار أكثر منه . ثم إنّ إجدود رجع عن تلك المسائل التى كان يخالف فيها باب ، ولها مشاعرة فى ذلك ولم أحفظ منها شيئا ، ولم أحفظ لأجدود غير قوله فى الغزل :

كأنّ الدّلال على خدّها جفاح غراب على سوسنم

وسو : بمعنى سواء . والسنم : الموضع المرتفع .

وقال يرد على أحمد بابا التنبكتى صاحب ذيل الديباج . وكان يقول : إن الفاعل يجب أن يخصص بإحدى مسوّغات الابتداء :

وقول من يستوجب التخصيصا بفاعل ليس يرى منصوصا

وإن يكن أحمد بابا قد جزمْ به فما تخصيصهُ بملتزمْ

مثل قوله تعالى ﴿ أن تقولَ نفسٌ ياحَسْرَتا على مافرَّطتُ فى جنْبِ اللهِ ﴾ وله بيت أستدراك على مايقال ، إنّ أحد العلماء سأل أبا الطيب المتنبى : كم من الجموع ورد على فعلى ـ بكسر فسكون ـ فأجاب على البديهة : ظِرْبيَ وحِجْلَى ، قال ذلك العالم : فسهرت ثلاث ليال أفتش الكتب ، فماوجدت لهما ثالثا . و بيت أجدود :

وثالث اللفظين لفظ يعزى إلى الدماميني وهو معزى

وهذا وارد فى أشعار العرب . قال امرؤ القيس :

ألا إن لم تكن إبل فمعزى كأنّ قرون جلتها العصىُّ

وقال الآخر :

بتنا بحسان ومِعزاه تَئِط مازالت أسعى بينهم وأختبِطْ
حتى إذا جنّ الظلام واختلطْ جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قطْ

﴿ محمد محمود بن أكتوشن ﴾ أخو الذى قبله : وهو فقيه مشهور وعابد مذكور ، ماوقفت له على شعر يذكر ، إلا قصيدة يرثى بها باب بن أحمد بيب المتقدم وهذا مطلعها :

سهم المنون رمى به فأصابا حسن الخليقة والمحامد بابا
ياحاسدون إذ السنون تتابعت ومن الشماتة نابكم مانابا
لا تحسبوا أنا أصبنا وحدنا كلّ الورى أضحى بباب مصابا
سل الآىَ والخبر الصحيح كليهما والفقه والتاريخ والأنسابا
والفُسْلَ فى ظُلَلِ الشقاءِ كأنهُ مامَسّ قطّ براحَتَيْهِ تُرابا

وجواب الأمر فى عجز بيت ضاع منى أوّله ، وهو :

* تُخْبِرْكَ باكية عليه جوابا *

﴿ سيدى محمد بن سيدى عبد الله ﴾ بن الحاج إبراهيم المتقدم ، عالم محرر ولغوى شهيرٌ ، من نظر إلى قوله المسدَّدْ ، علم أنه كما قيل : هذا الشبل من ذاك الأسد ، ومن آثاره الحميدة ، ومصنفاته المفيدة : نظمه سواطع الجمان ، وشرحه نجم الحيران ، وقد نسخت منه نسختين بيدى ، أعطيت إحداهما لبعض أقاربى ، وتركت الأخرى فى كتبى ، وما أدرى مافعل الله بها ، ماترك شاذّة ولا فاذّة فى نظمه هذا وشرحه ، إلا جمعها ، وهو فى الأفعال جمع مافى التسهيل ، ولامية الأفعال ، كلاهما لابن مالك ، وقد احتوى على أكثر مما فى شرح بحرق اليمانى المعروف هنا بالحضرمىّ ، وناهيك به ، ولم يحضرنى الآن شىء من ذلك النظم ،

ولصاحب الترجمة منظومة ، يكفر بها أبناء حسان على ما أداه إليه اجتهاده ، وقامت عليه الأدلة عنده ، وهى :

حمداً لمن رفع جهلَ العالمينْ ... وكفرهم ببَعْثِ خَيْرِ الْمُرْسَلين
مبشراً ذوى الصلاح والهدى ... ومنذرًا من حادَ عنهُ واعتدىٰ
صلى عليهِ الله مانيلَ الأرَبْ ... وما أرادَ المكسَ ظالِمُ الْعَرَبْ
وبعد ذا إنَّ بنى حَسَّانِ ... فى منتهى الضلالِ ، والخسرانِ
لم يسأموا ظلماً وفسقاً جهرا ... بل هم فَرَاعِينُ الْبَرايا طُرًّا
والبعض منهم مؤمنون مسلمونْ ... مثل أبن باهَ[1] والكثيرُ كافرُونْ
ففعْلُهُمْ دَلَّ عَلَى إنكار ما ... وجبَ الإيمانُ به فالتعلما
لو أيقنُوا السؤالَ والحسابا ... يوم الجزا ماظلموا ذُبابا
وقد روى الندب أبى الخير الهمامْ ... عن مالكٍ إمامنا خيرِ إمامْ
تكفيره قوماً يقومون الصلاهْ ... وهم يصومون ويؤتون الزكاهْ
ويظلمون وألاءِ تَركوا ... تلك الثلاثَ والخنا لم يتركوا
فالجل بالخنا مصرحونا ... ومنهمُ قوم منافقونا
يسبحون يركعون يسجدونْ ... وَيفْعلُون بالورى مايَفْعلونْ
بل هم شرارهم وليس يعلمونْ ... واللهُ عالِمٌ بما هم يكتمونْ
وضابط النفاق عند من دراه ... إظهار الإسلامِ وإضمارُ سواه
كما ترى فى بعض هٰؤلاءِ ... فاُحكم بكُفْرِهِمْ بلا امْتراءِ
وزادَهمْ فى ذا بُغَيْضُ الطلبهْ ... لا غفرَ اللهُ لهُ ما أرتكبهْ

(١) ابن باه هذا : أحد قبيلة ادعويش . وكان والد الناظم ينهى أميرهم عن الامكاس التى يأخذ منهم . فاحتج عليه بأنهم ليسوا مسلمين حقيقة ، فأراد أن يثبت ماقال ، فأخذ ناقتين غصباً من طالب ، وادعى أنهما له ، وحاكم صاحبهما إليه ، فألزم الأمير الشهود ، لأن الغالب أن مثله لايجسر مثل ذلك الطالب على ظلمه ، فشهدت له كل قبيلته إلا ابن باه ، فإنه شهد أن الناقتين للطالب لأجل القرينة .

والفرس منهم عندنا غير صواب ... لأنّ خبثَ الماءِ من خبث التراب
وجاء فى المَثَل عنهـــم طرًّا ... لا يَلِدُ الشَّهَـابُ إلا الجمرا
أما نـكاحُهم فليس بنكاح ... وإنمـــا هو سِفَادٌ وسِفاحْ
والله قال والذى خَبُثَ لا ... يَخْرُجُ إلا نـكِداً فامْتَثِلاَ
أما الذى حازوا من أمْوَال الأنام ... فبعضُهُ حِلٌّ وَبعضُهُ حَرَامْ
وقيل بل حل وقيل بل حَرَامْ ... واُجْل خذه دون إذن والسلام
تمّ مـكفر بنى حَسَّـــان ... والحمدُ للهِ على الإحســـانِ

﴿ العَمُّ بْنُ أحْمَدُ قَالْ ﴾ : بن أحْمَدْ بن عَمّ ، ويقال له : لِعَمَيْم ، وبه اشتهر فى قبائل تَنْدَغ ، ومن بجوارهم ، يجتمع مع أكثر من تقدم فى أبيج ، كان شاعراً مقتدراً على نظم الشعر فى أى روىّ ، وعلى أى أسلوب ، مع رقة ألفاظ وانسجام ، وكان ممن جمع بين الشعر والأزجال على حدّ سواء ، ويكفيه أنه ساجل محمد بن هدار الأحراكى ، وكان غاية فى ذلك الفن فـكاد يغلبه ، ثم إنه أسر إليه وقال له : لا تفضحنى فى هذه البلدة ، فإنى لا أعيش إلا باعتقاد الناس أنى منفرد فى هذا الفن ، فقال فيه مايدل على تقدمه عليه .

وكان من أفراد عصره فى معرفة البيان ، وله يد فى النحو والفقه ، وأكثر من أخذ عنه ، العالم النحرير أحمد بابا التندَغى ، وَاتفق أنه أنشد بيتين لنفسه ، فبلغه أن أحد الأدباءِ اُدّعى أنه اشتراهما منه بثمانية أبيات ، فقال :

أخـيراً هاجَكَ البَرْقُ اليمانى ... وَتَذْكارُ المَعَـاهِدِ وَالْمَغَانَ
مَغَانٍ طَالَ لَهْوُكَ فى رُبَاهَـــا ... بِآنِسَـةٍ مُخَضَّبَةِ الْبَنَـــانِ
إذَا بَرَزَتْ تَبَخْتَرُ بَيْنَ بيض ... حِسَانٍ يَنْتَمِينَ إلى حِسَـانِ
يُخَلْنَ إذَا بَرَزْنَ نِعَاجَ رَمْلٍ ... لدَى نَخْـــا جَآذِرِهَا حَوَانِ
تَخَـالُ الْفَرْعَ لَيْلاً وَالْمُحَيَّـا ... سِرَاجاً وَالْقَوَامَ قَضِيبَ بَانِ
فبينا تنشدُ الأشْعَـارَ قَصْراً ... وَنأْخُذُ فى المقـايِسِ وَالْمَبَانِ

وننحو النحوَ والتصريفَ طَوْراً وأطْواراً نميلُ إلى البَيَانِ
إذا بفَتًى يَقُولُ شَرَى فُلَانٌ بِذِى الأبْيَاتِ ذَيْنِكَ مِنْ فُلَانِ
فقلتُ وَهَلْ صَدَقْتَ فقال قَوْلاً لَعَمرُ اللهِ ليسَ بمُسْتَبَانِ
فقلتُ سَلِ الصَّحَابَ فَلَسْتُ أُصْغِى إلى أقْوَالِ ذِى الجدَلِ الْمُعَانِ
أليس الشعرُ طوْع يَدِى وقابى وَسَهْلَ الصَّوْغِ وَيْكَ عَلَى لسَانِ
أَصُوغُ البيتَ مِنْهُ بلا عَرُوض على أقْوَى وأقْوَمِ الأَوْزَانِ
وَأَنْفِ اللَّحْنَ والتَّعْقِيدَ عَنْهُ بِذَوْقِى والقَرِيحَةِ وَالْجَنَانِ
وَأَرْتَقِبُ الْمَحَاسِنَ من بعيدٍ وَأَقْتَنِصُ الشُّرُودَ مِنَ الْمَعَانِ
فأَكْسُو اللفْظَ بالأفكارِ حَلْيًا يُذَمُّ له الثمينُ مِنَ الْجُمَانِ
فلم تَحْسُنْ مُشاعرَتى لمَنْ لا لَهُ بِمَدَى مُشَاعَرَتى يَدان

وقال أيضاً : وكان نزل بدكانه (بكاف معقودة ، قرية لفرانس على شاطىء بحر يقال له أبجك ، بألفٍ وباء وجيم وكاف معقودة) وهو نهر يقرب من نيل مصر ، وهذه القرية معدة للتجارة مع العرب ، وأكثر ما يباع فيها العلك المعروف عند المشارقة بالصمغ ، وكلاهما لغة صحيحة ، ومن عادة أهلها أن صاحب العلك يفرش له ويقرى ، اعتناء به ، أما غيره فلا يلتفون إليه ، وأبياته هى :

أمَا واليَعْمَلاَتِ منَ المَطايا ومكنونِ المحاسنِ منْ حَذَامِ
لِمِنْ رَيْبِ الزمان ومُعْتَدَاهُ مُقَامِى فى دَكان بلا مقَامِ
كأنى فى المحَافلِ واوُ عَمْرو وهَمْزُ الوَصْلِ فى دَرَجِ الكلام

وهذا المعنى أخذه من قول القائل :

أيها المدّعى سليما سفاها لست منها ولا قلامَةَ ظُفرِ
إنما أنت فى سليم كواو ألحقت فى الهجاء ظلماً بعمرو

لكنه زاد عليه همز الوصل فى درج الكلام ، وكساه رونقاً بسلاسة ألفاظه .

ومن نظمه :

ضُحَى زُرْت الحبيبةَ لا فقالَتْ مَتى تسعى وهَلْ لكَ من رُجُوع
فلمْ يَسْطعْ إجابتَها لسانى فبادَرْتُ الإجابةَ بالدُّموع

قوله ـ لا ـ معناه قدر ـلا ـ فلا ، هنا ظرف ، وهذا المعنى أخذه من قول ذى الرّمة :

تريك بياض لبتها ووجهاً كقرن الشمس أفتق حين زالا
أصاب خصاصة فبدا كليلاً كلاَ وانفَلَّ جانبُهُ أنفِلالا

أى ، فظهر بقدر مايقول القائل لا . ومن نظمه قوله :

سَتُدْنِينى اليومَ منْ نُزْهَتى أمَيْمَةَ ذَاتِ الهوى الخالدِ
ثلاثٌ تُقَرِّبُ ما قدْ نأى زمامى ورَحْلى وذو الشّاهِد[1]

وسافر من بلده ، إلى الأمير أحمد بن الحاجّ عمر الفوتى فى سَيْكُ (بكاف معقودة مضمومة من أرض السودان) فحظى عنده ، وله فى مدحه قصيدة ميمية سمعتها وهى فى غاية الحسن ، ولم أحفظ منها شيئاً . وتوفى هناك فى صدر القرن الرابع عشر بجدرىّ أصابه رحمهُ الله . وله من أبيات :

سلا خِلّى سالبتى سَلاها لِمهْ سَلَت الفؤادَ وما سَلاها
سلا عن كلّ فاترة رَداح من البيض النّواعم ماخلاها

﴿ فتَى بْنُ الْحَاجْ ﴾ : بن سيدى أحمد لِخَلِيفَ بن الفغ سيدى أحمد ، يجتمع فيه مع محمد المتقدم ، و بقية النسب هناك : فقيه متقن ثاقب الذهن ، مدرك لدقائق الفقه ، مع فصاحة لسان وحسن أخلاق ، وهو ممن أدرك أوائل القرن الرابع عشر. وكان العلاّمة عبدالرحمن بن محمذ فال (بذال معجمة) حكم فى قضية بين بنى باب أحمد ، و بنى سيدى الفال : بطنين من بنى ديمان ، فنقض فتى المذكور حكمه ، و بين خطأه فى المسألة ، فبعث إليه بقصيدة ميمية ، فردّ عليه بأخرى مثلها . وقد رأيتهما

(١) ذو الشاهد : اسم جمل لصاحب الترجمة .

وهما فى غاية الحسن ، إلا أنى ماحفظت منهما شيئاً لضيق الوقت ، ثم بلغه بيتان ضاديان ، من قصيدة لعبد الرحمن المذكور وهما :

تعلم شروط النقض يامولعاً به ... ولا تُبْقِ منها إنْ هممْتَ به بَعضا
ولا تحسبنّ النقض لفظ نقضتهُ ... فما كلُّ حُكم شيد يستوجبُ النقضا

فقال فتى المذكور :

تَعلّمْ شرُوطَ الحكم يامُوَلَعاً بهِ ... ولا تُبْقِ منها إن هَمَمْتَ بهِ بَعْضا
وَلا تَقْضِ إلا ذَاكِراً أن للقضا ... عَلى الخَلْقِ والخَلّاقِ فى مَلإٍ عَرْضا
فما كُلُّ تَسْجيلٍ لقَوْل مُسَجّعٍ ... تضمّنَ لفظاً الحُكمَ يَسْتَوْجِبُ الإمضا
وما كان لَفْظى قَدْ نَقَضْتُ وإنهُ ... أرَىٰ نقضَهُ حَتماً عَلى أهْلهِ فَرْضا
نَعَمْ كلُّ حُكمٍ كان مِنْ غيرِ حاكِمٍ ... ولا ثابتِ التّحكيمِ يَسْتَوْجبَ الرَّفْضا
ولا يستقيمُ الحكمُ من غيرِ ذَيْنِكم ... ولا سِيما إنْ بَعْضُهُ أكْذَبَ البَعضا
ومَنْ أرْسَلَ الأشْعَارَ نحوى نَدَامَةً ... على ما أتاهُ عَضّ إصْبَعهُ عَضا
أجازِيهِ إنْ لم يَلْقَ مِنى تَحلُّماً ... قَوافىَ تُفْنى اللّحْمَ والعَظْمَ والعِرْضا
قَوافىَ تُبقيهِ نُمَيْرَ بنَ عَامِرٍ ... وتَتْرُكُ ماقدْ كان مِن رَفْعِهِ خَفْضا (١)
قَوافىَ لا المُحْتالُ يَستطيعُ صَرْفَها ... بحَوْلٍ ولم يَسْطَعْ قَوِىٌّ بها نَهْضا (٢)
قَوافىَ لا تَنفكُّ عُرْضةَ مِذْوَدِى ... وتأبى الذى يأبى وترْضى الذى يَرْضا
وكُنْتُ معمًّى مُخْوَلاً فى أرْتجالِها ... وقِدْماً عَلَيْها بالوِلايةِ لى يُقْضى (٣)
وقُلْكَ ياذا ذو اللّسانَيْنِ هابَنا ... وأغْضى حَياءً مِنْ مَهابَتِنا غَضّا (٤)

(١) قوله : تبقيه نمير بن عامر . نمير هذه ، كانت إحدى جمرات العرب ، وكانوا إذا سئل أحدهم عن نسبه . قال : نمير بن عامر وشمخ بأنفه ، فلما هجاهم جرير بقصيدته المعروفه بالدامغة ، صار أحدهم إذا سئل كتم نفسه ، وقال : عامرى . من غير ذكر نمير .

(٢) قوله يسطيع صرفها : أصله يستطيع ، وهذا الادغام شائع .

(٣) قوله : وكنت معمى مخولا : يجوز فيهما أن يكونا بصيغة اسم المفعول ، أو بصيغة اسم الفاعل ، والأول أكثر .

(٤) قوله : ذو اللسانين هابنا : يعنى أبا فين المجلسى ، يشير إلى فراره من ابن رازكه المترجم فى أول الكتاب ، وكان فر خوفاً منه ، وسيأتى بيان ذلك فى ترجمته .

وَوَالِدُكَ البَرُّ الأجلُّ يُجِلُّنا ويَمْنَحُنا إنْ نَلْقَهُ وُدَّهُ المَحْضا

﴿ سيدى أحمد بن محمد ﴾ الصُّغَير ، المعروف بابن أنبوج - وهى أمه - من شرفاءِ تيشيت ، يقال إنه علوى ، أى من القبيلة المسماة بادوعل ، المنسوبة إلى يحيى المعروف ، ولا يطلق هناك لفظ علوى ، إلا على من كان من هذه القبيلة دون غيرها من الأشراف . والصحيح أن له خؤولة فيهم ، وأما أبوه ، فإنه من قبيلة أخرى شرفاء غير هذه ، وهو علامة تحرير محقق .

قال فى البغية فى ترجمة بانم بن حمّ ختار : وممن تخرَّج على يد الشيخ بانم المذكور ، الشيخ سيدى محمد بن الصغير ، مؤلف الجيش الكبير ، وناهيك به رحمه الله تعالى ورضى عنه .

وممن تخرَّج على يد سيدى محمد بن الصغير ، العالم الكبير العارف بالله تعالى سيدى عبيدة ، مؤلف كتاب ميزاب الرحمة ، كذا قال محمد بن الصغير ، والذى كنت أظن أن اسم هذا المؤلف ، هو الشيخ سيدى أحمد الصغير . بغير ابن ، والله أعلم ، ولم نعرف له شعراً ، إنما له منظومة فى غاية الانسجام ، يرد بها على أديبيج الكمليلى ، وكان نظم أرجوزة ينكر بها على سيدى الشيخ أحمد التجانى ، فشرح له منظومته شرحاً مضمونه رد ما فيها ، ثم نظم هو فى حقه منظومة طويلة يقول فيها :

وزاد فى استحكام ذلك الصمم صدوره من قلب غافل أصم
إذ كلُّ قول يتحلى بحلا كسوة قلبه الذى منهُ جلا
وهلْ ترَون ياعباد الله فى الجوّ ناعقاً كهذا اللاّهى
إذ قام ينكر على من لم يرهْ ولم يحقق عن ثقات خبرهْ
لكن بنى جميع ماتقوَّلهْ على التسامُع الذى لا أصل لهْ
ثم اهْوَ إن كان على طريقِ فقهٍ فمبناهُ على التحقيقِ
فيجبُ البحثُ على ذا الناعق إذ قد يكون نبأ من فاسق
وإن يك الناعق صوفىَّ السَّنَنْ فأمره يُبْنى على الظنّ الحَسَنْ

وحقُّ من ليس له علم يقيه سكوته ولا كلامَ السفيهْ
فالصَّمْتُ جُنَّةٌ لكلّ جَاهِلٍ بل هو زِينَةٌ لكلّ فاضلِ
وإن تمشينا على تحقيقِهِ لما نفَاهُ مِنْ هُدَى طريقهِ
فشاهِدُوا إثباتهِ مبرزونْ على شهود نفيهِ مُقَدَّمونْ
وكلما أثبتهُ عدلان لاينتفى ولو نفى ألفانِ

وهى تزيد على أربعمائة بيت ، ويقال لكتابة هذا الجواب ، المسكت أيضاً ، ويقال إن أُدبيج ، رجع عما كان يقول ، لما اطلع عليه والله أعلم .

﴿ محمد لحبيبْ ﴾ : بن لَمَرابطْ بن سيدى بُبَكرْ بن الطالب جد الغلاوى . وهو معدود فى العلويين ، لأن أمه علوية ، واسمها بيبَّ بنت زَرُّوقُ ابن الطالب أحماد ، وولد فيهم ومات فيهم ، وسيأتى فى ترجمة النابغة أيضاً ، أن الأغلال وإيدوعل ، كالشىء الواحد . كان ظريفاً رحمه الله ، حسن الأخلاق نحويا ، وله يد فى الفقه ، وله شعر مليح ، وله معرفة تامة بديوان ذى الرمة ، يحفظه حفظاً متقناً ، وأعرف شرح ابن خروف له عنه . وكان موجوداً فى هذه السنين الأخيرة ، أعنى إلى قريب من العشرين وثلاثمائة وألف ، وقد زار أهله فى تكانت فأرادوا أن يقيم فيهم ليتعلموا منه ، فلم توافقه طباعهم وكانوا يكثرون التيمم ، فقال متشوقا إلى أخواله :

منع الإقامة يا كريمُ من أكرم كلّ الأنام من الفصيح والأعجم
قوم إذا وضع المسافر رحله بازائهم مما يحاذر يسلم
ويرى المساجد كلها مملوأة من عابد ومُعَلِّمٍ ومُعَلَّمِ
الدَّافعون لكلّ أمرٍ أعظم والعارفون بسرّ الاسم الأعظم
والطاهرون جلودهم اصلاتهم لا يلعقون يُدَيِّهِمْ لِتَيَمُّم

وفى هذا تعريض بهم . وله وقد مرّ بدار ، بمحل يقال له الصبيبير ، كان يألفها فى أيام صباه :

مرورى بالصُّبَيْبِرِ دَارِ لَيلى ولا أهْوَى المُقامَ بِهِ هَـوَاء
ولستُ أذِيلُ دَمْعِىَ فى رُباهُ ولم أنشد لا مكنهِ ثنـــاء
يُخَبِّرُ أنّ خالقنا تعـالى يُصَرِّفُ فى الحوادِثِ كيفَ شاء

﴿ عبدُ الله بنُ أحمد ﴾ : بن الحاج احماه الله الغـلاوى البكرى . أحد أفراد وقته فى العلم ، له فى كل فن اليد الطولى ، ولم يكن فى أرض الحوض مثله فى زمنه ، وكان إذا أفتى فى مسألة . تلقتها الناس بالقبول . ووقعت بينه وبين القصرى صاحب النوازل ، مخالفة فى مسألة فقهية ، فغلبهُ القصرى ، فقيل له فى ذلك ، فقال مثلى كمثل من عنده أنواع عديدة مما يستطاب ، فيتناول من أيها شاء . ومثله كمن ليس عنده إلا نوع واحد ، يعنى أن القصرى فقيه لا غير ، وأما هو ، فله فى كل فن أعلى منزلة .

وكان سيدى عبد الله بن الحاج إبراهيم ، يشدد النكير على من يتعاطى طَبَقَ ، سواء بالتدخين أو النشوق ، ولا يجسر أحد أن يتناولها أمامه ، فاجتمعا يوماً فى مسجد ، فتناول حق النشوق ونشق ، يريد أن ينكر عليه ، فتقع المباحثة ففهمها ابن الحاج إبراهيم . فقال له : مالك تتحكك كأنك جمل أجرب ، ولم يزد على ذلك . ومما نقم الناس عليه قوله فى حق أهل الحوض :

ولم يجـز لأحـد وعمـم فى الحوض مطلقاً سوى التَّيَمُّم
ضَرَرُ ماء صحّ عن تجريب بخبر العـــالم والطبيب

وقد رد عليه العالم الصالح ، الشيخ ابن حامّنّ ، أحد قبيلته ، وانتفعت بلاد الحوض بأنظامه ، فإنه سهل عليهم الرسالة لابن أبى زيد : لأنه نظمها نظماً سلساً وأوّله :

قال أبو محمـد عبـد الإله لينظم النثر الذى حُلا حُلاه

إلى أن يقول :

ولم أكُنْ جُـذَيْلَ هذا الفنِّ وما عَـلَيَّ لَوْمُـهُ لأنّي
شُغِلْتُ بالنَّحْوِ وبالبيـــانِ وإنّ هـــذان لَسَاحرانِ

إلى أن يقول فى صفة نظمه :

وربما أخلت فيـه الناظرا أنى وزّانٌ ولستُ شاعِرا
فتارة يرقصُ من تذكير بابن نبـاتَةَ وبالحـريرى
طوراً أخو جد وطوراً عابث حـتى كأنى للأنام وارثُ

وكذلك نظم «الأخضرى» تأليف عبد الرحمن الجزائرى المشهور ، صاحب السلم ، أوّل نظمه له :

عبـد الإله الشنجيطىّ يشترى بعقـده المنظـوم تبرَ الأخضر
ورُبَّ مَنْ عقدُ الطرار حَسَّنهْ لَعَـلّنى أنال الأجْرَ والزنه
فالحمـد لله مُرَبى العـالمينْ ثمَّ الصـلاة والسلامُ للأمينْ
سـيدنا محمـــد إمامِ رُسُلِنَا والأنبيـا الختـــام

ونظم أيضاً «الخزرجية» فى العَروض ، وسمى نظمه لها «بالحوار» وأوّلهُ :

الحمـــد لله على تخريج مسائل العـــــلوم بالتدريج
ثم الصـلاة والسلام الوافى لساكن العَروض والقوافى
هـذا وإنى قد نظمتُ نظما يُركب بِكر دونه ويَظما
الخزرجيـــة له فى المطلب إذ هى كالزنج وَذا كالصُّقْلب
والزنج حر غـير الأجسادا حتى كسـا جـلودها سوادا
والصقلب اكتسبت أبيضاضا حتى كسا جـلودها بياضـا

وبدأ رحمه الله تعالى ، بنظم مختصر خليل، فنظم منه بيتاً واحداً من كتاب البيع ، ثم صرفه عن ذلك صارف ، وكان موجوداً فى أوائل القرن الثالث عشر .

﴿ النابغة الغلاوى البكرى ﴾ : لاأعرف اسم والده ، والأغلب فى ظنى أنه ابن أخت الذى قبله ، وهو من قبيلته أيضاً . هو العالم الوحيد الذى اشتهر فى قطره بالعلم والورع ، سافر من أرض الحوض ، يريد من يصحبه ليتعلم عليه ، فكان كلما اجتمع بعالم وعرض عليه طلبه . يسأله العالم : أىَّ فنّ تريد أن تقرأ ، فلا يراجعه الكلام بعد ذلك . حتى لقى العلامة الشهير ولىّ الله أحمد بن العاقل الديمانى ، فقال له مَشِّ ، كلمة يقولها العالم هناك للتلميذ ، إذا أمره أن يبتدىء فى درسه ، فألقى عصا التسيار عنده وجعل يعله من معينه الجارى ، حتى تضلع منه . وكان لا يعجبه الشيخ خليل ولا شراحه ، وله نظم اسمه : بوأطْلَيْحِيَّهْ ينتقد به كتب الفقهاء ومنه :

فطرّةُ أبن بونَ والخطـــاط كلاهمـا فى غاية انحطـــاط

ولكن طرّة أبن بون فى النحو ، ولا بأس بها ، وقد طبعت بمصر . ولم نسمع له بطرة فى الفقه ، ولما مات شيخه المذكور ، رثاه بأرجوزة أشطارها الأخيرة من الألفية . وهذا بعض ما أتذكر منها :

ياأسفَ الدين وكلّ عاقـــل على وفاة شيخنا أبن العـــاقلِ
ياأسفَ المنطـقِ والـكلامِ كم بهما أصْبَحَ مِنْ كِلامِ
لموته قـد رِيعت ألف رَوْع على أصول الفقـــه والفروعِ
من ذا الذى يعرف سر الحرف فذاك ذو تصرُّفٍ فى العُـرف
من ذا الذى من بعده يقول مَنْ يصِلْ إلينا يستعن بنـــا يُعَنْ
لما نَعوهُ وذكرت فضـله كلى بُكىّ بكاء ذاتِ عَضْلَهْ
وبتُّ ساهراً بليلٍ أليـــل مروع القلب قليـل الحيـل
قلت لجلد مُضْمَرٍ أىَّ جَـزَعْ فلا تـكنْ جَلْدًا وتُضمرَ الجزَعْ
وقلتُ لما قال لى أين المفرْ أيا أبن أمى يابن عمىّ لا مفرْ
حيـاته عارضة وصفيّـهْ فالْغينَّ عارض الوصفيّـــهْ
لو كان غير الله حىٌّ قد بقا لـكان أولى من سـواه بالبقا

أو كان يفدى بكذا ما ذهبا لو كان مثل ملء الأرض ذها
لكن مثل الشيخ عند مَنْ غبرْ ملتزم فيه تقدّم الخبر

وهى طويلة من هذا النوع . وربما انتقد علىّ منتقد إدراجى لهذا ، والذى قبله فى شعراء العلويين ، مع أنهما بكريان ، والجواب : أن الاغلال و إدوعل منذ قرون كالشىء الواحد ، وسِمَتُهُمْ واحدة . ومن عادتهم : أن كلّ مكان وجدا فيه ، ينسبان للأكثرية . ولذلك لم يزالا إلى يومنا هذا كذلك . فإن العلوى إذا وصل اركيب ومابعدها ، لاينتسب إلاّ غلاويا ، وكذلك الغلاوى ، إذا وصل تكانت أو آدرار ، لاينتسب إلا علويا ، وما وقع بين بعض من الطائفتين فى هذه الأزمنة الأخيرة ، لم يغير السواد الأعظم .

* * *

قبيلة إدَيْقُبْ

ويقال لهم اليعقوبيون

﴿ أحمد بن محمد ﴾ : بن المختار بن الفغ موسى اليعقوبى ، المعروف بأحمد ابن الطلب . ينتهى نسبه إلى سيدنا جعفر بن أبى طالب ذى الجناح شهيد مؤتة ، وأظن أنه من ولد عون بن عبد الله بن جعفر الجوَاد المشهور ، فاق أقرانه فى العلم والكرم وجودة الشعر .

قال فيه العلامة الكبير محمّذ فال بن مقالى التندَغى : هذا عربى أخره الله ، ولا تكاد تعد طبقة ، إلا بدأت به فى أوّلها ، إذا عد الكرام فهو حاتمهم ، أو العلماء اللغويون ، فما هو بدون أبن سيده ، وكل أخباره تكتب بالذهب . و إنما لقب بيته بالطلب ، لأنهم كانوا أعلم أهل ناحيتهم ، فكانت الناس ترحل إليهم فى طلب العلم ، وكان مولعاً بالعربية ،لايفتر من التنقيب عنها والتحرير ، يقال : إنه إذا سافر ونزل بحىّ من الزوايا نهاراً ، أول مايسألهم عنه القاموس . فإن كان

موجوداً عندهم ، طلب منهم الاتيان به لينظر إليه يومه . فإن لم يكن فيهم ، ارتحل عنهم ، ولا يترك يومه ضائعاً .

وكان يبرى النبال ، فيصطاد بها الوحش ، لشغفه باقتفاء العرب . وكان مولعاً بأرض تيرس ، ولا تكاد تجد موضعاً منها ، إلا وله ذكر فى شعره وكان له شهرة عظيمة عند الزوايا ، وحسّان صاحب وجاهة فيهم ، وهو من الحلماء المشهورين .

وكان يوماً فى مسجد قومه ومعه رجالهم ، فقدم عليهم ناس من أبناء دُلَيْم ، فطلبوا منهم جملا ، وهذا الطلب يسمى مداراة فى عرفهم ، فكل الناس أحب أن يتولى دفع الجمل غيره ، وإن كان بحسب العرف يقسم على الحاضرين ، فيدفعون قيمته لصاحبه من الغنم واللباس ، فدفع هو جملا عنده لا يملك غيره . فقال له أحد أقاربه : عن أى شىء تدارى ؟ فقال : عن مائة ناقة هنا ، وضرب صدره ، يشير إلى أنه غنى النفس . وقال له : يا فلان ، إن فقرى قطعت به غنا فلان وفلان ؛ وسأقطع به غناك أنت .

وكلمهم يوما فى مسجدهم ، رجل غريب يطلب جملاً يبلغ عليه بلاده ، فلم يجبه أحد ، فأعطاه هو جملاً ليس له غيره . كان أعطاه إياه أحد أقاربه ، فلامهُ بعض الناس ، فقال له : أنا لا أعجز أن أعطى شيئاً أعطاه فلان . وبالجملة فأمحمد هذا ، حسنة من حسنات الدهر ، لا نزاع فى ذلك .

أما جودة شعره ، وكونه لا يقل عن شعر العرب العرباء . فإنها محسوسة لا تحتاج إلى تصديق فلان وفلان . وقال يوماً بعد ما نظم جيميته الآتية ، وأبرزها للناس : أرجو من الله أن أقعد أنا والشماخ بن ضرار ، فى ناد من أهل الجنة وننشد بين أيديهم قصيدتينا ، لنعلم أيهما أحسن ، وها هى جيميته :

تَطاوَلَ ليلُ النازعِ المُتهيّج أما لضياءِ الصُّبح مِنْ مُتبلَّجِ (١)

(١) قوله ليل النازع : أى المشتاق الذى يحن إلى بلده ، وفى بعض النسخ النازح بالحاء ، وهو البعيد ، يعنى نفسه فيهما .

ولا لظلام اللّيل مِنْ مُتَزَحْزَحٍ ... وليسَ لنجم من ذَهابٍ ولا مَحى (١)

فيا مَنْ لِليلٍ لا يزولُ كأنّما ... تُشَدُّ هَواديه إلى هَضْبَتَىْ إج (٢)

كأنّ به الجوزاءَ والنَّجْمَ رَبْرَبٌ ... فَرَاقِدُها فى عُنَّةٍ لَمْ تُفَرَّج (٣)

وتَحْسِبُ صِبْيانَ المَجَرَّةِ وسْطَها ... تَناوِيرَ أزْهارٍ نَبَتْنَ بِهَجْهَج (٤)

كأن نُجُومَ الشِّعْرَيَيْنِ بِمَلْكِها ... هَجَائِنُ عَقْرى فى حِبٍ مَهَج (٥)

فَباتَ يُمانِى الهَمِّ لَيْلى كأنهُ ... بِبَرْحِ مُقامِ الهَمِّ فى أضْلُعى شَج (٦)

فلو كان يَفْنى الهمُّ أفنى مِطالهُ ... هُمُومِى ولكن لَجَّ فى غيرِ مَلْجَج (٧)

إذا ما انْتَحاها مِنْهُ قِطْعٌ سَمَتْ لهُ ... أفانينُ هَمٍّ مُزْعِجٍ بعدَ مُزْعِج (٨)

---

(١) قوله من متزحزح : أى تزحزح .

(٢) قوله تشد : أى تربط ، وهواديه : جمع هادية . وهى فى الأصل أوائل الوحش واستعارها هنا لأوائل نجوم الليل ، وهذا مأخوذ من قول امرىء القيس :

فيالك من ليل كأن نجومه ... بكل مغار الفتل شدت بيذبل

واج : بكسر الهمز والجيم . موضع بتيرس .

(٣) قوله : كأن به الجوزاء الخ . الجوزاء : معروفة . والنجم : الثريا . والفراقد : جمع فرقد . وهو ولد البقرة الوحشية . والعنة : بالضم . الحظيرة من خشب أو شجر ، وفى عرف أهل الصحراء . يقال لها : الزريبة ـ بفتح الزاى المعجمة وكسر الراء المهملة وفتح الباء الموحدة ـ وهى عربية فصيحة أيضاً .

(٤) قوله : وتحسب صبيان الخ . المجرة : النجوم الصغار التى ترى فيها . والمجرة : الطريق فى السماء ، التى تسير منها الكواكب . وقوله نبتن بهجهج : الهجهج : الأرض الصلبة الجدبة .

(٥) قوله : كأن نجوم الشعريين بملكها الخ . الشعريان : الشعرى العبور ، والشعرى الغميصا . والملك : مثلثة ، وسط الطريق . والضمير عائد على المجرة . وقوله : فى ملاحب ـ فى نسخة بالفاء بخط صحيح ، وكثيراً ما رأيناه بالباء الموحدة ـ فالأول : جمع ملحفة . والثانى : جمع ملحوب ، صفة لمحذوف ، أى طريق ملحوب ، بمعنى واضح ، ومنهج على الأول : بمعنى ثوب خلق . والثانى : بمعنى طريق واضح . وهذا أنسب بتشبيه النجوم فى المجرة .

(٦) قوله : فبات يمانى : أى فبات يعاطلى الهم ، وفى أضلعى شج . أصل الشجى ما يعترض فى الحلق . ومراده هنا ، كان بأضلعه شىء يمنعه الاضطجاع .

(٧) قوله : لج ، أى تمادى . وفى غير ملجج ، قياسه الادغام لاستكمال شروطه . والفك جائز ضرورة .

(٨) قوله أفانين : جمع أفنون . وهو الضرب من الشىء . ومزعج : مقلق .

أعِنِّى عَلَى الهَمِّ اللَّجوجِ المُهَيِّجِ ... وَطَيْفِ سَرَى فى غَيْهَبٍ مُدَجْدِجِ (١)
سَرَى يَخْبِطُ الظَّلْماءَ من بطنِ تِيرِسٍ ... إلىَّ لدى أُبْرَيْبِيرَ لمْ يَتَعَرَّجِ (٢)
فلمْ أرَ مثلَ الهَمِّ هَمًّا ولا أرَى ... كليلةَ مَسْرَى الطَّيْفِ مُدْلِجَ مُدلِجِ
وذِكرةَ أظْعانٍ تَرَبَّعْنَ باللِّوَى ... لوى المَوجِ فالخُبْتَيْنِ من نَعْفِ دُوكِجِ (٣)
إلى البئرِ فالحَوْاءِ فالفُجِّ فالصُّوَى ... صُوَى تَشْلِ فالأجْوادِ فالسَّفْحِ من إجِ (٤)
تَحُلُّ بأكنافِ الزِّفالِ فتِيرِسٍ ... إلى زِيزَ فالأُرْوِيَّتَيْنِ فالأعْوَجِ (٥)
إلى أُبْلَقَىْ وَنْكارَ فالكَرْبِ ترتعى ... بحيثُ شاءَتْ من حُزوزٍ وحُنْدُجِ (٦)
تَرَبَّعُها حتى إذا ما تَنَجْنَجَتْ ... جَوازِئُها تَغْدُو إلى كلِّ تَوْلَجِ (٧)
وصَرَّتْ على الظُّهْرانِ من وهَجِ الحصا ... جَنادِبُها مِن لافِحٍ مُتَوَهِّجِ (٨)

(١) قوله فى غيهب : أى فى ليل مظلم : ومدجدج : مظلم

(٢) قوله : تيرس : هى أرض مشهورة . وابريبير ـ بألف نقل وراءها مهملة مفتوحة مرققة وياء ساكنة وباء موحدة مكسورة وياء ساكنة وراء مفتوحة ـ بئر فى أخريات أكيد ـ بكاف معقودة ـ وقد رأيتها ، وهى خالية لا أنيس بها . ولم يتعرج : لم يقم فى الطريق .

(٣) قوله : لوى الموج فالخبتين الخ . هذه أسماء مواضع بأعيانها .

(٤) إج ـ بهمزة مكسورة وجيم ـ اسم موضع .

(٥) قوله : تحل بأكناف الزفال الخ . تحل : تنزل . وأكناف : نواحى . والزفال : هكذا يقع فى شعر صاحب الترجمة ، وهو أدرى به وبأصله ، لأنه فى أرضه ، إلا أن الشائع فى ألسنة الناس آزفال ـ بألف مد وزاى مكسورة وفاء مشددة مرققة وبعدها لام ساكنة .

(٦) قوله : فالكرب الخ . سبيله سبيل ماقبله . والشائع على ألسنة العامة لكرب ـ بكسر اللام وسكون الكاف وفتح الراء وسكون الباء الموحدة ـ والحزوز : الأمكنة الغليظة المنقادة والحندج : رملة تنبت ألوانا من النبات .

(٧) قوله : تربعها ، أصله تتربعها ، وحذفت إحدى التائين تخفيفا . وتنجنجت : ترددت عن الماء . وجوازئها : جمع جازئة ، وهى التى اجتزأت بالرطب عن الماء . وتغدو : من الغدو وفى نسخة ، تعدو وهما متقاربان فى المعنى . والتولج : كناس الوحش الذى يدخل فيه ، يعنى أنها أقامت تتربعه حتى اشتد الحر ، فهى تأتى الكناس غدوة ، أو تأتيه تعدو من شدة الحر .

(٨) قوله : وصرت ، أى وصوتت . والجنادب : الجراد . والظهران : جمع ظهر . وهو ما غلظ من الأرض . والوهج : شدة الحر . ومن لافح ، أى من حر محرق للناس . ومتوهج : متقد .

بيوم من الجوزاء تشوى سمومُه جلودَ حوانى الربرب المتوالج (١)
وغرّدَ مُكّاء الأخرّة بالضحى تغردَ منزوفِ الشّروب المزرّج (٢)
ولفّتْ نصىّ الليف هَيْفٌ تسوقُهُ ونشّتْ تناهى غيثها المتبعّج (٣)
وزفّتْ إلى الأعدادِ من كلّ وجْهةٍ أعاريبُها من كلّ صِرْمٍ مُنجْنج (٤)
ونادى مُنادى الحىّ مُسْيا وقوّضوا نضائدَهم ياهادىَ الحىّ أدلِج (٥)

---

(١) قوله : بيوم من الجوزاء : برج فى السماء . والسموم : الريح الحارة . وحوانى الربرب ، أصله الربوب الحوانى ، وأضيفت الصفة إلى الموصوف ، والحوانى التى تعطف على الظل لتتبرد . والربرب : قطيع بقر الوحش . والمتولج : الداخل فى الكناس .

(٢) قوله : وغرد ، أى وصوت . والمكاء كزنار : طائر معروف . والأخرة : جمع خرير ، وهو المكان المطمئن بين الربوتين . وروى : بالزاى ، وهى جمع حزيز ، وهو المكان الغليظ المنقاد ، والمنزوف : السكران . وقوله : الشراب فى بعض النسخ : الشروب ، والأول أحسن . والمزرج : السكران أيضاً ، وهو من قولهم : شخص زرجون ، فالنون أصلية ، ووقع مثل هذا فى رجز لبعض العرب وهو :

هل تعرف الدارلام الخزرج منها فظلت اليوم كالمزرج

قال ابن جنى ، وابن السراج وغيرهما : إن العرب قد تتصرف فى الألفاظ العجمية كتصرفها فى العربية بالحذف وغيره . فالراجز توهم زيادة النون فعاملها معاملة الزائد فحذفها .

(٣) قوله ولفت : أى وجمعت . والنصى : نبت مادام رطبا ، فاذا أيبس فهو الطريفة ، فاذا ضخم ويبس فهو الحلى . والليف : نبت معروف : وفى نسخة : نصى الهيف . وهو من هاف ورق الشجر إذا سقط . والأول أظهر . والهيف : ريح حارة تأتى من نحو اليمن ، وهى نكباء بين الجنوب . والدبور من تحت مجرى سهيل ، تيبس النبات وتعطش الحيوان . ونشت : يبست . والتناهى : جمع تناهة ، وهى حيث ينتهى الماء إلى النهى . بالفتح والكسر ، وهو الغدير . والمتبعج : المنفرج من السحاب عن الودق .

(٤) قوله وزفت : أى وأسرعت . والأعداد : جمع عد بالكسر . وهو الماء الكثير . وأعاريبها : جمع أعراب وهم البوادى . والاعراب : جمع لعرب بالتحريك على الصحيح . والصرم ، بالكسر : أبيات من الناس مجتمعة . وقيل : هم جماعة ينزلون بابلهم ناحية ، وهذا أقرب . ومنجنج : اسم فاعل نجنج إبله ، إذا رددها على الحوض . والمعنى أسرعت أحياء العرب التى كانت تتعجم لرعى مواشيها فى أيام البرد إلى المياه ، حين اشتد الحر .

(٥) قوله وقوضوا : أى نزعوا الأعواد . والأطناب والنضائد : جمع نضيدة ، وهى ماحشى من المتاع . وقوله ياهادى الحى : هو مفعول به لنادى ، أى قال مناديهم : ياهادى الحى . وهو الذى يهديهم الطريق . وأدلج : سرى من أول الليل .

وقُرّبتِ الأجمالُ حتى إذا بدَتْ ... نجومُ الثريا فى الدُّجا كالسمرَجِ (١)
تكنّسنَ أحداجا على كل ناعج ... عَبَنّ بألوانِ التهاويلِ مُحدَجِ (٢)
من القُمْع أومن نحرِ نَكجيرَ يَمّمَتْ ... مَعاطنَ جَلوى لاتُريعُ لمن وجى (٣)
جَواعلَ ذاتِ الرّمْثِ فالوادِ ذى الصَّفا ... يميناً وعن أيسارها رأمٌ هَوْدَجِ (٤)
وتَزْورُّ عن ذِى المرسيطِ فوركَتْ ... لِمُسْىِ ثلاثٍ جُبّهُ لم تُعرّجِ (٥)
وصَبّحنَ جَلوى طامىَ الجمّ وارْتَوَوْا ... ولم يُنزِلوا عن هَوْدَجٍ خِدْرَ هَوْدَجِ (٦)
وقالوا الرحيلُ غُدْوَةً ثم صمّمُوا ... على مَدْرَجٍ عَوْدٍ لهم أىَّ مَدْرَجِ (٧)

---

(١) قوله : وقربت الأجمال . الأجمال : واحدها جمل . وبدت : ظهرت . والثريا : نجوم معروفة . والسمرج : استخراج الحراج . والمراد هنا : كدراهم السمرج ، لأن نجوم الثريا مجتمعة . يعنى كالدراهم المجتمعة . وهذا التشبيه فى غاية الحسن عند من يعرف نجوم الثريا .

(٢) قوله تكنسن : أى سكن . والضمير للظعائن التى تقدمت فى أول القصيدة . والاحداج : جمع حدج بالكسر . وهو مركب من مركب النساء . وعلى كل ناعج : أى جمل أبيض . والعبن : الغليظ . وقوله بألوان التهاويل : أى محدج بزخاريف ملونة . ومحدج : مشدود عليه الحدج .

(٣) قوله : من القمع الخ . الأغلب أن هذه مواضع من تيرس والله أعلم . ولاتريع : لاترجع . ولمن وجى : أى لمن بجماله وجى . وهو ظلع .

(٤) قوله : جواعل ذات الرمث الخ . ذات بمعنى صاحبة . والرمث بالكسر : نبت معروف . وقوله أم هودج : تعريب لأم أراكن (بألف نقل وراء بعدها ألف ، وكاف معقودة مكسورة) وهو فى لغة العامة بمعنى الهودج .

(٥) قوله وتزور : أى تميل . وذى المرسيط : موضع بعينه . وورکت : اعتمدت على أوراكها فى الركوب ، من شدة السير . ومسى ثلاث : أى ثلاث ليال . يعنى أنها لم تنزل إلى أن صارت فى مسى الليلة الثالثة . والجب : المزادة . ولم تعرج : لم تعطف . يعنى أنهم لم يجعلوا فى قربهم من الماء إلا ما كان فيها .

(٦) قوله : وصبحن : أى أتين صباحا . وجلوى : اسم منهل بعينه . وطامى الجم : مرتفعة وهو حال من جلوى . ومعنى ارتووا : أخذوا كفايتهم من الماء . والخدر : أعواد تجعل على الهودج ، ويجعل عليها ثوب يستر المرأة ، ويسمونه الحجبة . يعنى أنهم لم ينزلوا أمتعتهم عن ظهور الإبل لعجلتهم .

(٧) صمموا : مضوا . والمدرج : الطريق . والعود : القديم . يعنى : أنه مألوف عندهم من قديم .

أواحتملت من صلب لحريش تنتحى رغيوية الأملاح لم تتلجلج (١)
أو السهب سهب التوأمين فغلست بواكرها والصبح لم يتبلج (٢)
ومرت على قلب الظليم كأنها خناطيل زوزت من نعام مهيج (٣)
وأمسى على كر المزيريف منهم لكاك كضوضاء الحجيج المعجعج (٤)
ومنهم بأوشال الثدى منازل وحى على أوشال هضب الأفيرج (٥)
منازل قد كان السرور محالفى بها هى عندى بين سلمى ومنعج (٦)
ألا ليت شعرى هل إليهن عودة وهل أنا من غم التنائى بمخرج
وهل لى فى أوطانها من معرس وهل لى فى أطلالها من معرج

(١) قوله : أواحتملت : أى رحلت . وصلب : بمعنى ظهر . ولحريش ـ بلام مكسورة وحاء مهملة ساكنة وراء مفتوحة وياء ساكنة وشين مفتوحة ـ اسم بلدة . وتنتحى : تعتمد . ورغيوية : تصغير رغوة . والأملاح : المياه الملحة ، ولم تتلجلج : لم تتردد .

(٢) قوله : أو السهب بضم السين وتسكين الهاء : هو المستوى من الأرض فى سهولة . وغلست : احتملت وقت الغلس . ولم يتبلج : لم يسفر .

(٣) قوله ومرت : الضمير للظعن : وقلب الظليم : جبل يسمونه كلب الظليم (بكاف معقودة وأصلها القاف) والخناطيل : جمع خنطولة ، وهى الطائفة من النعام . وزوزت : أسرعت . وهو يأتى اللام وإنما حذفت الياء تخفيفا ، يقال : زوزى الرجل : إذا نصب ظهره وأسرع فى عدوه . أصله زوزو : قلبت الواو الأخيرة ياء لكونها رابعة من مضاعف . ومهيج : اسم مفعول من هيجه . أى أثاره .

(٤) قوله : فأمسى على كر المزيريف الخ . الكر : البئر . والمزيريف : اسم بئر يسمى بالعامية لمزيريف (بكسر اللام وسكون الميم وفتح الزاى وسكون الياء وكسر الراء وسكون الياء آخر الحروف ، وفاء مرأسة ساكنة) وهذا من إضافة الشىء إلى مرادفه على مذهب الكوفيين . واللكاك : الازدحام . وضوضاء الحجيج : جلبته . والمعجعج : الرافع صوته .

(٥) قوله ومنهم : أى من القوم المحتلين . وأوشال : جمع وشل بالتحريك وهو الماء يتحلب من صخرة ولا يتصل قطره ، أو لا يكون إلا من أعلى الجبل ، وقد قيل : الوشل ، هو الماء الكثير ، فهو على هذا ضد . والثدى : مواضع . وهضب : جمع هضبة . والافرج : موضع . يقال له بالعامية : آفرع ، بمدة بعدها فاء مرأسة وراء مفتوحة مرققة وياء ساكنة وجيم ساكنة أيضا ، وهذه اللفظة تقال للخشبة التى تجعل فيها الفأس .

(٦) قوله : هى عندى بين سلمى ومنعج . هما موضعان ومراده الإشارة إلى قول الشاعر:

أحب بلاد الله ما بين منعج إلى وسلمى أن يصوب سحابها
بلاد بها نيطت على تمائمى وأول أرض مس جلدى ترابها

فإمَّا تَرَيْنِي خمرَ الشَّيْبُ لِمَّتِي ... وأصْبَحْتُ نِضْواً عنْ شبابٍ مُبَهَّجِ (١)
فيارُبَّ يومٍ قدْ رصدتُ ظَعَائِنَا ... بأبْطَحِ بَرْثٍ بينَ قُوزٍ وَحَشْرَجِ (٢)
ظعائنُ بيضٌ قَدْ غَنِينَ بنَضرَةٍ ... تروقُ على غَضِّ النضيرِ المُبَهَّجِ (٣)
ظعائنُ يَنْمِيها إلى فَرَعِ العُلا ... لعامرٍ يَعْلى كل أزْهَرَ أبْلَجِ (٤)
عليها سُموطٌ منْ محالٍ مُلوَّبٍ ... مِنَ التِّبْرِ أو مِنْ لُؤْلُؤٍ وزبَرْدَجِ (٥)
يُفَصِّلُ بالمَرْجانِ والشَّذْرِ بَيْنَهُ ... وَقَدْ غَصَّ مِنها كلُّ حِجْلٍ وَدُمْلُجِ (٦)
ظعائنُ لم تألَفْ عَصِيداً ولم تَبِتْ ... سَوَاهِرَ ليلِ الجرْجسِ المُتَهزِّجِ (٧)
ولكنْ غِذَاها رِسْلُ عُوذٍ بَهازِرٍ ... مُوَرَّثَةٍ منْ كلِّ كَوْماءَ ضَيْمَجِ (٨)

(١) قوله : فاما ترينى خمر الشيب الخ . خمر : بمعنى غطى . والنضو : المهزول . ومبهج : من البهجة ، وهى الحسن .

(٢) قوله : فيارب يوم الخ . رب هذه حرف تنبيه . وليست للنداء . ورصدت : رقبت . وظعائن : جمع ظعينة ، وهى المرأة فى هودجها . وأبطح : مسيل واسع فيه دقاق . وبرث : سهل لين . والقوز : المستدير من الرمل . والحصى والحشرج : حصى يكون فيه حصى .

(٣) قوله : ظعائن بيض الخ . غنين : استغنين . والنضرة : النعمة والعيش والغنى . والغض : الطرى . والنضير : الذهب . والمراد بعضه ، أول ما يبرز منه قبل أن تتداوله الأيدى . والمبهج : الحسن .

(٤) قوله : ظعائن ينميها الخ . الأزهر : الأبيض النير . والأبلج : نقى ما بين الحاجبين .

(٥) قوله : عليها سموط : أى على الظعائن . والسموط : جمع سمط ، وهى قلادة أطول من المخنقة . والمحال : ضرب من الحلى يصاغ مفقرا . أى : محززا على تنقير وسط الجراد . والملوب : المخلوط والملطخ بالملاب . وهو الطيب أو الزعفران . والتبر : الذهب . واللؤلؤ : معروف . وزبردج مقلوب : زبرجد وهو الزمرد . وليسا لغتين كما صرح به ابن جنى .

(٦) قوله : يفصل بالمرجان الخ . يقال : فصل الوشاح : إذا جعل بين كل لؤلؤتين منه مرجانة أو شذرة أو جوهرة تفصل بين كل اثنتين من لون واحد . والمرجان : صغار اللؤلؤ والشذر : قطع من الذهب ، تلقط من معدنه بلا إذابة أو خرز يفصل بها النظم . أو هو اللؤلؤ الصغار . الواحدة : لؤلؤة .

(٧) قوله : ظعائن الخ . الجرجاس بالكسر : البعوض الصغار ويقال فيه : القرقس والمتهزج المغنى .

(٨) قوله : ولكن غذاها رسل كوم الخ . الرسل بالكسر اللبن . وكوم : جمع كوماء وهى عظيمة السنام . وبهازر . جمع بهزر كقنفذ ، العظيمة من النوق . وضمج : ضخمة .

مُعَوَّدَةٌ عَقْراً وبذْلاً كِرامُها لِضَيْفٍ وعافٍ من مُقِلٍّ ومُلْفِجِ (١)
مَرَاتِعُهَا مَرْعى المَهى ورِباعُها تُلاعِبُ من أذْراعِها كلَّ بَحْزَجِ (٢)
ويُحْدِجْنَ مما قد نَجَلْنَ نجائباً نَواعِجَ أدْماً من نجائِبَ نُعَّجِ (٣)
ويَحْلُلْنَ منها كل مَيْثاءَ سَهْلَةٍ وأجْرَعَ سَهْلاً بالحيا مُتَبَرِّجِ (٤)
فما أنْسَ لا أنْسَ الحُدوجَ رَوائِحاً مِنَ أوْدِيةِ البَطحاءِ فالمُتَوَّجِ
عَوامدَ للسِّطْلَيْنِ أوْ هَضْبِ مادسٍ نَوَاكِبَ عَنْ وَادِ الخُلَيجِ وعَفْلَجِ (٥)
يُعالِينَ مِنْ عَقْلٍ وَرَقْمٍ مُنَمَّقٍ ويُسْدِلْنَ حُرَّ الأرْجُوانِ المُبَرَّجِ (٦)
قَطِيناً قَطِيناً فَوْقَ أُدْمٍ كأنها هَوَادِي صُوَارٍ بالدِّماءِ مُضَرَّجِ (٧)

(١) قوله : لضيف وعاف . العافى : طالب المعروف . وملفج : بصيغة اسم المفعول . بمعنى مفلس . وهو نادر ، لأنه اسم فاعل ورد بصيغة اسم المفعول ، ومثله أسهب فهو مسهب ، إذا كثر كلامه . واهتر : فهو مهتر ، إذا ذهب عقله . وأحصن فهو محصن : إذا تزوج . قال ابن خالويه : أنه وجد بعد سبعين سنة حرفا ، وهو اجرأشت الإبل : سمنت فهى مجرأشة .

(٢) قوله : مراتعها مرعى المهى الخ . المهى : جمع مهاة . ورباعها : جمع ربع ، كصرد . وهو الفصيل ينتج فى الربيع ، وهو أول النتاج . والأذراع : جمع ذرع محركة وهو ولد البقرة الوحشية . والبحزج ، بالموحدة والحاء والراء المهملتين بعدهما جيم : ولد البقرة الوحشية . والصحيح أنه بالزاى ، كما فى اللسان . وضبطه أيضا بعضهم بالخاء المعجمة قبل الراء وصوبه وهو ضبط غريب .

(٣) قوله ويحدجن ، الضمير للظعائن : أى يجعلن عليهن الحدوج . والضمير فى نجلن للكوم ونجلن : ولدن . ونجائب : جمع نجيبة . ونواعج بيض . والأدم : البيض . والأدمة تكون للأبيض وللأحمر ضد ، ونعج : خالصة البياض .

(٤) الميثاء : الأرض السهلة . والأجرع : المكان المطمئن . والحيا : المطر . والمعنى أنه مزدان بالأنوار ، وأنواع المطر .

(٥) قوله عوامد للسطلين : هما جبلان . وهناك جبال يقال لها : اسطل فى تيرس والهضب : جمع هضبة . ومادس : جبل بتيرس أيضاً . ونواكب : موائل ، ووادى الخليج وعفلج : موضعان :

(٦) قوله : يعالين : أى يجعلن فوق خدورهن . وقوله : من عقل . من زائدة على مذهب الكسائى . فإنه يجيز زيادتها فى الإيجاب . والأصل : كلا من عقل ، وهو ضرب من الثياب والرقم : ضرب من الثياب أيضا ، ومنمق : مزخرف . ويسدلن : يرخين . وحر الارجوان ثياب حمر . والمبرج : المحسن .

(٧) قوله قطينا قطينا : أى جماعات جماعات . وأصل القطين : المقيم وفوق ادم . أى فوق جبال أدم . والأدمة فى الإبل : لون مشرب سوادا ، أو البياض الخالص . وقيل : هو البياض مع سواد المقلتين . وهوادى : جمع هادية ، وهى أوائل الوحش . والصوار : قطيع بقر الوحش . ومضرج : ملطخ .

دَلَحْنَ بأبكارٍ وعُونٍ كأنها عَقائلُ عِينٌ مِن مَطافيلِ تخْرِج (١)
كأنهمُ إذْ ضَحْضَح الآلُ دُونَهُمْ خَلايا سَفينٍ مُثقَلٍ مُتعمّج (٢)
صَوادِرَ مِن ميناءِ جُورَ تَحُثُّها نَواتيُها فى زاخرٍ مُتَموّج
أوالعُمُّ من نخلِ ابنِ بوصٍ تمايلَتْ شَمارِيخُها من مُرْطبٍ ومُنَضّج (٣)
مجانينُ رَقْلٍ من كَناوالَ ناوحَتْ فُرُوعَ الثُريّا لا تُنالُ بمَعْرَج (٤)
لها شَرباتٌ قد نَصَفْنَ جُذوعَها رِواءُ الأعالى حَمْلُها غيرُ مُحْدَج (٥)
وفى الظعْنِ مِحْوالُ الوِشاحِ كأنها صَبيرُ حَيًا فى بارقٍ مُتَبَوّج (٦)
تراءت وقد جَدَّ الرحيلُ بمشْرِف هِجانٍ وَوَضّاح أغَرّ مُفَلّج (٧)

(١) قوله دلحن : أى مشين . مثقلات لسمن النساء : الراكبات عليهن . وبابكار : جمع بكر . وعون : جمع عوان ضد البكر . وعقائل الشىء : خياره . وعين : جمع عيناء . وهى واسعة العين . ومطافيل : جمع مطفل ، وهى ذات الطفل . أى الولد . وتخرج : موضع حسن الوحش .

(٢) قوله : كأنهم إذ ضحضح : أى إذ ترقرق . والآل : السراب أو مايبدو أول النهار ، يشبه السراب وليس هو . وخلايا : جمع خلية ، وهى السفينة العظيمة . والتعمج : التلوى فى السير والاعوجاج .

(٣) قوله : أوالعم : جمع عميمة ، وهى الطويلة . وهذا من الجموع التى تحفظ ولايقاس عليها ، لأن القياس عمائم . وتخايلت : تمايلت من ثقل حملها . وشماريخ : جمع شمراخ بالكسر وهو العثكال الذى عليه البسر . ومرطب : عليه الرطب . ومنضج : أى استوى ولم يصرم بعد

(٤) قوله مجانين : جمع مجنونة ، أى طويلة . والرقلة النخلة . فاتت اليد . وكناوال : موضع كثير النخل طويله ، ووقع فى لاميته الآتية بعد ـ كانوال ـ فلعلهما لغتان . وناوحت : طاولت والثريا : كواكب معروفة . ومعرج : بعروج .

(٥) قوله : لها شربات، الضمير للنخل . يعنى أنها تسقى دائما . فذلك أتم لثمرها . ومعنى غير محدج : غير ناقص مأخوذ من أخدجت الناقة : إذا جاءت بولد ناقص .

(٦) قوله : وفى الظعن مجوال الوشاح : مجوال مبالغة جال . يعنى أنها رقيقة الوشاح ، أى موضعه . والصبير : السحابة البيضاء الكثيفة ، والنساء تشبه بالسحاب قال طرفة :

كبنات المخر يمأدن كما أنبت الصيف عساليج الخضر

والحيا : المطر . والبارق : معروف . ومتبوج : يلمع كثيراً . يقال : تبوج البرق : إذا برق ولمع وانكشف .

(٧) قوله : تراءت الخ . أى تبدت له . وقوله : بمشرف . أى بجيد طويل . وهجان : عتيق . ووضاح : صفة لمحذوف . أى ونغر وضاح أى نقى . وأغر : أبيض . ومفلج : متباعد الثنية .

فَدَبَّتْ حُمَيَّا الشَّوقِ فى النفسِ واصْطَلَتْ ... تَبارِيحُ إلا تُودِ بالنَّفْسِ تُلْعِجِ (١)

عَشِيَّةَ لا أستطيعُ صَبْرًا ولا بُكا ... فأشْفِى غليلى والبُكا مَفْزَعُ الشجى

وقد أعْسِفُ الخرْقَ المَهيبَ اعتسافَهُ ... بخَرْقاءَ من سِرِّ الهِجانِ عَفَنْجَجِ (٢)

مُبِينَةِ عِتْقِ الحُرَّتينِ وخَطْمُهَا ... يُبارِى السِّنانَ غيرَ أنْ لم يُزَجَّجِ (٣)

عَجَمْجَمَةٌ رَوْعاءُ زيَّافَةُ السُّرَى ... أمُونٌ كبُرْجِ الأندرىِّ المُؤَرَّجِ (٤)

إذا زُعْتَها بعْدَ الكَلالِ تَغَشْمَرَتْ ... وَحَطَّتْ حِطاطَ الجَنْدَلِ المُتَدَحْرِجِ (٥)

كأنى إذا أخْلَيْتُها الخرْقَ وارتمتْ ... يَدَاها بِرَضْراضِ الحَصَا المُتأجِّجِ (٦)

---

(١) قوله : فدبت حميا النفس : أى تمشت . والحميا : شدة الشوق مأخوذ من حميا الكاس وهى سورتها وشدتها . واصطلت : انقدت . وتباريح الشوق : توهجه ، وهو من الجموع التى لا مفرد لها . وقيل : واحدها تبريح . وتود بالنفس : تذهب بها . وتلعج : تحرق . يقال : ألعج النار فى الحطب ، أوقدها ، أو من لعج الجلد : أحرقه .

(٢) قوله : وقد أعسف الخ . العسف : قطع الأرض فى ابتغاء حاجة من غير هداية . والخرق : القفر والأرض الواسعة تتخرق فيها الرياح . والمهيب : الذى تهابه الناس . وأصله المهيوب . والخرقاء : النشيطة التى لا تستقر ، مأخوذة من الخرق . وهو ضد الرفق . وقوله . من سر الهجان ، السر : يقال للأصل . والمحض : النسب وأفضله . والعفنجج : الناقة السريعة.

(٣) قوله : مبينة عتق الحرتين . يعنى بالحرتين : الأذنين . ومعناه أن أذنيها رقيقتا الأعلى. وهذا من امارة العتق فى الابل . قال طرفة :

مؤللتان تعرف العتق فيهما ... كسامعتى شاة بحومل مفرد

وخطمها : مشفرها . ومعنى مباراته للسنان : أنه عتيق . يشبه السنان فى رقته ، وقوله : غير أن لم يزجج : يعنى أن شعره عليه بخلاف السنان .

(٤) قوله : عجمجمة أى شديدة ، أو هى القوية على السير ، وروعاء : كثيرة الفزع ، لنشاطها . وزيافة : كثيرة التبختر فى السرى . وأمون : وثيقة الخلق ، والبرج فى الأصل الحصن ، والأندرى البناء العالى ، مأخوذ من أندرون ، التى فى معلقة عمرو بن كلثوم فإنه قيل إنها جمع أندرى ، والمؤرج : الذى عولى بناؤه .

(٥) قوله : إذا زعتها ، الخ . زعتها حركتها بزمامها لتسرع ، والكلال : التعب . وتغشمرت : تقحمت الأوعار من نشاطها ، مأخوذ من غشمر السيل : إذا أقبل . وحطت : انحدرت فى سيرها . والجندل : الحجر . والمتدحرج : المنحط من أعلى .

(٦) قوله : كأنى إذا أخليتها الخ . الخرق : المفازة . والرضراض : صغار الحصى التى يجرى عليها الماء ، والمتأجج : المتقد من حرارة الشمس .

على لؤلؤان اللون سفعاء لاعها ... تشمم أشلاء بمصرع بحزج (١)

من الخمس قد باتت وأضحت تعله ... بعفياء لا تخشى بها من مهيج (٢)

فلما رمته فى المفاصل نعسة ... إلى بطن خفف بالصريمة أعوج (٣)

تراخت بها عنه المراعى فأحدقت ... به بؤس ما إن لها من مهجهج (٤)

بنو قفرة طلس الملا من عصابة ... إذا أقدمت فى غرة لم تحجحج (٥)

شرابهم دم العبيط وزادهم ... فريس طريد لحمه غير منضج (٦)

فراحت لعهد كان منه فلم تجد ... سوى جلد أو رأس عظم مشجج (٧)

فجالت قليلا وانثنت تستخيره ... ولم تدر أن من يعلق الحتف يخلج

فطافت له سبتا ترجى إيابه ... وأنى لها هيهات ماهى ترتجى (٨)

فلما ذوت قردان درتها طوت ... على علة يأسا مبينا لمن شجى (٩)

---

(١) قوله : على لؤلؤان اللون الخ . هو خبر كان فى البيت قبله ، ومعناه على بقرة وحش يتلألأ لونها . وسفعاء : أى شاحبة من حزنها على ولدها الذى أصيد . مأخوذ من المرأة السفعاء ، وهى التى بذلت نفسها فى القيام على ولدها ، وتركت الزينة . وتشمم : من الشم . والأشلاء : جمع شلو بالكسر ، والمراد عظامه والبحزج : ولد البقرة الوحشية ، وتقدم ضبطه فى هذه القصيدة .

(٢) قوله : من الخمس الخ . الخمس : جمع خمساء . وهى فعلاء من الخمس بالتحريك ، وهو تأخر الأنف مع ارتفاع قليل فى الأرنبة . وتعله : ترضعه مرة بعد مرة . والعفياء : الأرض التى لايهتدى فيها ، والمهيج : الذى يهيجها .

(٣) قوله: فلما رمته الخ . الحقف : المعوج من الرمل . والصريمة :القطيعة من معظم الرمل.

(٤) قوله : تراخت بها الخ . أحدقت : أحاطت به . وبؤس : جمع بائس ، يعنى : القناص. ومهجهج : زاجر . يقال : هجهج بالسبع : صاح به ، وبالجمل زجره .

(٥) قوله : بنو قفرة الخ . الطلس : جمع أطلس ، وهو الوسخ . والملا : جمع ملاءة ، وهى الريطة . أى هم وسخو الثياب . ولم تحجحج : لم تنكص .

(٦) قوله : شرابهم دم العبيط الخ . الدم العبيط : الخالص الطرى . والدم بالتشديد لغة . والفريس : القتيل من الدواب . وغير منضج : غير محكم الشىء .

(٧) قوله : فراحت ، فى بعض النسخ : فجاءت لعهد الخ . الجلد بالتحريك : لغة فى الجلد.

(٨) قوله : وانثنت تستخيره : أى انثنت تصوت له ، ليجيبها من شدة ولهها عليه ، ويخلج : يجذب إلى الهلاك .

(٩) قوله : فلما ذوت قردان درتها الخ . يعنى لما يبس ضرعها ، وجف مافيه من اللبن . وقوله : طوت على علة يأساً . أى يئست من رجوعه مرة أخرى .

فباتتْ على فردٍ أجمَّ كأنها تلألؤُ مقباسٍ يُشَبُّ لِمُدْلِجِ (١)
تُقطِّعُ من عَزْفِ الفلا جِرَراً لها حِذاراً فمهْمَى يَعْزِفِ الهَوْلُ تَمْعَجِ (٢)
تَغُصُّ بها ما إن تكاد تُسيغُها فتُلقى لُفاظاً من لُغامٍ ورِجْرِجِ (٣)
فلما سَرى عنها الدُّجى الصبحُ آنستْ به جَرْسَ ذى طِمْرين بالصيدِ مُلْهِحِ (٤)
أخى سَبعةٍ أو تِسعةٍ قدْ أعدَّها لأمثالها من كل شهْمٍ محرَّجِ (٥)
يَحُثُّ ضِراءً كالحاتٍ كأنها قِداحُ مُفيضٍ بالمغاليقِ مُفلِجِ (٦)
مَضَاريعَ وحْشٍ ضارياتٍ تعوَّدَتْ مُغارَ الصَّباحِ من ضراءَ ابنِ الأعْوجِ (٧)
فما ذَرَّ قَرْنُ الشمس حتى غَشِينَها وجدَّتْ نجاءً غيرَ نُكْدٍ ولاوجِ (٨)

(١) قوله : فباتت على فرد أجم الخ . على فرد : أى كثيب من الكثبان . وأجم : لانبات عليه . وقوله : كأنها تلألؤ مقباس . يعنى أنها براقة اللون . والمدلج : السارى .

(٢) قوله : تقطع من عزف الفلا الخ . العزف والعزيف : صوت الجن . وهو جرس يسمع فى المفاوز بالليل ، والفلا : جمع فلاة ، وهى القفر أو المفازة لا ماء فيها . وجرر : جمع جرة وهو ما تخرجه من كرشها فتأكله ثانية .

(٣) قوله فتلقى : أى تطرح . ولفاظ : جمع لفاظة بالضم فيهما ، وهو ما ترميه من فمها . واللغام : زبد البعير الذى يرمى به ، وهو فى الظبية مجاز . ويوجد فى بعض النسخ من لعاع ورجرج ، واللعاع : نبت ناعم فى أول ما يبدو . والرجرج بكسرتين : جمع رجرجة ، وهى اللعاب . يقال : فلان كثير الرجرجة : أى البزاق .

(٤) قوله : فلما سرى الخ . أى فلما كشف عنها الصبح . الدجى : وهو جمع دجية، وهى الظلمة . وآنست : سمعت . وذى طمرين . ذى ثوبين باليين . وملهج : مولع .

(٥) قوله : أخى سبعة أو تسعة الخ . أى هو أخو سبعة كلاب أو تسعة ، وقد أعدها لأمثالها ، أى لأمثال هذه الظبية . والشهم : السريع النشيط القوى . والمحرج : الكلب المقلد بالحرج وهو الودعة .

(٦) قوله : يحث ضراء أى كلا باضراء من الضراوة . وكالحات : عابسات . وقداح : جمع قدح ، وهى أعواد الميسر ، والمفيض : الذى يفيضها : أى يرسلها ويدفعها ، والمغاليق أصله المغالق بغير ياء ، ومفاعيل ومفاعل ، يتعاقبان ، وهى من نعوت القداح التى يكون لها الفوز وليست من أسمائها ، وهى التى تغلق الخطر ، فتوجبه للقامر الفائز كما يغلق الرهن لمستحقه .

(٧) قوله : مضاريع وحش الخ . أى تصرع الوحش كثيراً ، وضاريات : من الضراوة ، ومغار : من الإغارة . وضراء : جمع ضار . وابن الأعوج : فارس مشهور .

(٨) قوله : فما ذر قرن الشمس الخ . أى فما طلع . وجدت : اجتهدت فى الجرى ونجاء ماناب عن المصدر من جدت ، وغير نكد : غير نزر . والوجى : الذى به وجى ، وهو أن يرق الحافر أو الفرسن ، وأسند الوجى إلى النجاء ، ومراده : الظبية نفسها

فألقتْ معاً أرْواقَها وتمطرتْ على إثرِها مُسْتَضرماتٍ بعَرْفَجِ (١)
فأقصرْنَ عنها بعدَ شأوٍ مُغرّبٍ وَمرّتْ كمِصْباحِ السَّماءِ المُدَحْرَجِ (٢)
تَساقطن حَسْرى بين وانٍ مغوّرٍ وكابٍ بمكنُونِ الحشا مُتَضرّجِ (٣)
كأنى إذا ما شبّتِ المُعزُ نُورُها على تلكَ أوْهَيقٍ هِجَفٍّ هَزَلّجِ (٤)
أزَجّ من الزُّعرِ الظنابيبِ مُعْرِسٍ بخَرْجاءَ هَوْجاءَ البُرايةِ عَوْهَجِ (٥)

---

(١) قوله : فألقت معاً أرواقها الخ : الأصل : فألقت أرواقها معاً ، يعنى : أنها بالغت فى عدوها ومعنى تمطرت : أسرعت . ومستضرمات : بمعنى مشتعلات . وهو حال من الضمير . والعرفج : شجر سريع الاتقاد . شبه جرى الكلاب به فى سرعته ودوى صوته .

(٢) قوله : فأقصرن عنها الخ . الشأو : الطلق . ومغرب : شديد . ومراده بمصباح السماء : النجم الذى سقط من السماء . والمدحرج : المرمى .

(٣) قوله : تساقطن حسرى الخ تساقط أى تساقطت . متتابعة . ووان : من الونى ، وهو التعب . ومغور أى ساكن ليستريح ، يقال : غور المسافر تغويراً : إذا نزل نصف النهار هنيهة ليستريح . وهذا المعنى مأخوذ من قول امرىء القيس ، يصف الكلاب والثور :

وغورن فى ظل الغضا وتركنه كقرم الهجان الفادر المتشمس

والكابى : الساقط . ومكنون : مستور . والوتين : عرق فى القلب إذا انقطع مات صاحبه . ومضرج : ملطخ . وفى بعض النسخ بمكنون الدماء .

(٤) قوله : كأنى إذا ما شبت المعز الخ . شبت : أوقدت . والمعز : جمع معزاء ، وهى الصخرة . ونورها : جمع نار . وهو جمع غير مقيس لاعتلال عين المفرد . ومعناه : وقت اشتداد الهاجرة ، وعلى تلك : إشارة إلى الظبية المتقدمة . والهيق : الظليم . والهجف : بكسر الهاء وفتح الجيم وشد الفاء : الظليم المسن ، أو الجافى المستثقل ، وهزلج : كعملس غليظ .

(٥) قوله : أزج من الزعر الخ . الأزج من النعام البعيد الخطو . وقيل : الزجج فى النعامة طول ساقيها وطول خطوها . والزعر : جمع أزعر وزعراء . والمصدر : الزعر بالتحريك ، وهو فى النعام . أن يقل شعره ويتفرق ، وذلك إذا ذهبت أصول الشعر وبقى شكيره : قال علقمة :

كأنها خاضب زعر فوادمه أجنى له باللوى شرى وتنوم

وهذا البيت نسبه تاج العروس لذى الرمة . وكذلك لسان العرب ، وهو غلط منهما ، والظنابيب : جمع ظنبوب بالضم ، وهو حرف الساق من قدم بضمتين ، أو هو ظاهر الساق أو عظمه . والخرجاء : هى التى لون سوادها أكثر من بياضها كلون الرماد ، وهوجاء من الهوج . وأصله الطيش والتسرع ، وأصل البراية بالضم : النحاتة . ويقال : ذات براية . أى ذات شحم ولحم ، أو ذات بقاء على السير ، وقيل : هى قوية عند برى السير إياها . وهذا الأخير أنسب . لأنه يقول : إنها باقية على برى السير إياها . والعوهج : الطويلة العنق من الظلمان .

يُعودانِ زُعْراً بالخميلةِ دَرْدَقاً ومرصُوص بَيْضٍ حَوْلها لم يُنتَّج (١)
يَظلاّنِ فى آءٍ وشرْيٍ طَباهُما بأقرَحَ من أرْى الرَّواعدِ أدعَج (٢)
تُزايلُهُ طوْراً وتأوِى فأمْسيا بمُنتزح والشمْسُ بالمُتعرّج (٣)
فهاجَهما جُنحَ الظلام أدّ كارُهُ فزفا لهُ فى أنفِ نكْباءَ سَيْهج (٤)
وقدْ أصحبُ القومَ الكريمَ نِجارُهم وخيمُهمُ من كلّ أرْوعَ مِعْنَج (٥)
يَحُوط المداعى والمساعى مُرَزَّءٌ تقىٌّ نقىُّ اللوْنِ غيرُ مُزلّج (٦)
عليهِ قبولٌ يغمرُ الحىّ سَيْبُهُ إذا لم يكنْ فى الحىّ مَلجأ لُملتج (٧)
كِرامٌ صَفتْ أخلاقُهمْ وتمحّضَتْ وليس الصريحُ المحضُ مثلَ المُمزّج (٨)

(١) قوله : يعودان . أى الظليم والنعامة . وزعر : تقدم تفسيره آنفاً ، والخميلة : المنهبط من الأرض . أو رملة تنبت الشجر : والدردق كجعفر : أولاد النعام ، وأكثر مايستعمل فى الأطفال . ومرصوص البيض : الذى بعضه فوق بعض . ولم ينتج : لم يفلق بعد .

(٢) قوله : يظلان فى آء وشرى الخ . التثنية عائدة على الظليم والنعامة . والآء كالعاع : ثمر السرح على الصحيح ، ويسميه أهل الصحراء العنب ـ بكسر العين وسكون النون والباء ـ والشرى . الحنظل أو شجره ، وطباهما : دعاهما . والأقرح : المكان الذى فى وشطه نوارة بيضاء ، أو الذى بدا نبته . والأرى من السحاب . وأدعج : أسود ، وهو أكثر ماء من غيره .

(٣) قوله : تزايله : أى تزايل الظليم تارة ، وتأوى إليه أخرى ، وبمنتزح : بمكان نازح . وقوله : والشمس بالمتعرج : جملة حالية : ومعناه : أنها جنحت للغروب .

(٤) قوله : فهاجهما أى فحركهما ، وجنح الظلام : وقت جنوح الشمس للغروب . وادكاره : تذكره . والضمير للبيض : وزفا . أى فأسرعا . وفى أنف نكباء : أى فى أول ريح نكباء . وهى التى تهب بين ريحين . وسيهج : شديدة .

(٥) قوله : وقد أصحب القوم الخ . النجار : الأصل . والخيم ـ بالكسر ـ السجية ، والطبيعة . والأروع : الذى يروعك بجماله . والمعنج كمنبر : المتعرض للأمور .

(٦) قوله : يحوط المساعى الخ : المساعى : جمع مسعاة ، وهى المكرمة والمعلاة ، والمداعى : جمع مدعاة وهى فى الأصل الدعوة إلى الطعام . ومراده أنه يطعم الناس ويقرى الضيوف . ومرزء : كثير الرزء فى ماله . ونقى العرض : لم يفعل مايذم بسببه . والمزلج : الملصق بالقوم وليس منهم ، وقيل : هو الدعى . ويقال : للذى ليس بتام الحزم ، وللناقص الضعف ، وللناقص الخلق ، مزلج . وقيل : هو الدون من كل شىء .

(٧) قوله : يغمر الناس : أى يعمهم ، وسيبه : عطاؤه .

(٨) قوله : صفت أخلاقهم وتمحضت : أى خلصت . والممزج : المشوب .

أولئك أخدانى فأصبحتُ بعدَهمْ أسايرُ خلفاً نهجُهمْ غيرُ مَنهَجِ (١)
يرون جميلا ما أتوا من قبيحهمْ فيالَلإلهِ للسَّفاهِ المُروِّجِ

إلى هنا انتهت الجيمية ، وحيث أنه عارض بها جيمية الشماخ بن ضرار الغطفانى الصحابى ، أحببنا ذكرها تتميماً للفائدة ، والشىء بالشىء يذكر .

* * *

﴿ وهى ﴾ :

ألا نادِيا أظعان ليلى تُعَرِّجِ فقد هِجْنَ شوقا لَيْتَهُ لم يُهيَّجِ (٢)
أقولُ وأهلى بالجناب وأهلُها بنجْدَيْنِ لا تَبْعدْ نَوى أمّ حَشْرَجِ (٣)
وقد يَنْتأى مَنْ قد يَطولُ اجتماعهُ وتَخلجُ أشْطانَ النَّوى كلُّ مخلجِ (٤)
صَبا صَبْوَةً من ذى بحارٍ فجاوَزتْ إلى آل ليلى بطنَ غَوْلٍ فمَنْعَجِ (٥)

---

(١) قوله : أولائك أخدانى . الخ . الأخدان : الأصحاب . والخلف ـ بالفتح والسكون ـ للاشرار . والخلف بالتحريك : ضده ؛ كما تقدم فى أول هذا الكتاب .

(٢) ناديا : خطاب لصاحبيه . ويحتمل أن يكون خطابا لواحد على حد « ألقيا فى جهنم » والأظعان : جمع ظعينة . وأكثر ماتطلق الظعينة على المرأة فى هودجها . ثم قيل : للهودج بلا امرأة وللمرأة ، بلا هودج ، وتتعرج : تحبس مطاياها . وهو جواب لنـاديا . وهجن شوقا : حركنه .

(٣) قوله : وأهلى بالجناب : جملة حاليـة . والجناب بالفتح : موضع فى أرض كلب ، وبالكسر . موضع فى عراض خيبر ، وادى القرى . وقيـل : هو من منازل بنى مازن . وقوله : بنجدين بلفظ المثنى المجرور : هو موضع يقال له نجدا مريع . وأم حشرج : كنية امرأة .

(٤) ينتأى : من النأى . وتخلج : تشغل . والأشطان : جمع شـطن ، وهو الحبل . والنوى : البعد . ومخلج : اسم مصدر تخلج .

(٥) صبا : أى مال للصبا ، والصبوة : جهلة الفتوة : وذو بحار : جبل أو أرض سهلة تحفها جبال . وقيل : واد بأعلى السرير لعمرو بن كلاب . وقيل : جبل فى ظهر حرة بنى سليم . وقيل غير ذلك . وجاوزت : جازت . وليلى اسم امرأة . وآلها : أهلها . فالآل والأهل مترادفان ، ولا يضاف آل فى الغالب إلا إلى من له شرف . فلا يقال : آل الحجام : وإنما أضافه إلى ليلى ، لأن المحبوب شريف عند من يحبه . وبطن غول : ماء للضباب بجوف =

كِنانيَّةٌ إنْ لم أنَلْها فإنها ... على النأى من أهلِ الدلالِ المُولِّجِ (١)

وَسيطةُ قَوْمٍ صالِحِينَ يَكُنُّها ... مِن الحَرِّ فى دار النَّوى ظِلُّ هَوْدَجِ (٢)

مُنَعَّمةٌ لم تَلْقَ بُؤْسَ مَعيشةٍ ... ولم تَعْتَزِلْ يوْما على عُودِ عَوْسَجِ (٣)

هضيمُ الحشا لا يَملأُ الكفَّ خَصْرُها ... ويَملأُ منها كلُّ حِجْلٍ ودُمْلُجِ (٤)

تَميحُ بمِسْواكِ الأراكِ بَنانُها ... رُضابَ النَّدَى عن أقْحُوَانٍ مُفَلَّجِ (٥)

وإنْ مَرَّ من تَخْشى أَلْقَتْهُ بمِعْصَمٍ ... وسِبٍّ بنَضْحِ الزَّعْفرانِ مُضَرَّجِ (٦)

= طخفة . وقيل : هو واد فى جبل يقال له : إنسان ومنعج : بالفتح ثم السكون وكسر العين والجيم ، وقياس المكان . فتح العين لفتح عين مضارعه . ورواه بعضهم بالفتح على القياس ، والمشهور الكسر : واد يأخذ بين حفر أبى موسى ، والنباج ، وقيل : واد يصب فى الدهناء . وقيل : هو من مياه بنى عقيل .

(١) كنانية نسبة إلى كنانة ، ويحتمل أن يكون المراد به كنانة بن مدركة الجد الرابع عشر لرسول الله صلى الله عليه وسلم . أو كنانة : أبو قبيلة من تغلب . وعلى : بمعنى مع ، والنأى : البعد والدلال ، تدلل المرأة على زوجها ، والمولج : الداخل فى القلب . والمعنى : أنه إن لم ينلها فإنها من أهل الحب الداخل فى القلب مع بعدها .

(٢) وسيط كل شىء : أعدله . وهو وسيط فى قومه ، أى أوسطهم نسباً وأرفعهم محلا ، ويكنها : يسترها . والنوى : البعد . والهودج . مركب من مراكب النساء مقبب ، يعنى : أنها تجعل على هودجها سترا ، يقيها الحر فى وقت الاغتراب . أى زمن الرحيل والانتجاع .

(٣) منعمة : حسنة العيش . والبؤس : الشدة ، ولم تعتزل : لم تغزل القطن . والعوسج : شجر يتخذ منه المغزل ، مثلث الميم ، وأنكر بعضهم ضمه .

(٤) هضيم الحشا : أى خميصة البطن ، أى ضامرته . . والحجل بالكسر . الخلخال . والدملج : كجندب ، المعضد من الحلى : والمعنى : أن خصرها دقيق لا يملأ الكف ، وأن موضع حجلها ودملجها بالعكس ، وذلك محمود فى النساء :

(٥) تميح : تشوص . أى تنحنى . والمسواك : معروف . والأراك بالفتح : شجر يستاك به ، وهو أطيب مارعته الماشية ، والبنان : الأصابع واحدها بنانه . والرضاب : الريق . والندى : البلل ، والأقحوان بالضم نبت أبيض له نور يشبه به أسنان النساء ، ومفلج : متباعد . والمعنى : أنها نقية الأسنان ، وأنها طيبة الريق .

(٦) مرّ : اجتاز ، ومن : بمعنى الذى . وتخشى : تخاف . وانقته : من الوقاية ، والمعصم : كمنبر ، موضع السوار من اليد ، ويطلق على اليد ، والسب : الخمار . والنضح ـ بالمهملة والمعجمة ـ الرش . والزعفران : صبغ معروف ، وهو من الطيب . ومضرج : ملطخ .

وترفع جلباباً بعبلٍ مُوَشَّمٍ ... يكُنُّ جَبيناً كان غيرَ مُشجَّجِ (١)
تخامَصُ عن بَرْدِ الوِشاحِ إذا مشتْ ... تخامُصَ حافى الخيلِ فى الأمْعَزِ الوَجى (٢)
يَقِرُّ بعينى أن أُنَبَّـــأَ أنهـا ... وإن لم أنلها أيِّمٌ لم تَزَوَّجِ (٣)
ولو تطلُبُ المعروفَ عِندى رَدَدتُها ... بحاجةِ لا القـالى ولا المُتلَجلِـجِ (٤)
وكنتُ إذا لاقيتُها كان سِرُّنا ... لغـا بيننا مِثلَ الشّواءِ المُلَهوجِ (٥)
وكادتْ غداةَ البينِ ينطقُ طرفُها ... بما تحتَ مكنونٍ من الصّدرِ مُشرَجِ (٦)
وتشكو بعين ما أكلَّ رِكابَها ... وقيلَ المُنادى أصبَحَ القومُ أدلجِ (٧)

---

(١) الجلباب : ثوب فيه اتساع . والعبل : الضخم ، وهو صفة المحذوف ، أى بذراع ، عبل وموشم : معمول به الوشم . وهو أن تغرز المرأة يدها بالإبرة ، ثم تذر عليهـا النور ، ويكن : يستر . والجبين : ناحيـة الجبهة . وكان : زائدة بين النعت ، وهو غير ، ومنعوته وهو جبين . ومشج : مكسر .

(٢) تخامص : أصله تتخامص ، وحذفت إحـدى التاءين تخفيفاً . والوشاح : بالكسر ماتتوشح به المرأة . والحافى : ضد المنتعل . والأمعز : المـكان الذى فيه غلظ وصلابة ، وفيه حجارة . والوجى : الذى أصابه الوجى . وهو الحفى أو أشـد منه : والوجى : صفة للحافى ، وهذا على التقديم والتـأخير ، أى : تخامص حافى الخيل الوجى فى الأمعز . والمعنى : أن الودع يؤذيها ببرده فهى تتجافى عنه .

(٣) يقر بعينى : أى يسرنى . يقال : قرت العين . أى بردت سروراً . وأن أنبأ : أن أخبر . والأيم : التى لازوج لها . وجملة وإن لم أنلها ، اعتراضية ، ولم تزوج أصله لم تتزوج ، وهو بدل من أيم بدل جملة من مفرد .

(٤) المعروف : الخير والإحسان . والقالى : اسم فاعل قلاه ، أى أبغضه . والمتلجلج : المتكلم بلسان غير بين . المعنى : أنها إن سألته ردها بحاجة شخص غير قال لها ، ولا متلجلج فى جوابه لها ، يعنى أنه يردها بما طلبت منه .

(٥) السر : الحديث . والشـواء : اللحم . والملهوج . الذى لم ينضج . يقول : إنهما إذا تلاقيا لا يتقنان حديثهما لعجلتهما من الرقباء .

(٦) كادت : قربت . وغداة : غدوة . وأضافها إلى البين ، وهو الفراق ، والمـكنون : المستور . والصدر معروف ، ومن تبيين ومشرج : مداخل . المعنى : أنها كادت تبكى مما أصابها من ألم الفراق .

(٧) تشكو : من الشكوى . وأكل : أتعب . وركابها : إبلها . والقيل والقول سواء . ويروى : قال المنادى يصف هذه المرأة ، أتعبها طول السير ليلا ونهاراً . وقول المنـادى : أصبح القوم فما تنتظرون بالسير ؟ وقوله فى أول الليل : أدلجى . أى سيرى . والادلاج خاص بأول الليل ، كما أن الادلاج بالتشديد ، خاص بآخره وقيل : هما مترادفان ، أى هى لاراحة لها =

ألا أدلجتْ ليلاكَ من غيرِ مُدلجِ هَوى نفسها إذ أدلجت لم تُعرِّجِ (١)
بليلٍ كلونِ السَّاجِ أسْوَدَ مُظلمٍ قليلِ الوَغى دَاجٍ كلونِ اليَرَنْدَجِ (٢)
لكنْتُ إذاً كالمُتَّقى رأسَ حَيَّةٍ بحاجَتِها إن تُخطىء النفسَ تُعْرِجِ (٣)
وكيفَ تلاقِيها وقدْ حالَ دُونَها بنُوالهُونِ أوجسْرٌ وَرهطُ ابنِ جُنْدُجِ (٤)
تحلُّ سَجَا أو تجعلُ الغيلُ دُونها وأهلى بأطرافِ اللِّوَى فالمُوتَّجِ (٥)

= ومعنى شكواها : بعينها . أن السفر لما طال عليها غارت عيناها ، وانكسر طرفها ، وصار النعاس يغالبها على ظهر المطية . فجعل ذلك كالشكوى لأنه دليل على ماتكابده وتقاسيه وقيل : المراد أنها تشكو رمزاً وإيماء ، لأنها لا تقدر على الكلام ، لأجل من حولها . وما : مفعول بمعنى الذى وهى واقعة على السير . ويروى : أكلت ، فمن ذكر الضمير أراد السير ، ومن أنث أراد الحال التى أكلت ركابها وأصبح فى البيت ، لا خبر لها ، لأنها بمعنى دخلوا فى الصباح . وفى البيت سؤال وهو أنه يقال : أدلج القوم ، إذا ساروا أول الليل ، فكيف يجمع الأمر بالإدلاج مع قوله : أصبح القوم . والجواب : أنه كان ينادى مرة أصبح القوم كم تنامون ، ومرة أدلجى .

(١) أدلجت : سارت من آخر الليل : من غير مدلج : معناه من غير شىء يحملها على الادلاج . وهوى نفسها . مفعول له أى : أدلجت لأجل هوى نفسها ، ولم تعرج : لم تعطف .

(٢) الساج : الطيلسان الأسود . وأسود : نعت الليل ، ومظلم : توكيد لأسود . ويروى : أخضر ، وهو من الأضداد . يقال للأخضر ، وللأسود . وقليل الوغى : أى لا وغى فيه . وقيل تجىء للنفى . والوغى : الصوت . يعنى أن السارى فيه لا يتكلم لشدة خوفه ، وداج : مظلم . واليرندج والارندج : جلد أسود . تعمل منه الخفاف . شبه الليل به فى شدة سواده .

(٣) اللام فى لكنت مؤذنة بالقسم ، وهذا من الشاذ . وهو اقتران لام القسم بالفعل الماضى من غير أن تحول بينهما قد ، ووقع مثله فى شعر امرىء القيس ، وإن تخطىء النفس . إن لم تصبها . وتعرج : تجعل رجله عرجاء . أى إن لم تقتل من نهشته تركته أعرج . والمعنى : أنه كان فى تجنبه لوداع محبوبته خوفا على نفسه من أمر يقع له عند موادعتها مثل المتقى رأس الحية . يعنى أنه أصابه تحسر على فوات وداعها .

(٤) الهون ـ بالضم والفتح ـ ابن خزيمة بن مدركة ، أبو حى من العرب ، وجسر حى من قضاعة والرهط : الجماعة . وابن جندج . اسم رجل . يعنى أن الأعداء حالوا بينه وبينها فلا مواصلة تتأتى .

(٥) تحل : تنزل . وسجا : بالسين المهملة والقصر . ماء لبنى الأضبط . وقيل : لبنى قوالة . وقيل : ماء بنجد لبنى كلاب . وقال أبو على القالى ، فى المقصور والممدود : إنه بالشين المعجمة . أنه يكتب بالألف لأنه من الشجو . وأنشد بيت الشماخ ، شاهدا عليه . والغيل : بالفتح ماء فى صدر يلملم . والأطراف : النواحى . والموتج كمعظم : موضع قرب اللوى . وأخطأ فيه . ياقوت حيث ضبطه بالمثلثة ، وإنما هو بالمثناة الفوقية .

وأشعثَ قدْ قدَّ السَّفارُ قميصَهُ ... وَجَرَّ الشّواء بالعَصى غيرَ مُنْضَجِ (١)

دَعَوْتُ فلبَّـانى إلى ماينُوبُنى ... كريمٍ من الفتيان غيرَ مُزَلَّجِ (٢)

فتى يملأُ الشيزى ويُرْوى سِنانُهُ ... ويَضربُ فى رأسِ الكمىِّ المُدجَّجِ (٣)

أبلَّ فلا يَرْضى بأدنى مَعيشةٍ ... ولا فى بُيُوتِ الحىِّ بالمتولِّجِ (٤)

وشُعْثٍ نشاوى من كرًى عند ضُمَّرٍ ... أُنِخْنَ بجَمْجاعٍ قليـلِ المُعرَّجِ (٥)

وقعْنَ بِهِ منْ أوَّلِ اللَّيلِ وقعةً ... لدى مُلقَحٍ من عُودِ مَرْخٍ ومنتجِ (٦)

قليلا كحَسْوِ الطيرِ ثمَّ تقلَّصتْ ... بنا كلُّ فتلاءِ الذراعين عوْهَجِ (٧)

---

(١) وأشعث : أى رب رجل أشعث ، من الشعث ، وهو تغير الرأس وتلبده ، لقلة تعهده بالدهن . وقد الأولى : حرف تحقيق . والثانية : فعل ماض . بمعنى : شق . والسفار : السفر . والقميص : الثوب . والشواء : وزن كتاب . فعال بمعنى مفعول ، أى : مشوى بالنار . ومنضج : اسم مفعول ، أنضج الطاهى اللحم ، فهو منضج . أحكم شيه ، أى أشعثه ، وقد ثوبه السفار وكثرة العمل لرفقائه . والعرب تتمادح بذلك .

(٢) دعوت : جواب . رب المقدرة . ولبانى : قال لى لبيك . وماينوبنى : ماينزل بى من حوادث الدهر . والمزلج : الملصق بالقوم . وليس منهم . وقيل : هو الدعى . ويقال : للذى ليس بتام الخزم ، وللناقص الضعيف ، ولناقص الخلق : مزلج . وقيل : هو الدون من كل شىء .

(٣) الشيزى : خشب تتخذ منه القصاع . والسنان : نصل الرمح . وقوله فى رأس الكمى : فى ، زائدة : والكمى : الشجاع ، ولابس السلاح . والمدجج — بفتح الجيم وكسرها — الشاك فى السلاح : أى عليه سلاح تام .

(٤) الأبل : المصمم الماضى على وجهه ، الذى لا يبالى بما لقى . والمتولج : الداخل . أى أنه لا يألف بيوت الحى .

(٥) قوله : وشعث . أى رب رجال شعث . ونشاوى : جمع نشوان . وهو السكران . والكرى : النعاس ، وضمر : جمع ضامر وضامرة . أى : عند مطايا ضمر . أى مهازيل . وأنخن : من الإناخة : وهى البروك . والجمجاع : الأرض الغليظة . وقيل : المعرج . أى لا محبس فيها لحدبها . وشدة الخوف فيها . وجواب رب محذوف لدلالة السياق ، أى أيقظتهم .

(٦) وقعن : بركن . والضمير للضمر وبه أى : بالجمجاع . وملقح : اسم مفعول . ألقحت الريح الشجر . فهو ملقح . ومنتج : اسم مفعول أنتج . أى أخرج أزهاره . وعاليجه . والمرخ : شجر معروف .

(٧) قليلا : صفة لمصدر مقدر ، أى وقعن به وقعاً قليلا كحسو الطير . أى كشربه فى سرعة انقضائه . وتقلصت : شمرت فى سيرها ، وكل فتلاء . أى كل ناقة بها فتل بالتحريك . وهو اندماج فى مرفق الناقة وبيون عن الجنب . والعوهج : الطويلة العنق ، وقيل : الفتية . وقيل : التامة الخلق .

وداوية قفر تمشّى نعاجها ... كمشى النصارى فى خفاف اليرندج (١)
قطعتُ إلى معروفها منكراتها ... إذا خبّ آلُ الأمعز المتوهج (٢)
وأدماء حُرجوج تعاللتُ موهناً ... بسوطى فأرمدّت فقلت لها عج (٣)
إذا عيج منها بالجديل ثنت له ... جراناً كخوط الخيزران المموّج (٤)
وإن فترت بعد الهباب ذعرتها ... بأسمر شخت ذابل الصدر مدرج (٥)
كأنّ على أكسائها من لغامها ... وخيفة خطمىّ بماء مبحزج (٦)

---

(١) قوله وداوية : أى رب داوية ، وهى الفلاة الواسعة الأطراف . والقفر : المفازة لاماء فيها ولا نبات . وتمشى : أصله تتمشى . والنعاج : جمع نعجة ، وهى بقرة الوحش . والخفاف : جمع خف ، وهو ما يلبس فى الرجل . واليرندج ، والأرندج : تقدم تفسيرهما ، شبه أسوق النعام فى سوادها بخفاف الأرندج ، وهو الجلد الأسود ، كما تقدم . وخص بها النصارى لأنهم معروفون بلباسها .

(٢) قطعت : جبت . وهو جواب رب ، مع أن سيبويه استشهد بالبيت على حذف جواب رب . لأنه سمع البيت وحده ممن أنشده مفرداً ، ومعروفها : ما يعرف منها . ومنكراتها : ما ينكر لعدم معرفته . وخب : اضطرب . والآل : السراب ، أو هو خاص بما فى أول النهار . والأمعز : المكان الغليظ فيه حصى . والمتوهج : من التوهج ، وهو حرارة الشمس والنار من بعيد .

(٣) قوله : وأدماء : أى رب ناقة أدماء ، أى فى لونها أدمة بالضم ، هى فى الإبل لون مشرب سواداً أو بياضاً أو هو البياض الواضح . والحرجوج : بالضم الناقة السمينة الجسيمة . وقيل غير ذلك ، وجمعها : حراجيج . وتعاللت : أخرجت ما عندها من السير ، والموهن : نحو من نصف الليل أو بعد ساعة منه ، وأرمدت : من الارمداد ، وهو سرعة السير . وعج : أمر من عاج بالمكان ، إذا عطف عليه .

(٤) قوله : إذا عيج ، إذا عطف . والجديل : الزمام المحكم الفتل . وثنت : عطفت . وجران البعير بالكسر : مقدم عنقه من مذبحه إلى منحره ، جمعه جرن ككتب . وأجرنة ، والخطوف بالضم : الغصن الناعم . والخيزران : بضم الزاى : شجر هندى ، ولا ينبت بأرض العرب ، وإنما ينبت ببلاد الروم .

(٥) الفتور : السكون بعد حدة ، ولين بعد شدة . والهباب بالكسر : النشاط . وذعرتها : أفزعتها . والاسم الذعر . بالضم . والأسمر : السوط الذى فى لونه سمرة . والشخت : الصلب الشديد ، والذابل : اليابس .

(٦) الأكساء : النواحى ، واحدها كسء وهو مؤخر العجز . وقيل : مؤخر كل شىء . ولغامها : زبدها . والوخيفة : ما أوخفته أى ضربته ، والخطمى : نبات معروف له رغوة تغسل به الثياب . والمبحزج : الماء المغلى النهاية فى الحر ، شبه لغامها برغوة الخطمى . وهذا البيت غير موجود فيما وقفت عليه من نسخ ديوان الشماخ ، وإنما وجدته فى اللسان فأثبته هنا للمناسبة .

إذا الظبيُ أغضى فى الكناسِ كأنهُ ... منَ الحرّ حَرجٌ تحتَ لوحٍ مُفَرَّجِ (١)
كأنى كسوتُ الرحلَ أحقبَ ناشطاً ... منَ اللاءِ مابين الجَناب ويأجُجِ (٢)
قُوَيرحُ أعوامٍ كأنَّ لسانهُ ... إذا صاحَ حُلْوٌ زَلَّ عن ظهرِ مِنْسَجِ (٣)
خفيفُ المَعَى إلا عُصارةَ ماأستَقَى ... من البقلِ ينضُوهُ لدى كلِّ مَشْجِجِ (٤)
أقبَّ ترى عنهُ الفلاةِ بجسْمِهِ ... كعهدِ الصِّناعِ بالجديلِ المُحَمْلَجِ (٥)
إذا هُو ولّى خِلْتَ طُرَّةَ مَتْنِهِ ... مريرةَ مَفْتُولٍ من القِدِّ مُدْمَجِ (٦)

---

(١) الظبى : حيوان معروف . وأغضى : أطبق جفنيه على حدقته . والكناس بالكسر : بيت الظبى . والحرج : خشب يحمل فيه الموتى . وقيل : هو شجار من خشب يجعل فوق نعش الميت . وقيل : هو الهودج ، ومفرج : من التفريج ، وهو التباعد .

(٢) كسوت : ألبست . والرحل : مركب للرجال خاصة على المشهور ، والأحقب : الحمار الوحشى . ومعنى كسوته الرحل : جعلته فوقه كاللباس . والناشط : الذى يخرج من بلد إلى بلد ، واللاء : بمعنى اللاتى ، صفة لمحذوف ، أى من الحقب اللاتى ، وما : زائدة ، والجناب ويأجج : موضعان .

(٣) القويرح : تصغير قارح . وهو من ذى الحافر ، بمنزلة البازل من الإبل . قالوا : وكل ذى حافر يقرح ، وكل ذى جف يبزل ، وكل ذى ظلف يصلغ . والحلو : حق ينسج به ، شبه به لسان الحمار . ويقال : إن الحق خشبة يدير بها الحائك ، وهو قريب من الأول . وزل : زلق . والمنسج : كمنبر . أداة يمد عليها الثوب لينسج .

(٤) المعى بالفتح وكالى : أعفاج البطن : وعصارة الشىء : ماتحلب منه . وماأستقى : أى ما شرب . والبقل : كل ما اخضرت به الأرض . وينضوه يبزره ، أى الشىء الذى يبزره إذا اجتر ، ومشجج : اسم مصدر ، شج المفازة قطعها . يعنى كل ما شج المفازة . وكان الأوجه لدى كل مشج بالإدغام . وهذا جائز فى الضرورة ، وفى هذا المعنى عندى إشكال ، لأن الحمار لايجتر ، إلا أن يكون ذلك خاصا بالأهلى .

(٥) الأقب : الضامر . والفلا : المفازة . والصناع : الحاذقة بالعمل . يقال : امرأة صناع اليدين وصناع اليد ، ورجل صنع اليد . واستدل ابن جنى بصناع ، على مشابهة حرف المد قبل الطرف لتاء التأنيث ، فصنع وصناع عنده ، مثل حسن وحسنة . والجديل : الزمام المجدول . والمحملج : المفتول فتلا شديداً . شبه ناقته فى قوتها وسرعة سيرها ، بحمار مجتمع الخلق يشبه الجديل المحملج .

(٦) ولى : أدبر . وخلت : ظننت . والطرة : واحدة طرتى الحمار ، وهما خطا الجنبين منه . وقيل : هما خطتان سوداوان على كتفيه . والمريرة : الحبل الشديد الفتل ، والقد بالكسر : جلد غير مدبوغ . والمدمج : المحكم الفتل .

تَرَبَّعَ من حوضٍ قَنانا وثادِقا نِتاج الثُّريّا حَمْلُها غيرُ مُخْدَجِ (١)
إذا رجَّع التَّعْشيرَ ردًّا كأنه بناجِذِه من خَلْفِ قارحه شَجِ (٢)
بعيدُ مَدَى التَّطريب أُولِى نُهاقِه سحيلٌ وأُخْرَاهُ خفيُّ المُحَشْرَجِ (٣)
خَلا فارتعى الوسْميّ حتى كأنما يُرَى بسفى البُهمَى أخـلةُ مُلْهَجِ (٤)
إذا خافَ يوْما أن يُفارقَ عانةً أضرَّ بملساءِ العَجيزَة سَمْحَجِ (٥)

---

(١) تربع : أكل الربيع فنشط وسمن . وحوض : موضع . وقنان : جبل لأسد ، بأعلى نجد . وبئر قنان : موضع ينسب إليه القنانى ، أستاذ الفراء . وثادق : واد لبنى عقيل . ويقال: إن أسفله لعبس ، وأعلاه لأفناء بنى أسد . ونتاج الثريا : ما ينبته مطرها . أى : ترتعى . الثريا وحملها : ماؤها . وغير مخدج : غير قليل . يقال : أخدجت الصيفة : إذا قل مطرها ، وهو مجاز مأخوذ من أخدجت الناقة : إذا جاءت بولد ناقص الخلق . وروى :

تربع من جنبى قنا فعوارض نتاج الثريا نوؤها غير مخدج

وقنا : موضع فى بلاد بنى مرة .

(٢) رجع : ردد . والتعشير : نهيق الحمار عشراً . والناجذ : واحد النواجذ ، وهى أقصى الأضراس . وهى أربعة . أو هى الأنياب . وقيل: غير ذلك . والقارح : الناب . وشج : من شجى بالعظم إذا اعترض فى حلقه . وفى الكامل ، قال العجاج :

كأن فيه إذا ما شججا عوداً دوين اللهوات مولجا

هذا يوصف به الحمار الوحشى إذا أسن ، تراه لايشتد نهيقه ، وكأنه يعالجه علاجا . وأنشد بيت الشماخ ، وفيه عج فى موضع رد . والعج : رفع الصوت .

(٣) المدى : الغاية . والتطريب : ترجيع الصوت وتزيينه ، وأولى نهاقه : أوله . والسحيل : النهاق . والمحشرج : فيه حشرجة ، وهى تردد صوت الحمار فى حلقه . وقيل : هى صوته فى صدره . وروى :

بعيد مدى التطريب أول صوته سحيل وأعلاه خفى المحشرج

(٤) خلا : انفرد فى الخلاء . وارتعى : رعى . والوسمى : المطر الذى يسم الأرض بالنبات ، أى ارتعى نبته . والسفى : شوك البهمى . وهو معروف من أحرار البقول ، والأخلة : جمع خلال وهو عود يجعل فى لسان الفصيل ، لئلا يرضع . والملهج : الذى لهجت فصاله . وروى :

رعى بارض الوسمى حتى كأنما يرى بسفى البهمى أخلة ملهج

البارض : أول مايبدو من النبات . والمعنى : أن هذا الحمار رعى البارض حتى يبس وجف ، فصار يتأذى بسفى البهمى .

(٥) العانة : الأتان . ويقال للقطيع من حمر الوحش : عانة . وجمعه عون بالضم ، وعانات ، والسمحج : الطويلة الظهر . يعنى أنه يطرد أتانه فينفرد بها .

أَضَرّ بمقلاةٍ كثيرٍ لُغُوبها ... كقوسِ السَّراءِ نهدةِ الجنبِ ضِمْعِجِ (١)

إذا ساف منها موضعَ الرِّدفِ زِيفَتْ ... بأسمرَ لاءٍم لا أزَجَّ ولا وجِى (٢)

متى ما تقَعْ أرْساغُهُ مُطمئنَّةً ... على حجرٍ يرفضُّ أو يتدحرج (٣)

مُفجُّ الحوامى عنْ نسورٍ كأنها ... نوى القَسْبِ تَرَّتْ عن جريمٍ مُلَجلَجِ (٤)

كأن مكانَ الجحْشِ منها إذا بدتْ ... مَناطُ مِجَنٍّ أو مُعلَّقُ دُمْلُجِ (٥)

بمَفْطوحةِ الأطرافِ جَدبٍ كأنما ... تُوقدُها فى الصَّيفِ نيرانُ عرفَجِ (٦)

مَتى ما يسِفْ خيْشُومهُ فوق تلْعةٍ ... مَصامةَ أعْيارٍ من الصيفِ ينْشجِ (٧)

---

(١) المقلاة : التى لا يعيش لها ولد ، فهو أكل لجسمها ، واللغوب : أشد الاعياء . والقوس : معروفة . والسراء : شجر تتخذ منه القسى . ونهدة الجنب : مرتفعته . والضمعج : الضخمة .

(٢) ساف : شم . وموضع الردف : كفلها . وزيفت : تبخترت ، أو أسرعت ، أو تدللت . يقال : زافت الحمامة بين يدى الذكر : مشت مدلة ، والأسمر : حافرها . ولام : ملتئم ، أى مجتمع . والأزج : من الزجج ، وهو روح وتحنيب فى الرجلين ، أى احديداب . وقوله : ولا وجى : أى ليس به وجى . وهو أن يرق القدم أو الحافر أو الفرسن .

(٣) أرساغه : جمع رسغ . والرسغ معروف . ومطمئنة : ساكنة . ويرفض : يتفوق ويذهب . والتدحرج : التتابع . قال أبو هلال : والوطء الشديد إذا صادف الموطوء رخواً ، أرفض منه ، أو صلباً تدحرج .

(٤) مفج : متفرق . والحوامى : نواحى الحوافر ، واحدتها حامية . وإنما سميت حامية لأنها تحمى النسور . وهى جمع نسر . وهو نكتة فى داخل الحافر . ويحمد الفرس إذا صلب ذلك منه ، ولذلك شبه حافره بنوى القسب ، وهو التمر اليابس ، وترت : انفصلت . والجريم : المجروم . وهو المصروم . وقيل : هو الذى بقى فى نخله حتى أثمر ، فهو أصلب له . وملجلج : محرك مدار فى الفم .

(٥) الجحش : ولد الحمار . والمناط : موضع التعليق ، والمجن بالكسر : الترس : والمعلق : موضع التعليق . والدملج بفتح اللام وضمها : المعضد من الحلى ، يعنى أن جحشها يلاصقها فى الجرى .

(٦) المفطوحة : العريضة ، أى بأرض عريضة الأطراف ، أى النواحى . والجدب : ضد الخصب . وتوقدها : وقودها ، ونيران : جمع نار ، والعرفج : شجر معروف لهبه شديد الحمرة . وناره تسميها العرب نار الزحفتين . لأن الذى يوقدها يزحف إليها فإذا اتقدت زحف عنها .

(٧) ما ، زائدة بعد متى ، ويسف : يشم . وخيشومه : أقصى أنفه . والضمير للحمار ، والتلعة : مسيل الماء من أعلى الوادى إلى أسفله : ومصامة : مواقف . والأعيار : جمع عير . وهو حمار الوحش . وينشج : يصوت .

و إن يُلقيا شأواً بأرضٍ هوىً لهُ مقرّضُ أطرافِ الذراعين أفحج (١)
يظَلُّ بأعلى ذى العُشيرةِ صائما عليهِ وُقُوفَ الفارسىّ المُتوّج (٢)
و إن جاهَدَتْهُ بالخبارِ انبَرىٰ لها بذَاوٍ و إن تَهبِطْ بهِ السَّهْلَ يمعج (٣)
تواصَى بها العكراشُ فى كلّ مَشرَب وكعبُ بن سَعْدٍ بالجديل المُضرّج (٤)
بزُرْقِ النَّواحى مُرْهَفاتٍ كأنما توقُّدُها فى الصّيفِ نيرانُ عرْفج (٥)
فإن لا يَرُوعاهُ يُصيبا فؤادَهُ ويحرَجْ بعَجلى شطبةٍ كلّ محرَج (٦)

وقال يوما فى مجلس، أنشد فيه ميميته: أرجو من الله أنى أنا وحُميد بن ثور، ننشد قصيدتينا فى ناد من أهل الجنة، فيحكمون بيننا. وها هى ميميته:

---

(١) يلقيا: يرميا. والضمير للأتان والعير. والشأو: الزبل. وشينه معجمة، ويجوز فيها الإهمال. وهو فى الأصل زبيل من تراب، يخرج من البئر: فشبه مايلقيه الحمار والأتان من روثهما به. ومقرض أطراف الذراعين: يعنى به الجمل. وهو دويبة معروفة. ومعنى هوى له انقض لأخذه. أى الشأو. ويعنى بتقريض ذراعيه: الحزوز التى بهما. وقوله: أفحج، بمهملة ومعجمة: متباعد الساقين. وروى: إذا طرحا بدل وأن يلقيا. وروى: أفلج باللام بدل الحاء. وأفجج بجيمين: ومعنى الكل واحد. والقافية تحتمل الرفع على الإقواء. والجر على المجاورة للذراعين، وهما قليلان، والثانى أقل من الأول.

(٢) ذو العشيرة: موضع. وأعلاه: أرفعه، أى يظل فوقه لخوفه من القناص، وصائما: قائماً على غير علف. ووقوف الفارسى: منصوب على المصدر النوعى بقائم، لأن المصدر ينصب بالوصف. والفارسى: رجل من الفرس، والمتوج: المعمم بالتاج.

(٣) جاهدته: من المجاهدة. وانبرى لها: عارضها. والضميران للحمار والأتان. وبذاو: أى بشخص ذاو. أى يابس. يعنى: أن الحمار ذابل الجسم صلب، والسهل: مالان من الأرض. ويمعج: يسرع.

(٤) العكراش: هو أبو الصهباء ذؤيب بن حرقوص التميمى الصحابى، كان أرمى أهل زمانه. صاحب قفار. وكعب بن سعد: رام آخر مشهور، والجديل: الوشاح، والمضرج: الملطخ: يعنى أن كل واحد منهما متأزر بجديل ملطخ من دماء الصيد، فالحمار والمجرور حال من القانصين.

(٥) بزرق النواحى: أى تواصيا بها مصاحبين لنبال زرق النواحى. أى مصقولة، والشطر تقدم شرحه.

(٦) يروعاه: يفزعاه. وضمير المثنى للقانصين المتقدمين. وضمير النصب للعير، ويحرج بعجلى: أى يقلق بها، والشطبة: الطويلة. يقول: إنه يبالغ فى طرد أتانه.

تأوَّبَهُ طَيْفُ الخيالِ بمَرْيَمـا ... فباتَ مُعَنًّى مُسْتَجنًّا مُتَيَّما(١)

تأوَّبَهُ بَعْدَ الهُجُوعِ فهاضَهُ ... فأبْدَى مِنَ التَّهْيامِ ما كانَ جَمْجَما(٢)

لطاف بها حَتى إذا النَّفسُ أجْهَشَت ... وأبْدَتْ بنانًا لى خَضيباً وَمِعْصَما(٣)

وَوَجْهًا كأنَّ البَدْرَ لَيلةَ أرْبعٍ ... وعَشْرٍ عَلَيهِ ناصِلاً قَدْ تهمَّمَا(٤)

تَوَلى كأنَّ اللَّمْحَ بالطَّرْفِ زَوْرُهُ ... وكان وَدَاعا منهُ أنْ هُوَ سَلَّما(٥)

فمَنْ ذَا ولا مَنْ ذَا رَأى مِثْلَ زَوْرِهِ ... وَمِثْلَ الذى بَيْنَ الجوانِحِ أضْرَما(٦)

فباتَ الهَوى يَسْتَنُّ بى هَيْجانُهُ ... فأسْدَى بِلُبِّى ما تَبَغَّى وألْحَمَا(٧)

وَبِتُّ بِهَمٍّ لا صَبـاحَ لِلَيْلِهِ ... إذا ما حَدَاهُ الصُّبْحُ كَرَّ وَدَوَّما(٨)

فَقُلْتُ أما لِلَيْلِ صُبْحٌ كما أرَى ... أمِ الصُّبْحُ مما هَيَّجَ الطَّيْفُ أظْلَما

---

(١) تأوبه : أى أتاه ليلا . وطيف الخيال: مجيئه ليلا . والمعنى اسم مفعول من عناه ، أى أتعبه ، يعنى أنه بات مهموماً . ومستجناً : اسم مفعول من استجن المبنى للمفعول . والمتيم : الذى عبده الحب .

(٢) الهجوع : النوم . وهاضه : أى حرك هواه الكامن فى نفسه ، من قولهم : هاض العظم . أى كسره بعد جبر . وجمجم : أخفى ما فى صدره .

(٣) قوله : لطاف بها إلخ : هذه اللام يقال لها : لام التمهيد . وهى مؤذنة بالقسم ، واقتران الماضى بهذه اللام شائع فى كلام العرب . وورد فى القرآن العظيم قال تعالى « ولئن أرسلنا ريحاً فرأوه مصفراً لظلوا من بعده يكفرون » وقال النابغة الذبيانى :

لكلفتنى ذنب امرى وتركته ... كذى العرىكوى غيره وهو راتع

وأجهشت : فزعت إليه ، كالصبى يفزع إلى أمه .

(٤) ناصلا : حال من البدر . وتهمم : بمعنى ذاب فوقه ، فدخل نوره فيه .

(٥) زوره : بمعنى زيارته ، وقوله : وكان وداعا منه أن هو سلما ، مأخوذ من قول العكوك :

ركب الأهـوال فى زمـرته ... ثم ما سـلم حتى ودعا

(٦) قوله : فمن ذا ولا من ذا رأى : أى من الذى رأى مثل زوره ، ولا أحد رآه ، فإن من ، تقع نكرة موصوفة وتامة ، وأضرم : بمعنى أثار الحزن ، من أضرم النار أوقدها .

(٧) الاستنان : الجولان فى القلب ، مأخوذ من استنان الإبل فى عدوها ، وهيجانه : شدته. وأسدى : من السدوة ، أى أحدث له شوقا ، مأخوذ من أسدى الثوب ، وألحم : مأخوذ أيضاً من ألحم الثوب : إذا جعل فيه لحمته ، وقت النسج .

(٨) قوله : وبت بهم إلخ ، الهم : الحزن . ولاصباح لليله : يعنى أنه طويل : وحداه الصبح : ساقه ، وكر : عطف : ودوم الطائر : إذا حلق فى الهواء .

بَلى كلُّ ليلٍ مُصْبِحٌ غيرَ أنَّنى ... أرى الصُّبحَ يالناسِ للصُّبحِ أنجما(١)

ألا ياخليلىَّ ارْحَلا وتيمّما ... بنا حيثُ أمسى رائدُ الظَّعْنِ يَمّما

فكيفَ القرارُ بَعْدَما قيلَ يَمّمَتْ ... مرابعَها بالجوّ أظْعانُ مَرْيَما(٢)

ظَعائنُ يَهْدِينَ فى كل نَجْعَةٍ ... مِنَ القَوْمِ مِيناقٌ إذا هَمَّ صَمَّما(٣)

تحمّلْنَ أنْ قَدْ شِمْنَ مِنْ جالِ تِيرسٍ ... مَخيلاً بها ألقى البِعاعَ وَدَيْمَا(٤)

فخبَّرَهُمْ رُوَّادُهُمْ بَعْدَ سَبْعَةٍ ... بما سَرَّهُمْ أنْ جادَ فيها فأفْعَما(٥)

وَجَرٌّ على أنجادِها وَوِهادِها ... مِنَ الوَشْمِ حَوْكاً سُنْدُسِيا وأنْعَما(٦)

فمنْ يَكُ يَوْماً ذا عَزَاءٍ ونَسْوَةٍ ... لِطولِ تَناهِ أوْ لوَصْلٍ تَصرّما

فَلَسْتُ بِناسٍ يومَ ولّتْ جمالُهُمْ ... وسَالَ بهنَّ الفَجُّ بالظَّعْنِ عُوَّما(٧)

هَجائنُ بيضٌ مِنْ عَقائلِ عامِرٍ ... جَمَعْنَ إلى الأحْسَابِ حُسْناً ومِيسَما(٨)

---

(١) قوله : أرى الصبح يالناس للصبح أنجما أى أقلع .

(٢) قوله : مرابعها بالجو . فى النسخة التى بأيدينا بالجيم ، وقد رأيت فى بعض النسخ : بالحو بالحاء المهملة المضمومة ، فعلى الأول يمكن أن المراد : جو المبيدع . لأنه ذكره فى شعره مراراً ، وعلى الثانى فالظاهر أنه اسم أماكن متجاورة .

(٣) النجعة : ارتياد المرعى ، والميناف : الطويل . وصمم : أمضى عزمه .

(٤) تحملن : احتملن . وشمن : من الشيم . وهو نظر البرق خاصة . وحال تيرس : جانبها . والمخيل : جمع مخيلة ، وهى السحابة . والبعاع : ثقل السحاب من المطر ، وديم : أدام المطر .

(٥) الرواد : جمع رائد . وهو الذى يرتاد الكلأ ، وإن جاد فيها . بدل مما سرهم . والضمير لتيرس . وأفعما : ملأ غدرانها ماء .

(٦) الأنجاد : جمع نجد . وهو ماغلظ من الأرض ، والوهاد : جمع وهد ، ووهدة . وهى الأرض المنخفضة . والوشم : معروف . شبه به اخضرار الأرض ، والرواية الصحيحة من الوشى ، والمراد به مايزين الأرض من النبات ، مأخوذ من وشى الثوب ، وهو نقشه . وسندسياً : حسناً أيضاً . مأخوذ من السندس من الثياب ، وهو رقيق الديباج .

(٧) الفج : الطريق الواسع بين الجبلين . وعوما : سبن سيراً يشبه العوم فى البحر ، وهو حال .

(٨) هجائن : جمع هجان . وهى الحيار . وعقائل : جمع عقيلة ، وهى الكريمة المخدرة . وعامر : أبو قبيلة الشاعر : والميسم بالكسر : أثر الحسن والجمال .

تَخَيَّرْنَ للأحْداجِ كلَّ مُنَوَّقٍ ... من البُزْلِ فَعْماً قيسَرٍ ياعَثَمْثَما(١)

يزيفُ بمبهاجٍ كأنَّ مُرُوطَها ... تُخالُ بِرِثْمٍ من غَشَيْواءَ أرْثَما(٢)

جَعَلْنَ على الاحْداجِ خَمْلاً وكِلَّةً ... وعالَبْنَ رَقْماً عَبْقَرِيّاً مُنَمْنَما(٣)

تَظَلُّ عِتاقُ الطيرِ فى كلِّ رِحْلَةٍ ... إليْهِ مُدِيماتٍ عُكُوفاً وحُوَّما(٤)

كأنَّ العُيُونَ اللامِحاتِ إذا بَدا ... تَمُجُّ عليهِ أرْجواناً وعَنْدَما(٥)

فلمْ أرَ يوْما كانَ أحْسَنَ مَنظراً ... وأهْوَى هَوًى يَقْتادُ صَبّاً مُتَيَّما

وآنَسَ أُنْساً لوْ يُرامُ مَنالُهُ ... وألْهَى لُهِيّاً للصَّدِيقِ وأصْرَما(٦)

ولله عَيْنا منْ رأى مِثْلَ سَيْرِها ... إذا رجَّعَ الحادِى بهنَّ وهَمْهَما(٧)

---

(١) تخيرن : اخترن . والأحداج : جمع حدج ، وهو مركب من مراكب النساء . وكل منوق : كل جمل أحسنت رياضته . والبزل : جمع بازل ، وهو الذى طلع نابه . والفعم : الغليظ . والقيسرى : العظيم . والعثمثم : الشديد الطويل .

(٢) قوله : يزيف . أى يتبختر فى مشيه ، من زافت الحمامة : نشرت جناحيها . ومبهاج : مفعال من البهجة ، وهى الحسن . أى بامرأة مبهاج . ومروط : جمع مرط . بالكسر ، وهو كساء من صوف أو خز وتخال : تظن . والرثم : الظبى الخالص البياض . وغشيواء : اسم موضع معروف ، حسن الظباء . وأرثم به رثمة : بالضم . وهى بياض فى طرف الأنف .

(٣) الأحداج : جمع حدج ، كما تقدم . والخمل : هدب القطيفة . ومراده القطيفة نفسها . وكلة : أى ستراً رقيقا . وعالين : رفعن ، ورقماً : ثيابا بها رقم ووشيها وخططها التى تحسن بها . وعبقرياً : منسوباً إلى عبقر ، وهى أرض تنسب إليها العرب كل شىء استحسنته . ومنمناً : مزخرفاً

(٤) عتاق الطير : جمع عتيق . والمراد بها الجوارح . ومديمات : من دوم الطائر ، إذا حلق فى الهواء : وعكوفا : مقبلة عليه مواظبة ، وهذا المعنى مأخوذ من قول علقمة الفحل :

عقلا ورقاً تظل الطير تتبعه ... كأنه من دم الأجواف مدموم

(٥) الأرجوان : صبغ شديد الحمرة . والعندم : دم الأخوين أو البقم . وقيل : هو الأيدع . وقيل : هو شجر أحمر . وقيل : هو دم الغزال بلحاء الأرطى يطبخان جميعاً ، حتى ينعقد ، فتخضبه الجوارى .

(٦) قوله : لو ينال منالة . لو ، هنا حرف تمن . مثلها فى قوله تعالى « لو أنهم بادون فى الأعراب » .

(٧) قوله : إذا رجع الحادى بهن وهمهما . الترجيع : ترديد الصوت فى الحلق . والهمهمة : تطريب الحادى للابل بصوته لتسرع . مأخوذ من همهمة الأسد . وهى تردد الزئير فى الصدر من الهم .

سَلَكْنَ جِواءَ الفَجِّ ثمَّ تَطَلَّعَتْ ... مِنَ الصَّخْرَةِ البَيْضاءِ نَجْدًا مُهَضَّما (١)

جَعَلْنَ قِنانَ الوُطْسِ نَصْبَ عُيونِها ... وكانَ لَهُنَّ الوُطْسُ قِدْما مُيَمَّما (٢)

ويامَنَّ عَنْ نَجْدِ الغُوَيْرِ ويَاسَرَتْ ... عَنِ الأَيْقِ نُكْبًا سَيْرُها لَنْ يُثَمْثَما (٣)

فَحَلَّتْ بِبَطْنِ الأَتْوِ مُسْيًا وما بِهِ ... عَلاقٌ فباتَ الظَّهْرُ حَدْبا مُزَمَّما (٤)

وأَبْكَرْنَ يَخْبِطْنَ الجَفافَ غَدْوَةً ... كإِصْرامِ عِيدانٍ أَنَى أَنْ تَصَرَّما (٥)

فالْوَتْ على الكِنْوَيْنِ مِنْ نَسْجِ سَدْوِها ... هَجِيراً بِرأْيٍ مُحْكَمِ النَّسْجِ أَقْتَما (٦)

يُحاوِلْنَ بالسَّبْعِ الأُضَيَّاتِ مَشْرَبا ... مِنَ الغُدْرِ أَوْ عَيْنًا بِجَلْواءَ عَيْلَما (٧)

---

(١) قوله : سلكن جواء الفج . الجواء : كجبال . جمع جو . وهو ماانخفض من الأرض .

(٢) القنان : جمع قنة . وهى أعلى الجبل ، والوطس : جبال معروفة . وأفرد الضمير باعتبار لفظ الجمع . أى كان لهن أماكن الوطس ، ولو أنث كان أحسن .

(٣) يامن : سرن عن يمينه . والنجد : ماارتفع من الأرض . والغوير : موضع بعينه . ومعنى ياسرت : سلكت عن يسار . والأيق فيما يظهر : اسم موضع . ونكبا : جمع نكباء . وهى التى بها نكب بالتحريك . ولم يثمثم : لم يتروح قليلا .

(٤) حلت : نزلت . والأتو بالضم : موضع بعينه . والعلاق : جمع علاقة ، كسحاب وسحابة . وهو ما تتبلغ به الماشية من الشجر . والظهر : الركاب التى تحمل الأثقال فى السفر على ظهورها . وحدبا : أى مناخة معقلة . ومزمما : مجمولة فيه أزمته من شدة الجدب .

(٥) قوله : وأبكرن الخ . الضمير للظعائن . ويخبطن : يسرن على غير هدى . والجفاجف : جمع جفجف . وهو الأرض المرتفعة ليست بالغليظة . والإصرام : مصدر أصرم . أى حان أن يصرم . وأصله للنخل ، فاستعاره للعيدان . وأنى : بمعنى حان . وأن تصرم : أن تقطع . يقال : تصرم أى تقطع .

(٦) ألوت : انعطفت . والكنوين : موضعين . والنسج معروف ، ومراده شحمها الذى نسجت منه أسنمتها وأضافه إلى السدو ، وهو أن ترعى مهملة . يقال : ناقة سدى . أى مهملة وهجيراً : وقت الهاجرة . وبرأى محكم النسج : أى برأى مصمم . والأقتم فى الأصل : الأسود . والمراد أن هذا الرأى الذى ارتكبت فى سيرها ، أسود لما يؤدى إليه من ارتكاب المشاق .

(٧) يحاولن : هو من المحاولة . والأضيات : جمع أضات ، مسمى به . وأصله : الأضيات السبع . فتقدم النعت ، فصار المنعوت بدلا منه . والغدر : جمع غدير ، وهو قطعة من الماء يغادرها السيل . والعين : مصب ماء القناة ، وهى كفليجة تحفر فى الأرض تجرى بها المياه . وجلواء : اسم موضع . والعيلم : الماء الذى عليه الأرض . وقيل : الذى علته الأرض ، وهو المندفن .

وَرَوْضاً بأكناف الأماكر زاهراً ... قد ارْزَمَّ فيه الرَّعْدُ سَبْتاً وزَمزما(١)

فألفتْ عِصِيَّ السَّيْرِ فيه وخيَّمتْ ... بحيثُ بَعاعُ المُزْنِ سَحَّ وَخَيَّما(٢)

عَسى اللهُ يُدْنى بَعْدَ بُعْدٍ مَزارَهمْ ... فيأنَسَ صَبٌّ بعدَ حُزْنٍ ويَنْعَمَا

فهلْ تُبلغنِّيهمْ نجائبُ وُخَّدٌ ... شَوازِبُ لا يُبْقينَ لَّليلِ مَحْرَما(٣)

نجائبُ يَحْدُوها سُرًى وتَهجُّرٌ ... يُبارِى بها الدَّوُّ النَّعامَ المُخَزَّما(٤)

نجائبُ لا يُعْظِمْنَ لِلهَوْلِ كلَّما ... تَغوَّلَ مجهُولَ التَّنائفِ مُعْظِما(٥)

تَخيَّرتُ منها لاهْتمامى عَرَنْدَساً ... يُخالُ على التِّرْحالِ والحَلِّ مُقْرَما(٦)

بُوَيْزِلُ عامٍ كالمَصادِ عُذافرٌ ... كأنَّ عليهِ خِدْرَ خِدْجٍ مُخَيَّما(٧)

ذِفَرٌّ خَرُوسٌ لَوْ تُولَّى لرَحْلِهِ ... بحَدِّ المَواسى زَمَّ أنْ يَتزَغَّما(٨)

---

(١) الروض : معروف . والأكناف : النواحى . والأماكر : مواضع . وزاهر : به الأزهار . وأرزم : صوت صوتاً شديداً ، أو زمزم بمعناه .

(٢) الضمير فى ألفت ، للظعن . يعنى : أنها أقامت به ، وبعاع المزن : ثقله . وسح : صب الماء متتابعاً . وخيم : أقام . وقد غلطه بعض العلماء فى هذا البيت . فقال : إن حيث يشترط فى إضافتها إلى الجملة الإسمية ، أن لايكون عجزها فعلا ماضيا ، وهذا سهو ، لأن ذلك فى إذ ، وذلك الشرط فى إذ ، إنما هو شرط استحسان فقط .

(٣) قوله : فهل تبلغنيهم نجائب وخد ، الخ . الوخد : جمع واخدة من الوخد ، وهو الإسراع . وشوازب : جمع شازب وشازبة : بمعنى ضامر وضامرة . ولا يبقين لليل محرما : أى حرمة .

(٤) قوله : نجائب يحدوها . أى يسقوها . والدو : الفلاة . والنعام : معروف والمخزم : الذى جعلت فى آنافه الخزائم .

(٥) قوله : نجائب لايعظمن الخ . أى : لايرينه عظيما لقوتهن على السير فيه . وتغول : تلون على سالكه . والمجهول : الذى لايعلم . والتنائف : جمع تنوفة . وهى الأرض الواسعة البعيدة الأطراف ، ومعظم : ما يعظمه من رآه لصعوبته ، وهو مفعول به ليعظمن .

(٦) تخيرت : اخترت . ولاهتمامى : أى لما اهتم به . والعرندس من الإبل : الشديد . ويخال : يظن . والترحال : الرحيل . والمقرم : الذى ترك للفحالة ولم يمتهن .

(٧) بويزل : تصغير بازل . وهو الذى بزل نابه ، أى طلع ، وذلك أكمل مايكون . ومعنى بازل عام : أنه بزل منذ سنة . والمصاد : الجبل . وعذافر : عظيم شديد . ومعنى كان عليه خدر خدج مخيما : أنه عظيم السنام .

(٨) قوله : ذفر خروس الخ . الذفر : عظيم الذفرى ، وهو العظم الشاخص خلف الأذن ، وخروس : لا يسمع له رغاء . والمواسى : جمع موسى الحديد . وزم : تكبر . وأن يتزغم : أن يردد رغاءه فى هازيمه .

كأنى أدارى إذ علوتُ قُتُودَهُ ... به أبلقَ الكشحين جأباً مُكدّما (١)

قُوَيرحُ عامٍ أوْ رَباعٌ خلالهُ ... مَجرٌ بحنّانٍ من الدّلوِ أسْحَما (٢)

كأنّ رُباهُ والهُجولَ تجللتْ ... زَرابيَ أوْ وَشْياً يمانٍ مُسَهَّما (٣)

يَدِينُ به حُقْبٌ سَماحيجُ باكرتْ ... لُعاعَ تَناهى رَوْضِهِ حين وشّما (٤)

كأنّ صُراخَ المُستغيثِ سَحيلُهُ ... بكلّ صَباحٍ غيرَ أنْ كان أعجَما (٥)

يَدِنّ لهُ حتى قرِنَ ذُنابهُ ... وأحْسَنَ لقحّاعن حيالٍ مُكتّما (٦)

وقدْ جَعَلَتْ لَيّاً بأذنابهـا لهُ ... إلى السّلْمِ منْ بعْدِ المُناوراتِ سُلّما (٧)

يُحوّزُها فى كلّ فجّ كأنهـا ... وسِيقَةُ ناجٍ من عِدًى نالَ مَغْنَما (٨)

---

(١) أدارى : أخاتل . يقال : درى الصيد دريا : ختله . ومراده : أسابق به . أبلق الكشحين : أى بكشحيه بلق . بالتحريك : وهو سواد وبياض : وجأبا : غليظاً . ومكدما : كدمته الحمر ، أى عضضته .

(٢) قويرح عام : تصغير قارح . وهو من ذى الحافر بمنزلة البازل من الإبل . وخلاله : اتسع له . والمجر : المكان الذى جرفيه السيل الماء . وبحنان : بسحاب كثير الحنين . وهو أن يكون صوت الرعد خفيفا كحنين الإبل ، وذلك أدل على كثرة الماء ، بخلاف ما إذا كان شديد الصوت . والدلو : برج فى السماء : وأسحم : أسود صفة للسحاب .

(٣) الربا : جمع ربوة . وهى المكان المرتفع . والهجول : جمع هجل وهو المطمئن من الأرض . وتجللت : لبست . وزرابى : جمع زربية ، وهى البسط : أوكلما بسط ، وانكى عليه . والوشى : الثياب التى بها وشى . ويمان : منسوب إلى اليمن . ومسهم : مخطط . شبه نبات الأرض بالزرابى والوشم .

(٤) قوله : يدين به حقب الخ . أى : اعتدن الرعى به . والحقب : جمع أحقب ، وحقباء ، وهو من الحمير ما كان فى بطنه بياض ، أو الأبيض موضع الحقب . أى الحزام . وسماحيج : جمع سمحاج ، وهى الطويلة الظهر . واللعاع : نبت ناعم فى أول ما يبدو ، وتناهى : جمع تنهية وتنهاة . وهو حيث ينتهى الماء إلى النهى . وهو الغدير : والروض : جمع روضة ، وهى الأرض ذات الخضرة على بعض التفاسير . ووشم : أظهر الوشم ، وهو شىء تراه من النبات أول ما ينبت .

(٥) الصراخ : الصوت . والمستغيث : طالب الإغاثة . والسحيل : النهيق .

(٦) دن : إقتدن . والضمير للاتن : ولم يتقدم لهن ذكر لعلمهن ذهنا ، وقرن : تتبعن . والذناب : الذنب . ومكتما : صفة لحيال .

(٧) الضمير فى جعلت ، للاتن ، وسلما : مفعول ثان لجعلت . المعنى : أنها تتقيه بأذنابها لتريه أنها منقادة له .

(٨) يحوزها : أى يضمها فى كل فج ، أى طريق بين جبلين . والوسيقة : القطيع من الابل ، يطردها الشلال .

يَظَلُّ رَقِيباً حَوْلَهُنَّ كأنَّهُ ... رَبِيءٌ علا منْ مِيفَعٍ مُتَسَنِّمَا (١)

فلمَّا جَرَتْ هِيفُ الجَنائِبِ بالسَّفا ... وَأَيْقَنَّ أنَّ الجَزْءَ فيهِ تَصَرَّمَا (٢)

ولوَّحَها هَيْجُ السَّمُومِ وسومُها ... فظَلَّتْ صُفُونا بالظواهِرِ صِيَّمَا (٣)

تَوَخَّى بِها عَيْناً رَوِيّاً قَدْ تَعَوَّدَتْ ... بِها الرِّيَّ قِدْماً بالمصانِفِ مَعْلَما (٤)

فشَجَّ بِها الحزّانَ شَجّاً كأنَّما ... تَشُبُّ على الحُزّانِ غاباً مُضَرَّما (٥)

أَوَ أَرْوَحَ هَيْفاً خاضِباً مُتَرَوِّحا ... يُبادِرُ أغوالَ العَشِيِّ مُصَلَّما (٦)

تَهَيَّجَ للأُدْحِيِّ منْ نازِحٍ غدا ... يَجُولُ بِهِ فى يَوْمِ رِيحٍ تَغَيُّما (٧)

فلمَّا دَنا الإمْساءُ وَالشَّمْسُ حَيَّةٌ ... تذكَّرَ أقْوَاباً وقَيْضاً مُحَطَّما (٨)

تَحَطَّمَ عنْ زُعْرِ القوادِمِ خرَّقٍ ... كمثلِ أُرُومٍ منْ حُلِيِّ تَجَرْثُما (٩)

---

(١) يظل : أى العير . رقيباً : حول الأتن . وربيئة القوم : الذى ينظر لهم العدو ويحفظهم . ويقال له : الطليعة . والميفع : المكان العالى ، وميمه مكسورة ، وقياسها الفتح ، لأنه مكان . والمتسنم : بمعناه . ويجوز كسر نونه على أنه حال من الربيئة .

(٢) الهيف : جمع هيفاء . وهى الريح الحارة كما تقدم ، وأضافها للجنائب ، وهى نكباء بين الجنوب والدبور ، لأن الإضافة تقع بأدنى مناسبة . والسفا : التراب التى تثيره الريح ، والجزء : هو اجتراؤها بالرطب عن الماء . وتصرم : تقطع من شدة الحر ، ويبس المرعى .

(٣) لوحها : أعطشها . وسومها : طرد الحمار لها ، مأخوذ من سامت الإبل ، والريح مرت واستمرت . وصفونا : قائمة على ثلاث قوائم وطرف الرابعة . وصيا : قائمة على غير علف .

(٤) توخى بها : أى قصد . وعينا : أى ماء جاريا . وروى : كثير مرو ومعلم ، مظنة لوجود الماء فيها .

(٥) شج : أى قطع . والحزان : جمع حزن ، وهو ماغلظ من الأرض : وتشب : أى توقد ، وغاب : جمع غابة . ومضرما : اسم مفعول من ضرمه : أوقده .

(٦) الأروح : المتباعد مابين الفخذين . والهيق : الطليم ، كما تقدم . والخاضب : الذى اغتسل فاحمرت ساقاه ، أو الذى أكل الربيع فاحمر ظنبوباه أو اخضر أو اصفر . ومتروحا : رائحاً . وأغوال : جمع غول : وهى الهلكة والداهية . أى يريد أن ينجو من مغاطب الضوء ، ومصلم : صغير الأذنين ، كأنه مقطوعهما خلقة .

(٧) تهيج : هاج واضطرب ، والأدحى : الموضع الذى تبيض فيه النعام . يعنى أنها تهيجت لبيضها : وتغيم : كثر غيمه .

(٨) الأقواب : جمع قوب ، وهو الفرخ . والقيض : قشر البيضة ، ومحطم : مكسر .

(٩) الزعر : جمع أزعر ، وزعراء . وهو القليل الشعر المتفرقه . والقوادم : أربع ريشات أو عشر ريشات فى أعلى الجناح ، الواحدة قادمة ، وخرق : لا تقدر على الحركة .

ألا عجبت جُمْلٌ سَفاهاً وما رأتْ ... بَديئاً لشيبٍ بالمَفارِقِ مُعْلِما(١)
وقد زعمتْ أنى كبِرْتُ وأكبرَتْ ... صِباى ولم تنقَمْ لعَمرُكَ مُعْظَما(٢)
وقد هَزِئَتْ لمّا رأتنى شاحِباً ... وهُنْتُ عليها بعدما كنتُ مُكرَما
ألم تعلمى أنْ لا غضاضة أن يُرَى ... كريمٌ ببيضاءِ المَحاجِرِ مُغْرَما(٣)
وأنّ الجرازَ العَضْبَ يَخلُقُ غِمدُهُ ... ولا عَيْبَ إنّ العَيْبَ أن يتكلّما(٤)
ولكنْ سَلى عَنى دَخيلى إذا شتوا ... وأخلَفَ ماشيهمْ سِماكا ومِرْزَما(٥)
كأنى لم أركبْ لِلَهْوٍ ولم أنلْ ... منَ البيضِ وصْلاً آمناً أن يُصَرَّما
ولم أشهدِ الفتيانَ ليلَ مَلَذّةٍ ... طويلا ألا يارُبَّ طُولٍ قد أسْأما
ولم أتلافَ الظعْنَ قَصْرًا بحاجرٍ ... على إثرِ حىٍّ مَدَّ سَيْرًا وأجْذَما(٦)
ولم أعملِ العيسَ المَراسيلَ بالفَلا ... لأبْنَى مَجْدًا رُكْنُهُ قَدْ تهدَّما(٧)
ولم أهْدِ بالمَوْماةِ رَكْباً ولم أرِدْ ... بهم أخْرَياتِ الليلِ ماءً مُسَدَّما(٨)

(١) بديئاً : أى شيباً ظاهراً . والمفارق : جمع مفرق ، وهو وسط الرأس . ومعلماً : أظهر علامة كبر .

(٢) قوله : وأكبرت صباى : أى رأته كبيراً .

(٣) الغضاضة : الذل والمنقصة . والمحاجر : جمع محجر ، وهو من العين مادار بها وبدا من البرقع ، أو هو مايظهر من نقاب المرأة .

(٤) الجراز : السيف القاطع . والعضب مثله ، ويخلق غمده : يبلى . والتكهم : الكلال عند الضرب به .

(٥) دخيلى : بطانتى . وقوله : وأخلف ماشيهم سماكا ، الأصل : وأخلف سماك ، ومرزم ماشيهم . فصير الفاعل مفعولاً والعكس . مثل : خرق الثوب المسمار ونحوه ، والسماك : المراد به الأعزل . لأن له نوء بخلاف الرامح . والمرزم : نجم معروف ، وهما مرزمان من الشعريين . المعنى : سلى عنى إذا كان الجدب والشدة ، يخبرك دخيلى بكرمى .

(٦) قوله : قصراً . أى وقت اختلاط الظلام . ومحاجر : موضع . ويوجد فى بعض النسخ : قصراً لحاجة . ومد سيراً : أطاله . ورأيت فى نسخة أيضاً : بذ سيراً ، من بذه يبذه غلبه . وأجذم : أسرع السير .

(٧) العيس : جمع أعيس ، وعيساء . وهى الإبل البيض . والمراسيل : جمع مرسال ، وهى السهلة السير . والفلا : جمع فلاة وهى المفازة . والركن : القوة : أى لأبنى مجداً قد تهدمت أركانه .

(٨) الموماة : المفازة الواسعة ، وجمعها موام . والمسدم : الماء المندفق .

ولم أرَ دُدِ الألوىٰ الألدَّ كأنهُ أميمٌ كما عنَّ المعنَّىٰ المسدَّما(١)
ولم أفهم الخنذيذَ فى يومِ مَجْمَعٍ من الناسِ مَشْهُودٍ وما كان مُفْحَما(٢)
أتى ثانياً من جيدِهِ مُتخمِّطاً يَمُجُّ لُعاما مُستطيرًا وبلغما(٣)
فَصَدَّ صُدُودَ المُستكينِ كأنَّه من الذلِّ مَحْسُومُ الحِصاءِ وأحجما(٤)
أرانا لصَرْفِ الدَّهرِ صَرعِينَ مُقْعَصًا فمُصْمىً ومُنمىً إنْ تخطاه أهرَما(٥)
وما مات مَنْ أبقى ثناءً مخلَّدًا ومن عاش مَن قَدْ عاش عَيْشاً مُذمَّما
وما المَجْدُ إلا الصَّبْرُ فى كلِّ مَوْطِنٍ وأن نجشمَ الهولَ العظيمَ تكرُّما(٦)
وما اللؤمُ إلا أن يُرى المرءُ غابطاً لئيما لمالٍ فى يديهِ إنْ أعدما
فذاكَ الذى كالموتِ فى الناسِ عيشُهُ ومنْ عدَّ مالاً مالهُ كانَ ألأما
وما الدَّهرُ إلا بَين لينٍ وشدَّةٍ فمنْ مرِّ مُسْيًا فيهِ أصْبَحَ مُرْغما(٧)

---

(١) الألوى : الشديد الخصومة . الجدل : السليط الذى يلتوى على خصمه بالحجة ولا يقر على شىء واحد . والألد : قريب من الألوى : وأميم : فعيل بمعنى مفعول . أى : مأموم ، أى به شجة ، أو هو الذى أصيبت أم رأسه ، وهى الجلدة التى تجمع الدماغ وعن : عرض . والمعنى : اسم مفعول عناه أتعبه . والمسدم : الفحل الذى يخرج من الإبل استهجانا لفحالته ، أى أتى يهدر كالفحل الهائج الذى يرد عن الإبل .

(٢) أفحمه : أسكته . والخنذيذ : الشاعر المجيد . وتقدم بيانه مع بيان أنواع الشعراء فى أول هذا الكتاب ، ومعنى يوم مشهود : تشهده الناس للمفاخرة والمذاكرة فى العلم ونحو ذلك .

(٣) أتى ثانياً من جيده : أى جاء متكبراً . واللغام فى الأصل : زبد الجمل ، واستعاره للانسان . والبلغم : خلط من أخلاط البدن . وهو أحد الطبائع الأربع . والمعنى : أنه جاء يزبد من شدة شره .

(٤) المستكين : الخاضع الذليل . ومحسوم الحصاء : أى مقطوعها ، وأصل الحسم : القطع . ثم الكى ، لئلا يسيل الدم ، وأحجم : نكص على عقبيه . وجمع فى موضع التثنية على حد عظيم المناكب .

(٥) المقعص : اسم مفعول أقعصه ، إذا ضربه ضربة فات مكانه . والمصمى : مثله . ومنمى : اسم مفعول : أنماه زاده ، وليس هذا من أنمى الصيد إذا رماه فأصابه ، ثم ذهب عنه فمات .

(٦) الجشم : تكلف الأمر على مشقة والهول : الأمر الذى يهول الناس ، أى يفزعهم .

(٧) المرغم : اسم مفعول من أرغمه ، إذا أذله .

وما الحزمُ إلا مِرَّةُ النفسِ تُقْتنى ... لشدَّتِهِ من قبلِ أن تتحكما[1]
وما العَجْزُ إلا أن تَلين لمَسّها ... فتَضْجرَ من قبلِ الرخاء وتسأما
وليس الغنا إلا اعتزازَ قناعةٍ ... نُجِلُّ أخاها أن يُذَلَّ ويُشتما
وما الفقرُ إلا أن يُرى المرء ضارعا ... لنَكبةِ دهرٍ قد ألمَّ فيَقْحَما
وخيرُ الرجالِ المجتدى سَيْبُ كفِّهِ ... وأجرأهمُ عند الكريهةِ مَقْدَما
وشرُّ الرجالِ كلُّ خَبٍّ مُراوِغٍ ... إذا مادَعى الداعى لأمرٍ تَلَفَّتا[2]
تجنَّبْ صِحابَ السُّوءِ ماعِشْتَ إنهُمْ ... لكالجُرْبِ يَعْدِينَ الصَّحيحَ المُسلَّما
ورَاعِ حُدودَ اللهِ لا تتعدَّها ... وصَعِّرْ وعظِّمْ ماأهانَ وعظما
ورَاعِ حُقوقَ الضَّيْفِ والجارِ إنهُ ... لَعَمْرُكَ أوصى أنْ يُبَرَّ ويُكرَما
وإن جَهلَ الجُهالُ فاحْلُمْ وربَّما ... يكونُ عليك العارُ أن تتحلَّما
وبالحسَنِ ادفعْ سيئاً فإذا الذى ... يُعادِيك كالمولى الأحَمِّ وأرْحَما[3]
ولا تقْرَبَنَّ الظلمَ والبَغىَ فاطَّرِحْ ... ففيهُما قد كان أرْدى وأشأما
وما اليُمْنُ إلا البرُّ والعَدْلُ والتُّقى ... وما الشؤمُ إلا أن تخون وتأثما

وهذه ميمية حُميد بن ثور الهلالى الصحابى رضى الله عنه ، التى عارض أحمد ابن الطلب المترجم بميميته . وقد تطلبتها سنين عديدة فى رحلتى إلى الحجاز ، والشام ، والقسطنطينية . فما وقفت لها على أثر ولا عِثْير ، حتى سألت عنها صاحب الهمة السامية ، الذائب فى إحياء العربية ، سعادة أحمد بك تيمور ، أحد أعيان الأعيان بمصر — حفظه الله تعالى — فوجدته عثر على نسخة منها بخط غير صحيح ، فجاد علىّ بها ، جزاه الله خيراً . وقد سقط من نسخته بيتان من أولها ، بقيا فى حفظى ، وما أدرى ، هل سقط منها غيرهما أم لا .

---

(١) المرة : الحبل . وتقتى لشدته : أى تدخر لشدة الدهر .
(٢) تلفتا : نكص عن مساعدته .
(٣) الأحم : الأقرب فى النسب .

[ألا هَيِّما مما لقيتُ وَهَيِّما ... وَوَيْحًا لمَنْ لم أَلْقَ منهُنَّ ويْحَما]
[أأسماء ما أسماء ليلةَ أدلجتْ ... إليَّ وأصحابى بأىَّ وأينما]

هيما : كلمة تحسر . وويحما : كذلك ، وهو مصدر لفعل مهمل . وقوله : وأصحابى بأى وأينما ، جملة حالية ، أى بمحل مجهول ، يسأل عنه بأى وأينما .

سَلِ الربعَ أنَّى يَمَّمتْ أمُّ سالمٍ ... وهلْ عادةٌ لِلرَّبْعِ أنْ يتكلَّما
وقولا لها ياحَبذا أنتِ هل بدا ... لها أوْ أرادتْ بعْدنا أن تأيَّما

يقول : هل رغبت فى التزويج ، أو أقامت بعدنا على التأيم . يخاطب واحداً ، والعرب تخاطب الواحد بلفظ الاثنين .

ولوْ أنَّ رَبْعًا ردَّ رجْعًا لسائلٍ ... أشارَ إليَّ الربعُ أوْ لتفهَّما(١)
أرى بَصرى قدْ رابنى بعد حِدَّةٍ ... وحَسْبُك داءٌ أن تصحَّ وتسلما(٢)
ولنْ يَلْبث العصرانِ يوماً وليْلة ... إذا طَلَبا أنْ يُدركا مانيمَّما(٣)
وصَوْتٍ على فَوْتٍ سَمعْتُ ونظرةٍ ... تلافيتُها واللَّيْلُ قَدْ صار أيْهما(٤)
بجدَّةِ عَصْرٍ منْ شبابٍ كأنهُ ... إذا قمتُ يكسُونى رِداءً مُسَهَّما(٥)

(١) قوله : أولفهما : أى أولفهم ما أقول . يقال : تفهم الشىء : إذا فهمه شيئاً بعد شىء .

(٢) قوله : أرى بصرى الخ . الرواية المشهورة : أرى بصرى قد رابنى بعد صحة ، وهى رواية المبرد .

(٣) قوله يوما وليلة : وجه النصب فيما يظهر معنى الظرفية ، كما تقول : لابد أن يقع ذلك يوماً ما . ورواية المبرد : يوم وليلة بالرفع . ولفظه بعد شرح أبيات من هذه القصيدة ستأتى بعد ، وفى شعر حميد هذا ، ماهو أحكم مما ذكرنا وأوعظ ، وأحرى أن يتمثل به الأشراف وتسود به الصحف ، وهو قوله :

أرى بصرى قد رابنى بعد صحة ... وحسبك داءاً أن تصح وتسلما
ولا يلبث العصران يوم وليلة ... إذا طلبا أن يدركا مانيمما

ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : كفى بالسلامة داء .

(٤) الفوت : البعد .

(٥) المسهم : المخطط .

أجِدَّكَ شاقتْكَ الحُمولُ تيمَّمَتْ هَدا بَيْنِ واجْتابَتْ يَمِيناً يَرَمرَما(١)
على كلّ مَنْسُوجٍ بِبَيْرِينَ كُلِّفَتْ قُوَىٰ نِسْعَتَيهِ مِحْزَماً غيرَ أهْضَما(٢)
رَعَينَ المُرارَ الجَوْنَ مِنْ كلّ مَذْنَبٍ شُهُورَ جُمادَىٰ كلها والمُحَرَّما(٣)
إلى النيرِ فاللعناء حَتى تبدَّلتْ مَكانَ رَواعيها الصَّرِيفَ المُسَدَّما(٤)
وعادَ مُدَماًّها كُمَيْتاً وشُبِّهتْ كُلُومُ الكُلَىٰ مِنها وِجاراً مهدَّما(٥)
وخاضَتْ بأيديها النِّطافَ وَدَعْدَتْ بأقْتادِها إلا سَرِيحاً مُخَدَّما(٦)
وقد عادَ فيها ذو الشَّقاشِقِ واضحاً هِجاناً كلَوْنِ القُلْبِ والجَوْنُ أصحَما
تَناوَلَ أطرافَ الحِمى أنْ تَنالَهُ وتَقْصُر عنْ أوْساطِهِ إنْ تقدَّما

---

(١) أجدك : لم تتكلم به العرب إلا مضافا ، ويجوز فتح جيمه وكسره ، والكسر أفصح وأكثر . قال الأصمعى : أجدك ، معناه أبجد هذا منك ، ونصبهما بطرح الباء . وقال الليث : إذا كسر الجيم استحلفه بحقيقته وجده ، وإذا فتح استحلفه ببخته وجده . وقال سيبويه : أجدك ، مصدر ، كأنه قال : أجدا منك ، ولكنه لايستعمل إلا مضافا . ويرمرم : جبل فى بلاد قيس .

(٢) أصل النسج للثوب ، فاستعاره لسمن الناقة ، لأنها ضمت بعض شحمها إلى بعض ، كما أن الثوب المنسوج يضم بعض خيوطه إلى بعض . وبيرين : رمل لاتدرك أطرافه ، عن يمين مطلع الشمس من حجر اليمامة . ونسعتاه : تثنية نسعة وهى القطعة من النسع — بالكسر — وهو سير ينسج عريضاً على هيئة أعنة النعال ، تشد به الرحال . والقوى : طاقاته ، واحدها قوة .

(٣) المرار : بالضم ، شجر من أفضل العشب وأضخمه ، إذا أكلته الإبل قلصت مشافرها ، فبدت أسنانها ، والمذنب : الجدول ، يسيل عن الروضة بمائها إلى غيره .

(٤) النير : جبل بأعلى نجد . واللعناء : لم نجده فى ياقوت ، والظاهر أنها تحريف اللعباء . وهى سبخة معروفة بناحية البحرين ، بحذاء القطيف على سيف البحر .

(٥) عاد : صار . ومدماها : الذى لونه كلون الدم منها . وكميتاً : أى تغيرت حمرته ، حتى صارت يخالطها سواد . والوجار : الجحر ، يعنى أن بطونها ضمرت حتى صارت كلاها كالوجار المهدم من غؤورها .

(٦) النطاف : جمع نطفة بالضم ، وهى الماء الصافى قل أو كثر ، ودعدت : أى عدت عدواً فى بطء . والأقتاد : جمع قتد محركة ، وهو خشب الرحل ، وقيل جمع أدانه . والسريح : جمع سريحة ، وهى سيور تخصف بها النعال ، فتشد إلى الخدمة ، وهى سير يشد فى رسغ البعير . يعنى فرقت أقتادها فى الماء ، فلم يبق فى أيديها إلا ما كان من سير مشدود إلى خدمة نعل .

وجاء بها الذوّادُ يحجُزُ بينها ... سُدًى بينَ قَرْقارِ الهديرِ وأعجَما(١)
فقامَتْ إليهنَّ العَذارىٰ فأقْدَعَتْ ... أكُفَّ العَذارىٰ عِزَّةً أن تُحَطَّما(٢)
فقرَّبْنَ مَوْضُوراً كأنّ وضِينَهُ ... بَنِيقٌ إذا مارامَهُ العَقْرُ أحْجَما(٣)
صِلَخْدًا كأنّ الجنَّ تَعْزِفُ حَوْلَهُ ... وصَوْتُ المُغَنّى والصَّدى ماترنّما(٤)
بغَيْرِ حَيًا جاءَتْ بهِ أرْحَبِيَّةٌ ... أطالَ بها عامَ النِّتاجِ وأغْظَما(٥)
تراهُ إذا اسْتَدْبَرْتَهُ مُدْمَجَ القَرَى ... وفَعْماً إذا أقبلْتَهُ العَينَ سَلْجَما(٦)
عَبَنٌّ مَريطُ الحاجِبَيْنِ إذا خدا ... على الأكْمِ ولاّها حِذاءً عَشَمْشَما(٧)
رعى السِّدْرَةَ المِحْلالَ ما بينَ زابنٍ ... إلى الخَوْرِ وسْمىَّ البُقُولِ المُدَيَّما(٨)

---

(١) جاء بها : أى بالمطايا المتقدمة . وقوله : قرقار . قال فى اللسان : قرقر البعير قرقرة: هدر ، وذلك إذا هدل صوته ورجع ، والاسم : القرقار . يقال بعير قرقار الهدير : صافى الصوت فى هديره ، قال حميد :

جاءت بها الوراد يحجز بينها ... سدى بين قرقار الهدير وأعجما

وكذا نسبه له فى التاج ، وهو مخروم فى كليهما . وكذا رواه فى المخصص ، ولم ينسبه . وسدى : مرسلات من غير قيد . وأعجم : لايصوت .

(٢) قوله : فقامت إليهن العذارى : أى قامت إلى الجمال فقدعتهن ، أى عضضتهن ، وأصل القدوع ، أن يضرب الفحل بالرمح على الأنف ، إذا كان لايرضى للفحالة ، وأن تحطم: أن تجعل فى آنافها الحطم ، وهى الأزمة .

(٣) فقربن موضوراً : لم يظهر لنا وجهه ، فإنه إن كان يريد جملا به وضر ، يعنى الجلال الذى يتغشى الجمل إذا هاج ، فمعناه صحيح ، إلا أن فعله لازم ، فكيف يصاغ اسم المفعول منه ، ومعنى إذا مارامه العقر أحجما : أن وضينه لين فلا يعقره .

(٤) الصلخد : الجمل المسن الشديد الطويل ، وقيل : هو الماضى من الإبل . والوضين : البطان ، وتقدم معناه فى أول القصيدة . وتعزف : تصوت .

(٥) قوله عام النتاج : أى السنة التى تنتج فيها ، أى ولد .

(٦) قوله : مدمج القرى ، المدمج : الملس . والقرى : الظهر . والفعم : الغليظ : والسلجم : الطويل .

(٧) عبن : غليظ . ومريط الحاجبين : خفيف شعرهما . وخدا : أسرع . والحذاء : النعل . والمراد به خفه . والعشمشم : الطويل ، وهو صفة للجمل المتقدم .

(٨) قوله : رعى السدرة المحلال الخ ، هذه الرواية التى أثبت هى رواية ياقوت فى معجمه. قال فى خور : وفى بلاد العرب أيضاً ، موضع يقال له الخور بأرض نجد من ديار بنى كلاب، وفى شعر حميد بن ثور : رعى السدرة الخ . قال الأودى : الخور : واد . وزابن : جبل ، وكذا=

فجئن بها غوجَ الملاطين لم يَبِنْ حداجَ الرِّعاءِ ذا عَثانينَ مُسْنِما(١)
فلما أتتهُ أنشبتْ فى خَشاشِهِ زِماماً كثُعبانِ الحماطةِ مُحْكَما(٢)
شديداً توَقِّيهِ الزِّمامَ كأنما يَراها أعَضَّتْ بالخشاشةِ أرْقَما(٣)
فلما أرْعَوى للزَّجْرِ كلُّ مُلَبَّثٍ كجيدِ الصَّفا يتلو حِزاماً مُنَدَّما(٤)
إذا عِزَّةُ النفسِ التى ظلَّ يَتَّقى بها حِيلةٌ لم تُنْسِهِ ماتعلَّما(٥)

= أنشده فى زابن .

وفى اللسان : والدعادع : نبت يكون فيه ماء فى الصيف ، تأكله البقر وأنشد فى صفة جمل:

رَعَى القَسْوَرَ الجونى من حول أثْمُسٍ ومن بطن سَقْمان الدَّعادع سِدْيما

قال : ويجوز من بطن سقمان الدعادع . وهذه الكلمة وجدتها فى غير نسخة من التهذيب ، الدعادع على هذه الصورة بدالين ، ورأيتها فى غير نسخة من أمالى ابن برى على الصحاح : الدعاع . بدال واحدة ، ونسب هذا البيت إلى حميد بن ثور . وأنشده :

* ومن بطن سقمان الدعاع الدديما *

وقال : واحدته دعاعة ، وهو نبت معروف . والسدرة : واحدة السدر ، والسياق يقتضى أنها موضع ، ولم نجده فى المعجم . والمحلال : التى أكثر الناس من الحلول بها ، وقيل : هى التى تحل الناس كثيراً ، لأن مفعالا إنما هو فى معنى فاعل لامفعول . والخور : ضبطه فى المعجم بالفتح . والوسمى : مطر الربيع الأول ، ومراده كلأه . والمديم : الذى أصابته الديم ، وهى جمع ديمة ، للمطر الذى يدوم فى سكون . والقسور على رواية ابن السكيت : نبت . وأثمس : يقتضى السياق أن يكون موضعاً ، ولم نجده فى المعجم بهذا اللفظ . وفيه : ثمس ـ بضم أوله ـ صنم لبنى تميم ، فلعله غيره ، أو مراده حول موضعه . وسقمان : فعلان من السقم ـ بفتح أوله وسكون ثانيه ـ موضع ، وأنشد عليه ياقوت رواية الأصل .

(١) غوج الملاطين : متسعهما . والملاطان : الجنبان . والعثانين : جمع عثنون، وهى شعيرات طوال تحت حنك البعير . ومسنم : عظيم السنام .

(٢) أنشبت : أدخلت . والخشاش ـ بالفتح ـ مايدخل فى أنف البعير . والثعبان: الحية، وفى رواية : كشيطان ، وهو الحية أيضاً . والحماطة : واحدة الحماط ، وهو يبيس الأفانى ، تألفه الحيات . وقيل : الحماط بلغة هذيل ، شجر عظام ، تألفها الحيات . ومحكما : شديد الفتل ، صفة للزمام .

(٣) الخشاشة : العود الذى يجعل فى أنف البعير . والأرقم : الحية ، والمعنى أنه يخاف من الزمام ، فكأن العذارى لازمته ، أعضت خشاشته حية ، ويجوز بالخشاشة أى النفس .

(٤) أرعوى : رجع . والملبث : الذى تركه مهملا حتى سمن . وقوله : كجيد الصفا، الجيد: العنق ، ومراده كأعلى الصخرة فى ملاسته وقوته .

(٥) قوله : إذا عزة النفس التى ظل يتقى الخ ، يعنى أن تمنعه من جعل الزمام فى أنفه ، لم ينسه ماتعلم من حسن الرياضة ، واستقامة السير .

كأنَّ وَحَى الصَّرْدانِ فى جَوْفِ ضالةٍ ... تَلَهْجَمَ لَحْيَيْهِ إذا ماتَلَهْجَما (١)

وقالتْ لأُخْتَيْهَا الرَّوَاحَ وقدَّمَتْ ... غَبيطاً خُشَيْمِيًّا تَرَاهُ وأَسْحَما (٢)

فجاءتْ بهِ لا جازِياً ظَلَفاؤُهُ ... ولا سلساً فيهِ المَسامِيرُ أكْزَما (٣)

فَزَيَّنَهُ بالعِهْنِ حتى لوَ أنهُ ... يقال له هابِ هَلُمَّ لأقْدَما (٤)

فلما كشفْنَ اللِّبْسَ عنهُ مَسَحْنهُ ... بأطرافِ طِفْلٍ زانَ غَيْلاً مُوَشَّما (٥)

---

(١) قوله : كأن وحى الصردان الخ . الوحى : الصوت ، وأنشد فى التاج هذا البيت شاهدا عليه ، ولم يذكره فى اللسان هنا ، وذكره فى لهجم . قال : وتلهجم لحيا البعير : إذا تحركا . قال حميد ، وأنشد البيت . يقول كأن تلهجم لحيي هذا البعير ، وحى الصردان قال (يعنى الفراء) : وهذا يحتمل أن تكون الميم فيه زائدة ، وأصله من اللهج ، وهو الولوع . وقال فى صرد ، والصرد : طائر فوق العصفور . قال : والجمع صردان ، وأنشد هذا البيت على ماتقدم فى الأصل .

(٢) قوله : وقالت لأختيها الخ . الضمير للمرأة المفهومة من لفظ العذارى ، والرواح : إغراء ، أى بادرا الرواح . والغبيط : مركب من مراكب النساء . وخشيمياً ـ بالخاء والشين المعجمتين ـ مصغر ، لم نجد له معنى يناسب ، ولعله بالحاء والسين المهملتين ، وأصله الحيسمان : كريهقان ، وهو الضخم الآدم ، ثم صغره . والأسحم : الأسود .

(٣) قوله : فجاءت به . أى بالغبيط . ولاجازيا : الذى يظهر ، أنها تحريف ، وأن الأصل لاجاسئاً ، أى غير خشن صلب ، والسلس : اللين . والمسامير : جمع مسمار : والاكزم : المكسر . وظلفاؤه فيما يظهر : تحريف ، والأصل ظلفاته ، جمع ظلفة ، كفرحة ، وهى طرف حنو القتب . والإكاف وأشباهها .

(٤) الضمير فى : فزينه . للعذارى . والعهن : الصوف عامة ، أو هو المصبوغ ألوانا . وهاب بالتنوين : إسم صوت ، تدعى به الإبل خاصة ، وهو هنا منون مكسور . وهلم : فعل جامد لا ينصرف فى اللغة الفصحى ، وتقول : هلم ، وهلما ، وهلموا ، ونحوها . على لغة تميم . قوله ولأقدم : أى لأتى مجيباً لدعائه . يقول : حتى لو نودى لأجاب .

(٥) قوله فلما كشفن الخ . المراد باللبس : ماعليه من الثياب الموشاة . وفى اللسان : ويكون الطفل واحداً وجمعاً ، مثل الجنب ، وغلام طفل : إذا كان رخص القدمين واليدين . وامرأة طفلة البنان : رخصتها فى بياض ، بينة الطفولة . وقد طفل طفالة أيضاً ، وبنان طفل . وإنما جاز أن يوصف البنان وهو جمع ، بالطفل وهو واحد ، لأن كل جمع ليس بينه وبين واحده إلا الهاء ، فإنه يوحد ويذكر . ولهذا قال حميد : وأنشد البيت . قال : أراد بأطراف بنان طفل ، فجعله بدلا عنه اهـ . وقوله زان : أى حسن . والغيل : الساعد الريان . وموشما : صفة لغيل ، أى به وشم .

لهُ ذِئْبٌ للرِّيح بينَ فُرُوجِهِ مَزامِيرُ يَنْفُخْنَ (الكَسِيرَ) المهزّما[١]

مُدَمًّا يَلوحُ الوَدْعُ فَوْقَ سَراتِهِ إذا أُرْزِمَتْ فى جَوفِهِ الريحُ أرْزَما[٢]

كأنّ هَزِيزَ الريحِ بينَ فُرُوجِهِ عَوازِفُ جِنٍّ زُرْنَ حَيًّا بَعَيْهَما[٣]

تَباهَا عليهِ الصّانِعاتُ وشاكَلَتْ بِهِ الخَيْلَ حتى همَّ أنْ يَتَحَمْحَما[٤]

أطافَتْ بِهِ النسوان بين صنيعهِ وبين التى جاءت لِكيما تَعلّما[٥]

يطفْنَ بِهِ يَخلُونَ حَوْلَ غَبيطِها رَبابَ الثريّا صاب نَجْداً فأوْسَما[٦]

---

(١) قوله له ذئب الخ . فى الأصل : له ذنب الخ ، فهو فيما يظهر محرف ، إذ لم نجد له معنى يناسبه ، ولعل الصواب ما أثبتناه . وذئب : جمع ذئبة ، وهى فرجة ما بين دفتى الرحل والسرج والغبيط ، أى ذلك كان . وقيل الذئبة من الرحل والقتب والإكاف ونحوها من تحت مقدم ملتقى الحنوين ، وهو الذى يعض على منسج الدابة . وقيل ذئب الرحل : أحناؤه ، من مقدمه . وذئب الرحل تذئيباً : عمله له . وقتب مذأب وغبيط : إذا جعل له ذؤبة : قال امرؤ القيس :

له كفل كالدعص لبده الندى إلى حارك مثل الغبيط المذأب

ومزامير : أصوات ، وينفخن : أى يطرنه ، مأخوذ من نفخ النار ، وأصل النفخ : إخراج الريح من الفم : والكسير : ما تكسر من النبات . وليست فى الأصل ، وإنما أثبتها للمناسبة . والمهزم : المكسر .

(٢) مدما : ملطخا بالدم من حرته . والودع : حرز تزين به الهوادج ويحرك ، وأصله دويبة يقذفها البحر فتموت ، فتصلب صلابة الحجر . وسراته : أعلاه . وأرزمت : صوتت . وأرزم : صوت .

(٣) هزيز الريح : صوتها . وعوازف ، جمع عازفة ، أى مصوتة ، والظاهر أنه نزل الجن منزلة غير العاقل ، لأن فواعل فى المذكر العاقل ، لم يسمع منه إلا : هوالك ونواكس وفوارس وضوارب . وعيهم : موضع بتهامة .

(٤) تباها : من المباهاة . والصانعات : اللاتى صنعنه . وشاكلت : أى جعلت به تصاوير كالخيل ، حتى هم أن يتحمحم . والحمحمة : صهيل الفرس .

(٥) هذا البيت أو رده صاحب اللسان فى مادة « صنع » فأردت إثباته هنا للمناسبة للفظه ، وامرأة صنيعة : بمعنى صناع . وأنشد لحميد بن ثور « أطافت به النسوان » الخ . قال : وهذا يدل على أن اسم الفاعل ، من صنع يصنع : صنيع ، لاصنع . لأنه لم يسمع اه الفرض منه . وأصل تعلم : تتعلم ، أى بين حاذقة فى العمل ، وبين من تتعلمه .

(٦) يطفن به : أى بالغبيط . ورباب الثريا أى مطرها . وأصل الرباب : السحاب الأبيض . وصاب وأصاب واحد ، ونجداً : أى مكاناً غليظاً . وأوسم : أى أنبت عليه النبات شبه الألوان التى على الغبيط من بياض وحمرة ، بالنبات المنور على المحل العالى ، وهو مع ذلك ممطور .

فلوْ أنَّ عُوداً كانَ مِنْ حُسْنِ صُورَةٍ ... يُسَلِّمُ أوْ يَمْشِى مَشَى أوْ لَسَلَّما
تَخالُ خِلالَ الرَّقْمِ لمَّا سَدَلْنَهُ ... حَصاناً تُهادَى سامِىَ الطَّرْفِ مُلْحِما (١)
سَرَاةَ الضُّحَى مارِمْنَ حتَّى تَحَدَّرَتْ ... جِباهُ العَذارَى زَعْفَراناً وعندَما (٢)
فقُلْنَ لها قُومِى فَدَيْناكِ فارْكَبِى ... فقالتْ ألا لاغيرَ إمَّا تَكلَّما (٣)
فهادَيْنَها حتى ارْتَقَتْ مُرْجَحِنَّةً ... تَميلُ كما مالَ النَّقا فتَهَيَّما (٤)
وجاءَتْ يَهُزُّ الميسَنانِىَّ مَشْيُها ... كَهَزِّ الصَّباغُصْنَ الكَثيبِ المُرَهَّما (٥)
منَ البيضِ عاشَتْ بينَ أمِّ عزيزَةٍ ... وبينَ أبٍ بَرٍّ أطاعَ وأكرَما

---

(١) تخال : أى تظن . والرقم : الثياب المزخرفة التى يغطى بها الغبيط . وخلاله: نواحيه، وسدلنه : أى لما مددن الرقم . والحصان : المرأة العفيفة ، أو المتزوجة . وتهادى : أى تهدى لزوج . سام الطرف : أى عظيم القدر ، من أهل الابهة . وملحم : يطعم الناس كثيراً. وأصل الملحم : الذى يطعم اللحم لكثرته عنده .

(٢) سراة الضحى : حين يرتفع النهار . ومارمن : مازلن . وتحدرت : انحدرت . والمعنى ، مازلن يخدمنها لشرفها وعظم منزلها ، حتى تحدر عرقهن .

(٣) فديناك : أى كنا لك فداء . وقالت ألا لا : أى ردت عليهن . ورواية الأغانى:

* فأومت بلالا غير أن تتكلما *

فأومت : أحسن ، يعنى أنها أشارت بلالا من غير أن تنطق بها .

(٤) قوله : هادينها ، أى أعنها على القيام لتركب . وفى اللسان : وجاء فلان يهادى بين اثنين : إذا كان يمشى بينهما ، معتمداً عليهما من ضعفه وتمايله . وفى الحديث : أن النبى صلى الله عليه وسلم ، خرج فى مرضه الذى مات فيه ، يهادى بين رجلين . (قال) أبو عبيدة: معناه أنه كان يمشى بينهما ، يعتمد عليهما من ضعفه وتمايله . وكذلك كل من فعل بأحد ، فهو يهاديه . قال ذو الرمة :

يهادين جماء المرافق وعثة ... كليلة حجم الكف ريا المخلخل

وإذا فعلت ذلك المرأة ، وتمايلت فى مشيتها ، من غير أن يماشيها أحد ، قيل : تهادى اهـ.

وارتفعت : رقت فوق الجمل . والنقا : الكثيب من الرمل . وتهيم : انهار ، على مايقتضيه السياق .

(٥) قوله بهز الميسنانى : أى الثوب المنسوب إلى ميسان ـ اسم كورة بين البصرة وواسط ـ وينسب إلى ميسان : ميسنانى وميسانى . والمرهم : هو الذى مطرته الرهم . ونص فى لسان العرب . على أنه لايقال : روضة مرهمة ، ولم يذكر للمتعدى رباعياً . وأنشد بيتاً لذى الرمة، على روضة مرهومة . وهو :

أو نفحة من أعالى حنوة مجت ... فيها الصبا موهناً والروض مرهوم

مُنَعَّمَةٌ لَوْ يُصْبِحُ الذَّرُّ سارِيا ... على جِلدِها بَضَّتْ مَدارِجُهُ دَما (١)

تَرَى السَّوْذَقَ الوَضّاحَ مِنها بمَعْصَمٍ ... نَبِيلٍ ويأبى الحِجْلُ أنْ يتَقَدَّما (٢)

منَ البِيضِ مِكسالٌ إذا ما تَلَبَّسَتْ ... بعقلِ امْرِىءٍ لم يَنْجُ منها مُسَلَّما (٣)

رَقُودُ الضحى لا تَقْرَبُ الجِيرَةَ القصى ... ولا الجِيرَةَ الأدْنِينَ إلا تَجَشُّما (٤)

بَهِيرٌ تَرَى نَضْحَ العَبِيرِ بجَيبِها ... كما ضَرَّجَ الضّارِى النَّزِيفَ المُكَلَّما (٥)

---

(١) قوله منعمة الخ . رواه صاحب الأغانى هكذا .

مهاة لو ان الذر تمشى ضعافه ... على متنها بضت مدارجه دما

قال بضت : سالت . يقول لو مشى الذر على جلدها ، لجرى منه الدم من رقته . وروى الأصمعى :

منعمة لو يصبح الذر ساريا ... على متنها بضت مدارجه دما

الشعر لحميد بن ثور الهلالى اه الغرض منه .

والذر : صغار النمل . وبضت : سالت سيلانا خفيفاً . ومدارجه : جمع مدرج ، وهو حيث يدرج ، أى يمشى . ودماً : تمييز .

(٢) السوذق : السوار ، وأنشد عليه صاحب اللسان هذا البيت ، ولم يعزه ، ومعنى :

* ويأبى الحجل أن يتقدما *

أن معصمها غليظ ، لايحول فيه الحلب .

(٣) مكسال : مفعال من الكسل .

(٤) قوله رقود الضحى : أى هى كثيرة الرقاد فى الضحى . لكرامتها على أهلها ، ولأنها ممن يخدم ، فلا تحتاج إلى خدمة بيتها . والجيرة : الجيران . والقصى : أصله القصيا ، فعل به مافعل بالدنى ، وكما قيل : إن الدنى فى شعر المتنبى ، أصله الدنيا ، فحذف الياء ضرورة ، يقال هنا أيضاً ، إن الأصل : قصيا . فقيل : القصى ضرورة . والأدنين : الأقربين . والتجشم : التكلف ، يعنى أنها لاتعرف جيرتها القاصين ، ولا تعرف الأدنين إلا بمشقة ، يعنى لاتزورهم إلا بمشقه تتكلفها ، وهذه الرواية التى شرحت ، هى رواية الجاحظ فى كتاب الحيوان ، إلا قوله لاتقرب ، فإنها فى رواية الأصل . وروى الجاحظ مكانها : لاتعرف .

(٥) بهير : فعيل بمعنى مفعول . يقال : بهر ، بالبناء للمفعول ، فهو بهير ومبهور ، إذا انقطع نفسه من الإعياء . والنضح : الرش . والعبير : الزعفران . والجيب : معروف . والضارى : المجروح ، وبه فسر بيت حميد ، قاله فى اللسان ، وأنشد البيت شاهداً عليه . قال : وقال بعضهم الضارى : السائل بالدم ، من ضرى يضرى ، وقيل الضارى : العرق ، الذى اعتاد الفصد ، فإذا حان حينه وفصد ، كان أسرع لخروج دمه ، وراويته : نزيف ، موضع بهير . والنزيف : المنزوف ، أى الذى نزفه الدم . والمكلم : الذى أصابته كلوم ، أى جروح .

ظعائنُ جُمْلٍ قد سلكْنَ شقيقةً وأيمَنَّ عنها بعدَ ماشمنَ مُرْدِما(١)
عَروضاً تدلَّتْ من تهامةَ أهدِيتْ لنجدٍ فساحَ البرقُ نجداً وأتهما(٢)
إذا احتملتْ من رَمْلِ يبرينَ بالصحى فذاكَ احتمالُ خامرَ القلبَ أسْهُما(٣)
ولمَّا تشارقنَ الحدوجَ هوى لها من الصَّيفِ حرٌّ يترك الوجهَ أسْحَما(٤)
دُموجَ الظباءِ العُفْرِ بالنفسِ أشفقتْ من الشمسِ لما كانتِ الشمسُ ميسَما(٥)
ورُحْنَ وقدْ زايلنَ كلَّ ظعينةٍ لهُنَّ وباشرْنَ السَّديلَ المُرَقَّما(٦)
وليستْ من اللاتي يكونُ حديثُها أمامَ بُيُوتِ الحيِّ أنا وأنَّما(٧)
أحاديثُ لم يعقبْنَ شيئاً وإنما فرَتْ كذباً بالأمسِ قيلاً مُرَجَّما(٨)

(١) الشقيقة : فرجة بين جبلين . وأيمن عنها : أى سرن عن يمينها ، وشمن : نظرن . ولا يكون الشيم لغير البرق . ومردم إسم فاعل من أردم السحاب : إذا دام .

(٢) العروض : السحاب التى مطرت مرة بعد مرة .

(٣) احتملت : رحلت . ويبرين : رمل لا تدرك أطرافه كما تقدم . وقوله خامر القلب : أى خالطه . وأسهم : منصوب بإسقاط الخافض ، أى بأسهم ، أو على الحال بتأويل أسهم بالمشتق .

(٤) تشارقن الحدوج : أى ألبسنها المشرقات من الثياب ، أى المصبوغات بالحمرة ، وأخرجنها لتمسها الشمس .

(٥) دموج الظباء : هى التى دخلت فى كناسها . والعفر : جمع أعفر ، وهو مايعلو بياضه حمرة ، أو الذى فى سرته حمرة وأقرابه بيض ، أو الأبيض ليس بالشديد البياض ، والأنثى عفراء . وبالنفس أشفقت : أى خافت على نفسها من شدة الحر ، فدخلت الكناس ، وعلى والباء يتعاقبان . وقوله : لما كانت الشمس ميسما ، أى لما اشتد الحر ، وصارت الشمس كالميسم المحمى فى النار من حرارتها ، وجواب لما ، محذوف . لتقدم مايدل عليه .

(٦) زايلن : فارقن . وفى اللسان : والسِّدل والسُّدْل : الستر : وجمعه أسدال وسدول فأما قول حميد بن ثور :

فرحن وقد زايلن كل ظعينة لهن وباشرت السدول المرقا

فإنه لما كان السدول ، على لفظ الواحد ، كالسدوس لضرب من الثياب . وصفه بالواحد قال : وهكذا رواه يعقوب رحمه الله ، ورواه غيره : السديل المرقا . قال : وهو الصحيح ، لأن السديل واحد .

(٧) قوله : وليست من اللاتى الخ . رواية الحاطئ : وليست من اللائى ، واللاتى واللائى بمعنى ، كل منهما اسم جمع للتى . وروى أيضاً : أن وأنما ، يعنى أنها لا تتحدث أمام بيوت الحى .

(٨) لم يعقبن شيئاً : أى لم يجئن بشىء بعد الأحاديث . وفرت كذبا : اختلقته ، والقيل : لغة فى القول . والمرجم : القول الذى لم يتحقق ، يقال رجم بالظن : رمى به : والرجم : القذف بالغيب والظن .

فما ركبت حتى تطاول يومها ... وكانت لها الأيدى إلى الخدب سُلّما(١)

ومادخلت فى الخدب حتى تنقضت ... تآسيرُ أعلى قِدّه وتحطما(٢)

فجرجر لما صار فى الخدر نصفها ... ونصفٌ على دايانه ما تجزّما(٣)

وما رِمْتُها حتى لوت بزمامه ... بَنانًا كهُدّاب الدِّمَقْس ومِعْصَما(٤)

وما كادَ لما أنْ عَلَتْهُ يُقِلُّها ... بِنَهْضَتِهِ حتى أكلأزَّ وأعْصَما(٥)

وحتى تداعت بالنقيض حبالُهُ ... وهَمَّتْ بوانى زَوْرِهِ أنْ تحطما(٦)

---

(١) قوله : فما ركبت حتى تطاول يومها الخ : يعنى أنها أمضت كثيراً من يومها تكابد الرقى إلى الهودج . والخدب : بالخاء المعجمة وفى الأصل بالجيم ، وهو تحريف فيما يظهر ، وأصله الخدب بالتحريك ، وسكنه ضرورة ، يعنى أيدى النساء التى كانت تتهادى بينهن ، كانت لها بمنزلة السلم التى يرقى عليها إلى الخدب ، أى الهودج .

(٢) قوله : ومادخلت فى الخدب : أى فى الهودج . وتنقضت : بمعنى انتقضت . وقوله : تآسير ، الذى فى الأصل مآسره ، ولم نجد لفظها فى القاموس ، وفيه : وتآسير السرج : السيور التى بها يؤسر . قال شارحه : قال شيخنا : وهو (يعنى تآسير) من الجموع التى لا مفرد لها فى الأصح ، وأعلى : أرفع . والقد : الجلد . وتحطم : تكسر .

(٣) جرجر : أى ردد صوته فى حنجرته . والدايات : جمع دأية ، وهى أضلاع الكتف ، ثلاثة من كل جانب ، وقيل هى فقار الكاهل . وماتجزم : ما امتلأ بها ، يعنى أنها لما صار نصفها فى الخدر ، جرجر من ثقلها وعظم جسمها ، ومع ذلك فإن الخدر لم يمتلىء بها ، لأنها مادخلته كلها .

(٤) قوله : وما رمتها ، أى مافارقتها ، أى النساء التى اعتمدت عليهن لتركب . ولوت بزمامه : أى تمسكت منه ، وأصله : لوت ببنانها ومعصمها زمامه فقلب ، وهذا شائع فى كلام العرب . والهداب : الهدب . والدمقس : الابريسم والقز .

(٥) يقلها : ينهض بها . واكلأز : انقبض انقباضاً شديداً . وأعصم : أثبت أرساغه فى الأرض ، من قولك : أعصمت بفلان . وروى :

وما كاد جون أرحبى يقلهـا ... بزفرته حتى اكلأز وأعصما

الأرحبى : جمل منسوب إلى أرحب ، قبيلة من همدان .

(٦) قوله تداعت : أى دعا بعضها بعضاً . والنقيض فى الأصل : ضد الابرام ، ومراده تداعت للتقطع . وحباله جمع حبل وهى الحبال التى يشد بها . وهمت ، : أرادت . وبوانى : جمع بانية . قال صاحب التاج فى المستدرك . فى حديث خالد : فلما ألقى الشام بوانيه . عزلى .

قال ابن الأثير : البوانى فى الأصل : أضلاع الصدر ، وقيل الاكتاف والقوائم ، الواحدة بانية قال : وإنما ذكرت هذه الكلمة هنا ، حملا على نظائرها ، فإنها لم ترد حيث وردت ، إلا مجموعة . والزور : الجنب . وتحطم : أصله تتحطم ، أى تتكسر .

وأثَّرَ فى صُمِّ الصَّفا ثَفِناتُهُ ... ورَامَ بلمَّا أمرَهُ ثمَّ صَمَّما (١)

فَسَبَّحْنَ واسْتَهْلَلْنَ لمَّا رأينَهُ ... بها رَبِذًا سَهْلَ الأراجيحِ مِرْجما (٢)

فلما سما اسْتَدْبَرْنَهُ كيفَ شَدْوُهُ ... بها نَهِضَ الدَّاياتِ فَعْمًا مُلَمْلَما (٣)

ولمَّا اسْتَقلَّتْ فَوْقَهُ لم تَجِدْ لها ... تَكاليفَ إلا أنْ تَعيلَ وتَعْسَما (٤)

ولمَّا اسْتَقَلَّ الحىُّ فى رَوْنَقِ الضُّحى ... قبضن الوصايا والحديثَ المُجَمْجَما (٥)

تَنَبَّذْنَ منْ وَعْثِ الكثائبِ بعدَما ... شَرَعْنَ بأيدٍ أدْمُها كلُّ أدْمَا (٦)

---

(١) أثر فى صم الصفا : ترك بهـا أثراً من ثقل المرأة التى ركبته . وثفناته : جمع ثفنة ، كفرحة ، وهى ركبته ، وماسس الأرض من كركرته وسعدانته ، وأصول أفخاذه . وقوله : ورام بلما : أى أراد أن لايقوم ، من قولهم : قربت من المدينة ولما ، أى ولم أدخلها . وقوله: ثم صمما : أى ثم أمضى عزمه على القيام فعاناه ثم قام . وروى :

وحصحص فى صم الصفا ثفناته ... وناء بسلمى نوءة ثم صمصما

الحصحصة : تمكين الشىء فى الشىء .

(٢) قوله فسبحن : أى قلن سبحان الله ، لما رأينه قام بها ، تعجباً من قوته . واستهللن: أى صرخن ، وليس مراده قلنا : لا إله إلا الله ، لأنه لو كان كذلك ، لقال : وهللن . يقال : استهل المولود ناطقاً ، أى نطق . وربذاً : خفيف حركة اليدين ، من قولهم : ربذت يده بالقدح ، خفت . والأراجيح : اهتزاز الابل فى ارتكانها . أى سيرها . والمرجم بكسر الميم: الذى يرجم الأرض بيديه .

(٣) سما : ارتفع . واستدبرنه : تأخرن عنه . وشدوه : قصده بها إلى المحل الذى تريده وناهض الدايات : حال من الجمل ، أى مرتفعها . وتقدم معنى الدايات . وفعما : غليظاً . ومملماً : مجتمع الخلق .

(٤) قوله : ولما استقلت فوقه الخ ، قال فى اللسان : ومن العيل : التبختر ، قول حميد :

* ... لم تجد لها تكاليف إلا أن تعيل وتأسما *

وتعسم فى الأصل : من العسم ، محركة . وهو يبس فى مفصل الرسغ ، تعوج منه اليد والقدم والمعنى أنها لم تجد تكاليف لما صارت فوقه لرياضته ، إلا إذا ضربتها الرفاهية ، المكنى عنها بالعيل . أو تعسم : أى لاتقدر على إمساك الزمام . ليبس يدها وكزازتها ، وذلك غير واقع ، والواو تعاقب أو .

(٥) استقل الحى : أى ساروا مستقلين . ورونق الضحى : أوله . وقبضن : تناولن ، وهو بالمهملة . والمجمجم : المردد فى النفس . والوصايا : جمع وصية ، أى صرن يتحدثن بما كن كتمن فى نفوسهن ، وبما لهن من الوصايا من صواحبهن .

(٦) التنبذ : التنحى . ومن : بمعنى عن . وأدمها : جمع أديم . وأدم : أى احمر .

تَنَازَعْنَ سَيْرًا يومَ ولَّتْ جمالُهـا تَسيبُ نزاعا لا يُغَالِبُ أقدَما(١)
فَوَرِّ كَنَ ماءً مُسْدِماً بعدَ سَبْعةٍ فأبرَمْنَ إبراماً على أنْ تَلَوَّما(٢)
دَعَوْتُ بعَجْلى واعْتَرانى صَبابةٌ وقد طلَعَ النَّجدين أخْداجُ مريما(٣)
فجاء بشَوْشاةٍ مِزَاقٍ ترى لهـا مُدُوباً منَ الأنْساعِ فذّا وتَوْأما(٤)
فكلَّفْتُهَا أنْ تَدلجَ اللّيلَ كلَّهُ وكلَّفْتُ عَبْدِىَّ الرسيمَ فأرْسَما
فأما الأُلَى يسْكنَّ غَوْرَ تِهامَةٍ فكلُّ فتاةٍ تتْرُكُ الحِجْلَ أفصما(٥)
أراها غلاماها الخَلاءَ وشذَّرَتْ مِراحاً ولم تقْرَأ جنيناً ولاَ دَما(٦)
فلَا بلاَلى خادعـها فألزَما زِمامَيْهما من حَلْقَةِ الصُّفْرِ ملْزَما

---

(١) تسيب : تنساب ، أى تسير ، ونزعا : من النزوع إلى الوطن ، أى الاشتياق إليه .
(٢) فوركن : أى أقن . والمسدم : الماء المدفق .
(٣) دعوت بعجلى : أى أمرت بالانيان بها . وعجلى : فعلى من العجلة ، واعترتنى : غشيتنى . والصبابة : شدة الشوق . والنجدان : بلفظ المثنى ، موضع يقال له نجدا مريم . وأخداج : جمع خدج ، وهو مركب من مراكب النساء ، ومريم : إسم امرأة .
(٤) قوله : فجاء ، أى الراعى أو نحوه . ولم يتقدم له ذكر ، لعله ذهنا . والشوشاة : تروى بهاء التأنيث ، وهو الأصح . وشوشاء بالمد . قال فى اللسان : وناقة شوشاء ، ممدود. قال حميد :

فجاءت بشوشاء مزاق ترى لها الخ

وقال بعضهم : فعلاء ، وقيل هى فعلال . قال أبو منصور : وسماعى من العرب : شوشاة بالهاء وقصر الألف ، قال : وهى الخفيفة . اهـ .
وقال فى مزق : وناقة مزاق ، بكسر الميم ، ونزاق عن يعقوب : سريعة جداً ، يكاد يتمزق عنها جلدها من نجائها ، وزاد فى التهذيب : ناقة مزاق : سريعة .
قال الليث : سميت مزاقا : لأن جلدها يكاد يتمزق عنها من سرعتها . وأنشد : فجاء بشوشاة الخ .
والندوب : الآثار التى تبقى فى جنبيها من أثر الانساع . وفذا : واحدا . وتوأما : اثنان.
(٥) قوله : فأما الألى الخ . الألى بمعنى اللاتى ، كما أن اللائى ، وردت بمعنى الذين ، فى قوله :

فما اباؤنا بأمنّ منه علينا اللاء قد مهدوا الحجورا

والحجل : القلب . وأفصم : مكسر .
(٦) شذرت : حركت رأسها فرحاً ومرحاً ، وقوله : ولم تقرأ جنيناً ولا دما . أى لم تجمع فى بطنها شيأ من الأجنة ، لاجنيناً ولا دما . وروى سراعا : موضع مراح .

وأعطت لِعِرْفان الخُطام وأضمرتْ ... مَكانَ خَفِيِّ الصَّوْتِ وجداً مُجَمجما

وجاءتْ تَبُذُّ القائدينَ ولم تَدَعْ ... نِعالَهُما إلا سَريحاً مُجَذَّما(١)

نظرْتُ وعَيني لا تُحِسُّ ظَعائناً ... قَعَدْنَ بهَضَباتِ المَهاةِ تَرَنُّما(٢)

جَرَى بَيْننا آلٌ كأنَّ اضطرابَهُ ... جَداوِلُ ماءٍ أُثْقِبَتْ لنْ تَجَرَّما(٣)

لوامعُ تَجرِي بالظِّعائنِ دُونَها ... قِفافٌ وأجْبالٌ فَغَوْرٌ يَبَنْبَعا(٤)

ولاحَ إكامٌ قدْ كساهُ هَجيرُهُ ... سَراباً وقدْ أُجتَبْنَ مِنهُ مُنَعْنَما(٥)

تَخالُ الحصى منْ بينِ مِنْسَرِ خُفِّها ... رُضاضَ الحصى والبَهْرَقانَ المُقَصَّما(٦)

ومارَ بها الضَّبْعانِ مَوْراً وكلَّفَتْ ... بَعيرِي على ميلِ الرسيمَ فأرْسَما(٧)

فلمَّا لَحِقْنا لم يَقُلْ ذو لُبَانَةٍ ... لهنَّ ولا ذو حاجةٍ ماتيمّما

فكانَ لِمَاحاً منْ خَصاصِ ورَقْبَةٍ ... مخافةَ أعْداءٍ وطَرْفاً مُقَسَّما(٨)

قليلاً وَرَفَّعْنَ المَطِيَّ وشَمَّرَتْ ... بنا العِيسُ يَنْشُرْنَ اللغامَ المُغَمَّما(٩)

---

(١) تبذ القائدين : أى تغلبهم . ولم تدع : لم تترك . والسريح ، جمع سريحه : وهى السير الذى يخصف به النعل . ومجذما : مقطعاً .

(٢) لا تحس : لا ترى . وهضبات المهاة : الظاهر أنها مواضع ، ولم يذكرها ياقوت .

(٣) أثقبت : أى يجرى من كلها خليج يتصل بصاحبه ، فيتصل ما بينهما ، ومعنى لن تجرما : لن تنقطع عن الجريان .

(٤) القفاف : جمع قف ، وهو ما ارتفع من الأرض . والغور : ما انخفض من الأرض . ويبنبع : اسم موضع ، ويقال فيه أبنبع . ذكره ياقوت ، ولم يعينه ، وهو غير ينبع الآتى بعد .

(٥) اجتبن منه : أى اكتسين من أجله ثوباً منعنما ، ولم يعن أنهن اتقين الحر بثياب مزخرفة .

(٦) رضاض الحصى : قطعه . والبهرقان : لم نقف له على معنى يناسب .

(٧) مار بها : أى وتردد بها والضبعان : تثنية ضبع ، وهو العضد . وميل : أصله ميل ، بتنوين فتركه ضرورة . والرسيم : مفعول به لكلفت .

(٨) اللماح : جمع لمحة ، أى نظرة ، وهو خبر كان ، واسمها ضمير يعود على الحديث المفهوم من السياق . والخصاص : جمع خصاصة ، وهى الفرجة فى الستر ، ومعنى : وطرفاً مقسماً : إنه يسارقها النظر .

(٩) رفعن المطى : أى جعلنهن يرفعن فى سيرهن ، أى حملنهن على المبالغة فيه . وشمر فى سيره : إذا مر فيه جادا . والعيس الإبل البيض ، واحدها أعيس وعيساء . وينشرن : ينثرن من أفواههن . واللغام : الزبد الذى تلقى من فمها : والمغمم : الذى علا بعضه بعضاً من كثرته .

فقُلنا ألا عُوجى بنـا أمّ طارقٍ تَنـاجِ ونَجْوَاها شِفاءٌ لأهْيَما(١)

فعاجَتْ علينا من خِدَبٍّ إذا سَرَى سَرى عن ذراعيه السَّديلَ المنمنما(٢)

وماهاجَ هذا الشوق إلا حمامةٌ دَعَتْ ساقَ حُرٍّ تَرحَةً وتَرَنُّما(٣)

---

(١) قوله تناج : قياسه تناجيا ، لأنه مفعول لأجله . ومثله كثير ، حتى قال بعض النحويين : إنه أحسن الضرورة ، : والنجوى : الحديث . والأهيم : الذى به هيام ، أى شوق .

(٢) الخدب : الجمل الضخم . وسرى الأولى : بمعنى مشى ، وأصله سير الليل ، فاستعاره لمطلق السير ، والثانيـة بمعنى كشف . والسديل : الثوب المسدول عليه . والمنمنم : المخطط ، ومن : فى قوله من خدب ، زيدت فى الإيجـاب . وأصـله عاجت علينا خدبا ، وهذا مذهب للكسائى مشهور ، ويصح جعلها تبعيضية ، أى من زمامه .

(٣) قوله وماهاج : أى وماحرك ، وهذا البيت مما تقدمت الإشارة إليه من رواية المبرد ، قال فى الكامل : أما قول حميـد : دعت ساق حر . فإنما حكى صوتها ، ويقال للواحد ذكراً كان أو أنثى ، حمامة ، والجمع الحمام ، والحمـامات . فإذا كان ذكراً ، قلت هذا حمامة ، وإذا كان أنثى ، قلت هذه حمامة . وقال فى اللسان : والحر : فرخ الحمـام ، وقيل : الذكر منها ، وساق حر : الذكر من القمارى . قال حميد بن ثور وأنشـد البيت . وقيل : الساق : الحمام ، وحر : فرخها ، ويقال ساق حر : صوت القمارى ، ورواه أبوعدنان : ساق حر ، بفتح الحاء ، وهو طائر تسميه العرب ساق حر ، بفتح الحاء ، لأنه إذا هدر كأنه يقول : ساق حر ، وبناه صخر الغى ، فجعل الاسمين اسماً واحداً فقال :

تنادى ساق حَر وظلْت أبكى تليـد ما أبين لهـا كلاما

وقيل : إنما سمى ذكر القمارى ، ساق حر لصوته ، كأنه يقول ساق حرساق حر ، وهذا هو الذى جرأ صخر الغى على بنائه ، كما قال ابن سـيده وعلله فقال : لأن الأصوات مبنية إذ بنوا من الأسماء ماضارعها وقال الاصمعى : ظن أن ساق حر ولدها ، وإنما هو صوتها . قال ابن جنى : يشهد عندى بصحة قول الاصمعى ، أنه لم يعرب ، ولو أعرب لصرف ساق حر ، فقال ساق حُرٍ ، إن كان مضافاً ، أو ساق حُرًّا ، إن كان مركباً ، فيصرفه لأنه نـكرة فتركه أعرابه ، يدل على أنه حكى الصوت بعينه ، وهو صياحه : ساق حر ساق حر . وأما قول حميد بن ثور . وما هاج هذا الشوق إلا حمامة دعت ساق حر ... البيت

فلا يدل إعرابه على أنه ليس بصوت ، ولـكن الصوت قد يضاف أوله إلى آخره ، وكذلك قولهم : خاز باز ، وذلك أنه فى اللفظ أشبه باب دار ، قال : والرواية الصحيحة فى شعر حميد :

وما هاج هذا الشوق إلا حمامة دعت ساق حر فى حمـام ترنما

وقال أبوعدنان : يعنون بساق حر ، لحن الحمامة انتهى . ورواية الأصل ، هى رواية المبرد فى الكامل ، والجاحظ فى كتاب الحيوان ، وياقوت فى المعجم ، إلا فيه : وتأدماً ، موضع وترنما ، ولعله تحريف من المطبعة وقوله ترحة : أى حزناً . وترنما : غناء . وفى الـكامل : ويقال =

مِنَ الوُرقِ حَمَّاءِ العِلاطين باكرتْ ... عَسيبَ أشاءٍ مَطلعَ الشمسِ أسْحما(١)
إذا هزهزتْهُ الريحُ أوْ لَعِبَتْ بِهِ ... أرَنَّتْ عليهِ ماثلاً ومُقَوَّما(٢)
تُبارِي حمامَ الجلهتين وتَرْعَوِي ... إلى ابنِ ثلاثٍ بين عُودين أعجَما(٣)
فلما اكتسى ريشاً سُخاماً ولم يجدْ ... لهُ معهما في باحةِ العُشِّ مَحْثَما(٤)
أُتيحَ لهُ صَقْرٌ مُسِفٌّ فلم يدَعْ ... لهما ولداً إلا رَمِيماً وأعظُما(٥)
تَعلوَّقَ طوْقاً لم يكنْ عن تميمَةٍ ... ولا ضَرْبِ صَوَّاغٍ بكفَّيْهِ دِرْهما(٦)

= للحمامة تغنت وناحت ، وذاك أنه صوت حسن غير مفهوم ، فيشبه مرة بهذا ومرة بهذا . قال قيس بن معاذ :

ولو لم يشقِ الظاعنون لشاقنى ... حمائم ورق فى الديار وقوع
تجاوبن فاستبكين من كان ذاهوى ... نوائح ماتجرى لهن دموع

انتهى . وقد فسر المنازى نوح الحمام فى شعره ، بأحسن تفسير . قال :

لقد غنى الحمام لنا بلحن ... إذا أصغى له ركب تلاحى
شجا قلب الخلى فقيل غنى ... وبرح بالشجى فقيل ناحا

(١) الورق : جمع ورقاء . وهى التى لونها لون الرماد ، وفيها سواد : وحماء : سوداء . والعلاطين : تثنيه علاط . قال فى المخصص : والعلاطان والعلطان الرقتان فى أعناق الطير من القمارى ، وأنشد البيت . وفى اللسان : والعلاطان والعلطتان : الرقتان اللتان فى أعناق القمارى قال حميد بن ثور : من الورق الخ . وروايته قضيب ، موضع عسيب ، وهما بمعنى الغصن . والأشاء : صغار النخل ، واحدتها أشاءة . وأسحم : أخضر ، حتى قرب من السواد .

(٢) هزهزته الريح : حركته . وأرنت : صوتت . وماثلا ومقوما : حالان من العسيب . وفى رواية ياقوت : إذا زعزعته الريح .

(٣) قوله تبارى حمام الجلهتين : تبارى من المباراة ، وهى المسابقة . والجلهتان : تثنية جلهة ، وهى ناحية الوادى . وترعوى : ترجع . وابن ثلاث : أى فرخ مضت عليه ثلاث ليال . وبين عودين : يعنى أنه فى عشه . وأعجم : صفة لابن ثلاث . وروى : تنادى حمام الجلهتين . وهى رواية ياقوت .

(٤) السخام : الريش اللين تحت ريش الطير . وباحة الشىء : ساحته . والمحثم : موضع الجثوم .

(٥) أتيح له : قدر له : والمسف : الذى يدنو من الأرض فى طيرانه .

(٦) قوله تطوق طوقا الخ . رواية المبرد : « بحلاة طوق لم يكس عن تميمة » الخ . ورواية صاحب الأغانى : مطوقة طوقا وليس بحلية » الخ . وأصل الطوق : الحبل الذى يجعل فى العنق ، والمراد به هنا ، ما فى عنقها من الصنع الإلهى . وصواغ : فعال من الصوغ . ودرهما : مفعول به لضرب . وصواغ فاعله ، وأضيف إليه .

فأوفتْ على غُصْنٍ ضحَيًا فلم تَدَعْ ... لباكيةٍ فى شَجْوها مُتلوَّما(١)
مُطوَّقةٌ خُطباءُ تَصدَحُ كلما ... دَنا الصَّيْفُ وَانْجالَ الربيعُ فأنْجَما(٢)
تُبَكِّى على فَرْخٍ لها ثمَّ تَغْتَدِى ... مُولهَةً تَبْغى لهُ الدَّهْرَ مَطْعَما(٣)
تؤَمِّلُ منهُ مُؤْنِساً لأنفرادِها ... وتبكى عليهِ إنْ زَقا أو تَرَنَّما
فهاجَ حَمامَ الجلْهتين نُواحُها ... كما هَيَّجَتْ ثكلى على الموْتِ مأتما
ونازعْنَ خِيطانَ الأراكِ فراجعتْ ... لها نفسها منهنَّ لَذْناً مُقوَّما
فماجَتْ بهِ غُرُّ الثنايا كأنّما ... جَلَتْ بنَظيرِ الخُوطِ دُرًّا منظَّما(٤)
إذا شِئْتُ غَنَّتْنى بأجْزاعِ بَيْشَةٍ ... أو النَّخْلِ مِنْ تَثليثِ أوْ مِنْ يَلَمْلَما(٥)
عَجِبْتُ لها أنى يكونُ غِناؤها ... فصيحًا ولم تَفغَرْ بمَنْطِقِها فما(٦)
ولم أرَ محزوناً لهُ مِثْلُ صَوْتِها ... أحَرَّ وأنْكى لِلفُؤادِ وأكلَما(٧)

---

(١) أوفت : أشرفت . ومتلوم : ملامة . ورواية المبرد :

* تغنت على غصن عشاء * الخ

(٢) قوله مطوقة : تقدم معنى الطوق . قال أبو العباس : وقوله : وانجال الربيع . يقال : انجال عنا : أى أقلع . ومثل ذلك أنجم عنا . وإن قلت أنجم : فمعناه لزم ووقع ، فهو خلاف أنجم ، وإن قلت : انجاب : فمعناه انشق : انتهى الغرض منه . وخطباء : بها خطبة بالضم ، وهى لون كدر ، أو يضرب إلى الكدرة ، مشرب حمرة فى صفرة ، أو غبرة ترهقها خضرة .

(٣) قوله مولهة : أى بها وله ، وهو الحزن ، أو ذهاب العقل .

(٤) ماجت : شاصت أسنانها وسكونها . وجلت : نقت . والخطوط : الغصن . والدر : معروف . ومنظم . مجعول فى النظام ، وهو الخيط .

(٥) الأجزاع : جمع جزع ، وهو منعطف الوادى . وبيشة : واد بطريق اليمامة وتثليث : موضع . ويلملم : موضع على ليلتين من مكة ، وقيل هو جبل من الطائف ، على ليلتين أو ثلاث ، وقيل هو واد هناك .

(٦) قوله : ولم تفغر بمنطقها فما . قال أبو العباس : وقوله : ولم تفغر بمنطقها فما يقول : لم تفتح . يقال ففرفاه : إذا فتحه (حكى ثعلب : ففر فاه وفغر نفسه ، وكذلك شحا فاه وشحا نفسه) .

(٧) أحر : مفعول ثان لرأى ، إن كانت علمية ، وحال إن كانت بصرية ، وأنكى : من نكأ القرح : أى عقره .

ولم أرَ مثلى شاقَهُ صَوْتُ مِثلِها ... ولا عَرَبيًّا شاقَهُ صَوْتُ أعجما(١)

كمثلى عرَاتيه ولكنَّ صَوْتَها ... لهُ عَوْلَةٌ لَوْ يُفْهِمُ العودَ أزْرَما(٢)

خَليلىّ هُبَّا عَلِّلانى وانْظرا ... إلى البَرْقِ إذ يفْرِى سَنًا وتَبَسُّما

عَهِدْتُكَ ما تَصْبُو وفيكَ شَبيبَةٌ ... فمالكَ بَعدَ الشَّيْبِ صَبًّا مُتَيَّما(٣)

عَرُوضًا تَدَلَّتْ منْ تِهامةَ أهْدِيَتْ ... لِنَجدٍ فَسَاحَ البَرْقُ نَجداً وأتْهَما(٤)

كأنَّ رِياحًا أطْلَعَتْه مَرِيضَةً ... من الغَوْرِ يَسْعِرْنَ الأباءَ المُضرَّما(٥)

كنفضِ عِتاقِ الخيلِ حينَ تَوَجَّهت ... إليْهنَّ أبصارٌ وأيقظنَ نُوَّما

خَليلىّ إنى مُشْتَكٍ ما أصابَنى ... لِتَسْتَيْقِنا ما قَدْ لقيتُ وتَعلَما

أمَلَّيكما أنّ الأمانةَ مَنْ يَخُنْ ... بها يحتَمِلْ يوما منَ اللهِ مأثَما(٦)

---

(١) قوله ولم أر مثلى الخ . قال أبو العباس : وقوله: ولا عربياً شاقه صوت أعجما : يقول : لم أفهم ماقالت ، ولكنى استحسنت صوتها ، واستحزنته فحننت له ، ويروى أن بعض العالمين كان يسمع الفارسية تنوح ، ولا يدرى ماتقول ، فيبكيه ذلك ويرقه ، ويذكر به غير ما قصدت له .

(٢) قوله كمثلى : هكذا فى الأصل ، ويمكن أن يحل ، بجعل الكاف زائدة ، كما قيل فى : ليس كمثله شىء . وعرا : ظرف ، أى فى عرا ، وهو الناحية ، وأضافه إلى تيه ، وهو جمع تيهاء ، بمعنى المضلة من الأرض الواسعة . ولو : حرف تمن . والأزرم : الذليل ، ويصح جعلها شرطية ، والجواب محذوف ، أى لافهمنى .

(٣) هذا البيت ، يستشهد به النحويون ، على أن الجملة الحالية ، إذا وقعت منفية بما يمنع اقترانها بالواو ، فإن قوله ما تصبو : جملة حالية ، ولم نقف قبل الآن على قائله ، لكن وجدناه فى ضمن نبذة من هذه القصيدة ، فأثبتناه كما وجدناه ، كما أنا وجدنا فيه بعض لزوميات المعرى فتركناه للمعرفة به .

(٤) عروض تدلت الخ : على هامش نسخة الأصل : سحائب تعدت . أى أقبلت ، وإذا سارت من تهامة ، كان أرجى للمطر ، فساح : انتشر اه . وتهامة : معروفة . وفيها مكة المكرمة .

(٥) قوله كأن رياحا الخ . يقول : كأن الرعد التى جاءت وقت طلوع السحاب ، مريضة من ضعف هبوبها ، لأن السحاب إذا صحبته رعد شديدة ، كان قليل الماء . والغور : هو غور تهامة وهو كل ما انحدر مغربا عنها . ويسعرن : يوقدن . والأباء بالفتح : جمع أباءة ، وهى القصبة . وقيل : الأباء : أجمة الحلفاء . والمضرم : الذى أضرم بالنار .

(٦) أمليكما : من مليت الكتاب . أى أخبركما بذلك .

فلا تُفشيا سِرّى ولا تخذُلا أخاً ... أبثّكما منهُ الحديثَ المُكتّما
لِتتّخذا لى بارَكَ اللهُ فيكُما ... إلى آل ليلى العامِريةِ سُلّما
وقُولا إذا جاوَزْتُما آل عامِرٍ ... وجاوَزْتُما الحَيّينِ نَهْداً وخَثْعَما(١)
تُذيعان عَنْ جُرْمِ بنِ زَبّانَ أنّهم ... أبَوْا أنْ يُميرُوا فى الهزاهِزِ مِحْجَما
وسيرا على نِضْوَيْنِ مُكتَفِلَيْهما ... ولا تَحْمِلا إلا زِناداً وأسْهُما(٢)
وزاداً غَرِيضاً خَفّفاهُ عَلَيكما ... ولا تُفشيا سِرًّا ولا تحمِلا دَما(٣)
وإنْ كان ليلاً فالْوِيا نَسَبِيكما ... وإنْ خِفْتُما أنْ تُعرَفا فتلثّما(٤)
وقُولا خَرَجْنا تاجِرَيْنِ وأبْطأتْ ... رِكابٌ تَرَكناها بتَثليثَ قيّما(٥)
ولوْ قد أتانا بزُّنا وَرَقيقنا ... تَمولَ منكم منْ أتيناهُ مُعْدِما(٦)
فما مِنكما إلا رأيْناهُ دانياً ... إلينا بحمدِ اللهِ فى العَين مسْلما
ومدّا لهم فى السَّوْمِ حَتى تمكّنا ... ولا تَستَلِحا صَفْقَ بيعٍ فتلزما
فإنْ أنتُما أطمأنَنْتما وأمِنتُما ... وأجْلَبْتُما ماشِئْتما فتكلّما
وقُولا لها ما تأمُرينَ بصاحبٍ ... لقا قد تركتِ القلْبَ مِنْهُ مُتيما
أبينى لنا إنا أرَحْنا مَطِيّنا ... إليكِ وما نَرْجُوهُ إلا تلوُّما(٧)

---

(١) قوله : وقولا إذا جاوزتما أرض عامر الخ . قال ابن قتيبة فى كتاب الشعر والشعراء ، فى ترجمة حميد : ومن خبيث هجائه قوله : وأنشد البيتين . والهزاهز : جمع هزهزة . وهى تحريك البلايا والحروب الناس . والمحجم بالكسر : آلة الحجامة .

(٢) قوله : ولا تحملا إلا زناداً الخ . جمع زند وزندة . وهما العودان اللذان تقدح بهما النار فالأعلى زند . والسفلى زندة . وكانت العرب تحملهما فى السفر ، لتوقد بهما النار عند الحاجة إليها .

(٣) قوله : وزاداً غريضاً الخ . الغريض : الطرى . والمراد به اللحم .

(٤) قوله : وإن كان ليلا الخ . كان هنا شانية . وليلا خبرها والويانسبيكما . أكتماه . وهو من قولهم : لوى على أمره : طواه .

(٥) تثليث : موضع كما تقدم . وقيما : جمع قائم وقائمة .

(٦) البز فى الأصل : الثياب . ومراده بضاعتنا : ورقيقنا : عبيدنا .

(٧) قوله : وما نرجوه إلا تلوما . أصل التلوم : الانتظار . ومعناه هنا . إلا على طريق الرجاء .

فجاءا وَلمّا يَقْضِيا لى حاجةً إليَّ ولمّا يُبْرِما الأمرَ مَبْرَما[١]
فـالهما مِنْ مُرْسَلَين لحاجةٍ أسافا مِنَ المالِ التلادِ وأعْدَما[٢]
ألم تعلما أنى مصابٌ فتذكُرا بَلائى إذا ما جُرْفُ قَوْمٍ تَهدَّما[٣]
ألا هلْ صدَى أمّ الوَليدِ مُكلِّمٌ صَدَاى إذا ما كنتُ رَمْساً وأعظما[٤]

وقال أحمد ابن الطلب أيضاً : وهى لا تقصر عن قصيدة الأعشى ، التى عدَّها محمد بن الخطاب فى المعلقات . وهذه القصيدة تعرف بالنفاضة ، سماها ناظمها بذلك ، والمراد بها ، نفاضة التمر ، وهى ما استوى ، على النخلة ، فنفض .

صاحِ قِفْ واسْتَلِحْ على صحْنِ جالِ سَبْخةِ النَّيشِ هَلْ ترىٰ من جمالِ[٥]
قِفْ تأمَّلْ فأنْتَ أبْصَرُ مِنى هَلَ ترىٰ من حُدوجِ سُعْدَى التَّوالى

(١) قوله : ولما يبرما الأمر : أى لم يحكماه . ومبرم : اسم مصدر ، بمعنى الإحكام . يقال : أبرم الأمر وبرمه ، ثلاثياً ورباعياً .

(٢) قوله : فـالهما الخ : مالهما : أى ماشأنهما . وأسافا : هلك مالهما . والسَّواف والسُّواف : الموت فى الناس والمال ، ساف سوفا . وأسافه الله وساف الرجل : وقع فى ماله السواف ، أى الموت . قال طفيل :

فأَبِلَّ واسترخى به الخطب بعدما أساف ولولا سعينـا لم يؤبل

ابن السكيت : أساف الرجل فهو مسيف : إذا هلك ماله . وقد ساف المـال نفسه يسوف : إذا هلك . ويقال: رماه الله بالسواف ، كذا رواه بفتح السين . قال ابن السكيت : سمعت هشاما المكفوف ، يقول لأبى عمرو : إن الأصمعى يقول : السواف بالضم ، ويقول : الأدواء كلها ، جاءت بالضم . نحو النحاز والدكاع والزكام والقلاب والخمـال . وقال أبو عمرو : لا ، هو السواف بالفتح ، وكذلك قال عمارة بن عقيـل بن بلال بن جرير . قال ابن برى : لم يروه بالفتح غير أبى عمرو ، وليس بشىء . وسـاف يسوف : أى هلك ماله . يقال : أساف حتى مايتشكى السُّواف . إذا تعود الحوادث ، نعوذ بالله من ذلك ومنه قول حميد بن ثور :

فيـالهما من مرسـلين لحاجة أسافا من المال التـلاد وأعدما

انتهى الغرض منه : فيالهما أيضاً ، تعجب معنى .

(٣) الجرف : البناء . وتهدم : انهدم .

(٤) قوله : ألا هل صدى أم الوليد الخ . الصدى : طائر يزعم أهل الجاهلية أنه يخرج من رأس المقتول إذا بلى . وكان بعضهم يقول : إن عظام الموتى تصير هامة فتطير .

(٥) الصحن : الناحية . والجال : البئر ، وقيل : ناحيتها . والنيش ـ بكسر النون والياء الساكنة وشين معجمة ـ موضع بتيرس .

هَلْ تَرىٰ مِنْ جمائلٍ باكِراتٍ ... منْ لِوَى الموْجِ عابِداتِ الرِّمالِ (١)
سالِكاتٍ مِنْ نَقْبِ زَلْىٍ عليْها ... كلُّ جَيْدانةٍ خَلُوبِ الدَّلالِ (٢)
كلُّ رَخْوِ المِلاطِ يَهْوِى بعَيْنا ... ءَ رَدَاحٍ مِنَ الهِجَانِ الخِدَالِ (٣)
فَتَسَرَّعْ لَعلَّنَا نتلافى الظـ ... ـعْنَ قبلَ أعْتِسافِ وعْثِ الرمالِ
قال مافى سَوالفِ الظَّعْنِ سُعْدى ... وتصابى الكبيرِ عَيْنُ الضلالِ
قُلْتُ إنَّ الظعائنَ اليومَ هاجتْ ... شَجناً بالمَشيبِ ليْسَ يُبالى
إنْ يكن ما تقولُ حقًّا فحُثُّو ... مُ علينا انتظارُ أخرَى الجمالِ
فاحْبِسِ العِنْسَ وانتظرْها وإلا ... فلْتَدَعْنى وسِرْ مُضيعَ الخلالِ
إنَّ لى فى الحُدُوجِ لو كنتَ تدرى ... شَجناً لا يريمُ أخرى الليالى
إنَّ سُعْدَاى فى الحدوجِ وسُعْدَى ... هِىَ دَانٍ وهى بُرْءُ اعتلالى
دُمْيَةٌ من دُمَى المحاريبِ تسقى ... صِرْفَ صافى المدامِ شوكَ السِّيالِ (٤)
فهو كالأقْحُوانِ بَيَّتَهُ الطَّـ ... ـلُّ فأضحى وجَفَّ منهُ الأعالى
أشْعِرَتْ نَضرَةً كأنَّ عليها ... بُرْدَةَ الشمسِ فوْقَ نَضيرِ زُلالِ
يالقَومى تقتَّلَتْ ليَ حَتى ... قتلتنى ولم تبالِ خَبالِ
فى حُمولٍ غَدَوْنَ مُنْتَجِعَاتٍ ... ساحةَ الكربِ بعْدَ رَعى الرمالِ

---

(١) قوله : هل ترى من جمائل باكرات الخ . جمائل : عده صاحب القاموس من جموع جمل ، وأقره شارحه . والظاهر أنه جمع جمالة . وباكرات : سائرات وقت البكور . والزفال : موضع ، وأن الشائع فى ألسنة العامة : آزفال .

(٢) قوله : سالكات من نقب زلى الخ . نقب زلى : مفعول به لسالكات ، وجره بمن الزائدة فى الإيجاب ، على مذهب الكسائى . والنقب : الطريق الضيق فى الجبل . وزلى — بفتح الزاى وسكون اللام وياء منونة — جبل بتيرس معروف ، يروى أنه لما نظم هذا البيت ، برز من فرحه ، وقال : كدت أموت وله على دين ، لأنه لم يذكره فى شعره قبل هذا . والجيدانة : طويلة الجيد . وخلوب : فعول من خلبة ، أى خدعة . والدلال : تدلل المرأة على زوجها .

(٣) قوله : كل رخو الملاط الخ . الملاط : الجانب . ورداح : عظيمة الوركين .

(٤) قوله : دمية الخ . الدمية : واحدة الدمى ، وهى التصاوير المنقوشة من الرخام .

ظُعنٌ مِنْ ظِباءِ أبنـاءِ مُوسى وظباءِ الأعمـامِ والأخْوالِ (١)
لِيّناتٌ مَعاطِفاً خَفِـراتٌ كَمَهَى الرَّمْلِ باهراتُ الجمالِ (٢)
طَيِبـاتٌ مآزراً حَظِيـاتٌ يالها مِنْ حُمُولِ حَيٍّ حِـلالِ (٣)
حَيٌّ يعقُوبَ إنهُمْ خـيرُ حَيٍّ إذا تَسامَا الـكرامُ عِندَ النِّضالِ (٤)
مَنْ يَرُمْهُمْ يَجِدْهُمُ حَيَّ صِدْقٍ أيَّ حَيٍّ عَرَنْدَسٍ ذِى طَلالِ (٥)
مَنْ جَداهُمْ على الحوادِثِ يعرَفْ كيفَ تَعفو الـكرامُ عِندَ التّبالى (٦)
مَنْ دَعاهُمْ لـكشفِ ضرّاءَ يَعْرِفْ عِندَ عَضِّ الزمانِ أرْبى السِّجالى (٧)
فَهُمُ كالجيـادِ تَعفو إذا ما نَفَقَ الرَّا كضاتُ عِندَ الـكلالِ (٨)

---

(١) قوله : ظعن من ظباء أبناء موسى الخ . أبناء موسى : نخذ الشاعر من قبيلته،ويقال لهم أهل النفع موسى . والأعمام والأخوال ، بصيغة الجمع فيهما : نخذان آخران منها أيضاً .

(٢) قوله : لينات معاطفاً الخ . لينات : صفة مشبهة . ومعاطفا : أصله لينات معاطفها ، فأسندت الصفة إلى الضمير ، ونصبت النكرة بعدها على التمييز : وخفرات : حييات .

(٣) قوله : طيبات مآزرا ، أصله طيبات مآزرها ، وفعل به مافعل بلينات معاطفاً،وطيب المئزر : يكنى به عن العفة . وحظيات : محبات عند أزواجهن . وقوله : يالها من حمول حى حلال : يالها : بمعنى التعجب ، كقولهم : قه دره . وحى حلال : أى كثير ، وبه فسر قول زهير :

لحى حلال يعصم الناس أمرهم إذا طرقت إحدى الليالى بمعظم

(٤) قوله : إذ تساما الكرام عند النضال . تسامى : طلب بعضهم أن يسمو على بعض والنضال : مصدر ناضله ، أى فاخره .

(٥) قوله : من يرمهم الخ . يرمهم : يقصدهم . وقوله:أى حى : هو نعت لحى صدق،مثل قولهم : مررت برجل ، أى رجل . وعرندس : ذا عز ومنعة . وذى طلال : أى نعمة وسرور .

(٦) قوله : كيف تعفو الكرام . أى كيف تعطى خيار مالها عند التبالى ، أى الاهتمام بالشخص .

(٧) قوله : عند عض الزمان الخ . أربى : بمعنى أعظم . والسجال : جمع سجل : وهو الدلو فيها ماؤها ، وأربى : منصوب بإسقاط الخافض ، أى يغرف . من أربى السجال . وعند عض الزمان : متعلق بمن دعاهم .

(٨) قوله : فهم كالجياد الخ . الجياد : جمع جواد ، وهو الفرس العتيق . تعفو : تعطى عفو جريها من غير أن يركض ، من قولهم : أعطاه عفواً ، أى من غير مسألة . ونفق : انقطع ومات . والراكضات : التى تركض فى سيرها : أى تعدو . يقال : أركض الفرس وركضته.

ياليعْقُـوبَ شَمِّرُوا للمَعَالى وأَسْتَعِدُّوا لِمـا تجيء اللياليا
وأعدُّوا لكلّ خَطْبٍ جَليلٍ عُـدَّهُ من عزازةٍ ونَوَالِ(١)
وتواصَوْا بالحقّ والصبر وأبْغوا فى العَفافِ الغِنى على كلّ حالِ
وأْمُرُوا بالمعرُوفِ وأنْهَوْا عَنِ المُنـكرِ وأسموا للمَكرُماتِ العوالى
والهُوَيْنا دَعوا وللمَجْدِ قاسموا وصِعابُ العُلى بصَعْبِ الفعالِ(٢)
والزَمُوا الحِلمَ والأناةَ وخلُّوا نزَغاتِ الشيطانِ شرَّ الخلالِ
وأتقوا الشُّحَّ والصراعةَ والفـكَّـةَ والهاعَ شِـيمةَ الأنذالِ(٣)
هاجَ قَرْحَ الغرامِ بعدَ أندمالِ ظَعْنُ ظُعْنِ الخليطِ يَوْمَ إنالِ(٤)
يَوْمَ ولّتْ كأنها حينَ جدَّتْ باسِقاتُ النَّخيلِ منْ كانَوَالِ(٥)
مائِراتٍ مُعَرْوِرِفاتٍ عَلَى ظهـر مَرَوْرَى القُلَيْبِ ذِى الطيْرَ آلالِ(٦)

---

(١) قوله : وأعدوا لكل خطب جليل الخ . أصل عده : عدته ، وحذفت التاء للاضافة ، كما تحذف النون لها : مثل : وإقام الصلاة ، أصله : وإقامة الصلاة . وقرىء . فنظرة إلى ميسرة ، والأصل إلى ميسرته ، ولا عدوا له عدة : أى عدته : والعزازة : العز . والنوال : العطاء .

(٢) قوله :

* وصعاب العلى بصعب الفعال *

مأخوذ من قول المتنبى :

ذرينى أنل مالا ينال من العلى فصعب العلى فى الصعب والسهل فى السهل

(٣) قوله : واتقوا الشح الخ . مأخوذ من قول أبى قيس بن الأسلت الأنصارى :

الحزم والقوة خير من الاد هان والفكة والهاع

الادهان : من المداهنة ، وهو مثل النفاق . والمخادعة والفكة : الضعف . والهاع : شدة الحرص .

(٤) قوله : هاج قرح الغرام الخ . القرح : الجرح . والغرام : شدة الشوق . والاندمال : البرء ، والخليط : القوم المختلطون : وإنال : جبل بتبرس .

(٥) قوله : حين جدت ، أى فى سيرها . وباسقات النخيل : طواله . وكانوال : موضع فيه نخل طوال .

(٦) قوله : مائرات ، أى يسرن سيراً ليناً . ومعرورفات : ملتف بعضها ببعض ، أى متدانية فى سيرها . ومروري : اسم قليب . وذى الطير الال : أى ذى النبت ، الذى يقال له طير الال ، وهو نبت تأكله الابل ، وقد رأيته .

جاءلاتٍ عن اليمين تمزكين نَ ضُحيًا وتشلَ ذاتَ الشمالِ (١)
رُحنَ من مَنحرِ التؤامَ رواحًا تتبارَى بهنَّ أدمُ الجمالِ (٢)
أشقريّاتُ عُنصُر مُور الأعضادِ مافى أرُومِها من نَقالِ (٣)
فاستمرّتْ مُعصوصباتٍ فأمستْ بالثنايا منَ الضُلوعِ الطِّوالِ (٤)
ناحراتٍ هَضْبَ القلاتِ فدرًا مانَ ترعى من تيرسٍ بالمطالِ (٥)
فانتحتْ من رُبى ذِى الأوتادِ نجديـــلَ لِمَرْعى قِصارِها والطِّوالِ (٦)
ظُعُنٌ لسْنَ يَنْثنينِ إذا ما وَزَعَ الظعْنَ حادثُ الأوجالِ
فسقى اللهُ حيثُ أمّتْ بها العيـ سُ سِجالَ الغَمامِ بعدَ سِجالِ

---

(١) تمزكين ــ بتاء مثناة مكسورة وميم مكسورة أيضاً وزاى ساكنة وكاف معقودة مكسورة وياء ساكنة ونون ــ موضع بعينه . وتشل ــ بتاء مثناة من فوق مكسورة وشين ساكنة ولام مفتوحة ــ موضع أيضاً .

(٢) التؤام ــ بضم التاء المثناة من فوق مشددة وهمزة ممدودة وميم مفتوحة ــ موضع يقال له بالعامية : اتوام ــ بكسر الهمزة وسكون التاء وواو مفتوحة بعدها ألف ــ وتتبارى : تتسابق . وأدم الجمال : الحمر منها .

(٣) قوله : أشقريات عنصر الخ ، يعنى أن هذه الجمال ، من بنات الأشقر ، وهو فحل نجيب ، وإنما قال أشقريات ، بعد قول أدم . وأدم : جمع آدم وأدماء ، والمذكر يغلب على المؤنث ، لأن غير العاقل يجمع بالألف والتاء ، سواء كان مذكراً أو مؤنثاً . قال ابن مالك فى الكافية :

وإن تكن لغير ذى ذكاء فجمعها بألف وتاء

والعنصر : الأصل . ومور : تمور أعضاؤها فى سيرها ، أى تضطرب . وأرومها : أصلها . والثفال : البطىء .

(٤) استمرت : مضت على وجهها . ومعصوصبات : جادات فى سيرها . والضلوع : جبال مستطيلة على هيئة التلال ، ويقال لها بالعامية الظلوع ــ بالظاء المشالة ــ وهذه اللغة شائعة فى الصحراء ، وهى النطق بالظاء موضع الضاد .

(٥) ناحرات : أى سالكات مقدمها . وهضب : جمع هضبة . ودرامان ــ بكسر الدال وفتح الراء المشددة وبعدها ألف ونون ــ موضع . وتيرس : أرض مشهورة . والمطال : أى من بعد .

(٦) انتحت : قصدت . وربى : جمع ربوة . وذو الأوتاد : موضع . يقال له بالعامية : ذُ الاوتاد ، جمع وتد . ونجديل ــ بكسر النون وسكون الجيم ودال مفتوحة وياء ساكنة ولام ــ موضع .

لو تراها علمتَ أنْ ليسَ فى أنْ ... يتصبّينَ ذا النُّهى منْ مَقالِ
فلِمَنْ صَبَّ منْ كبيرٍ بها العُذْ ... رُ فما للعذُول فيها ومالى
قد أرانى والبيضُ غيرُ قوَالِ ... لخِـــلالى ولا مَلِلْنَ وصالى
فأراهنّ بعـدَ ماكان عنى ... صُدَّداً أنْ رأينَ شيبَ قذالى
إنْ ترَيْنى أمَيْمُ أصبحتُ نِضواً ... شاحِباً فى بذاذةٍ واختـــلالِ(١)
فلقدْ كنتُ للأوانسِ فَرْعاً ... عَنْ يمينى يرعَنَ لى وشمالى(٢)
ولقدْ كنتُ فى الخطوبِ المُفدَّى ... حين إذ تُستَطارُ خُورُ الرجالِ(٣)
ولقدْ كنتُ فى المجامع ثَبْتاً ... حين تُزْهى الحُلومُ بالأجهالِ
ولَهيفٍ نَفَّستُ عنهُ فأمْسَى ... جَذِلا عندَ بكءِ عَطْفِ المَوالى(٤)
وصِحابٍ مثل المصابيح فى الدُّجْـــيةِ نارَعْتُهُمْ سُهَادَ الليـــالِ
بنَشيـدٍ ومِزْهَرٍ وعَويصٍ ... منْ عُلومِ الهُدىٰ عزيزِ المَنالِ
فتيـةٌ فتيـةٌ بهاليلُ شُمٌّ ... هَمُّهُمْ فى ارْتقاءِ شُمِّ المعالى
من خليل ومنْ كريمٍ نجيبٍ ... رزؤُهُ مؤيِدٌ وعمٍّ وخالِ
ثمّ فارقتُهُمْ وقـــدْ فارقُونى ... غَيْرَ قالينَ لى ولا أنا قالِ
فارَقُونى كَرْهاً وكُدْتُ عليهمْ ... يَوْمَ بانوا أمُجُّ غُـبْرَ القتالِ(٥)
غَيْرَ أنى على الحوادثِ جَلْدٌ ... لا أبالى من الخطوبِ التّوالى

---

(١) النضو : المهزول . وشاحباً : متغيراً . والبذاذة : رثة الهيئة . والاختلال : تغير الحال .

(٢) الأوانس : جمع آنسة ، وهى طيبة النفس ، وقيل : هى الطيبة الحديث . والفرع : مصدر فرعه ، إذا علاه فى الجمال . ويرعن لى : أى يرجعن لى ، إذا سمعن صوتى ، أو رأين شخصى . قال امرؤ القيس :

يرعن إلى صـــوتى إذا ما سمعنه ... كما ترعوى عيط إلى صـــوت أعيسا

(٣) خور الرجال : ضعافهم .

(٤) اللهيف : الحزين . نفست عنـــه : أى فرجت عنه مايلاقى . وجذلا : فرحا . والموالى : بنو العم . وبكء : أى قلة عطفهم عليه ، مأخوذ من بكء الناقة ، وهو قلة لبنها .

(٥) الغبر : البقية . والقتال : كسحاب ، النفس وبقية الجسم .

كلما هجْنَنى أصُـــولُ عليها بأعْتِمادِى على القَوى واتّكالى
حسبىَ اللهُ إنّ باللهِ مَسْعا ىَ وحولى وقوّتى وصَيالى
وحـوالى لمـا أرُومُ وقهـرى لعدُوّى ونُصرَتى واحتمالى
وفتـوّ شُمِّ العرانين قبّلْـتهم هَبَـةَ السّمُومِ عِجال
بتّ أسطيهمُ بمَطو سُرىَ اللّيـل كؤسَ الكرَىٰ بأجْرَدَ جالِ
بمرادٍ لكلّ هَـوْجاء مرّتْ ليْسَ فيهِ لغَيْرِها منْ مَجالِ (١)
مُذْكرٌ مابهِ لإنسٍ حسيسٌ بَينَ تيـهٍ نفـانفٍ أغفـالِ (٢)
مَجْهـلٌ خاشعُ الدّليلِ إذا ما قيـلَ قَدّمْ وضُنّ بالأوْشالِ (٣)
أنسُ مُجتابهِ الكئيبِ نئيمُ الـبوم مثلَ الحَريبِ رَبِّ العِيالِ
فَسَروا ماسَرَوا فلمـا تقضى الليـلُ أوْ كادَ عَرّسُوا فى نِعـالِ (٤)
فكأن الكَرىٰ سَقاهمْ عُقارًا شَمولٍ تَدِبُّ فى الأوصـالِ
فله فيهمُ دبيبٌ كما دَبّـتْ سنا النارِ فى سَليطِ الذُّبالِ
حَوْلَ خُوصٍ رَمى بها الأرضَ حـتّى لا تشتكى الدُّؤوبَ بعدَ الكلالِ
بتّ أكلاهُمْ وأسعى عليهم بِشَواءٍ مُضَهّبٍ غـيرِ آلِ (٥)
ثمّ نبّهتُهمْ فلأيًا أفاقـوا منْ لُغوبٍ قدْ مَسّهُمْ واعتمالِ (٦)

---

(١) المراد : موضع الذهاب والمجىء . والهوجاء : الريح التى تقلع البيوت . ومرت : يصح جعله فعلا ماضياً ، صفة لهوجاء ، وجعله اسماً ، صفة لمراد ، يقال : مكان مرت : أى قفز لانبات به .

(٢) مذكر : مخوف صعب . والحسيس : الصوت الخفى . وتيه : جمع تيهاء ، وهى المفازة يتاه فيها ، أى يضل . ونفانف : جمع نفنف ، وهو الطريق بين الجبلين . وأغفال : لاعمارة بها .

(٣) الأوشال : جمع وشل ، وهو الماء القليل .

(٤) عرسوا : نزلوا آخر الليل للاستراحة . والنعال : جمع نعل ، وهى القطعة الصلبة الغليظة من الأرض شبه الأكمة يعرق حصاها ولا تنبت .

(٥) أكلاهم : أى أحفظهم . والمضهب : الذى شوى ولم يبلغ نضجه ، وغير آل : بمعناه .

(٦) قوله : فلأياً أفاقوا : أى بعد بطء . واللغوب : التعب .

وترانى كذاكَ إنْ كلّ صَحبى فى أعتمالٍ لهمْ بغيرِ اعْتلالِ
ثمّ ثاروا مابينَ مُلتاثِ ثَوْبَيْـــهِ وجاثٍ ومائلٍ فى اعْتدالِ
فاسْتقلوا قدْ صبّحَ القَوْمَ يومٌ أعْوَرُ الشّمسِ مابِهِ منْ خِلالِ (١)
فتَمارَوْا أيْنَ النّجاءُ إلى أيْـــنَ ولَجّتْ قلوبُهمْ فى اجْتلالِ (٢)
قُلْتُ لا تجْزَعُوا فإنى زَعيمٌ بوُرُودِ الرّوى المَمينِ الزُّلالِ
ثمّ شدُّوا على المَعارِفِ منْ لفْـــحِ السّمومِ البُرُودَ بالأذيالِ
فتَمطّتْ بهمْ حراجيجُ عُتْقٌ حُنُفٌ مِثلُ أُمّهاتِ الرِّئالِ (٣)
وهدَتْ بىَ الرِّكابَ عَنْسٌ زَفُوفٌ سَهوَةُ المَشى لافِحٌ عَنْ حيالِ (٤)
عَنْتَريسٌ مَهْيى الزمامِ سَلوفٌ ناجلاها من الهِجانِ الفَوالِ (٥)
فكأنى على هِجَفٍّ مُزِفٍّ نافراً جدَّ رائحاً فى أنجفالِ
ثمّ أوْرَدْتُهُمْ سُحَيْراً قَليباً مَطْلَباً مُغيباً على الدُّلاّلِ
فاْرْتَوَوا ماأبْتَغَوْا فمنْ كانَ منْـــهُمْ كاسِفَ البالِ عادَ ناعمَ بالِ
فتمارَوْا بعْدَ الحِذا فمُرِنٌ يتَغنّى وشامخٌ فى اختيالِ (٦)

---

(١) قوله أعور الشمس : أى شمسه ضخمة ، تكاد تعور الناظر إليها ، كما قالوا : عليه من المال عائرة عينين . وعيرة عينين : أى كثرة تملأ بصره . قال الزمخشرى : أى يملأهما ، ويكاد يعورهما .

(٢) الاجتلال : الفزع والخوف .

(٣) تمطت : أى تبخترت فى سيرها . وحراجيج : جمع حرجوج ـ بالضم ـ وهى الناقة السمينة الجسيمة الطويلة على وجه الأرض . أو هى الشديدة ، أو الضامرة الوقادة ، الحادة القلب . وحنف : جمع حنفاء ، وهى التى بأرجلها اعوجاج ، ومراده ، أن بها فحج . وقوله : أمهات الرئال ، أى النعام . والأكثر فى الأمهات أن تكون فى الاناس ، وفى غيرهم أمات ، ويجوز العكس .

(٤) العنس : الناقة الصلبة . وزفوف : أى سريعة فى سيرها . والسهوة : الناقة اللينة الوطيئة .

(٥) العنتريس : الناقة الغليظة الصلبة الوثيقة . ومهيى الزمام : طويلته . والسلوف : التى تكون فى أوائل الإبل وهجان الإبل : هى البيض الكرام منها ،

(٦) تمارَوا : من المماراة . والحذاء : قسمة الماء ، أى بعد أن كانوا يقسمون الماء بينهم لقلته .

ومُكِبٌّ على سَرِيحٍ قَلُوصٍ ومُداوٍ لَظْلَعِهـــا من خُمال[١]
أوْ نُدُوبٍ دَمَنْ من عضّ رَحلٍ عُقِرٍ بالسَّـــنام أو بالمَحال[٢]
فَقَفَلْنـــا وكُلُّهمْ أسًى رَأفٌ بِشِمالى لمـــــا بِهِ من خِلال
وأرَى الدَّهرَ ليسَ يبقى على حا ل فلا تَجْزَعَنَّ من سوء حال
لا ولا تفرحَنَّ إنْ كنْتَ يوْماً فى سُرورٍ ونِعمةٍ واحْتفال
كم حَظِيظٍ بالأمسِ كان مُقِلاً ومُقِلٍ منْ بعْدِ ثَرْوةِ مال[٣]

وقال أعشى بكر بن وائل، وهو ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف ابن سعد بن ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ذكرناها لمشابهة ماقبلها لها :

مابكاء الكبير بالأطلال وسـؤالى وما ترد سؤالى[٤]
دمنة قَفْرة تعـــاورها الصيـ ـف بريحين من صبا وشمال[٥]
لا تأنى ذكرى جبيرة أم من جاء منهـا بطائف الأهوال[٦]
حَلّ أهلى وسط الغميس فبادوا لى وحلّتْ علوية بالسّخال[٧]
ترتعى السفح فالكثيب فذا قا ر فروضَ الغضى فذَات الرِّمال[٨]

---

(١) السريح . جمع سريحة ، وهى السير الذى تشد به الخدمة فوق الرسغ . والخدمة : سير يشد فى الرسغ . والخمال : كغراب ، داء يأخذ فى قوائم الإبل ، تظلع منه .
(٢) المحال : جمع محالة ، وهى الفقرة من فقر البعير .
(٣) الحظيظ : المجدود ، أى ذو حظ من الرزق .
(٤) يقول : مابكاء شيخ كبير مثلى ، وسؤالى من لايرد علىّ .
(٥) الدمنة : ما اجتمع من آثار القوم فى الديار . قفرة : خالية ، تعاورها الصيف مرة بعد مرة ، وتداولها الريحان . الصبا : التى تأتى من ناحيـة المشرق ، والشمال : ماتأتى عن شمال الكعبة ، وهى تخالف الجنوب .
(٦) تأنى : تحين ، من قولك قد آن ، أى حان . ذكرى : تذكر . جبيرة : اسم امرأة ، ويروى قبيلة (ورواية النحاة لات هنا الخ . وتكتب التاء وحدها عندهم ، ولهم فيها بحث طويل) .
(٧) الغميس ، فبادو لى ، والسخال : أسماء مواضع . علوية : منسوبة إلى العالية بأعلى نجد
(٨) كل هذه مواضع .

ربَّ خَرْق دونها يُخْرِسُ السَّفْـ ... ـرومِيلٍ يُفْضى إلى أميـــال (١)

وسقاء يوكى على تَأَقِ الملـ ... ـء وســـير ومستقى أوشال (٢)

وأدّلاج بعد الهـــدوّ وتهجـ ... ـير وقف وســـبسب ورمال (٣)

وقليب أجنّ كأنّ من الريـ ... ـش بأرجائه سقوط النصـال (٤)

فلئن شَطّ بى المزار لقد أضـ ... ـحى قليل الهموم ناعمَ بال

إذ هى الهمّ والحديث وإذ تعـ ... ـصى إلىّ الأمـير ذا الأقوال

ظبية من ظباء وَجْرَةَ أدما ... ء تسف الكباث تحت الهَدَالِ (٥)

حرّة طفـــلة الأنامل ترتـ ... ـبُّ سُـــخاماً تكُفُّه بخلال (٦)

وكأنّ السموط عاكفة السـلـ ... ـك بعطفى وشاح أمّ غزال (٧)

وكأن الخمر العتيق من الاسـ ... ـفنط ممزوجة بمـــاء زلال (٨)

باكرتها الأغراب سِنَةَ النوْ ... مِ فتجرى خلالَ شوك السَّيال (٩)

فأذهبى ماإليك أدركنى الحِلـ ... ـمُ عدانى عن هيجكم أشغالى

---

(١) الخرق الأرض الواسعة ، التى تخترق فيها الريح . يخرس : يعجم . الميل : الطريق . يفضى : يخرج .

(٢) يوكى : يربط . التأق . الامتلاء . والأوشال : الماء القليل .

(٣) الإدلاج : سير آخر الليل بعد الهدو ، وهو النوم . والإدلاج : سير أوله . والتهجير : السير فى نصف النهار . وقف الأرض : الغليظ منها فى ارتفاع . والسبسب : الواسع منها .

(٤) القليب : البئر غير مطوية . والآجن : المتغير . والأرجاء : النواحى . والنصال : جمع نصل (يقول) كأن الريش الصغار على جوانب الماء ، نصال سقطن من السهام .

(٥) أدماء : بيضاء . تسف الكباث : تأكل الكباث النضيج ، من ثمر الأراك . الهدال : ما تعطف من الشجر .

(٦) حرة : كريمة . طفلة الأنامل : لينتها . والسخام : الأسود . (يعنى) شعر قصتها تكفه ، بمعنى تفتله ، وتمسكه بخلال .

(٧) السموط : القلائد . (يقول) كأن سمطها على جيد الغزال ، من حسن جيدها .

(٨) الاسفنط من الخمر : مالم يعصر ، وترك يسيل سيلا .

(٩) الاغراب هنا : أقداح الخمر ، والسيال له شوك .

وعسير أدماء حادرة المـ ـ ـين خنوف عيرانة شملال(١)
من سراة الهجان صلبها المـ ـ ـض ورعى الحمى وطول الحيال(٢)
لم تعطف على حوار ولم يقـ ـ ـطع عن عبيد عروقها من خمال(٣)
قد تعللتها على نكظ الميـ ـ ـط وقد خب لامعات الآل(٤)
فوق ديموم ة تخيل للسفـ ـ ـرِ قفاراً إلا من الآجال(٥)
وإذا ما الظلال خيفت وكان الشـ ـ ـرب خمسا يرجونه عن ليال(٦)
وأستحث المغيرون من الركـ ـ ـب وكان النطاف ما فى العزالى(٧)
مَرِحتْ حرة كقنطرة الرو ـ ـ ـمى تفرى الهجيرَ بالارقال(٨)
تقطع الأمعز المكوكب وخداً بنواجٍ سريعة الإيغال(٩)

---

(١) العسير : الناقة التى لم ترض . أدماء : بيضاء . حادرة : غليظة . خنوف : تضرب برأسها من النشاط . عيرانة : مشبهة بحمار الوحش . شملال : خفيفة .

(٢) سراة : خيار . الهجان : الإبل البيض صلبها : شددها . المض : القضب . والحمى : كان فى نجد . والحيال : طول الاقامة خالية من اللقاح ، فهى قوية . والعض : النوى ، نوى التمر .

(٣) الحوار : ولد الناقة . وعبيد : رجل عارف بأدواء الإبل . والخمال : داء يصيب الإبل فى أكتافها ، فتظلع منه .

(٤) تعللتها : أخذت علالتها ، وهى النشاط . النكظ : الشدة . الميط : البعد . خب : بمعنى ارتفع . الآل : هو فى أول النهار ، بمنزلة السراب فى آخره .

(٥) الديمومة : للفازة . تخيل للسفر : من وحشتها ، أى تكثر الخيالات ، وهى الشخوص والسفر : جمع سافر . والسُّفرة بالفتح : الكُتّاب . قال الله تعالى : « بأيدى سفرة » قفاراً : أى خالية . والآجال : جماعة البقر والظباء .

(٦) يقول من شدة الخوف ، إذا رأى الإنسان ظل شخصه ، خاف منه ، يظنه إنساناً . ويروى الضلال : وهو الميل عن الطريق . والشرب خمساً : يردونه بعد خمس ليال .

(٧) استحث : أسرع . والمغير : الذى إذا ضعف بعيره ركب آخر . النطاف : يعنى الماء . العزالى : جمع عزلاء ، وهى مصب الماء من المزادة .

(٨) مرحت : أى نشطت حرة كريمة . القنطرة : الجسر . الروى : أى كبناء الروم ، لقوة بنائهم . الهجير : شدة الحر . الإرقال : ضرب من السير .

(٩) الأمعز : الأرض التى فيها حصى وحجارة . المكوكب : الذى يلمع حجاره كالكواكب . النواجى : قوائمها ، أى سراع . الايغال : السير الشديد .

عَنْتَرِيسٌ نعدو إذا حرّك السو ط كعدو المُصْلصِلِ الجوّال[١]
لاحه الصيف والطراد وإشفا ق على صَعْدة كقوس الضال[٢]
مُلْمِعٌ واله الفؤاد إلى جحـ ـشٍ فلاه عنها فبئس الفالى[٣]
ذو أذاة على الخليط خبيث النفـ ـسِ يرمى عدوّه بالنسال[٤]
غادر الوحش فى الغبار وعادا ها حثيثاً لِصُوّة الأدحال[٥]
ذاك شبهت ناقتى عن يمين الرّ عن بعد الكَلال والإعمال[٦]
وتراها تشكو إلىّ وقد صا رت طَليحاً تحذى صدور النعال[٧]
نَقبَ الخفّ للسُّرَى فترى الأنـ ـساعِ من حَلِّ ساعة وارتحال[٨]
أثرت فى جآجىء كاران الـ ـمَيْت عولين فوق عُوجٍ رِسال[٩]
لا تَشكّىْ إلىّ منْ ألمِ النـ ـع ولا من حفىّ ولا من كلال

---

(١) عنتريس : كثيرة اللحم شديدته . المصلصل : الحمار رفيع الصوت . الجوال . كثير الجولان .

(٢) لاحه الصيف : أضمره . والطراد : المطاردة ، أى غيرته وسودته . صعدة : يريد الأتان ، شبه الأتان باستوائها . الضال : السدر البرى .

(٣) ألمعت بذنبها : إذا رفعته للفحل لتريه أنها لاقح . واله : حزينة . الجحش : ولدها . فلاه : فطمه . الفالى . الفاطم : ويروى لاعة الفؤاد ، أى محرقة .

(٤) أذاة : أذى . الخليط : المخالط . يرمى عدوه بالنسال يقول من شدة جريه ، يجافى حوافره وينسل .

(٥) غادر : ترك : عاداها : عدا عليها . حثيثاً : أى سريعاً . الصوة : واحدة الصوى ، وهى الأعلام . الأدحال : جمع دحل ، وهو خرق يكون فيه الماء ، يضيق أعلاه ، ويتسع أسفله .

(٦) الرعن : أنف الجبل . والكلال : الإعياء . والإعمال شدة السير .

(٧) تشكو : أى تئن . الطليح : المضنى . تحذى صدور النعال : أى تشبهها من هزالها ، لأن صدور النعال أول ماتخلق .

(٨) نقب الخف : تنفط للسرى ، أى من أجل السرى ، وهو سير الليل . الانساع : جمع نسع .

(٩) الجآجىء : جمع جؤجؤ ، وهو عظام الصدر . والإران : النمش . عولين : أى جعل بعضها فوق بعض . عوج يعنى عطافها . رسال : أى مسترسلة طوال .

لا تشكّنْ إلىّ وانتجعى الأسـ ـود أهل الندى وأهل الفعال[١]
فرع نبع يهتز فى غُصُن المجـ ـد غزير الندى شديد المحال[٢]
عنده البر والتقى وأسَى الشـ ـق وحمْل للمعضلات الثقال[٣]
وصِلاتُ الأرحام قد علمَ النا س وفك الأسرى من الأغلال
وهوان النفس الكريمة للذكـ ـر إذا ما التقت صدور العوالى
أنت خيرٌ من ألف ألف من القوْ م إذا ما كبت وجوه الرجال[٤]
ووفاء إذا أجَرت فما غُرّ ت حبال وصلتَها بحبال[٥]
وعطاء إذا سئلت إذا العذْ رة كانت عطية البُخّال[٦]
أريحيٌّ صَلْت تظل لهُ القوْ م رُكوداً قيامُهم للهلال[٧]
إن يعاقب يكن غراماً وإن يعـ ـط جزيلا فإنه لا يبالى[٨]
يَهَبُ الجلّة الجراجر كالبـ ـستان تحنو لدَرْدَقٍ أطفال[٩]
والبغايا يركضن أكسية الإضْ رِيج والشّرْعَبِيّ ذى الأذيال[١٠]

---

(١) الانتجاع : القصد . والأسود : الكندى ، والله أعلم .
(٢) الفرع : أعلى للشىء . النبع : كناية عن أصله . يهتز : يتحرك ، المحال : القوة .
(٣) الأسى : التئام الشق ، ومن ذلك سمى الطبيب آسياً ، يقال : أسوت الجرح أسوأ، إذا داويته : ويروى (لمضلع الأثقال) .
(٤) كبت : سقطت وتغيرت .
(٥) غرت : أى خدعت . والحبال : العهود .
(٦) العذرة : الإسم من الاعتذار . بخال : مبالغة فى البخيل ، مثل كبير وكبار .
(٧) الأريحى : الذى يرتاح للندى ، أى يهتز كالريح . صلت : قاطع . ركوداً : أى قياماً، مثل قيامهم لانتظار الهلال .
(٨) الغرام : الموجع الأليم ، كقوله تعالى « إن عذابها كان غراما » وأصل الغرام: الملازم، ولذلك سمى الغريم .
(٩) الجلة : جمع جليل . والجراجر : جمع جرجور ، وهى مائة من الإبل . كالبستان : كنخيل البستان . تحنو : تعطف . لدردق أطفال : أولاد الإبل .
(١٠) البغايا : الجوارى ، جمع بغى . الاضريج : أكسية تتخذ من المِرعِزّى، وهو صوف أبيض : والشرعبى : ضرب من البرود ، منسوب إلى بلد باليمن ، يقال لها شرعب ، سميت باسم ملك كان اختطها أوملكها .

والمكاكيك والعجاف من الفضـ ـة والضامزات تحت الرحال[١]
وجياداً كأنها قُضُب الشوْ حَط يحملن بزّة الأبطال[٢]
ودروعاً من نسج داود فى الحر ب وسُوقا يحملن فوق الجمال[٣]
مُشْعَرات مع الرماد من الكُرّة دون الندى ودون الطِّلال[٤]
لم ينشّرن للصديق ولكن لقتال العدوّ يوم القتال
كلّ يوم يسوق خيلا إلى خيـ ـلٍ دِراكا غداة غِبّ الصيال[٥]
لامرىء يجمع الأداة لريب الـ ـدّهر لا مُسْنِدٍ ولا زُمّال[٦]
هودانَ الرِّبابَ إذ كرهوا الدِّيـ ـنَ دراكا بغزوة واحتيال[٧]
فَخْمة يرجع المُضافُ إليهـا ورعال موصولة برعال[٨]
تخرج الشيخ عن بنيه وتُلْوِى يَسوام المِعزابة المِحلال[٩]
ثم دانت بعدُ الرِّباب وكانت كعذابٍ عقوبة الأقوال[١٠]

(١) المكاكيك : آنية الخمر . والضامز : الساكت لايرغو ، وذلك يحمد فى الإبل .
(٢) البزة : السلاح .
(٣) الوسوق : الأحمال .
(٤) مشعرات : أى ملبسات ، مأخوذ من الشعار . الكرة : البعر . الطلال ، جمع طل ، وهو أكثر من الندى ، يكون بالغدوات .
(٥) دراكا : أى متتابعة . والصيال : الإسم من صال يصول . غب الصيال : يوما بغير ويوماً لا .
(٦) الأداة : آلة الحرب . ريب الدهر : حوادثه . المسند : الذى يسند الأمر إلى غيره . والزمّال : الضعيف .
(٧) دان : بمعنى ملك ، ودان بمعنى جازى . والرباب : خمس قبائل : ضبة ، وتيم ، وعدى ، وثور ، وعكل ، أولاد طابخة بن الياس بن مضر . الدين : الطاعة . احتيال : تدبير رأى .
(٨) الفخمة : العظيمة ، وهو يعنى الكتيبة التى يغزو بها . المضاف . الملجأ : ورعال : قطعة من الخيل .
(٩) تلوى : تذهب ، يقال ألوت به عنقاء مغرب ، إذا أهلكته . والسوام : المال . المعزابة : الذى يعزب بابله فى المرعى .
(١٠) دانت : ذلت ، وكانت الرباب كعذابه . الأقوال : جمع قيل ، وهم الملوك .

عن يمين وطول حبس وتجميـ ـع شتات ورحلة واحتمال[١]
من نواصى دُودان إذ حضر البأ س وذُبيان والهِجانِ العوالى[٢]
ثم واصلتَ غَزوة بربيـــع حين صرّفت حالة عن حال
رُبّ رِفدٍ هرقتهُ ذلك اليو م وأسرى من معشر ضُلّال[٣]
وشيوخ حَرْبىٰ بشطىٰ أُرَيك ونساء كأنهنّ السعالى[٤]
وشريكين فى كثير من الما ل وكانا مُحَـــالِفِيْ إقلال[٥]
قَسَما الطارِف التليد من الغنـ ـم فآبا كلاهمـــا ذو مال
رُبّ حَيّ سقيتهم جُرَعَ المو ت وحىّ سقيتهم بسجـالى
ولقد شُنّتِ الحروب فما غُمّـ رت فيها إذ قلّصتْ عن حيال[٦]
هؤلا ثم هـــؤلائك أعطيـ ـت نعالا محذوّةً بمثـــال
وأرى من عصاك أصبح محرو باً وكعبُ الذى يطيعك عالى
وبمثل الذى جمعت من المُـ ـدّة تنفى حكومة الجهّال
جندك الطارف التليد من الغا رات أهل الهبات والآكال[٧]
غير ميـل ولا عَواوير فى الهيـ ـجا ولا عزّل ولا أكفال[٨]
للعدا عندك البوارُ ومن وا يتَ لم يُعْرَ عَقْـدُهُ باغتيال

---

(١) يعنى فعله هذا ، عن قدرة وطول حبس ، يعنى مرابطة للقتال .
(٢) نواصى : خيار . دودان وذبيان . قبيلتان من غطفان ، وهما من قيس عيلان .
(٣) الرفد : القدح ، الذى يحلب فيه . ضلّال : جمع ضال . ويروى من معشر أقتال ، والأقتال : الأعداء .
(٤) حربى : جمع حريب ، وهو المأخوذ ماله . والشط : الجانب . وأريك : اسم واد .
(٥) محالفى : ملازمى .
(٦) غمرت : نسبت إلى الغمارة ، وهى ضعف الرأى .
(٧) الآكال : جمع أُكْل ، وهو الحظ . الطارف : ماكسبته . والتليد : ماورثته .
(٨) ميل : جمع أميل ، وهو الذى لاسلاح معه . والعواوير : جمع عوار ، وهو الجبان . عزل : جمع أعزل ، وهو الذى لاسلاح معه . والأكفان : الذين لا يثبتون على الخيل .

لنْ يزالوا كذالكم ثم لا زِلـــتَ لهم خالداً خلود الجبـال[١]
فلئن لاح فى المفارق شيبٌ يال بكر وأنكرتنى الفوالى[٢]
فلقد كنتُ فى الشباب أبارى حين أعدو مع الطِماح ظِـلالى[٣]
أبْغِضُ الخائن الكذوب وأدْنى وصل حبلِ العَمَيْثَلِ الوَصَّـال[٤]
ولقد أستبى الفتـــاة فتعصى كلّ واش يُريد صَرْم حبـالى
لم تـكن قبل ذاك تلهو بغيرى لا ولا لهـوها حديث الرجال
ثم أذهلتُ عقلها ربما يُذ هل عقل الفتاة شبْهُ الهـلال[٥]
ولقد أغتدى إذا صَقَـــع الديـــك بمهرٍ مُشَذَّب جـــوّال[٦]
أعوجىّ تَنْميه عُـــوذٌ صَفايا ومع العـــوذ قلّة الإغفال[٧]
مُدْمج سابغ الضلوع طويل الشخص عَبْـــل الشَوَى ممَرّ الأعالى[٨]
وقيامى عليهِ غـــير مضيع قائمـا بالغـــدو والآصال
فجلا الصَوْن والمَضامير عن سِيـــدٍ جرى بين صَفْصَفٍ وَرِمال[٩]
يملأ العينَ عادِياً وَمَقُـــوداً ومُعرّى وصافناً فى الجِـــلال
فعَـدَوْنا بمهرِنا إذ غـدوْنا قارنيـــهِ ببـــازِلٍ ذيّال[١٠]

---

(١) (ذكروا) أن باقى القصيدة مصنوع عليه ، وما أحسب .
(٢) الفوالى : جمع فالية ، وهى التى تفلى الرأس .
(٣) أبارى : أعارض . والطماح : النشاط.
(٤) العميثل : الذى يطيل ثيابه فى مشيته ، والوصال : كثير المواصلة ، ويقال العميثل : الفرس الجواد . والعميثل : الأسد .
(٥) أذهلت : أنسيت .
(٦) صقع : صاح . مشذب قليل : اللحم .
(٧) العوذ : حديثات النتاج .
(٨) مدمج : محكم . سابغ : طويل . عبل : غليظ . ممرّ : محكم .
(٩) الصون : الصيانة . المضامير : الضمر ، بكثرة الجرى والعدو ، والسيد : الذئب . والصفصف : الأرض المستوية الصلبة .
(١٠) البازل : البعير المسن .

مستخفاً على القيـــادِ دفيفاً ثم حسناً فصار كالتمثال[1]
فإذا نحن بالوحـــوش تُراعى صوبَ غيثٍ مُجَلْجِل هَطّال
فحملنـا غلامَنـا ثمّ قلنا هاجر الصوت غير أمر أحتيال
فجرى بالغـلام شبه حريق فى يبيس تذروه ريح الشمال
بين عَـــير ومُلِـع ونَحُوصٍ ونَعام يردْن حـولَ الرِّئال[2]
لم يكن غير لمحة الطرف حتى كبّ تسعاً يَعْتامُها كالمُغالى
وظليمـــين ثم أيّهت بالمهـــــر أنادى فداك عمى وخالى[3]
وظللنـا ما بين شاو وذى قد رٍ وساقٍ ومُسْمِع محفال
فى شباب يُسقون من ماء كَرْم عاقدين البرود فوق العوالى
ذاك عيش شهـــدته ثم ولى كلّ عيش مصيره للزوال

هذا آخر لامية الأعشى ، بشرح محمد بن خطاب ، من غير زيادة ولا نقص ، كما فى نسخة الجمهرة المطبوعة بالمطبعة الأميرية .

وقال أحمد بن الطلب اليعقوبى أيضاً :

بُعْدُ ما بينَ منْ بذات الرّماح ومُقيمٍ من اللّوى بالنّواحِ[4]
طالَ لَيْلى بساحةِ الكَرْبِ حَتى كِدْتُ أقْضى الحياةَ قبلَ الصباح
إنْ أبِتْ ساهراً أُقاتِلُ هَمّـا قاتلاً ما لِبَرْحِهِ منْ بَراح[5]

---

(١) ذفيف : مسرع .
(٢) النحوص : التى لم تحمل . والرئال : جمع رأل ، وهو ولد النعام .
(٣) الظليم : ذكر النعام . أيهت : صحت .
(٤) قوله، بعد مابين ، معناه : ما أبعدهما بين من بذات الرماح ، وهى موضع ، وبين مقيم بنواحى اللوى ، وهو موضع أيضاً .
(٥) أقاتل : أغالب . وقاتلا : غالباً . وبرحة : شدته . ومعنى من براح : أى ماله من زوال .

لِمَا بتُّ خالَ البالِ خالٍ بأناةٍ من المِلاحِ رَداحِ (١)
أشْتَفِى منْ رُضَابِها لِغليلى يا لها منْ سُلافةٍ بقَراحِ
يا خليلىَّ هَجِّرا للرَّواحِ وأرْحِلا كلَّ بازلٍ مِلْواحِ (٢)
يا خليلىَّ ما شفى النفسَ شافٍ كاغْتمالِ الجِلالةِ السِّرْداحِ (٣)
قَدْ تحيَّرْتُ لاهتمامىَ منها جَسرةً طالَ عهدُها باللقاحِ (٤)
رَبعَتْ فى مجادلِ الكرْبِ ترْعى جَلَهاتٍ بهنَّ حُوُّ البِطاحِ (٥)
يَبْدُرُ الطرْفَ بغيها كلَّما لا حَ لها لائحٌ منَ الأشباحِ
فكأنى إذا الهواجرُ شبَّتْ كلَّ حَزْنٍ على شَبوبٍ لياحِ (٦)
مُفْرَدٍ باللوَى يرُودُ دِماثاً لم يَرِدْهُنَّ غيرُ هُوجِ الرِّياحِ (٧)
زَعِلٍ باتَ طاوياً بكناسٍ بلَّتْهُ الذِّهابُ هارِى النَّواحِ (٨)
فاسْتَفَزَّتْهُ مَطْلَعَ الشمسِ غُضْفٌ أُرْسِلَتْ مِنْ يدِى قَنيصٍ شِحاحِ (٩)

---

(١) الأناة : المرأة التى فيها فتور عند القيام . ورداح : عظيمة الوركين .

(٢) أرحلا : أى اجعلا عليه الرحل . والبازل : الذى طلعت نابه . والملواح : الطويل والضامر .

(٣) الجلالة : العظيمة . والسرداح بالكسر : الناقة الطويلة ، أو الكريمة ، أو العظيمة ، أو السمينة ، أو القوية الشديدة التامة .

(٤) الجسرة : الناقة العظيمة ، ومعنى طال عهدها باللقاح : أنها عاقر .

(٥) ربعت : أقامت زمن الربيع . ومجادل الكرب : جبالها ، واحدها مجدل . والكرب . جبال بتيرس ، وتسمى بالعامية لِكْرَبْ . وجلهات : جمع جلهة ، وهى ناحية الوادى . وحو البطاح : نباتها الأحوى ، أى المخضر .

(٦) الهواجر : جمع هاجرة . وشبت : أوقدت . والحزن : ما غلظ من الأرض . والشبوب : ثور الوحش ، الذى انتهى شبابا ، وقيل هو المسن الذى انتهت أسنانه . ولياح : أبيض .

(٧) يرود : يذهب ويجىء . والدماث : الأماكن السهلة ، واحدها دمث . وهوج الرياح : جمع هوجاء ، وهى التى تقلع البيوت .

(٨) الزعل : النشيط . وكناس الظبى : معروف . والذهاب : جمع ذهبة بالكسر ، وهى المطرة الضعيفة : أو الجود . وهارى النواحى : منهارها .

(٩) استفزته : استخفته للفرار . ومطلع الشمس : وقت طلوعها . وغضف : جمع أغضف ، وهو مسترخى الأذنين ، أى كلاب غضف : وقنيص : جمع قانص . وشحاح : من الشح .

فَتَجَهَّدْنَ إِثْرَهُ طالبـــاتٍ وَاسْتَمَرَّتْ بِهِ جُنُونُ المِراحِ
فَاخْتَشَى مِنْ لِحاقِها ثُمَّ أَنْـــحى نَحْوَها كَرَّ زائِدٍ مِلْحاحِ
فَكَلاَ بَعْضَها وبعضاً رآهُ وأَنبرى فى القِفارِ كالمِصباحِ(١)
فعسى تلك وأَدْلاجُ الليـــالى وَدُؤُوبُ الإِمْساءِ والإِصْباحِ
تُبلِغَنّى دِيارَ أُمِّ أَبِيّ وَلَحَسْبى بلوغُهـا مِنْ نجاحِ(٢)

وقال أيضا :

حَيِّ الدُّوَيْرَةَ قَدْ عَفا طَلَلاها عُصُفُ الرِّياحِ شَمالُهـا وصَباها(٣)
ماذا عَناكَ منَ أُرَيْمِ بتَنوفةٍ دَرَسَتْ مَعالِمُها وَصَمَّ صَداها(٤)
أَمْ مالِعَيْنِكَ لا تقرُّ فَعَبْرَةٌ مِنهـــا تمرُّ وعبْرةٌ تَغْشـاها
أَمْ صابها وشْكُ الفِراقِ بعائرٍ فبـكتْ وحُقَّ لها الفَداةَ بُـكاها(٥)
أَمْ لا تزالُ لذِكرِ مَيَّةَ سادِراً تَبكى المَنـازِلَ ضَـلةً وسَفاها(٦)
ماراعنى إلا الحُمُولُ طوالِعاً حَدَبَ الأَجَمِّ غُدَيَّةً أولاها(٧)

---

(١) قوله : فـكلا بعضها : أى ضربه بقرنه على الـكلية ، ورآه : ضربه على الرئة.

(٢) قوله : ولحسبى بلوغها من نجـاح ، روى أنه أنشد قصيدته هذه ، بين يدى الفقيه الصالح محمد بن محمد سالم المجلسى ، فلما انتهى إلى هذا الموضع ، قال له : إنك لقصير الهمة .

(٣) الدويرة : تصغير دار . وطللاها : تثنية طلل . وعصف : فاعل عفا . وطللاها : مفعول به . والأفصح : طلليها ، وهذه لغة خثعمية ، وعليها قوله تعالى « إن هذان لساحران » فى أحد الأوجه .

(٤) التنوفة : المفـازة . ومعالمها : جمع معلم ، وهو ما يستدل به . وصم صداها : أى هلـكت ، فلا يوجد لها أثر ، وهذا مأخوذ من قول امرىء القيس:

صم صـداها وعفـا رسمها واستجمعت عن منطق السائل

وأصل الصدى : الصوت الذى يردده الجبل .

(٥) العائر : الرمد ، وقيل هو القذى ، ويقال له العوار أيضاً .

(٦) السادر : اللاهى . وقيل:هو الذى لايهتم لشىء ، ولايبارى ماصنع ، ومنه قول طرفة :

سادراً أحسب غي رشـداً فتناهيت وقد صابت بقـر

(٧) الحدب : الرمل . والغلظ : المرتفع من الرمل ، والأجم من الدواب : مالاقرون له ، وهو هنا موضع ، واسمه بالعامية آكماط ـ بمدة وكاف مضمومة معقودة وميم مفتوحة مشددة بعدها ألف وطاء ساكنة ـ وقوله أولاها : بدل من غدية .

كيفَ التجلُّدُ لا تجلُّدَ بعدَما ... شَطَّتْ بأمِّ المُؤمنينَ نَوَاها
عُوجى قليلاً رَيْثما أشكو الذى ... قَدْ شَفَّ نفسى منكُم وبرَاها
ما كان ضَرَّكِ لَوْ رَدَدْتِ تحيةَ ... فيها لنفسى لَوْ رَدَدْتِ شِفاها
نفسٌ تخوَّفَها الفِراقُ تخوُّفاً ... فالبَيْنُ أخوفُ ماأخافُ عَلاها[1]
واهاً لما أبْدَى لنا يومَ النَّوَى ... منها الوَداعُ وقلَّ منَّا واها[2]
فكأنَّ عَيْنىْ مُطْفِلٍ بخميلةٍ ... بَيْنَ الصرائم خاذِلاً عَيْناها[3]
وكأنَّ كشحيْها إذا لفَّتْ بها ... رِيحُ الشَّماء مُرُوطَها كشْحاها
وكأنَّ جيد جداية أوْ دُمْية ... فى بِيعةٍ حاطا بهِ عِقْداها[4]
وكأنَّ أنبُوباً رِواء غِيلُهُ ... عِيجَتْ عَليهِ حِجالُها وَبُراها[5]
وكأنَّ ناجُوداً بمغرُوضِ الصَّفا ... فى حُرِّ أبْطح قدْ تَضَمَّنَ فاها[6]
قِفْ واسْتَلِحْ واقْصِدْ بعَيْنِكَ نظرةً ... قَصْدَ الظعائنِ هلْ ترى أخراها

---

(١) تخوفها الفراق : تنقصها . وقوله : علاها ، الغالب فى على ولدى ، وإلى إذا جرت المضمر أن يقلب ألفها ياء ، وقد لايقلب وهو غير الغالب ، وسمع من شعر العرب :

إلاكم ياخزاعة لا إلانا ... عزا الناس الضراعة والهوانا
فلو برئت نفوسكم علمتم ... بأن دواء دائكم لدانا
وذلكم إذا وانتمونا ... على أن اعتمادكم علانا

(٢) واهاً : اسم فعل ، بمعنى أعجب .

(٣) المطفل : ذات الطفل ، أى الولد . والخميلة . المنهبط من الأرض ، وهى مكرمة للنبات ، وقيل : هى الأرض السهلة ، أو هى رملة تنبت الشجر . والصرائم : جمع صريمة ، وهى القطعة من الرمل ، وعيناها : خبر كأن .

(٤) الجداية ـ ويكسر ـ الغزال . والدمية : واحدة الدمى ، وهى الصورة المنقوشة من الرخام . والبيعة : بالكسر ، متعبد النصارى ، وقيل : هى كنيسة اليهود .

(٥) الأنبوب : كعب القصب ، وقيل : هو مابين العقدتين من القصب . والغيل بالكسر ، جماعة القصب . والحجال : جمع حجل . والبرى : جمع برة ، وتقدم تفسيرهما .

(٦) الناجود : الخمر . والمغروض : ماء المطر ، وأضافه إلى الصفا ، لأنه إذا كان على الصفا كان صافياً . والأبطح : المكان المنبطح .

هَيْهاتَ هَيْهاتَ الظعائنُ قد أتى فِندُ القُوَيْدِسِ دُونَ مَنْ تهواها[1]
ياليتَ شِعْرِى والفِراقُ مُوكَّلٌ بالعاشقينَ مَتى يكونُ لِقاها

وقال أيضاً :

ألا مَنْ لِبرْقٍ مُسْحِرٍ متبلّج أجُوجٍ كتَسْعارِ الحريقِ المؤجّج[2]
سَرى فى حَبِىّ مُشْمخِرٍّ كأنّ فى جَنابَيْهِ عُوذاً وُلَّهاً مُتَدَجْدِج[3]
فَمَدْنُ لهُ بعدَ الهدُوِّ أشِيمُهُ ومنْ يَشِمِ البرْقَ اليمانىَّ يهْتَج
ألا أيُّهَا البَرْقُ اليمانىُّ عَرِّج وخَيِّمْ على أطلالِ جَفْرِ الهُوَيْدِج[4]
وَرُمْ منَ الأطلالِ ماقدْ عَفَتْ به من العاصفاتِ كلُّ هَوْجاءَ سَيْهج[5]
وعَلِّلْ لدَى مَغْنى الأحَيْمِرِ مَنْهجاً لنَا نَعْتَرِيهِ حِينَ نذهبُ أو نجى
ألا لَيت شِعْرِى هلْ تَغَيَّرَ بعدنا ومنْ يَعْتَلِقْ مَرَّ الحوادِثِ يَنْهَج[6]
وهلْ يُرْجِعَنْ مَغنى الأحَيْمِرِ جابةً لِمُسْتَهْتِرٍ حَرَّانَ ذى لوْعةٍ شج[7]

---

(١) قوله: هيهات هيهات : الثانية توكيد للأولى ، وهيهات : اسم فعل ، بمعنى بعد . والفند : بالكسر ، الجبل العظيم ، أو قطعة منه طولا ، والقويدس : مصغرا ، إسم جبل بتيرس .

(٢) المسحر : الذى لمع وقت السحر . ومبتلج : مضىء لما قابله وقت لمعانه . وأجوج . فعول من أج ، إذا اتقد . وتسعار : بمعنى اشتعال . والمؤجج : إسم مفعول أججه ، أوقده .

(٣) الحبى : كغنى ، ويضم ، السحاب يشرق من الأفق على الأرض ، أو الذى بعضه فوق بعض ، ومشمخر : مرتفع . والعوذ : جمع عائذ ، وهى حديثة العهد بالنتاج . وولهاً : جمع واله ، وهى الشديدة الحزن على ولدها . ومتدجدج : مسود ، وذلك دليل على كثرة مائه .

(٤) الجفر : البئر . والهويدج : تصغير هودج ، وهو موضع بعينه ، وتسميه العامة آرويكن — بمدة وراء ساكنة وواو مفتوحة وياء ساكنة وكاف مكسورة معقودة ونون ساكنة — ومكبره أراكن ، وهو بمعنى الهودج .

(٥) رم : أصلح . وعثت : أفسدت . والعاصفات : الرياح الشداد . والهوجاء : الريح التى تقلع الشجر كما تقدم . وسيهج : شديدة .

(٦) ينهج : يبلى ، وهو جواب الشرط .

(٧) الجابة : الجواب . والمستهتر : الذاهب العقل . وحران : عطشان . وشج : من شجى بالعظم ، إذا غص .

وَقَفْتُ بها منْ بعدِ عامٍ فهاجنى ... لوَائحُ منهـا كالزَّبور المُثَبَّج (١)

أسائلُها عنْ جُمْلِـها أينَ يمّمتْ ... فظَلْتُ بها مِثلَ النزيف المُزَرَّج (٢)

فرَدّتْ جواباً بعدَ لأيٍ مُلجلجًا ... ولَوْ عَلمتْ منْ سالها لم تلجلج (٣)

وما أنسَ لا أنسى عَشيَّةَ إذ رَنَتْ ... إليَّ بمطروفِ اللَّواحظِ أدْعَج

عَشيَّةَ أصْمتْنى ولم تَدْرِ بغتةً ... فَرُحْتُ وما أدْرى الذهابَ من المجى (٤)

بعَينىْ مَهـاةٍ مُخرِفٍ بخميلةٍ ... أوَ ادْماءَ منْ وَحْشِ المُشيْرةِ عوهَج (٥)

رَمَتْنى بوَضّـاحٍ ظِماه عُمُورُهُ ... بَرُودِ الثنايا ذِى غُرُوبٍ مُفَلَّج (٦)

وكشحٍ لطيفٍ كالجدائلِ طيُّهُ ... كلمْسِ الدّمقسِ ذاتُ خَلْقٍ مُعَذْلَج (٧)

وَتُشجى رَحِيباتِ الدمالِيج والبُرَى ... بما شئتَ منْ غَيْلٍ رِواءٍ مُدَملج (٨)

---

(١) الزبور : الكتابة . والتثبيج : تعمية الخط وترك بيانه ، وقيل : عدم الابانة به على وجهه ، وقيل : هو التخليط .

(٢) النزيف : السكران . والمزرج : بمعناه ، وتقدم فى الجيمية بيانه .

(٣) ملجلجاً : غير بين ، وتلجلج أصله : تتلجلج .

(٤) أصمتنى : قتلتنى ، أول وهلة .

(٥) المهاة : واحدة المهى ، وهى البقرة الوحشية . ومخرف : ولدت فى الخريف . والأدماء . البيضاء . والعوهج : التى فى حقويها خطتان سوداوان .

(٦) الوضاح : الثغر البراق . والعمور : جمع عمر بالفتح وقد يضم ، وهو لحم ما بين مغارس الأسنان ، أو هو لحم من اللثة ، سائل بين كل سنين . والغروب : جمع غرب ، وهو منقع ريقه ، وقيل : طرفه وحدته وماؤه . ومفلج : متباعد النبتة .

(٧) الكشح : الخصر . ولطيف : رقيق . والجدائل : جمع جديل ، وهو الزمام ، وبه تشبه خصور النساء . قال امرؤ القيس :

وكشح لطيف كالجديل مخصر ... وساق كأنبوب السقى المذلل

واقتصر صاحب القاموس فى جمعه على جدل ككتب ، لأنه رباعى ، بمدة قبل آخره ، والدمقس : الحرير . والمعذلج : الناعم الممتلىء لحماً .

(٨) تشجى : تغص ، من أشجاه ، إذا أغصه . ورحيبات : متسعات . والدماليج : جمع دملوج ، وهو العضد . والبرى : جمع برة ، وهى الخلخال . والغيل : الساعد الريان ، والمدملج : المكتنز اللحم .

وقال أيضاً :

لِمَنِ الدِّيَارُ عَفَوْنَ بالتَّمْجـاطِ فالمُلْزَمَين كمُنهِج الأنمـاطِ[١]
فرُبا أندَوشتِ فذِى الحُـدَيج فذى ذوى
مائةٍ سـقاهـا واكفُ الأشرَاطِ[٢]
فسقى منازلنـا على البئر التى مِنْ عنْ شمائلِ ربعَتَىْ شِنْطاطِ[٣]
دِمَنٌ قَضَيْتُ من الصِّبَا فى عَهْدِهَا ما كان مِنْ يَوْمِ الغديرِ قَطاطِ[٤]
فأنهلَّ دَمعى أنْ عَرفتُ رُبوعَها كالدُّرِّ منْتَثِراً من الأخيـاطِ
فاليَوْمَ إذ وَسَمَ المَشيبُ شَبيبتى مِنْ وسمِهِ المَشْنوء شرَّ عِلاطِ[٥]
فَسرى يُخَبِّط لِمَّتى لَمَّـا سَرَى يُرْدَ الصِّبا عنى بغير خيـاطِ[٦]
وَرَمى بأسْهُمِهِ الصَّوائبِ شِرَّتى ومنَ السِّهامِ صَوائبٌ وخَوَاطِ[٧]
أصْبَحْتُ ودَّعْتُ الصِّبالاعنْ قِلًى والدَّهرُ بالعِلْقِ المُفَجِّع ساطِ[٨]

---

(١) التمجاط ـ بكسر النون وسكون الميم وجيم مفتوحة بعدها ألف وطاء ساكنة ـ وإنما كسرها لأجل القافية : بئر فى نواحى إجيـد : والملزمان . تثنية ملزم ، وهو فى عرف أهل الصحراء الأضاة التى فى موضع فيه الشجر ، وهوصحيح الاشتقاق ، إلا أنه لايعرف عند العرب بهذا اللفظ . والمنهج : الثوب الخلق . والأنماط : جمع نمط ، وهو ضرب من البسط .

(٢) الربا : جمع ربوة ، وهى المحل المرتفع . واندوشت ـ بهمز وصـل ونون ساكنة ودال مفتوحة وواو كذلك وشـين ساكنة وتاء مكسورة ـ موضع . وذى الحديج : موضع بعينه أيضاً ، وقوله : وذى ذوى مائة ، موضع إسمه بالعامية بومائة ، وهو مزرعة معروفة . والواكف : المطر الغزير . والأشراط : ثلاثة كواكب ، أى سحاب يطلع من جهتها .

(٣) ربعتا . تثنية ربعة ، وهى المكان المرتفع من الأرض ، أو كل فج ، أو كل طريق . وشنطاط . موضع أيضاً .

(٤) القطاط : الغالى ، أى ما كان غالياً من ديون الشباب ، وسمعت من بعض العلماء : أن قطاط ، لغة فى قط ، وأظنه غير صحيح .

(٥) العلاط : سمة تجعل فى عنق البعير .

(٦) سرى : أى سار ، مأخوذ من سرى الليل . وقوله لما سرى : أى لما نزع .

(٧) شرة الشباب بالكسر : نشاطه .

(٨) العلق : النفيس . والمفجع : الذى يفجع بمصابه . وساط : اسم فاعل سطا ، أى صال أو قهر بالبطش .

ودَعْتُـــهُ يا حَرَّ إلا أنه ... يرتاحُ للأظعانِ نِضْو نَشـاطِى(١)
أهْفُولَهنَّ إذا رأيتُ حُدُوجُها ... عُولَين بالتِّنماط والتَّنواطِ(٢)
ولقـدْ أروحُ مُعدّياً عَـيْرانةً ... غَلْباءَ ذاتَ تَشـذُّرٍ وحِطاطِ(٣)
عَنْساً تُعارِضُ بالعَشِيّ نَواجِياً ... مِنْ كلّ مَوجَدَةِ القَرى شِرْواطِ(٤)
فى إثْرِ أظْعانٍ سلـكنَ بواكراً ... بينَ الصَّرِيمِ فمَنْبَتِ الأسباطِ(٥)
أو سالـكاتٍ مَقْصَراً منْ مَخرَمَيْ ... زُوكٍ تَؤُمُّ أكَيْمةَ الأنباطِ(٦)
أوْ يَنْتجِعْنَ مع العَشِيّ مَراتعاً ... بينَ الأطِيطِ فأجْبُلِ أنقـاجاطِ(٧)

وقال أيضاً :

عَلَى مَ الأسى إنْ لَمْ نُلِمَّ ونَجْزَعِ ... ونَبْكِ عَلَى أطْلالِ رأسِ الذُّرَيْعِ
خليلىَّ ما أخْلَدُ الوَفِىُّ سوى الذى ... مَتَى تُسْرَرْ أوْ تَجْزَعْ يُسَرَّ ويجزعِ

---

(١) ياحر : كلمة تحسر ، واشتقاقها صحيح ، وإن لم نقف على لفظها للعرب ؛ والنضو : البعير المهزول ، والضمير فى إلا أنه للشان ، كنى عن نشاطه فى حال كبره بالنضو .

(٢) أهفولهن : أى أسرع إليهن . عولين : جعل فوقهن . والتنواط : ما يعلق على الهودج ، يزين به . والتماط : مصدر نمط الثوب ، إذا جعل فيه الحمرة أو الخضرة .

(٣) العيرانة من الإبل : الناجية فى نشاطها ، وقيل : هى التى تشبه العير فى سرعتها ، وقيل : هى الصلبة . وغلباء : عظيمة العنق . والتشذر : أن تحرك رأسها فرحاً ونشاطا . والحطاط للبعير : أن يعتمد فى الزمام على أحد شقيه .

(٤) العنس : الناقة الصلبة : والنواجى : جمع ناجية ، وهى التى تنجو فى سيرها . وموجدة القرى : موثقته ، والقرى : الظهر . وشرواط : طويلة وفيها دقة ، يقال : جمل شروط ، وناقة شرواط .

(٥) الصريم : القطعة من الرمل . والمنبت : كمجلس ، موضع النبات . والأسباط : جمع سبط وهو نبت معروف .

(٦) سالكات : أى فى سيرها . ومقصراً : وقت اختلاط الظلام . ومن مخرمى : أصله مخرمى ، ومن زائدة فى الايجاب ، وتقدم أن ذلك مذهب للكسائى . والمخرم : الأنف والمنقطع ، ويصحان هنا ، أى من أنف زوك ، أو منقطعه . وزوك ـ بضم الزاى وواو ساكنة وكاف معقودة : أكمة ، إسم جبل بتيرس . وأكيمة الأنباط : بعينها ، مضافة إلى الأنباط .

(٧) الأطيط : موضع : وأنقاجاط ـ بألف وصل ونون ساكنة ومثناة فوقية بعدها ألف وطاء مهملة ـ بلد : معروف .

فإنْ كنتُما منى فموتا صَبابةً عَليها وإلا فلتُجنّا معاً معى
وإلا فما أوْفيتما بذمامتى إذا أنتما لم تَجزعا مِثلَ تَجزَع
أَلَمْ تَرَيا الأطلالَ أمستْ مجاثما بها أحرزتْ أذْراعها كلُّ مُذرِعِ (١)
فأصْبحْنَ من عينِ الأنيسِ أواهلا بأشباهها من عين وَحْشٍ مُلَمَّع (٢)
أجدَّكَ عَيناكَ الطّموحانِ ضلّةً مَتى تَرَيا رَأسَ الذَّريع تدْمَع
منازُلنا إذ عيْشُنا فى غزارةٍ وسربُ التصابى آمِنٌ لم يُفزّع
قَضَيْنا لُباناتِ الصّبا ونذُورَهُ بها ثمّ ثمّ اللّهْوُ غيرَ المُشنّع
فمنْ يكُ لم تَنضِرْ لُعاعةُ لَهوِهِ ولم يتَمتّعْ مِنْ تَصابٍ مُمتّع (٣)
فإنّا رَعَينا أنفَ ناضرِ رَوْضِهِ مَحلَّ الخليط الجَوّ جَوّ المُبَيْدِع (٤)
وإن تُسأل الأطلالُ يوماً شهادةً بما كان فيها منْ مصيفٍ ومرْبع
تخبّرْ مرابيعُ المُبيدِيع شَرْ بنا بكأسِ التّصابى منْ رَحيقٍ مُشعْشع
وتُنبى رِضامُ الكَرْدِ عنّا بمثلهِ وما ثمّ من سَهْبٍ دَمِيثٍ وأجرع (٥)
وتَشهد أيّامُ الصّبا عند ربهـا بأن لَيسَ فيها مثلُ عصرِ الذّريع
ولا كَمغانى ذِى المَحارة أرْبُعٌ فمنْ يأتنـا فيهنّ يرأ وَيسمع

---

(١) المجاثم: جمع مجثم ، وهو الموضع الذى تلزمه ولم تبرحه . وأحرزت : حصنت. وأذراعها: أولادها ، واحدها ذرع بالتحريك كما تقدم . والمذرع : ذات الذرع .

(٢) العين : جمع عيناء ، وهى واسعة العين . وملمع : فى لونها بقع تخالف سائر لونها .

(٣) اللعاعة : واحدة اللعاع ، كغراب ، وهو نبت ناعم فى أول مايبدو . ولم تنضر : لم تخضر . كنى عن شبابه ولهوه فى جدتهما ، بنضارة النبت .

(٤) قوله فانا رعينا الخ : هذا هو جواب الشرط . والأنف : أصله الأنف ، بضمتين ، وهو أول كل شىء ، وروضة أنف : لم ترع ، ويصح فتح الهمزة ، ويكون من الأنف ، أى أعلاه ، ومحل : مصدر ميمى . والجو : مفعول ، وهو نظير قول الشاعر :

أظلوم إن مصابكم رجلا أهدى السلام تحيـة ظلم

(٥) الرضام : جمع رضمة ، وهى الصخرة العظيمة . والكرد : مواضع ، أو موضع واحد ، والعامة يسمونها لكرد ، ولعل أصل الكاف قاف وهو القردد ، فيكون للمكان الغليظ المرتفع ، وجمعه قرداد . والسهب : تقدم بيانه .

يَرَى البيضَ كالأرآمِ من كلِّ خَدْلةٍ ... ضَنُونٍ بمَسْولِ الحديثِ المُقطَّعِ
ويسمعُ كما شاءَ المَساميعُ من فتًى ... خَبيرٍ بتَحبيرِ الغِناءِ المرجَّعِ
إذا رجَّعَ التَّغريدَ رِيعتْ لصوتِه ... رَوائعُ صِينَتْ فى الحجالِ المُمنَّعِ
حَنينَ عجولٍ أمَّ بَوٍّ تُديرُها ... عجولٌ متى حَنَّتْ تَحِنُّ وتَسجعِ (١)
كأنَّ فُضولَ الرقمِ قد جُعلَتْ على ... قَريعِ هِجانٍ هائجٍ متمنِّعِ (٢)
فإنْ يكُ نَسْرُ الشيبِ يومًا عدا على ... غرابينِ هامٍ مِنْ لِداتى وقَّعِ (٣)
وأضحى زُلالُ اللَّهوِ رَنقًا وأصبحت ... قلاصُ التَّصابى قد أنيخَتْ بمجمعِ (٤)
فيارُبَّ يومٍ قد أدَوْتُ لِربرِبٍ ... هَجائنَ أشباهِ المَهى غير خُرَّعِ (٥)

---

(١) العجول : الواله ، التى فقدت ولدها ، فهى تذهب وتجىء ، وتديرها عجول : أى تهيجها على البكاء ، وهذا مأخوذ من قول متمم بن نويرة :

يذكرن ذا الثبث الحزين ببثه ... إذا حنت الأولى سجعن لها معاً

(٢) فضول الرقم : مافضل منها . والرقم من الثياب : الموشى . والقريع : فحل الإبل. والهجان : الأبيض ، يصفه بعظم الجسم ، وهذا من تفنن العرب فى عباراتها ، فإنهم يمدحون بقلة اللحم طوراً ، كما قال الحطيئة فى سعيد بن العاصى :

سعيد فلا تغررك قلة لحمه ... تخدد عنه اللحم وهو صليب

وقال حسان فى بنى عبد المدان :

وقد كنا نقول إذا رأينا ... أخا جسم يعد وذا بيان
كأنك أيها المعطى بيانا ... وجسما من بنى عبد المدان

ثم نقض ذلك فقال فيهم :

لابأس بالقوم من طول ومن عظم ... جسم البغال وأحلام العصافير

(٣) النسر : طائر معروف ، يخالط سواده بياض . والغراب : معروف بالسواد . وغرابين : جمعه،واللدات : جمع لدة ، وهو تربك الشخص ، يعنى : إن أقرانه صارت رؤوسهم كالنسور ، أى مازج سوادها بياض الشيب .

(٤) الجمجم : ما تطامن من الأرض .

(٥) قوله فيارب يوم الخ : هذا هو جواب الشرط . وأدوت لربرب : خاتلته ، وعنى بالربرب ، جماعة النساء . وهجائن : بمعنى بيض . وغيرخرع : غير فواجر ، ولم نجد خارعة، فنجعل خرعا جمعاً لها ، لكن وقع مثل هذا فى شعر كثير . قال :

وفيهنَّ أشباه المها رَعَتِ الملا ... نواعمُ بيضٌ فى الهوى غير خرّع

وهمّى إلى جَيداءَ غَيداءَ لَدْنَةٍ ... بأقرابِها تَرْديعُ مسكٍ وأبدَعُ (١)
أُخادِعُ عنها القلبَ أنْ يَفطنوا بنا ... وقد كان عنها القلبُ غيرَ مخدَّعِ
أُرُوحُ عليها كلَّ يومٍ بفتْيَةٍ ... لهمْ فى الذى أهْواهُ أىُّ تَسرُّعِ
فيا مَنْ رأى مِثلَ اللّواتى تَزُورُها ... ومثلَ الأُلى يأتونَها زُوَّرًا معى
مَعى منْ بنى اللّهْوِ الكرامِ عصابةٌ ... ألا يالَقَوْمِى للصِّبَا المُتَرَعرِعِ (٢)
وبَيْوتٍ هَمَّ ضافَى فقرَيْتُه ... مَسافةَ سَيْرِ دائبٍ مُتَنَعْنِعِ (٣)
على زَوْرَةٍ مثلِ الفنيقِ مُدلَّةٍ ... بهادٍ مَنيفٍ كالسَّقيفةِ جُرْشَعِ (٤)
تَذِبُّ بشمراخٍ كأنّ فُروعَهُ ... قُرُونُ هَدِىٍّ قُتِّلَتْ يومَ زَعزَعِ (٥)
كأنَّ قُتُودَ الرَّحْلِ غِبَّ كلالِها ... على ذِى وشُومٍ رائحٍ أوْ هجنَّعِ (٦)
تُعارِضُهُ رُبْدٌ تَزِفُّ عَشِيَّةً ... إلى زُعْرٍ حَفّارِ بيْداءَ بَلْقَعِ (٧)
أذلكَ أمْ جَوْنُ السَّراةِ مُكدَّمٌ ... يُقَلِّبُ حُقْبًا منْ نَحوصٍ ومُلْمِعِ (٨)

(١) الجيداء : طويلة الجيد . والغيداء : الناعمة المتثنية . ولدنة : لينة . وأقرابها : خاصرتاها ، جمعهما بما حولهما ، كما قالوا عظيم الوجنات . وترديع : تلطيخ . والأبدع : الزعفران :

(٢) المترعرع : المتحرك الناشىء .

(٣) البُيوت : الأمر الذى يبيت له صاحبه مهتما . ومتنعنع : مضطرب .

(٤) الزورة : الناقة التى تنظر بمؤخر عينها ، لشدتها وحدتها ، وزايها مفتوحة وقيل مضمومة . والفنيق : الفحل . ومدلة : تدل على سيرها بطول عنقها . وهو هاديها : مأخوذ من أدل على أقرانه : إذا أخذهم من فوق . والسقيفة : خشبة السفنة ، وبها تشبه أعناق الإبل . قال طرفة :

وأتلع نهاض إذا صعدت به ... كسكان بوصى بدجلة مصعد

والجرشع من الإبل : العظيم .

(٥) تذب : أى تخطر بذنبها . والشمراخ : العثكال الذى عليه بسر ، شبه به ذنب الناقة فى وفور شعره . والهدى : العروس . ويوم زعزع : شديد الريح .

(٦) غب كلالها : بعده بيوم . وذو وشوم : يعنى ثوروحش . والهجنع : الظليم الأقرع .

(٧) تعارضه : تباريه فى جريه . وربد : جمع ربداء ، وهى التى بها ربدة ، بالضم . وهو لون يشبه الرماد . وزعر : جمع أزعر وزعراء ، أى شعره قليل متفرق ، يعنى أولادها وحفار : مكان يحفرها ، أى يضمها ، وبيداء : فلاة . وبلقع : خالية .

(٨) قوله : أذلك أم جون السراة الخ ، السراة : الظهر . وجونها : أسودها . ومكدم : كدمته الحمير ، أى عضضته . ويقلب : يطرد . وحقب جمع حقباء : وهى الأتان التى فى بطنها بياض . والنحوص : الفتية . والملمع : التى أشرق ضرعها للحمل ، وصارت فيه لمع سود .

وَفِتيَانِ صِدْقٍ قَدْ دَعَوْتُ فبادروا ... لِمَحْمَدةٍ تَعْلو على كلّ بيّع (١)

من آلِ أبى مُوسى بن يَعلى بن عامرٍ ... إذا شهدوا زانُوكَ فى كلّ مجمع

هُمُ ماهُمُ إنْ تَدْعُهُمْ لِمضوفةٍ ... يُجِبْكَ لما تَهْواهُ كل سَمَيْدَع (٢)

على حافِظٍ من عَهْدِ شِرْبُبٍّ حافظوا ... على مَلْكِهِ مِثْلَ المَجَرَّةِ مَهْيع (٣)

لآباءِ صِدْقٍ وَرَّثَتْهُمْ جُدُودُهُمْ ... مَساعِىَ مامَنْ رامَها بالمُطَوَّع (٤)

وأبقى مِراسُ الحَرْبِ منهمْ بقيَّةً ... بحمدِ الإلهِ لا تَلينُ لِمُفْظِع (٥)

سَمَى نَجْلُ عبدِ اللهِ سامٍ بمجدِهِمْ ... إلى باذخٍ مالِنْ يُرَامُ بمطلَع

إلى جَعْفرٍ حِبِّ النبى وابنِ عمِّهِ ... هوَالفَحْلُ مَنْ يكلُفْ مَساعيهِ يطلَع

حُلومُهمُ أحْلامُ عادٍ ودِينُهمْ ... بَنَوْهُ على الأسّ القَويم المُمَنَّع

بَنَوْهُ على نَهجِ النبيّ محمدٍ ... فيالكَ من نَهْجٍ هدًى مُتَتَبَّع

همُ شيدُوا أركانَهُ بِرماحِهِمْ ... فما مالَ حَتى صُرِّعوا كلّ مَصرَع

وأبقى مِراسُ الحَرْبِ منهمْ بقيَّةً ... بحمدِ الإلهِ لا تلينُ لِمُفظِع

همُ مَلَكوا مابين شرقٍ ومغربٍ ... وسادُوهُموا بالحلمِ لا بالتَّترُّع (٦)

لنا هَضبةٌ أعْيتْ على منْ يكيدُها ... إذا غَمزوا أركانَها لم تَلعلَع (٧)

---

(١) البيع : المشترى .

(٢) المضوفة : الهم والحاجة ، وقيل : هو الأمر يشفق منه . والسميدع : الكريم الموطأ الأكناف ، والصحيح إهمال داله كما تقدم .

(٣) شربب ــ بكسر الشين المعجمة وتسكين الراء المرققة وضم الباء الأولى وتشديد الثانية مفتوحة ــ كلمة منحوتة أصلها شَرْبَبٌ ، فالشر : فى عرف أهل الصحراء معناه الحرب . وبب : اسم رجل ، وأضيف إليه الشر ، لأنه كان السبب فيه ، وهو شر بين الزوايا وحسان . سيأتى بيانه فى موضعه . والمجرة : الطريق فى السماء . والمهيع : بدل منه .

(٤) مامن رامها بالمطوع : أى لاتطاوعه .

(٥) لاتلين لمفظع : أى لأمر يفظع الناس .

(٦) التترع : الاسراع إلى الشر .

(٧) لم تلعلع : لم تنكسر ، وأصله تتلعلع .

وإنّا إذا ماالنّائباتُ تضَعْضعتْ ... لهـا حُلماء الناس لمْ نَتَضعضع
تَرَى منْ سِوانا يدّعينا ولا نُرَى ... لغير أبى مُوسى لعمْرُك ندّعى
بَنى عامرٍ أحسابكمْ لا تُضيّعوا ... منَ أحسابِكم ما كان غيرَ مُضيَّع

وقال أيضًا :

قِفْ بالمرابيعِ منْ جَوّ المُبَيْدِيعِ ... سَقَى المُبَيْدِيعَ مِرْبابُ المَرابيعِ (١)
سَقْيًا لهُ وَلجَرْعاءِ المَشاقِرِ منْ ... غَوْرِ الشّقيقَةِ ذاتِ الخَلْدِ فالرِّيعِ (٢)
إلى الشّواجنِ منْ وادِ الحِساءِ إلى ... طَوْدِ الحِصان فَغُلاّنِ المَقاطيعِ (٣)
وَقَفْتُ أبكى بها سَحًّا بأرْبَعةٍ ... بمُدْنفٍ بدلِ الأوْصالِ مَرْبُوعِ (٤)
أمْ هَلْ تَصبّتكَ ظُعْنُ الحىّ باكرةً ... بالجزْعِ كالنّخلِ قدْ همّتْ بتَجزيعِ (٥)
فَقُلْتُ للنّفْسِ إذ جاشتْ لبَيْنِهِمُ ... صَبْرًا ويا رُبَّ نُصْحٍ غيرِ مَسموعِ
أخادعُ النّفْسَ عَنْهُمْ وهى خادعتى ... جَهْلاً وما كنتُ عن رأيى بمخدُوعِ
فقُلْتُ لمّا أبتْ نَفْسى مُصاحَبَتى ... دُونَ الخُدوجِ ولم تَسمَحْ بتَشييعِ

---

(١) الجو : ما انخفض من الأرض . والمبيدع : اسم موضع ، ويقال له بالعامية : لِمْبَيْدِيع . المرباب : السحاب الكثير الماء . والمرابيع : الأمطار التى تجىء أول الربيع .

(٢) سقيا : مصدر دعائى . والجرعاء : الأرض ذات الحزونة ، تنبت كل الرمل . والمشاقر : مواضع . والغور : المنخفض من الأرض . والشقيقة : أرض يقال لها بالعامية أشكيكة (بهمزة مكسورة وكافين معقودين أولهما مكسور وثانيهما مفتوح وبينهما ياء ساكنة) والريع : المرتفع من الأرض .

(٣) الشواجن : أعالى الوادى ، واحدها شاجنة . ووادى الحساء : واد بعينه . والغلان : جمع غليل وغال ، وهى منابت الطلح ، وأودية غامضة فى الأرض . والمقاطيع : مآخير الأودية .

(٤) قوله سحاً بأربعة : يعنى أن الدموع تجرى من مؤقيه ولحاظه ، فالمؤق : مايلى الأنف . واللحاظ : مايلى الأذن . والمدنف : المريض . وبدل الأوصال : أى بأوصاله ، وهى عظامه بدل ، وهو وجع المفاصل . ومربوع : أخذته حمى الربع ، وهو أن تأخذه يوماً وتدعه يومين ، ثم تجىء فى اليوم الرابع .

(٥) تصبتك : حملتك على الصبا . والجزع : بالكسر ، منعطف الوادى . والتجزيع : أن يرطب البلح إلى نصفه ، وهذا المعنى مأخوذ من قول امرئ القيس :

أو ماترى أظعانهن بواكراً ... كالنخل من شوكان حين صرام

أُراقِبُ الحىَّ حتى إذ رأيتُهُمُ ... جدُّوا سِراعاً وما عاجوا لتَوْدِيعى
وأجمعُوا والأمرَ أنْ لا وَعْىَ إذ رَحَلوا ... عنْ جانبِ السَّبْخةِ الشرقىِّ ذِى القيع (١)
رَصَدْتُهمْ بالثنايا الخُضرِ أرْقُبُهمْ ... كيما يَقيلوا مَقيلى بعدَ تَفْجيعى
فحادَ بالظَّعْنِ عَنْ قَصدى وَروَّعنى ... حادٍ لهمْ كانَ مَعْنِيًّا بتَرْويعى
مازِلتُ أُتْبِرُ طرْفَ العينِ نحوَهُمُ ... فالعَيْنُ قدْ مَسَّها طَرْحى بتَرْسِيعِ (٢)
حَتى إذا الشمسُ أُلْقتْ فى الظلامِ يداً ... وَجَدَّ أعْـــلامُها منه بتَلفيعِ (٣)
أتْبعْتُهنَّ سَبَنْداةً عَرَنْدَسَةً ... تَنْضُو الجيادَ بموضوعٍ ومَرْفوعِ (٤)
تَرَبَّعَتْ بينَ أصواءِ الثدِىِّ إلى ... خَبْتِ الدَّوِيَّةِ فى غُفْلٍ مَمارِيعِ (٥)
كأنَّهـا لِقوَةٌ شَقْوَاءُ عادِيَةٌ ... لِلصَّيْدِ نُطِّقَ جَنباها بِتَوْلِيعِ (٦)
بَدِينا تَقَحَّمُ فى الظلماءِ جافِلةً ... لاحَتْ لها النارُ بالعَلْيا منَ الرِّيعِ (٧)

---

(١) قوله أجمعوا الأمر : أى اتفق رأيهم . وأن لا وعى : أى لا تماسك دون جانب السخة الشرقى . وذى القيع : هو جمع قاع ، وفى الأصل : ذى القوع ، ولعل ما أثبت أصوب .

(٢) أتبر طرف العين : أتبعه إياهم . والطرح : الرمى . والترسيع : التصاق الأجفان من فساد اعتراها .

(٣) ألقت فى الظلام يداً : بدأت فى المغيب . وجد أعلامها : أى استجدت أعلام الشمس ثياباً جدداً من الظلام . والتلفيع : التغطية ، وهذا المعنى مأخوذ من قول الشاعر :

فتذكرا ثقلا رثيداً بعدما ... ألقت ذكاء يمينها فى كافر

والكافر : الليل ، وقيل : البحر .

(٤) السبنداة : الناقة الجريئة الصدر . والعرندسة : الشديدة العظيمة ، ويقال : جمل عرندس ، وناقة عرندس أيضاً . وتنضو الجياد : تخرج من بينها وتفوتها سبقاً ، والموضوع : أن تخفض رأسها وتسرع ، والمرفوع : سير فوق الموضوع ودون العدو .

(٥) تربعت : أقامت ترعى فى زمن الربيع . والأصواء : جمع صوة ، وهى حجر يكون علامة فى الطريق . والثدى : إما مواضع بعينها ، أو موضع ورد على صيغة الجمع . وغفل : خالية لا علامة بها . ومماريع : كثيرة المرعى .

(٦) اللقوة ــ بالفتح والكسر : ــ العقاب الخفيفة السريعة . والشقواء : العقاب الفاضل منقارها الأعلى على الأسفل . ونطق جنباها : أى تخللها التوليع ، وهو تخطيط من بياض وسواد .

(٧) تقحم : أصله تتقحم : ترمى بنفسها . والريع : التل .

إذا سَجَتْ هَبَّ الرّيح يصْفقُها ... صَفْقاً وألوَىٰ بها ربعُ المَبيديع (١)

كأنّ بالجوّ شِملالاً تصِفُّ بها ... صَفًّا وتقبِضُ من فُتْخِ المَلاميع (٢)

يامُوقِدَ النارِ أوقِدْها فلا شَلَلاً ... لا زَال شِملُكَ مَرْمُوماً بتَجميع (٣)

فدًى لنارٍ هَدَتنى أنتَ تُوقِدُها ... شُبَّتْ بأرْطى وأطلاح وَيَتُّوع (٤)

نارٌ تُشَبُّ بغارٍ فى ذُرَى إضَمٍ ... هدَتْ حُمَيْداً إلى حُورِ المَدامِيع (٥)

والغارُ والنَّدُّ والعَلْياء منْ إضَمٍ ... تَفْدِى اليَتُوعَ وَعَلْياء المَبَيْديع (٦)

مازِلتُ أهْوِى ورأىُ العَينُ يُؤْيِسُنى ... منهـا وَيُطمِعُنى نَصّى وتَرْفيعى (٧)

حَتى أضاءتْ مَهًى صُفْراً ترائبُها ... بيضاً مَحاجِرُها حُمْرَ الأصـابيع (٨)

فيهـا أسَيْماء وا أسَفا لمُخْتَبِلٍ ... يَهذِى بذِكراكِ للهِجْرانِ مَصدُوع

---

(١) سجت : ارتفعت ، والضمير للنار . وهب : شرع . وهب الريح : هبوبها . ويصفقها : يرد ضوءها . وألوى بها : رفعها وأضاءها له . والمبيديع : موضع ، يقال له بالعامية : لِمْبَيْدِيع ، كما تقدم .

(٢) الجو : ما بين السماء والأرض : والشملال : الناقة السريعة ، ونصف بها : أى تكون لها صفاً : وتقبض : تسرع فى طيرانها . وفتخ : جمع فتخاء ، وهى لينة الجناحين . والملاميع : جمع لماعة بالتشديد ، أو لموع ، وهى العقاب السريعة الاختطاف .

(٣) الشلل : تقبض اليد ، وهو هنا مصدر دعائى . ومرموما : اسم مفعول ، من رمه ، أى أصلحه .

(٤) شبت : أوقدت : والأرطى : شجر معروف . والطلح : نوعان من الشجر معروفان . واليتوع : شجر يطلق على سبعة أنواع من الشجر .

(٥) تشب : توقد . والغار : شجر معروف كما يأتى . وذرى أضم : أعاليه ، وعنى بحميد نفسه .

(٦) الغار : شجر عظام له دهن ، وورقه طيب الريح ، يقطع فى العطر : والند : عود يتبخر به ، وقيل هو الغالية . والعلياء : ما ارتفع من الأرض . وإضم : كعنب ، جبل بين اليمامة وضرية ، وقيل هو واد بحيال تهامة ، وقيل غير ذلك .

(٧) قوله مازلت أهوى الخ : يعنى أن مرآها يؤيسه من بلوغها ، لبعدها منه ، وسرعة سيره ، تطمعه ببلوغها . والنص والترفيع : ضربان من السير .

(٨) المهى : بقر الوحش ، وكنى به عن النساء . والمحاجر : جمع محجر ، وهو مادار بالعين .

لمّا وَلَجْتُ عليها الخِدْرَ فانبهرتْ ... والقَوْمَ مابينَ وَسْنانٍ ومَصْرُوعِ (١)
مَدّتْ إليّ على ذُعْرٍ لتَعْرِفَنى ... خُضْباً أيانِعَ أمثالَ اليَسارِيعِ (٢)
فبِتُّ أقْصَعُ من حرِّ الجوى غُلَلاً ... حُمِّلْتُهـا مُنْـذُ أيّامِ اليُنَبْيعِ (٣)
تعرّضَتْ لىَ مُغْتَرّيْنِ وا أسفى ... ففَجَّعَتْنى ولم تَشْعُرْ بتَفْجيعى (٤)
بذى رِعاثٍ رَبيبٍ من مَهًى رَجِمٍ ... أحْوى المَدامِعِ بالجادِىّ مَرْدُوعِ (٥)
فلٌ بالقَلْبِ ماقدْ حَلّ من شَغَفٍ ... من فاجِعٍ مادرى ماخَطْبُ مَفْجُوعِ

وقال أيضاً :

هاجَ المَنازِلُ من نِعافِ عَقَنْقَلِ ... تنوْا كُدَيْلَ عُقامَ شَوْقٍ مُخْبِلِ (٦)
فالرّبعِ ذى العَرصاتِ فالقاعِ الذى ... دُونَ الأجارعِ من أميلِ تَمْرِذَلِ (٧)
دارٌ لمَيْمُونَ التى فعَلَتْ بِهِ ... فَعَلاتِهَا ومَشَتْ كأنْ لم تفعَلِ
دارُ التى سَبَتِ الفؤادَ بِدَلّهـا ... يوْمَ النُّبيكةِ ثمّ يوْمَ المُنْقِلِ

---

(١) الوسنان : الذى كثر نعاسه . والمصروع : الذى صرعه النوم .

(٢) الذعر : الفزع . والخضب : صفة المحذوف ، أى أغصاناً نضرة . يعنى أصابعها . وأيانع : شديدة الحمرة من الحناء . واليساريع : جمع يسروع وأسروع ، وهى دودة ملساء تشبه بها أصابع النساء .

(٣) أقصع : أذهب وأزيل . والجوى : الحرقة وشدة الوجد ، من عشق أو حزن ، والغلل : جمع غلة ، وهى شدة العطش .

(٤) قوله تعرضت لى مغترين : أى التقينا على غير ميعاد ، وهو حال من الفاعل . والمفعول معاً .

(٥) الرعاث : الاقراط ، واحدها رعثة . وربيب : فعيل بمعنى مفعول . ورجم : جبل باجاء ، أحد جبلى طيء . والجادى : الزعفران . ومردوع : ملطخ .

(٦) النعاف : جمع نعف . وهو المكان المرتفع فى اعتراض ، وقيل غير ذلك . والعقنقل : الوادى العظيم المتسع . وتنوا كديل : (بمثناة فوقية مكسورة ونون ساكنة وواو مفتوحة بعدها ألف ولام) اسم بئر . وعقام : شوق ، أى شوق عقام ، وأضيفت الصفة إلى الموصوف ، ومعناه : شديد ، مأخوذ من قولهم : داء عقام ، أى لا يبرأ . ومخبل : مذهب للعقل

(٧) الأجارع : جمع أجرع ، وهو الكثيب ، جانب منه رمل ، وجانب حجارة ، وقيل فيه غير ذلك . والأميل : اسم الجبل من الرمل ، مسيرة يوم طولا ، ومسيرة ميل أو نحوه عرضاً ، أو هو المرتفع منه ، المعتزل عن معظمه . وتمرذل : اسم موضع ، وقع فيه تغيير يسير عن أصله ، ولم يتسن لى تحريره .

صابتْ علائقَ قلبه بسهامِها ... عمداً على عينٍ ولمّا تحفلِ (١)
أصمتْ أخاكِ لوَ انّ مافعلتْ به ... ساء لهُ منْ جُرْح أوْ منْ مَقتَل (٢)
فعمى صَباحاً دارَها ثمّ اسْلمى ... وسقاكِ طوْعَكِ كلُّ غادٍ مُسْبل
عُوجا على الأطلالِ نقْضِ لُبانَةً ... نشكو الهوَىٰ ونُحيّهنّ ونسْألِ
إنّ المَنازلَ لوْ تُجيبُكَ عندَها ... خبرُ المُكتّمِ منْ مَصون الدُّخْلُل (٣)
نصَفَ النّهارُ وصُحبتى يَدْعُونني ... وأنا أسائلُها كمنْ لم يسألِ
فلئن سَقاني مرّةً عِرْفانُها ... أنفاسَ تهمامٍ كطعْمِ الحنظل
فلقدْ أظلُّ بغرّةٍ أسْقى بها ... أشْهى وأطيَبَ منْ رَحيقِ السّلْسل
منْ ظلمِ باسِقةٍ كأنّ أريجَها ... مَشْمُومَ نافجةٍ بماء قَرَنْفُل (٤)
قدْ أكلتْ ماشئتَ إلا أنها ... عِشرون منْ أعوامِها لم تكمل
ولقدْ قعدْتُ إلى الصباح لِناعجٍ ... مُتَخَمّط هَزِمِ الهَديرِ مُجَلْجِل (٥)
يَحْدُو بأبكارٍ هَجَائن دُلّحٍ ... كُومٍ خرائعَ كالجمالِ البُزّل (٦)

---

(١) صابت وأصابت : واحد ، وعلائق : جمع علاقة ، والضمير فى قلبه يعود عليه هو نفسه . وعمداً على عين : أى تعمدته بجد ويقين ، وهذا مأخوذ من قول خفاف بن ندبة السلمى :

فان تك خيلى قد أصيب صميمها ... فعمداً على عين تيممت مالكا

(٢) أصمت أخاك : قتلته أول وهلة . وساء له : أى مسيء له .

(٣) الدخلل : النية والمذهب .

(٤) الظلم : ماء الأسنان . وباسقة امرأة تشبه الباسقة ، وهى السحابة البيضاء الصافية ، والعرب تشبه النساء بالسحائب . والأريج : الرائحة الطيبة . والمشموم : المسك . والنافجة : الرائحة التى تنفح .

(٥) الناعج : السحاب المسود من كثرة مائه . ومتخمط : يشبه رعده تخمط الجمل ، أى هديره . ومجلجل : مصوت .

(٦) يحدو : يسوق . والأبكار : الفتيات من الإبل ، شبه بها السحائب . ودلح : جمع دالحة ، أى مثقلة بالماء . وكوم : جمع كوماء ، وهى عظيمة السنام . وقوله خرائع الخ : كذا فى حفظى ، ولست على يقين من صحة آخر هذا البيت ، لأن عهدى به طال ، وإنما كتبته لئلا يبقى ناقصاً .

مازالَ يَنْدَهُها فلما أنْ عَلا ... تَرْقَى إلى بَطن النشير فأيْمَل[١]
ألقى بَوَانِيَهُ بهنّ مُعَرّساً ... ثمّ ٱنتحى بجرانه والكَلْكل[٢]
يسقى الذِّراعَ فتيجريتَ مُدَوّما ... مَنْ خَبْتِ عَيْشَ إلى مَدافع تنْضُل[٣]
وغدا بها نحوَ الزّقالِ فتيرسٍ ... يَقضى منَ التسحاح مالم يفعلِ

وقال أيضاً :

حَيّ منْ ساحةِ المبيْديع دُورا ... جَنْبةَ الرّيع قدْ دَثَرْنَ دُثُورا
قدْ أضرّ البلى بهـا غير لَوْح ... منْ رُسُـومٍ تَخالُهنّ زَبُورا
وبقايا منَ أرْمِداتٍ تقيهـا ... خالداتُ الصّفا الصّبا والدّبُورا[٤]
حَبذا هنّ منْ معـاهدَ لولا ... أنّ للدّهْرِ عَثْرَةً وحُبُـورا
فقِفا وٱبكيا وعُوجا وَجُودا ... بمصُونِ الدّموع جَوْداً مَطُورا
وإذا مالم تُسـعِداني فمُوجا ... إنّ غَدْراً أن تمنعَانى المُرُورا

---

(١) قوله : فلما أن علا ترقى : أى صار فوقها . وترقى : مغيرة عن أصلها المتعارف عند العامة ، وهو تارْك (بمثناة فوقية بعدها ألف وراء ساكنة وكاف معقودة) والنشير : مغير كذلك ، وهو : لِينشير (بهمزة مكسورة بعدها ياء ساكنة ونون ساكنة أيضاً وشين مكسورة وياء ساكنة وراء مكسورة) أرض مستوية ، عرضها مسيرة يوم ، وأما طولها فانه بعيد المساحة . وأيمل : مواضع ، يقال للواحد منهـا أمليل ، بمدة بعدها ميم ساكنة ولام مكسورة وياء ساكنة ولام .

(٢) ألقى : رمى ، وهو جواب لمـا . وبوانيه : أضلاعه وصدره ، وقيل الاكتاف والقوائم ، الواحدة بانية ، والمعنى : أنه ألقى ثقله . ومعرساً : وقت التعريس ، أى آخر الليل . وانتحى : اعتمد . وجرانه . مقدمه ، مأخوذ من جران الجمل ، وهو من مذبحه إلى منحره . وكلكله : صدره .

(٣) الذراع : موضع بعينه . وتيجريت ــ بكسر المثناة الفوقية وسكون التحتية وكسر الجيم والراء وسكون التحتية أيضاً وبعدها تاء ــ موضع بعينه . والخبت : المكان المتسع . وعيش : اسم أمة ، سميت باسم الأمة ، لأن هـذا اللفظ فى أرض الصحراء ، يكثر فى أسماء الإماء . والمدافع : المسائل ، واحدها مدفع . وتنضل : موضع أيضاً ، وهو مغير عن أصله .

(٤) أرمدات : جمع إرمداء ، بمعنى الرماد ، وهو اسم جمع ، وقيل مفرد ، ولا نظير له إلا أربعاء ، والأشهر فيه ، كسر الهمزة . والخوالد : الأثافى ، سميت بذلك لبقائهـا بعد دروس الأطلال .

إنَّ عِندِى لها إذا لم تُعينـــا مِقْوَلا مُسْعِدًا وَجَفْناً دَرُورَا
وفؤاداً على صُرُوفِ الليـالى وانْصِرافِ الصِّبا لِجُمْلٍ ذَكورا
إنَّ جُمـلاً مَتى تُلِمَّ بجُمْـلٍ تَلْقَ جَيْدانةً عَرُوباً ذَعُورا
أوْحَشَ النِّيشُ بعدَ أترابِ جُملٍ ولقدْ كان آهِـــلاً مَعْمُورا(١)
فإلى الرَّقمتينِ منْ مُنْحنى المَوْ جِ بحيثُ الصَّفا يرى التَّيْثورا(٢)
فالدِّيَارُ التى بجَنْبِ قُدَيْسٍ عادَ مَعْسُورُ خَيْفِهـا مَهْجورا
فَلنا فى لِوَاهُ أيَّامُ عِيـــدٍ عَزَّ منْ قدْ بدا بهنَّ الحضورا(٣)
حِينَ إذ جُمْلُ منكَ غيرُ بعيدٍ لا يُغْنيكَ أنْ ترى أو تزورا
حِينَ إذ هِىَ بالبنات تَلَهَّى يا لَهَـــا شادِناً أغَنَّ نَفُورا
وإذا رَيْتَ ثمَّ رَيْتَ نَعيما طابَ ما شئتَ لذَّةً وحُبُورا
قدْ قضينا به نذورَ التَّصـابى وتَغَيَّرْنَ منهُ فيـهِ الخُمورا
وتمتَّعْتُ منْ جناهُ ولـكنْ ما مَتاعُ الحيـاةِ إلا غرُورا
درَّ دَرُّ الشبابِ من خدْنِ صدْقٍ غيرَ أنى ظننتُ أنْ لنْ يحُورا
إنَّ فى القلبِ منْ جَنَاهُ عُلالاً تِ أتى الشيْبُ دُونَها والنُّذُورا

قال أيضاً :

أقُولُ لِرَاعِ الذَّوْدِ بينَ شُلَيْشِلٍ ولَبَّةَ والعَيْنَـــانِ تنْهمِلان(٤)

---

(١) النيش : بكسر النون مشددة وياء ساكنة بعد شين معجمة : اسم جبل .

(٢) الرقمتان : تثنية رقمة ، وهى الروضة . ومنحنى : منعطف . والموج : موضع بعينه ، وليس هو الموج الذى يكون فى البحر : والصفا : جمع صفاة . والتيثور : الأنسب فيه يكون موضعاً ، والله أعلم .

(٣) عز : غلب . ومن بدا : من قد أقام بالبادية . والحضور : جمع حاضر ، أى مقيم بالحضر .

(٤) شليشل — بشينين معجمتين أولاهما مضمومة والثانية مكسورة وبينهما لام مفتوحة وياء ساكنة — موضع ، أظن أن اسمه الأصلى . آشليشل — بمدة وشين ساكنة الخ — ولبة : بلام مفتوحة وباء موحدة مشددة وهاء تأنيث ، موضع مشهور .

أياراعيَ الذَّوْدِ الهجائنِ قِفْ مَعي ... سقاكَ حَيٌّ ذو أَجَشَّ يمانِ
ولا زِلتَ في عَرْجٍ تُنَتِّجُ بكْرَهُ ... وجُلَّتَهُ ذا ثَرْوةٍ عكَنانِ (١)
أسائلُ عنْ حيِّ الشقيقةِ إنني ... وإيَّاكَ يا راعِي لِمُسْتَلانِ
فقالَ انْتموا لِلْموجِ واحْتثَّ ظَعْنَهمْ ... غُدَيَّةَ حادٍ ليسَ بالمُتوانِ
فكلَّفْتُ همّي إثْرَهُمْ ذا عُلالةٍ ... خَبيرٍ بنصِّ الوخْدِ والذَّمَّلانِ
به ظلعانٌ مُستبانٌ ومَنْ يجدْ ... كوَجدِيَ لا يلوى على الظَّلَعانِ

وقال أيضاً :

أخيراً سَرتْ بَعدَ الهُدُوِّ بلا بُلْهْ ... فلا هَمَّ إلا دون هَمٍّ يقاتِلُهْ
لِشَيْمِ بُرَيْقٍ لاحَ من نحوذي الغضا ... كلَوْحِ الضِّيَاءِ المُستطيرِ نَحائِلُهْ
وتَذكارُ أيامِ المُبيديعِ شاقني ... ألا حبَّذا أيامُهُ ولياليْهْ
عفا النيشُ ممنْ هُوَ بالأمسِ آهِلهْ ... مَخارِمُهُ فسفحُهُ فمجادلُهْ (٢)
فَسُهْبُ الكديدِ فالغُشيواءُ فاللَّوَى ... لِوى الساقِ بعد الأنسِ قَفْرٌ منازلُهْ (٣)
فَرأسُ الذَّرِيعِ فالطويلةُ فالأضا ... أضاءَ الغُوَيْرِ فالذراعُ المقابلُهْ
فَوادي النَّعامِ مُقفرٌ جلَهاتُهُ ... ففَرْشُ الخليجِ سَهْلُهُ فضلاضِلُهْ (٤)
فمُهدَةُ فالغُلانُ منْ ذي محارةٍ ... فخيشومةٌ قِيعانُهُ فسائلُهْ

---

(١) العرج : تقدم بيانه . والجلة : المسان ، ضد البكر . وعكنان : محركة ، كثيرة ، والأكثر تسكينه .

(٢) النيش : جبل معروف . ومخارمه : جمع مخرم ، وهو طريقه . وسفح الجبل : عرضه المضطجع ، أو أصله أو أسفله ، أو الحضيض . ومجادله : جمع مجدل ، وهى الأرض ذات الرمل الرقيق ، وكثيراً ما تكون الجبال بالصحراء ، بأسفلها الرمل الدمث .

(٣) قوله : فسهب الكديد فالغشيواء الخ : كل هذه أسماء مواضع .

(٤) الفرش : الفضاء الواسع . والخليج : موضع اسمه بالعامية لخليج (بلام مكسورة وخاء معجمة ساكنة) والسهل : مالان من الأرض . والضلاضل : جمع ضلضل ، كقنفذ وهو المكان الشديد ذو الحجارة .

منازلُ لو غَيْلانُ ميَّةَ شاهِدٌ ... بها إذ صِبانا لا تَرُوعُ غوائلُه[١]
لما اسْتَحلبتْ عينيهِ يوماً محلَّةٌ ... بحُزْوى ولا جَوّ الملا وجُلاجُلُه[٢]

وقال أيضاً :

عندَ الأُخَيْضِرِ مايشفيك لو نَطقا ... فخيِّهِ حَيِّهِ منْ أجلِ ماسبقا[٣]
إذْ كان يحملُ أمَّ المؤمنينَ لدى ... إنيا شَوانَ تَرىٰ فى سيْرِهِ عَنقا[٤]
بينَ الظعائن لا أدْنُو لواحِدَةٍ ... حتى إذا جُمِلَتْ مَطيُّها حِزَقا
أبدىٰ التفرُّقَ ماقَدْ كنتُ أكتمهُ ... وعُجْتُ نَحْوَ التى أهْوى بها يقَقا[٥]
أمْشى بجانبها حتى إذا رَفَعتْ ... يدَ السِّياطِ كما يجلو السَّنا غَسَقا
أرْمى بنَظرةِ عينٍ لا اضْطِبارَ لها ... منْ فَرْجةٍ صَغُرتْ من سجفها سَرَقا
إلى خُصورٍ لها مثلِ الجديلِ ترى ... إذا نظرْتَ لها من بينها عَرَقا
أمْسَتْ أميْمُ لدىٰ دامانَ منزِلُها ... سقاهُ كلُّ مُلِثٍّ يحملُ الودَقا[٦]

وقال أيضاً :

ولمَّا رأينا منزلا كان قبل ذا ... مَصيفاً لأُمِّ المؤمنينَ ومرْبَعا
تداعتْ دواعى الشوْقِ منْ كلِّ وجهةٍ ... فأذْرَيتُ دمعَ العين مثنى ومرْبعا

---

(١) لا تروع : تفزع : وغوائله . أموره المهلكة ، يعنى أنهم لا يأتون مالايستحسن فى صباهم .

(٢) حزوى : موضع بنجد فى ديار تميم ، وقيل هو حبل — بالحاء المهملة — من حبال الدهناء ، وهو كثير فى أشعار ذى الرمة . والجو : ما انخفض من الأرض . والملا : قيل هو قرية بنجد ، وقيل رمل به ، وقيل هو مدافع السبعان . والسبعان : واد لطيء بين أجاء وسلمى .

(٣) الأخيضر : اسم جبل .

(٤) إنياشوان — بكسرة الهمزة ونون ساكنة وياء مفتوحة بعدها ألف وشين معجمة مفتوحة وبعدها واو مفتوحة أيضا وبعدها ألف ونون — إسم موضع .

(٥) يققا : أى جملا أبيض مشهور ، ويقال أبيض يقق ، أى شديد البياض .

(٦) دامان : موضع مشهور ، ويقال له قرارة دامان ، وهو جد قبائل من النارزة .

وقال أيضاً :

حىّ المَنَازِلَ بالكَدِيدِ الأحمرِ ... بالجَنبِ منْ طورِ الحِصانِ الأيسرِ
أمسى الكَديدُ طواسماً أعلامُهُ ... قَفْرَ المحلّةِ يالهُ منْ مُنْفِرِ
ولقدْ أراهُ وهوَ ذو مُتوسّمٍ ... تَندى أصائلُهُ أنيقَ المَنظرِ
كانَ الكَديدُ من آلِ الأصفرِ آهلا ... فاليومَ أوْحَشَ بعدَ آلِ الأصفرِ
ما أنسَ لا أنسى أصيلا بنتَهمْ ... بينَ العذارىٰ عاطلا فى مئزرِ
بَرزَتْ بجيدٍ جدايةٍ مذعورةٍ ... وبكشحِ جازئةٍ وعينى جُؤذُرِ
إنْ كنتَ تَدْرِيها الغداةَ فإنها ... صادتْ فؤادكَ وهى لمّا تَدَّرِ

وقال أيضاً :

سَرَتِ الجَنوبُ ولاحَ لى برْقُ ... صَوْبَ الخليجِ فعادنى أرْقُ (١)
يخفو فيطرِبُنى وليسَ سِوىٰ ... خَفقِ الفُؤادِ لخفقِهِ خَفْقُ (٢)
فكأنما تَحْدُو بوارِقَهُ ... خَيلٌ تَجُولُ جَلالَها بُلْقُ
قدْ لاحَ مُستَحراً فقلتُ لهُ ... رأسَ الذُّرَيعِ أيُّها البَرْقُ
فأسقِ المُقَيلةَ فالطويلةَ فالْ ... إفلاجَ حيثُ تَصرَّمَ العَرْقُ (٣)
جادَ الذُّرَيعَ ذو جَدىً هَمِرٌ ... يُرْويهِ لا رَنِقٌ ولا طَرْقُ
ياحبذا دَوْحُ الذُّرَيعِ ذى الظل الظليل وَرَمْلُهُ اليَلْقُ (٤)
بلْ حبّذا عينٌ تقيّلهُ ... بيضُ التّرائبِ خُرَّدٌ عُتْقُ
يَعْكُفْنَ ضحواً فى مكانِسِهِ ... فَطريقُهنَّ لِفيئِهِ دَعْقُ (٥)

---

(١) الصوب : القصد . والخليج : موضع . وأرق : أصله أرق بالتحريك ، وسكنه ضرورة .
(٢) يخفو : يلمع ، يقال خفا البرق : أى لمع .
(٣) المقيلة والطويلة والأفلاج : مواضع .
(٤) اليلق : الأبيض ، وهو فى الأصل محرك وسكنه ضرورة .
(٥) الدعق : الذى دعقته الأقدام ، أى به آثار من ترددهن .

حتى إذا ما الشمسُ قدْ جَنَحتْ ... وأجْتابَ جِلْبابَ الدُّجى الأفق
رَجَعَتْ تَجُرُّ الرَّيْطَ رائحةً ... لِلطيبِ منْ أرْدَانِها عَبَقُ
وتَرُوحُ عائشُ بينَهُنَّ كما ... قدْ ذَرَّ بيْنَ سحائبٍ شَرَقُ
رَقْراقَةٌ جَيْـــدانةٌ أنُفٌ ... لِلزَّعْفرانِ بنَحـرِها شَرَقُ[1]
لم تعْدُ عَشْراً وأثنتين مَضتْ ... وسَما بها عنْ تِرْبِها العِتْقُ
تَجْلو ثَمانًا هلْ رأيتَ بَنَا ... تِ الغيْثِ وَيْكَ لِظلْمِها بَرْقُ[2]
وكأنّ رِيقَتَها إذا وسَنتْ ... صَهْباءُ أنْحلَ جِرْمَها الصَّفقُ
وكأن رَيَّاها إذا نشأتْ ... نَشْرُ الخُزامِ جَلا بها الوَدْقُ
أبصرْتُها مُغْتَرَّةً فكأنْ ... هَتْكَ السِّقافَ مَعابلٌ زُرُقُ
راحتْ ورُحْتُ سليمةً وصِباً ... أوْ مثلَ ما منْ يفعلِ العشقُ[3]
إنْ لا يكنْ سَعْدُ السُّعودِ إذاً ... فله السُّعودُ جميعُها أُفقُ
كم دُون عائشَ قدْ تَعَرَّضَ منْ ... فَجٍّ تُصيبُ أفِجَّةٌ عُمُقُ
هلْ تُبْلِغَنّي دارَها أجُدٌ ... زَيَّافةٌ فى مشْيِها خُرُقُ[4]
تَغتالُ أعْـاقَ الفِجاجِ إذا ... أمْسى تَغـوَّلَ غَوْلُهُ الخَرَقُ

وقال أيضاً يتألم من كثرة التيمم فى الناس ، وقلة الوضوء :

---

(١) الرقراقة : المرأة التى كأن الماء يجرى فى وجهها ، وقيل هى براقة البياض . والجيدانة : طويلة الجيد . وأنف بكر : مأخوذ من روضة أنف ، لم ترع .

(٢) تجلو ثمانا الخ : الأكثر أن تقول تجلو ثمانياً ، كما تقول : رأيت قاضياً ، وقد تعرب ثمان على النون كقوله :

لها ثنايا أربـع حسان ... وأربـع فثغرهـا ثمان

(٣) قوله : راحت ورحت الخ ، سليمة : خبر راحت . وسليما : خبر رحت ، ومن هنا زائدة .

(٤) الأجد : بضمتين ، الناقة القوية ، أو هى الناقة الموثقة الخلق ، ومتصلة فقار الظهر . وزيافة : تتبختر فى سيرها . والخرق : الهوج .

أهاجَكَ رَسْمٌ بالغُشَيْواءِ ماثلُ ... كما لاحَ جفنُ السَّيْفِ وَالسَّيفُ ثامل (١)

ومَغْنىً بميثاءِ القرارةِ بعثَرَتْ ... مَعالِمَهُ هُوجُ الرّياحِ الجَوافِلُ (٢)

وقفتُ بها فاستَجهلتنى رُسومُها ... وما الجَهْلُ إلا ما تهيجُ المَنازلُ

فدعْ ذِكرَ أيّامِ الشبابِ فذِكرُهُ ... أخيرٌ وقدْ ولّى ضلالٌ وباطلُ

ولكنْ إلى الرَّحمنِ فاشْكُ مُصيبةً ... ألمّتْ بنا ما إنْ إليها المَعاضِلُ (٣)

مُصيبةُ دينِ اللهِ أمسى عِمادُهُ ... كمنفوسِ حُبْلى غرّقتهُ القوابلُ (٤)

تظاهرَ أقوامٌ عليهِ فطمّسُوا ... هُداهُ فهمْ عادٍ عليهِ وخاذلُ

فحسّانُ عادٍ والمُهدَّى بهَدْيِهِ ... وجُلُّ الزّوايا فيهِ عنهمْ يُجادلُ (٥)

يُجادلُ عنهمْ ذِلّةً وطباعةً ... ألا لُحيتْ تلكَ اللّحى والحواصلُ

فهمْ يدّعون الدِّينَ والدينُ منهمُ ... مَناطَ الثريا رامها المُتناولُ

يُصلّون لا يأتونها بطهارةٍ ... وعندَ الأذانِ نَوْمُهمْ مُتكاسلُ (٦)

يُصلّون دأباً بالترابِ جَهالةً ... بأفواهِهمْ تُرْبُ الحصى والجنادِلُ

يقولونَ مَرْضى هلْ سمعتَ بأمةٍ ... بها مَرَضٌ قدْ عمّها لا يُزايلُ

نَعمْ مرضُ القلبِ المُعدّ لأهلهِ ... بهِ درك النارِ الحِرارُ الأسافلُ

وأما تكاليفُ الرّجالِ التى أتتْ ... منَ اللهِ آياتٌ بهنّ نَوازِلُ

---

(١) الغشيواء : اسم موضع . وماثل : لاطىء بالأرض ، يقال مثل الرسم إذا بان ، وبالعكس فهو من الأضداد . وجفن السيف . غمده : والثامل : القديم العهد بالصقال .

(٢) الميثاء : الأرض اللينة كما تقدم . والقرارة معروفة : وبعثرت : فرقت وبددت ، وقلبت بعضها على بعض . والمعالم : جمع معلم . وهوج الرياح : جمع هوجاء ، وهى التى تقلع البيوت كما تقدم . والجوافل : العاصفة .

(٣) المعاضل : جمع معضلة ، وهى المسألة الصعبة ، أى لا تساويها المعاضل .

(٤) يعنى بعماد دين الله : الصلاة ، لما يأتى من إضاعتهم لها بترك الوضوء .

(٥) حسان : تشمل قبائل من أهل الصحراء ، وهم أهل الشوكة فيها . والزوايا : قبائل أيضاً ، وهم أهل العلم والدين فيها .

(٦) النوء : النهوض.

فقدْ أغفلوها مُستحلّين تَرْكَها ... وقدْ أغفلوها فهىَ منهمْ بواهلُ[1]

خلَوا أماناتِ الإلهِ وعَهْـدَهُ ... وما اللهُ عما يعملُ القومُ غافل

ويبكونَ أنْ ضلّ البعيرُ سفاهةً ... وأنْ تظمأ الشُّولُ الجوازى الأوابل[2]

وأنْ تَقِفَ البَيْهُورُ عندَ وُرُودها ... هُناك التّبـكى مِنهُمُ والتقاتُلُ

فَهلاّ على الدينِ الحنيفِ بكيْتُمُ ... فلا رقأتْ تلك الدُّموعُ الهوامِلُ

لِيبكِ لدينِ اللهِ منْ كان باكياً ... فقدْ قُطعتْ منهُ العُرى والوسائلُ

ولم يحْمِ دِيناً مُستباحاً حَريمُهُ ... منَ المعتدى إلا القنا والقنابلُ[3]

وفِتيانُ صِدْقٍ صابرون لربهمْ ... يُحامون عنه وهو عنهمْ يُناضلُ

يَحُشّون حَوْماتِ الوغى بنفوسِهمْ ... إذا هابها الثّبْتُ المِحَشُّ المُباسل[4]

وقال أيضاً :

أولى له أنْ يريبه الهمُّ والشَّجنُ ... إذْ لَمَّ للظَّعْنِ يَوْمَ الرحلةِ الظَّعنُ

أشكو إلى اللهِ مالاقيتُ بعدَهُمُ ... غُدَيَّةَ المَوْجِ لمّا أعْرَوْرَفَ الظعنُ

وضحضَحَ الآلُ بالمَعْزاءِ دونَهُمُ ... كما تـكَفّأ وَسْطَ اللُّجةِ السُّفُنُ

وفى الحُمولِ بخَنْدَاةٌ مُخـدَّرةٌ ... ماشانَها خَوَرٌ فيهـا ولا دَنَنُ[5]

كسْلَى منَ اللأْءِ تُمسى وهى نائمةٌ ... إذا نفى النَّوْمَ عنْ جاراتِها المَهَنُ

---

(١) بواهلُ : مهملة ، من قولهم ناقة باهل ، لاصرار عليها ، يحلبها من شاء .

(٢) الجوازى : جمع جازئة ، وهى التى اجتزأت بأكل الرطب عن الماء : والأوابل : التى تركت ترعى من غير راع .

(٣) القنا : جمع قناة . وهى الرمح . والقنابل : جمع قنبلة ، وهى الطائفة من الناس ، ومن الخيل .

(٤) الوغى : فى الأصل تقال للأصوات فى الحرب ، والمراد الحرب نفسها . وحومتها : معظمها . والثبت : كثير الثبات فى الحرب . والمحش : الذى يحش الحرب ، أى يسعرها ويهيجها ، مأخوذ من حش النار ، بمعنى أوقدها .

(٥) الخنداة : المرأة التامة القصب . والخور : الضعف . والدنن : محركة ، الانحناء فى الظهر .

أمّا ومنْ حَجَّ أرْبابُ الحجيج لهُ وحيثُ تُنْحَرُ عِندَ المَشْعرِ البُدْنُ
لولا أُمَيْمَةُ والماء النَّميرُ وما منْ طابةٍ طابَ إذْ يجرى النَّدى الوهَنُ
لمَا تَبِعْتُ حُدُوجاً بالمَطىّ ولا باليْتُ ماجرَّ منْ إحداثهِ الزّمنُ

ولهُ أيضاً :

بتُرارين مَرْبَع للـرّبابِ حَسنٌ لوْ أبانَ نُطْقَ الجوابِ[1]
وبآمِلٍّ حَوْلهُ رَبْعُ سَـلْمى صَيَّرَتْهُ اللّيـال رَقْمَ الـكتاب
أقفرَ اليوْمَ من سُعادَ وسُعدى لُجَّ ياقلْبُ فى شَجىً واكتئاب

وله قصيدة من بحر الخفيف ، ولم يبق فى ذهنى منها إلا بيت واحد وهو :

بكَرَ العـــاذلاتُ باللّوْماءِ رُبَّ لوْمٍ أحثُّ منْ إغراءِ

وليس هو مطلعها ، ومطلع قصيدة يمدح بها بكار بن أسويد أحمد شيخ إدوعيش :

بكّارُ إنّكَ رَوّاحٌ وَبكّارُ لِلمَكرُماتِ وَنَفّاعٌ وضَرّارُ

وله من قصيدة ، يرثى بها العلامة مولود بن أحمد الجواد الآتى بعده . ومطلعها :

أقولُ لمّـا نعى النّاعُون مَوْلودا نَعَيْتُمُ العِلمَ والمعروفَ والجودا
نعى النُّعاةُ الجوادَ ابنَ الجوادِ ومنْ أمسى به الضيفُ بعدَ الجدّ مَجدودا
نعى النُّعاةُ الجوادَ ابنَ الجوادِ فقدْ أضحى الفؤادُ لنعى الجودِ مَعْمودا
ومنْ إذا الهمُّ ضافتْـهُ بلابلُهُ كان القِرى أنْ يَنُصّ الضمرَ القُودا
ومنْ إذا آثرَ المُنجابُ منْ خَورٍ نَوْماً ودِفءٍ تراهُ يألفُ البيدا
على تِنِجّنْ ألِمّـا تبكيانِ بها صنديدَ مجدٍ لأشياخٍ صَناديدا[2]
كم شَنٍّ مَصْرَعُهُ من دَمْعِ باكيةٍ مِنّا وباكٍ لهُ لم يُبقِ مَجلودا

---

(١) ترارين — بضم التاء وفتح الراء الأولى وكسر الثانية وبينهما ألف — موضع ، وهى غير ترين القريبة من مقطير .

(٢) تنجن — بكسر المثناة الفوقية وكسر النون وتشديد الجيم مفتوحة وبعدها نون ساكنة — موضع به قبر مولود المذكور .

ومنها :

دَعِ الحواصِنَ يَندُبْنَ الهُمامَ فلا ... عُدَّتْ من البيضِ من لَمْ تبكِ مَوْلودا
يَندُبْنَ نَدْباً أبيَّ الضَّيْم ذا فخرٍ ... حُلْوَ الشمائلِ فى العَزّاءِ محمودا
قد كان للمَجْدِ والعَلْياءِ مَشْهدُهُ ... رُكْناً فأصْبَحَ رُكنُ المَجدِ مَهدودا

ومنها :

يا رَبَّنا أوْلِ منْ نُعْمَاكَ مَوْلودا ... عَفْوًا وظلاًّ من الفِرْدَوْسِ ممدودا
وَأوْلِهِ الماءَ مسكوباً وفاكهةً ... والسِّدْرَ والطلْحَ مخضوداً ومنضودا

وقال أيضاً :

لا القلْبُ عنْ ذكرِأمّ المؤمنين سلا ... ولا أرى عاذلاتى تتركُ العَذلا
بلْ لا أرى لَوْمَ من يَلْحُو ومن عذلا ... الاّ يزيدُ علىَّ الهمَّ والخبلا
ولا أرانى أرى رَسْماً ولا طللا ... إلاّ وساءلتُ عنها الرسْمَ والطلا
هى التى أنا لا أبغى بها بدَلا ... منْ غِيدِ عَثْمةذاتِ الضّالِ من أجلا
هى التى لِلقاها أفْرَحُ الجَذَلا ... ونَيلىَ الوصلَ منها نيلَ الأمَلا
هى التى ألبسَتْ غِيدَ الورى الخجلا ... وتحتَ أخماصِها اليافُوخُ من زُحلا
فإنْ تكنْ تبتغى أن تُدْرِكَ الأملا ... فَلْتَتبعْ حَيَّها أيّان ما ارْتحلا
وأرْحلْ مراحلهُ واعملْ كما عمِلا ... وأنْزِلْ منازِلهُ أيّان ما نَزَلا

ومنها :

أرى غيرَ ما حمّلتنى جَلَلا ... ولا أرى غيرَ ما حمّلتنى جَلَلا[1]
فمنْ يكنْ سالياً عمّنْ يُحبُّ فَلا ... ذا القلْبُ عن ذكرِأمّ المؤمنين سلا

(١) جللا : الأول بمعنى خفيف . والثانى بمعنى ثقيل

وله أيضاً من أبيات :

لجَّ فى دائهِ القـديمِ المُعَانى منْ جُنونِ الصّبا وَلاَتَ أوانِ[1]
لجَّ فى غيـهِ فلَجَّ بهِ الهَجْـــرُ لِعِرْفانِ دارِسـاتِ المَعَانِ

وله أيضاً :

حَىَّ بين النقـــا فآدُ كمارِ أرْبُعاً قد بَلينَ مُذْ أعصارِ[2]
أرْبُعاً منْ مَلاعبِ البيضِ أمستْ مَلعباً لِلرّياحِ والأمطـــارِ
أرْبُعاً فى الحشى حَشَشْنَ أواراً منْ قديمِ الهوىٰ لِأعْوَيْشَ وارِ

إلى هاهنا ، تمّ ما تسنى من شعر نابغة شنقيط ، وما عثرت له على قصيدة وفاتتنى كلها ، إلاّ قافية فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم ، رأيتها مرة واحدة عند شخص ، وكان الوقت ضيقاً .

﴿ مولود بن أحمد الجواد ﴾ : ويعرف بأحمداً جويد ، بالتصغير العامى .

هو العلامة النحرير ، اللغوى الشهير ، أحد أعلام تلك البلاد ، و إليه المرجع وعلى أقواله الاعتماد . وكان مشهوراً بسرعة الجواب ، مرهوب الجناب ، نزل يوماً عند العلامة الصالح ، ولى الله أحمد بن العاقل الديمانى ، فلم يقابله بنفسه إلا بعد بطء ، فعاتبه على ذلك ، فصرّح له بأن السبب تمزيقه لأعراض المسلمين ، فقال : إنهم يبدءونى فأنتقم . وتلا قوله تعالى : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما أعتدى عليكم » فعارضه الشيخ بآية ، لم تحضرنى الآن . فقال له : أنتم إذاً تؤمنون ببعض الكتاب ، وتكفرون ببعض .

وتكلم رجل فى مجلس هو فيه وقال : هذا لايمكن ، وفتح حرف المضارعة ،

(١) المعانى : المماطل .
(٢) آدكمار — بمدة بعدها دال مفتوحة وكاف ساكنة وميم بعدها ألف وراء ساكنة — موضع بعينه ، أو جبل .

فقال : هو لايمكن لايمكن ، ففتح أولا على الحكاية ، وضم ثانياً ليوضح غلطه ، وقال رجل أيضاً : هذا يَزرى بالمروءة ، وفتح حرف المضارعة . فقال له : يَزْرى بالمرو والمروءة يُزْرى بالمروءة ، ففتح حرف المضارعة أولا على الحكاية ، وضم ثانياً ليبين خطأه . وهذا رحمه الله وقع منه على طريق التبكيت لذينك الرجلين . وقد وقع منه هو ماينا قض هذا ، فقد خطأه يوماً إنسان ، وكان يقرأ ، فقال له : أتريد منى أن أجمع لك بين القراءة والإعراب ، إقرأ أنت ، وانظر ماأخطئك أنا فيه ، وهذا هو الصحيح . فإن محمد بن يزيد المعروف بالمبرد ، لحن يوماً فى مجلس أحد الخلفاء ، فعاب ذلك عليه ، وقال له : كيف تلحن وأنت إمام اللغة ، فقال له : إن الفصاحة فى حقنا تكلف ، فإذا جريت على الطبع ألحن ، وإذا أحضرت ذهنى لاألحن ،فاستحسن ذلك منه ، ولو استحضر هذه الحكاية بعض العلماء فى مصر ، كان أحسن لهم ، فإنى كثيراً ماحضرت فى مجالس بعض أفاضلهم ، الذى تتردد عليه العلماء ، وله عليهم الفضل الوافر ، فإذا قرأ فى كتاب ، تراهم يردونه من غير أن يعهد إليهم ذلك ، ولا بد أنه يتأثر فى الباطن ، لأنه تجهيل له فى الحقيقة ، ولله در القائل :

ومصلح الشكل لدى حكايه غـير حديث المصطفى والآيه
من غـير إذن منه أو قرينه قد فاته الأدب والسكينـه

ومن أجوبة مولود الحاضرة ، أنه كان فى مجمع من أهل الفضل ، وكلهم غرباء . وكان ذلك فى شهر رمضان ، فى آخر ليلة منه ، فخرجوا ينظرون الهلال ، فقال مولود : يارب صائمه لن يصومه ، وقائمه لن يقومه ، كلمة ، كانوا يقولونها عند انقضاء رمضان ، فقال أحد الحاضرين : من هذا الذى لم يبلغ حروف الجر فى الألفية ، فقال مولود : من ذا الذى لم يتجاوز حروف الجر إلى مابعدها ، يشير الأوّل إلى قول ابن مالك فى حروف الجر :

وأخصص بمذ ومنذ وقتـا وبرب منكراً والتـاء لله ورب

و يشير مولود إلى قوله فى الاضافة :

وإن يشابه المضاف يفعـــل وصفا فمن تنكيره لايعزل

المراد بمشابهته ليفعل ، كونه للحال أو للاستقبال ، وكان مولعاً فى شعره بالمعانى البعيدة التى تشبه اللغز . ومن ذلك قوله :

أيها الناس للصلاة أقيموا وأستعينوا بها على كل بوس
قدّموها وأخروا ماسواها إنها فرض عين كل أنيس
قدِّموها وأخروا ماسواها لايصلى الصـــلاة غير مجوسى
هى ليـــلاى فرتنـاىَ ربابى هى جملى وميتى وليسى

معنى : لايصلى الصلاة غير مجوسى ، لايمتنع منها و يوليها بصلاه إلا المجوسى ، والصلا : وسط الظهر . ومن معانيه الغريبة ، قوله وكان خرج فى طلب نوق له ضلت :

فما هبةُ الصعلوك حيثُ الأصابع وتهجيرُ من شُمّ الجبالِ الينابع
بأصْعَبَ منْ وجدانِ نوقٍ تتابعتْ على إثْرِها مَرُّ الرياح لزعازِع[1]

قوله : حيث الأصابع ، بمعنى منقبضها ، كناية عن بخله ، كما قال الحريرى فى مقاماته :

وإنما الدهر المسىء المعتـدى مال بنا حتى غدونا نجتدى
كل ندى الراحة عذب المورد وكل جعد الـكف مغلول اليد

فحيث الأصابع ، صفة مشبهة ، مثل حسن الوجه ، وليست حيث هذه ، هى التى تلزم إضافتها إلى الجمل ، فمن توهم هنا أنه أخطأ لذلك ، فهو المخطىء على أن

---

(١) قوله تتابعت على إثرها مَرُّ الرياح : أنث الفعل ، وهو مسند لمر ، ومر مذكر ، لأن المضاف يكتسب من المضاف إليه التأنيث ، كما فى قوله :

طول الليالى أسرعت فى نقضى نقضن كلى ونقضن بعضى

حيث ، تجوز إضافتها إلى المفرد عند الكسائي ، وسمع في أشعار العرب قال :

ونطعنهم تحت الحبا بعد ضربهم ببيض المواضي حيث لَيَ العمائم

وقال الآخر :

أما ترىٰ حيث سهيلٍ طالعا نجماً يضيء كالشهاب لامعا

ومن ظريف ما اتفق له ، أنه أراد قول قصيدة ، فنظم الشطر الأوّل وهو :

* أمربع الغصن ذا أم تلك أعلامه *

فارتجّ عليه سنة ، فورد يوما منهلا ليسقي جملا له ، فتخاصمت جاريتان في المنهل ، فقالت إحداهما للأخرىٰ : والله ما ذلك كذلك ، ولا كانت أيامه كما تقولين ، أو ما هو قريب من هذا ، فضرب جمله من غير أن يسقيه ، ودخل الحي وهو يجري به ، فظن الناس أنه رأى مايذعره ، فسألوه ، فأخبرهم بأنه وجد شطراً يتم به مطلع قصيدته فقال :

أمربع الغصن ذا أم تلك أعلامه لاهوّ هوّ ولا الأيام أيامه

ومثل هذا وقع لذي الرمة ، فإنه لما شرع في نظم بائيته المشهورة التي أوّلها :

ما بال عينك منها الماء ينسكب كأنه من كِلا مفرية سَرِب

ارتجّ عليه لما قال :

* كَحْلاَء في دَعِج صفراء في بَرَج *

حتى رأى جارية تحمل صينية ، بعضها ذهب و بعضها فضة ، فقال :

* كأنها فضة قد مسها ذهب *

وكان مولود رحمه الله ، من أكابر تلاميذ العلامة المختار بن بون الجكني ، حتى وقع بينه و بين قبيلته ماوقع ، فصار هو خصمه الألد . وكان المختار أقل منهم مرتبة في الشعر ، وهم أقل منه في علم النحو والكلام ، فكان يلقى عليهم الألغاز ، فيتصدّى مولود لحلها ، فربما حل البعض وعجز عن البعض ، فاتفق أنه ألقى

عليهم لغزاً وقال : إن أجبتموه كفرتم ، وإن سكتم غلبتم ، فمكث مولود مدة معتزلا عن الناس ، يفكر فى ذلك اللغز ، فخرج عليهم فى وقت حر فقالوا له : مافعلت مع زركة المختار ؟ والزَّركةُ (بزاى وراء وكاف معقودة مفتوحة و بعدها هاء تأنيث) بمعنى الرمية ، وهم يعبرون عن اللغز بذلك ، إلا من أراد أن يتفاصح ، فقال : بركت عنها . وروى أنه خطأه فى كلة فى مجلس ، فقال مولود : إنها فى المقامات ، فقال له المختار : فى أى مقامه ؟ فقال : فى قبحت من شيخ ، وأنا أعتقد أن هذا موضوع ، لأن مثل مولود لا يليق به أن يقابل مثل ابن بون بهذا ، خصوصاً وهو شيخه . ولما قال فى قصيدته التى يمدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم :

حسبى إذا كنت استجدى أخا كرم بالحاتم الهاشمى من حاتم الطائى

قال المختار : إن حاتماً ليست من أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم إن معنى هذا ، تشبيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بحاتم ، والمشبه دون المشبه به ، فاحتج مولود بأن حاتماً وردت فى دلائل الخيرات ، معبراً بها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال فى ذلك قصيدة ، لم يحضرنى منها إلا بيت واحد ، وهو قوله :

لم يكن من دلائل الخيرات جهل ما فى دلائل الخيرات

وهذا غاية التحامل منه ، عفا الله عنه . وهو متقدم على أحمد ، المتقدم فى السن ، وقد أدركه ورثاه كما تقدم ، والناس مختلفون أيهما أشعر ، فطائفة تقدم هذا وطائفة تقدم ذاك ، وكنت على مذهبها ، فلذلك بدأت به . وقد سئل أحمد نفسه عن ذلك ، فقال : هو أكثر حلفة وأنا أفتل . ـ الحلفة ـ هى سعف الحلفاء وأهل الصحراء يفتلون منها الحبال ، يعنى أن مولوداً أكثر منه لغة ، وهو أجود منه نسجاً ، وليطالع شعرهما بإمعان من أحب أن يحكم ، ثم ليحكم بما بدا له .

وكان مدّاحاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن ذلك قصيدته المعروفة بالمرجانية وهى :

أزكى صلاةٍ وتسليمٍ على قمرٍ ... بدرٍ به قد أنار اللهُ أكوانَهْ
أزكى صلاةٍ وتسليمٍ كذاك على ... خيرٍ قد اختارهُ الرحمنُ عِبدانَهْ(١)
يارب صلّ عليهِ دائماً أبداً ... ماحلّ أعراض هذا الكون أعيانَهْ
من أى مَرجان ربّ العرش مَرجانه ... تبدو لعينيك فى تركيب إنسانَهْ(٢)
أمسى بها القلبُ مَفتوناً وكان أبى ... على الفواتنِ لم تَفْتِنْهُ فتّانَهْ
لمّا بَدَتْ تتهادَى فى خرائدها ... تَثْنى مَعاطِفَها خُرْعُوبَةُ البانَهْ
قالوا أشمساً نرى تمشى فقلتُ لهمْ ... تَرَوْنَ إنسانةً كالشمسِ حُسّانَهْ
لها مصائدُ تُصمى منْ محاسنِها ... تَصيدُها الصِّيدَ لا هَيْقاً و بَيْدانَهْ(٣)
تَرنُو إليك بمغضوضٍ كما نظرتْ ... مَزْوُودةً أُمُّ ساجى الطرْفِ جَيْدانَهْ
تَرى الدّماليجَ منها والبُرى بقَنىً ... خَدَلّجٍ مالىء للعينِ مَلْثانَهْ
تَنُوء لأياً بدِعْص كادَ يُقعِدُها ... ماضَرّهُ أنهُ رِدْفٌ لِخُمْصانَهْ
ماساقطتْكَ حديثاً ساقطتكَ بهِ ... أبصارُنا تَحسُدُ الأسماعَ صَيدانَهْ

---

(١) الخير والخير : ككيس ، الرجل الكثير الخير . وعبدان : جمع عبد .

(٢) الإنسانة : مؤنث إنسان ، والأكثر أن إنساناً للذكر والأنثى ، وقد أنكر عليه بعض الناس هذه اللفظة ، وهو غير صواب . وفى القاموس وشرحه : والمرأة إنسان ، وقولهم إنسانة بالهاء ، لغة عامية . كذا قال ابن سيده . وقال شيخنا : بل هى صحيحة وإن كانت قليلة ، ونقله صاحب همع الهوامع ، والرضى فى شرح الحاجبية ، ونقله الشيخ ياسين فى حواشيه على الألفية ، عن الشيخ ابن هشام ، فلا يقال انها عامية انتهى . فانظر هذا مع قول ابن سيده : ولا يقال إنسانة ، والعامة تقوله . وسمع فى شعر بعض المولدين ، قيل هو أبو منصور الثعالبى ، صاحب اليتيمة ، والمضاف والمنسوب وغيرهما ، كما صرح به فى كتبه ، مدعياً انه لم يسبق إليه ، كما قاله شيخنا ، وكأنه مولد لايستدل به :

لقد كستنى فى الهوى ... ملابس الصب الغزل
إنسانة فتانة ... بدر الدجى منها خجل
إذا زنت عينى بها ... فبالدموع تغتسل

وأطال الشارح فى البحث ، وبالجملة فقد ورد إنسانة فى أشعار العرب ، قال كاهن الثقفى :

إنسانة الحى أم ادمانة السمر ... بالنهى رقصها لحن من الوتر

(٣) الصيد . جمع أصيد ، وهو رافع رأسه كبرا . والهيق . الظليم . والبيدانة : الاتان الوحشية .

لمّا رأتنيَ منْ فرْطِ الغرامِ بها ... بعدَ أرْعوائي عَميدَ القلْبِ حَيْرانهْ
قالت أحافرة منْ بعدِ زاجِرةٍ ... منْ عِلمِ ماشانذا النقوىٰ وما زانهْ
فقلْتُ لاتَعجبي منَ أمرِ خالقنا ... أتَعجبينَ منَ أمرِ اللهِ سبحانهْ
أكان للناسِ باللُمْرتَضى عجبــاً ... إدْمانُ تَهيامِ مَشغوف بأدْمانهْ(١)
تأبى على ذى النُّهى أنْ يَرْعَوِى ذِكرٌ ... تَرُدُّ إبَّانَ غَيرِ الجهــل إبَّانهْ
أما تراهُ مَتى يَمْرُرْ دِيارَهُمُ ... هاجَتْ عليهِ دِيارُ الحىّ أحْزانهْ
قالتْ فسبْحان فَعَّالٍ بلا غَرَضٍ ... لِمَا يُرِيدُ بنــا قُلْنا وسُعْدَانهْ(٢)
قالت فهل لكَ فى حُسْنِ التَّخلُّصِ منْ ... مادانَ قَيْسٌ إلى ما المصطفى دانهْ(٣)
فقُلْتُ فيهِ أشَدُّ الهلِّ لِى وَلِمَنْ ... لم يَعلمِ اللهُ قبلَ الـكونِ خِذلانه(٤)
إنى رَضيتُ به دِيناً عَسايَ بهِ ... غَداً أجاورُ فى الفِرْدَوْسِ رِضوانه(٥)
دِينٌ حَنيفٌ مَحا المَاحى بهِ وعفا ... آثارَ منْ كان فى خُسْرٍ وأدْيانهْ(٦)

---

(١) عجباً : خبر كان ، توسط بينها وبين اسمها ، وهو ادمان : أى مداومة . والادمانة والادماء : واحد ، أى بيضاء على الصحيح ، إلا أن الادماء أكثر من الادمانة فى كلام العرب ، قال ذو الرمة :

أقول للركب لما أعرضت أصلا ... ادمانة لم تربهـا الاجاليـد

وأنكر الاصمعى إدمانة ، لأن إدمانا جمع ، مثل حمران وسودان ، لاتدخله الهاء . وقال غيره : إدمانة وإدمان ، مثل خصانة وخصان ، فجعله مفرداً لاجمعا . وعيب هـذا البيت على ذى الرمة ، كما عيب عليه قوله أيضاً .

* والجيـد من إدمانة عتود *

(٢) سعدان : كسبحان ، وزنا ومعنى ، يقال سبحان الله وسـعدانه ، أى أسبحه وأطيعه وهما علمان ، كعثمان ولقمان .

(٣) قيس : هو ابن الملوح المعروف بمجنون ليلى .

(٤) قوله : فقلت فيه أشد الهد ، هذا مأخوذ من قول أبى الدقيس ، وقد قيل له : هل لك فى ثريدة كأن ودكها عيـون الضياوت ؟ وروى أن الخليل قال لأبى الدقيس ، أو غيره : هل لك فى تمر وزبد ؟ فقال : أشد الهل وأوحاه ، فهل هنـا ، اسم . بدليل دخول الألف واللام عليها .

(٥) رضوان : هو خازن الجنان .

(٦) الماحى : من أسمائه صلى الله عليه وسلم .

دينٌ لهُ جَعَلَ اللهُ الحيا خلقاً ... به كسى أولياء الله أزيانهْ
دينٌ يزينُ لمنْ يعتاضُ زينتَهُ ... منْ غيرِهِ شانهُ اللذْ غيرُهُ شانهْ[1]
دينٌ هو الدينُ يخزى ذو بطالتهِ ... أحبارَ دينٍ يُنافيهِ وَرُهبانهْ
دينٌ سَيَسْبِقُ مَنْ قد كان ساوَعَ من ... مُستأجَرِيهِ الذى منْ غيرهم سانه[2]
دينٌ شريفٌ أتانا منْ سعادتنا ... آتٍ به حَمدَ الكونانِ إتيانهْ
محمدٌ خيرُ مَبعوثٍ أقامَ على ... مايَدّعيهِ مِنَ أمرِ اللهِ برْهانهْ[3]
وخيرُ منْ قد نفتْ عنهُ أمانتهُ ... وصِدْقهُ الكذبَ والكتمانَ والخانهْ[4]
وخيرُ طاعٍ لمنْ لم يَعْصِ طاعتهُ ... وخيرُ خاشٍ لمنْ يخشاهُ خشيانهْ
وخيرُ منْ محضَ المَوْلى عِبادتهُ ... وخيرُ منْ دانَ دِينَ اللهِ ديّانهْ
وخيرُ منْ رَحِمَ المَوْلى العبادَ به ... وخيرُ منْ عَرَفَ المولى عِرفّانهْ[5]
وخيرُ داعٍ سَقى منْ لم يُجِبْهُ إلى ... هُداهُ عَلْقَمَ إصغارٍ وذيفانهْ[6]
وخيرُ منْ شامَ للهِ السُّيوفَ ومنْ ... نمى القُتودَ على وجْناء عَيْرانهْ
وخيرُ مَنْ أمِنَ الإسلامُ بيضتهُ ... أمْناً به صَوْلةَ العادى وسُلْطانه[7]

(١) اللذ : بالسكون ، لغة فى الذى .

(٢) ساوع : عمل مستأجراً بساعة . وسانه : عمل بسنة يشير إلى ماف البخارى عن ابن عمر ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إنما بقاؤكم فيما سلف من الأمم قبلكم ، كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس . أوتى أهل التوراة التوراة ، فعملوا بها ، حتى إذا انتصف النهار عجزوا ، فأعطوا قيراطا قيراطاً ، ثم أوتى أهل الإنجيل الإنجيل ، فعملوا إلى صلاة العصر ثم عجزوا . فأعطوا قيراطا قيراطاً . ثم أوتينا القرآن فعملنا إلى غروب الشمس ، فأعطينا قيراطين قيراطين . فقال أهل الكتاب : أى ربنا ، أعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين ، وأعطيتنا قيراطا قيراطا . ونحن كنا أكثر عملا . قال الله تعالى : هل ظلمتكم من أجركم من شىء ؟ قالوا : لا . قال : فهو فضلى أوتيه من أشاء .

(٣) قوله محمد خير مبعوث : رأيت فى نسخة : محمد خير مستنبى الخ .

(٤) الخانة : بمعنى الخيانة ، يقال : خانه خوناً وخيانة وخانة ومخانة .

(٥) العرفان ــ بكسرتين مشددة الفاء ــ مصدر عرفه ، بمعنى علمه .

(٦) العلقم : الحنظل كما تقدم . والإصغار ــ بكسر الهمزة ــ مصدر أصغره ، أى حقره . والذيفان ــ بالكسر ــ السم القاتل .

(٧) قوله : وخير من أمن الإسلام بيضته الخ . بيضته : جماعة أهله . وهو بدل من الإسلام

وخيرُ مَنْ قيضَ المولى لِشَانِئِهِ ما كان قُوِّضَ منْ مغناهُ بُنيانهْ
وخيرُ منْ حَمِدَ اللاقِيهِ ذا تَرَبٍ لِقْيانُه حَمْدَ ذى الإتراب عِقْيانه(١)
يامنْ إذا حُسِدَ المِضياف طِيبَ قرى ضِيفانه حَسَدَ المِضْياف ضِيفانه
ومنْ إذا أخلفَ الناسَ النُّجومُ يكنْ لِلناسِ غَيْثاً هَزِيمَ الوَدْقِ هَتَّانهْ
ومنْ إذا عامُ تَحْرِيجٍ يكونُ يكنْ جَدَى يَعُمُّ الورىٰ غَوْطاً وحَوْمانه(٢)
ومنْ يَصُدَّ عنِ الدُّنياولوْ بَرَزَتْ فى زِىّ عَذراء تُصبى القلْبَ مُزدانه
ومنْ أرىٰ أجْبُلَ الأذهابِ إذعُرِضت عليهِ كيفَ يَعافُ العِفُّ ذُهبانه
ومَنْ أوَدُّ بأن ألقى على أوَدِى حَتى مَ لم تتفقْ لى منك لِقْيانه(٣)
يانُونُ يانورُ يابشرَىٰ المسيحِ لنا يارَوْحَ منْ كان ذا رَوْح وريحانه
لوكان ذاالكوْنُ إنسانالكنتَ له طرْفا ولوكان طرْفا كنتَ إنسانه
أنتَ الذى طهَّرَ الرحمنُ أزْرَتَهُ وَجَيْبَهُ وحشاياهُ وأرْدانه
أنتَ الطهُورُ بك القدُّوس طهّر من أرْجاسِ دينسوى الإسلام تِربانه(٤)
أنتَ السراجُ المنيرُ اللَّذْ أنارَ بهِ نورُ السّمواتِ والأرْضينَ أكوانه(٥)
أنْتَ الذى رَجح الخيراتُ إذوُزِنَتْ بكَ الخلائقُ عندَ الوضع مِيزانه
أنْتَ الذى طاعةُ الرحمنِ طاعتُهُ فكان عِصْيانُهُ إذ ذاكَ عِصيانهْ
أنتَ الذى أزْلف الوالى الجنانَ لمن والى وأبرَزَ للعادِيهِ نِيرانه

---

(١) الترب ــ بالتحريك ــ مصدر ترب . أى افتقر . والإتراب : مصدر أترب . استغنى . والعقيان : الذهب .

(٢) التحريج : التضييق . والجدا : المطر . والغوط : المنخفض من الأرض . والحومانة : المكان الغليظ المنقاد .

(٣) الأود : الاعوجاج . ولقيانه ــ بكسر اللام ــ مصدر لقيه .

(٤) التربان ــ بكسر التاء ، وحكى ضمها ــ جمع ترب .

(٥) اللذ : لغة فى الذى كما تقدم .

أنتَ الذى خصّهُ المولى سُراهُ به ... لَيْلاً كما خصهُ بالعينِ رُؤيانه[١]

إذ باتَ يخترقُ السبعَ البُرَاقُ به ... كالبرْقِ مُتّخـذاً فيهنّ مَيدانه

فنال فوقَ السمواتِ العُلى دَرجاً ... مِنْ قابِ قَوْسين ماشانَ أمرؤٌ شانه

لكَ الكرامات والآى التى بَهرَتْ ... عَقْلَ الأنامِ إنائيهِ وذُكرانه

كتابٌ أُنزِلَ للإعجـازِ مُنزلُهُ ... مِنَ الأباطيلِ والتّحريفِ قد صانه

نورٌ مبينٌ عليـكَ اللهُ أنزلهُ ... فُرْقَانَ ما كان منْ شيء وتبيانه

يَهدى الإلهُ به سُبْلَ السلامةِ مَنْ ... قد كان يتبعُ بالإيمانِ رِضوانه

عنى المَصاقعُ أربابُ اللسانِ له ... وأذعنوا عَنْوَ إفحـامٍ وإذعانه[٢]

بسُودكَ السُّودُ والحُمرانُ قد شَهدوا ... ضَبٌّ وظَبْيٌ وثُعبانٌ وسِيدانه[٣]

والبدْرُ إذْشُقّ والبيضاء إذ حُبِسَتْ ... حتى لقد حَسِبُوا يوما أصيلانه[٤]

والجذعُ إذْ حَنّ سَجْعَ النيْبِ من وله ... لَوْلا التزامُكهُ لم يَقْضِ تحنانه[٥]

---

(١) قوله كما خصه بالعين رؤيانه : هذه مسألة خلاف الجمهور عليهـا ، وخالفت عائشة رضى الله عنها وقالت : إن من زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسـلم ، رأى ربه يعنى رأسه ، فقد أعظم الفرية .

(٢) عنى : انقاد . والمصاقع : جمع مصقع . ، وهو البليغ

(٣) بسودك : أى بسوددك . قوله ضب : يشـير إلى حديث الضب ، الذى شهد له عليه الصلاة والسلام بالنبوة . قال القارى فى موضوعاته : قيل إنه موضوع . وقال المزى : لا يصح إسناداً ولا متناً ، لـكن رواه البيهقى بسـند ضعيف . وذكره القاضى عياض فى الشفا . فغايته الضعف لا الوضع . وقوله : وظبى ، يشير إلى حديث الظبية التى اشتـكت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت فى وثاق إعرابى صادها فأطلقها ، حتى أرضعت خشفيها ورجعت ، ثم أطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهوفى دلائل النبوة لأبى نعيم ، ولم يتعرض له القارى . قوله : وثعبان : الثعبان : الحية ، ولم يحضرنى هذا الحديث . والسيدان : جمع سيد ، وهو الذئب . ولعل مراده حديث الذئب ، الذى كلم الراعى لما انتزع منه الشاة ، وهو فى الصحيح .

(٤) قوله والبدر إذ شق : حديث انشقاق البدر صحيح . وهو فى القرآن . والبيضاء : الشمس . وحديث حبسها صحيح أيضاً . وأصيلانة : تصغير أصلان . والهاء للسكت .

(٥) قوله والجذع إذ حن الخ : حديث حنين الجذع لمـا حن ، إذ بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر ، حنين النيب ، لأجل تحوله عنه . ولم يسكت حتى التزمه . صحيح .

والجذل إذ صارَ عَضباً لم يكلّ ولم ... يَقنْهُ قَيْن ولم يمسسْهُ سَوْهانه(١)

وكفُّهُ إذ سَقَتْ ألفاً وإذ هَزَمَتْ ... ألفاً وإذ وَهبتْ ألفاً وَرِعْيانه(٢)

كفٌّ تمرٌ على ضَرْعٍ فيُحْسِبُ مَنْ ... تبغيهمُ حَلَباً منْ غيرِ حِلْبانه(٣)

مَنّانةٌ واكفُ المُزْنِ حاردةٌ ... ولا تَراها بمَنِينا بمَنّانه(٤)

فكم أنالتْ غِنى الدارَينِ وافدَها ... وكم أزاحَتْ عنِ المَفْتونِ شيطانه

أكرِمْ بها رُفعتْ عنْ شَبْعةٍ وضِعت ... فيها الأكفُّ ألوفاً وهيَ شَبعانه(٥)

صاعٌ يزيدُ على الإنفاقِ منهُ تَرى ... ماجَرّ نُقْصانُهُ ما جَرّ زَيدانه

وباركتْ كفُّهُ عَجراء ذاوِيَةً ... تَهتزُّ منْ حِينِها خَضراء فينانه(٦)

عَيدانةٌ قَعدَتْ في الجوّ قاعدةً ... تؤتيهمُ أكلَها شيئاً وحُلْقانه(٧)

إبانُ رُؤْيَتِها في الأرْضِ مُثمرةً ... إبّانُ رُؤْيتِها في الجوّ صَوْجانه(٨)

---

(١) الجذل ــ بالكسر ــ هو ما على مثال شمارخ النخلة . والعضب : السيف القاطع . وقانه القين : أصلحه . والسوهان : لم يتيسر لى الآن تحريره . وقد رأيت فى حاشية على هذه القصيدة ، أنه المبرد ، وهذا البيت يشير إلى ما فى المغازى ، من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أخذ جريدة نخل فى بعض مغازيه ، فهزها فصارت عضباً .

(٢) قوله: وكفه إذ سقت ألفا ، يشير إلى قصة المرأة التى كانت تحمل القرب ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عطاشا ، فجاؤوه بها ، فحل قربة وسقا قومه كلهم وتركها كما كانت ، وهى فى صحيح البخارى : وقوله : وإذ وهبت ألفاً ، يشير إلى عطاياه للمؤلفة قلوبهم .

(٣) قوله : كف تمر على ضرع . يشير إلى قصة الشاة العجفاء . التى أمر يده على ضرعها فامتلك لبناً ، لما نزل عند أم معبد فى هجرته .

(٤) حاردة : أى قليلة السح ، مأخوذ من حردت السنة ، إذا قل ماؤها . ومنينى : كعليفى ، مصدر منّ عليه ، أى أنعم ، أى لا تمن بما أعطت .

(٥) قوله أكرم بها رفعت الخ : يشير إلى قصة الأكلة ، التى عملت أم سليم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخندق وحده ، فدعا أصحابه ، وجعل يده فى الطعام ، فصاروا يأتون عشرة عشرة حتى شبعوا كلهم . وهى فى الصحيح .

(٦) قوله : وباركت كفه الخ . الفينانة : كثيرة الأفنان . أى الأغصان .

(٧) العيدانة : أطول ما يكون من النخل . وقعدت فى الجو : أى استقرت . وشيشا : أى تمراً . وأصله المد ، وقصره ضرورة . وحلقانه : أى رطبه الذى نضج بعضه ، ولم ينضج البعض منه .

(٨) إبان رؤيتها : أى وقتها . ونخلة صوجانة : بابسة كزة السعف ، يشير بهذه الأبيات ، إلى مايروى فى شأن النخل ، الذى كاتب عليه سلمان الفارسى اليهود الذى اشتروه ممن استعبده .

لله لله ماقد أسمعت وأرت فتاة سعد من الآيات سندانه[١]
لو لم تكن منه آيات لأخبر عن ما حل إمراره ما حل إعلانه
ضياء وجه يرى ضوء المضيء دجى ودر لفظ يرى حصباء مرجانه
نفس مطهرة من كل منقصة عن اهتمام بغير الله مضطانه[٢]
نفس إذا اكتربت نفس بما اكتسبت كانت بما كسبت فى الله فرحانه
نفى لفاقرة هدى لحائرة شمس لناظرة للأنف ريحانه
تكتان حرصا علينا أن نصيب خنا إذا النفوس على مافات مكتانه[٣]
كم ضارب طاعن رام أخى ثقة بالمشرفى و بالخطى والقانه[٤]
تيسى جعار وعيشى إنها لمنى ترى المنى ثقة أخون الخانه[٥]
ماراء طلعته ضرغام مأسدة إلا استحال بنصر الله قمنانه[٦]
سائل ركانة إذ لاقى النبى على وحديهما أين منه ظن أركانه[٧]

---

(١) السندانة ـ بالكسر ـ الأتان ، يشير بذلك إلى قصة أتان أم معبد ، مرضع النبي صلى الله عليه وسلم ، فإنها كانت دبراء مهزولة . وكانت لما توجهت بها إلى مكة ، تتأخر عن الحمير فى سيرها ، فلما رجعت بالنبي صلى الله عليه وسلم . صارت تتقدم الحمير .

(٢) مصطانة : محفوظة ، يقال : صانه واصطانه . أى حفظه .

(٣) تكتان : أى تحزن ، حرصاً علينا أن يصيبنا سوء .

(٤) المشرفى : سيف منسوب إلى مشارف ، وهى قرى بالشام ، تنسب إليها السيوف المشرفية ، وهو متعلق بضارب . والخطى : رمح منسوب إلى خط هجر ، موضع ، وإليه تنسب الرماح الخطية ، وهو متعلق بطاعن . والقانة : واحدة القان ، وهو شجر تتخذ منه القسى ، وهو متعلق برام .

(٥) تيسى ـ بالكسر ـ يقال تيسى جعار ، أو عيشى جعار ، وهو مثل يضرب فى ابطال الشىء والتكذيب به ، وهذا المعنى مأخوذ من قول الشاعر :

فقلت لها تيسى جعار وجررى بلحم امرىء لم يشهد اليوم ناصره

والخانة : جمع خائن .

(٦) راء : مقلوب رأى . والضرغام : الأسد . والقمنانة : القراد ، أول مايكون صغيراً ، ثم يصير حمنانة ، ثم يصير قرادا ، ثم يصير حلمة . وقال الأصمعى : أوله قمامة صغيرة جدا ، ثم حمنانة ، ثم قراد ثم حلمة ، ثم عل ، ثم طلح .

(٧) ركانة : بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبى ، صحابى صارعه النبي صلى الله عليه وسلم ، فصرعه مرتين ، وكان شديداً ، يحكى أنه كان يقف على جلد بعير لين جديد حين سلخه ، فيجذبه من تحته عشرة ، فيتمزق الجلد ولايتزحزح هو عن مكانه =

وسلْ تميماوسلْ قَيْساً ومن مكثوا بمكةٍ وأناساً بالجعرانه[1]

وسلْ رَبيعةَ أوسَلْ أختها مُضراً لُقيان منْ وَجدَ اللاقُوهُ لُقيانه

لُقيانُ مَنْ إنْ رأتهُ فى مَواطنِها أسْدُ المواطنِ حاصَتْ حَيْصةَ العانهْ[2]

سَلِ المقوْقِسَ إذاأهدىٰ إليه وسَلْ دارَا وسلْ كلّ إقليمٍ ودُهقانهْ[3]

وسَلْ هِرَقْلَوسلْ كِسرىٰ ونُعْمانه والمُوبَذانَ لايّ أمّ كهانهْ[4]

إنَّ المُقوْقِسَ إذ أهْدىٰ إليه لذو حَزْمٍ رأى أنه إن لم يَدِنْ دانه

كسرٌ لِكسرى أنُوشَرْوَانَ رُؤْيتُهُ شَرْواهُ ليسَ بذى إيواء أيوانه[5]

لمّا رأى الشُّرُفاتِ السَّاقطاتِ رأىٰ حُدُوثَ أمرٍ رأىٰ ماراء حِدثانه[6]

= كذا فى القاموس وشرحه . وظاهر دلائل النبوة أنه غير هذا ، وقد أطال فى حديثه ، ورواه من طرق . وأركانه : أى قواه .

(١) الجعرانة ــ بالكسر ــ أوله إجماعا ، واختلف فى ثانيه ، فأهل الحديث يكسرونه ويشدون ثالثه ، وخطأهم الشافعى فى تشديد الجعرانة ، وتخفيف الحديبية ، والمشهور تسكين العين من الجعرانة ، وتخفيف الراء ، وقيل إن أهل المدينة ، يثقلون الحديبية والجعرانه ، وأهل العراق يخففونهما .

(٢) حاصت : فرت . والعانة : حمر الوحش .

(٣) المقوقس : ملك مصر والاسكندرية ، وكان أهدى إلى النبى صلى الله عليه وسلم . ودارا : أحد ملوك الفرس . والاقليم : كل ناحية تشتمل على مدن وقرى . والدهقان ــ بالكسر والضم ــ رئيس الاقليم .

(٤) هرقل : ملك الروم ، وهو أول من ضرب الدنانير ، وأول من أحدث البيعة والكنائس . وكسرى : ملك الفرس . ونعمانه : المراد به ، النعمان ملك العرب ، وأضافه إلى كسرى ، لأنه هو الذى ولاه عليهم . والموبذان ــ بضم الميم وفتح الباء ــ فقيه الفرس ، وحاكم المجوس .

(٥) كسر : مبتدأ ، وهو فى الأصل مصدر مؤكد لنفسه ، ويجوز رفعه ، كما نص عليه فى التسهيل ، ولكسرى : خبره . وكسرى أنوشروان : مشهور . ورؤيته : مبتدأ . وشرواه : مثله ، وهو مبتدأ أيضاً وجملة : ليس بذى إيواء : خبر شرواه ، والجمع خبر كسر . وإيوان كسرى : صفة عظيمة كالازج .

(٦) الضمير فى رأى ، لكسرى . يشير إلى تساقط شرفات ايوان كسرى ، ليلة ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد رأى الموبذان الخيل قد وسطت ... فرسانها وسطت فى الفرس بلدانه[1]

لله علم أخى ذئب غداة غدا ... عبد المسيح له يحتث بعرانه

فهو استحق إن العلم استحق به ... حلوانه كاهن بالعلم حلوانه[2]

إذ أخبر القوم من أمر النبى بما ... يدريه من كان يدرى الحق دريانه

بأن مولاه موليه خصائص لا ... تولى فسبحان مولاه وريحانه[3]

روى السيوطى فى كبرى الخصائص عن ... طه عن الروح عن ذى العرش سبحانه

لا يعرف الله إلا الله جل كما ... لا يعرف المصطفى إلاه عرفانه

فبلغ العلم فيه أنه بشر ... ما كان خلق على ما كان ما كانه

وإذ ذكرت رسول الله ممتدحا ... فاذكر بخير ذوى الخيرات صحبانه

أولى الفضائل والتقى أسود وغى ... عند اللطام ترى خرفانا أسدانه

البائعين نفيسات النفوس لمن ... لم يخش من باع منه النفس خسرانه

والواصلين لدى الإسلام واصلهم ... والهاجرين لدى الكفران هجرانه

لما دجى جند هند كالدجن جلا ... أبو دجانة بالهندى أدجانه[4]

قوم ترى ما لذات الله همهم ... وهم غير مال وقنيانه

---

(١) قوله : وقد رأى الموبذان ، تقدم تفسير الموبذان ، يشير بهذا البيت ، إلى رؤيا الموبذان التى أخبر بها كسرى ، فقال له : إنى رأيت تلك الليلة ـ يعنى ليلة ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ رؤيا هالتنى ، قال : وما رأيت ؟ قال : رأيت إبلا صعاباً تقود خيلا عرابا ، قد اقتحمت دجلة ، وانتشرت فى بلادنا . قال فما عندك فى تأويلها ؟ قال : ماعندى فيها شىء ، فبعث كسرى عبد المسيح بن نفيلة الكاهن المشهور ، إلى خاله سطيح بن أغار ، من بنى ذئب ، فأخبره بأمر النبى صلى الله عليه وسلم ، وهى مبسوطة فى كتب السير ، فارجع إليها .

(٢) الحلوان : ما يأخذه الكاهن فى كهانته .

(٣) سبحان الله وريحانه : من الاسماء الموضوعة موضع المصادر ، أى تنزيها لله واسترزاقا .

(٤) دجى : انتشر وامتد ، مأخوذ من دجى الليل ، إذا أظلم . وهند : هى بنت عتبة ، وزوج أبى سفيان ، وأم معاوية . وكانت فى جيش قريش فى غزوة أحد . وأبو دجانة : هو سماك بن خرشة الانصارى ، يشير إلى شقه لصفوفهم يوم أحد .

هُمُ النجومُ التي ماضرّ طالعها ... أن لم يكن برجه ثوراً وسرطانه[١]

من كلّ أروَعَ ذي نفس لمقتلها ... في الله تحت ظلال البيض حنّانه

يهز ذا شُطَبٍ ليست مضاربهُ ... خوّانةً وقناةً غيرَ خمّانه[٢]

برٌّ منيته في الله منيتـــــه ... يرى سلامة حزب الله موتانه

لا عيبَ في القوم إلا أن برهم ... ينسى الغريبَ أهاليه وأوطانهْ

أيديهم أخوات الوابلين لها ... خونٌ له يحقر التيمىُّ إخوانه[٣]

أحلهم موطنَ العلياءِ دينهُمُ ... محلّهمْ منْ رياض القدسِ مِيطانهْ

كفاهمُ مجداً أن الله ألزمهم ... سبحانه كِلْمةَ التّقوىٰ كما بانهْ

كانوا أحق بها منْ غيرِهمْ فهُمُ ... كانوا بها عن عبادِ اللهِ خُصّانهْ

فأللهُ فضّلهمْ فضلاً وشرّفهم ... بجعلهم حشمَ الهادى وأعوانه[٤]

ومنهمُ جعلَ الرحمٰنُ يالهُمُ ... أصهار أحمد أحمـــــاه وأختانه[٤]

منهم أبو بكر الصدّيقُ صاحبه ... فاديهِ بالنفسِ والأموال معوانه

من لم تكن طاعةُ الرحمن ديدنَهُ ... فإنما كان تقوىٰ الله ديدانه[٥]

ومنهمُ عمرُ الفاروقُ فارقُ ما ... بين الضلال وبين الحق فرقانه[٦]

---

(١) الثور : برج من بروج السماء . والسرطان : برج من بروجها أيضاً ، وأصله التحريك ، وسكنه ضرورة .

(٢) خوانة : تخون من ضرب بها . وخمانة : ضعيفه . والموتان : الموت الكثير ، فذلك أضافه للحرب لا لأروع .

(٣) الوابلين : جمع وابل ، وهو المطر الشديد الضخم القطر ، وهذا الجمع شاذ ، لأن وابلا لما لايعقل . لكن وقع في أشعار العرب مثله كما قال :

تلاعب الريح بالعصرين قسطله ... والوابلون وتهتان التجاويد

(٤) الحشم : خاصته الذين يغضبون له ، من أهل وعبيد أو جيرة .

(٥) الاصهار : جمع صهر ، وهم الاحماء ،أى أقارب الزوج . والأختان : أقارب المرأة ، واحدهم ختن ، هذا هو المشهور ، وقيل غيره .

(٦) الديدن والديدان : العادة .

ومنهم الشيخ ذو النورين فاشدُدْ به ... مِلء الفما واتخذْ للشدو ألحانه[١]

واذكرْ علياً ولا تغفل أبا حسنٍ ... ساقي كؤوسِ زؤامِ الموتِ أقرانه[٢]

ليثٌ تكونُ ليوث الأسدِ طُعْمتهُ ... بحرٌ تكونُ بحور العلم نينانه[٣]

منْ كان من جسمه يبغي استراحتهُ ... أتاه مستصحباً في الجيش جسمانه[٤]

من ذا الذي يُشحنُ العضبَ المهندَ من ... غِمْدٍ ويُشحنه في الهام إشحانه

وجدان طالبه إياه في رهج ... فقْدانهُ الرأسَ والأطرافَ وألمانه[٥]

لا يَستحي وجهَ ليثٍ في مبارزةٍ ... لكنهُ يستحي إن خرَّ خورانه[٦]

باهى به اللهُ جبْريلاً وأرْسَلهُ ... ليلاً ليكلأهُ حِفْظاً ويَصطانهْ

واذكرْ بني هاشمٍ عُمرِ المكارمِ آ ... فاتِ الملاطِمِ أُسْدِ اللهِ بيزانهْ

النَّارِ كي جُثَثَ القَتْلى وإنْ جَسُمَتْ ... لا ذاتَ عُمْقٍ ولا طولا ولا وانه[٧]

يامَنْ أرى المَدْحَ إلا مَدْحَهُ هَوساً ... يَحِقُّ وَسْواسُهُ للمِرْءِ بُهتانه

أثْنى عليكَ على ما كان مِنّيَ كمْ ... ما يَمْأَنَ المرْء في خيرِ أمرىء مانه[٨]

أحْسَنْتُ شعراً ولا أنفكُّ شاعرَهُ ... لو كنتُ أحسنُ زَفناً كنتُ زَفّانه[٩]

---

(١) قوله : ملء ، هو مناب عن المصدر ، من أشد . والفما بالقصر ، لغة في فم .

(٢) الزؤام : كغراب ، الموت الكريه ، أو العاجل ، أو السريع المجهز .

(٣) الطعمة ـ بالضم ـ المأكلة . ونيانه : جمع نون ، وهي الحوت .

(٤) الجسمان : لغة في الجسم .

(٥) الرهج : الغبار : والمانة : السرة وما حولها ، وقيل : هي لحمة تحت السرة إلى العانة ، وقيل : من السرة إلى طرف الشرسوف

(٦) خر : سقط . والخوران : الاست ، يشير إلى قصته رضي الله عنه ، مع عمرو بن عبد ود العامري ، فإنه لما بارزه في غزوة الخندق وسقط ميتاً . بدت سوأته ، فاستحيي منه وترك درعه عليه ، وكانت تساوي مائة ناقة ، وإلى قصته مع عمرو بن العاص ، لما أكرهه معاوية على مبارزته . والقصة مشهورة .

(٧) أي ولا ذات عرض ، وأصله وأن بالهمزة ، فخففه ضرورة .

(٨) يمأن : يتقي . ومانه : احتمل مؤنته .

(٩) الزفن : الرقص .

أرْجو بمدْحِ شفيعِ العالَمينَ غداً ... عَفْوَ الإلهِ وَرُحْماهُ وَغُفرانه
وأنْ يُثَبِّتَ إيماني وَيجعلَهُ ... إيمانَ منْ لا يُضيعُ اللهُ إيمانهْ
وأنْ أنالَ بهِ ما كان أصْغرُهُ ... حُورَ النَّعيمِ وطُوباهُ وَوِلدانه
وأنْ أكونَ خَليطَ الفائزين إذا ... ماالمجرِمُ أمتارَ عنهمْ ضائناً ضانه(١)
ماقرَّبَ العبدُ للمَوْلى مدائحَهُ ... إلا تَقَبَّلَ منهُ اللهُ قُرْبانه
ياخَيرَ منْ أمّهُ جانٍ يَضُمُّ إلى ... جَناهُ من كِبرِ الآثامِ إدْمانه
هذا طريدُ جنايات أنابَ إلى ... رَبٍّ يراهُ رَحيمَ الكونِ رَحمانه
أتاكَ ياخيرَ منْ يؤتى لتُؤتيهُ ... مما يخافُ بإذنِ اللهِ إيمانهْ
أنْتَ الجيرُ الذى لا يُستباحُ له ... جارٌ إذا ماأباحَ الجارُ جيرانهْ
حامى الحَمِيَّا إذا يَحْمى الوطيسُ بنا ... عِندَ اللقاء وخلاّ الخِلُّ خِلاَّنه(٢)
هذا وكم عَمَلٍ عِندى كلا عملٍ ... قَصَّرْتُ فيهِ ولم أُتقِنْهُ إتقانه
فاقبلهُ رَبّى وَاستبدِلْ بهِ عملاً ... يُرْضيكَ ماذامَهُ شَرْعٌ ولا ذانه(٣)
وَاستبدِلِ المُغدقاتِ المُثمراتِ لنا ... من كلّ قُلاَّمَةٍ منهُ وبركانه(٤)
وإننى إن عدىٰ العادون عدوَهُمُ ... علىَّ وارْتكبَ الطاغوتُ طُغْيانه(٥)
لمستجيرٌ برَبّ المصطفىٰ وبه ... منهمْ ومنْ كلّ شيطانٍ وشيطانه

---

(١) ضائناً ضانه : أى ممتازاً عنهم بأفعاله . مأخوذ من قولهم : اضأن ضأنك . أى اعزلها .

(٢) الوطيس : فى الأصل . التنور . وحمى الوطيس : أى اشتدت الحرب ، مأخوذ منه ، وأول من قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقيل على كرم الله وجهه .

(٣) ذامه وذانه : بمعنى .

(٤) المغدقات : النخل التى طلعت عذوقها . ومن : بمعنى بدل . والقلامة : واحدة القلام وهو القاقلى ، وهو من الحمض : وقيل هو كالاشنان . إلا أنه أعظم . والبركانة : واحدة البركان ـ بالكسرة ـ وهو شجر رملى يرعاه بقر الوحش : كأن ورقه ورق الآس ، أو هو الحمض ، أو كل مالايطول ساقه من سائر الأشجار ، أو هو نبت ينبت بنجد فى الرمل ظاهراً على الأرض : له عروق دقاق ، حسن النبات ، وهو من خير الحمض .

(٥) الطاغوت : اللات والعزى ، والكاهن والشيطان ، وكل رأس ضلال : والطغيان : مجاوزة الحد فى البغى .

وكلٌّ من كثّرَ المولى بأنعُمِهِ ... على ذوى أنعم الرحمانِ أضْفانه
فاللهُ يرحَمُ بانيها ووالدَهُ ... وأمّهُ ومُحبيـــــــهِ وَوُلْدانه
واللهُ يحفظ قاريهـا وحافظها ... وأمّهُ ومُحلّيـــــــهِ وإخوانهْ
وكلّ مَنْ كان من أهلِ الوجودِ يَرىٰ ... دِيوانَ سُنّةِ خيرِ الخلقِ دِيوانه
ثمّ الصلاةُ عليهِ والسّلامُ معـاً ... حتى تُرىٰ تاركات الجسم أكوانه

وقال أيضاً يمدحه صلى الله عليه وسلم :

صلاة ربى وتسليمٌ على قمرٍ ... بَدْرٍ جَلا ظُلُماتِ الفِتْنةِ الدُّعُجا
خَرَجْتُ ضَيفاً إلى رَبى ومنْ خرجا ... ضيفاً إلى رَبهِ لا يَلتقى حَرَجا
خرَجْتُ ضيفاً إلى من لاشريكَ له ... يارَبِّ وجّهْ إلى الخيراتِ من خرجا
قرايَ عافيةٌ مما أُحاذِرُ مَعْ ... قضاءِ حاجى وأنْ تُعلى لى الدّرَجا
أرجوكَ ياخيرَ من يُرجى ولستُ أُرىٰ ... راجيك ياخيرَ من يُرجى يخيبُ رَجا
لأنتَ أكرمُ أنْ تَرْمى بمتلفَةٍ ... أخا رَجاكَ فيرميهِ رَجا لرجا
ماضاق كلاّكَ ماضاقت مذاهب من ... مهمى تضايق أمرٌ يَنْتظرْ فرَجا[1]
ماسُدّ بابُ كريمٍ دُونَ قارِعهِ ... فاقْرَعْ تجدْ بابَ مُولى الأنعمِ انفرجا
وأدْمِنِ القَرْعَ ما تبقى له فَخَرٍ ... لِمُدْمِنِ القَرْعِ للأبوابِ أنْ يَلِجا
وسِرْ إلى اللهِ مَعْ مافيكَ من عَرَجٍ ... كم بَلّغَ الصّدْقُ مَنْ لم يعْدَمِ العَرَجا
وكم وكائن تَنى التّعنيج نحو هُدًى ... عَنِ الضّلالةِ عَوْداً عُوِّدَ المَنجا[2]
وأرْغَبْ إلى ربك الأعلى ليجعلنا ... مِمّنْ على النّهْجِ نهْجِ المصطفى دَرجا
نهجِ الذى أنْزَلَ اللهُ الكتابَ هدى ... لنا عليهِ ولم يجعـلْ له عوجا

---

(١) قوله ماضاق كلاك الخ . كلا هذه ، هى الزجرية والردعية ، والكاف فيها حرف . يقولون : كلاك وليسك وبلاك ، نص على ذلك ابن مالك فى باب الاشارة من التسهيل .
(٢) التعنيج : مصدر عنج البعير ، عطفه بزمامه .

نَهْجِ السِّراجِ المُنيرِ المستضاءِ به ... طه أبى السُّرُجِ المُستعملِ الشُّرُجا
مِنهُ اُستفادَ النبيُّونَ النبوَّةَ إذ ... مما له ما لهمْ منها قد اُختُلِجا
له طربْتُ وما شوْقا تطرّبنى ... حَوْلَ اللوى طَلَلٌ أبصرْتُهُ فشجا
ولاتضرّمَ فى القلبِ الغرامُ ولا ... فاض الجمانُ لِطيرٍ مَثّلَتْ سَبَجا
ولا لِظُعْنٍ تولّتْ بغتةً لنوَى ... مَشمولةٍ طالَ ليلى بعدَها ودَجا
ولا لنأى حبيبٍ منْ أحبتنا ... مِن آلِ ليلى نأتْ سلمى بهِ أوأجا[1]
أبى فؤادىَ إلا حُبَّ مَلْجئنا ... مَلْجا البريةِ مَنْجا مَنْ إليهِ لجا
أبى فلا شنباً يَهوىٰ ولا بلجا ... يَهوىٰ ولا برَجاً يهوى ولا دَعجا
أبى فليسَ براءٍ منظراً بَهجا ... من غَيْرِ مَنْظرِ طه منظراً بَهُجا
بل كلُّ ما كان منهُ أو بهِ بَهجا ... وغيرُ ما كان منه أو به سَمُجا
ضياءُ وجهٍ يريكَ الشمسَ حالكةً ... ودُرُّ لفظٍ يُريكَ اللؤلؤَ السبجا[2]
لى لهجةٌ باُمتداحِ المصطفى لهجتْ ... ولى فؤادٌ بحبِّ المصطفى لهجا
ألا طربْتُ ألا إنى طربْتُ إلى ... مَن حُبُّهُ معَ لحمى والدَّمِ اُمتزجا
نورٌ بهِ عنْ تهَجٍّ صَحْبُهُ غَنيتْ ... وغير أصحابهِ منّا وحا وهجا[3]
محمدٌ خيرُ مُستنبٍ أقامَ على ... مايدّعيهِ من اُستنبائهِ الحُججا
خيرُ النبيئين أذكى العالمين حجاً ... أعلاهُم دَرَجاً أذكاهمُ أرَجا
سبحان رب بجثمان النبىّ سَرى ... مِنْ حيثُ لُمْ يدْلجِ السّارى ولا أدّلجا
مَنْ للنبيئين مَنْ للرُّسْلِ أين لهم ... مِنْ قابِ قَوْسينِ معراجٌ كما عرجا
أراهُ صلى عليهِ الله شمسَ هدًى ... والأنبياء حواليهِ بُدُورُ دُجا

---

(١) سلمى وأجأ : جبلان لطيء ، وإنما أنث سلمى على التأويل بالبقعة .
(٢) السبج : خرز أسود .
(٣) التهجى : تقطيع اللفظة بحروفها . وغنيت : استغنت . ووحى : تعلم الوحى ، أى الكتابة .

والأنبياء جميعاً فى اسمه اندرجوا ... عدًّا كما آيهُمْ فى آيه اندرجا
قد انقضت بانقضاء الرسل حجتهم ... وللهُدى حُجَجٌ ما تنقضى الحِججا
أليسَ للعبدِ أنْ يُسمى اسم سيدِهِ ... يُسمى اسمهُ دَرَجٌ قد فاق من درجا
دعْ ما به كفرتْ قومٌ المسيح وعن ... محامدِ المصطفى حَدِّثْ ولا حرَجا
به مكارمُ أخلاق الرجالِ غدتْ ... مُكملاتٍ وكانت قبلهُ خُدُجا
هو الشفيعُ إذا ما لم يكن شُفَعا ... يشفعْ فكان لمسلوبٍ نجاه نجا(١)
هو المَلاذ إذا ما الخطبُ طمَّ ومن ... يَلُذْ بأحمدَ حين الخطبُ طمَّ نجا
هاجت أعاديه إذ لاقتهُ نار لظىً ... حربٍ يزيد على إطفائها وهجا
يلقى الوغى بكماةٍ كالجبالِ لها ... ضربٌ يصيرُ لظىً من حرّهِ ثلَجا
كأنما الموتُ فى أفواههمْ عَسَلٌ ... من ريقِ مكتفلاتٍ بالثرى مشجا(٢)
من كلّ أروع يلقى الصبح منبلجاً ... فظلَّ يُحشِمُ وجهَ الصُّبحِ مُنبلِجا
هُم الأسودُ فإن لاقتهُمُ أسدٌ ... لاقت بهمْ أُسداً لاقوا بها الهمجا

هذا ما تيسر منها الآن ، و بقى ثلثها تقريباً .

وله من قصيدة يمدح بها النبىَّ صلى الله عليه وسلم :

صلىَّ وسلم ذو العرشِ المجيدُ على ... خيرِ البريةِ عندَ اللهِ جَمْعاء
ليس الوقوف على نأى الأحباء ... على المنازلِ يشفى الدّائمَ الدّاءِ
قبحاً لغيّكَ تستشفى لدائكَ من ... مطموسةٍ غيرِ سُفْعٍ حَوْل آناءِ
نعم تصابَيْتَ من فَرْطِ الغرامِ إلى ... مَغْنىً به كنتَ تصبو للأحباءِ
فما غداةَ لِوىْ سَلْع بأوّلِ ما ... ألوىْ بصبْرِكَ أطْلالٌ بألواءِ

(١) مسلوب : منزوع . ونجاه : جلده . ونجا : أى ينجيه ويخلصه مما هو فيه ، وهذا مأخوذ من قول ابن مالك فى المقصور والممدود .

* يتاح لمسلوب نجـاه نجاه *

(٢) مكتفلات بالثرى : يعنى النحل . ومشجاً : مختلطاً .

ولا عشيةَ وادى الخيفِ أوّلُ ما أودى بحلمك داراتٌ بأوْداءِ
قد طالَ مانحتَ واُستعبرتَ فى دمن قفرِ المعاهدِ منْ هندٍ وأسماء
عَلَّ المعاهدَ تحيينى وكيف لها وقد عَفَتْ بعدَ أحياء بأحياءِ(١)
أضَعْتُ حزمى بانسائى الإيابَ وما أضاعَ حزمَ أخى حَزْمٍ كإنساءِ
إلى مَتى أنتَ فى غَىّ الصّبا ثملاً منه بخُرْطُومِ خمرٍ غيرِ صَهباء
فالآن آن لك التخليصُ منه إلى نَهْجِ الأغرّ الأبرّ الرّائق الرّاء
مَوْلى الشفاعةِ محمودُ المقام إذا حُقَّ الفرارُ منَ الآباء والأبناء
غوثُ البَراساء إن عَضَّ الزمانُ و إنْ قَلّتْ لغوثته غوث البَراساء(٢)
ليثُ البَراكاء إنْ عَظّ الهياج و إن قَلّتْ لصولته ليثُ البراكاء(٣)

ومنها بيته المتقدم ، الذى خطأه فيه ابن بون وهو :

حسبى إذا كنتُ أستجدى أخا كرم بالحاتمى الهاشمى من حاتم الطائى

ومنها قوله :

غداةَ إذ جاءتِ الكفارُ تعثرُ فى أذيالِ أبّهةِ الشُّوسِ الأشدّاء(٤)
باءوا خزايا بأنّ اللهَ عوّضَهمْ بالعزّ ذُلاً على عِزٍّ و بأوَاء(٥)
من حرّ ضربٍ لو أنّ الماءَ كالخُهُ أعيا من اللوبِ دأماً كلّ دأماء(٦)

---

(١) أحياء : جمع حى ، وأحيا الثانى : جمع حيا وهو المطر .

(٢) البراساء : الناس ، وكذلك البرنساء ، والبرانساء وعض الزمان : اشتد .

(٣) البراكاء ــ بالفتح والضم ــ الثبات فى الحرب ، وقيل براكاء الحرب وبروكاؤها ، للمكان الذى يلزمه الأبطال . والهياج : الحرب . وعظ : اشتد ، قيل فى عضت الحرب وعض الزمان المتقدم ، أنهما بالضاد ، وقيل بالظاء ، وقيل بالوجهين فيهما ، ولا يستعمل العظ بالظاء فى غيرهما .

(٤) الأبهة : الكبر والنخوة . والشوس : جمع أشوس ، وهو الذى ينظر بمؤخر عينيه كبراً

(٥) البأواء : الفخر .

(٦) اللوب : العطش . والدأما : مصدر دأم الماء ، إذا تراكم . والدأماء : البحر .

فأضحى الأعياصُ من بعد أعتياصِهمُ لانتْ لأحمدَ منهمْ كلُّ عَوْصاء[1]
وأصبحت من أعاديهِ الليوثُ عَنتْ منه للّيثِ على الأعـداء عَدّاء

ومنهـا :

وكان مولاهُ أخفاهُ ليُظهرَهُ أيمهدُ الناسُ إظهاراً باخفاء[2]
ما حنّ صادٍ كما حنّ الجذوعُ إلى نُونٍ إلى نطفةٍ فى الوقطِ زَرْقاء[3]
أفدى ذِراعا بسم الشاةِ أخبرهُ بألسُنِ الإبلِ والبيقُورِ والشاء[4]

ومنهـا :

وقد رأى العَمُّ مِنكَ الخالَ صدَّقهُ جَدٌّ بجدّ يَشُبُّ النارَ بالمـاء[5]

وقال أيضاً :

أمُّوا الديارَ بجـانبِ أنـكَكٍ وقفـوا بهنّ وسَلّمُوا وأبكـوا[6]
وبها أذيلوا من مَدامعكم ما كان صان الحِـلمُ والنسكُ
فجمالُ أهـــل الحبّ أن يقفوا حسْبَ الغرامِ بها وأنْ يبكوا
والدّمْعُ يجرى غَيْرَ مَزْج دَمٍ بين المنـــازلِ جَوْلُه إفكُ
إنّ المنـــازلَ حقّهنّ إذا غُشِيتْ ديارُ التّـائمِ السَّفْكُ

---

(١) الأعياص : العرب المتحزبون عليـه ، مأخوذ من العيص ، وهو الشجر الكثير الملتف ، وليس المراد أعياص قريش ، لأن هذا أعم . والاعياص من قريش : أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر ، وهم العاص ، وأبو العاص ، والعيص ، وأبو العيص . والاعتياص : الاشتداد .

(٢) يعنى لمـا اختفى عن أعدائه فى الغار حيث هاجر .

(٣) النطفة ــ بالضم ــ الماء الصافى قل أو كثر . والوقط كالردهة فى الجبل ، يستنقع فيه الماء .

(٤) يعنى الذراع التى أخبرت رسول الله صلى الله عليه وسـلم بالسم ، الذى أرادت اليهودية أن تقتله به صلى الله عليه وسلم ، وذكر الذراع لتأويلها بالعضو .

(٥) العم : أبو طالب : والخال : الفراسة . والجد الأول : عبد المطلب . والثانى : السعد .

(٦) انـكك (بهمز وصل وكاف معقودة وأخرى مشددة مضمومة) اسم بئر فى نواحى لكيد (بهمزة مكسورة وكاف معقودة مكسورة) أرض معروفة .

يا دارَ فاطمـــةٍ عِمى وعِمى وعمِي وقلَّ عِمى لأنـكَكُ
فَلعيشةٌ برُباهُ راضيـــةٌ ومَعيشةٌ فى غـــيرِها ضنكُ
طافتْ بضيفِ الفلكِ فاطمةٌ ما كنتَ تدرى وَيْكَ ما الفُلكُ
زارتكَ فى فُلْكٍ عَلَى فَلَكٍ مما تَناذَرَ هولُهُ البُرُكُ(١)
يارُبَّ مأسدة يَهالُ لهـــا آسادُها آراضُهـــا نَبكُ(٢)
باتتْ تعسِّفُ تيهها وهفـا يَرْمى بها فى أمتِها الدَّكُّ
بتنا هنـالكَ وهْىَ طَوْعُ يَدى ولقدْ نبيتُ وطوْعُها الفَرْكُ
أنَّى وصلتِ لنا وكنتِ إذا رُمْتِ التَّحرُّكَ منكِ الحَرْكُ
يا حاجـــةً قدْ طالما انبعثتْ فى نفسِ يعقوبٍ متى الدَّركُ
يا جنةً تَرَكَ الصبابةُ فى قلـــبى جَهنَمَ شوْقِهـــا تذكُ
ما حقّ مشتـــــاقٍ دِيانُته تركانُ تركك يالهُ التركُ
قالوا أما تَنفَكُّ رَهْنَ هَوًى ما يُستطاعُ لرهنـــهِ فكُّ
والشيْبُ مشتَعِلٌ فقلتُ لهمْ بَلْهَ المَلامـــةَ لستُ أنفكُ
لأرىٰ مَلامَـكُم لنـــا عَبثًا وأرىٰ المسامعَ منهُ تَستكُّ
مالى وللأقـــوام أحفظها وتَبُكُّنى ما أمكنَ البكُّ(٣)
يَرْكو لتعشيرى أخىَّ ولا ألْفىٰ لِتعشيرٍ لَهُمْ أرْكُ(٤)
فنكايةُ الأعداءِ مكرُمَةٌ أمَّ الصَّديقَ فَلُؤْمًا أنْ تنكو

---

(١) الفلك بالتسكين : معروفة ، والفلك بالتحريك : موج البحر المضطرب . والبرك : جمع بركة ، وهو طائر مائى ، وأصله برك ، بضم ففتح .

(٢) آسادها : فاعل يهال . وآراضها . مبتدأ . ونبك : خبره . وهو جمع نبكة ، أى أكمة محددة الرأس .

(٣) تبكى : تضع من قدرى ما أمكنها ذلك .

(٤) يركو لتعشيرى : أى يعمل الأعمال الباطنة ، ليوقعنى فيما يضرنى ، من قولهم : ركى الأرض : حفرها .

ما كلُّ مَنْ يُبْدِى الإخاءَ أخاً ولوْ أنّ كلّ مُدَوَّر كعْكُ (١)

وسافر مولود ـ رحمه الله ـ إلى أرض السودان ، فعرض له بحر ، يقال له : ماو ، . وكان لا يعرف السباحة . فأخذوا أعواداً من شجر يسمونه « الفرنان » ، وهو موجود بتهامة بكثرة . ومن خاصة ذلك الشجر ، أنه لا يغوص فى البحر ، فجروه بها فقال :

قَدَرٌ ما قَدَرٌ أىُّ قَـــدَرْ ما أرَ عَيْنِىْ عَيْنِىْ صَنْبَصرْ (٢)
عجبَ النّـاسُ لرأيِهِ ولم يَنِ يجرى بالتّماجيبِ القـدرْ
إنّ فى عَبْرى على مَعْـبَرِهِ بَحْرَ ماوٍ عـبْرَةً للمُعْتَبرْ (٣)
نَرْكبُ البحرَ غرُوراً لا على ذاتِ ألواحٍ ولا ذات دُسُرْ (٤)
ولقدْ تعـلمُ صحبى أنّنى غيْرُ مَغرورٍ إذا ما الغرُّ غرْ
ولقدْ تعـلمُ صحبى أنّ لى نَفْسَ حُرّ حين لا منْ نفسِ حُرْ
ولقدْ تعـلمُ صحبى أنّنى بلْوُ أسفارٍ إذا طال السّفرْ (٥)
لستُ بالهلْبـاجةِ الرّامك لا يُصدِرُ الهمّ إذا الهمُّ حَضرْ (٦)
ياليـالىّ بمـاوٍ طالمـا طُلْتِ طُولاً صَيّرَ الطولَ قِصَرْ
لا أعاد اللهُ لى أمثالهَـا منْ ليـالٍ ليس نَجـلوها نَهرْ
فإلى أينَ مَفـرّى لأفِرْ يا أبنَ أتى يا أبن عمّى لا مَفرْ
هذهِ هَذِى وأنى داخِـلا بعدَها ماوًا بملكى لَسَقرْ

---

(١) الكعك : معروف .
(٢) صنبصر : اسم سودانى .
(٣) بحر ماو ، مفعول به لعبرى .
(٤) الدسر : جمع دسار ، وهو المسمار ، أى لا على سفينة .
(٥) بلو أسفار وبلى أسفار ـ بكسر الباء فيهما ـ أى أبلاه الهم والسفر والتجارب .
(٦) الهلباجة : الأحمق . والرامك : اسم فاعل من رمك بالمكان ، إذا أقام به ، لا يبرح منه ، مجهوداً كان أو غيره ، أو خاص بالمجهود .

وقد رأيت له مقطعة ومطلعها :

* ما مثلها من عتاق شعشعانات *

إلى أن يقول :

أدمانة من بنى المبروك حمّ لنا منها لعمرى إدْمانُ الصَّبابات

ورأيت له رائية جيدة ، فى مدح أحد الأشراف ، وليس فى حفظى منها شىء .

ومن أبياته التى يمرن بها صغار الطلبة ، قوله :

قد غادروا نحيتى من بعد ماملئت ملوية ضربوا ملوية جدُدَا

فملوية الأولى : خبر غادروا ، والثانية ، عن مصدر ضربوا ، أى سياطا ملوية. فإن آلة المصدر تنوب عنه ، كما نص عليه النحاة . وله أيضا :

الحقُّ أبلجُ حقاً والخفا بَرِحا والصبحُ أفصحَ إلا أنه وضَحَا

الناس تعلمنا والناس تعلمكمْ والناس تعلم منّا اللكن والفصحا

والناس تعلمنا والناس تعلمكمْ من غش جاراته منا ومن نصحا

وهذا ماتيسر لى من أشعاره الآن ، وله قصائد فيما وقع بينه و بين ابن بون ، ومع أديبج الكميلى وغيرهما ، وقد رأيت له نظماً فى حجم مجلد وسط ، جمع فيه الأجوف والناقص ، وسماه : بعج بطنه . و بالجملة فإنه من مشاهير فطاحل أرض شنقيط فى فنون كثيرة .

﴿ لِمْجَيْدري بن حبيب الله ﴾ : واسمه محمد ، ويقال له محمذ ـ بالذال المعجمة ـ مصحف محمد ، هو العالم الوحيد الذى ماله من نديد . قيل إنه أحد أربعة ، لم يبلغ أحد فى ذلك القطر مبلغهم ، وهم : ابن رازكه المترجم أوّل الكتاب ، ثم ابن الحاج إبراهيم ، الذى تقدّمت ترجمته أيضاً ، ومحمد اليدالى الآتى فى موضعه . هكذا قالوا .

وكان المختار بن بون ، أحق بكونه فى موضعه ، لأنه أستاذه : ولأن المحققين يقولون : إن الحق مع ابن بون فى المسائل التى خالفه فيها ، ولا شك أنه كان من

العلماء الأجلاء . وكان أعظم تلامذة ابن بون من اليعقوبيين ، ثم وقعت بينهما وحشة شديدة ، حتى تألبوا عليه كلهم . وكان ابن بون يذكره فى أشعاره بما كان يعانى من نصيحته فما أفاد ذلك ، ومات فى حياة المختار بن بون ، فقال قصيدة مطلعها:

أودى الضلال ألا فليفرح الجذَلا من عاش مضل شاقق الرسلا

فنقضها مولود المتقدم بقصيدة مطلعها :

أودى الكمال ألا فليفرح الجذلا من لا يموت ومن لاينقضى أجلا

وقد ألف العلامة ، محنض باب بن أعبيد الديمانى ، رسالة فى تضليله ، وهذا لا يقدح فيه ، لما هو مشهور عن العلماء من قديم .

واتصل بالسلطان سيدى محمد بن عبد الله ، ونال الحظوة عنده . ورحل إلى المشرق ، وأكرمه أمير مصر ، و بالجملة فقد كان غاية فى الفهم ، و يكفيه أن الصالح الصوفى سيدى أحمد بن إدريس الفاسى تلميذه ، ورجع إلى أرضه ومات بموضع يقال له بير إيكن (بهمزة مكسورة و ياء ساكنة وكاف ساكنة معقودة ونون مكسورة) ولم أحفظ من شعره شيئاً ، وإنما رويت له أبياتاً ، فيما ورد من كلام العرب ، على فاعول ، ولامه سين ، وهى :

خُذْ ماأتى وزن فاعول وآخره سين فمنه لداء الظفر داحُوسُ
وقيل للنـــار مأموس وموضها أيضاً كذاك و بعض الطير طاووس
وللنصارى بأوقات الصلاة يرىٰ ضربٌ لعودٍ وذاك العودُ ناقوس
ومظلم الليـــل داموس وصاحب سر الشرّ والخير جاسُوسٌ وجاسوسُ
وللأخـــير بداموس مرادفة وللعواقلِ فى الحيَّاتِ فاعُوسُ(١)
وذو النمـــامةِ فانوس وفى بقَرٍ نَوْعٌ يقال له بمصر جاموسُ
والبحر معظمه القاموس عندهم وللرَّضيع من الأطفالِ بابوسُ(٢)

(١) العواقل : جمع عاقلة ، يعنى أن فاعوسا تقال للأفعى .

(٢) البابوس : الصبى الرضيع ، وكذلك ولد الناقة ، يقال له بابوس أيضاً . قال ابن أحمر :

حنت قلوصى إلى بابوسها طربا فما حنينك بل ما أنت والذكر

وقيل : إن الأصل فيه ولد الناقة . وقال الأصمعى : لم نسمع به لغير الانسان ، إلا فى شعر ابن أحمر .

ووزن فاعلة من دَبَّ متسِمٌ بها اسمُها عندهمْ فاحفظه عاطوسُ[١]

وله فى الموشح ، يتذكر بلاده وأصحابه ، لما كان فى المشرق ، وهذا النوع يسميه أهل الصحراء ، الغناء بالعربية ، وتقدم تعريف الغناء العادى عندهم :

يامَنْ يَرىٰ ولا يُرىٰ عَنى الكُروبَ نَفسِ
لقد نفى عنى الكرىٰ شَوقى لأهلِ تيرِسِ
وأجعلْ لأمر عَسُرا يُسْراً بلا تعكُّسِ
لَهْفى عليهم نُبَلا مُهذَّبين فُضلا
إنْ قيسَ معبدٌ على غِرِّيدهم كالأخْرَسِ[٢]
أوْ قِيسَ سَحْبانُ على بَليغِهمْ لم يَنْبَسِ[٣]
حُبُّ المهيمنِ جَرىٰ فى الدَّمِ منهمْ وسرَىٰ
وامتثلوا ما أمرا بهِ أجلُّ قبسِ
واجتنبوا ما حَظرا منْ خبثٍ ورِجسِ
منزلُهمْ رَحْبُ الذرى وكومُهمْ شُمُّ الذرى[٤]
فاقوا جميعَ مَن قرى وحَطَّ بالأباخِسِ[٥]
هُمُ كرامُ ذِى الورىٰ هُمُ ثمالُ البائسِ[٦]

---

(١) قوله ووزن فاعلة من دب الخ : يعنى أن العاطوس دابة يتشاءم بها . وقال ابن خالويه : هى سمكة فى البحر ، يتشاءم بها ، ويبقى عليه الكابوس ، وهو مايقع على النائم بالليل لا يقدر معه أن يتحرك .

(٢) معبد : مغن مشهور . والغريد : المغنى . وكالأخرس : جواب الشرط ، وحذفت منه الفاء ضرورة ، والأخرس : المنعقد اللسان عن الكلام .

(٣) سحبان بن وائل : بليغ مشهور .

(٤) الذرى ـ بالفتح ـ الساحة ، والذرى ـ بالضم ـ جمع ذروة .

(٥) الأباخس : الأصابع . وقيل ما بين الأصابع وأصولها .

(٦) الثمال : الغياث ، الذى يقوم بأمر قومه . والبائس : الذى أصابه البؤس ، وهو الخضوع والفقر .

﴿ المأمون ﴾ : هو الشاعر المفلق ، واللغوى المحقق ، اشتهر بجودة الشعر وروايته ، وإحكام صنعته ودرايته . سمعت من بعض المشايخ ، أنه كان فى صباه يتحدث إلى امرأة ، يقال لها بشرى ، فلما أسنّا وتقلب عليهما الدهر ، ونسيا ما كان ، اجتمع بالمأمون بعض معاصريه ، فأراد أن يختبره . فقال له : إن بشرى ستنزل هنا عاجلا ، كالمستهزىء به ، فقال :

بشرتمونى على أنْ مَسَّنى الكِبَرُ ... مِلءَ الجوانح بشرىٰ دونها البُشَرُ
بُشرى تحادَث عنها الركبُ أنْ زَمَعت ... بصوْبنا سَفراً يا حبذا السفرُ
قالوا مَنِ المتغنّى بعدَ شَيْبَتِهِ ... فقلتُ ها أناذا المأمونُ لا نُكرُ

وكان يهاجى المختار بن بون ، وكان يؤلمه أكثر من غيره من شعراء قومه ، روى أن المختار قال : لم يضيعنى إلا أبو لِفرَيرات ، أى الساقط الأسنان ، يعنى المأمون . ومما قال فيه :

قد جُرْتَ معتسفاً يا هادى الطُّرُقِ ... وإنه البحر لا يقتلك بالغَرَقِ
أكثرتَ حزّكَ لوْ دَرَيْتَ مَفْصِلَهُ ... فاُدْرِ المَفاصِلَ قبلَ الحزّ واُستفق
ما الدينُ إلا الذى تسعى لتُوهنهُ ... آى النبىّ وآثارُ الهدى العتقِ
لا كلُّ خبْطٍ عنِ اليوْنانِ مبتدعٍ ... قدْ سُنَّ بين أصولِ الدين مُختلقِ
تَحْمى قواعدَ رَسْطاليس تحسبُها ... دِيناً لك الويلُ نبّهاك فاستفقِ (١)
إنْ قلْتَ ساغتْ لمنْ تمت قريحتُهُ ... أوِ أن تُخلّصْ لنا منْ مُسلم تَلقِ
رُدّا بأنّ أبا حفص قد أوْرَدَها ... وردّهـا المصطفى منه على تأقِ (٢)
كما البخارىُّ فى التوحيد أخرجه ... والحـبر أحمد والبزار فى طرق

(١) رسطاليس : إسمه إرسطوطاليس . فيلسوف مشهور ، وقد غيره تبعاً للمتنبى . قال :

من مبلغ الاعراب أنى بعـدها ... شاهدت رسطاليس والاسكندرا

ولم أر من عابه على المتنبى .
(٢) أبو حفص : هو عمر بن الخطاب . والتأق : الغضب .

إنْ كنتَ تُورِدُ نَسخاً أو معارضةً ... لذِى الأحاديثِ فاذكر ما ترى وسُقِ
وإنْ تكنْ قاصراً عن كونها ثبتت ... فيما حوى سَرحهُ الحفاظُ فى الورق
فاعرفْ مقامَكَ فى دَرَكِ العلومِ ولا ... تعرضْ لمن خاض فيها شاسعَ الشُّقَقِ (١)
فأنتَ ويحكَ فى وهدِ الحضيضِ فلا ... تمدُدْ يديك لمأوى فارقِ الأنُقِ (٢)

وله أيضاً :

رُبَّ ليـــلٍ بجانب الينبوع ... بتُّ من خيبة الرجَا فى النزوع
ولقد ســـاءنى ولجلج همى ... خبر ترجمـــانه من دموعى

﴿ البخارى بن المأمون ﴾ : ويقال لهُ لُيَبَّخِيرِى . شاعر مجيد وابن مجيد ، وأوّل ظهوره ، أن أهله أجدبوا ، فبعثوه يرتاد لهم ، فاتفق أنه مرّ بحىّ ، فهام بفتاة منهم ، فمكث أياماً . ثم رجع إلى أهله ، من غير أن يأتيهم بفائدة . فلما طلع على أهله ، تلقاه الرجال ، ليعلموا ما أتى به من الخبر . فلما سألوه ، أنشأ يقول :

وبيضا فى الملاحة لا تبارى ... ألا فاصْدَعْ بحبكها جهارا
فبينـــا الناسُ ينتجعون غيثاً ... إذ المـــاميّ تأتزرُ ائتزارا
لها الغيثُ أطلبُ لا ســواها ... فلا شَوْلٌ لدىّ ولا عِشارا

فسر أبوه بما سمع منه ، وقال : أشهدكم أنه حر من الاشتغال بالدنيا . فأكب على لغة العرب ، فبرع فيها ، وفى قول الشعر . ومن نظمه قوله :

ياليت شعرى متى أنمِ القُتودَ على ... ضخم العثانين ناء رفعةَ العَضُدِ (٣)

---

(١) الشقق : جمع شقة ، وهى الناحية ، أى لاتعرض لمن توسع فى العلوم .

(٢) الوهد : المنخفض من الأرض عند منقطع الجبل . والفارق : التى أخذها المخاض فذهبت لتلد . ومأواها : حيث تأوى . والأنق : جمع أنوق ، للرخمة وهى لاتبيض إلا على رؤوس الجبال .

(٣) أنمى : أرفع . والقتود : عيدان الرحل . والمراد الرحل كلها ، ضخم : عظيم . والعثانين : جمع عثنون ، وهى شعيرات تحت حنك البعير . وناء رفعة العضد : أى متباعد الخطا لطوله وسبقه .

وهلْ أرُوحنَّ مُرْتاحاً إلى حللٍ يَهدى إليها هَديرُ البزْلِ من بُعُدِ[1]
فى إبلٍ كصُفيّ السيلِ أدْمَكها سَيلُ السَّرِىّ من الجوزاء والسُّعُدِ[2]
وهلْ أبيتُ ضجيعَ الحاذِ مفترشاً منْ رَمْلِ لَبَّةَ كالعُذْريةِ الجُدُدِ[3]

ونزل فى مدينة شفقيط ، عند محمد بن عبدى بن عبد الرحمن العلوى . وكانت بالناس مجاعة عظيمة ، وفتن شديدة أيضاً ، فأكرم منزله ، فقال :

طرقت أميمة بعـــد ما سلوان عن ذكرها لتباعدِ البلدان
فهبْتُ منْ طربِ الفؤادِ لزورها فإذا بذاك تحالم النوْمان
فسألتُ من فى الأرض ينتجع الفتى ويؤمّ منزله الكسير الوان
بمحمدِ الأسنى الأمين أبى التُّقى نجلِ المجـــلّلِ عابدِ الرحمنِ
فأتيتـه مُسْيِاً فقرّب منزلى وأفادنى وأجادنى وأسانى
فى أزمةٍ تسلى الودود عن ابنها جوعاً ولا يلفى بها خلاّن
الغيثُ أخلف والسنونَ تتابعت والطيرُ يصْدَحُ منْ بنى حسّان

هذا ما تذكرت منها ، وقد غلط فى قوله : تحالم النومان ، لأن نومان ، من الأسماء التى تلازم النداء .

﴿ شيخنا ﴾ : ولا أدرى هل هذا لقب غلب عليه ، أم هو اسمه الأصلى . اشتهر ذكر هذا الشاعر بين قومه ، ولم أعثر له على شىء ، سوى أربعة أبيات ، وهى :

تحيةُ مِسْكٍ ضِيَع وَهناً بضائعٍ بدارِ وقيرٍ عِندَ غُصنِ الضَّفادعِ[4]

---

(١) الارتياح : أن يهش الانسان للشىء بنشاط وفرح . والحلل : جمع حلة ـ بالكسر ـ أى القوم النزول . والهدير : الصوت . والبزل : جمع بازل ، وهو الجمل الذى خرجت نابه .

(٢) صفى : جمع صفاة ، أى صخرة ، وإذا كانت الصفاة يمر عليها السيل ، كانت ملساء قوية . وأدمكها : ملسها . والسرى : الذى يسرى ليلا . والجوزاء والسعد : من منازل الماء .

(٣) الحاذ : نبت معروف ترعاه الابل . ولبة : بلد معروف . وتقدم بيانه .

(٤) الوقير : الغنم بكلبها وحمارها وراعيها .

سَقى الوقرَ مَنْ كانوا وحيث تيمموا رَوايا الثريا بالسُّيولِ الدَّوافع
ووقاهمُ الواقى أويْساً ورهطهُ إذا رَوَّحُوا أو أنفشوا فى المراتع[1]
بنفسِيَ عِرْضاناً وأوْطان مَعشرٍ تنِبُّ فيَحلو كالسماع لسامع[2]

﴿ محمد مولود ﴾ : بن محمد بن تكرور . معدود فى أدباء قبيلته ، ويقال إنه كان مجذوباً ، ولم أحفظ له إلا قوله فى مقطعة يمدح بها عمنا العلامة مأمون :

مأمونُ ياخيرَ مَنْ يُرجى لما عَظما أنت الكريمُ إذا ماضَنَّ من كَرُما
عَمّتْ فواضِلُكَ الآفاقَ فانسكبت على البرايا كغيثٍ سحّ وانسجما

وله فى حىّ من العلويين مرّ عليهم ، فنزل عندهم . فقال يمدحهم ، وبعد أن عمهم ، خص الصالح الفاسك المختار بن بابان :

حُيّيتَ حَيَّ حيَّ تِنْبُيَعْلِ حَيَّ المَعالى حَيَّ إيْدَوَعْلِ[3]
آيَةَ أنْ كانوا مَحطّ الرّحلِ وشُرَّعاً فى منهمْ لِلبَذْلِ
والخالطى المُكثرِ بالمُقِلّ والمجْدُ كلاً فِيهمُ إنْ تُبْلى
ولهمُ فيهِ أشدُّ الهـــلِّ ومنهمُ المختـــارُ خيْرُ نَجلِ[4]
مُسَدِّدُ القَوْلِ جميـلُ الفعلِ لا يقْرَبُ الحِزْمَ وَلىٌّ الحِلِّ
إنْ يُحْفَرَ الدّينُ فليثُ شبلِ وَرْدٌ جريءٌ خادِرٌ ذو دَخْلِ

---

(١) أويس : رجل من شياطين العرب ، كان فى الصحراء ، جرفته الغارة على من قدر عليه . وانفشوا : أرسلوا غنمهم ليلا ترعى وناموا عنها .

(٢) قوله بنفسى : أى أفدى بنفسى ، وعرضان ـ بالكسر والضم ـ جمع عريض ، وهو من المعز ماأتى عليه حول . وقيل هو الجذع . وتنب : تصوت عند إرادة السفاد ، والسماع : الغناء ، وكل ما التذته الآذان من صوت حسن سماع ، والسماع أيضاً : المسموع الحسن الجميل وكلاهما يصحان هنا ، أى يحلو نبيها لسامعه ، كما يحلو الذكر الحسن بإذن صاحبه ، أو كما يحلو الصوت الحسن عند من يطرب به .

(٣) تنبيعل ـ بكسر المثناة الفوقية وسكون النون وضم الموحدة وفتح المثناة التحتية وسكون العين المهملة وكسر اللام ـ إسم منهل مشهور ، فى أرض القبلة ، وهو من العقل .

(٤) قوله : أشد الهل : تقدم تفسيره فى نونية مولود .

قد سِيمَ خَسفاً شِبلُهُ بقتْلِ ياناقَ إنْ لم تثقلى بالحَمْلِ
فاحتملى من مجدِ أهلِ الفضل

﴿ العتيق بن محمد ﴾ : ابن الطلب المتقدم . كان شاعراً مجيداً ورث الفصاحة عن والده، ولولا أنه اشتغل بالتصوُّف ، ما كان دونه فى الشعر ، ومن نظمه قوله :

أرِقْتُ لِطَيْفٍ جابَ أرْديةَ الدُّجَى سُحَيْرًا منَ البَطحا إلىَّ بِكَنْدَلَكْ
فقلتُ له أهلا وسهلاً ومرحباً بمَسْرَكَ ياطيفَ الرَّبابِ وقلَّ لكْ

ووقعت بينه و بين العلامة سيدِ بن محمد الديمانى ، مخالفة فى مسألة علمية . فقال أحد بنى ديمان قصيدة يهجوه بها ، فقال رداً عليه :

كم دوّنَ مَنْ بِنواهمُ حُمَّ تسهيدى سَوادَ ليلىَ منْ مُعبرّة البيدِ
دَوِّيَّةٌ لا ترىٰ إلا النَّعامَ بها سَتَغتَلى جَوْفَهَا جَوْنيةُ العِيدى(١)
أإنْ أشَرْتُ بمعرُوفٍ إلى سيدِ أجْمعُتموا أمرَكم أنْ تَلتَحوا عُودى
وقامَ شاعرُكم يبكى مَعاهدَهُ هاجتْ غرامَك أطلالٌ بإكيدِ(٢)
أغرىٰ مَعاشِرَهُ كُدرْ نيتَ شاعِرَهم وَرشَّحُوهُ لِتنقيصى وتفنيدى(٣)
وأستنشَدُوهُ سَفيهَ النَّسجِ مُضطربا مُستَغرَبَ المتنِ مجهولَ الأسانيدِ
شِعرٌ لَعَمرُكَ تأبى أنْ تفُوهَ بهِ حُصُّ المَقادِمِ من شيخانِ مافُودِ(٤)

---

(١) الدوية : الفـــلاة الواسعة . وتغتلى : تسرع . وجوفها : أى فى جوف الدوية . والجونية : الناقةالبيضاء . لأن الجون تقال للأبيض ولضده ، والعيد : فحل تنسب إليه نجائب الإبل

(٢) إكيد ــ بهمزة مكسورة وكاف معقودة مكسورة أيضاً وياء ساكنة ودال مهملة مكسورة ــ بلاد معروفة من أرض القبلة .

(٣) أغرى : من الاغراء . وأكدرنيت ــ بهمزة وصل وكاف معقودة ساكنة ودال مهملة مفتوحة وراء مهملة ساكنة ونون مكسورة وبعدها ياء ساكنة وتاء مفتوحة وأصلها السكون ــ بئر من آبار إكيد .

(٤) حص : جمع أحص ، وهو الذى انحسر شعر مقدم رأسه . وشيخان : جمع شيخ . ومافود : طائفة معروفة فى أرض شنقيط ، فى غاية الجهل .

الطعنَ ويحكَ ياهذا قد اختضبتْ مِنكم عَوارى رِماحِ الحُمْرِ والسُّود
أطعمتَ عِرضَكَ منْ أسْدِ الشرى قَرماً عبلَ الذّراعينِ يأبى سَوْلةَ السيدِ
لأرْمينَّ نَواديكم بمُنْدِيةٍ مِنْ والدٍ مِنكمُ تُلقى لمْولودِ

ورأيت له قصيدتين ، فى مدح الشيخ ماء العينين ، أجاد فيهما غاية ، ولم أحفظ منهما شيئا . وكان فقيهاً ديناً جواداً ، وتوفى أواسط العشر الثانية من القرن الرابع عشر ، رحمه الله تعالى .

﴿ صُلاَّحى بن المامى ﴾ : هو العالم الوحيد فى زيه وشكله ، وفى تطوافه وإقامته ، وللناس فيه اعتقاد ، وفى أبيه قبله . وكان أبوه من أعلم قبيلته ، وكان هو مولعاً بتحرير المسائل ، وكان له طبل يحمله معه أينما توجه ، فإذا عنت مسألة عويصة وفهمت . ضرب ذلك الطبل . وكان يحارب إخوته ، لأنه يراهم مانعين للزكاة ، لأن لهم أتباعاً بمنزلة الرعية لهم ، وكانوا يفتونهم بعدم وجوب الزكاة عليهم محتجين بأن حسان يأخذون منهم الأمكاس ظلماً ، فإن ملكهم ناقص ، والشيخ خليل يقول : تجب زكاة نصاب النعم بحول وملك كملا وقاسوهم بمال العبد المملوك وكان يغير عليهم ببعض العرب أهل الشوكة ، فذهب إخوته إليه ، وكان مقيما عند محمذ فال بن متالى التَّندغى ، وكانت الناس تهابه لعلمه وصلاحه ، فرغبوا فى الصلح معه ، فعلم هو أنهم سيغدرون به ، فلما أمره الشيخ بالذهاب معهم قال :

مالى أرانى كأنى فى هَوىً مَسَكهْ مالى إلى الغيدِ منْ بشرٍ ولاحَركه
مذ قيل إنّ ضياء الدين أسلمنى المعتـــــــدين وفيما قاله بَرَكهْ
عندى لهم كلما جاؤا بغائلةٍ خَمْسٌ وفيها النفسِ المُعتدى هَلكه
سُمْرُ الحديدِ وعَوْنُ اللهِ جلّ وما جاء البشيرُ به منْ مَسْلكٍ سَلكهْ
وشِيعَةُ الغوث لى منْ دونهمْ تبعٌ ولى عَليْهِمْ أبو الزغما وما مَلكهْ[1]

(١) يعنى بالغوث : الصالح محمذ فال بن متالى ـ بالذال المعجمة ـ مصحف محمد فال ، وبأبى الزغماء : محمد لحبيب ، شيخ التزارزة.

ولا يعترض علىّ معترض ، بأن المترجم من أهل بارك الله ، لأن القبيلتين كالشىء الواحد ، وجدهما يعقوب ، فهما كالفخذين .

* * *

﴿ شعراء بنى ديمـــان ﴾

﴿ محمد بن سعيد الديمانى ﴾ : يعرف بمحمذ (بالذال المعجمة) اليدالى ، أحد العلماء الأعلام ، والفطارفة الكرام ، وتقدم أنه أحد الأربعة ، الذين لم يبلغ مبلغهم أحد فى العلم فى ذلك القطر . كان مشهوراً بالفهم والحفظ والصلاح . وله التآليف المشهورة ، منها : تفسيره الكبير ، وسماه « الذهب » وكتاب « شيم لزوايا » وغير ذلك . ويقال : إنه ماألف كتاباً إلا على إثر طرب وقع له وكان مدّاحاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأتفق أنه كان فى أرض ابن هيب ، أحد رؤساء العرب ، وكان له مدّاحون يمجدونه على عادة رؤساء حسّان ، فسمع مايقولون فيه ، فقلبه فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم ، فبلغ ذلك ابن هيب ، فغضب منه ، وأحضره وسأله عما بلغه ، فقال قلبته فيمن هو خير منك ، فلما أنشده مقالته الآتية سكن غضبه ، وأذعن للحق ، وكان جباراً ، ومما كان يمجد به ابن هيب :

خبط نَخْبَطَهَ لاهِ نَنْصَحْهَ أَبَجِبْرْ أَنْفَعْهَ يَوْمَ القيام

يعنى بالخبطة : خبطة الوتر ، وهذا النوع يسمى لغن ، كما تقدم ، وهذه منظومة اليدالى :

صـــلاة ربى مع الســـلام على حبيبى خَـيْرِ الأنام
بادى الشَّفُوفِ دانى القُطوفِ بَرّ عَطوفِ ليْثِ هُمام
ذاك النـبيُّ الهـــاشمىُّ ذاك العـلىُّ الهادى التَّهام
ذاك الرفيـعُ الغَوْث المنيـعُ ذاك الشفيعُ يومَ القيـام
عينُ الـكمالِ عينُ الجمـالِ قُطبُ الجلالِ قُطبُ الـكرام

نافى الضلالِ ضافى الظلالِ صافى الزُّلالِ لكلّ ظامِ
جَمُّ الخصالِ جَمُّ المعالى جَمُّ النَّوالِ نَدَاهُ هام
زين الخلالِ زين الرجالِ زينُ الفعالِ زَينُ الأنام
عالى المنارِ عالى الفخارِ عالى النجارِ عالى المقام
بَدْرُ السُّعودِ وافى الوُعودِ وافى العُهودِ وافى الذمام
قُطبُ الوُجودِ مُنْتَى الوُفود مُدنى الأسودِ إلى الحُمام
هادى العبادِ هادى الأيادِ جالِ الأعبادى جالِ الظلام
حام الحقائق غوثُ الخلائقِ صافِ الخلائق كافِ الزُّنام[1]
أسْنى الوَسائلْ أسْنى المحافلْ مُسْدى الجلائلْ مُرْدى اللئام
طَوْدُ الجلالَهْ بادى البسالهْ نجْمُ الرِّسالهْ بَدْرُ التمامِ
سَهْلُ السَّجايا جَمُّ المزايا بينَ البرايا وسطَ النِّظامِ
مبدى العجائبْ مُهدى الرغائبْ له كتائبْ أسْدُ اللطام
سُودُ الوقائعْ خُضرُ المرابعْ بيضُ الشرائعْ حُمْرُ السِّهام
وَجْهٌ جميلُ طرفٌ كحيلُ ظِلٌّ ظليلُ على الأنام
فخرٌ أصيلُ مَجدٌ أثيلُ خَدٌّ أسيلُ فى الفخرِ سام
عِزٌّ قديمُ هَدْىٌ قويمُ وَجْهٌ كريمُ على السَّلام
جاهٌ عظيمُ مجدٌ صميمُ جودٌ عميمُ بلا انصرام
خلقٌ صبيحُ خُلقٌ مليحُ نُطقٌ فصيحُ أسنى الكلام
ليثٌ جزيٌّ غيثٌ مريٌّ غَوثٌ بَريٌّ من كلّ ذام
هادٍ أمينُ حِصْنٌ حصينُ حَبْلٌ متينُ بلا انفصام
ناءٍ مَداهُ هامٍ نَداهُ مُولٍ عِداهُ حَدّ الحسام

(١) الزنام كغراب : الداهية ، أى كافى الأمور العظام .

ذو المعجزاتِ المبينـــاتِ المحكماتِ الغُرِّ السَّوام
أبديْ الإله سَنا حُـلاهُ زارتْ عُلاهُ ظبـا الموام
والذئبُ عنَّا والجذعُ حَنَّا له وأنـــاً كالمستهـام(١)
والبدْرُ شُـقَّ لمن تَرَقَّى وباتَ يُلقَى بالاحـترام
والصَّخرُ سَلَّمْ والجوُّ أظلمْ له تكلَّمْ موتى الرِّجام(٢)
والبئرُ فارَتْ والسَّرْحُ سارتْ دَعْى فصارتْ خُصباً أزام(٣)
والشاةُ أبدَتْ والشمسُ رُدَّتْ له أُعِـدَّتْ دارُ السَّلام(٤)
والضَّرْعُ درَّا والوحشُ قَرَّا له أقـــرَّا ضَبُّ الإكام(٥)
والجذْعُ خارا والغيثُ فارا لمَّا أشارَا إلى الغمام(٦)
آياتُ طـــه ليْسَتْ تُباهى ولا تَناهىٰ على الدَّوام
قلبي لديْهِ شَوْقِي إليـه يَزْكو عليهِ أزكى السَّلام
ماالدهرَ لاحتْ ذُكىَّ وفاحت صَبَاً وناحَتْ وُرْقُ الحمَام
عَلَى الإمامِ أعْلى الأنامِ أنْمىٰ السلامِ من السلامِ

---

(١) عَنَّ : عرض . وقصة الذئب تقدمت الإشارة إليها فى شعر مولود ، وكذلك قصة حنين الجذع .

(٢) قوله : والصخر سلم الخ . يشير إلى قصة الحجر الذى كان يسلم عليه بمكة ، وهى فى دلائل النبوَّة .

(٣) قوله : والبئر فارت . يشير إلى قصة البئر التى ركز فيها الرمح ففارت بالماء ، وهى فى الصحيح . والسرح : الشجر العظام ، ومراده حديث الشجرتين اللتين التأمتا ، حتى استتر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحديثهما فى دلائل النبوَّة .

(٤) قوله : والشاة أبدت الخ ، لعل مراده منه ، حديث ذراع الشاة ، وتقدمت الإشارة إليه . وقوله والشمس ردت : يشير إلى حديث حبس الشمس له ، حتى قدمت العير ، التى أخبر أنها ترد فى العصر . وذلك فى حديث الإسراء .

(٥) قوله : والضرع درا الخ . يشير إلى حديث مسحه على ضرع شاة أم معبد . وتقدمت الإشارة إليه ، وحديث الضب تقدمت قصته أيضاً .

(٦) قوله : والجذع خارا ، تقدمت قصته ، وقصة استسقائه ، فى الصحيح .

إنى لشـــادِ خَـيْرِ العِبادِ راجى أيـادِ مِنهُ عِظـام
يا مَنْ حَباهُ بمـــا حباهُ ثمَّ اصْطفـاهُ هب لى مَرامى
رَبِّ امْحُ عَنى ما كان منى سُـــوءا فإنى بك أعتصامى
وحُط ذنبى وأحْى قَلبى فأنْتَ رَبى مُحيى العِظـام
كَفِّرْ ذنوبى واسْتُرْ عُيوبى واكشف كروبى واغفرْ آثامى
حَقِّقْ مُنانـا فيكَ امتنانـا واغفر خَنانـا بذا الإمام
قِنا البَـلايا وافتحْ لنـايا جُمَّ العَطـايا سُبُلَ السَّلام
وارزقْ لَنـايا بارِى الـبرايا عِندَ المنـــايا حُسْنَ الختام

وقال أيضاً، يمدح سيدى عبد الله بن راز كه العلوى، المترجم فى أوّل الكتاب :

بَراعـــــة استهلالِ بَدْرُ البَهى والجمـال
إعارةُ الجفنِ دَمْعـــا يَنهلُّ والجمـــرُ بالِ
ضِدّانِ كانا بجسمى فذاكَ عَينُ المُحالِ
فبرْجُهُ حَرُّ قلبى منى رَهينُ القِلالِ
لمّا غدا الطيفُ يوْماً يَزُورنى لِلوِصـال
كان السُّهادُ على مقـــلتى رَقيبَ الخيـــال
فبِتُّ ليـــــلى كأنى فيه سليمُ الهـلال
أجرُّ ذيل الهوى طـا ئعاً له باختيال
لوْ لمْ أجبْـهُ أجابت محـاجرى بانهمال
وبتُّ جانى غَضِّ من زَهرِهِ المُتغالى
والبرْقُ يهفو كقلبى لـكنه ذو كلال
والزهـرُ يَرْمُقُ شزرا كناظرِ الرئبال[1]

(١) الرئبال : كقرطاس الأسد . وقال أبو سعيد السكرى : الرئبال من السباع : الكثير اللحم ، الحديث السنّ .

وبينهما البدرُ يزهو كشيخ نادٍ بجالِ[1]
فقلتُ ذا وجهُ سُعْدىٰ الباهرُ المتـــلالى[2]
خَوْدٌ رَمَتْ حرَّ قلبى بناظرٍ ذى اعتلال
وحَمَّلتنى مِنْ أعبـا ءِ الحبِّ فوقَ احتمال
تحمى حشى مُستهامٍ طلا بغـــير حمال
قتّالةٌ بهواهـــا لا بالقنى والقتـال
ولا بضربِ المواضى ولا بطعن العوالى
ولا برَمْىِ الزباريـــط لا ورَشْقِ النبّال[3]
تجلُّدى واصطبارى ووصلها فى انفصالِ
ولَوْعَتى وغرامى وهجرها فى اتصال
وصرمها للمُحبـــين دائماً متوالِ
ووعدها وهَواها للحبّ رَقْرَاقُ آلِ
وعُذّلى فى هَواها أشباهُ صُهْبِ السّبال
يا هندُ جودى لصبٍّ بنار حُبِّكِ صالِ
وسيف هجرك أمضى من السيوف الصقال
ونار شوقكِ دأباً فى القلبِ ذاتُ اشتعال
مليحةُ الوَجْهِ والغنـــجِ والغنا والدلالِ

---

(١) البجال والبجيل : كسحاب وأمير ، أى مبجل ، أو هو الشيخ الكبير السيد العظيم ، مع جمال ونبل .

(٢) المتلالى : أصله المتلألىء بهمزتين ، فسهلهما . والمتلألىء : المضىء .

(٣) قوله : ولا برمى الزباريط ، هكذا وجدت هذه اللفظة مكتوبة ، ولعلها تحريف من الناسخ . والأصل : الزباطيط ، أو السباطيط ، وفى القاموس وشرحه فى زبط : والزبطانة مثل السبطانة محركة فيهما ، مجرى طويل مثقوب . يرمى فيه بالبندق وبالحسبان نفخا : وفيهما فى س ب ط ، والسبطانة محركة : قناة جوفاء مضروبة بالعقب ، يرمى بها الطير ، وقيل يرمى فيها بسهام صغار ، ينفخ فيها نفخاً فلا تكاد تخطىء

اللونُ منهـــا بَهِيٌّ والحسْنُ شمس الزوالِ
والجسم منهـــا لطيفٌ والقدُّ مثـــلُ الهَدَالِ(١)
والفرعُ منهـــا أثيث والوجـه مثلُ الهِلال
والطرفُ منها غضيضٌ والثغرُ رطْبُ اللآلى
والخـــدُّ منها أسيلٌ والجيدُ جيـدُ غزال
والكشْحُ منها رخيصٌ والرِّدفُ مثـــل النهال(٢)
بهنَانةٌ خَـدْلةُ السا قِ صفرُ مرسى الحجال(٣)
ألذ منطِقهـــا من سُـــــلافةٍ بزلال
لفظٌ تـكلّ المثانى من دونـه والمثالث
لقد عـــدانيَ عنها رغماً صروفُ الليـال
أغرَتْ هموماً توالتْ علىّ أىّ تـــوال
لها بميدان قلبى مجالٌ أىُّ مجـال
عنِ التخلص منهـــا كلّتْ وجـوهُ احتيالى
إن لذتُ بالسَّيِّدِ المَلْـــكِ لستُ بعدُ أبالى
يجود سمحاً بحسن الـــخلاص من مكرها لى(٤)
عبد الإله الأديب الصـــدر العريق الأثالى(٥)

---

(١) الهدال : كسحاب ، ماتهدل من الأغصان ، أى تدلى ، يعنى أنها لينة القد .

(٢) النهال : الكثيب ولم نره بهـذا اللفظ . وفى القاموس وشرحه ، والنهال : الكثيب العالى ، الذى لايتماسك انهياراً عن موضعه .

(٣) البهنانة : المرأة الطيبة النفس والأرج . وقيـل هى الطيبة الريح الحسنة الخلق ، السمحة لزوجها أو هى اللينة فى عملها ومنطقها . وقيل هى الضحاكة المتهللة الخفيفة الروح .

(٤) هذا المعنى قد عيب على المتنبى ، فإنه لما قال :

علّ الامير يرى ذلى فيشـفع لى إلى التى صـيرتنى فى الهـوى مثلا

أنـكر ذلك عليه الممدوح ، وقال له : أجعلتنى قواداً ؟ .

(٥) العريق : كريم الاعراق . والأثال : أصله الأثالى ، نسبة إلى الأثال ، كسحاب وغراب وهو المجد والشرف .

صدر الأفاضل غوثِ العبادِ بدر الكمال
سعدِ الزمانِ كريم الغثا سنىِّ الخصال(١)
فخرِ الأنام جمال الإ سلام حلوِ الشمّال(٢)
هامِي البنان خصيبِ القنا جزيلِ النوال
تاج الفخار ذكيُّ الحجا سديدُ الفعال
نورُ الأئمةِ قُطبٌ حَبرٌ فقيدُ المثال
قاضى القضاة سراجٌ لِسدفةِ الجهل جال
ندبٌ سفيطٌ طموحٌ إلى الأمورِ العوال(٣)
ملجأ لكل طريدٍ مأوىٰ العفاةِ ثمال(٤)
ذو المعلواتِ الموالى والموهبات الجزال
جالى دُجا كلّ خَطبٍ أعيا دُهاةِ الرجال
مُستمسكٌ من هدى شِرْ عة النبى بحبال
وسيفُ حقّ على أهل الزّيغ والاعتزال
أماتَ ريحُ هداهُ هُوجَ الهوىٰ والضلال
صارا به دائماً فى مهانةٍ وابتذال
فالحقُّ أضحىٰ مُحلى به بأبهى المحال(٥)
ومنهجُ الشرع يزهو مُطرَّز البرد حالى(٦)

---

(١) الثنا : مقصور ما أخبرت به عن الرجل ، من حسن أو سيء ، يقال : فلان حسن الثنا ، وقبيح الثنا .
(٢) الشمال : أصله الشمائل ، أى الطبائع .
(٣) السفيط : طيب النفس . وقيل هو السخى .
(٤) مأوى العفاة : أى يأوون إليه ، والثمال : الملجأ .
(٥) المحال : ضرب من الحلى ، يصاغ مفقراً ، أى محززاً ، على تفقير وسط الجراد .
(٦) المهيع : كمقعد ، الطريق الواسع البين . ومطرز : من التطريز .

قدْ صانه فهوَ دأباً عن نصرهِ غير آلِ
وذبَّ عنهُ ببيضٍ من الهدى والنِّصال
حتَّى غدا مستقيما ميزانهُ باعتدال
به العلومُ تحلَّتْ أبهى حُلَى وحِلال[1]
قد فاز منها بما لم يخطرُ لإنس ببال
رسَتْ بأرضِ حِجاه للعلمِ بُهْمُ الجبال[2]
جبالُ الأرضين أضحتْ فى جنبهِ كالتِّلال[3]
والناسُ فى كلّ فنّ كانوا لهُ كالعيال
تهوى له من بعيدٍ من موكبٍ ورجال
مقامهُ فى الأعاريـــب والعقائدِ عال
وفى البلاغةِ نظماً وكلّ سِحرٍ حَلال
وفى العلوم جميعا وفى علوم الأوَال
وشرح كلّ عويص صعْبِ المرام عُضَال
يهدى غرائبَ أشهى من قرقَفٍ وفِضال[5]
يبدى الدقائق فهْماً يُنيلُ قبلَ السؤال
لا واكفُ القطر يحكى كفيهِ فى الانهمال

---

(١) قوله : أبهى حلا : أى أحسن حلا . وحلال : جمع حلة بالضم ، وهى إزار ورداء برد أو غيره ، ولا تكون حلة إلا من ثوبين .

(٢) البهم : جمع أبهم ، وهو الجبل الصعب الطويل ، الذى لايرتقى . وقيل هو الذى لانبات فيه .

(٣) الأرضين : جمع أرض ، وهو من الجموع الشاذة ، لأن أرضا مؤنث ، ولغير العاقل أيضاً .

(٤) الأوال : بمعنى الأوائل . كما قال المتنبى :

يدفن بعضنا بعضاً ويمشى أواخرنا على هام الأوال

(٥) القرقف : كجعفر . والقرقوف : كعصفور ، الخمر التى يرعد عنها صاحبها ، من إدمانه إياها . والفضال : الخمر أيضاً .

إذا السحائبُ يوماً غدَون صُبَّ الظِّلال
والدهرُ طوعَ يديه يجرى له بانفعال
وليسَ يسلم يوما من ذى اغتباطٍ وتال[1]
من معشر فى الورى قد حازوا شعارَ الجلال
ذوو نهى ووجوه غرٌّ وأيدٍ طوال
ذوو حروفٍ ثلاثٍ ميمٍ وجيمٍ ودال
ذُمْرُ سراتٌ كرام شُمُّ الأنوفِ أعال[2]
لهمْ خلائق زُهْرٌ تندى كزهر المآل[3]
نالوا العلى والمزايا والعزَّ غير مجال
هم فى المكارم تبر وغيرُهمْ كالطُّفال[4]
هُمْ فى الجلال يمين وغيرهمْ كالشمال
همْ فى الفخار صميمٌ وغيرُهمْ كالموالى
هُمْ فى العلى كالثالى وغيرُهمْ كالرمال
طرزتُ ديباجَ شِعرى بنشرِ تلكَ الخلال
فاهنأ فقد نلت تاج الشعر العزيز المنال
فأنتَ حاملُ أعبا ء المعلمات الثقال
بسطُ الزمان علينا سعدٌ وأحسن حال
إليكها بكرَ فكرٍ يا سيدى ذى كلال
أضحتْ بذكرِك فيها تباهى بحَلْيٍ وخال[5]

(١) من ذى اغتباط : الاغتباط ، تمنى النعمة على أن لا تزول عن صاحبها ، وهو غير الحسد .
(٢) الذمر : جمع اذمر ، أى شجاع . والسراة : قيل جمع سرى ، وقيل هو مفرد . والأول أكثر . والثانى أصح .
(٣) المآل : بالكسر ، جمع مالة ، وهى الروضة .
(٤) التبر : الذهب . والطفال : كغراب وسحاب ، الطين اليابس
(٥) الخال : التكبر .

يُثنى عليك لسانٌ منها صدوق المقالِ
بنظم فضلك تشدو دأباً بغير مَلال
مستهدياً منك عطف السماح والإحتفالِ
فاُعذُر لها واُلحظنها بمقلةِ المتبالى
واُسمح ولا تنقدنها واَبسُطْ لها وجْهَ خال
لخاتمِ العزّ أبقا ك فصًا المتعالى

وقال سيدى عبد الله بن راز كه يحييه :

أحداجُ تلك الجمال مشحونةٌ بالجمال
زالت عليها شمُوسٌ فاَقتْ شموسَ الزوال
ما غابَ مُذْ غِبنَ عنّا سُهْدُ الليالى الطوال
راجى الصباح بِلا شم سٍ بائتٌ فى الضّلال
لم تخطِنا إذ رمتنا أرآمُ آلِ بلال
أترابُ حىّ لقاحٍ عَرَنْدَسٍ ذى طلال
أهلُ الجيادِ المَذاكى والعوذِ عوذٍ متال
والبيضُ بيضٌ مواضٍ والسُمْرُ سُمْرٌ عوَال
لله يومٌ شهدنا وغاهُ غيرَ عجال
ذوو العمائم فيه أسْرَىٰ ذواتِ الحجال
وتترك الأسدَ صرعى ظِباؤه بالنبال
سلْ ما لسَلمى وخير إصغاؤها للسُؤال
رُمنا رضاها فرمنا حصولَ رِىٍّ بآل
محمودَةٌ أختها آ ختنا بمنع الوصال[1]

(١) محمودة : اسم امرأة .

فوصلُها ذو أنصرام وصَرمُها ذو اتصال
دامتْ بكسرِ نصال فى القلبِ فوقَ نصال
محمودةٌ ماذَمَمْنا لجاجَها فى الدلال
ولا مَلِلنا وإن لم تترُكْ دوامَ المَلال
إذ قلبها عَكَّ قلبى بصالبٍ ومَلال(١)
وجفنها وهواها فى صحّةٍ وأعتلال
أحِبُّها وأراها ترىٰ وجوبَ أغتيال
فما أحتيالى أطّباها ولا لطيفُ أحتيال
ما طافَ أبخَلُ منها حتى بطيفِ الخيال
يا ليتها بذلَ وسْعى لكنها لاتبالى
براقةُ الخدِّ يَسْرِى لألاؤها فى الذُّبال
فالحبُّ ينكُصُ مهمى دعى هواها نَزال
لا بالغَزالة ترضى شِبْهاً ولا بالغزال(٢)
رطب اللثالى بعيد من ثغرها فى الصقال
قامَتْ بعطف خفافٍ حملان ردفٍ ثقال
لا يخطرُ البانُ ماتخـطر الهوُينا ببال
والبدر قوبلَ تِمّاً من نعلها بالقبال(٣)
حسن التخلُّصِ من حـ بها عزيز المنال

---

(١) عك قلبى : أتعبه وأضجره . والصالب : من الصداع . وهذا مأخوذ من قول الشاعر :
* يروعك حمى من ملال وصالب *

(٢) الغزالة : الشمس . والغزال : معروف .

(٣) قبال النعل : زمام يكون بين الأصابع الوسطى والتى تليها . وقيل : هو مثل الزمام يكون فى الأصبع الوسطى والتى تليها . وقيل : هو ما كان قدام عقد الشراك .

محمودةٌ فى الغوانى مُحمدٌ فى الرجال[١]
محمـــد كالمحلّى من حلبة فى المجال[٢]
هو الزكىُّ الذكىُّ الحُسّانُ زِينُ المعالى
والفرد فى العلم والحلم والحجا والفعال
من ليس ينطِقُ إلا بالسِّحْرِ ذاك الحلال
الحافظُ المتروِّى أمِنْ سَخىٍّ أمْ بكالى
والشارحُ المُشكلاتِ المُستحكماتِ الشِّكال
والصّارمُ الأشعرى المنجى على الإعتزال
يزالُ رضْوىاً نزعاجاً ولم يكنْ بالمُزال
عِلْمُ الكلامِ يسمّى فيه حَذامِى المقال[٣]
جارى الأدلة ليست إجراء ذاتِ العِقال[٤]
قطب اجتهادٍ مصيبٌ فى الفقه عندَ الجدال
منقولهُ يحْتَذِيه معقوله بالاعتدال
تميزه فى الأعاريبِ لا يُوَازى بحال
ذو رتبةٍ بعدتْ عن تنازُعٍ واشتغال
مَن مِثلهُ حين يعيى فى الفرع ضربُ مثال
يبديه فهماً وإلا أتى بثانٍ وثالث

---

(١) محمودة : اسم امرأة كما تقدم . وقوله : محمد فى الرجال ، يعنى أنه فاق الرجال فى الكمال ، كما فاقت هى النساء فى الجمال .

(٢) المحلى : أول خيل الحلبة .

(٣) يعنى أنه إذا قال قولا فى علم الكلام ، لا يحتمل أن يخطىء فيه ، كما أن حذام إذا قالت شيئاً لا تكذب فيه . قال الشاعر :

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ماقالت حذام

(٤) لعل مراده بذات العقال : مسألة فى الدماء ، وهى مساواة المرأة للرجل ، إلى ثلث الدية ، ثم تكون على النصف . والله أعلم .

عالى محمدْ سعيـــــدٍ فلم ينلهُ مُعـــالى
بنو محمدْ سعيـدٍ حذوه حذو النّعال
الناسُ فى المجـد هضْبٌ وهمْ أعالى الجبـال
يُمتُّ عند حبول لديهمُ بالحبـــال
شدُّوا الرّحالَ إليهم وهمْ محط الرّحال
طلاّبُ وجْـدان أمثا لهمْ طلاب المُحـال
والسّادة القادة السّا رة السّراةُ الخلال
هيـآتُهمْ زيّنتْهـا هيْبات عزّ الجـلال
يابْن الـكرام أرسُ طوداً ما أُرْسىَ أبنا رغال[1]
حلّيْت منْ ليس أهلاً لمدحك المُتعـــالى
وجاء شعرك سلـكا فيه حسانُ اللئالى
يؤولُ عنـدى بذهنٍ سُداهُ حسن المآل
روْضٌ سقـاه غمامٌ ملْو رد لا من سيال
فأرْق تحت سطورال أيام تحت الليالى
يقول رائى حُـــلاه باتْ صداها بَلال[2]
هذى يدُ أبن هلال وذا فمُ أبن هلال[3]
حذوتنى وعنـــائى فقط حـذاء الثّفال[4]
كالطفل عارض شيْخاً عن تبره بالطفـال[5]

---

(١) ابنا رغال : كسحاب ، جبلان قرب ضرية .
(٢) قوله : بلت صداها بلال ، الصدا : العطش . وبلال بالبناء على الكسر : مصدر بل رحمه بلا وبلال .
(٣) هذى يد ابن هلال : يعنى فى الكرم . وذا فم ابن هلال : يعنى حميد بن ثور ، رضى الله عنه . وهو من المجيدين ، يعنى أنه يحاكيه فى جودة الشعر .
(٤) الثفال : الجمل البطيء .
(٥) الطفال : الطين اليابس كما تقدم .

جاز بيته واليواقيـــــتُ حُوزيتْ بالرمال
إن أمْليا فليقالا شتان بين الأمالى
فاعذُرْ فهذا مودى رويّتى وارْتجالى
سجّلْتُ حُكما بعجزى والعجزُ بونُ السّجال[1]
قلْ هات أعط كنفْـــــسى فما ثوابُ كمالى
كُنِ اليمين فما النا سُ كلُّهمْ بالشمالى
برعْتَ فى البدْءِ فازْدنْ براعة فى الكمال

ولمحمد اليدالى أيضاً يمدح قبيلته :

ديمان فى الناس تبرٌ وغيرهم كالفخار[2]
فيومُهمُ يومُ عيدٍ وليلهم كالنّهارِ

وله بيتٌ مشهورٌ فى هذا المعنى :

إنا بنى ديمان إنْ ذُكر العُلىٰ نذكرْ وإن ذُكرَ الخنا بُرآء

هذا ما تيسرَ منْ شعره الآن .

﴿ مَخْنضْ بَابَ بْنُ أَعْبَيْدْ الديمانى ﴾ : علامة شنقيط ، وهو عقدها الوسيط ، البدر المنير ، والعلامة النحرير . سيف الله القاطع ، وغيثه الهامع ، شمر عن ساعد جده ، وأدرك العلوم بفهمه وكده . هو مِدرهُ عصره ، وعلم مصره ، أبرزه الله لأهل إقليمه بدراً منيراً ، وللصادين عذباً نميراً . ما ضاعت أوقاته ، ولا خابت عفاته ، وكان عند حسان حرماً آمنا ، وحصناً حصيناً ساكنا ، وإليه مرجع العلماء إذا اختلفوا ، وما ظنك بمن كان يصلح لابن بون وهو هو ، فقد وجده يحرف بيتين ، أحدهما قول الشاعر .

---

(١) سجلت حكما بعجزى : أى حكمت على نفسى ، حكماً قطعياً بعجزى عن مداك . وبون السجال أى مباين السجال ، وهو مصدر ساجله مساجلة وسجالا ، أى باراه وفاخره .
(٢) الفخار : الطين .

مشين كما اهتزت رماح تسفهت أعاليها مر الرياح النواسم

فإنه كان يقرأه : من الرياح النواسم ، فإنه من شواهد النحو ، والشاهد فيه تأنيث الفعل المسند إلى مر ، وهو مذكر ، وإنما اكتسب التأنيث من إضافته إلى الرياح ، وقد بعث المختار المذكور لغزاً فى لفظة جاء إلى بنى ديمان ، فى أبيات نظمها ، فأجابه محنض باب بشطر ، وجعل الثانى لغزاً ، وأول أبيات المختار :

ألا يا بنى ديمان لا زال مرتحل إليكم يريد المعضلات من المضل

وضاع منى آخرها ، وبيت محنض باب :

لعل مراد الشيخ جاء ومن لنا بحرف يثنيه ويجمع من عقل

يعنى الكاف فى ذلك ، فإنها حرف تتصرف تصرف الكاف الاسمية ، والحروف لا تتصرف .

وقد أراد إنسان ممن له به اتصال ، أن يضبط شغله ، قال فرأيته فى وقت الصباح ، يسوق بقرة إلى موضع الرعى ، ثم يذهب ، والقدوم على عاتقه ، يقطع بها أعواداً من الشجر الرطب ، ليطوى بها بئراً يحفرها فى محل صعب ، ثم يعود بكثير منها على عاتقه ، ثم يرجع إلى البئر ليقف على عبيده المكلفين بحفرها ثم يرجع ليدرس للطلبة ، ثم يشتغل بقرى الأضياف ، لأنه كان مورداً ، ثم يبقى هكذا إلى أن تقام الناس ، فيشتغل بتصنيف كتابه « ميسر الجليل على مختصر خليل » وكان لا تأخذه فى الله لومة لائم . ولما أظهر ابن الأمين بن الحاج الشقراوى ، أموراً تخالف مذهب الفقهاء ، ألف فى تضليله ، لينفر الناس من تلك الأقاويل ، وكان ابن الأمين المذكور تخافه الناس لعلمه وسلاطة لسانه ، فهجاه ولم يبال بذلك ، كما سيأتى بيانه ، وما زال يوضح للناس فساد شبهه ، حتى حبط مسعاه ، ووقعت بينه وبين إدييج الكمليلى مخالفات ، ولما هجا التجانيين ، قال فيه ، وفى أمثاله منظومة منها :

نَهوا عَنِ الطريقِ مَنْ أرادَها وأنكروا لعا لمِ أورادها

أليستْ الطريقُ ذكر اللهِ والنهىُ عنهُ منكر ياناه
وأنكروا الجمع والاجتماعا للذكر وهو جائزٌ إجماعا
جرى على ذلك مذ أعصار شرقاً وغرباً عمل الأمصار
فوقع الاجماع بعد الخلف فيه فجاز اليوم دون خُلف

وله فى النحو أنظام كثيرة ، ومنها « نظم الجموع المحفوظة عن العرب » على ترتيب نظم ابن مالك فى ألفيته ، متبعاً لكل مقيس ما حفظ فيه . وله قصيدة يمدح بها العلويين عامة ، وأبناء القاضى خاصة ، ومطلعها :

دع المدحَ يَسْعى فى مسارحهِ يرعى ولا ترعه إلا كلاً طيّبَ المرْعا
فمم به فى إيدوعل وخصصن بنى شيخنا قاضى القضاة نجد مرعا
فجدهم أستاذ تاشمشَ كلهم قدار تضعوامن علمه الخلف والضرعا(١)
لهم ذمة لا تنقضى حُرُماتها يحق لهم طول الدهار ير أن تُرعا

وقد أجابها حرم بن عبد الجليل المتقدم ، بقصيدة لم يبق فى ذهنى منها إلا قوله :

فلا يحْسُنُ العقدُ النفيسُ جواهراً إذا لم يكن فى جيد غانية تلعا

ومن نظمه :

ليس من أخطأ الصواب بمخط إنْ يَؤُبْ لا ولا عليهِ ملامَهْ
إنما المخطئُ المسيء الذى إن وضح الحق لج يحمى كلامه

﴿ ابن عَبْدَمْ الديمانى ﴾ : هو النحوى الشهير ، الذى شاع ذكره وذاع ، وانتشر فى تلك الأصقاع ، وما وقفت له على شعر ، وله نظم متداول فى نونى التوكيد وهو :

إن تسند الفعل لواو أو ليا ولامه إحداهما فأوليا
كلاً من الحرفين حذفاً وصل بالنون عين الفعل والأمر جلى

(١) قوله : تاشمش ، علم على خمس قبائل من الزوايا .

أما لدى أتفاق لامٍ والضميرْ لفظاً فلا إشكال والأمر شهيرْ
وعند ما يختلفـــان فات بشكلة لمضمر توات
كارمنَّ يا قومُ بضم الميم وأرجنَّ يا هندُ بكسر الجيم

وهذا مافى ذهنى منه .

﴿ صُلاَّحى الديمانى ﴾ : هو الصالح المشهور ، والعالم المذكور ، ومن نظمه :

أحسنُ ما رأيت فى رحلتى يا نزهتى من بعدكم غيطَلَهْ
أبصرتها تختال فى ربطـــة والريح فى أردانها مرسلَهْ
بينا أنا فى سُبْحَتى ذاهلٌ والنفسُ فى نَهْجِ التقى مُعْمَلَهْ
إذ لاحَ لى من ثغرِها لائح أنسانى التسبيح والهيللَه
من أرسل الطرفَ إلى غيرها قد ضيع الإرسالَ والمرسَلة

﴿ المختار بن أُلمَّا ﴾ : هو العالم الوحيد ، ذو الرأى السديد ، والجود العتيد ، برع فى النحو والعربية ، وله اليد الطولى فى الفقه والبيان والمنطق . وكان صالحاً ناسكا ، حليما موروداً ، مهيباً عند قومه ، معظماً فيهم . وقد قرأت عليه نبذة من النحو ، ومن أعجب ما رأيت فيه ، أنه إذا حدثك فى غير وقت الدرس ، لا تفهم من كلامه إلا القليل . وإذا قعد يدرس ، لا تجد من يُفهِمُ الطالب مثله .

ومن أجل مشايخه الذين تلقى عنهم : محمد قال بن متالى التندغى . وتوفى بعد العشر الأول من القرن الرابع عشر فيما أظن ، وله مقطعات ،لم يحضرنى منها شىء وأنظام كثيرة فى النحو ، منها :

فى القول خلف هل به يسمى لفظ به دُلّ على معنىً ما
أو المركَّبِ بغـــير قيدِ أو المركب بقيد الفيدِ

وله أيضاً :

يجوز للكوفى أن تنادى معرفاً بأل بعكس النادِ

تمسكا بقول من قد مرّا أيا الغلامان اللذان فرا
* إيا كما أن تحدثان الشرا *

وكان العلامة محمد بن أحمد يورَ الديمانى ، قال بيتاً وهو :

وخرنق بكسرتين عنتره أحت له فانظره فى الروض تره

فقال رادًّا عليه :

وخرنق بكسرتين طرفه أخت له فى الروض هـذه الصفه

* * *

﴿ شعراء أولاد أبيير ﴾

﴿ الشيخ سيدىّ ﴾ : بن المختار بن الهَيْبَ الأبييرى ، ثم الإنتشائى ، ونسبه الأصلى يرجع إلى تندغ ، ثم إن فخذه أولاد انتشاييت كذلك ، وإنما سكنوا فى أولاد أبيير ، وتواشجت بينهم الأرحام ، ثم إن الله أعلا به أولاد أبيير وغيرهم . هو العلم الذى رفع على أهل قطره ، وأستظل به أهل دهره ، وماذا أقول فى رجل اتفق على أنه لم يظهر مثله فى تلك البلاد ، وقد رأينا من أحفاده ما يرفع العناد ، إذ من المعلوم أنهم قاصرون عن مداه ، أو لم يجاوزه إلى ما رواه .

وأشتغل فى شبابه بالعلوم و برع فيها ، بملازمته لحرمَ بن عبد الجليل العلوى ، وكان يخدمه خدمة العبد لمولاه ، فجازاه الله تعالى بذلك ، حتى إن تلاميذه كانوا لا يدخلون عليه ، إلا حبوا على ركبهم إجلالاً له .

وحدّث من رآه فى زمن أشتغاله عليه . قال : أرسل حرم المذكور إلى التلاميذ ، أن يذهب أحدهم إلى المنهل ليسقى البقر ، فإن العبد القائم بأمره غير موجود ، فلم ينتدب لذلك إلا الشيخ سيدىّ ، فلما أتى بالبقر ، جعل يقرأ مع التلاميذ على ضوء النار ، فأرسل إليهم أيضاً أن يحلب أحدهم البقر ، فلم ينتدب لذلك غير الشيخ سيدى ، ثم إنه رجع بعد حلب البقر ، وجعل يقرأ أيضاً ، فوافى

رسول من حرم أيضاً ، بأن يحضر أحدهم قرى الأضياف النازلين عنده ، فلم ينتدب لذلك غير الشيخ سيدىّ .

ولما تضلع من علمه ، شد الرحل إلى الشيخ المختار الكنتى بأزواد من مسيرة شهر ، وأكثرها غامر . ثم وصل إليه ، ولازمه ستة أشهر ، ثم مات الشيخ المختار ، فبقى عند ابنه سيدى محمد المعروف بالخليفة ، لقيامه مقام أبيه ، فلازمه عشرين سنة يخدمه فيها ، حتى برع فى معرفة الطريق ، وعلم الأسرار ، ثم رجع إلى بلاده . فنزل أولاً فى تندغ ، أصله القديم ، فلم يكترثوا به ، ثم رجع إلى قبيلته أولاد أبيير ، فتلقوه بما هو أهله وأكرموه ، واعترفوا بفضله ، فلم تزل فضائله تبدو ، حتى أذعنت له الزوايا وحسّان ، وصار مثل الملك بينهم ، فلا يعقب أمره . وكان أهلا لذلك ، كرماً وحلماً وعلماً ، ولم تزل الدنيا تنثال عليه ، ويفرقها فى الناس ، وقدم مُرّاكش فى أيام المولى عبد الرحمن ، وأظنه كان متوجهاً للحج ، فرجع بسبب المرض فى الحجاز ، ونال حظوة عظيمة من السلطان .

وحدثنى الفاضل عبد الرحمن الجزولى ، المعروف فى مراكش بابن التلمود . وكان أبوه كاتباً للمولى عبد الرحمن : أنه لما قدم إلى مراكش ، وجد المولى سيدى محمد بن المولى عبد الرحمن ، ألكن لا يبين الكلام ، فتفل فى فمه ، فانطلق بالكلام . وكان يبحث عن الكتب فى مراكش ليشتريها . فإذا أراد أن يقضى الثمن ، يسلم إلى البائع مابقى عن المحاسبة بالغاً ما بلغ .

وكانت العرب فى أرض شنقيط ، تجعله حرماً آمنا ، فيجتمع عنده أحدهم ، بمن قتل أباه أو أخاه ، فيجلسهما على مائدة واحدة . وإذا بلغ الجانى نواحى البلد الذى يقيم به ، أمن على نفسه . ولم يمض عليه يوم ، إلا وعنده آلاف من الناس ، يطعمهم ويكسوهم ، ويقضى جميع مآربهم ، حتى لقى الله ، ولا يسأله أحد حاجة إلا أعطاه إياها ، بالغة مابلغت .

وكان تلامذته يريدون أن يقللوا من ذلك ، فما أمكنهم . وسأله يوماً

شخص ، حماراً . فقال : أعطوه الحمار الفلانى . فقالوا : إنه غائب . فقال : أعطوه الجمل الفلانى . فقالوا : إن الحمار قد حضر . فقال : أعطوه إياهما معاً . وجاءه أحد أبناء شيخه ، فأعطاه جميع ماتملك من الدنيا ، ثم عاد إليه بعد مدة ، ففعل ذلك ثلاث مرات .

وشكى إليه إنسان ، سوء معاملة امرأته إياه . فقال له : وما لكم ؟ فأخبره بأن عندهم شيئاً من الغنم ، وحماراً وأمة وقال : إن هذا لامرأته فدعا بأحد تلامذته ، وأمره أن يعطيه غنما وحماراً وأمة . وقال له : إنها سيسهل أمرها .

وشكا إليه تلامذته المكلفون بالأضياف كثرتهم . فقال : إنحروا من الإبل ما يكفى . فقالوا : إنها مهازيل ، وليس فيها من السمان إلا ناقة . روى من لبنها اثنان لكثرته . فقال : إنحروها ، فإنها ستشبع مائة .

وكان يبلغه أن الطريق منقطع فى الجهة الفلانية ، لعدم عمارتها ، فيحفر فيها الآبار ، ويبعث المؤن الطائلة لقرى المارين . وفضائله أكثر من أن تذكر ، رحمه الله وكان مجيداً . وما رويت له إلا القليل . قال يحض على حسن المعاشرة :

أيا مَعْشَرَ الإخْوانِ دَعْوَةَ نادبِ ... إلى الحقِّ والمعروف ليس بكاذب
أعيرُونِىَ الأسْماعَ أهْدِ إليكمُ ... وصيةَ مُصْفِى النصح غيْرِ مُخالب
فمن كان منكم ذا وِدادٍ وخلةٍ ... لمرتفع الأخلاق جمّ المناقبِ
لِيَسْحَبْ على عَيْبِ الخليل ذُيُولَه ... ويَسْتُرْ فَشأنُ الخِلّ سَتْرُ المعايب
خليلىَّ لا أبدى إلى من يَذُمُّهُ ... طلاقَةَ وجْهى بلْ عُبوسَةَ حاجِبِ
أحبُّ الذى يَهوىٰ وأبغضُ ماقلا ... ولستُ عليه إنْ يَزِلَّ بعاتب
وماذا دعا يوْما لِصَدْمةِ حادثٍ ... ألمَّ عليهِ كنتُ أوّلَ واثبِ
فمنزلةُ الإخْوان فيها تفاضُلٌ ... فمنهمْ لذيذُ الطعْم عند المُصاحب
ومنهم زُعاقٌ لاتُطاقُ طِباعُه ... معاشره يَرْتاحُ إذ لم يُقارب
ومن كان ذا لَوْحٍ وهَمٍ وطاعةٍ ... فلا يَدْنُ للمستصيباتِ اللواعب

وما أفسد الألواحَ والهمّ والتُّقى كبيض التراقى مُشرفاتِ الحقائب
مِراضِ العيون النُّجْلِ حُوّ شفافها رِقاقِ الثنايا حالكاتِ الذوائبِ

وله قصيدة بديعة ، يمدح بها ولىّ الله الشيخ المختار الكنتى ، وتستخرج منها ثلاث قصائد ، لكل منها بحر ، أعنى أنها كلها فى بحر الكامل ، ثم تقرأ أشطارها الأول ، فتكون قافية من بحر المديد ، ثم تستخرج من أوائل أشطارها الثوانى ، قافية من بحر البسيط ، وليس من حفظى إلا مطلعها وهو :

طلعتْ ببُرجِكَ للبريّةِ أسْعُدُ أيّامَ جاد بك الزّمانُ الأجْوَد

وله قصيدة أخرى مطلعها :

أمَعالمُ الميمونةِ السُّعْدى ذِهِ أمْ أنتَ ناظرُها بمقْلةِ أمْرِهِ

وسيمر بك فى هذا الكتاب من أمداحه ، مايشهد لما قلت ، ورأيت من تآليفه ، شرحا على لامية الأفعال لابن مالك ، و بلغنى أنه شرح مقصورة ابن دريد ، وأخبرنى بعض الثقاة ، أنه مات سنة ثلاث وثمانين ومائتين وألف ، أو نحو ذلك ، رحمه الله رحمة واسعة .

﴿ سيدى محمد ﴾ : بن الشيخ سيدىّ المتقدم ، هو العلامة الأريب ، اللغوى الأديب . نشأ فى نعمة عظيمة ، وكلاءة جسيمة . وما ظنك بمن أبوه الشيخ سيدىّ . ولما ولد هذا الفتى ، تباشرت به تلك الأقطار ، واشرأبت إلى مآثره تلك الصحارى والقفار ، ولما ميز بين الحىّ واللّىْ ، وفرق بين النشر والطىْ . أستجلب له أبوه المؤدبين والمتأدبين ، وكان يعلمه الكرم كما يعلمه العلوم ، ويدقق فى محاسبتهِ على مايبدو منه فى عنفوانه حتى سما ونبل ، وأقتدى بهِ حذو النعل بالنعل . حتى صار كما قال زهير فى هرم بن سنان وأبيه وجده :

هو الجواد فإن يلحق بشأوهما على تكاليفه فمثله لحقا
أو يسبقاه على ما كان من مهل فمثل ماقدما من صالح سبقا

وكان الناس يظنون أن الشيخ سيدى ، لا يسد أحد مسده ، فلما مات ، و بقى ابنه هذا فى موضعه . ماتغير شىء مما كان يجريه أبوه على الناس ، إلا أن مدته لم تطل ، فإنه عاش بعده سنة واحدة ، وكان رحمه الله شاعراً مجيداً ، وصوفياً وحيداً ومن تأمل قصائده الغزليات ، وجد فى أواخرها ، مايدل على أنه كان على جانب عظيم من التصوُّف ، و يقال إنه لما مدح أباه بأرجوزته الطنانة التى أوّلها :

ياسيدى إنى فـــداكَ اللهَ بى جارى الحماما عنه لى من مذهب

قال له ماحاجتك ؟ قال: حاجتى أن لا أعيش بعدك ، فاسترجع والده ، و بالجملة فكان سيدى محمد هذا ، حسنة من حسنات الدهر ، وترك قصائد تدل على طول باعه فى الآداب ، وله من النكت الأدبية ، أشياء كثيرة ، ومنها أنه كان له نديم ، وأصله حداد ، وأهل الصحراء يزعمون أن الحدادين أصلهم يهود ثم أسلموا ، وكان ذلك الشخص اسمه نحن ، وكان يدعى أنه شريف ، وكان يجيد اللقم ، فأعطاه جملا على أن لا يغضب من أبيات نظمها فيه وهى :

ماهزّ عطفيْ كمىّ يَوْمَ هَيْجاءِ بين الأوانى كذى النونين والحاءِ
فرد يقوم مقام الجمع وهو لذا يدعى بمضمر جمع بين أسماءِ
يسطو بأسلحة للأكل أربعة يدٍ وفمٍ وبلعُومٍ وأمْعاءِ
تخـال لقمانه العظمى براحتـه كراكر الإبل أو جماجمَ الشاء
مابين طلعتهـا فيهـا وغيبتها فى فيه إلا كلمح الطرف للرائى
فتنهوى كدُلىّ خان مائحَها أشْطانُها فـترامَتْ بين أرْجاء
فبانَ أنّ الذى يحويهِ من شرفٍ قد صحّ لـكنه بالهـاء لا الفاء

وتزوّج بامرأة من غـير أن يستأذن والدته ، فذهبت إليه ، تصحبها عجائز ، فضربنه ، فـكتب إلى أبيه يشكوهنّ :

أمِنْ فعل أمرٍ فى الشريعة جائز يروم اُهتضامى بينكم كل عاجز
وكان بكم جنـــد البغاة يهابنى فصال علىّ اليوم جنـد العجائز

فصرت كأنى قد أتيت ببدعة وفاحشة من نحو قَفْلَة ماعِز

فلو أنّ أرضى ذات مُعْز رجمتنى ولكنها ليست بذات أماعِز

وكان سلس العبارة ، رقيق الشعر ، فصيحاً ، لم نر من انتقد عليه شيئاً ، سوى النزر القليل ، الذى تعفى عليه جودة معانيه ، وسلاسة ألفاظه ، فقد انتقد عليه ابن محمد قوله :

انكار من ليس يدرى أشددبه غَرَرا إذ هو من جرف الألحان فوق شفا

فإن همزة أشدد ، همزة قطع ، وهذا لا يقدح لأجل الضرورة ، وانتقد عليه قوله أيضاً :

لو خضت لجة قاموس وجدت به درّاً جلا جَلو مصباح الدجا الشُدفا

فإن جلا ، مصدره جلاء لا جلو ، وهذا غير صواب ، وانتقد عليه بعضهم أيضاً قوله :

ولم يسحر فؤادى قط طرف سوى طرفين فيهـا ساحِرَين

لأن الطرف لا يثنى ولا يجمع ، وهذه مسألة خلاف ، والأصح أنه لا يثنى ولا يجمع ، كما قيل ، ونحن ننقل قول القاموس وشرحه تتميما للفائدة ، قالا : الطرف : العين ، لا يجمع ، لأنه فى الأصل مصدر ، أو هو اسم جامع للبصر ، قاله ابن عباد . وقال الزمخشرى : لا يثنى ، ولا يجمع ، لأنه مصدر ، ولو جمع لم يسمع فى جمعه أطراف . وقال شيخنا عند قوله لا يجمع ، قلت : ظاهره بل صريحه أنه لا يجوز جمعه ، وليس كذلك ، بل مرادهم أنه لا يجمع وجوباً ، كما فى حاشية البغدادى على شرح بانت سعاد ، و بعد خروجه عن المصدرية ، وصيرورته أسما من الأسماء ، لا يعتبر فيه حكم المصدرية ، ولاسيما ولم يقصد به الوصف ، بل جعله أسما كما هو ظاهر ، وقيل أطراف ، ويرد ذلك قوله تعالى : « فيهنّ قاصرات الطرف » ولم يقل الأطراف الخ . وإذا فتشت أشعار العرب ، لا تكاد تجده مثنى ، فقد قال جرير :

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

ولم يقل الطرفين اه .

وكان عالى الكعب فى معرفة النحو والتاريخ ، وغيرذلك . وتوجه من بلاده إلى الحج ، ثم رجع من غير أن يحج ، لعارض اقتضى ذلك ، ولما بلغ إلى الساقية الحمراء قال :

أحمراء السّـــواق ماوَرائى ألان غَرُبْتَ أيُها ألانتشائى
تخال نصيص فُتْل العيس شهراً يدومُ من الصباح إلى المساءِ
ولا ينـأى به ما كان دانٍ ولا يدنو بهِ ما كان ناءى

وكان رحمه الله ، إذا قال شيئاً من الشعر ، يبعث به إلى أبيه ، فكان كلما رأى شيئاً من شعره يمرقه ، حتى قال هذه القصيدة ، يحرض الناس فيها على الاستعداد للنصارى ، ويأمرهم بمحاربة أهل البغى من قبائل حسّان ، فلما عرضت على والده قال ، للتلاميذ : صاحبكم الآن قال الشعر والقصيدة هاهى :

رُوَيْدَكَ إنّني شَبّهْتُ دارا على أمثالها تَقِفُ المَهـــارى(١)
تأمّلْ صاحِ هاتيكَ الرّوابى فذاك التـــلُّ أحسبه أفارا(٢)
وتانِ الرّمْلتانِ هُما ذواتا عُلَيّانٍ وذا خطُّ الشّقارا(٣)
وإن تُنْجِدْ رأيت بلا مثالٍ جماهيرَ الكناوَيْنِ الكبارى(٤)
هنـالك لا تدعْ منهنّ رسْمـا بدا إلا مررت به مرارا
ولا تقبل لعين فى رُباهـا تصونُ دموعَهـا إلا أنهمارا

---

(١) الكاف فى رويدك : حرف ، مثلها فى ليسك ونحوها . كما تقدم .

(٢) أنار : كثيب عظيم فى آوكار . واسمه الشائع أنير ــ بهمزة ونون مفتوحتين ، بعدهما ياء ساكنة أيضاً ــ .

(٣) خط الشقارا : أرض مستوية ، قريبة من أنار المتقدم ، وإسمها بالعامية : خط اشكار ــ بهمزة مكسورة . وشين ساكنة : وكاف معقودة . بعدها ألف وراء مفتوحة ــ . وهو نبات إذا أكلته الدواب ، أحدث مرارة فى لبنها ، وتتغير أنفاس شاربه .

(٤) تنجد : تعلو على نجد ، أى مكان مرتفع . والكناوان : رملتان عظيمتان ، اسم الواحدة منها آكن .

ودرْ بين الميامين العـــــوالى فإنّ على معاهدها المدارا[1]
إذا كنت الوفىّ فعلت هذا فراعيت الذّمامة والجوارا
وإلا خلنى وخـــلاك ذم فإن لدىّ أحداقاً غزاراً
وقدّنى من إعانتك انتظارى أنياً رَيثما أبـــكى الديارا
وإن كنت الخلىّ ولا وفاء لديك فتستطيعَ لى انتظارا
فبلهَ اللّومَ ثم إليك عنى فلا ضرراً أريد ولا ضِرارا
ولا عارٌ عليكَ فأنت مرؤ ترديت السكينة والوقارا
ولـكنا رجالَ الحبّ قومٌ تهيجُ ربا الديار لنا أذكارا
سقانا الحبّ ساقى الحبّ صرْفا فنحن كما ترى قوم سُكارى
ترىٰ كلّ الهوىٰ حَسَنا علينا إذا ما الجاهلون رأوْهُ عارا
وأحرارُ النفوسِ نذُوبُ شوقا فنأتى كلما نأتى أضطرارا
ومن يأتى الأمور على أضطرار فليس كمثل آتيها أختيارا
ترانا عاكفين على المعانى لفرط الشوق نندبها حَيارىٰ
أسارى لوعةً وأسى ننادى وما يغنى النداء عن الأسارى
ولو فى المسلمين اليوم حُرٌّ يَفُكُّ الأسْر أو يحمى الذمارا
لفـكوا دينهم وحموه لمّا أراد الـكافرون به الصّغارا[2]
حماة الدين إن الدين صارا أسيراً للصوص وللنّصـــــارا
فإن بادرتمـــــوه تداركوه وإلاّ يَسْبق السّيفُ البِدارا
بأن تستنصروا مولىّ نصيراً لمن والىٰ ومن طلب أنتصارا
مجيباً دعوة الداعى مجـيراً من الأسواء كلّ من أستجارا

(١) الميامين : مواضع معروفة من آوكار ، واسمها بالعامية : إيمرزكان ـ بهمز مكسورة . وياء ساكنة . وميم ساكنة أيضاً وبعدها كاف مفتوحة وألف ونون ساكنة ـ
(٢) الصغار : بالفتح ، مصدر صغر كـكرم ، إذا رضى بالذل ، أى لما أرادوا أن يحطوا من قدره .

وأن تستنفروا جمعاً لُهاما تغص به السَّباسبُ والصَّحارى(١)
تمرُّ على الأماعز والثنايا قنابلهُ فتتركها غُبـــــارا(٢)
ثنى رُبْدُ النعام بحافتيه وتعيى دُون معظمه الحُبارى(٣)
يلوحُ زُهاؤه لك من بعيدٍ كما رفع العساقيلُ الحِرارا(٤)
تخال سِلاحه شهباً تهاوى وتَحْسِبُ ليلها النقعَ المثارا
ولولا النقع إن يلمع بليل لصيَّر ضوءهُ الليلَ النهارا
بكل طليعةٍ شهباء تبدى إذا طلعت من الصدإ أخضرارا
وتخفقُ فوقها بالنَّصرِ رَاى فتحسبها بهـــــا روضاً أنارا
وفتياناً يرونَ الضيمَ صاباً وطعم الموت خُرْطوماً عُقارا(٥)
أحبوا للاّة البيضا فكانوا عليها من مُرَاودِها غَيارا
سُطاةٌ فوقَ مقفوْ كلّ ساطٍ قليلٌ من ينالُ له عِذارا
بما يحويه من وصف حميدٍ على أحزان فارسه أغارا
وسلهبةٍ مفاصلها ظِمَـــاء قوائمها رِواء لاتجـــــارا(٦)

---

(١) اللهام : الجيش العظيم ، سمى بذلك لأنه يلتهم كل شيء . . وقيل : لأنه يغيب من دخله فى وسطه . وتغص به : تمتلىء . والسباسب : جمع سبسب وهى المفازة . والقفر : الأرض المستوية البعيدة . والصحارى : جمع صحراء . وهى الأرض المستوية فى لين وغلظ ، أو هى الفضاء الواسع دون القف .

(٢) الأماعز : جمع أمعز ، وهو المكان الصلب . والثنايا : جمع ثنية ، كغنية . وهى العقبة أو طريقها ، أو هى الجبل نفسه ، أو الطريقة فيه أو إليه . والقنابل : جمع قنبلة ، وهى الطائفة من الخيل .

(٣) تنى : من الونى . وربد : جمع ربداء ، وهى التى بها ربدة ، وهولون يشبه الرماد . والحبارى : طائر معروف .

(٤) العساقيل : السراب . والحرار : الحجارة .

(٥) الصاب : عصارة شجر مر . وقيل : هو عصارة الصبر . والخرطوم : الخمر . وكذلك العقار .

(٦) السلهبة من الخيل : العظيمة الطويلة ، والذكر سلهب .

عليها من محاسنها شهودٌ ... على أن لاتباع ولا تعارا[1]
بأيديهم مذرّبةٌ طـــوالٌ ... ترى الأقران أعماراً قصارا
وبيضٌ مرهفاتٌ جرّدوها ... وردّوها من العلق أحمرارا
تفرّى الأهبُ قبل الضرب عنها ... ولا عظم يَفُلُّ لهـا غِرارا
وكلّ أخى فمينٍ أبىٰ اعتدالا ... وتقويماً عن الغرض ازورارا
مسلٌ شطبيةٍ فى المتن منـــه ... إلى تسديد شارته أشارا
جَذاه بكالهـــلالِ موشّحوه ... بكالجـــوزاءِ صوْغاً وازدهارا
بوشيٍ حـــبّروه وأودعوه ... تصاويراً ترىٰ فيها اعتبارا
من المُدد الأولى آلاسمـــاكُ ... بروح الله عيسى ان تُبارا[2]
تلظى النار فى الـكانون منه ... إذا ماصافح الزّنْدُ الشفارا
وليس لناره شررٌ تراما ... به إلا الموقّعـــةَ الحِرارا[3]
فمن يَمْرُرْ قُبـــالةَ منخريه ... يكن كهشيم رامَ احتظارا
جموعاً تقطعُ الأعداء جهراً ... فتترُكهم جديساً أو وبارا[4]
جموعاً لا يقومُ لهـــا مناوٍ ... ولا يخشى الصّديقُ لها مغارا
تصوبُ على بـــلادِ السِّلم غيثاً ... وتوقِدُ فى بلاد الحربِ نارا
بنصر الله واثقةٌ يقينـــاً ... فلا تدرى من الخلقِ الحِذارا
لها إعـــلاء كلمته مرامٌ ... فلا غنماً تروم ولا افتخارا

---

(١) قوله : على أن لا تباع ولا تعارا ، هذا المعنى مأخوذ من قول الشاعر :
أبيت اللعن إن سكاب علق ... نفيس لا تعـار ولا تبـاع
(٢) سماك : نصرانى كان يصنع السلاح النارى .
(٣) قوله : الا الموقعة الحرار ، أصله الا الحرار الموقعة ، فقدم النعت ، فصار المنعوت بدلا منه . والموقعـة : أى المحدودة ، والمراد بالحرار : الأشفار ، التى تجعل فى البندق المعروف عند أهل الصحراء بالمدفع .
(٤) جديس ووبار : قبيلتان من العرب البائدة .

فمن يك هكذا يحيى حميداً ... ويستحلى بموطنه القرارا
ومن لا فالممات به جدير ... ولو للنار بعد الموت صارا
فيا للمسلمين لها أموراً ... لها الأكباد تنفطر انفطارا
تهاونتم بموقعها وما إن ... تهاونتم بها إلا اغترارا
لصوص لاتخاف البأس منكم ... ولا العقبى فترضى أن تدارا
ولا ينجو مقيم من أذاهم ... ولا ابن تنائف اتخذ السفارا
ولاشيب عكوف فى المصلى ... ولا عون النساء ولا العذارا
فبينا الحي خيم ذا طلال ... تبوأ من فسيح الأرض دارا(١)
بساحته محافل حافلات ... بأشياخ مهذبة طهارا
وكل فتى يجر الذيل تيهاً ... وتفترّ الملاح له اقترارا
إلى نسب لهم بلغوا أدعاء ... به أذواء حمير أو نزارا(٢)
إلى أن يبصروا شعثاً كساهم ... لباس الجوع والخوف اغبرارا
رعاه الشاء حقاً من رآهم ... يقول هم الرعاه وما تمارى
هنالك لاترى شيئاً نفيساً ... ولا مستحسناً إلا مواراً
ولم يك قدر لمح الطرف إلا ... وقد سلبوا العمامة والخمارا
أجدكم بذا يرضى كريم ... وهل حر يطيق له اصطبارا
وروم عاينوا فى الدين ضعفاً ... فراموا كلما راموا اختبارا
فإن أنتم سعيتم وانتدبتم ... برغم منهم ازدجروا ازدجارا
وإن أنتم تكاسلتم وخمتم ... برغم منكم ابتدروا ابتدارا
فألفوكم كما يبغون فوضى ... حيارى لا انتداب ولا ائتمارا(٣)

(١) خيم : سكن . وذا طلال : أى ذا نعمة وسرور . وتبوأ من فسيح الأرض: أى نزل داراً من متسعها .
(٢) أذواء حمير : ملوكها ، مثل ذى رعين ، وذى يزن ، وذى نواس ، وغيرهم .
(٣) فوضى : أى متساوون . لا رئيس لهم . قال الافوه الاودى :
لايصلح الناس فوضى لاسراة لهم ... ولا سراة إذا جهالهم سادوا

وما ظنُّوا لعظمِ جابروه كُساريْ بعد هيضتهِ أنحيارا[1]
وقالوا إنّ للفرْسِ انتهازاً وثاروا كى ينالوا منه ثارا
ولم أعرفْ وسوفَ ترون عمّا قليلٍ صُبحَ ليلِكُمُ أستنارا
مهًى حورَ المدامع عاطفات تخوضُ بها القراقيرُ البحارا[2]
إذا التفتت لجانبها تلافت حِذارَ الموج لوْحاً أو دسارا
لئن كانت مراكبها المهارىْ و إنْ كانت مراودها القفارا[3]
تلطُمها العلوجُ على خدودٍ كسى ألوانَها الفزَعُ أصفرارا
يدرنَ لهم عيوناً حائراتٍ يفَرّقُ فيضُ عبرتها أحورارا
فلا هم يرحمون لها بكاءً ولا يخشونَ أن تجد أقتدارا
وحَلوْها خلاخل من قيود وقد كانت لجيناً أو نضارا
وأغلالاً بأجيادٍ وأيدٍ تعوَّدتِ القِلادةَ والسوارا
تُكلفُها بناتُ الرُّومِ قسراً بخدمتها رواحاً وابتكارا
وكانت كلّما مشتِ الهوينا لكسر البيتِ تنبهر أنبهارا[4]
فيشددْنَ الحبالَ بكل خصرٍ رقيقُ الرَّيطِ كان له إزارا
ويحملنَ الجذوعَ على رؤوسٍ غدائرها تضلُّ بها المدارى[5]

---

(١) قوله : وما ظنوا لعظم الخ . انحيارا : مفعول به لظنوا . وجابروه : مبتدأ ، وأصله جابرون له ، وحذفت النون للاضافة . وكسارى : خبر جابروه ، وهو جمع كسير . والهيض : الكسر بعد الجبر .

(٢) القراقير : جمع قرقور ، كعصفور ، وهى السفينة أو الطويلة أو العظيمة .

(٣) مراودها : جمع مراد ، وهو موضع الارتياد ، أى طلب الكلأ .

(٤) الهوينا : تصغير الهونى ، تأنيث الأهون ، وهى التؤدة والرفق والسكينة والوقار . وكسر البيت : جانبه ، يفتح ويكسر . وتنبهر : ينقطع نفسها من الإعياء .

(٥) المدارى : جمع مدرية ، بفتح الميم وكسر الراء ، وهى المشط وتضل بها المدارى : أى من كثرة شعرها . وهذا مأخوذ من قول امرىء القيس :

غدائره مستشزرات إلى العلى تضل المدارى فيه مثنى ومرسل

وتكرَهُ للذى كانت تراهُ حلالا وهى طائعةٌ شنارا[1]
فيا للمُسلمين لما دهاكُمْ إلى كم لا تردُّون الحوارا
أجيبوا داعيَ المولى تعالى أو أعتذروا ولن تجدوا أعتذارا
أجيبوه بدنياكم تعزُّوا وتدَّخروا من الأجر ادِّخارا
فإحدىٰ الحسنَيين لكم أعِدَّت حَمالةَ قادرٍ حازَ اليسارا[2]
بجنةِ اشترىٰ منكم نفوساً ومالاً بارباحكمُ تجارا
وهذا ماأشرتُ به عليكم ولوْ لم تجعلونى مستشارا
فإن أنتم توليتم فحسبى وجارى الله نعم الله جارا
ومن يك جاره المولى تعالى كفاهُ فلن يضامَ ولن يضارا
وربّي شاهدٌ وكفى شهيداً به أنى دعوتكمُ جهارا
وكم من ناصحٍ قبلى دعاكم جهاراً بعد مايدعو سرارا
وكلٌّ حين يدعو لم يزدكم دوام دعائه إلا فرارا
فربّى اغفر لنا ولوالدينا ومن جعلوا هداك لهم منارا
وزدنا مِلةَ الإسلام عِزًّا ولا تزدِ العدا إلاّ تبارا
وصلّ على الذى حازَت قريشٌ بنُسبتِه الزَّعامة والفَخارا
إلى آلٍ وصحْبٍ معْه قاموا وساروا حيث قامَ وحيث سارا
خذوها من بناتِ الفكر بكرا تغيرُ الغانياتِ ولن تغارا
لها عن رائد الأفهام خدرٌ حماها قبل هذا أن تزارا

وقال أيضاً :

أدمَعا تُبقيانِ بغَرْبِ عَينٍ وَقدْ عايَنْتُما دارَ الكُنَيْنِ

---

(١) الشنار : بالفتح ، أقبح العيب والعار .

(٢) قوله : فإحدى الحسنين الخ . يشير إلى ماقى الصحيح ، من أن من خرج للجهاد فى سبيل الله ، إنما أن يرزقه الله الغنيمة ، وإما الشهادة.

أليْسَ مِنَ الوَفاءِ لِقاطِنيها ... إذالةُ مايصانُ بكلّ عَينِ
بَلى إنّ البكاءَ على المَغانى ... بمنهاجِ الصَّبابةِ فَرْضُ عَينِ
وإنْ لم يَبْقَ منها غيرُ رَسْمٍ ... كوشْمٍ فى نواشِرِ مِعْصَمَينِ (١)
فإنّ لها يَداً دَيْناً علينا ... وحَتْمٌ أنْ يؤدّىَ كلُّ دَيْنِ
أفاويقَ الصفاءِ بها أُرْتضِعنا ... مَدَى حَوْلين كانا كاملَيْن (٢)
ولم يَسْحَرْ فؤادِىَ قَطُّ طَرْفٌ ... سِوىَ طَرْفين فيها ساحِرَيْنِ
فذاكَ تاركا قلبى وَرُوحى ... بنيرانِ المحبةِ خالدين
فعوجا ياخليلىّ الذَينِ ... هما منى بمنزلةِ اليدين
عليها باكِيَيْنِ وحَيّيَاها ... معى حُيِّيتُما مِنْ صاحِبين
قِفا ثم أرْجعا الأبصارَ فيها ... وعُودا فارْجعاها كرّتين
بها مُتَرَسّمينَ لها وكونا ... إذا لم تبكيا مُتباكِيَين (٣)
وإنْ جمدتْ عُيونُكما كلانى ... إلى عَينين لى نضّاختين
وكونا عاذِرَيْن ولا تكونا ... إذا لم تُسعِدانى عادلين
فما لكما سِوىَ الذكرى سَبيلٌ ... علىّ فلَستُما بمسَيْطِرينَ (٤)

---

(١) النواشر : عصب الزراع من داخل وخارج ، أو عروق وعصب فى باطن الذراع . وهذا المعنى مأخوذ من قول زهير :

فدارٌ لها بالرقمتين كأنها ... مراجيعُ وشمٍ فى نواشرِ معصم

(٢) أفاويق : جمع فيقة ، بالكسر ، وهى اللبن يجمع فى الضرع بين الحلبتين . والصفاء : المصافاة . وكان واسمها ، زائدان بين النعت ومنعوته .

(٣) مترسمين : مثنى مترسم ، اسم فاعل ، ترسم الرسم : نظر إليه ، أو ترسم المنزل : تأمل رسمه وتفرسه . ومتباكيين متكلفين للبكاء .

(٤) مسيطرين : تثنية مسيطر ، وهو الرقيب الحافظ المتعهد للشىء ، وقيل هو المتسلط على الشىء ، ليشرف عليه ، ويتعهد أحواله ، ويكتب عمله .

وقدْ حَوتِ المَيامنُ مَنزلاتٍ وربعُ بنى المُبارَكِ مَنزلين(١)
ومَغْنَى حَوْل ذاتِ القَرْم عافٍ وآخرَ دارس بالتيرسَين(٢)
ودارٌ حوْل حِقْفِ النّصْفِ أقْوتْ وأُخرىٰ أقْفرَتْ بالتّوْأمَين(٣)
سقاما كلُّ منْهَمرِ العزالى من الأزماتِ يغسلُ كلَّ رين(٤)
فتصْبحُ غِبَّه الأجْرَاز تحكى مصَانعُها تعَاويذَ اللّجَين(٥)
وتشبهُ فى غلائله هدايا برزنَ إلى الزِّفاف بكل زين(٦)
معاهدُ عندنا فى الحبّ فاقت معاهدَ منهج والرّقمتين(٧)
ليالىَ لا أحاذرُ أن ألاقى صدوداً من سُعاد ولا بُثَيْن

---

(١) الميامين : مواضع فى آوكار ، اسمها بالعامية إيمرز كان ـ بهمزة مكسورة وياء ساكنة . وميم ساكنة أيضاً . وراء مكسورة . وزاى ساكنة . وكاف معقوده ونون ساكنة ـ والربع : المرتفع من الأرض ، واسمه المتعارف عند الناس : علب أولاد امبارك . والعلب : بمعنى الربع ، وهو فصيح .

(٢) ذات القرم : نبكة ، واسمها المتعارف : نبكة آمْخَوَّلْ : بمعنى القرم . وهو محرف الحال ، فإنه فحل الإبل الأسود .

(٣) حقف النصف : كثيب ، اسمه المتعارف : علب النص ، فإن أهل الصحراء يقولون نص ، بمعنى نصف .

(٤) المنهمر : المنسكب . والعزالى : جمع عزلاء ، وهو مصب الماء من الراوية ، هذا أصله ، ومراده هنا السحاب . والأزمات : جمع أزمة ، وهى الشدة من الدهر ، والرين : الوسخ .

(٥) الاجراز : جمع جرز ، وهى الأرض التى لاتنبت ، أو التى أكل نباتها ، أو التى لم يصبها مطر . والمصانع : جمع مصنعة ، وهى كالحوض أو شبه الصهريج يجتمع فيها ماء المطر وتعاويذ اللجين : قطع منه تصاغ على هيئة التعاويذ ، التى يتحرز بها وتجلد ، فيعلقها الإنسان فى عضده أو عنقه ، وأهل الصحراء يستعملونها كثيراً .

(٦) الغلائل : جمع غلالة ، بالكسر وهى شعار يلبس تحت الثوب . ويقال لها الغلة ، بالضم ، وتجمع على غلل . وهدايا : جمع هدىً ، وهى العروس .

(٧) المعاهد : جمع معهد ، وهو المنزل الذى لايزال القوم إذا تناؤا عنه رجعوا إليه . ومنهج ، بالفتح والسكون وكسر العين : واد يأخذ بين حفر أبى موسى والنباج . والرقمتان : قريتان بين البصرة والنباج .

ولم تقلِ العـذارى أنت عمٌّ نعدُّك عندنا أحـد الأنين
تحنُّ إلى الشبابِ ولستَ منه على حظٍّ سوى خفى حُنَيْن (١)
فَقُلْتُ لهُنَّ إنْ يكُ وخْطُ فَوْدِى يَسوء الفـالِيـاتِ إذا فَلَيْنى (٢)
فـكم يَوْمٍ يَعِزُّ على الغوالى بِهِ مِنّى فِراقُ المُفْـرِقَيْنِ
وكمْ يَوْمٍ وتَرْتُ بِهِ العَذارى كَيَوْمِ مُهَلْهِلٍ بالشَّعْثَمَيْنِ (٣)
يجِـبْنَ إذا دعا الدّاعُونَ باسْمى كأنى عِنْدَهُنَّ ابْنُ الحُسَـيْنِ
تُلاحِظُنى العَبُورُ مَعَ العُمَيْصا فَأَنِفُ عنهُمـا لِلْمِرْزَمَيْنِ (٤)
وإنْ أَبْدَتْ لِيَ الجَوْزَا وشاحاً سَلَكْتُ بها سَبيلَ الشِّعْرَيَيْنِ
وإن نُشِرِ الثُّرياً لى بكفّ خَضيب قلتُ عَنى لِلبُطَيْن

---

(١) حنين : اسكاف من أهل الحيرة ، ساومه إعرابيّ بخفين ، فاختلفا حتى أغضبه ، فأراد غيظ الإعرابى ، فلما ارتحل الإعرابى ، أخذ حنين أحد خفيه ، وطرحه فى الطريق . ثم ألقى الآخر ، فلما مر الإعرابى بأحدهما قال : ما أشبه هذا الخف بخف حنين ، ولو كان معه الآخر لأخذته ، ومضى . فلما انتهى إلى الآخر ، ندم على تركه الأول ، وقد كمن له حنين . فلما مضى الإعرابى فى طلب الأول ، عمـد حنين إلى راحته وماعليها فذهب بها . وأقبل الإعرابى وليس معه إلا الخفان . فقال له قومه : ماذاجئت به من سفرك ؟ فقال : جئتكم بخفى حنين ، فذهبت مثلا يضرب عند اليأس من الحاجة والرجوع بالخيبة .

(٢) الوخط : استواء بيـاض الرأس وسواده . والفود : معظم شعر الرأس ، مما يلى الاذن وناحية الرأس ، وقوله . إذا فليني : أصله إذا فليني ، فاجتمعت نون الرفع ونون الوقاية ، فحذفت الأولى . وقيل بل حذفت الثانية . هكذا قيل : فى قول عمرو بن معد يكرب :

تراه كالثغام يعل مسكا يسوء الفاليات إذا فلينى

(٣) قوله : وترت به العذارى ، أى نلت ماأردت منهم مأخوذ من وتره : إذا قتل حميمه فأفرده منه . والشعثمان : غائطان ، وقيل هما رجلان ، اسم أحدهما شعثم ، والآخر شعيث ، وهما ابنا معاوية بن عامر بن ثعلبة ، وأضيف اليوم إليهما لانهما قتلا فيه يشير إلى قول مهلهل:

ولو نبش المقابر عن كليب فيخبر بالذنائب أى زير
بيـوم الشعثمين لقر عينـا وكيف لقاء من تحت القبور

(٤) قوله : تلاحظنى العبور ، إلى آخر الأربعة الأبيات ، كل ذلك أسماء نجوم ، كنى بها عن النساء . والمعنى : أنه كلما تعرضت لوصله إحداهن ، أنف عنها للأخرى ، حتى لايواصل واحدة منهن ، لعزته وأنفته .

وحيثُ بنـاتُ نَعْشٍ دُرْنَ حَوْلى ... تَرَكْتُ وصالَهـا لِلفَرْقَدَين
وكم شمسٍ بهـالَتِهـا تحلَّتْ ... ولاحَتْ بالزَّوالِ خِـلالَ غين[1]
وغار البدرُ إذْ وَلَّتْهُ منهـا ... نَوَاراً فازدريتُ النَّيرَيْنِ[2]
ولا عَجَبٌ إذا خُنْتُنَّ عَهْدِى ... وآثَرْتُنَّ إقصـــائى وبَينى
فقدْ خُنْتُنَّ فى القُدَماء عبدَيْـــ ... ـنِ قبلى للمُهَيْمِنِ صـالِحَين[3]
ومنْ شرْخِ الشبابِ اعتَضْتُ حِلْماً ... وحالُ الحِلمِ إحْدَى الحُسنَيين
وكنتُ إذا عَزَمْتُ على أرْعِوَاء ... وَجَدْتُ عَزِيمَتى إسْرَاء قَين[4]
وكمْ سـامَرْتُ سُمَّـاراً فُتُوًّا ... إلى المَجْدِ انتمَوْا مِنْ مُحتدين
حَوَوْا أدَباً على حَسَبٍ فداسُوا ... أديمَ الفَـرْقدينِ بأخْمُصـين
أُذاكِرُ جمعَهُمْ ويُذَاكِرُونى ... بكلِّ تحـالُفٍ فى مَذْهَبين
كخُلْفِ اللَّيْثِ والنُّعْمانِ طَوْراً ... وخُلْفِ الأشْعَرىّ مَعَ الجُوَينى[5]
وأوْرادِ الجُنَيْـــدِ وفُرْقتَيْهِ ... إذا وَرَدوا شَرَابَ المُشْرَبين[6]
وأقوالِ الخليـــل وسـيبويهِ ... وأهلى كوفة والأخْفشـين

---

(١) الهالة : دارة القمر . ولاحت : ظهرت . وخلال : أى جنب وناحية ، مأخوذ من خلال الدار ، وهو ماحوالى بيوتها . والغين : الغيم

(٢) النوار : النفور .

(٣) قوله : عبدين قبلى للمهيمن صالحين ، يعنى : نوحاً ولوطاً عليهما السلام . قال تعالى فى امرأتيهما « فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً » .

(٤) قوله : وجدت عزيمتى إسراء قين ، يعنى : أنه لا تطاوعه عزيمته فيتمادى على صباه . كما لا يصدق القين . إذا أخبر أنه سارٍ بل هو مصبح . وهـذا مثل يقال : إذا سمعت بسرى القين ، فاعلم بأنه مصبح .

(٥) الليث : هو الليث بن سعد ، الإمام المصرى . والنعمان : هو الإمام أبو حنيفة . والأشعرى : هو إمام الطائفة الأشعرية . والجوينى : هو أبو المعالى عبد الملك بن عبد الله ابن يوسف إمام الحرمين ؛ منسوب إلى جوين ، وهى كورة بخراسان .

(٦) الجنيد : هو أبو القاسم ، سعيد بن عبيد ، وقيل : هو ابن محمد بن الجنيد الخزار القوارىرى سلطان الطائفة الصوفية .

نوضّحُ حيثُ تلتبسُ المعانى ... دَقيقَ الفرقِ بين المعنيين
وأطواراً نميلُ لذِكرِ دارا ... وكسرىٰ الفارسىّ وذى رُعَين(١)
ونَحوَ الستةِ الشُّعراء نغدو ... ونحوَ مُهَلْهِلٍ ومُرَقِّشَين(٢)
وشِعرَ الأعميْن إذا أردنا ... وإن شئنا فشِعر الأعشيين(٣)
ونذهبُ تارةً لأبى نواسٍ ... ونذهبُ تارةً لأبن الحسين(٤)
وإنى والنُّهى تنْهى وتجلو ... خفايا اللبْسِ فى المتشابهين
عدتنى أنْ أصافىَ كلَّ خلٍّ ... مخائلُ من مُداهنةٍ ومَيْن
كلا أخوىَّ يُظهِرُ لى وِداداً ... فأعرفُ ما يَسُرُّ كلا الأخين
فمن يَكُ راغباً فى القربِ منى ... يجدنى دونَ ماء المقلتين
ومن يوثِرْ قلاىَ فليْسَ شيءٌ ... يُواصلُ بينهُ أبداً وبينى
ألاحِظُ من خليطِىَ كلَّ زيْنٍ ... كما أغضى له عنْ كلِّ شين
ولا أصْغِى إلى العَوْراءِ حتى ... يرى أنى أصَمُّ المسمعين
وما جَهْلُ الجهولِ بمستفزى ... ومالى بالدنيَّةِ من يدين
وأحملُ كلَّ ما يأتى خليلى ... لهُ إلا عُبوس الحاجبين
وليس يهولنى منْ مستشيطٍ ... تهدُّدُه بنفض المِذْرَوَيْن(٥)
وعندى جانبٌ فى الهَزل لينٌ ... وآخرُ عند جِدىَ غير لين

---

(١) دارا : أحد ملوك الفرس ، وكذلك كسرى . وذو رعين : ملك من ملوك حمير .

(٢) الشعراء الستة : هم امرؤ القيس ، والنابغة ، وزهير ، وعلقمة الفحل ، وطرفة ابن العبد ، وعنترة بن شدّاد .

(٣) أراد بالأعميين : حسان بن ثابت ، والأسود بن يعفر النهشلى ، وأراد بالأعشيين : أعشى قيس . وأعشى باهلة .

(٤) ابن الحسين : هو المتنبى .

(٥) قوله : وليس يهولنى ، أى ليس يفزعنى . والمستشيط : الملتهب غضباً ، وتهدده : توعده . وبنفض المذروين : بيغيه . وهذا مأخوذ من المثل : جاء فلان ينفض مذرويه ، إذا جاء باغياً متهدداً .

وقد يُلفى إذا الجُلّى أدلهمّت أسامة من يظنُّ أبا الحصين (١)
ومهما يغرنى للهمّ ضيفٌ يجُرُّ من البلابل ضيغمين
جعلتُ قراهُ أكومَ قيسريًّا هجانَ اللونِ جونَ الذِّفريين
كأنّ سِنانه المنباعَ نفسٌ تحدَّر من جوانبِ قمقمين
على ليتين كالتُّرسين مُدَّا إلى كالقصر رحب القُصْرَيين
يزمُّ عن الكَلالِ وكلّ نفْتٍ يعابُ سوى انتقالِ المرفقين (٢)
رعا روضَ الحمى غضًّا نضيراً فلم يحتجْ لماء الدُّحرضين (٣)
وعنْ صدًّا له السّمدانُ أغنى إلى أمدِ أنسلاخ جُماديين (٤)
له أفتر الكمامُ بكلّ ثغر وبكّاهُ الغمامُ بكلّ عين
فملكه الرُّعاةُ الأمر حتى كساةُ النّيّ نسجُ المِشفرين
تثبطهُ أداهمُ من حديدٍ ينُوء بها مُدانى السّاعدين (٥)
إلى أن كاد وهو بلاجَناحٍ يطيرُ بقوةٍ فى المنكبين

---

(١) الجلى : الداهية . وادلهمت : اشتدت . ومن يظن : اسم يلفى . وأسامة : خبرها . وهو : بمعنى السبع . وأبو الحصين : كنية الذئب .

(٢) قوله : يزم عن الكلال . أى يأنف عنه . وقوله : سوى انتقال المرفقين ، تأكيد للمدح بما يشبه الذم ، كقول النابغة :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

(٣) الدحرضان : ماءان ثنيا على التغليب ، واسم أحدهما دحرض . والآخر : وشيع ، وتبع فيهما عنترة فى معلقته حيث قال :

شربتْ بماء الدحرضين فأصبحت زوراء تنفر عن حياض الديلم

(٤) صدا : ماء وهو ممدود ، وقصره ضرورة ، وهو أعذب مياه العرب وورد فيه المثل : ماء ولا كصدّاء . والسمدان : نبت جيد ، وهو أخثر العشب لبناً ، ينبت فى السهول . وفى المثل : مرعى ولا كالسمدان . يعنى أنه استغنى بالرطب عن الماء إلى أن انسلخ جماديان .

(٥) قوله : تثبطه ، أى تعوقه عن كثرة المشى . وأداهم : جمع أدهم ، وهو الحديد الذى يجعل فى يديه . وينوء بها : ينهض بمشقة . ومدانى : اسم مفعول داناه . والساعدان : الذراعان .

هنالكَ علوْنه بقتودِ رحْلٍ حماهُ الكترُ مَسّ المتنيين(١)
فحاوَل أن يبارى فى البرارى هِجَفّيْ سابقٍ بالدونكين(٢)
يسير الخيطفى حيناً وحيناً يراوحُ بين كلتا الخيزلين(٣)
يولّى المعزَ أخفافاً خفافاً تغادرُ كلّ صخرٍ فلقتين
تقاذفُ بينها الظِّرانُ شتى تقاذُفَ أيمنين وأعسرين(٤)
به أحيى القدانى كلّ حين وأدنو للتنائى كلّ حين
أغادِرُهُ وقبلى مستحيلٌ عليه الأينُ ذا ظِلَعٍ وأين(٥)
وأرحِلُه سليما مَنسِماهُ وأرحِمُه رثيمَ المنسمين
ولو لم ألفِه أصلاً لطارت بِيَ العزمات بينَ الخافقين
فللعزماتِ أجنحةٌ تُدانى كلمْح الطرفِ بين الشاحطين
فشطرَ المشرقين تأمُّ آناً وآونةً تأمُّ المغربين
وليس كمثلِها وَزَرٌ للاقٍ من الدهر أزوارَ الجانبين
فما حُرٌّ يقِرُّ بدار هُونٍ ولو كانت مقرّ الوالدين

---

(١) قتود الرحل : عيدانها ، واحدها قتد ، محركة . والكتر : السنام المرتفع . ومتنا الظهر : مكتنفا الصلب ، والأكثر تذكيرها ، ويؤنثان .

(٢) يبارى : من المباراة . وهجفى : تثنية هجف ، وهو الظليم المسن ، أو هو الجاف الثقيل منه . والدونكان : موضع اسمه هونك ، يثنى ويجمع . وهذا البيت مأخوذ من قول ابن مقبل :

يكادان بين الدونكين وألوة وذات القتاد السمر ينسلخان

أى يكادان ينسلخان ويخرجان من جلودهما من شدة العدو .

(٣) الخيطفى : السرعة فى المشى . ويراوح : يفعل هذه مرة وهذه مرة . والخيزلين : تثنية خيزلى ، وهى التبختر فى المشى .

(٤) تقاذف : أصله تتقاذف . والظران : بالضم والكسر ، الحجارة ، واحدها ظر ، بالكسر . وظرر كصرد ، وظرة بزيادة الهاء ، وهذا المعنى مأخوذ من قول امرىء القيس :

* كأن الحصى من خلفها حذف أعسرا *

(٥) قوله : أغادره وقبلى الخ . ذا ظلع : حال من ضمير المفعول به ، وجملة : وقبلى مستحيل عليه الأين ، فى تقدير التأخير .

وأهلُ المرءِ نَيْلُ غِنَى وجاهٍ وهل يسمى الرّجالُ لغير ذين
ومسقَطُ رأسهِ ضرٌّ ونفعٌ وإلا فاتباعُ القارظين(١)
فمالُ المنذرين يُعدُّ فقراً بلا عِزٍّ ومالُ الحارثين(٢)
وعِزُّ الحارثَين يُعدُّ ذُلاً بلا مال وعِزُّ المنذرين
فعِش حُرًّا فإن لم تستطعهُ فضرباً فى عُراض الجحفلين(٣)
وهُونٌ فى أقاصى الناس هَيْنٌ وهونٌ فى العشيرةِ غيرُ هَيْن
فما المنكورُ من أصل وعين بكالمعروفِ منْ أصْلٍ وعَين
ولمّا صاحَ من فَوْدى نذيرٌ وصرّحَ ثانياً بالعارضين
وقبلَ الشّيبِ إيحادى نَعانى فليْسَ الشيْبُ أوّلَ ناعِيَين
وداعى القلب بالتجريبِ نادى وداعى الله أندى الداعيين(٤)
سَلا قلبى عن الدُّنيا لكونى وما أهواهُ منها قانِيَيْن
وإنى إنْ ظَفِرتُ به فلسْنا على حالٍ تدومُ بباقيين
ولكنّا إذا طَبَقٌ تولى على طبقٍ ترانا راكبين
وعن عهدِ الشّبيبةِ والملاهى وأيامِ الميامِنِ والكُمين
سِوىٰ أنى أستباحَ حَريم صبرى هَوَىٰ الحرمين أشرفِ موطنين

---

(١) القارظان : رجلان ، خرجا يطلبان القرظ ، فلم يرجعا ، فضربت العرب بهما المثل فقالوا : لا آتيك أو يؤوب القارظان .

(٢) المنذران : المراد بهما المنذر اللخمى ، والد النعمان ملك العراق . والمنذر الآخر : هو ابن ماء السماء . والحارثان : الأكبر الغسانى ، ويكنى بابى شمر ، والحارث الثانى ابنه . ويقال له الحارث الأعرج ، وأمه مارية ذات القرطين . والمعنى أن المال إذا لم يكن معه عز . فهو فقر ، كما أن العز إذا لم يكن معه مال فهو ذل .

(٣) قوله : فعش حراً الخ . هذا مأخوذ من قول الشاعر :

فعش عَزَبا فان لم تستطعه فضربا فى عراض الجحفلين

وهذا يسمى تضميناً لشهرة البيت .

(٤) قوله : وداعى الله أندى الداعيين الخ . أندى : أرفعهما نداء ، كما قال الشاعر :

فقلت ادعى وادعو إن أندى لصوت أن ينادى داعيان

وسوف تفى العزائم والمهارى ... بوعدٍ مُنْجَزٍ من وافيين
فقد منينى قبل المنايا ... مرور ركائبى بالدهنوَيْن (١)
يبازعنَ الأعنّةَ سالكات ... ممرَّ الجيش بين العُدوَتين (٢)
تبادر بالحجيج ورود بدر ... ويحدوها الحنينُ إلى حُنين
قواصد رابغاً تبغى اغتسالاً ... وإحراماً لديه وركْعتين
تمرُّ بذى طُوًى متقاسياتٍ ... لفرطِ الشوْقِ كلَّ طوًى وغَيْن
من التنعيم يدعوها كداءٍ ... إلى البطحاءِ بين الأخشبين
على بابِ السّلامِ مُسَلّماتٍ ... بتطوافٍ وسعْى عاجلين
تُناخُ لحاجتىْ دنيا وأخرى ... هناك فتنثنى بالحاجتين
ببيت الله مَلْمَسُ كلّ حاج ... تعالى الله عن كيفٍ وأين
حِمًى إنْ أمّه لاجٍ وراجٍ ... يكونا آمنين وغانمين
فمن يجْهلْ حمايتَهُ يسائل ... أميرَ الجيش عنه وذا اليدين (٣)

وقد بقى منها بعض أبيات لم تثبت فى حفظى .

ومن شعره المطرب قوله :

ماحلَّ عُقْدةَ عَزْمى سِحرُ حوْراء ... ولا أزدهى طود حلمى برقُ زهراءِ
عصْر الصِّبا أنقتنى فاقتديتُ بها ... سُبلُ الهُداتِ وأخلاقُ الأعِفاء
حبستُ نفسى بسجنِ الصَّبرمنتضياً ... عَزمى وقيّدتُ ألحاظى بإغضاءِ
كى لاتمرَّ إذاً فى وجْهِ غانيةٍ ... بروضةٍ من رياضِ الحسن غنّاء

---

(١) قوله : مرور ركائبى بالدهنوين : لم نهتد إلى موضع اسمه الدهنوان ، على صيغة المثنى ، ولا إلى موضعين ، اسم كل واحد منهما دهنو .

(٢) ممر الجيش : أى موضع مروره ، يعنى جيش رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة بدر : والعدوتين : هما العدوة الدنيا ، والعدوة القصوى ، المذكورتان فى الكتاب العزيز .

(٣) أمير الجيش : هو أبرهة الأشرم ، صاحب الفيل ، الذى أرسل الله عليه الطير الأبابيل . ولم يحضرنى الآن : ذو اليدين .

ماء الملاحة جارٍ فى مسائلها إلى منيرِ أقاحٍ وسْط حوّاء
فتنثنى لفؤادى وهى رائدةٌ له فتخبرهُ بالرِّعْى والماء
حتى إذا القَيْهلُ التاثتْ حديقته به وهمّتْ بإزهارٍ فإزهاء[1]
وكادَ يُصبحُ ليلى بعد دُهمته وآن وقتُ انتباهى بعد إغفائى
سرّحتها منْ وثاقٍ إذ وثقتُ بها والعجْبُ أصل لما فى النفس من داء
فآنستْ فى صِوار العين آنسةً وفى السَّحائب منها برقُ غرّاء
فانهدّ إذ ذاك طوْدُ الحلم وانتكثت مِنى عُرى العزم لمح الطرْف من راء
حتى همْتُ بشىء ماهممتُ به أزمان لاقَ بأشكالى وأكفائى
حسْناء هام بها قلبى ولاعجب كم هام قلبُ فتًى قبلى بحَسناء
هُنّ اللّواتى أذقنَ الموتَ عُروةَ والنَّهدىّ عن مقلتى هند وعَفراء[2]
وابن الملوّح قيساً فى فتوّته أضمين وابنَ ذريحٍ أىّ إصماء[3]
كم ذا همْتُ بوصليها فتردَعنى عنها روادِعُ من آىٍ وأنباء
فأنثنى وأقولُ اللهُ أرحمُ أنْ يولى انتقاماً على وصل الأحِبّاء
ولمْ أزلْ هكذا حتى تُنَهْنِهنى عداوةٌ وردتْ بين الأخِلاء[4]
هناكَ أزورُ كرْهاً عن زيارتها كى لايُجرّ لها المكروهُ جرّائى

---

(١) القيهل : الوجه . والتاثت : استدارت . والحديقة فى الأصل : كل ما أحاط به البناء . ومراده استدارة شعر لحيته على وجهه . ومعنى : وهمت بازهار فازهاء : أى حان أن يبدو فيها الشيب .

(٢) عروة : هو ابن حزام العذرى ، صاحب عفراء . والنهدى : هو عبد الله بن عجلان ، صاحب هند .

(٣) ابن الملوح : هو مجنون بنى عامر ، واسمه قيس . ويقال له مجنون ليلى . وابن ذريح : صاحب لبنى بنت الحباب .

(٤) قوله : عداوة وردت بين الاخلاء ، يشير إلى قوله تعالى « الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوٌّ إلا المتقين » .

وأىُّ شىء على الأحرار أشنَعُ منْ ... تسبُّبٍ فى مُعاداةِ الأوِدَّاءِ
هذا ولِمْتُ يدٌ لى أن أعادِىَ منْ ... شدَّت يدَيْهَا بقلبى بعد إيداء
ولا ودَدتنى ولا أنقادتْ إلى قَوَدى ... ولم ترقَّ كأرباب الأرقَّاء
وأقبلتْ تتشكّى وهىَ مُشكِيَةٌ ... كالقوس رنّتْ وقد شاكَتْ بحرّاء[1]
وشافعٌ فى محياها شفاعتُه ... يَمحُو بها حوبَها من كلّ حَوْباء
أما وعِزّةِ مَن أهوى علىّ على ... هُونى عليها وإبعادى وإقصائى
لولا خشائى عليها سُوء عاقبةٍ ... لمَّا يُعقبْ تماديها بإنهاء
لصُلْتُ للوصْل جهْراً لا تُنهْنهنى ... زُرْقُ الأسِنّةِ فى أيدى الأشدّاء
حتى أمِرَّ حبالاً لا يُغيّرُهـا ... طولُ التنائى ولا مشىُ الأنمّـاء
فأُمْزِجَنَّ بروحى رُوحَها فتُرى ... رُوحاً بشخصَين مزْجَ الرّاح بالماء
وحينما شئتُ بتنـا فى مسرتنا ... سِرّين يكتمنا حيزوم ظلماءِ
أفٌّ على الصُّبح مادامَ الوصالُ فإنْ ... كان التقاطُعُ فلينعم بسراءِ

وقال أيضاً :

خَليلىَّ هل أخرى بفيض المدامع ... من الأربُع اللائى بكنّ المزارع
أريقا بها ماء الشؤون وخليا ... عَزاليهُ ما بين هامٍ وهامع
فليس بقَدر صوتُنا عَبراتنا ... عن السِّح والتّذرافِ بين المرابع
فرَعْيُ الفتى عهْدَ المرابع آيةٌ ... على أنه يرعى عُهودَ الروابع
وإنْ يَطّلعْ ذو اللوم قولا لعله ... يكونُ لبعض الأمر غيرَ مُطالع
فما ضيْعةَ الأطْلال تبكى وإنما ... نؤبّنُ من أعمارنا كلّ ضائع
وأحْرِ بأن يَبْكِ الفتى فوتَ نفسه ... لطلعةِ ناعٍ فى المفارق طالع

---

(١) قوله : كالقوس رنت وقد شاكت بحراء : هذا مأخوذ من قول ابن الرومى :
تشكى المحب وتابى الدهر شاكية ... كالقوس تصمى الريا وهى مرنان

وقال أيضاً ينصح بعض إخوانه :

أيها العاقلُ الأريبُ الأبرُّ ... والفتى الماجدُ السَّرِى الأغرُّ
أصغ لى تستمعْ نصيحةَ ودٍّ ... أخرٍ أنْ لا يأبى النصيحة برُّ
إنْ تقلْ لى أتأمرُ الناسَ بالبـــرّ وتنسَ لِمْ لا فهـــلا تبرُّ(١)
قلتُ أمرى سِواىَ أمرٌ لنفسى ... وبكيِّ الصَّحيح يبر الأغرُّ(٢)
أتقِ الله ما أستطعت تُقـاهُ ... فى الذى أنت مظهرٌ ومُسِرُّ
تائباً توبةَ اعترافٍ نصوحاً ... لا تقل تائباً وأنتَ مُصرُّ
أعْصِ أمْرَ الهـوى لا تتعلَّقْ ... منكَ نفسٌ بكلّ ظبيٍ يمـرُّ
فاقتناصُ الظباءِ قدْ لا يُسنَّى ... واتِّباعُ الفتى الهوى قد يَضُرُّ
ولكمْ من سعى ليَصْطادَ فاصْطيـــدَ ولم يَحمـــه الصَّيـودَ المفـرُّ
فرَّ منها حيث استطعت فراراً ... ثمتَ اكْرُرْ إذا تعين كرُّ
فالكَمِيُّ المحتالُ طوراً مِفرٌّ ... والكمِيُّ المحتـالُ طَوراً مكرُّ
وهبِ الدنيا كزائل ظِلٍّ ... ليْسَ فيها لحادثٍ مستقرُّ
وكغيثٍ ينهـلُّ حتى إذا ما ... أعجَبَ النّاس نبتُه يصفرُّ
فمقيمٌ بها سيَرْحلُ عنها ... وقويمٌ عمـــاده سيَخِرُّ
كلُّ ذى جدَّةٍ بها سوفَ يبْلى ... وهِـــلالٌ بدا بها يستِـرُّ
لا يَلذَّنَّ مطعَمٌ لك فيها ... كلُّ حُلوٍ من بعـده الموتُ مُرُّ

وقال أيضاً : وكان سافر إلى بنى دليم ، يريد منهم أن يردوا له إبلا أخذوها ، لأحد المنتسبين إليه . وكانت بينهما مسافة بعيدة ، مع اختلاف بلديهما ، هواء وشكلا . فقال فى ذلك :

---

(١) هذا اقتباس من قوله تعالى « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم » .

(٢) الأعر : البعير الذى به عر ، بالضم ، وهى قروح مثل القوباء ، تخرج بالإبل متفرقة فى مشافرها وقوائمها ، يسيل منها مثل الماء ، فتكوى الصحاح لئلا تعديها المراض ، كذا فى التاج ، والمعروف أن كى الصحيح ليبرأ الأعر ، من زعمات العرب الفاسدة .

عَينُ رُودى لترىْ مالم ترىْ ذلك البحرُ وذى أكمُ متىْ
كنتِ من قبـل تحالين البرا قِبَل الغرب انتهت عند فُوىْ(١)
ولك اليوم منـاديحٌ بهـا فاسرحى فيهـا ترىْ مالم ترىْ
يانسيمَ الريح إن تمرُرْ بحىْ خَيْمُهمْ فوق الورىٰ خِيماً وحىْ
ولذاتِ اليمنِ بـلّغْ أننى إنْ تـكُنْ سلمى فإنى بعض طىْ(٢)
أو تـكُنْ حَجَراً أكن يحيى لها أو تـكن حُزوىٰ أكُنْ غيلان منْ
ولهُـمْ بلّغْ بأنّا ههنـا نرتجُ بين أبترخْ فاللوىْ
بين أبنـاءِ دُلَـيمٍ لاننى نقتفى أحياءهم حيـاً فحىْ
نبتغى أسْـؤُرَ غاراتٍ لهمْ أسـأروها من ذُوَيْدٍ أبن تقى
يُرسِـلُ البحرُ علينـا ريحهُ وندىٰهُ كلّ صُـبْح وعشىْ
ونرىٰ الطـيْرَ به نحسبها إبلاً ترعى بحمضٍ ونصىْ
لستُ أبغى بَدَلاً فى بـلد بكِ يامِيمونةٌ مادُمتُ حىْ
سوفَ يُدنى الأهلَ منّا عاجلاً فضلُ ذى العرش بإعمال المطىْ
إنّ لله تعـالى فرجاً لايراهُ غيرُ ذى الـكَرْبِ الشّجىْ

وله فى سفره إلى أبناءِ دليم أيضاً :

طال فى أرْبُعِ القرارِ قرارى ليتَ شِعْرى مالى وما للقرارِ
طال مُكْثى وإنما طال فيها بأختيار المليكِ لا باختيارى
لمْ أكن مُزْمِعَ القدُوم إليها بل رمَتنى لهـا يدُ الأقدار
سئمَ القلبُ بَرْدها ونداها وخلاها البليـل بالأسْحار

---

(١) فوى : مصغر فاى ، وهو أرض متسعة صلبة ، ومساحتها كبيرة ، وقد سلكتها ، وهى معدودة من آوكار .

(٢) ذات اليمن : يعنى تامر زكيت . وسلمى جبل لطىء عزيز عندهم . وحزوى : كثيرة الذكر فى شعر غيلان .

وصُفَّيا بها كحَدّ المواسى ... وجُذوعاً بها كحدّ الشِّفار
ليت شعرى والعبد ذو إجبار ... وهو يَبدو فى قالَبِ المختار
هلْ يُسنى لنا سجيس الليالى ... عوْضُ من عوْدةٍ إلى أوكار
حيثُ تبدو لك المعالِمُ غُرًّا ... حُسنها سرَّ أعينَ النُّظار
نَمَّقتها يدُ الحيا بلُماعٍ ... شاب حُسنَ ابيضاضِها باُخضرار
تلك أرْضى التى أحِبُّ وأهوىٰ ... وهى حقّاً منازلُ الأحرار
عذبة الماءِ ليس ينبت فيها ... شجرٌ غيرُ طيّب الأشجار
تُنْبِتُ السرح والسيال وأرْطَى ... حاكياً فى الرمال وشْمَ العذارى
لا بلادٌ مياهها خمجريرٌ ... مُنبتاتٌ طعامَ أهل النار
سكنتها غوغاء تنفكُّ فوضى ... لم تميّز من ليلها والنهار
طرقتك الهُمُومُ وهى سوارٍ ... فبماذا لِطَيْفِها أنت قار
ماقرىٰ طارق البلابل قار ... مثلُ إعمال يَعْمَلاتِ المهار
صحبتى شمروا فلم يبق إلا ... شدُّ فُتل المطى بالأكوار
قرّبوها بويزلاتٍ عليها ... من ذُراها كعاليات المنار
فَذُراها لركبها ضامناتٌ ... بعد شحْط المزار قرب المزار
ملكتها رعاتُها الأمر دهراً ... ترتعى ماشاءت من الأزهار
فهى طوْراً بأقحوانٍ وحمْض ... وهى طوراً بقرقدٍ وجدار
سلختْ فى الربيع شهْرَ جُمادىٰ ... تتوخى مواقع الأمطار

وقال أيضاً :

لعَمرُكَ ماترتابُ ميمونةُ السَّعْدى ... بإنا تركنا السَّعىَ فى أمرِها عمدَا[1]

(١) ميمونة السعدى : اسم بئر ، ويقال لها بالعامية : تامر زكيت ـ بتاء مثناة من فوق . وبعدها ألف وميم ساكنة وراء مكسورة وزاى ساكنة . وكاف معقودة مكسورة . ومثناة تحتية ساكنة . وتاء ساكنة ـ أيضاً . وكانت هذه البئر انهارت ، فذهبت ببعض تلامذة الشيخ سيدى ، وكانوا يعانونها لصعوبة موقعها .

سوى أننا كنا عبيدَ مشيئةٍ ... ولا عار فى أن يُعجزَ السيدُ العبدا
فليس علينا أن يُساعِدنا القضا ... ولكنْ علينا أننا نبذُل الجهدا
ألم تر أنا قد رعينا عُهودَها ... على حينَ لا يرعى سوانا لها عَهدا
حبسنا عليها وهى جدبٌ سوامنا ... فما صدَّنا السَّعدان عنها ولا صدَّا
ويظمأ عنها الناس حال انتجاعهم ... ولم نتجعْ برقاً يلوحُ ولا رعْدا
وإذ غدرتْ فاُنفضَّ من كان حولها ... وفَينا فلم نغدر ولم نخلف الوعدا
فجئنا لها حتى ضربنا قبابنا ... على نجدها الميمون أكرم به نجدا
ومَرْجعَ سانيها جعلنا مخيما ... لئلا نصون الشيبَ عنها ولا المردا
نظَلُّ وقوفاً صائمينَ على الظما ... نخالُ سَموم القيظ فى جنبها بَرْدا
وتُذرى علينا الرامسات غُبارها ... فننشقه من حُب إصلاحها وَرْدا
ويشرب كلُّ الناس صفو مياههم ... ونشربُ منها الطين نحسبهُ شهْدا
بهذا ترى ميمونة أن تركنا ... لها لم يكن مفا اختياراً ولا زُهدا
على أننا والأمر عنّا مُغيَّبٌ ... ولله ما أخفى ولله ما أبدى
منَ الله نرجو أنْ ييَسر أمرها ... ويجعل بعد النحس طالعَها سعْدا
فيرأبَ مثآها ويجبر كسرَها ... ويبقيَها ميمونة كاسمِها سُعْدى

ومن رقيق شعره قوله :

رفقاً بنا ياذوات الأعينِ النُّجُلِ ... يُنَالُ بالرِّفقِ ما بالعُنفِ لم يُنَل
نحنُ العبيد الأُلى أنتنَّ سادتُهمْ ... فاُرْعَيْنَ فينا وصاةَ الله بالخَوَل
واحذرْن مما نهى عنه المهيمنُ من ... تكليفنا غير مستطاع من العمل

وله أيضاً :

ياليتَ شعرى هلْ فى زورة حرجُ ... لمنْ لها بعْدَ أن نامَ الورى دَلجُ
منْ أعظم البرّ مَثوى مغرمٍ دنفٍ ... عن وصل غانيةٍ فى طرفِها دعجُ

لا سيَّما إن يكنْ بالقربِ منزلها ولا لها حارس يخشاهُ من يلجُ

وله أيضاً يصف صوت مغن ، يقال له لِمْتَيْنْ ، وكان أشج :

صوتُ الأشجِّ هُنَيْهَاتٍ فأحيانا كنا من الحزنِ أمْوَاتاً فأحيانا
ياحسنَ ترداده فوق الكثيبِ لنا تأتيكَ من قبل الرَّيانِ أحيانا

وله أيضاً :

عَضْبٌ من لا أنالهُ باقتناصِ لا تَقِي منهُ كلُّ دِرْعٍ دِلاصِ
صادنى فاستغثتُ كلَّ مُغيثٍ فخلاصى ولاتَ حين مناص
لم أزلْ أبتغيهِ جُهدى فلم أصـــطده واصطادنى بغير اقتناص
طَلَّ يالَ الإله دمِّي فهَلْ لى من سبيلٍ للعقل أو للقصاص
ليتَ شعرى أقدخصصت بذا أمْ كلُّ صبٍّ بمثل ذا ذو اختصاص
ياخليـــلىَّ لم يسفه حليما كالثنا الحوِّ والبطون الخماص
وخـــدودٍ وأعينٍ وقدودٍ هُنَّ حتفُ الغضنفرِ الوقاص
فاحذراها واعملا كلَّ سِرْدَا حٍ من العزمِ من جِلاس قِلاص
كنْ تنالا مخدرات المعالى بنجاها ووخدها البعباص
والبسا من تُقىً الإله دروعاً توقيا من مكيدة القُنَّاص

وله أيضاً :

أزِفَ الرحيلُ فقربا أجمالنا ثم أنميا فوق الجمال رحالنا
إنا إذا بلد نبا يوماً بنـا حملت لآخر نجبنا أثقالنا
دَيْدَانُنَا أن لا ننيطَ حبالنا إلا بأخبل منْ يحبُّ وصالنا
نطوى على الشَّمث المواصل ماطوىٰ صدراً على أن لا يشدّ حبالنـا
ستراً عليه وفى هواهُ ووصلِهِ نعصى ولو آباءنا عـــذّالنا
وإذا رماهُ الدهرُ كنَّا دونَه تُرْسًا ونمنحُ من رماهُ نضالنا

ما إن تقى أموالنا مُهجاتنا كلاّ ولا مهجاتنا أموالنا
وإذا دعا كنّ الجوابَ وإن سَعا كنا حواليه وكان خلالنا
ويصيبُ من صافَ العدوَّ عِداؤنا ويَنالُ من والى الولىَّ نوالَنا
خُلُقاً لنا لا صالحين لغيره خلقاً وليس بصالحٍ إلاّ لنا
هذا وما كنّا نحُومُ حوالَ منْ كنا نراهُ ولا يحوم حوالنا
وإذا أبى إلاّ القطيعةَ والجفا ورأى الصّواب بغيرنا إبدالنا
قمنا فعالجنا الوصالَ فإن أبا إلاّ قطيعتنا قطعنا بالنا
لِمَ لا ألسْنا الأغنياء بربنا ليت شعرى مالنا ماخالنا
والأرض لا تأبى إذا يأبى لنا مهما عكمنا بالرحال جمالنا
إعمالنا فُتْلَ المهارى فوقها حتى ننالَ ببلدةٍ آمالنا

وله أيضاً :

أأرقتْ عيناكَ مِنْ طيفٍ ألَمْ هاج للمحزون مكنونَ الألَمْ
زار ممن أنتَ تهوَى موهناً برخيم الصّوتِ مكحولِ أحم
أبن بيدٍ باتَ يَسرى مُدْلجاً ليله حتى إذا أنجاب جثم
عِندَ حدباء القرى أسأرها خَبْطُها فِيحَ المَوامى والظلم
بين مُعْزٍ وتلالٍ وصُوَى ورمالٍ وبطاح وأكَمْ

وكتب إلى صديقين له :

يا أيُها الرّاكبُ الموموقُ هبك لدىْ أخاً تقوم يداهُ لى مقامَ يدَىْ
أنتَ الأمينُ على ما آنَ مرسله إلى الأمين الذى دأبى هواهُ ودىْ دنى
بلّغهُ عنى تحايا مالها كفوٌ إلا أجتماعكما بعدَ الفراق لدىْ
وأنّ جُندَ الهوى فى الصّدر مُعترِكٌ بكلّ سَهْمٍ ورُمْحٍ سمهرى وردُىْ نِىّ
لذاكَ قد سبقتْ لى منكما عِدَةٌ واعدُ كان على أهل السماحةِ دىْ نا

وهذا النوع ، يسمى عند أهل البديع بالاكتفاء ، وله أيضاً :

فدتك وقلتْ للفدا كلُّ غانيهْ ... منَ العين والأرآم ياعينَ رابيهْ
وعنك عَفا ربى دِماء أرقتها ... ولم تهذلى فيها قصاصاً ولا ديهْ
ولا أثمتَ المولىٰ بك الناسَ إنهم ... غدوا فى طلاب الثأر منك سَواسيه
فمنْ حسد قتلى وقتلى من الجوىٰ ... فلم يبق جَحجَاحٌ ولم تبق غانيهْ
وقد كان سُقم الطرف للعين زينةً ... ولـكنّها فى أعين الحُورِ خافيهْ
فأظهرته للناس أنت لـكى ترىٰ ... عليك خفايا الحسن تبدو علانيهْ
لئن صَدَأت من غضبك اليوم صفحةٌ ... فما فى صدًى عارٌ على الهندوانيهْ
نهبتِ من الأعمار مالوْ حَويْتِهِ ... لَهُنّئتِ الدنيا بأنّكِ باقيهْ[1]

وقال أيضاً :

يامعشر البلغاءِ هلْ منْ لوذعى ... يهدى حجاهُ لمقصدٍ لم يبدعِ
إنى هَمَمْتُ بأن أقولَ قصيدةً ... بكرًا فأعيانى وجودُ المطلع
لـكمُ اليدُ الطولى علىّ إن أنتمُ ... ألفيتموهُ ببقعةٍ أو موضع
فاستعملوا النّظر السديد ومن يجدْ ... لى ما أحاولُ منـكمُ فليصدع
وحذارِ منْ خلع العذار على الديا ... ر ووقفـة الزُّوار بين الأربُع
وإفاضةِ العبرات فى عَرصاتها ... وتردُّدِ الزّفرات بين الأضلع
وتذاكر الشّمار بالأخبار من ... أعصـار دولة قيصر أو تبّع
والقينة الشّنبا تجاذب مِزهراً ... والقهوةِ الصّهبا بكأسٍ مُترع
وتداعى الأبطال فى رهج القتا ... ل إلى النزال بـكلّ لدنٍ مشرع
فجميع هذا قد تداولهُ الورىٰ ... حتى غدا مافيه موضعُ إصبعْ

---

(١) هذا البيت مأخوذ من قول المتنبى :

نهبت من الأعمار مالو حويته ... لهنئت الدنيا بأنك خالدُ

والشعر ليس كما يقول المدع صعب المقادة مستدقُّ المهيع
كم عزَّ من فُحْمٍ بليغ قبلنا أو من أديب حافظٍ كالأصمعى
هَلْ غادرت هل غادر الشعراء فى بحرِ القصيد لطامعٍ من مطمع (١)
والحَوْل يمكنه زهير حُجَّةٌ أنَّ القوافىَ لسن طوعَ الإمَّع
إنَّ القريض مزلَّةٌ مَنْ رامَها فهْوَ المكلَّفُ جَمْعَ ما لم يجمع
إن يتبع القُدَما أعاد حديثهم بعد الفُشُوِّ وضلَّ إن لم يتبع
والشعر للتطريبِ أوَّلُ وضعه فلغيرِ ذلك قبلنا لم يوضع
واليوم صار منكِّداً ووسيلة قد كان مقصدها انتفا لم تشرع
وإليهِ ترتاحُ النفوسُ غُلبّةً فيميلها طَبعاً بغيرِ تطبع
يفساغ للأذهان أوّل مرّة ويزيدُ حُسْناً ثانياً فى المرْجع
فيخالُ سبقَ السَّمْعِ مَنْ لم يستمعْ ويعودُ سامعه كأن لم يَسْمع
كالرَّوضِ يغدُو السَّرْحُ فيه وتَنْثَنى عند الرَّواح كأنه لم يُرتع
من كان مُستطاعاً له فليأته وليقن راحتهُ امرُؤٌ لم يسطع
والجل من شعراء أهل زماننا ما إن أرى فى ذا لَهُ من مَطمع

ومنها :

واليوم إما سارقٌ مستوجب قطعَ اليمين وحسمَها فليقطع
أو غاصبٌ متجاسِرٌ لم يثنهِ عنْ همهِ حدُّ العوالى الشُّرَّع
مهما رأى يوماً سواماً رتعاً شن المغار على السوام الرتَّع
فكأنه فى عدوه وعدائه فعلُ السُّلَيْك وسلمة بن الأكوع

---

(١) يشير إلى قول عنترة العبسى فى معلقته :
هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم

هذا ما تذكرت منها ، وربما وقع فيها تقديم وتأخير ، لطول العهد بها .

وقال أيضاً :

لا تَسمعى زُور واشٍ فى محبكم ... ولا يريبكِ رَيثٌ فى زيارته

فليس بيتكِ إلا بيت عاتكةٍ ... به الفؤاد وإن أمرر بساحته[1]

وإن تدم هكذا منهم مراقبة ... كلٌّ تعوّدَها مغرى بعادته

تركت دين أخى الأنصار منتصراً ... بما توخى أبنُ بُرْدٍ فى مقالته[2]

إذ قال لمّا تشكى كثرة الرقبا ... من راقب الناس لم يظفرْ بحاجته

وإنّ كتمَ الهوى عبء يحامله ... ويوم تبدو الخفايا يوم راحته

وله من قصيدة يمدح بها أشياخه :

هذا وطب نفساً وثقْ بالهنا ... فهو البسيط يداً لمَنْ مَدّ اليدَا

نحنُ العبيدانُ الألى هُو ربُّهمْ ... والرّبُّ إنْ يَعزُزْ يُعزّ الأعبُدا

وكفى أصطفاء كوْنُنا منْ أمّةٍ ... وَسطٍ أجابَتْ مصطفاها أحمدا

ولنا استنادٌ بعدُ للعَمَد الأُلى ... رُفِعوا فكانوا يرفعون المُسندا

لهم التّصَدُّرُ فى قضيّاتِ العلى ... كلٌّ لإسنادٍ إليه تجرّدا

لا تَخْشَ إنْ رفَعوكَ نَسْخاً كائنا ... منْ فعلِ أمْسى فى الزّمانِ ولاغدا

وإذ تصرّف فعلُهمْ فى جامدٍ ... ما خافَ بعد تصرُّفٍ أن يجمدا

منهم جميعاً نقتدى بأئمةٍ ... متحملين لأمر مَنْ بهمُ أقتدا

---

(١) يشير إلى قول الأحوص من قصيدة :

يا بيت عاتكة الذى أتعزّلُ ... حذر العدى وبه الفؤاد موكل

إنى لأمنحك الصدود وإننى ... قسما إليك مع الصدود لأميل

(٢) يريد بأخى الأنصار ، بشراً الذى عشقته هند ، فكانت تتعرض لوصله ، فلا يلتفت إليها ، ثم انعكس الأمر .

وإذا سَهَوْنا فى القيام بأمرنا ... حملوهُ عَنّا رُكّعا أوْ سُجّدا
رَووا الصّحاح من الحقائق أسندتْ ... عنْ سيدٍ فى الفضل يقفوا سَيدا
متواتِراً إسنادها متسلسلاً ... حتى أنتهىٰ للمنتهى متصعدا
طبعوا على كرم النفوسِ جبلّةً ... مَوْرُوثةً فيهم تراثاً مُتْلَدا
لو أنّهمْ عمدوا إلى فعل الخنا ... لأبتْ طباعُ نفوسهم أن تعمدا
قوم هم دُعُمُ الهدى لاتعدُوَنْ ... عيناكَ عنهم إن ترد دعُمَ الهُدىٰ
فيهمُ الألى كسووا العلى أبهى الحلى ... فيهم تجلّتْ لؤلؤاً وزبرجدا
سمطا غدوا فى جيدها وأساورًا ... فى المعصمين وفى النواظر إثمدا
الراشدون المرشدون إلى العلى ... الدافعون الذائدون الوُرّدا
فهم السيول المحييات من أجتدى ... وهم السيوف المرديات من أعتدىٰ
لحظاتهم تحيى الرميم وعندهم ... هممٌ قويات يذبْنَ الجلمدا
لو حاولوا نيل السماكِ بعزمهم ... نالوا الثريا بعده والفرقدا
ولهم بصائرُ نيرات تنجلى ... حُجُبُ الغيوب بها إلى أن تشهدا
والكيمياء من السعادة عندهم ... إكسيرها يدَعُ الحجارة عسجدا
فإذا همُ نظروا البغاث استنسرت ... وإذا هُم لحظوا أويسَ أستأسَدا
ولديهمُ جَعْلُ الشّكيّتِ مجلّياً ... ولديهمُ جعلُ الثقالِ خفيددا
طرق الإرادة إن أرادوا طيها ... تركوا أقل من الذراع الفدفدا
ومتى يحرْ فى تيهها ذو حيرة ... ظهروا له بالدوّ منها أنجُدا
وإذا أدلهمّ ظلام ليلِ جهالة ... لاحوا فقاقوا النيراتِ توقدا
وإذا اشتكى لفح السّموم أخوصدى ... أجروا من السّلسال بحراً مزبدا
وتقدموا يهدونه فى سيره ... لوروده حتى يُرُوه المَوْردا
راحُ المعارف إن تعاطوا كأسَهَا ... لم يدفعوا عنها نديماً عربدا
وكذاك إن دهم العدى لم يخذلوا ... ممن يواليهم جباناً عرّدا

من كل حامٍ شولَهُ بعقاله تحمى خَشَاه مصاله المتمردا
أو كل حامٍ غِيلهُ بمهابةٍ تعدو على غلب الليوث وما عدا
منه فريص الأسد ترعد خيفةً لكن فريص حميّه لنْ تُرعدَا
أظفارُه حمرٌ خلقن من الردى وبنانه بيض طبعن على الندا
فبهذه كان القضاء مسلّطاً وبهذه كان العطاء معوّدا
أنّى يضيق خناقُ مقتسبٍ لهم أم كيف يخطى رفدهم مسترفدا
أو يختشى من يحتمى بحماهمُ أو يجتدى جدواهمُ أن يطردا
أهدى لهم أبكارَ فكرٍ صُنتُها عن غير تنسى العذارىٰ النُّهدا
غرر الطروس بها حَلِينَ فأصبحتْ طرر الجباه لها عليها حُسّدا
إذ لم تظنّ الكونَ يحوى غيرها بيضا محلاةً بحلىٍ أسودا
منساغةً فى الذهنِ دون إساغة فتكاد تسبق بالنشيد المنشدا
فى كل لفظ رق معنى رائقٌ كأبارقِ الياقوت تحوى الصرخدا
فهى الحلىُّ لناظرٍ متوسم فحواءها وهى الحلىُّ لمنْ شدا
أبغى بها مرضاة من برضاه عن حزب التُّقى نال العلى والسؤددا

وقال أيضاً فى سفره إلى بنى دُليم :

هاجَ التذكُّرَ للأوْطانِ فى الحِين برْقٌ تألّقَ مِنْ نحوِ اليمامين
برْقٌ يحاكى اغتداء الطير آونةً ونَبْضَةَ العِرْقِ فى بعضِ الأحايين
فقلتُ إذ شمتهُ وهْناً أخاطِبهُ دورَ اليمامين أوْ دورَ الكناوين
سَقْيا لها أرْبعاً شطتْ بساكنها عَن نازِحِ مُسْتَهامِ القلب محزون
أخِى اغترابٍ رمى صَرْفُ الزّمانِ به بحيْثُ يُجمعُ بين الضَّبِّ والنُّونِ
سُكناهُ بين أناس جل عقدهُم بيعُ المَلاقيح أو بيع المَضامين[1]

(١) الملاقيح : ماق ظهور الجمال . والمضامين : ماق بطون الإناث ، وقد نهى عن بيعهما .

أيمانهم كلُّهـا لغـو ودأبهمُ غصب الأباعير من كلّ الأناسين

وقال أيضاً فى « نحن » المتقدم :

لا تنكروا ما ادَّعاه نحنُ مِنْ شَرَفٍ به أستبدُّ عنْ آباء وأجدادِ[1]
هو الشريفُ بلا شكٍّ ولا رِيبٍ لكنهُ حلَّ فى مِسلاخ حدَّاد

وقال أيضاً فيمن يحرم التبغ :

دع الإكثارَ منْ قالٍ وقيلِ كفاكَ اللؤمُ بالكلمِ القليلِ
أقِلنى إن عثرتَ على عثارى فخير الصحبِ كلُّ فتى مُقيل
وإلا تزدجر عمَّا عليه جُبلْتَ على التهوُّرِ والصَّهيل
فإنى لستُ منك ولستَ منى وليس رَعيلُ خيلك من رعيلى
ولستَ إلى لقاءِ اللهِ منى بمنزلة الرَّفيق ولا الزميل
ولم تك فى الحساب غداً حسيبى ولم تك لى بمولًى أوْ وكيلِ
تُلوِّمُ أن تعاطينا كؤوساً تذكرنا كؤوسَ السلسبيل
تحاول أن تحرّمَها علينا فليس لما تحاولُ من سبيل
تريد على إباحتها دليلا متى احتاج النهار إلى دليل
أصول الحلِّ عدوها فعدوا نبات الأرض من تلك الأصول
وقبلك ملَّ فيها القولَ قومٌ فما أغنوا بذلك من فتيل
وليس اللؤم فيها اليومَ إلا أحاديثٌ تعدّ من الفضول
وإنّ لها فوائدَ واضحاتٍ يراها كلُّ ذى نظر أصيل
إزالةَ حِقد ذى الحقد المناوى وتحبيبُ الخليل إلى الخليل
وجبرَ خواطرٍ وقضاءَ حاجٍ ومعرفةَ السخىّ من البخيل

---

(١) المسلاخ : الجلد . ومن كلام عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها : مارأيت امرأة أحب إلى أن أكون فى مسلاخها من سودة ، تمنت أن تكون مثل هديها وطريقتها .

وفوزًا إن تعاطاها الندامى بتمييز الظريف من الثقيل
وإيقاظَ النواظر من كراها وإبراء المتيّم والعليل
وزاد مسافرٍ ومتاع مُقوٍ وأنسًا فى الإقامة والرحيل
وتحفة قادم وسرورَ آوٍ أوى حين المبيتِ أو المقيل
وفاكهة الشتاء إذا تأذّى وجوهُ الناسِ بالشَّمَلِ البليل
وتطربُ مَنْ يدرّسُ كل فنّ وتفرجُ كرب ذى الهم الدخيل
وتسلى كل صبّ مستهام عن الخدّين والطرْف الكحيل
وتدفع ذا التلصص فهى أغنى إذا دفعت من السيف الصقيل
وترضى المسلمين وفى رضاهم يؤمل أن ينال رضى الجليل
وحسبك من فوائدها بهذا دع الإكثارَ من قال وقيل

وله أيضًا :

من التّعذَالِ حَسْبُكَ ياعذولُ فَلَوْمُ أخى الغرام هو الفضولُ
فما تغنى الملامةُ من غرام تزول الشامخات ولا يزول
فلومُكَهُ عَسِيلٌ وهو صخرٌ مِن أصفاء تضمَّنَهَا مَسِيل
فلومك لا يؤثر فيه إلا كما فى الصخر أثره العسيل(١)
فلو شاهدت من أودى هواها به مالمت صبًّا ياعذول
ولكن قد جهلت الأمر منها وليس كعالم الأمر الجهولُ
أغصّ مخالخلاها كلّ حجْلٍ فنادت من يغيثني الحجول
فقال الثغر عندى الخمرُ لكن نأت دارى وما عندى رسول
فقال الفرعُ أرسلنى فإنى إلى تقبيل موطئها وصول
إذا لم يعترض من دونها لى فأحبس دونها الكفل الثقيل

(١) يعنى أنه لايفيد . وهذا المعنى مأخوذ من قول الشاعر :
فرشنى بخير لا أكون ومدحتى كناحت يوما صخرة بعسيل

وله أيضـــاً :

من حبّ صرمك آئساً من غيره ... أقصيتُ مَنْ أنا طامعٌ فى خيره
واخترتُ صرمًا منكمُ عن وصله ... وأخترت لا كم عن أجَلهِ وجيره[1]
وأخـترت ضيراً منكم عن نفعه ... آه لنسـبة نفعكم من ضـيره
وإذا سمعت الخائضـين حديثكم ... أعرضتُ عن ذاك المجـال وسيره
صوناً لذكر حديثِـكم عن غيركم ... حتى يخوضوا فى حديث غيره

* * *

﴿ شعراء تجـكانت ﴾

﴿ المختار بن بون الجـكنى ﴾ تاج العلماء ، الذى طوّق بحلى علمه كل عاطل . ووَردت هيم الرجال زلاله ، فصدر عنه كلهم وهو ناهل . ولا يوجد عالم بعده ، إلا وله عليه الفضل الجزيل ، بما استفاد من مصنفاته ، وتلقى من مسنداته ، ويكفيه أنه هو الذى نشر النحو بعد دفنه ، وكفى الناس مشقات مؤنه . وكانوا لا يتجاوزون قبله ما فى الألفية وشروحها ، مع عدم معرفة الخطة التى يمكن للطالب أن يخزن فى ذهنه بها ، مايكون قريب التناول عند الحاجة إلى ذلك ، حتى نظم لهم ماتخلف عن الألفية ، مما تضمنه التسهيل ، وألصق كل شذرة بما يناسبها ، وضم إلى ذلك طرته المفيدة ، وأتى على كل مسألة بالشواهد من كلام العرب ، وهو ثالث ثلاثة من قبيلته ، كلهم اسمه المختار .

وكان من أجل طبقته : الثانى ، المختار بن حبيب ، وهو شيخه ، الذى فتح عليه عنده . والمختار بن إبىّ ، وهو من أهل القبلة منهم .

نشأ المختار بن بون فى بيت أبيه ، ولم يشتغل بالقراءة إلا بعـد أن كبر ،

(١) لا : حرف نفى . وأجل ، وجير : حرفا جواب ، بمعنى نعم .

وكان فى أوّل أمره ، يضرب أقرانه من الصبيان ، وينزع منهم ما بأيديهم . فاتفق أنه سطا ذات يوم على صبيّ فضربه ، فانتصرت له أمه ، وسبت المختار بن بون سباً قبيحاً ، وعيرته بالجهل ، فأنف لذلك ، وسار من غير علم أبويه ، يريد المختار ابن حبيب ، فوصل إليه ، وشرع فى قراءة الأجرومية ، فلم يفهمها ، ثم فتح الله عليه .

حدثنى الأديب محمد أبّات بن عبد الباقى بن المختار صاحب الترجمة : أن المختار كان عند شيخه المذكور ، وكان لشيخه ختن يغيب عنه ثم يجىء ، فيبنى له خباء يقيم فيه مع أهله أياماً ، ثم ينصرف على عادة أهل تلك البلاد ، أعنى أهل البادية ، قبل أن ينقل أهله إلى محله المخصوص ، فإذا ذهب ، يطوى ذلك الخباء ، ويحمل عليه شيء من الشجر يقيه وطأ الدواب ، فإذا رجع بنى له الخباء أيضاً .

قال : فاتفق أنه ذهب ، فبعد أنصرافه وأنصراف أهله ، جاء المختار فدخل فى طنب الخباء ونام ، فجاءت الجارية الموكلة بالخباء ، فطوته على المختار ولم تنتبه له . قال : فأقام هناك أياماً فى نومه ذلك . وقد سأل عنه شيخه فلم يعثر له على خبر . فلما رجع الرجل من سفره ، شرعت الجارية فى بناء الخباء ، فما راعها إلا المختار ، فانتبه مذعوراً ، وخرج فى غاية الشحوب ، فجاء إلى شيخه ، فجعل يسقيه اللبن الممذوق بالماء ، حتى قوى قليلا ، فسأله عن أمره . فأخبره بما كان ، وانتبه من نومه ، يحفظ ما كان مكتوبا فى ألواح التلاميذ الموجودين هناك ، إلا أنه لم يفهم معناه . فعلم شيخه أن الله تعالى فتح عليه ، فبنى له بناء منفرداً ، ومنعه من لقاء الناس ، وجعل يحضر له الكتب ويتركه وإياها ، ثم يتعهده ويسأله ، فبعد مدة قليلة نبغ ، فأبرزه شيخه للناس وقد تمكن ، ثم أمره بالمسير إلى شيخ من أبناء دمّان ، لم يحضرنى الآن اسمه ، لينظر فى كتبه ، فتوجه إليه ، فنزل على تلاميذه ، فأساءوا عشرته . فقال لهم : إنى مقيم عندكم أياماً قلائل ومنصرف ، فعلام هذا الجفاء ؟ ثم إنه اجتمع بذلك الشيخ ، وجعل يستعير منه كتاباً ثم يذهب إلى محل لا أنيس

به ، حتى يتم نظره ، ثم يرده ويأخذ غيره . فلما انتهى غرضه ، دنا من تلاميذ الشيخ ، وأصاخ لهم يكررون دروسهم ، فجعل يناظرهم ويبين لهم الغامض . فلما كرَّ راجعاً ، صحبه منهم نحو أربعين ، وتركوا شيخهم ولازموه هو .

ولما ظهر المختار بن بون ، انتشر ذكره فى ذلك الإقليم ، فصارت الناس تنثال إليه من كل وجهة ، وأرى الناس الطريق النافعة فى التعليم ، على أنه وجد العلوم فى ذلك العصر حية ، وكان من أجَلّ قبائل الزوايا فى العلم : قبيلة إديقب . خصوصاً فى علم العربية ، فاستجلبوه إليهم ، ليأخذوا عنه علم النحو والكلام . وكان لا يجارى فيهما . فأقام عندهم برهة فوقع بينه وبينهم مناظرات آلت إلى الشقاق ، وكان المناضل له حقيقة أكبر تلامذته محمد بن حبيب الله ، المعروف بالمجيدرى ، ومولود بن أحمد الجواد . وصاروا كلهم يداً واحدة عليه . وكانوا إذا صاروا إلى الشعر يغلبونه ، لأنهم أمهر منه فى نسجه فإذا صاروا إلى الألغاز الكلامية يغلبهم وقد ألغز لهم لغزاً وقال لهم : إن أجبتموه كفرتم ، وإن سكتم غلبتم . وأطالوا الشقاق ، ثم استسمحوه بعد ذلك وقالوا له : « تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين » فقال : « لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم ، وهو أرحم الراحمين » .

ولم يكن والده من أهل العلم ، فكانت إديقب تحضره للتبكيت عليه ، وتسأله عن المسائل ، لتحط من قدر المختار ، وتخجله بذلك ، ولم يزده ذلك عند الناس إلا رفعة وعلو منزلة . وهل ضر عكرمة بن أبى جهل كفر أبيه .

واتفق يوماً أن أحد إديقب ، مرّ ببون فى غنيمة له ، وكان المختار يلزمه بيته ، إذا كان معه ولا يتركه يخرج ، فلما غاب ، خرج هذه الخرجة فقال له : إن المختار يوجد قريباً وعنده لباس كثير ، فدونك فاركب معى على هذا الجمل ، فأراد أن يدس قدوماً عنده . فقال له : إن تركتها سرقت . فحمله على حقيبة الجمل ، ثم إنه لما استبطأ محل المختار ، قال له : أنزلنى ، وأراد هو أن يثب من فوق الجمل ،

فضرب الجمل ، وجعل يعدو لئلا يتمكن هو من النزول عنه . فبينا المختار فى حلقة عظيمة من أهل الفضل ، إذ رمى له والده على تلك الحالة ، ولكن المختار كان متسع الصدر ، لا تزعزعه الرياح .

ومما خاطبهم به قوله ، يعمهم ويخص لجيدرى بن حبيب الله ، ويقال له حبّل :

على رسلكَ أربَعْ يابن حبّلَ إنما ... يُقدّمُ هذى الناسُ منّا المقدّما
ومن قدّمته نفسُهُ دونَ غيره ... رأى غيرهُ التأخيرَ ذاكَ التقدُّما
تقدّمْتَ للتصدير جهلاً مؤخّرًا ... ذوى الرأى والتصدير أن تتقدما
وقلتَ كما ضاتْ قريشٌ ضلالتُم ... ألا فاسمعوا هذا الفتى المتقدما
قريش قفت أهلَ الضلال ونحن فى ... هدىٰ سلفٍ منهاجه قد تقوّما

ومنها :

فلاتُنكِرونى آلَ يعقوبَ واذكروا ... ليالىَ أجلو ماعلى الناس أظلما
وحين أحلّى منكم كلّ عاطلٍ ... بدرّى وأسقى باردى كلّ أهيَما
فلا نولكم أنْ تكفروا كمحمّدٍ ... سنى سُرُجٍ منى تسامى وأنعما
فكم قد بذلتُ الوسعَ فيكم مُعلما ... له يقظةً كيما يعيه ويفهما
وأهدىٰ إلىّ ألعابَ وَالشّتمَ جازياً ... وليس جزائى أنْ أعابَ وأشتما
ألا قبّح الله ابن حبّلَ إنه ... جزانى سنّماراً وما كان أظلما[1]
إلى ولد الخطّاطِ أهدى بعيرهُ ... على أنه فى النوْم منه تعلّما

وبقى منها قليل .

وكان المختار رحمه الله مكبّاً على تحرير العلوم ، ومن أنفع ماألف ، نظمه الذى

---

(١) سنمار : رجل بنى الخورنق للنعمان ، فلما تم بناؤه قتله ، خشية أن يبنى مثله لغيره . وبه يضرب المثل فى سوء الجزاء .

سماه : بالاحمرار ، عقد فيه من تسهيل ابن مالك ، مايذكره فى الألفية ، ومزجه بها مزجاً جيداً ، يدل على مهارة تامة ، وفيه أبواب كثيرة تركت منها ، كالقسم وجوابه ، والتسمية بلفظ كائن ما كان ، وتتميم الكلام ، والإلحاق ، ومخارج الحروف والهجاء ، وغير ذلك من الفصول الكثيرة ، ولما أراد نظم التسهيل ، لم يجد شرحاً له يستعين به ، فذكر له الدماميني عند محمد بن بابان العلوى ، فقصده وقال :

أتيتكمْ ياقضاةَ العلمِ والدين ... وليسَ لى غرضٌ سوىٰ الدمامينِ
عنْ كلِّ حِبٍّ به قد كنتُ ذا كلفٍ ... وكادَ زائدةٌ قد كاد يُسليني (١)
كأنكم وهىٰ للتحقيق ترتفعوا ... على ظنون فؤادٍ ذات تحسين (٢)

فقال محمد المذكور ، أعطوه له على قبح أبياته :

ولما شاع نبوغه بين الناس ، جعلت الطلبة ترحل إليه من البلاد الشاسعة ، وكان حسن الصحبة والمعاملة لطلبة ، جواداً بما يملك ، إلا أنه قليل الإقامة ، فشق ذلك على تلامذته ، لتعطل الأوقات وعدم من يقوم مقامه فى الدروس ، لأن الطريق التى أخترع للطلبة لا يقدر عليها غيره ، فتعطلت دروس الطلبة مدة ، ثم حضر ورحل بهم إلى بئر تسمى بودْرَيْك (بكاف معقودة مفتوحة) وهو فى أرض تاكانت ، فقال لهم : إنى سأقيم هنا سنة ، لا أشتغل ليلاً ولا نهاراً إلا بتعليمكم ، وكان لا يملُّ من التدريس الليل والنهار ، فشرعوا يبنون الأخصاص ، فلما أكملوها رحل إلى السودان ، وهم بعيدوا الدار ، فلما وصل إليهم ، جاءه النذير

---

(١) قوله : وكاد زائدة قد كاد يسليني . أى وأسلانى ذلك ، يشير إلى أن كاد ، تزاد عند الكسائى واستشهد عليه بقوله تعالى « إنَّ الساعة آتية أكاد أخفيها » وهو مذهب ضعيف.

(٢) وقوله : كأنكم وهى للتحقيق الخ . معنى هذا: أجزم بارتفاعكم على تحسين ظنى بكم. يشير بذلك ، إلى أن كأن : أصل معانيها التشبيه . وقد ترد للتحقيق كقوله :

فأصبح بطن مكة مقشعراً ... كأن الأرض ليس بها هشام

يخبره بأن أبنا دليم ، أغاروا على إبله ، وهذا من مسافة تزيد عن شهر . فانكفأ متوجهاً إلى أقصى تيرس ، وكان يصحبه كبار تلامذته ، فقال أحدهم :

لكَ اللهُ مِنْ شيخٍ إذا ماتبوّأتْ تلامذُه مأوى لنصبِ المدارسِ
تيمّمَ ميمونَ الخصاصةِ فاتِرًا على ظهرِ مفتولِ الذراعين عانسِ
يفزعُ نون البحر طورًا وتارةً يُهدّمُ جُحْرَ الضّبِّ في رأسِ مادِسِ

وكان يشدد النكير ، على وليّ الله الشيخ المختار الكنتي ، وله فى ذلك ، وقد بلغه أن الشيخ قال إنه يسلبه :

أسيّدَنَا المختار لا تكُ مفرطاً وإياكَ والتفريطَ وأعدلْ وأقسطا
فكونُكَ ذَا مالٍ وجاهٍ ورُتبةٍ عَلتْ فى قلوبِ الناسِ لم يمنعِ الخطا
وكونيَ لم أذكرْ كذكرك لم يكنْ ليمنعنى التوفيقَ من مانح العطا
أتسلبنى واللهُ ماشاء مثبتٌ إذًا أنتَ فى تعظيم نفسك مفرطا

وله أيضاً فى ذلك :

لئن كنتمُ استظهرتموا أنْ جعلتموا أموراً علينا فى الشريعةِ لم تكنْ
فلاتُنكروا أنْ كنتِ الكتبُ عنكم سرائرَ عنا حالةَ البحثِ لم تكن

ثم إنه رجع عن ذلك ، وصارت بينهما مكاتبات وملاطفات ، واتفقا على أن يجتمعا فى تكانت ، بأن يقدم ابن بون من أرض القبلة ، ويتوجه الشيخ من أزَوَادْ . ثم إن المختار رحل من القبلة كما قال ، ولما بلغ أول طرق تكانت ، بلغه أن الشيخ عدل عن عزمه ، وسأل عن ذلك المحل ، فقيل له : يقال له التِّبراتِن (بتشديد المثناة الفوقية مكسورة وفتح الموحدة وفتح الراء مرققة وبعدها ألف وكسر المثناة الفوقية مخففة وسكون النون) اسم طريق من طرق تكانت ، فقال لهم : بلدة طيبة ورب غفور ، وأخبرهم بأن ذلك محل تربته ، وكان كما قال ، هكذا تقول الناس ، والله أعلم .

وله أيضـــاً :

وسوداءَ رُمتُ الوصْلَ منها فأعرضت ... فقلتُ أمِثلى عنهُ مِثلكِ يَعرضُ
فقالتْ بِلَوْنى عنكَ ما أنا راغِبٌ ... ولـكن كلونى عن كلونكَ مُعرِض
وقالت سُماكُ النـار إنى أخافُها ... على جسـدٍ للنار لَسْتُ أعرّض (١)
فقلتُ لهـا مالفظُ نارٍ بمُحرقٍ ... ولـكنّ عُذرًا لى أردتِ يُعرّض
وقلتُ لنفسى عنْ هواها صِيانةً ... ففى الذّنْبِ كلُّ الذلِّ للمرْءِ يَعرض
فإن أعْرضَتْ عنى فيارُبَّ روْدةٍ ... منَ البيضِ منى للهوى تتعرض

وله أيضـاً :

وشـــادِنٍ رمى الحشى طرفُه ... بفـــاتر أضعفَ منْ حُجّتى (٢)
فبتُّ لاهجعـةً منْ همـــه ... فى ليـلةٍ أطْوَلَ منْ حِجّـةِ (٣)
تَعتـــادُنى من ذِكرِهِ زفرةٌ ... أحَطُّ للآثام منْ حَجّـةِ (٤)

وله أيضاً ، أبيات يهجو بها جملا له ، وقيل : هى لأحد إدابلِحْسِنْ :

لحـاك اللهُ من جَملٍ حيـادى ... تفجّعُه مخـــايلة الهـــواءِ
بروكٌ إن تُرِدْ منه قيـــاماً ... يميلُ من البُروك إلى أتـكاءِ
وأحملُ للمضـاربِ من جَمـاد ... ويحرَنُ فى الخلاءِ على الخـلاءِ

وكان المترجم رحمه الله حَيًّا ، فى أوائل القرن الثالث عشر ، وقد طبعت طرته المسماة بالاحرار ، فى مصر ، وطبع بعض تآليفه بمدينة فاس .

---

(١) معناه : أن السودان يسمـون العرب نار . وقد سمعتهم فى بلادهم يقولون. إذا رأوا أحداً من العرب : نارب . قيل سبب هذه التسمية . أنهم حاربوهم ، منذ زمن طويل . فـكانوا يحرقون أبنيتهم بالنار ، لأنهم يسكنون إلى الآن فى أخصاص الحشيش .
(٢) أى أضعف من حجة نحوى .
(٣) الحجة : السنة .
(٤) الحجة : واحدة الحج .

﴿ ابْنُ عَبْدٌ الجكنى ﴾ هذا أديب اشتهر فى قومه ، وهو ممن تخرج على يد المختار بن بون ، ولم أقف له إلا على بيتين ، تقدما فى ترجمة حرم بن عبد الجليل العلوى .

وورد بنوق له حديثات العهد بالنتاج ، إلى منهل يقال له زار ، فلما نهلن من الماء ، قتلهن الماء ، وهذا قد يقع فى بعض المناهل هناك ، ويقول الناس : إن المنهل الفلانى يقبض ، أى قد يغدر فيقتل ماشرب منه ، وبذلك المنهل قبر الصالح الناسك ألفغ الحمد التاكنبتى . فقال :

من كان ذا إبلٍ يرْعى مصالحها ... فليكُ ذا حذر ياقومِ من زارا
لا خيرَ فى منهل تلفى بساحته ... كواهل العوذ أشلاءً وأوتارا
لكنْ به صالحٌ حقاً زيارته ... تحُطُّ عن حامِلِ الأوزارِ أوزارا

﴿ ابن مقامى الجكنى ﴾ هو شاعر فصيح ، ممن تخرج على يد ابن بون ، من قبيلته ، وكان يدافع عن شيخه ، وله قصيدة ينقض بها قصيدة المأمون اليعقوبى ومطلعها :

من المأمون يحتملُ العتابُ ... وتحتملُ القطيعةُ لا الشبابُ

﴿ الامام بن محمذ الفغ الجكنى ﴾ محمذ ، بالمعجمة منون مكسور ، وهو مصحف محمد ، شاعر مفلق ، وهو أشعر تجكانت ، ولم أقف له على غير قصيدته الآتية ، ولولم يكن له غيرها ، لاستحق أن يعد مع أصحاب الواحدات ، مثل سويد ابن أبى كاهل ، وله قصائد يجيب بها المأمون اليعقوبى وعن شيخه ، ابن عمه المختار ابن بون ، وقد وصلت إلى المختار قصيدة جيدة ، يهجوه بها المأمون ، فقال لتلامذته : من يحسن أن يجيبها منكم ؟ فقالوا له : الإمام تحت الشجرة ، وهذه كلمة يقولونها ، لمن لا ينبغى أن يتكلم فيما غيره أقدر على القيام به منه ، وسافر الإمام المذكور مع جماعة من قومه ، إلى سجلماسة ، فأصابهم بها جدرى ، فأوهن

قواهم ، ولم يساعدهم أهل البلدة ، فقال هذه القصيدة الطنانة ، وأخبرنى بعض الفضلاء ، أن تحكانت أكثان إلى الآن ، لايسمعونها إلا ووقع فيهم العويل ، وهى :

واهًا لمرضى رهان فى سجلماس ... نائى المؤانس والعوّاد والآسى (١)
واهًا لها من حُشاشات يُساوقها ... تَنوا جُسوم إلى تصعيد أنفاس (٢)
ومِنْ عِظام وأشلاء مُمزّقة ... كأنما لبثت حينًا بأرماس
ما كان أطولَ أيامًا عَلَى حَسَنٍ ... وصحبه ظَلْتُها منهمْ على ياس
كأنما شربوا فيها وما شربوا ... عُصارَةَ الكرم من بَيْسانَ أوراس (٣)
صَهْباء طافَ مُهَيْنِمُ اليهُودِ بها ... دَبَّابةً فى عِظام الظهرِ والرّاس (٤)
سقاهُم الجُدرى كأسًا بها شرِقوا ... تَفديهمُ النفسُ منْ شَرْبٍ على كاس
من كلّ جَلْدٍ على الضرّاءِ مُصْطبرٍ ... يقسو إذَا لانَ مِنْ ضرّائه القاسى
يصحوالمريضُ ويَنسى منْ معاهده ... يومًا وما هوَ بالصّاحى ولا الناسى
تهتزُّ منها ذَماه كلما سَجَعتْ ... خَطباء تبعث ما بالوَالِهِ الآسى (٥)
تَبكى لها أحَرُّ أبدانُهنّ كما ... خَطّ الزّبورَ يَهُودىٌّ بقرطاس
يابُعدَ منهمْ حُلولٍ قاطنين على ... عِدٍّ يُحَفُّ بدورٍ منهُ أدراس (٦)

---

(١) واهاً : اسم فعل ، بمعنى أعجب . ورهان : جمع رهين . وسجلماس : مدينة بالمغرب الأقصى . والمؤانس : اسم فاعل آنسه . والآسى : الطبيب .

(٢) تنوا : مصدر ناء بالحمل ، إذا نهض بمشقة .

(٣) عصارة الكرم : ماعصره منه . والمراد بها الخمر . وبيسان : بلدة بالأردن ، واقعة بين حوران وفلسطين . وإليها تنسب الخمر . وراس : مدينة مشهورة من مدن الجزيرة ، بين حرّان ونصيبين .

(٤) مهينم اليهود : الذى يصوت بالهينمة ، وهو الصوت الخفى ، يعنى أنه يغنى .

(٥) الذماء : بقية النفس . والخطباء : التى يلونها خطبة ، وهى لون يشبه الرماد . والواله : الذى به وله . والآسى : الحزين .

(٦) يابعد : بمعنى ما أبعد . وحلول : جمع حال ، أى نازل ، وهو صفة المحذوف ، أى احياء حلول : وقاطنين : مقيمين . والعد : بالكسر ، القديم من الركايا .

أرسوا على كلّ نجدٍ منْ محاضره ... خَيْما مثابةَ أضيافٍ وجُلاّس(١)
يُلقُون للضّيفِ ما ألقى مراسيهُ ... منهـا مراسىَ أوتادٍ وأمراس
حتى تَهُبَّ عنْ أيسار الخيام صَباً ... تنحَلُّ منها عزالى كلّ عراس
حتى إذا أنجدلَ العامىُّ وأنتسجتْ ... من وارق النّبتِ أجناسٌ بأجناس(٢)
حَلُّوا عوالىَ أنجادٍ على نُطَفٍ ... زُرْقِ دُموع مُلِثّ الودْقِ رجّاس
مازالَ منْ معصِراتِ الدلو يسكبُها ... على الأباطح فيضاً غير إبساس
على بِطاح فلاةٍ لا أنيسَ بهـا ... إلاّ مَراويدَ أرْآمٍ بأكناس
ترتاحُ مُغزِلةٌ منهـــا لمغزِلةٍ ... من أمّ درّاج أو من أم خنّـاس(٣)
كأنهنّ عَـذارىٰ بين أحويَةٍ ... ترتاحُ منهنّ ميناسٌ بميناس
حتى غدتْ مثل جُحْرِ الضّبِّ واحتملت ... منها السُّيولُ جماهـيراً لأجناس
وأضمرَتْ نُطفاً منهنّ وابتسمَتْ ... عن ثَغرِ كلّ شنيبِ الثّغر نوّاس
كأنه ونداهـــا منهُ مُنتشِرٌ ... زجاجةٌ نُثِرتْ من زيتِ نِبْرَاس
أحْوىٰ أغرُّ تحاماهُ الرِّماحُ فلا ... يدعو النفوسَ لهُ تزيينُ وَسْواس(٤)
إلا ظَعائنَ منْ جاكانَ ترتَعهُ ... لا عَنْ ذِمامٍ ولا تجْساس أخراس
لا بلْ مَهابةَ ساداتٍ إذا أختلفتْ ... أهلُ النّوادى وآسادٍ لدى الباس
غيْظِ العِدىٰ وَرِضى المستنجدين إذا ... هبّتْ رياحُ الصّبا إدْبار عَسْعاس
تغدو عليها المتـالى من منازلِهِمْ ... نَثْرَ الدّراهِمِ من أفواهِ أكياس(٥)

---

(١) أرسوا : أى اثبتوا . والنجد : ماارتفع من الأرض . ومحاضره : مياهه التى يحضر عندها الناس ، أى يجتمعون بها . وخيم : جمع خيمة ، وهى فى الأصل أعواد مستديرة يلقى عليها الثوب . وفى العرف اليوم هى ذات الأطناب ، وكونها من الشعر ، أكثر من كونها من الخرق. والمثابة : مجتمع الناس بعد تفرقهم .

(٢) انجدل : التصق بالبداله ، وهى الأرض . والعامى : النبت القديم ، الذى أتى عليه عام.

(٣) المغزلة : ذات الغزال . والدراج : الذى يدرج أى يمشى . والخناس : الذى يخنس.

(٤) تحاماه الرماح : أى اجتنبه أهل الرماح ، لـكثرة خوفه ، فـكيف بالغزل .

(٥) المتالى : جمع متلية ، وهى التى يتلوها ولدها .

شُوْلٍ تَرِيعُ إلى بيضٍ مُعطّفةٍ ... طلىَّ الأهِلّةِ فى ألوانِ كُرّاس
سُودٌ حقائبها من طُولِ مانضَجتْ ... منهـا توالِىَ أبْرَاجٍ وَأقْوَاس
وترتعيهِ حَواليْهـا مُؤبَّلَةٌ ... منَ الهُنَيْداتِ لا أذوادُ مِفلاس(١)
فيها الحوانى وأمّاتُ الرّباع سُدًى ... لامِنْ صِرارٍ ولا منْ زجْرِ بسباس(٢)
كومٌ تروح وتغدو فيهِ منْ كَثَبٍ ... تأوىْ إلى خَيمِ أرفاضٍ وسُوّاس(٣)

* * *

﴿ شعراء إدَابْلِحْسَنْ ﴾

﴿ سيدى عبد الله ﴾ : ابن أحمد دام ، الملحوظ بالإعظام ، من أقرّ بتقدُّمه جميع معاصريه ، وأذعنَ له من أهل قطره حاضره و باديه برع فى صوغ القريض ، حتى كان طوع فكره . ويقال : إن أول مانظم قوله :

أما والغوانى من أناةٍ وناهِـدِ ... وما طاب من أيّامها والمعاهِدِ
وما لذّ للعينين منْ بَشراتهـا ... وللسمع قدماً من حديث الخرائد
لقد نزلتْ أرضـاً أميمةُ منزلا ... من القلب لم تظهر به عينُ رائدِ

وكان حرَّ الأفكار ، سالماً من التعصب ، يعتمد على فكره ، من غير متابعةِ الناس ، على مايعتقد خطأهم فيه . ووقعت بينه و بين الصالح الناسك ، محمّ بن

---

(١) حواليها : حولها . والمؤبلة : الإبل المتخذة للقنية . والهنيدات : جمع هنيدة ، وهى اسم للمائة من الإبل ، أو لما فوقها ودونها أو للمائتين . والأذواد : جمع ذود ، وهو من الثلاثة إلى العشرة .

(٢) الحوانى : جمع حانية ، وهى التى تحنو على ولدها لصغره . والرباع : جمع ربع . وهو الذى نتج فى زمن الربيع . وسدى : مهملة من غير راع .

(٣) الكوم : جمع كوماء ، وهى عظيمة السنام . وعن كثب : أى عن قرب . وخيم : جمع خيمة كما تقدم . وارفاض : جمع رافض ، أى يرفضون من لايرجى إصلاحه . وسواس : جمع سائس .

أحمد البوحسنى وحشة ، سببها أن بعض القبائل ، وقعت بينه و بين إدابلحسن فتنة ، فقتل إدابلحسن من تلك القبيلة رجلين فوفد إليهم محمّ المذكور ، فتحمل لهم خمس ديات مغلظة ، فقال :

أبا شَيخَنا الأستاذ أنتَ إمامُنا ... وكنتَ لنا عندَ الخطوبِ مَلاذا
حملتَ رعاكَ اللهُ مالا نطيقُهُ ... وهل حملت تيزكٌ قبل هذا
مضوا يُسقطون المدّ ثمّ تبدّلوا ... به عُكّةً إذْ يَحْضُرُونَ حِذاذا
فدى ديةٌ من غيرِ عقلٍ ولا دَمٍ ... وثانٍ قضاءً وَاثْنتانِ لمـــاذا

فقال محم المذكور : إن لماذا لا ترد فى عجز الكلام ، لأن الاستفهام له الصدر ، فقال :

هىَ العُرْبُ تأتى منْ وجُوهٍ كثيرةٍ ... يقيهُ بها بعض النُّحاةِ الأكابرِ
لذلك أضْحى بعضُ أشياخ معشرى ... يقولون ماذا لاتُرى فى الأواخر
وألفٌ لماذا فى النوادرِ كرّرَتْ ... وهل تجهل الأشياخ مافى النوادر

يشير إلى قصة الأعرابى ، الذى سأل بعض الأمراء ، فقال له : مايجبر كسرك ؟ فقال : ألف وألف وألف . فقال الأمير : ألف لماذا ، وألف لماذا ، وألف لماذا ؟ فذكر الاعرابى لكل ألف وجهاً يصرفها فيه ، وهى فى أمالى أبى علىّ القالى ، وكتاب « الأمالى » يعرف عند أهل الصحراء بالنوادر . قالوا : فقال الشيخ — أبعده الله — فكان ذلك سبب جولاته . ووقعت بينه و بين إدبيبج مشاعرات ، تقرب من المهاجاة ، وسببها أن إدبيبج كان يهجو التجانيين . وكان سيدى عبد الله المذكور يعتقدهم . ومما قال يخاطب إدبيبج :

صاح لا تَسْعَ أنْ تُلمّ بنادٍ ... يتعاطَوْنَ غِيبـــةَ العُبّادِ
عَدِّ عَنْ ذاكَ وَلْيَكُنْ لكَ شُغْلٌ ... بالذى فيكَ مِنْ خَفِىٍّ وَبَادِ
كيفَ لا يَغْنَمُ السّلامَةَ مِنّى ... رَائحٌ فى عِبـــادَةِ اللهِ غادِ

إن بَدَا ما يُقرّرُ الشّرْعَ عِنْدِي مِنْهُ سَلّمْتُ تَارِكاً لِلْعِنَـــادِ
وإذا مابَدَا بعيـــدُ احْتِمالٍ لِسَدَادٍ نَسَبْتُهُ لِسَـــدَادِ
إنّ نُكْراً نكيرَ مَنْ ليس يدرى وقِينٌ بالعَزْلِ تَرْكُ الجلادِ
وإذا لم يكنْ لديْكَ نِصَـــابٌ فلْيَزِكّ المَـــلِيُّ ذُو الأَذْوادِ
إنّ أمراً قد أحْجَمَ الحبْرُ عَنْهُ نَجْلُ عَبدِ الجليل وَابنُ الجَوادِ
لَجَدِيرٌ أن لا تَـكُرّ إليـــهِ كيفَ كَرُّ البِغالِ بعْدَ الجيادِ

وغلطة إدبيج فى قوله ـ إن نكرا نكير من ليس يدرى ـ حيث نكر اسم إن ، وذلك غير صواب ، لأن الأعشى ميمون ، من الطبقة الأولى من الجاهليين ، وقد نكره ، قال :

إنّ محلا وإنّ مرتحـــــلا وإنّ فى السّفر إذ مضوا مهـلا

وفى قوله ـ فليزك الملى ذو الأذواد ـ لأن الذود ، تقال للثلاث وما فوقها إلى العشر ، وأفعال جمع قلة ، وهو أيضاً من الثلاث إلى العشر ، والحاصل أن من عنده أذواد لايقال له ملى ، وهذا غير سديد ، لأن الذود قيل فيه : إنه من الثلاث إلى العشرين ، وقيل إلى الثلاثين ، فإذا جمعنا ثلاثين عشر مرات صار ملياً ، ولأن جمع القلة قد يرد للكثرة . قال تعالى : « ولو أن مافى الأرض من شجرة أقلام » ولا يقال : إن أقلاماً هنا للقلة معنى ، وله أيضاً فى هذا المعنى :

مَن كان فى مَذهب التيجان مُمْتريا فإننى لـكمال الشيخ معتقدُ
مَن ينظرِ الـكُتُبَ التى أفاد بها ينظر كلام محق كله رشدُ
أمّا الذين تعاطوا ورده فلقـــد أعيا على العدِّ حصراً منهمُ العدد
وليس يُعدَمُ فى الاعراج غَصّ بها فِيح الفلا عَرَجٌ فى البعض أو حرد
إن يأتِ منتسب ينمى إليه بمـا يخالف الحق عقّ الوالدَ الولدُ
فاردد عليه بمضمون الثلاثة فى قيد عن الشيخ لايجمح بك الحسَدُ
سُمٌّ وحيٌّ فلا تذهب لتلعقَـهُ إن العقول عن أسبابِ الردى صفد

وله فى إدبيج ، قصائد عديدة ، ولاديبج قصائد يجيبه بها ، وما حفظت من ذلك إلا ماتقدم ، وقد رأيت رائيتين لهما فى بحر واحد ، ومطلع كل واحدة منهما :

سلام كما هب النسيم المعطرُ وإلا فسك طيب النشر أذفرُ

ثم تفترقان بعد البيت ، إلا أنهما ما أقذعا فيما وقع بينهما ، وجال سيدى عبد الله جولة عظيمة ، فى كل ناحية من نواحى السودان ، وله أبيات جيمية قالها لما وصل إلى بَيْرْ :

أفى الحق أنى كلما مرّ قافلٌ طَغتْ زفرات فى الحشا ونشيج
ووارى غُروبُ الدمع إنسان مقلتى فيالمعينٍ سال وهْوَ مشيجُ

ومنهـــا :

كذاك حسبتُ الأفقَ حَلقةَ خاتمٍ غداةَ بدتْ مِنْ دَيْرِ بَيْرَ بُرُوج

ثم قال فى آخر بيت منها ـ فأعيج ـ وغلطوه فيه ، لأنه استعمل عاج فى الإيجاب ، وهذا غير صحيح ، لأن عاج وإن كان الأكثر مجيئها فى النفى ، فقد وردت فى الإيجاب . قال الشاعر :

ولم أر شيئاً بعد ليـــلى ألَذُّهُ ولا مَشربا أروى به فأعيـج
كوسطىٰ ليالى الشهر لا مقسئنّة ولا وثباً عجلى القيام خروج

وقال وهو فى أرض إسنغان :

ألا ليت شعرى هل إلى معهد النوى خلاص من أيدى النّأى والجولان
وهل لى بجنبى تَغرَرَيْتَ إلى الصفا إلى الأجرع الغربى فالجُرذان[1]
إلى جنبتىْ ذى قَسطلٍ متنزّهٌ فإنى إليها دائم الهَيَمانِ
وتبدو لعينى بلدة وأحِبّةٌ عَدانى طويلا عَنْهُما للَلوَانِ
فيرأبَ ما أثأتْهُ أيّامُ سالمٍ وأيّامُنا فى ساحةِ السُّنغانِ

(١) الجرذان : تعريب محل إسمه فى اللغة الشلحية : اندومر

وأخرى أقمنا فى قرى جُلُفِ الّتى ... أقمنـــا بهـا فى ضَيْعةٍ وهوانِ
فمنْ منظرٍ تقذى به ورطانةٍ ... تُصِمُّكَ أخرى منظرٍ ولسـانِ
بلادٌ رَمَتْنا بينها لا مُحبَّبٌ ... إلى العين مرآها يدُ الحدثان
ومَنْ صحب الأيامَ أنأين جاره ... وأدْنَتْ له منْ ليس بالمُتدان

وقال وهو فى أرض السودان :

مِن أينَ وأنّى للفؤادِ صُدُودُ ... وفى كلّ أرضٍ من بلادِكَ رُودُ
إذا أنا أزمَعْتُ الصُّدودَ تلاعَبَتْ ... بِعُقْدَةِ عَزْمى أعْيُنٌ وخُدُودُ
فأصْبحتُ مشغُوفاً بكلّ مليحةٍ ... بَدَتْ لى فبيضٌ بعضُهُنّ وسُودُ

وقال أيضاً :

بينما نحن بانتجـــالَ نُوَامُ ... إذْ أتَتْنـــا تميسُ ثمّ أمامُ
وأنتبهْنا وقد مُلِئنا سُروراً ... فإذا الأمر كله أحْـــلامُ

وله من قصيدة ، يمدح بها العلامة ، حرم بن عبد الجليل العلوى ، ويهجو بُلاًّ بن مَكْبدْ الشقراوى :

جابَتْ على شحَط المزار نوارُ ... فيحاً إليكَ مُتونهُنّ قفـارُ
يُلْفى بها غَرِدِ الصّدى متوسطا ... تيها يتيهُ بهـا القطا ويَحارُ
لوْلا الفقيرُ وأربعون لاشْبَلَتْ ... مِنّى عليها دمْعـةٌ مِدْرارُ

وليس فى حفظى منها ، إلا هذه الأبيات ، وهى من أجود شعره .

وقال أيضـــاً :

ماسَفَّهَ الحلمَ واسْتَصْبي أخا كِبَرٍ ... كالكاعبِ الرُّودِ لم تَعْدُ اثنتى عَشرَهْ
كأنهـا فَنَنٌ طَوْعَ الرّياحِ فـا ... تَنفكُّ مُسْفِرَةً طوْرًا ومُخْتمِرَهْ
عَجْلى القِيامِ ضحُوكٌ عَنْ مُؤَشّرَةٍ ... تُنْسى مَلاحَتُها ذا لؤلؤٍ دُرَرَهْ
وفى الجوابِ وفى كلّ الذى نَطقَتْ ... طَيْشٌ تَرُدُّ بِهِ الأكبادَ مُنفَطِرَهْ
يَحالُ ذو الجهلِ أنّ الخوْدَ ليس لها ... لُبٌّ ويُعْجِبُهُ مِنْ ذاكَ ماأختبرَهْ

فغضبت امرأته من هذه الأبيات ، وخرجت من بيته ، وقالت له : ابن بيتاً من الشعر ، فقال :

مَنْ يهجُرُ الشعرَ جرًّا عاذلٌ زجرَهْ ... أم من يطيق صدودَ الحبِّ إن هجرَهْ
أضحتْ صفيَّةُ عن لُقياكَ مُعرِضةً ... والشعرُ يعرِضُ من مكنونه دُررَهْ
لم أدرِ أيُّهما أدهى مُفارقةً ... كلٌّ يحزُّ فؤادى دائماً أثرَهْ
قد كنتِ ياذى إلى نفسى محببةً ... وربما صدَّقتْ حالُ أمرىء خبرَهْ
طاشتْ عن القلب رميات الحسان سوى ... سَهْمَيْكِ قد قرَعا أعشارَهُ العشرَهْ
فما عليكِ إذاً لو رُحتِ عالمةً ... أنَّ القريضَ جناً للفكر لن يذرَهْ
أمْ خلتنى مثلَ أقوامٍ عهدتهمُ ... طُوعَ الخلائل لا يعصونَ أمرَ مَرَهْ
كلاَّ لعمرُ بناتِ الفكرِ نمقُّها ... حرَّانُ ذاد بها من همه شرره
بَلْ ليتَ يوما فتاةَ الحىّ إذ أمرتْ ... أن أبتنى من قريضى واسعَ الحُجُرهْ
تدرى حقيقتَهُ علمَ اليقين لكنْ ... ترى البيوتَ سِواهُ غيرَ معتبرهْ

وقال أيضاً يمدح الشيخ سيدىّ :

ماللشيبِ وفعل الفتيةِ الشَّبَبَهْ ... وللبيب يواصى فى الصبا خَبَبَهْ
آنت لذى شَمَطِ الفودينِ رجعته ... إنَّ القتيرَ ليَحْمى ذا النُّهى طرَبَهْ
لمَّا تأوَّبنى من طولِ ما جمحتْ ... نفسى همومٌ رمتْ صبرى بماسلبَهْ
ناجيتُ فكرى وقد أمعنتُ من نظرى ... ثمَّ استمر بي الرَّأىُ الذى أكتسبَهْ
أن يممتْ شرفَ الدينِ الكمالَ بنا ... علياء تعتسف الآكام والهضبَهْ
حتى وضعتُ عصى سيرى بباب فتًى ... يؤوى الطريد ويولى الراغب الرغبَهْ
من نبعة طيبَ البارى أرُومتها ... بيتاً أحلَّ ذُرى المجدِ العُلى نسبَهْ
حارتْ أناسٌ بجدوى حاتمٍ ولقد ... نَرى سَخاءَ كمالَ الدينِ قد غلبَهْ
أغنى العمائمَ من راجيهِ سَيْبُ ندًا ... مَنْ لا يمُنُّ على العافينَ ماوَهبَهْ
مَن كان يفضُلُ للمُعتَرِّ إن عرضتْ ... عزَّاه تعدُو عليهِ أمُّهُ وأبَهْ

أخنى على الشُّعْثِ والأيتامِ مِنْ نَصَفٍ ... على صَغيرٍ لها قدْ اُكبرتْ عَطَبهْ
أشدُّ عندَ تمادى أزْمَةٍ فرَحاً ... بالمُعْتقين مِن العافى بكلّ هِبهْ
يلقى العفاة بوجهٍ من سماحته ... كالهِنْدُوانيِّ تجلو متنَهُ الجَلَبهْ
وَإنْ أَلَمَّ بهِ ضَيْفٌ فمرتحل ... يُثنى وكان جميلَ الظنّ إذْ رَغِبَهْ
ولَنْ يفرّقُ حمدَ الشيخ فى فِرَقٍ ... شتّى ويكثرُ مما قدْ رأى عجبَهْ
رأى هنالكَ أخلاقَ الكرامِ إلى ... زِىِّ الملوكِ وَزِىَّ السادةِ النجبَهْ
رأى مُصَرَّعَةَ الأنعام قد قسمتْ ... بين الصفيفِ و بين الجَوْنَةِ الرَّحَبه
رأى الوُفُودَ على باب الكمالِ كما ... يرى الدُّثُورَ على عِدٍّ حمتْ قُلُبَهْ
من مُعْتفٍ وأخىٍّ فتوىً ومُلتمسٍ ... فَصْلَ القضاومريدٍ كشفَ ماحُجِبه
أوكشْفَ مسألةٍ والكلّ قد وسعت ... جفانه ولكلّ منه مَاطلبهْ
فَاقَهُ بارك فى نفسِ الكمالِ وفى ... ماأفْهُ موليهِ من قُصوىٰ ومقتربهْ
إنْ تَسْتَبِقْ حلباتُ المجدِ راكضةً ... خَيلَ المعالى تَرَاهُ سابق الحَلَبهْ
لايضمرُ الضَّجَرَ من جارٍ أساء ولا ... مِنَ المُرافِقِ يوعى صَبرَ من صَحِبَهْ
ولا يضيقُ ذراعا بالذى صَنعتْ ... أيدى الحوادثِ تبتزّ الفتى سَلَبهْ
وكم ثنَى بينَ ماحَيْين أصْلَحَهُ ... حَزْزَ الصّاعِ لمسنى أجرة قِرَبَهْ
أمّا الرِّقاعُ فأغلاقٌ يجودُ بها ... والسيرُ نصحٌ بليغٍ يقتضى القُرُبه
رآهُ ذو العرْش علامُ الغيوب لذا ... أهْلاً فساق لهُ مِنْ قبله سَبَبَهْ
عِلماً وفهماً يَصيدُ المشكلاتِ بهِ ... دَرْكَ الطِّمِرَّةِ مَنْ سرْبِ المَهى عطبه
ومَصَّ كلّ دورٍ من مسلسلةٍ ... لما تغلغلَ فى علمِ الشريعةِ منْ
شدّ الرحالَ على عُتْقِ الرِّكابِ إلى ... صافيهِ أعملَ فى نَيْلِ العُلى نُجبهْ
فنال مانال إذ حطّ الرحالَ وما ... تاجِ الأجِلّةِ من ساداتِنا النُّخَبهْ
فأصبح الشيخُ مأوى كل ذى ظمإٍ ... أدراك مانال يأواها لها رتبهْ
كما يُصَبِّحُ مُسْقىٰ دجلةَ القربهْ

ترى الوقار عليه والسكينة فى حال الحفيظة مما أن ثنى غضبه

وقال أيضاً : وسبب هذه القصيدة ، إنه لما كان فى أقاصى السودان ، اشتاق إلى أوطانه وأهله ، فترك أولاداً له صغاراً ، ورجع إلى أهله . فلما أقام مدة بين أظهرهم ، اشتاق إلى أولاده ، وحن إليهم ، فأراد قومه أن يثبطوه عنهم . فلما علموا أنه لايمكنه تركهم ، جعلوا يعدونه برفقاء ليأتى بهم ، فقعد سنة ينتظر وعودهم . فلما تحقق خلفهم ، شد رحله على جمله ، ووافاهم فى مسجدهم ، فلما قضوا صلاتهم ، قال لهم : لايخرج أحد حتى أتم كلامى ، فأول مانطق به ، أن أقسم لهم أن لايصحبه أحد منهم ، ولايأخذ منهم زاداً ولاغيره ، ثم أنشد القصيدة ، وركب جمله ، فبعد مدة طلع عليهم فى مسجدهم ذلك ومعه أولاده ، وعنده خمسة عشر عبداً . وهاهى القصيدة :

تجلدتُ للتوديع والقلبُ جازعُ وأخفيتُ ما كادتْ تبينُ المدامعُ
ترقرق دَمعٌ لَوْ أطعتُ غُروبه ذرفنَ كأجرى ماتفيضُ الدّوافعُ
فيا عجبا أخشى الفراقَ وطالما حَرَصْتُ عليه مكرَهاً أنا طائعُ
أمَرُّ النّوى مَنأى حَبيبٍ إذا دنا لَوَتْكَ بمحبوبٍ بلادٌ شواسِعُ
هما طرفا ميزانِ شوقٍ كِلاهما تُطَلقُنى أهْـــوَالُهُ وَتُرَاجِعُ
أتيحتْ لغربِ الأرضِ منى زيارةٌ وفى الشرقِ أرضٌ فى المزارِ تُنَازِعُ
ألا فَارْحَلا قبل الصّباحِ مَطِيّنا فلمْ يَبْقَ إلا أنْ تُجابَ البلاقعُ
إلا حاجةٍ لم يثْنِ عنها عَزيمتى صَديقٌ بألوانِ الملامَةِ صادِعُ
غدا إذْ غدا فَرْخاهُ منهُ بمنظَرٍ يُثَبّطُ لو أنّ الشجىّ يُطاوعُ
أأصْغى وأفْراخى قدَ أعْرَضَ دُونَهُمْ عِراضُ الفيافى والجبالُ الفَوارعُ
دعانى إلى نسيانهمْ كلُّ راقِمٍ على الماءِ صَمّتْ عَنْ دُعاهُ المسامعُ
إذا وعَدوا بالمالِ ثمّ ذكرْتُهُمْ تلاشَتْ إذَا لو يعلمونَ المَطامعُ

وإنْ خدعُوا بالغِيدِ غادرَ ذكرُهمْ ... لَدَىَّ هبـاء ماوَشاهُ المخـادعُ
وإن قيلَ فى أهلِ التغرُّبِ أسْوةٌ ... فما أنا للضَّاوِينَ فى العَجزِ تابعُ
سَأَعمِلُ سَيْرَ النُّجْبِ نَصًّا إليْهِمُ ... وأهملُ لغواً رَأْىَ مَنْ هُوَ راجعُ
وَمُعْطِى عُهُودٍ أنْ يُرافِقَ أَصْبَحَتْ ... تَمُرُّ بها نُكَبُ الرِّياحِ الزَّعازعُ
يُضاعَفُ منْ عزمى على السَّيْرِ كلما ... بدَتْ مِن ضميرِ المخلفين الجنادعُ(١)
بدا ماطوى مَن كان يزعمُ أنه ... سَيطوى إلىَّ البيد والحقُّ ناصعُ
تـكاسَلَ إخوانى الأقاربُ فى الرِّخا ... لَدُنْ صَدَعتْ شملى الليالى الصَّوادعُ
فما اسْتَأجَروا لى صاحِباً مِن سِواهمُ ... فَرُبَّ أجيرٍ فى المضـايق نافعُ
ولـكنْ كفتنى منَّةً سَيَمُنُّهـا ... فتًى لم تدُمْ منى لديهِ الصَّنائعُ
جَلادَةُ نفسٍ بَيْنَ جَنْبىْ مُجَرَّبٍ ... تهابُ قتاد المنِّ منهُ الأصابعُ
ويصغُرُ فى عينيهِ ماأستعظمَ الذى ... تهُونُ لديْهِ الدَّاهياتُ القوارعُ
أمَا والمَوامى والهواجرِ والسُّرى ... وأنضائها منها رَهيصٌ وظالعُ
لئن أسْلمونى للنوىٰ لم يكنْ معى ... أخٌ لِحُمَّيًا وِحْشةِ البينِ دافعُ
لمـا أسـلموا حيران يعيىٰ بأمرِهِ ... إذا راحَ كلُّ الناسِ وَهْوَ مُقاطعُ
ولـكنْ غنىَّ النفسِ أمْضى عزيمة ... مِن العضْبِ جَلاَّهُ الـكمىُّ المصارعُ
تعوَّدَ فقدانَ الرَّفيقِ بأمْـكُنٍ ... تغول بها نفسَ الجَبانِ الرَّوائعُ
خَليلىَّ مَنْ يخشى أعتسافَ تَنُوفَةٍ ... لَوَاهُ بحَوْجَا وهْدُها والأجارعُ
فإنى لِمِقدامٌ على كلّ مَهْمهٍ ... يَتيهُ به لو كان يغشـاهُ رافعُ(٢)

---

(١) الجنادع : أوائل الشعر ، واحدها : جندعة ، وهذا مأخوذ من قول محمد بن عبدالله الأزدى :

لا أدع ابن العم يمشى على شفا ... وإن بانفتنى من أذاه الجنادع

(٢) يتيه : يضل . ورافع : هو رافع الطائى الصحابى ، وكان من أشد الناس هداية . هو دليل خالد بن الوليد ، لما بعث إليه أبو بكر رضى الله عنهم : أن سر إلى العراق . وكان خالد باليمامة ، فأراد سلوك المفازة ، فقال له رافع : قد سلكتها فى الجاهلية ، هى خمس للابل . ثم =

جَسُورٌ على دُهْمِ المخاوف فى يدى ... مُرَى الحَزْمِ لا يلفىْ بها وهو ضائعُ
صَبُورٌ على رِحِ المشقَّاتِ يَنثنى ... عَنَ أهْوالها الزرقُ العيون السمادعُ
ولستُ لأمرٍ إنْ تعاصى بتاركٍ ... ولستُ لِمَرْءٍ فى أُمُورِى أطاوعُ
أصيخُ إذا قالوا وأتبعُ ماأرى ... وما سَيفُ منقادِ القَرِينةِ قاطعُ
وما ضمَّ ثَوْبى عاجزَ الهَوْءِ كلَّما ... أشار عليه غيرُهُ فهوَ طائعُ
شكوتُ إلى المُبْدى المُعيدِ بمثلِ ما ... شكوتُ به إذْ عَوَّقتنى الموانعُ
فَسَنَّ أمتنانا أمرَ حوْجاء طالما ... لوَتْ فاثنى باليأسِ مَنْ هُوَ طامعُ
ألا ليْتَ شعرى هلْ أرانى بصبيتى ... طليقاً من أيدى النَّأى والشمل جامع
عَلَىَّ إذاً إطعامُ أضعافِ من مضى ... وصَوْمٌ بصيْفٍ سَبْعةً متتابعُ(١)

وقال أيضاً يمدح النبى صلى الله عليه وسلم :

تألَّقَ لَمَّاعُ الوَميضِ لَموحُ ... بذى السَّرْحِ يَخفى تارةً ويلوحُ(٢)
جَلا عَنْ رَوَايا بتْنَ يَمْدُنَ مثل ما ... ينوء به مُدانى الساعدَيْنِ طَليحُ
سَقَىْ دِمناً حَوْلَ اللُّوَىّ وأرْبُعاً ... على الغارِ نَجَّاجُ الفُواقِ سَحُوحُ
وجادتْ على أطلالِ زارَ مُرِبَّةً ... بها كلُّ غرَّاءِ الجبين دَلُوحُ
مَعاهِدُ يَرْتاحُ الفؤادُ لذِكرِها ... وأهْتِفُ شَوْقاً باسمِها وأبوحُ
وتعتادُنى منها طوارقُ لوْعةٍ ... كما أنقضَّ رَوَّاعُ الرَّعيلِ جَرُوحُ
فَدَعْ ماترى وافزَعْ إلى الصبرِ إنما ... أخُو الصبرِ فى عُقْبى الأمور نَجوحُ

= اقتحم به وبجيشه تلك المفازة ، فلما كان فى الليلة الرابعة ، قال رافع : انظروا هل ترون سدراً عظاما ؟ فإن رأيتموها وإلا فهو الهلاك . فرأوا السدر ، فأخبروه ، فكبر وكبر الناس ، ثم هجموا على الماء . ولخالد رجز يخاطبه به .

(١) قوله أضعاف من مضى : يشير إلى قصيدة له قالها فى غربته ، يقول فيها :

* علىَّ إذاً إطعامُ ستين مسلماً *

يعنى : إذا رجع إلى أهله .

(٢) ذو السرح : اسم موضع ، يقال له : إنواتيل

وإياك أن تُلفى هيوباً يَصدُّهُ عَنِ الأمر حيناً أن يَمُرّ سَنيحُ
وعرِّجْ على صَدآء واستسق وردَها عسى أن يتيحَ الرِّىَّ منهُ مُتيحُ
سَلامٌ بأنفاسِ العَبيرِ يَفوحُ على النورِ يَغدُو دائما ويَرُوحُ
سلام على قطب العُلى الأوحد الذى يُرَوِّحُ منه السَّامعينَ مديحُ
سلام على شمس الضحى قمر الدُّجى ونَجم الهدى ذو هَوضُ ليس بزيح (١)
سلامٌ على عِزِّ الحجَازِ وأهْلِهِ مَنْ أنبأهمْ شِقٌّ به وسَطيحُ (٢)
وأدْهَشَ منهُ الوافدينَ جَلالةً وَسيمٌ أغرُّ الوَجنتينِ صَبيحُ
وسكّن لما استأنسوا بعضَ رُعْبِهم به خُلُقٌ حُلْوُ الجنَاةِ مَليحُ
لكم جاد فقرًا عندَ بابِ ابنِ هاشمٍ رَوايا نَدًى مِنْ راحتيهِ سَفُوحُ
ونالَ عَظيمُ السُّؤلِ أوْفَرَ نائلٍ يجودُ بهِ رَحْبُ الذِّراعِ سَموحُ
وخاضَ وغى الهَيْجاءِ منه بصَحبهِ أخُو عَزماتٍ فى الخطوبِ مُشيحُ
وجَدَّتْ به جُرْدٌ إلى حومةِ الوغى مَذاكٍ ونَجْبٌ للمَشاعِرِ رُوحُ
فما شغلتْهُ الحربُ عن صَوْبِ مَنسِكٍ ولا نُسُكٌ أن يُستباحَ جَموحُ
إذا ما أبى إلا جِماحا عَنِ الهدى فَريقٌ بَداه بالقِيانِ نَصوحُ
غزاهُ فأمسى عُرضَةَ البيضِ والقَنا فما منهُ إلاّ فائظٌ وجَريحُ
فلما رأوا أنْ لا مَناصَ وأنه لِسائمتيهمْ والحَريمِ مُبيحُ
غَدَوا مُسْعِدِينَ الدينَ من كلِّ وجهةٍ وأنفُ مَناةٍ فى الرَّغامِ طَريحُ
فَراحَ سَناهُ فى سَناء وأدْبَرَتْ بدجْدة غيّ المُشركينَ طَموحُ
حَمى حُرُماتِ اللهِ لولاَ أنتهاكُهُمْ لها ما انتهى حِلْمٌ هناكَ صَفوحُ
فكم سَفِهَتْ ناسٌ عليهِ وما ازدَهَتْ وقاراً يُحاكيهِ أشَمُّ مَروحُ (٣)

(١) عوض : ظرف لاستغراق المستقبل ، يضم آخره ويفتح ، من غير تنوين .
(٢) شق وسطيح : كاهنان مشهوران .
(٣) أشم : جبل ضخم . ومروح : اسم مفعول من ريح ، إذا أصابته الريح .

كما انقضّ للميلاد شهبٌ ولم يَنَلْ ... من اللاءِ قُصْوى العُدْوَتين سَبُوحُ
فما مِثْلُ مَجدِ المصطفى قطُّ ماجدٌ ... ولا النَّجْمَ ساعٍ أن يَنالَ شحيح
يَروقكَ من قومٍ عُلاً تستقلُّها ... إذا اشتَمَّ من رَيّا المؤمّلِ ريحُ
وتستعظمُ الاطوادَ مالم تُسامِها ... به فِدَى فضلِ الأمينِ نَزُوحُ
إذا ما تولّى ماجدٌ راحَ مَدْحُهُ ... وفى جِدَّةِ الإشعارِ منهُ نُزُوحُ
سِواهُ ستانى نفخةُ الصُّورِ ألسُنًا ... من الناسِ دأباً تغتدى وتروح
ليُهدَى إليهِ من ثناءٍ يَحُوكُهُ ... قَريضٌ يُروِّى السامعينَ صَليحُ
وكلُّ جزى مَدْحٍ وإنْ جَلَّ ينقضى ... سِوى مَدْحِ طهَ إنه لربيحُ
أُعِدَّتْ لهم جَنّاتُ خلدٍ تزخرفَتْ ... وحورٌ بأبوابِ الخيامِ جُنوح
وإنى وتَعدادى حُلاهُ كحاسبٍ ... من الرَّمْلِ ماضمّتْ مهامِهُ فيحُ
تواصفَ خيرَ الخلقِ ناسٌ وقصّرُوا ... ونى الجهدِ منهمْ والمجالُ فسيحُ
تولّتْ يَدُ الغاياتِ من دُونِ فضلهِ ... فسيّانِ منّا باقلٌ وفصيحُ
سِوى أنّ صَدْيانَ المَحبّةِ واردٌ ... فمغتبقٌ إمّا لواهُ صَبُوحُ
نعمْ أينَ منّا قَدْرُ مدحِكَ بعدَما ... أتى النّاسَ وَحىٌ بالثناءِ صحيحُ
أيا مصطفىً والناسُ لاناسَ راغبٌ ... بيابكُمُ هَوْلُ الجنانِ طريحُ
يَهابُ حَياءً أنْ يَبوحَ بسُؤلهِ ... لدَى مَنْ لِخَلّاتِ النزيلِ لَمُوحُ
تحيّةُ ربّ العالمين يُريحُها ... عليكم وَيَغدُو مُبكرٌ ومُريحُ
وريّا سَلامٍ دونَهُ المِسكُ نَفْحةً ... نَفُوعٌ لمُهديهِ الجروعِ تَفُوحُ
وعَرْفُ صَلاةٍ تفضلُ العَدْلاَ نُقضى ... لها ماجرى حُسْنَ الثناءِ جَزوحُ
وعَظّتْ مُلِمّاتُ الزمانِ فأفظعَتْ ... وما عيلَ صَبْرٌ للنبىّ رَجوحُ
تَخيّرَهُ من خيرِ خيرِ أرُومَةٍ ... نمى بَحرَها سامُ بنُ نُوحٍ ونوحُ
لِيُمنَحَ مالا يَقدرُ الناسُ قَدْرَهُ ... سِوى لَمعِ نَزْرٍ منْ سَناهُ يَلوحُ
وأسعَدَهُ فى اللهِ أسعدُ شيعةٍ ... قد اجتاحَ منها الجاحدينَ جُرُوحُ

وأخمدَ طُغيانَ الضلالِ وإنّه لأعْيُنِ أصحابِ العَمى لَفَتُوحُ
وأرْغمَ أنفَ اللاتِ واللاّءِ بعدَهمْ عَذارىً قُرَيْشٍ لا تَزالُ تَنُوحُ[1]
ومهّدَ بيضاً ليلُها كنهارِها بمسْكِ معالى المَكْرُماتِ تَفُوحُ
تَكلّفَ أعْباءَ العبادةِ جاهداً فليسَ لهُ مِنْ وَنْيَةٍ فَتَريحُ
عجبْتُ لحزبٍ يَمْتَرِى فى اصْطفائه وقدْ شُقَّ مِنْ بَدْرِ التّمامِ صَفيحُ
وجاءَ خِطابٌ أنْ يَجيئوا بمثلِ ما تَنَزّلَ مِنْ حُسْنِ الحديثِ صحيحِ
فلمْ يَقْدُروا بَلْ لمْ يكادُوا وماتَوْا به هَوَسٌ يُخْزِى ذويهِ قَبيحُ
ونَوّهتِ الأخْبارُ تَتْرَى ببعثِهِ وأعْلَنَ مُوسى باسْمِهِ ومَسيحُ
وفاهَ جمادٌ طِبْقَ عَجْماءَ أفْصَحَتْ وهاتِفُ جِنٍّ لا يَزالُ يَصيحُ
وجيشاً كفى صاعاطعامٍ ومَشْرَبٍ مُسْتَهْزِئٌ أرْدى عَمًى وقيوحُ[2]
وَخَدْشَةُ سُمٍّ يَقْصُرُ السُّمُّ دُونَها ونَقْعىٌ وبطنٌ مِنْ أذاهُ مُريحُ

وكان رحمه الله فى صدر القرن الثالث عشر ، وقد رأيت بعض ولده لصلبه .

﴿ محمد بن السالم ﴾ : (بذال معجمة مكسورة منوّنة) مصحف محمد البوحسنى ثم اليانعمرى ، وهو من قبيلة الذى قبله : شاعر مجيد رقيق الألفاظ سلسها ، وقد رأيته ، وهو أسمر ، وكف بصره فى آخر عمره ، وكان يقول إذا سمع الناس يطرون الأحول الآتى : أنا أشعر منه وأحول ، وكان القياس أن يقول : وأشد حولا ،

---

(١) اللاء : بمعنى الذين . وتقدم شاهده .

(٢) قوله : وجيشاً كفى صاعا طعام ومشرب الخ . يشير إلى ما وقع له عليه الصلاة والسلام ، من تكثير القليل من الطعام والماء ، وتقدم بيان ذلك . وقوله : ومستهزئ أردى عمى الخ . يشير إلى ما حل بالمستهزئين به من قريش ، فإن الأسود بن المطلب عمى ، ومات الحارث مولى الطلاطلة بقيوح أرسلها الله عليه فى رأسه . ومات الوليد بن المغيرة المخزوى بسهم خدشه فى رجله . وقيل : قتلته شوكة أصابته فى رجله . ومات الأسود بن عبد يغوث ، بسبب استسقاء وقع فى جوفه . ومات العاص بن وائل ، بشوكة أصابته . وقد قال الله تعالى فيهم « إنا كفيناك المستهزئين » .

لأن أفعال العاهات ، لا يأتى منها فعل التعجب ، ولا اسم التفضيل . وإنما جرى فى ذلك على مصطلح العامة ، وكان فى صدر القرن الرابع عشر . ومن جيد شعره يمدح الشيخ سيدى :

قفا نستنطقِ الدمنَ البوالى ونبكى أعصُرَ اللهوِ الخوالى
قفا بى لحظة أسكبْ دموعى بأغبرَ موحشِ العرصاتِ بالِ
بشق البيتِ غيّرَهُ السوافى وأقدمَ عهدَهُ مرّ الليالى[1]
تكنسه ذواتُ شوًى ضئالٍ مكانَ مهيّ ذواتِ شوًى خِدالِ
وكم غنيتْ بساحته عروب تبسّمُ عنْ عوارضَ كاللآلى
خدلجةُ المُخلخلِ عُلّ فوها شآميةً كلونِ دمِ الغزالِ
تماطلُ بالمؤمل من جناها بغاتِ البُسْلِ هينةُ الحلالِ
فدعْ هذا ولكنْ ما لسلمى كلفت بها وترغبُ عنْ وصالى
تأوّه إن تغمدها نحيفٌ يضمُّ لحافُهُ شخصَ الهلالِ
وعابتْ خِلقتى والعضبُ يلفى صقيلا نصله والجفن بالِ
وقافيةٍ بذلتُ الوسعَ فيها لتصلحَ أن تُزَفّ إلى الكمال
أحاولُ أن أضمّها خلالا تضمّنها فمنْ لى بالمُحال
إمامٌ فى مصالح ذى البرايا وفى كسبِ المحامدِ غيرُ آلِ
يقصر عن مداه أبو عدىٍّ ويحيى وابنُ مامةَ فى النوالِ[2]
وتخجلُ مِنْ سَناهُ إياتُ يوحٍ فتكسفُ حين تدنو للزوال
ولم أرَ قبلَ مسجدِهِ مُصلىً تضمّنَ وابلاً سَرِبَ الغزال

---

(١) شق البيت : موضع ، واسمه بالعامية : شك الخيمة (بشين وكاف معقودة) بمعنى شق .
(٢) أبو عدى : يعنى به حاتماً الطائى المشهور ، الذى يضرب به المثل فى الكرم . ويحيى : هو يحيى بن خالد البرمكى ، وشهرته فى الندى معروفة . وابن مامة : هو كعب بن مامة الإيادى ، الذى آثر رفيقه بنصيبه من الماء ، ومات هو عطشاً .

بداه غمامتان على البراسا ... على التداب دائمتا أنهمال[1]
فذى عمّت بصيبها وهذى ... تخصّ به ذوى الهمم العوالى
تجرّد للعلى شيخان يبغى ... مقامات عصين على الرجال
لمستر وجار وابن عمّ ... وأرملة تؤاكلها الموال
وعرجلة من الغرباء شعث ... من اللؤواء تجأر كالسعالى[2]
جمعت على مكلّلة رداح ... كجابية المخوّل وفرّ مال
وعان قد فككت ومستضيف ... حضأت له الزخيخ على التلال[3]
كلا العونين عالك قهوتيه ... ولم تترك لغيرك من فضال[4]
فرحت ولا يعاب عليك فعل ... ولا ألفيت مغلوبا بحال
تخالق بالجميل الخلق طرّا ... وأنت مع الخليل الفرد خال
حوت مادون مرتبة التنبى ... يداك من المكارم والمعالى
وأنت إذا من الثقلين طرّا ... بمنزلة اليمين من الشمال

هذا ماتذكرت منها، وما أدرى أبقى منها شىء أم لا. وسمعت بعض الأدباء، يحدث أنه كان مقيما عند الشيخ سيدى، وكان يقابل مع بعض تلامذته الحماسة، فمر ببيتين وهما:

ماأستحسن الناس من أكرومة سلفت ... إلا رأوها على أستحسانها فيكا
ولا تحلوا بمعنى يستحب لهم ... إلا وكان معاراً من معانيكا

---

(١) البراسا: بمعنى الناس.

(٢) العرجلة: الجماعة من الناس، وقيل: جماعة الرجالة. وتجأر: تصوت. والسعالى: جمع سعلاة، وهى أنثى الغيلان.

(٣) حضأت: أوقدت. وأصل حضإ النار: أن يحرك جمرها بعد ما يهمد. والزخيخ: النار.

(٤) عنى بالعونين: الشيخ سيدى المختار الكنتى، وابنه الشيخ سيدى محمد، المدعو بالخليفة.

فضمنهما قصيدته الآتية ، ولعل مراده حماسة أبى تمام ، فإنهما لا يوجدان بها ، والقصيدة هاهى :

ودق الرَّواعيد نزرٌ من أياديكا ونفحةُ المسك هبَّتْ من نواحيكا
ومن جَداك أستَمدَّ البحرُ مادته فما جرى البحر إلا من جداويكا
والشمسُ تخجلُ من أنوار غُرَّتكم كما تضاءل رَضْوى أنْ يساميكا
تدنى القَصىَّ متى قصاه أقربهُ حتى يرى أنه أدنى مواليكا
نيل الأمانى قليل من تفضلكم على جميع الورى فى حَقّ عافيكا
وقد أرى الناسَ فيكم ينشدون وما منهم محيط بأدنى من أدانيكا
ما أستحسن الناس من أكرومة سلفت إلا رأوها على استحسانها فيكا
ولا تحلوا بمعنى يستحب لهم إلا وكان معاراً من معانيكا
مرآهمُ الظلّ يدعوهم لما وصفوا حتى رأوا أن ذا وصف يكافيكا
وهل تنال بمرأى الظلّ معرفةٌ أم كيف وصفك مجهولا بماحيكا
فشأنىَ الصُّمْتُ إنّ الصُّمْتَ أبلغُ من نُطقِ الألى زعموا أن بالغوا فيكا
أقررتُ بالعجزِ عمّا فيك ياأملى إذْ فيكَ مافيك مما اللهُ مُوليكا
أقررت بالعجز عن أدنى حُلاك فلا تحرِمْ نوالك ملهوفاً ينـاديكا

وقال أيضاً ، وهو مقيم عند الشيخ سيدىَ :

أهلاً وسهلاً بطيفِ الخودِ فاطمةِ لكنّ ربقةَ آلِ الشيخ فى عُنقِ
طافتْ بنا بعد تهجيع فقلتُ لها بنتَ الكرامِ ألا وصل فانطلقِ
لا تحسبى نفثاتِ الشيخ مبقيةً مَرمى لنبلِ لحاظِ الجُوْذُرِ الخَرِقِ
لو كنتُ أصبو إلى خَودٍ لكنتِ ولـ ـكن ليس وصْلُ الغوانى اليوم من خُلُقِ
لا ينبغى لامرىء أمسى تعلقُهُ بالشيخ يصبو إلى الجيدانةِ الفُنُقِ

ما حضرة الشيخ ملهى عاشقٍ كلفٍ ولا الكلى والمُجَى يُجْمَعْنَ فى شُدُقِ[1]

وقال أيضاً :

يا باحثاً عن طباعى كىْ ليعرفها فعلى يُعبّرُ عنْ ما رُمْتَ تعبيرا
إنى امرؤٌ لم تكنْ يا زَيدُ راحَتُهُ ولم يكنْ مالهُ يوماً دنانيرا[2]
لكنما تلوه التميزُ مُظهِرةٌ ضَريبةَ المَرْء إنْ لؤماً وإنْ خيرا

وقال أيضاً :

أميمةُ إنْ يكنْ خَلَقاً ردائى فقدْ يَبلى جفيرُ الهندوانى
وإنْ يك يا أميمُ الجسم خلّا فما يُزرى النحولُ بأفعُوَان
وإنْ لم ألفَ ذا مالٍ فإنى أنا الطرْفُ المضمّرُ للرِّهان

وقال أيضاً : وقد نزل عند امرأة ضيفاً ، وهى لاتعرفه ، فلم تفرشه ، ولم تكترث به قمر ، به إنسان يعرفه ، فلام المرأة ، وعرفها بصيفها ، فاعتذرت إليه ، فقال :

نزيلك فأمنى أبداً أذاه نزيلٌ غيرُ مرهوبِ المصال
ضعيف لا يُخاف البطشُ منه عفيف لا يسب على النوال
قراهُ إذا ألمّ بأرْضِ قومٍ مُفاكهةُ اللبيب من الرجال

وقال أحد أدباء قبيلته بيتين يفخر بهما . ورد عليه ببيتين من رويهما ، أو العكس ، وللأوّل منهما :

---

(١) الكلى : جمع كلية . والمجا : جمع مجاية ، وهى مضغة من لحم ، موصولة بعصبة تنحدر من ركبة البعير إلى الفرسن . وقيل : هى عصبة فى باطن يد الناقة ، وهذا مثل عامى . وأصله : الكلو والفرسن ما يجتمع فى أشدق . وأصله : يجتمعون . وهو غلط فى الأصل . لأن الواو والنون لا يكونان فى مثله . ولأن الكلية والفرسن : اثنان ، وغلط أيضاً فى تغييره ، لأن الأمثال لا تغير ، وهذا يضربونه عند الجمع بين الضدين .

(٢) أى لم تكن مضمومة عن العطاء ، كما أن يازيد مبنية على الضم ، وأراد بذكر الدنانير : أن ماله ليس ممنوعا من الصرف .

فما بالشعر كان المجـــد منى ونفسى ليس ذلك منتهاها
فإنى قـد أرى الشعراء تحتى عصافـــيراً تطاردها بُزاها

فقال الثانى منهما :

أنا ليث الشرى أحمى عرينى بعُضْل غير مفلول شبـــاها
وهل تخشى بزاة أو صقوراً ليوثُ الغاب تزأر فى حماها

ومن جيد شعره ، وقد بقى فريداً ليس معه غير كلب يقال له ، فيداح :

أصخْ لسرد قريض الشعْرِ فيداحُ إن كنت ممن لسرد الشعر يرتاحُ
قد أصبح الشعر عمرى لا رواة له إن لم يكن من رواة الشعر فيداح
نعمَ المرافقُ لولا قبحُ منظرهِ ينفى الذئاب إذا يعوى فتنزاح
إنْ يطرِحونيَ أرْضا لا يُصاحبُنى إلاّ ألص هريت الشدقِ نبّاح
فقد يُسامرُنى فى مجلس عَطِرٍ شُمُّ الأنوفُ لهم كُتْبٌ وألواح
وقدْ أغازلُ جماءَ العظـام على أنيابها العنبر الهندى والرّاح

ورأيت له قصيدة جيدة ، ومطلعها :

إنّ الدِّيار بجنب ذات الجيأل هاجت عليك حماية لا تنجلى

ومات ـ رحمه الله تعالى ـ فى أوائل القرن الرابع عشر .

﴿ الأحول ﴾ : واسمه عبد الله ، وقد أغنته شهرة لقبه ، عن معرفة اسمه واسم والده ، هو الفصيح الشاعر ، ذو الصوت الطائر . اشتغل فى صغره بتثقيف اللسان ، حتى صار كشباة السنان ، ولازم يوسف بن المختار ، وباب بن أحمد بيب العلويين ، مدة مديدة ، حتى وقعت الحرب التى شتت العباد ، وأفنت الأمجاد ، وانحاز إلى قومه ، وصاغ فيها قصائده الطنانة . ومما نقم الناس عليه فيها ، أنه هجا أستاذه باب المتقدم ، فى قصيدته التى أوّلها :

ألا بالغن باب جانِ الحروب وجان الحـــروب رهين الخطا

وكان سلس العبارة ، كأنما يأخذ الشعر من جيبه ، لقرب مأخذه ، على أشياء أخذت عليه . منها قوله فى وصف خيال :

أهلاً به من مُلِّمٍ صوبنـا قذفت بيـدا لبيـدٍ وأصحاراً لأصحار

فإن صحراء لايجمع على أصحار ، وإنما تجمع على صحراوات ، وعلى صحارَى ، وصحارِى ، وإنما اغتر ببيت الأنصارى :

مَن كان فى نفسه حوجاء يطلبها منى فإنى له رهن بإصحار

فإن إصحار هنا ، مكسور الهمزة ، مصدر أصحر ، أى برز للصحراء . وقد رأيت هذا البيت مكتوباً هكذا :

* بيدا لبيـــد وأسحاراً لأسحار *

وهذا غلط أشد من الأوّل ، لأن الأوّل صحيح المعنى ، وهذا فاسده ، ولأن الطيف لايصح أن يقذف ، أى يرمى سحراً لسحر . والمحافظة على المعنى ، أولى من المحافظة على اللفظ . وأخذ عليه قوله فى صفة سلاح نارى :

ومهما مرت خِلْفَيْهِ أيد تطايرَتْ مِنَ الجوْفِ شتى أمّهـاتُ الذوائب

لأن الأم من غير الإناس . تجمع أمات ، وأما من الإناس . فإنها تجمع أمهات ، وهـذا هو الكثير ، وقد جمعت أم من العقلاء : أمات ، ومن غيرهم أمهات . وقيل إن من قال فى المفرد أم ، قال فى الجمع أمات ، ومن قال أمهة . قال أمهات ، والحـاصل أنه لايسوغ تلحينه ، فيما قيل إنه جائز بقلة ، ولا على هذا التفصيل ، وكلما غلط فيه ، يوجد له جواب يقنع ، غير أصحار .

ونقض أبُدّ بن محمود قصائده غير البائية ، قالوا : لأنه مات قبل بلوغها إلى ابن محمود ، والناس يفضلون الأحول عليه ، لسلاسة ألفاظه ، و بعضهم يعكس . قال : لأن كل معنى وقع فى شعرهما ، إذا تؤمل يظهر ذلك فيه ، فإن الأحول ، قال فى صفة سلاح نارى :

وجلجل رعد ينهمى عند هزمه نجيع العدى لا ماء غرّ السحائب

وأبن محمود قال فى صفته :

بأجرى فرانس فيها صواعق تُصمى الفتى قبل أن يسقطا

فإن الأوّل على سلاسة ألفاظه ، ليس فيه كبير معنى . فإن غايته أنه شبه صوت الرصاص الخارج من السلاح بالرعد ، وجعل سيلان الدم ، أشد من سكب السحائب . وأبن محمود ، نسب السلاح لفرانس ، وشبه صوت الرصاص الخارج بالصاعقة ، وهى أبلغ من الرعد ، وجعل المصاب بها يموت قبل وصوله إلى الأرض ، والذى تزفه الدم ، كثيراً مايرقأ دمه ، ثم يسلم بعد ذلك . وقالوا : إن الأحول قال لما هزم عدوّه هو وقومه :

لمّا رأوا عابدَ الرحمٰنِ منقبضاً تحت العجاجة مثل الضيغم الضار

ولّوا فُرادى ومثنى مدبرين ولمْ يثنوا من الرعب وجهاً بعد إدْبار

وابن محمود ، قال لمّا دارت رحى الحرب ، وهزموا عدوّهم ، بعد الأيام التى كانت عليهم :

سقونا ذنونا سقيناهموه بضعف وكنا لهم أضغطا

فإنه أنصفهم ، حيث ذكر نكايتهم فيه أوّلا . ثم ذكر أنهم ضغطوهم وهزموهم ، وقال فى رائيته :

والعلويون ركبانٌ تنوشهم بالأندرية تردى كلّ ختار

حتى إذا أثخنوهم محنقين وهم مابين ملتزم أو واجب خار

ولّوا فُرَادى ومثنى مدبِرينَ ولم يثنوا من الرعب وجهاً بعد إدبار

فإنه أنصفهم حيث قال : إنهم فروا بعد أن أثخنوهم ، حال كونهم ـ أى العدوّ ـ محنقين ، فليس من انهزم بعد أن لم يترك دفاعا ، مثل من فرّ أوّل وهلة ، ولأن العلويين فى اليومين الذين دارت عليهم رحى الحرب ، تركوا فى موضع المعركة

كثيراً من أبطالهم موتى ، ولو كانوا أنهزموا لما رأوهم ، لم تبلغ موتاهم ذلك العدد .

ومما جعلوه عبرة قوله :

ومن شاء فلينظر عواقب معشر جنى حربنا يزجره شوم العواقب

لأن آخر وقعة وقعت ، هى فتنة تندوج ، وقتل فيها هو نفسه ، ولم يعقبها شىء فإنه قضى على نفسه فيها ولأن الحرب فى الأصل بين أولاد أخطير والعلويين ، وكان أولاد أخطير ، أخذوا ديات قومهم ، على يد جموع كثيرة من الزوايا ، فنقض أبناء أعمر أكداش ذلك ، وغدروا بابنى الخطاط العلويين ، ثم إنه هو من قبيلة كنيت (بكاف معقودة) وليس من إدا بلحسن ، فهو الباغى ، وهذا لا يخلو عن تحامل ، فإن ذلك الأصل قد اندثر وصار نسياً منسياً ، حتى إن نخذه فى ذلك الوقت و بعده ، من أفضل أبناء أعمر أكداش ، وكذلك قوله :

وجدّل حتى جاذبته عصائب من الطير غرثى تهتدى بعصائب

فإنه هو بقى جديلا وجاذبته الطير ، فسبحان من لا يعلم الغيب غيره ، فإنه لو كان يدرى أن عاقبة أمره كذلك ، ما كان سره ماسره ، من تجديل ذلك الشيخ ، ولله در الشاعر حيث يقول :

فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

وقال من يفضل ابن محمود ، إن الأحول لما قال هذا البيت :

ماأبعد العار منا فى الحروب وما أدنى سيادة محمود من العار

لو هجا أبناء أعمر أكداش غير ملوم ، لأن شاعرهم أقذع على أبيه . ولما انطلق لسانه بالأيام المتوالية ، كيوم أبلحتوش ويوم تندوج ، رأى أن أخذ الثار بقتل الأبطال ونهب الأموال ، أبلغ من أخذه بالهجاء ، وأى عار على محمود ، فى أن هزم هو وقومه مرتين ، وأخرجوا من بلاد غير بلادهم الأصلية وعشيرتهم . ثم هزموا أعداءه هزائم أبلغ من هزيمته فى يوميه السابقين ، ولم تزل الحرب سجالا من قديم الزمان . ومن ذا الذى يخطر فى باله ، أن يحارب قبيلة مثل إدا بلحسن

فى الكثرة ، وما أنضم إليهم من أبناء البوعْلِىَ ، وتيابهم ، ويظن أنه لا يهزم ؟ بل العار فى أن لا يهزمهم هو ، وفى أن يخرج من أرضه ولا يبعث الجيوش حتى ينتصف . أما إذا انهزم يوماً بعد يوم ، ولم يلن لذلك جانبه ، فهذا دليل على صلابة عوده وقوّة عزمه . وهل أمكن عدوّه أن يوافيه فى أرضه وعشيرته ، بجيش واحد ، فيغنم ، أو يخسر ، فمحمود مثل ماقال الشاعر :

وأخرجت منها ولكننى رجعت على رغم أنف الجميع

وسيأتى بيان أن إدا بلحسن ، لم يخرجوه على كثرتهم وقلة قومه ، بل أخرجه تضافر التارزة عليه وعلى قومه ، ماعدا أبناء دامان وأهل عَبَّلّ .

وكان رحمه الله موصوفاً بحسن الأخلاق ، حدّثنى عمنا مأمون ، أنه لما وقعت الحرب واعتزلها من اعتزلها من الفريقين ، كان ـ هو أعنى مأمون ـ قبل البلوغ ، فذهب مع العلامة المختار بن عبد الجليل يقرأ عليه . وكان الأحول صديقاً لأخيه أحمد ، لما كان يقرأ على يوسف وباب المتقدمين . فاتفق أنه مر على المذكور ، فرأى مأمون فعرفه ، فأسرع إليه وضمه إلى صدره ، وجعل يتوجع مما وقع ، ولامه على عدم مجيئه إليه لما رآه . ولما بلغ موته الشيخ سيدى ، قال : ذهبوا به إلى غير فنه ، يعنى أن فنه صوغ الشعر الجيد . وليس من فنه مناصلة الأبطال ، ضنّا به عن الموت . هكذا يقول الناس ، ويجعلون الضمير عائد على من قتله ، ولا يخفى أن هذا فاسد المعنى ، لأن المعنى توبيخ قومه على حملة الغزو ، فإن الفتنة لو كانت وقعت عند حيّه ، لكان لذلك وجه ، ولكن الفتنة وقعت خارجاً عن بلادهم ، وسببها : أن العلويين أغاروا على آبال لهم ، فأتبعوهم مسيرة يومين أو نحوهما . وكان هو فى مقدمتهم ، واختلف فى قاتله . فأهل تكانت يزعمون ، أن قاتله محمد أحيد بن سيدى عبد الله بن الحاج إبراهيم . وأهل القبلة يزعمون ، أن قاتله محمد بن الحسن بن الأمين ، قالوا : ووجد فى كانون مدفعه (أى موضع ثوران البار ودمنه) شىء من الشوك ، لأنه كان يتحرج من قتل مسلم ، وما أظن هذا صحيحاً ،

بل لا يتأتى أن يطلب عدواً أنكى فيهم من مسافة بعيدة ، ويكون على هذا من ترك الحزم .

وقال فى الحرب التى وقعت بينهم وبين العلويين ، إثر هزيمة كانت لأعدائهم . وتقدم بعض التى نقضت بها ، لما انهزم قومه ، وقتل هو :

جادت بطيفٍ سرى لى أمُّ عمّارِ ... لله لله لقياً طيفها الساري
أهلا به من مسلم صوبنا قذفت ... بيداً لبيد وأصحاراً لأصحارِ
لا وصلَ من أمّ عمّارٍ أأمّلُهُ ... ما لم تَزُرْ فى منامى أمّ عمّارِ
لو كنتُ زير نساء كنتُ زائرها ... بل زيرُ حرب أخوها غيرُ زُوّارِ
إنا بنو الحرب لا نشكو أظافرها ... لو جرّحتنا بأنياب وأظفار
خضنا لواها وجنبنا بنى حسن ... حمل المغارم من حمل وأوزار
والخيل فيها على الأبناء نؤثرها ... صوناً فيالك من صون وإيثار
والوفد نقريه فى اللاوى ونكرمُهُ ... طول الثوى إذ يجل المكرم القارى
ما أبعد العار منا فى الحروب وما ... أدنى سيادة محمود من العار
لمّا رأوا عابد الرحمٰن منقبضاً ... تحت العجاجة مثل الضيغم الضار
ولّوا فرادى ومثنى مدبرين ولم ... يثنوا من الرعب وجهاً بعد إدبار

وقال أيضاً فى تلك الحرب :

تداعتْ حُداةُ الركبِ من كل جانبِ ... فَودّعْ سُليمى قبلَ سَيرِ الركائبِ
فإنْ ضَعُفَتْ أسبابُ ذلك بينَها ... وبينكَ إلاّ سَرْق ومْإِ الحواجبِ
وكيف وداعُ الحب آخرَ كلما ... دنا منهُ صَدَّتْهُ مخافةُ راقب
سلامٌ عليها أين غابتْ بها النّوى ... عن العين من حِبّ عن العين ذاهب
ففاضتْ دموع العين حتى تناثرت ... تناثرَ نظمِ اللؤلؤ المتراكبِ
فقلتُ لصَحْبٍ أكثرو العيب فى البكا ... وليس بكاء الوجد بعض المعائب

دعونى وتسكابى الدُّموعَ فربما ... يُقلُّ الأسى فيضُ الدموع السَّواكب
فإن كنتمُ صَحبى فموتوا معى أسىً ... ولا تتركونى هالكا دون صاحبى
كما فرَّ محمودٌ ليسلمَ وحدَهُ ... وأسلم من إخوانه والأقارب
هُمُ جلَبوا الحربَ العَوانَ فلم نَزلْ ... نُبيدُ ونقصى منهمُ كلَّ جانبِ
شفى التائبونَ الغيظَ من نهب مالِهِمْ ... ولوْ علموا لم يَنهبوا مال تائب
وزرناهُمُ منْ آلِ أعوجَ فائقٍ ... بأسْدٍ وأسْدٍ من حبيبٍ وطالب
وإخواننا الشمّ الألى إن تقحموا ... لقاءً تجلّى بأسُهُمْ غيرُ كاذب
غداةَ أرادَ الشيخُ ما لا يُطيقهُ ... فلاقى الذى لاقى يسارَ الكواكب
وجُدّلَ حتى جاذبتْهُ عصائبٌ ... من الطيرِ غرْنى تهتدى بعصائب
لدى مشهدٍ دارتْ رحاهُ فجرّعتْ ... صَناديدَهُمْ حَتْفاً مَريرَ المشارب
وولّوْا سِراعاً مُدْبِرينَ كأنهُمْ ... بُغاثٌ تهادى من صُقورٍ دوارب
وقَهْراً طردْناهمْ وخُضنا حماهُمُ ... وهجنا هُمومَ المُقولاتِ النَّوادب
فطَوْراً يُلطّمْنَ الخدُودَ وتارةً ... يُلطّمْنَ بالأيدى أعالى التَّرائب
لعمرَكَ ما قَوْمى بمُزْلٍ أذِلّةٍ ... إذا يَمّموا أرْضَ العَدُوّ المُحارب
بأرْعَنَ مَجْرٍ يذْعرُ الوَحْشَ بالندىٰ ... وزَجْرِ المهارى والجيادِ الشوازب
فكم هَيّئوا من كلّ جَرْداءَ وَرْدةٍ ... ومُنْجَرِدٍ عَبل الشَّوىٰ غير لاغب
وأزْهَرَ مصقولِ الحديدةِ مُتْئمٍ ... سَخِيٍّ نقيّ اللوْنِ وارِ المثاقبِ
أجادتْهُ أرْبابُ الجريدةِ مِيسما ... ونقْشاً كفىٰ من رائقاتِ الغرائبِ
وحَلّوْهُ نَفلاً من لُجينٍ وَدَوّرُوا ... مِنَ الدُّرِّ فى أوْساطِهِ والجوانبِ
ومَهمَى مَرَتْ خلْفَيْهِ أيدٍ تطايرتْ ... مِنَ الجَوْفِ شَتّى أمّهاتُ الذوائب
وجَلْجلَ رَعْدٌ يَنْهمى عِندَ هَزْمِهِ ... نَجيعُ العِدى لاماءُ غُرِّ السحائب
بنو الحربِ لا تُعطى القوىّ مَقادةً ... ولا تَشتكى فيها نُزُولَ المصائبِ
ولكننا نحمى الحِمى ونحُوطُهُ ... ونزدادُ صَبْرًا تحتَ كل النَّوائب

ومنْ شاء فلينظرْ عَواقبَ مَعشرٍ جَنىٰ حَرْبنا يَزْجُرْهُ شُؤمُ العواقب

ومما ينسب إليه :

أضَنْوكَ بالبينِ حتى قِيلَ مَنْ راقِ والتَفَّتِ السَّاقُ يَوْمَ البَيْنِ بالسَّاقِ
يا أُختَ يوسُفَ إنى بعدَ بينِكمُ أشْبَهْتُ يَعقُوبَ فى حُزْنٍ وأشواقِ
لوْلا القميصُ الذى جاء البشيرُ بهِ حتى أُنجلى بَثُّ يعقوبَ بن إسحاقِ

وله أيضاً :

شَدُّوا المَهارىٰ بأكوارٍ وأخداجِ وأدْلجوا تحتَ ليلٍ أليلٍ داجِ
وأصْبَحَتْ دارهم قَفْرًا مُعَطلةً مبكى دواعى هديل شجوُها شاج
تلوحُ آثارُ مَن بانوا بمَعْهدِها مثلَ البرُودِ وشَتْهَا كفُّ نسَّاج
فما عَلمتُ ولم أشعَرْ ببينهمُ إلا بجونٍ مِنَ الغِرْبان شَحّاج
فظلَّ يَشْحَجُ فاهتاجَ الفؤادُ لهُ لله ماهاج شَحّاجٌ لمُهتاج
تبًّا لعِيسٍ نأتْ عنى بنـاعِمَةٍ غَيْداء رَيَّانةِ الخِلْخالين مِغْناج
تَسبى فؤادَ الحليم المرعوى بدُجىٰ ليلٍ ووجهٍ كضوءِ الصُّبْحِ وهّاج

ومات ـ رحمه الله ـ فى صدر القرن الثالث عشر ، فى وقعة تندوج ، كما تقدم .

﴿ محمدُ بن حنبل ﴾ : بن الفال البوحسنى . أصله من تا كنيت ، كفخذه أهل محلفك ، هكذا ينطق الناس بهم ، ولعل الأصل ، محم بن فك . وهو من أقارب الأحول ، المتقدم قبله .

كان محمد هذا ، من العلماء الأعلام ، واشتهر فى اللغة فى ذلك القطر ، حتى قيل بتقدمه على معاصريه فيها . وكان نحوياً ، وله اليد الطولى فى البيان . وكان حريصاً على طلب العلم ، يقال إنه مكث سبع سنين منقطعاً لطلب اللغة ، وأنه فى تلك السنين ، لم يذهب إلى زيارة أهله مع قربهم منه . وقد انتقد عليه بعض

الناس قوله فى قصيدة ، يمدح بها سيدِ بن محمد لحبيب ، شيخ القرارزة فى صفة الخيل :

فتبيتُ نافشـــة هنـــاك جياده خضر الجحافل من غمير خلاها

فإن النفش خاص بالغنم ، كما نقل عن ابن دريد ، وأدخل القاموس الإبل مع الغنم . وعن بعضهم : أنه قد يطلق على جميع الدواب ، فلا اعتراض إذاً ، وانتقد عليه بعضهم أيضاً قوله :

إن صـــــبا مقيما مستهاما ثم فى أوفدى سقيت الغماما
قد من اقتـاد حسن قدك قدما قدر ما إن تكاميه كلاما
لوم فى حبهـا الملا ِم اللواغى ولو استشعر الغـرام الملاما[1]

فإن البيت الثانى ، اجتمعت فيه خمس قافات ، وهذا مستكره على السمع ، وقد عاب الأصمعى مثله على إسحاق بن إبراهيم الموصلى فى معاتبته للمأمون :

ياسرحة المـاء قد سدّت مواردهِ أما إليك طريقٌ غـيرُ مسدود
لحائمٍ حام حتى لا حـوام بهِ محلإٍ عنْ سبيلِ المـاء مطرود

فقال الأصمعى : أحسنت فى الشعر ، غير أن هذه الحا آت لو أجتمعت فى آية الكرسى لعابتها . وكذلك عيب عليه قوله : م اللواغى . فإن أصله من اللواغى . ونون من ، إنما حذفتها العرب قبل أل المظهرة ، ولم تحذفها قبل المدغمة ، كقول الشاعر :

كأنهما م الآن لم يتغـــيرا وقد مرّ للدارين من بعدنا عصر

وانتقدوا عليه أيضاً من تلك القصيدة . قوله يعنى سيدِ بن محمد لحبيب :

ملك تدين له الملوك مطيعة وبعـــزّ خدمته تحوطُ حماها

لأن الممدوح ليس بملك ، ولا قريب منه ، ولأنه يعطى الفقر لِتُكْنَ

(١) أى : مالام . وهذا النوع يسمى بالاكتفاء .

وقائدهم ، من صغار قياد السلطان . ومما فضل له عمر بن الخطاب زهير . أنه كان لا يمدح أحداً بغير مافيه . وقال المعرى :

فلا تمدحانى بين الثنـــاء فأحسن من ذاك أن تهجوانى

وأراد أن يفاضل بين بطنين من أولاد أبيير ، اسم أحدهما : أهل أحيـدِ (بكسر الدال) و إسم الثانى : أهل بابُ (بضم الموحدة) فقال :

حين دون الجميـل أغلق بابُ فتح البـابَ دونه آل بابُ
ليس تخفى عـلامة الرّفع فيهمْ حين خفضٌ لغـيرهم إعرابُ

فأجابهُ شاعر من المعرض بهم . فقال من أبيات لم تحضرنى :

ما على معربٍ بخفض عتـابُ وبسم الباقى يساقُ الصـوابُ

المعنى : أن أسماء الله تعالى ، وقعت مجرورة فى القرآن ، نحو بسم الله الرحمن الرحيم . فقال ابن حنبل :

الـكتابُ العزيز نعمَ الـكتابُ من به أحتجّ ما عليه عتـابُ
واعتراضٌ به أحجُّ اعـتراضٍ فبماذا يكون عنـهُ الجـوابُ
لـكن أنسدّ باب صوبِ مرادى عنكَ فانسدّ عنك منهُ الصّوابُ
إنّ نحوَ النحاةِ لو كان نحوى لأتى حجـة عليّ الـكتابُ
إن نحوى فى سورة وهبت لى ففنى الفقـــر عَنىَ الوهّابُ (١)
وأحاديثُ ثيبـــاتِ المعـالى كان فيها عن مقصدى إعرابُ
وفنون البديع يفتحُ منهـا للورّى البليغ إن شاء بابُ

---

(١) يقول : إن مراده الرفع المعنوى والخفض المعنوى . وليس مراده الرفع النحوى أو الخفض النحوى . والسورة التى أشار إليها هى الواقعة ، فإن الله تعالى يقول فيها : (خافضة رافعة) فالخفض هناك مذموم لمن وقع عليه ، بخلاف الرفع . ومعنى ففنى الفقر عنى الوهاب : أنه لا يفتقر إلى جواب بعد ذلك . وفيه أيضاً إشارة إلى ماورد من خاصية هذه السورة ، بأنها تنفى الفقر .

وكان مولعاً بالعلم منكباً على طلبه فى أوّل أمره ، فلما حصل عليه ، اشتغل بتعليمه للناس ، وكان يحضهم فى أشعاره عليه . ومن جيد شعره ، قصيدته التى مدح بها الشيخ سيدى ثم حض على العلم فيها ، وقد عاب عليه بعض الناس فيها كثرة السناد وهى :

أَضْرَمَ الهمّ سُحَيْرًا فالتهبْ ... لَمْعُ بَرْقٍ بِرُبَيَّاتِ الذَّهَبْ

فى شماريخ ثِقَالٍ دُلَّحٍ ... كتهادى العِيسِ فى الوعْثِ النُّكُبْ (١)

أَسَدِيَّاتٌ عليها أَلْوَةٌ ... أن تَجُودَ الأَرْضَ سَبْتاً وتُرِبْ (٢)

جدْنَ ذا الرَّسْلِ بسَيْلٍ مُفْعَمٍ ... والمَراجيعَ بسحساحٍ لَجِبْ (٣)

وعلى ذى التَّيْلميتِ اسْتَوْسَقَتْ ... لمَزارِ الشيْخِ تَهْدِى بالهِضَبْ (٤)

وأنهَى بالعِينِ منها أَيْمُنٌ ... وبذِى الغاب مياسيرُ سُكُبْ

فحَدَتْها الريحُ هَوْناً تَقْتَرِى ... كلَّ وادٍ وَرِهاءٍ وصَبَبْ (٥)

يُرْزِمُ الرَّعْدَ خطيباً بينهما ... كهَرِيمِ القَرْمِ فى الشَّوْلِ الخِلَبْ

فرنا العقلُ إليها مثلَ ما ... نظرَ الصَّبُّ إلى الخَوْدِ الوصِبْ (٦)

فأَجَنَّتْ حسداً أهضامها ... لرباها والجماهيرُ اللِّبَبْ (٧)

---

(١) الشماريخ : رؤوس السحاب . ودلّح : جمع دالح أى : مثقل . والتهادى : التمايل فى المشى . والعيس : جمع أعيس ، وعيساء . وهى الإبل البيض . والوعث : المكان الدهس . والنكب : جمع أنكب ، ونكباء ، وهو الذى به ظلع فى منكبه .

(٢) أسديات : سحائب طالعات من برج الأسد . وألوة : حلفة . وتربْ : تقيم .

(٣) الرسل فى الأصل : اللبن . وهو هنا موضع . واسمه بالعامية : أبير اللبن .

(٤) ذو التيلميت : بئر اسمها بالعامية : بتيلميت ، وهى وما قبلها من آمشتل . واستوسقت : حملت أوساقها .

(٥) هونا : أى سكونا . وتقترى : تتبع والرهاء : جمع رهو ، وهو المكان المرتفع . والصبب : تحدر فى نهر ، أو طريق يكون فى حدور .

(٦) العقل . آبار قصار إسمها بالعامية : لعكل (بكاف معقودة) وقياسه العقل بضم وفتح ، لأن مفرده على فعلة .

(٧) أجنت : أضمرت . والأهضام : جمع هضم بالفتح ويكسر ، وهو المطمئن من الأرض . والجماهير . جمع جمهور ، وهى الرملة المشرفة على ماحولها . واللبب : المسترق من الرمل .

ثمّ وافتها رواء همعاً ... لذرور القرن لو لم يحتجب[1]
بسجال من منيفات الذرا ... وطفِ الاكتافِ جمّاتِ السرب[2]
فكأنّ المزنَ تبكى مُلْحَداً ... فى رُبا العقلِ بدمعٍ منسكبْ
تذرُ السرحَ صريعاً للقفا ... خاشعَ الأرواقِ مرفوعَ الطنبْ
وتهدُّ التلَّ من أعرافِهِ ... بأخاديدَ تُملّيكَ رُعُبْ
يالها من غادياتٍ قد كفتْ ... ماتحَ العُقلِ لها شدَّ الكربْ
فتحلّتْ بلجينٍ حولَهُ ... من نضيرِ النبتِ أبرادٌ قشبْ
فأقامَ الذئبُ فى الروضِ الغنا ... وأقام البتر فى الماء الصخبْ[3]
وشنوف الطلحِ قد نيطتْ به ... كشنوفِ الغيدِ خُضراً تضطربْ
والحمامُ الورقُ تشدو بالضحى ... فتذوبُ النفسُ شوقاً وطربْ
ربَّ بيضاء خلوبٍ لحظها ... مالها فى العُجمِ شبهٌ والعربْ
تحتَ ليلِ الفرعِ منها قمرٌ ... فوق غصنٍ فوقَ حِقفٍ مُنكثبْ
يُقبلُ الشوقُ إذا ما أقبلتْ ... ويُدبرُ الصبرُ إذا ما تنقلبْ
بابلىُّ السحرِ فى أجفانِها ... بابلىُّ الرّاحِ منها فى الشنبْ
زُرتُ والظلماءُ مُرخىً سَدلُها ... غَيبةَ الواشى وفقدَ المرتقبْ
ربَّ تيهاءَ نزوحٍ ماؤها ... يَنأمُ البومُ بها كالمنتحبْ[4]
وتضلُّ الكُدرُ فى أرجائها ... بالحسا الصُّفرِ عن أفراخِ زُغبْ

---

(١) الهمع : السائلة . ولذرور القرن : أى وقت طلوع قرن الشمس . ومعنى لو لم يحتجب : لو لم تحجبه السحاب .

(٢) السجال : جمع سجل ، وهو الدلو . ومن منفيات الذرى : أى من سحائب كثاف . ووطف : جمع وطفاء ، وهى السحابة المسترخية لكثرة مائها .

(٣) الذب بالإدغام : جمع ذباب ، على لغة تميم . والبتر : جمع أبتر ، وهو قريب من الوزغ ، كثير الأصوات ، بعد المطر وتسميه العامة : آشوار . والصخب : الصياح .

(٤) البوم : معروف ، وهو من زعمات العرب ، وهذا مأخوذ من قول ابن دريد :

* إلا نئيم البوم أو صوت الصدى *

جُبْتُ والليلُ مُغطٍ قُورَها بفُتِيّ ومَراسِيلَ نُجُبْ
وقَريضٍ بتُّ أبنى فَغَدَا مِثلَ نظمِ الغيد تقصارَ الذهَبْ
آخذاً من لحنِ أفحاحِ اللُّغى مُضَغَ القيصُومِ والشيح النُّخَبْ(١)
مَنْ لآلى حاضِريهِمْ أصطفى ومن الاعرابِ رُشافَ العُلَبْ(٢)
ما تعاطى اللُّسْنُ فى أنديتهمْ وتعاطوْهُ بأفـواهِ القُلُبْ(٣)
وأداروهُ عُصوراً بينهمْ لابتناء الفخرِ أيامَ الغَلَبْ
إنّ خيرَ الزّادِ يا صاحِ التُّقَىٰ فبهِ المجدُ التمسْ لا بالنسَبْ
فى التقىٰ عِزٌّ وكثرٌ وغنىً دون سُلطانٍ وجُندٍ ونَشَبْ
هُوَ دونَ العلمِ عَنقا مُغْرِبٍ فاطّلبْهُ فلنعم المُطّلَبْ
جَرّع النفسَ على تحصيلهِ مَضَضَ المُرّينِ ذُلّ وسغَبْ
وَدَعِ المالَ إلى تطلابهِ تكتسبهُ فلنعمَ المكتَسَبْ
هو حَلْىُ المرءِ فى أقرانهِ وهو عند الموتِ زَحْزاحُ الكُرَبْ
وهو نورُ المرءِ فى اللحدِ وإذ ينسِلُ الأقوام منْ كلّ حدَبْ
يا غريباً يطلُبُ العلمَ أصْطبِرْ إنّ مَبْدا العلم من قبل غرُبْ
ما سعى فى الرّبحِ ساعٍ سَعيكم بَلْ سِواكم سعْيُهُ جِدُّ نَصَبْ
إنْ تقُولوا مَنعَتْنا دَرْسَهُ أزُمُ الدّهرِ والأعْوامُ الشهُبْ
قلتُ هلْ يحتالُ فى دفعِ العصىٰ مَنْ أظلّتْهُ الحسامَاتُ القضُبْ
فكأنى بذوى العلمِ غداً فى نعيمٍ وحُبورٍ وطرَبْ
يَحمدُنَ اللهَ أنْ عنهمْ جَلا كلّ حُزْنٍ وعناء وتَعبْ

---

(١) اللحن : الكلام الفصيح وهو من الأضداد . والقيصوم : شجر معروف . وكذلك الشيح ، ولا يكونان إلا فى بادية العرب .

(٢) العلب : جمع علبة ، وهى حوض من جلود .

(٣) اللسن : جمع ألسن ، وهو الفصيح . وأنداؤهم : مواضع اجتماعاتهم . والقلب : جمع قليب .

بادروا العلمَ بدارًا قبلَ أنْ ... يبغت الحين بهول وشغبْ
صاح لا تُلْفَ بجهلٍ راضيًا ... فذوو الجهلِ كأمثالِ الخُشُبْ
وأصحبِ الدائبَ فى استنباطِه ... لا جهولٍ خِدنَ لهوٍ ولعبْ
إنما القُنْيَةُ علمٌ نافعٌ ... لا العتاق الجُرْدُ والخُورُ الصُّهُبْ
لا يُزَهِّدْكَ أخى فى العلمِ أنْ ... غمرَ الجهّالُ أربابَ الأدبْ
زَبَدُ البحرِ تراهُ رابيًا ... واللآلى الغُرّ فى القعرِ رُسُبْ
لا تَسُؤْ بالعلمِ ظنًّا يافتىَ ... إنّ سُوءَ الظنّ بالعلمِ عَطبْ
إنْ ترِ العالمَ نضواً مُرْمِلا ... صِفْرَ كفٍّ لم يُساعِدْهُ سببْ
وترى الجاهلَ قد حازَ الغِنىٰ ... مُحْرِزَ المأمولِ من كلّ أربْ
قد تجوعُ الأسدُ فى آجامِها ... والذِّئابُ الغُبْسُ تعتامُ القتَبْ
رأتِ الدُّنيا خبيثًا مثلها ... لم تمالِكْ أن أتتهُ تَنْسِلبْ
فَحَبَتْهُ الحبَّ منها خالصًا ... وكذاك الشكلُ للشكلِ يُحِبْ
ورأتْ ذا العلمِ فوّاحَ الشذا ... آبىَ الذامِ فآلتْ تصطحبْ
فقلتْهُ وقلاها يالهُ ... قمرٌ عنهُ قد أجابَ الحُجُبْ
فَغِنىٰ ذى الجهلِ فاعلم فتنةٌ ... وافتقارُ الحَبْرِ تأسيسُ الرُّتبْ
فخذِ النصحَ ولا تعبأ بمنْ ... بدلَ النصحِ فطاوعهُ تصبْ
أضيعُ الأشياءِ حُكمٌ بالغٌ ... بينَ صُمٍّ ونداءٍ لم يُجَبْ
ولوْ أرسلتُ عِنانى فى مدًى ... مابدالى مِنْ أساليبِ العربْ
ومن الحثِّ لأربابِ النهى ... لقريتُ الأذنَ منها بالعَجَبْ
لكنّ الشعرَ انقضتْ أيّامُهُ ... لا ترى اليومَ إليهِ مُنتدِبْ
غيرَ راوٍ خافِضٍ مرفوعَهُ ... ناصبٍ مخفوضَهُ أوْ ماانتصَبْ
ونزوحُ الفهمِ عنْ ميزانِهِ ... ليسَ يدْرى كاملاً من مُقتضَبْ

وليعلم المطالع لها، إذا رأى عدم مناسبة فى ترتيبها، أنى لم أكتبها على أصول، بل أمليتها من حفظى. وقد طال عهدى بتعهدها، فربما وقع فيها تقديم وتأخير لذلك. وقال أيضاً فى ذلك المعنى:

عِمْ صَباحاً أفلحتْ كلّ فلاح ... فِيكَ يالوْحُ لم أطعْ ألفَ لاحِ
أنتَ يالوْحُ صاحبى وأنيسى ... وشفائى من غلّتى ولُواحى[1]
فانتصاحُ امرىء يَرُومُ اعتياضى ... طلبَ الوافر منك شرٌّ انتصاح
بكَ لا بالثرا كلِفْتُ قديماً ... وَمُحَيّاكَ لاَ وُجوهِ المِلاح
رُبَّ خودٍ ماء النّعيمِ عليها ... جَرَيانَ الزُّلالِ فى الصُّفاح
تَستبى المُرْعوى بثَغْرِ الأقاحى ... وَجَبينٍ مثل انبلاج الصباح
وعلى ثغرِها بُعَيْدَ كراها ... قهوةُ الرّاحِ بالمَعينِ القَراح
فى عُقُودِ الجمانِ والدُّرّ منها ... جيدُ جَيْداء من ظِباءِ رُماح[2]
خدلةٌ غَصَّ قلبُها وَبُراها ... غَصَصَ المِرْطِ فهى غرثى الوشاح
لا تبالى هبَّ الرياحِ إذا ما ... أشفق الرُّشْحُ منْ هبوبِ الرياح
أقصد القلب من صميم هواها ... فعل نيل صوائبٍ ورماح
قد تسلّيتُ عن رسيس هواها ... بك حتى كأننى جدُّ صاح
بل يميناً بواردات البطاح ... يتبارَيْن ضمراً كالقداح
بعد ليل سَرَيْنَهُ بعد يوْمٍ ... تصل الهجر بانسلاب الرواح
أفتأ الدّهرَ هاجراً للغوانى ... وَوَصُولا للكتب والألواح

وله منظومة جيدة، يحط فيها على أهل الجهل، ومنها:

حلْىُ الفتى إعرابه لا ماله ... ولا نجارُه ولا جماله

---

(١) اللواح: العطش.

(٢) رماح: بضم الراء: على زنة فعال، موضع بالدهناء، والأكثر إعجام خائه، وقد تهمل. وعليه روى بيت ذى الرمه:

وفى الأظعان مثل مها رماح ... عليه الشمس فادرع الظلالا

كلُّ فتًى شبَّ بلا إعرابِ فهوَّ عندى مثل الغراب
وإن رأيته لخـــــودٍ عاشقا فقل لها اتقى الغراب الناعقا
لا أنتفعت بالأكل والشراب من آثرتْ مالا على إعراب

وقال أيضاً : يمدح الشيخ سيدىّ ، ويعارض مقصورة أبى صفوان الأسدى :

أشاقتكَ بعد تولى الصّبـــا حمولٌ بكرْنَ بأدمِ الظّبا
بدُعْجِ اللواحظِ بيض الوجوهِ ثقالِ المُرُوطِ ثقال البرَى
فأوْقدَ فى القلب نارَ الغرامِ أنْ آذنَ بالبينِ داعٍ دعا
فبتُّ كظيماً وباتَ الحِسانُ مستبشراتٍ بقرب النَّوىٰ
فلما طوى الصّبحُ ثوْبَ الظلام مَسَحْن الكرَى عنْ بدُور الدُّجى
وقُرِّبَ بُزْلٌ منْ آل الجديلِ شُمِّ الكواهِلِ شُمِّ الذُّرا(١)
فشُدّ الحدوجُ ومُدّ الخدور عليها وتحت الخدور المَهىٰ
وحَثَّ الحداةُ بها أسْطُراً ثمانيةً من نخيـــل روى
فأمْسَتْ منـــازلُهمْ بَلْقَعاً يُرَجّعُ فيها الحمامُ الغِنا
فأعملتُ فى إثرِهمْ حَسْرَةً أنيلَتْ مجالاً كصُمِّ الصّفا(٢)
عوجَ الصّباح وسوج الرواح نعُوب الهجيرِ خَبوبَ السُّرى(٣)
كأنى وَرَحْلى على قارحٍ من الحُقْبِ جأبٍ خميص الحشى(٤)

---

(١) آل : بمعنى أهل ، واستعماله فى غير العقلاء قليل ، وسمع فى شعر النابغة ، قال :
قعوداً لدى آل الوجيه ولاحق يقيمون حولياتها بالمقارع
وحيث سمع نظيره ، فلا يسوغ إنكاره عليه .
(٢) الجسرة الطويلة الضخمة . والمحال : فقار الظهر ، واحدها : محالة .
(٣) عسوج : فعول من عسجت الناقة ، إذا مدت عنقها فى المشى ، ووسوج : فعول من وسجت الناقة أيضاً ، إذا أسرعت . ونعوب : من نعبت الناقة أيضاً ، إذا حركت رأسها حين تسرع ، وخبوب : فعول من خبت ، أى أسرعت .
(٤) الحقب : جمع أحقب وهو الذى فى حقبه بياض .

أقامَ بمَرْبَعِهِ قائمـــاً على أربعٍ كقِسِيِّ السرى
فلما حدا النجمَ هادى الصباح وآنفهُنّ نصـــــالُ السوى
حـدا بنحائصـه قارباً أشـدُّ الحـداء ذُنابى الشبا
فباتتْ تَبارَى فلمـا انجـلى تبـيّنَ ماء خِـلالَ الأشا(١)
وعنـدَ شمـائلها نابلٌ خَوِيٌّ حَرامٌ عليـه الـكرى
أبو دَرْدَقٍ سـبعةٍ مالَها من الـكسب إلا بناتُ الملا(٢)
فجِئنَ السّرِيَّ على هيـلةٍ فلمـا سَلـكْنَ شطورَ الشوى(٣)
طوى شخصهِ فرى رميـةً شنتها عنِ الحُقُبِ أيدى المنـا
فنادى الثُبـورَ وأعـلا العويل وخالَ السماحيجَ بَرْقاً خَفا(٤)
ألم يعـلمْ أنّ الفتى مَن إذا دها الخطبُ ولاّهُ ركنَ العزا
وهلْ لا أراحَ يداً أفنيتْ بحفرِ القراميص بين الصُّوى(٥)
يؤمُّ الـكمال ويعشى الظلالَ ويلقى النّوالَ ويلقى النـدى
هو البحرُ منهُ جرى الرافدان ومنه شفى الخافقـانِ الصّدى(٦)
فردهُ مضـافا تجـدْ مَأمنـاً وزره مجـوداً تجـدْ مُرْتوى
وَزُرْه جَهـولاً تَنلْ حِـكمةً وزُرْهُ عديمـاً تنلْ مُقْتنى

---

(١) الإشاء : صغار النخل .
(٢) الدردق : الصبيان الصغار . وبنات الملا : الوحش .
(٣) السرى : النهر ، وقيل الجدول وقيل : النهر الصغير . كالجدول يجرى إلى النخل . والهيلة : الفزع .
(٤) الثبور : الهلاك والخسران ، والسماحيج : جمع سمحاج ، وهى الأتان الطويلة .
(٥) القراميص : جمع قرماص ، وهى فى الأصل حفرة يستدفىء فيها الإنسان ، الصرد . ومراده : حفر الآبار بين الصوى ، ولم أر من عبر بالقراميص عن الآبار غيره . والصوى : جمع صوة ، وهى حجز يكون علامة للطريق .
(٦) الرافدان : دجلة ، والفرات . والصدى : العش .

فما مُدْلِجٌ مِن هوامي السماكِ عَريضُ الكلا كلِ جُونِ الرحى (١)
مُسِفٌّ على الأرضِ إهدالُهُ وهاديهِ فيه إذا ماهدى (٢)
كأنّ عقائقَهُ مَوْهِناً نيارٌ تُشبُّ بجَزْلِ الغَضا
كأنّ حنينَ العشارِ أرتجا زَ حاديهِ فيهِ إذا ماحَدا
أطاعَ الجنوبَ فلما أمترتْ غزارُ الخلوفِ أطاعَ الصَّبا
وخَيَّمَ سَبعاً يشُقُّ الجيوبَ فضاق عن الماء رَحْبُ الفضا
فهَزَّتْ لهُ الأرْض أعطافَها وأشرقَ خاشِعُها وأزدها
كأنّ الصَّوارمَ مصقُولةً وجُوهُ جَداولهِ والنُّهى (٣)
كأنّ الزرابيّ مَبثوثةً وجوهُ أباطِحها والرُّبا
بأجود منه ولا زاخراً يَغِطُّ غطيطاً إذا ماطما
يكلُّ عنْ أدناهُ مرْأى العُيون وقد نيط أقصاهُ أفق السما
كأنّ غوارِبهُ أجْبُلٌ غرابيبُ يُضْرَمُ فيها الإبا (٤)
كأنّ بعيريْهِ سُرّ الهِجان أنيختْ بأمْعز جَونِ الحصى (٥)

---

(١) المدلج : المطر الذى يجىء ليلا . والسماك : منزلة من منازل الماء . والكلا كل : جمع كلكل ، وهو الصدر . وجون : أسود . والرحى : مستدار السحاب . وإذا كان أسود كان ذلك أمارة على كثرة مائه .

(٢) مسف : اسم فاعل أسف ، أى دنى من الأرض ، وهذا المعنى مأخوذ من قول أوس ابن حجر ، وقيل عبيد بن الأبرص :

دان مسف فويق الأرض هيدبه يكاد يدفعه من قام بالراح

وفى اللسان : والسحاب ، إذا تدلى هيدبه ، فهو أهدل ، لكن هذا يقضى أنه ثلاثى ، وعليه فلا يصح كسر الهمزة على أنه مصدر ، ولا فتحها على أنه جمع أهدل ، لأن قياسه حينئذ : هُدْلٌ .

(٣) النهى : جمع نهى ، وهو الغدير .

(٤) غرابيب : سود . ويضرم : يوقد . والأبا : شجر سريع الوقود .

(٥) عبرا الوادى : ناحيتاه . وسر جمع أسر ، وهو الذى يشتكى سرته . والهجان : الإبل البيض ، والأمعز : المكان الذى به حجارة . وجون : أسود . وهذا البيت مأخوذ =

كأنّ القراقيرَ فى جَوْزِهِ ... وقُمْسَ العَدْولى شدوقُ القَطا(١)
بأوْسعَ مما حَوى صَدْرُهُ ... وأقْصعَ منهُ غليلَ الظّما(٢)
ولا أخْدَرِىٌّ عُراضُ اللديدِ ... أغْلَبُ جَهْمٌ من أُسْدِ الشّرَى(٣)
يُرَبّبُ أجْرِيهِ فى غَيْضَةٍ ... مُداخَلَةٍ مِثلَ نَسْجِ الرِّدا(٤)
يَظَلُّ بها بينَ أشْبالِهِ ... عَذُوفاً يُساقِطُ عنهُ العِفا(٥)
وإن أظلمَ الليلُ أذكى لهُ ... سِراجَينِ مابهما مِنْ قذى
فقامَ كأنّ لأرْساغِهِ ... معامعَ غابٍ إذا ماألتظي(٦)
وَرَجّعَ زَأْرًا بهِ زُلزَلَتْ ... منَ الأرْضِ أقْطارُها وأنْصَمَى
فخافَ الأنيسُ وخافَ الوُحُو ... شُ والهامُ فى دَوِّهِ والصّدى(٧)
فصادَ شُجاعاً على طِرْفِهِ ... وَهَيْقاً وثَوْراً وصادَ الفَرى(٨)
فباتَ يُحَضْخِضُ أقْصابَها ... لِغُثْرٍ تَثاءبُ عَنْ كالمُدَى(٩)

= من قول معدى كرب بن الحارث بن عمرو بن حجر ، يرثى أخاه شرحبيل :

إنّ جنبى عن الفراش لنابى ... كتجافى الأسَرِّ فوق الظراب

(١) القراقير : ضرب من السفن ، واحدها قرقور . والجوز : الوسط . وقمس : جمع قمساء . والعدولى : سفن منسوبة إلى عدولى ، وهى قرية بالبحرين تنسب إليها السفن .

(٢) قوله : بأوسع منه ، خبر ولا زاخر . وأقصع : أفعل تفضيل ، من قصع الماء عطشه قصعاً ، إذا سكنه ، والغليل : شدة العطش ، والظمأ بمعنى الغليل . وأضافه إليه مع اتحاد المعنى على مذهب الكوفيين .

(٣) الأخدرى : الأسد القيم فى خدره ، أى أجمته . وعراض : بمعنى عريض . واللديد : ظاهر الرقبة أيضاً . وجهم : غليظ الوجه كريهه . والشرى : أرض كثيرة الأسود .

(٤) يربب : يربى . وأجريه أولاده ، أحدها جرو . والغيضة : الأجمة .

(٥) أشباله : أولاده . وعذوف : مقيم من غير أكل . والعفا بالكسر : ماعليه من الشعر .

(٦) المعامع : جمع معمعة ، وهى الصوت الذى يسمع فى مشيه .

(٧) الهام : جمع هامة ، وهى طائر صغير يألف المقابر . وقيل : هو الصدى : والدو : المفازة . والصدى : طائر يخرج من عظام الميت ، على ما تزعم العرب .

(٨) الطرف : الفرس : والهيق . الظليم . والفرى : الحمار الوحشى . وفى المثل : كل الصيد فى جوف الفرى ، يضرب لمن يفضل على أقرانه .

(٩) الضمير فى بات : للأسد . ويحضخض : يحرك . والأقصاب : جمع قصب ، وهى المعى . والغثر : جمع أغثر : وهو الذى بلونه غبرة إلى خضرة .

بأهْيَبَ منـــهُ على أنهُ لهُ خُلُقٌ كَسُلافٍ بما
ولا صـدَعٌ باتَ فى رَعْنـةٍ عَلَى مُشْمَخِرٍّ يُسـامِى السُّها[1]
بهِ يستَظِلُّ رُكامُ السَّحابِ إذا ألتَمَّ فى جَوِّهِ وأعْتَمى[2]
رَآهُ مِنَ الطَّيْرِ وَحْفُ الجنـاحِ طُرَاق الخوافى حَثيثُ النجا[3]
فحلق يرتاد قِرْناسَـهُ وجَـدَّ صُعُودًا فلمـا ونى[4]
نَحى جَوْزَهُ مُستغيثـــاً بهِ وليس هنـاكَ لهُ مُلْتَجا
فزَلَّتْ مَخالِيهُ داحِضـاً عَنْ أجْرَدَ كالوَكْفِ لا يُرْتَقى[5]
خرَّ عَلَى سَفْحِهِ مُقْعَصـاً قَدِ أنقضَّ حيزُومُهُ وأنفَأى[6]
بأمَنَ ممنْ قدْ آمَنتموا وأمْنَعَ ممنْ إليك أنضوى
فذاكَ ولا زِلتُموا مَعْقـلاً مِنَ اللَّزَباتِ لـكلّ الورى
وبورِك فيما قد أوتيتموا ونالَ المُنى مَنْ إليكَ أنتهى

---

(١) الصدع ، محركة ، من الأوعال والظباء : الفتى الشاب القوى ، وتسكن داله . والرعنة من الجبل : أنفه . ولم يتبادر لنا صحة لفظ الرعنة ، لأن رعن يجمع على رعلان ورعون . والمشمخر : الجبل الطويل . ويسامى : يطاول . والسها بالضم : مقصور ، كوكب خفى من بنات نعش .

(٢) الركام : السحاب المتراكم . والتم : انضم بعضه إلى بعض : واعتمى : انتشر فى الجو ، مأخوذ من اعتمى النبت : إذا طال .

(٣) الوحف : الأسود . وطراق الخوافى : أى ركب بعض ريشها بعضاً . والخوافى : ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفيت ، أو هى الأربع اللاتى بعد المناكب ، أو هى سبع ريشات بعد السبع المتقدمات . وحثيث : سريع . والنجا : العدو ، وهذا البيت مأخوذ من قول ذى الرمة :

طراق الخوافى واقع فوق ريعه ندى ليله فى ريشه يترقرق

(٤) حلق : ارتفع فى طيرانه ، والارتياد : معروف ، والقرناس : أنف الجبل ، والضمير فيه للجبل .

(٥) زلت : زلقت . ومخاليه : جمع مخلب ، وهى أظفاره . وداحضاً : اسم فاعل دحض ، إذا زلق . والأجرد : الجبل الطويل الأملس .

(٦) خر : سقط . وسفح الجبل : معروف والمقعص : الذى أصابته رمية فوقع ميتاً . وانقض : انكسر وتحطم . وانفأى : انكسر .

وهذه قصيدة أبى صفوان التى أشرنا إليها :

نأت دار ليـلى فَشَطّ المَزارُ فَعَيْنـاكَ ماتَطْعَمانِ الكَرى[1]
ومَرَّ بِفُرْقَتِهـا بارحٌ فَصَدَّقَ ذاكَ غُرابُ النَّوى[2]
فأضحتْ ببَغْدانَ فى مـنزِلٍ لهُ شُرُفاتٌ دُوَيْنَ السَّما[3]
وجيشٌ ورابطـةٌ حَوْلهُ غِلاظ الرِّقابِ كأُسْـدِ الشَّرى[4]
بأيديهِمُ مُحْـدَثاتُ الصِّقـالِ سُرَيْجيـةٌ يختـلينَ الطُّلى[5]
ومن دونهـا بلدٌ نازحٌ يُجيب به اليومَ رَجعُ الصـدى[6]
ومنْ منهـلٍ آجنٍ ماؤهُ سُدًى لا يُعـاذُ بهِ قدْ طما[7]
ومنْ حَنَش لا يُجيبُ الرُّقا ةَ أَسْمَرَ ذى لُمَّةٍ كالرِّشـا[8]
أَصَمَّ صَمُوتٍ طويلِ الشَّبا تِ مُنهرتِ الشِّدْقِ حارى القَرا[9]

---

(١) نأت : بعدت . وما تطعمان : ماتذوقان . والكرى : النوم .

(٢) البارح : ما والاك ميامنه . والسانح : ما والاك ميامنه . وقيل : السانح ما مر على يمينك ، والبارح : ما مر على يسارك . وأكثر العرب تتبرك بالسانح وتتشاءم بالبارح ، وفيهم قوم يتبركون بالبارح ، ويتشاءمون بالسانح . والنوى : البعد .

(٣) بغدان : هى بغداد . ويقال لها : مدينة السلام ، وفيها أربع لغات : بغداد ، وبغدان ، ومغدان ، وبغداذ . وهى أقلها وأردأها . وشرفات : جمع شرفة ، والشرفة معروفة .

(٤) الرابطة : القوم الذين ربطوا خيولهم . والشرى : موضع كثير الأسد كما تقدم .

(٥) سريجية : سيوف منسوبة إلى سريج ، وهو رجل تنسب إليه السيوف السريجية ، ويختلين : يقطعن . والطلى : جمع طلية ، وهى صفحة العنق .

(٦) نازح : بعيد . والبوم : طائر معروف ، وقيل : هو من الأشياء التى لا حقيقة لها ، والصدى : الصوت الذى يجيبك من الجبل .

(٧) الآجن : المتغير . وسدى : مهمل لايرده أنيس . ويعاذ ويلاذ واحد . يقال : عذت بالهى ولذت به . وطما : ارتفع .

(٨) الحنش : الحية . والرقاة : جمع راق . واللمة : شعره وضفره . والرشا : الحبل ، وهو ممدود ، وقصره ضرورة .

(٩) منهرت الشدق : واسع مشقه . وحارى : ناقص . والقرا : الظهر . وإذا كان الحنش كذلك ، كان أخبث له .

له فى اليبيس نُفَـاثٌ يطير ... على جانبيهِ كجمرِ الغَضى (١)
وعَينانِ حمـــــرٌ ماقِيهما ... تَبُصّانِ فى هامـةٍ كالرحا (٢)
إذا ما تثأبَ أبدى له ... مُذرّبةً عُصُلاً كالمُـدى (٣)
كأنّ حفيفَ الرحا جَرْسُـهُ ... إذا أصطكّ أثنـاؤهُ وأنطوى (٤)
ولوْ عَضّ حرفَىْ صَفاة إذاً ... لأنْشَبَ أنيـابَهُ فى الصّفا
كأنّ مزَاحِفهُ أنسُعٌ ... خُرِزْنَ فُرَادى ومنها ثُنى (٥)
وقد شاقنى نَوْحُ قُمْرِيةٍ ... طَروبِ العَشِىّ هَتُوفِ الضُحى (٦)
مِنَ الوُرْقِ نَوّاحةٍ باكرتْ ... عَسِيبَ أشاءٍ بذاتِ الغَضى (٧)
فغنّتْ عليهِ بلحنٍ لهسا ... يُهيّجُ للصبِّ ما قدْ مضىٰ
مُطوّقةٍ كُسِيتْ زينـةً ... بدعوةِ نوحٍ لهـا إذ دعا (٨)

---

(١) النفاث : جمع نفاثة . وهو ما نفثه من فيه . والغضى : شجر عظام ، وجمره أشد حرارة ، وأكثر بقاء من غيره .

(٢) المآقى : جمع مؤق ، وهو جانب العين الذى يلى الأنف . واللحاظ : جانب العين الذى يلى الصدغ ، وتبصان : تبرقان . والهامة : الرأس . والرحا : حجر عظيم .

(٣) تثأب : تفعل من الثوباء . وأبدى : أظهر . ومذربة : صفة لمحذوف ، أى أنياباً مذربة ، أى محددة . وعصل : معوجة . والمدى : جمع مدية ، وهى السكين .

(٤) الحفيف : الصوت . والجرس : الصوت أيضاً . واصطك : افتعل من الصك ، وهو الضرب . وأثناؤه : أعطافه .

(٥) مزاحفه : آثاره . وأنسع : جمع نسع . ولم يذكر القاموس هذا الجمع ، وهو فصيح بلاشك ، لأن أبا صفوان عربى ، إلا أنه غير مقيس ، لأن مفرده مكسور ، وهذا على حذف مضاف ، أى آثار أنسع . وقال أبو على القالى فى شرح هذا البيت : والأنسع : جمع نسع ، وهو حبل مضفور من أدم . وفرادى : أفراد . وثناء : ممدود اثنان اثنان ، وقصره للقافية ضرورة

(٦) شاقنى : شوقنى . والنوح : البكاء . وهتوف : كثيرة الصوت .

(٧) الورق : جمع أورق ، والورقة : لون الرماد . والعسيب : السعف . والإشاء : الصغار من النخل ، واحدتها أشاءة .

(٨) المطوقة : الحمامة ذات الطوق ، وطوقها : التعزيز الذى فى رقبتها مأخوذ من الطوق ، وهو حلى العنق ، وقوله : كسيت زينة بدعوة نوح لها ، يشير إلى ما تداولته الناس ، من أن نوحاً عليه السلام ، لما كان فى السفينة بعث الغراب ينظر له الأرض ، هل يجد فيها موضعاً قد يبس ، فلم يرجع إليه ، وبعث الحمامة ، فوجدت موضعاً قد جف ، فدعا لها ، فذلك سبب أطواق الحمام .

فلمْ أرَ باكيةً مِثلَها تُبكّى ودمعتُها لا تُرى
أضلّتْ فُرَيخاً فَطافتْ لهُ وقدْ عَلقتْهُ حِبالُ الردى
فلما بدى اليأسُ منهُ بكتْ عَليهِ وماذا يَرُدُ البكا
وقدْ صادهُ ضَرِمٌ مُلحمٌ خَفُوقُ الجناحِ حثيثُ النّجا(١)
حَديدُ المخالبِ عارى الوظيـــف ضارٍ منَ الوُرْقِ فيهِ قنا(٢)
تَرى الطيرَ والوحشَ من خوفه جَواحرَ مِنهُ إذا ما اعتدى(٣)
فباتَ عَذُوباً على مَرْقبٍ بشاهقةٍ صَعْبـــةِ المُرتقى(٤)
فلما أضاء لهُ صُبحُهُ ونكّبَ عن منكبيهِ الندى(٥)
وحَثّ بمخلبـــهِ قارتاً على خَطمـهِ منْ دماءِ القَطا(٦)
فصعّدَ فى الجـــوّ ثمّ استدا رَ وطارَ حثيثـــاً إذا ما أنصمى(٧)
فآنسَ سِرْبَ قَطاً قاربٍ جَنى منهل لم تمِحْـهُ الدِّلى(٨)
غـــدَوْنَ بأسْقيةٍ يرتوينَ لِزُغبٍ مُطرّحةٍ بالفـــلا(٩)

(١) الضرم : الجائع . والملحم : الذى يطعم أولاده اللحم ، ويقال للذى يرزق اللحم كثيراً : ملحم . والنجاء : الذهاب ، والسرعة ، وهو ممدود ، وقصره ضرورة .
(٢) المخالب : جمع مخلب ، وهى أظفار السباع . والوظيف : فى كل ذى أربع ، فى رجليه : فوق الرسغ ودون العرقوب . وفى يديه : فوق الرسغ ودون الركبة . وضار : من الضراوة . والقنا : احديداب فى المنقار .
(٣) الجواحر : جمع جاحرة ، وهى التى قد لجأت إلى جحرتها .
(٤) العذوب : القائم الساكت الذى لا يطعم . والمرقب : المكان المرتفع . وقوله : بشاهقة : أى برابية . والمرتقى : المصعد .
(٥) نكب : مَيَّلَ . والندى : الطل .
(٦) القارت : الدم اليابس . والخطم : منقار الطائر .
(٧) صعد : ارتفع فى طيرانه . وانصمى : اندرأ ، أى اندفع .
(٨) آنس : أبصر . والسرب : القطيع من الطير والظباء والنساء والبقر . والقارب : الطالب للماء . والجبا ، بفتح الجيم : مقصور ، ماحول الماء . والجبا بكسر الجيم : مقصور ، ماجمعت فى الحوض من الماء . ولم تغترف . والدلى : جمع دلو .
(٩) الأسقية : جمع سقاء . ويرتوين : يستقين . والزغب : جمع أزغب وزغباء ، وهى ذات الزغب . والزغب : الريش الضعيف أول مايبدو ، والفلا : جمع فلاة ، وهى المفازة.

يُبادِرْنَ وِرْداً ولم يَرْعوينَ على ما تَخَلَّفَ أوْ ما ونى(١)
تذكَّرْنَ ذا عَرْمَضٍ طامياً يَجولُ على حافتيهِ الغُثا(٢)
بهِ رفقةٌ منْ قَطِيَّ واردٍ وأخرى صوادر عنه روا
فملأنَ أسْقِيَةً لم تُشَدَّ بخَرْزٍ وقدْ شدَّ منها العُرا
فأقْعَصَ منهُنَّ كُدْرِيَّةً ومَزَّقَ حَيزُومَها والحَشى(٣)
فطارَ وغادرَ أشلاءها تطيرُ الجَنوبُ بها والصَّبا(٤)
يَخَلْنَ حَفيفَ جَناحَيْهِ إذ تَدَلَّى منَ الجوِّ برْقاً بَدا
فوَلَّيْنَ مُجْتَهِداتِ النَّجا جَوافِلَ في طامِساتِ الصُّوى(٥)
فأُبْنَ عطاشاً فسَقَيْنَهُنَّ مُجاجاتِهنَّ كماءِ السَّلى(٦)
وبِتْنَ يُراطِنَّ رُقْشَ الظهو رِ حُمْرَ الحواصِلِ حُمْرَ اللَّها(٧)
فذاكَ وقدْ أغتدِي في الصَّباح بأجْرَدَ كالسِّيدِ عَبْلِ الشوى(٨)

---

(١) يبادرن : من المبادرة . والورد : ورود الماء . ويرعوين : يعطفن ويرجعن . ووني : فتر .

(٢) العرمض : الخضرة التي تعلو الماء . والطامي : المرتفع . والغثاء : ماعلى الماء من كسار العيدان وحطام النبت ، وهو ممدود وقصره ضرورة .

(٣) أقعص : قتل . والإقعاص : أن تضرب الشيء أو ترميه فيموت . الكدرية : العظيمة من القطا ، نسبها إلى كدر ، وهي معظم القطا ، وهي كدر الألوان . والحيزوم : الصدر . والحشى : ما انطوت عليه الأضلع منها .

(٤) غادر : ترك . والأشلاء جمع شلو ، وهو بقية الجسد .

(٥) ولين : أدبرن . والنجا : السرعة . والجوافل : المنكشفة الذاهبة . والطامسات : الدارسات . والصوى : الأعلام المنصوبة في الطريق ليهتدى بها . واحدها صوة .

(٦) أبن : رجعن . والآئب : الراجع . والمجاجات : جمع مجاجة ، وهي مايمجه بأفواهها والسلى الجلد الرقيق الذي يخرج على الولد .

(٧) المراطنة : مالايفهم من الكلام ، والرقش : جمع أرقش ورقشاء : وهي المنقطة ، يعني أولادها . واللها : جمع لهاة .

(٨) اغتدى : أخرج بالغداة . وبأجرد : أي بفرس أجرد ، أي قصير الشعر . والسيد : الذئب . وعبل : غليظ . والشوى : الأطراف . واحدها شواة .

لهُ كفلٌ أيدٌ مُسرِفٌ وأعمِدَةٌ لاتشكّى الوجى (١)
وأُذنٌ مؤلّلةٌ حَشرةٌ وَشِدْقٌ رُحابٌ وجَوْفٌ هَوا (٢)
ولَحْيانِ مُدّا إلى مَنْخرٍ رَحيبٍ وعُوجٌ طوالُ الحُطا (٣)
له تسعة طلن من بعدِ أن قَصُرنَ له تسعة فى الشوى (٤)
وسبعٌ عَرِينَ وسبعٌ كسينَ وخمسٌ رِواءٌ وَخمسٌ ظِما (٥)
وسبعٌ قَرُبْنَ وسَبعٌ بَعُدْ نَ مِنهُ فما فيهِ عَيْبٌ يُرَى (٦)

---

(١) الكفل : معروف : وأيد : قوى . ومشرف : مرتفع ، ويستحب فى الفرس إشراف القطاة . والحارك والأعمدة ههنا : القوائم ، واحدها عمود . وتشكى : تشتكى . والوجى : أن يجد الفرس وجعاً فى باطن حافره ، من غير أن يكون فيه ، ومى ولا خرق .

(٢) مؤللة : محددة . وحشرة : لطيفة رقيقة . ورحاب : واسع . والهوا : الواسع - وأصله هواء ، فقصره للضرورة .

(٣) اللحيان : تثنية لحى ، وهما عظما اللهزمتين ، وإذا طالا ، طال خد الفرس . وطول الخد مدح فى الخيل . والمنخر : الأنف . ورحيب : متسع . والعرب تستحب سعة المنخر فى الفرس . لأنه إذا اتسع منخره ، لم يحبس الربو فى جوفه . والعوج : القوائم .

(٤) قوله : له تسعة طلن الخ . قال أبو على القالى : قال ابن الأعرابى : التسعة الطوال عنقه وخداه ووظيفا رجليه وبطنه وذراعاه وفخذاه . قال : ونظرت فإذا لا تصح تسعة ولاسبعة ، فيقع الظن ، أن الراوى أخطأ فى النقل ، وذلك أنه أراد كل شىء يستحب طوله فى القوائم ، فهى ثمانية : وظيفا الرجلين والذراعان والثنن — وهى الشعر الذى فى مؤخر الرسغ — واحدها ثنة . ويستحب طولها وسوادها ، فإن كان الشاعر ذهب إلى هذا وأراد معها العنق ، جاز وصح قوله ، لأنه قال : تسعة فى الشوى . والشوى القوائم . وقال ابن الأعرابى : والتسعة القصار أربعة : أرساغه ووظيفا يديه وعسيبه وساقاه . وهذا صحيح على ما ذكرنا ، لأنه ذكر العسيب مع القوائم ، فحمل كلامه على الأكثر ، كما ذكرنا فى الأول .

(٥) قوله : وسبع عرين الخ . قال ابن الأعرابى : والسبعة العارية : خداه وجبهته والوجه كله ، وأن يكون عارى القوائم من اللحم ، هذه كلها تستحب . وسبع مكسوة : الفخذان وحاميتاه ووركاه وحصيرا جنبه ونهدتاه ، وهما فى الصدر . قال أبو العباس : كذا قال ابن الأعرابى : نهدتاه . وغيره يقول : فهدتاه . قال أبو على : الصحيح فهدتاه ، وهما اللحمتان اللتان فى الزور كالفهدين . وإن كان كلام ابن الاعرابى ، يحتمل فى الاشتقاق أن يسميا النهدتين .

(٦) قوله : وسبع قرين الخ . قال ابن الأعرابى : السبع التى قربت : يريد سبع خصال صالحة قربن منه ، وسبع خصال رديئة بعدن منه ، فلم تكن فيه .

وتسعٌ غِلاظٌ وسبعٌ رِقاقٌ وصهوة عَيْرٍ ومَتْنٌ خَطا(١)
حديدُ الثَّمانِ عريضُ الثمان شديدُ الصفاقِ شديدُ المَطا(٢)
وفيهِ منَ الطيرِ خَمْسٌ فمنْ رأى فرساً مِثْلَهُ يقتنىْ
غُرابانِ فوْقَ قَطاةٍ لهُ ونَسْرٌ ويعسوبُه قدْ بدا(٣)
جَعلنا لهُ مِنْ خِيارِ اللقا حِ خمساً مجاليحَ شُمَّ الذُّرى(٤)
يُغادَىْ بعُضٍّ لهُ دائباً ونقفيهِ منْ طلب ما أشتهى(٥)
فقاظ صَنيعاً فلما شَتَا أخذناه بالقودِ حتى أنطوى(٦)
فهِجْنا بهِ عانةً فى الغُطاط خماصَ البُطونِ صِحاحَ العُجى(٧)
فولْينَ كالبرْقِ فى نفرِهِنَّ جَوافِلَ يكسِرْن صُمَّ الصفا
فصوبهُ العبدُ فى إثرِها فطَوْراً يغيب وطوْراً يُرىْ
كأنَّ بمنكبهِ إذ جرى جناحا يقلبُهُ فى الهوا

---

(١) قوله : وتسع غلاظ الخ . قال ابن الاعرابى : وتسع غلاظ : أوظفته الأربعة ، وأرساغه الأربعة غلاظ . والسبع الرقاق : منخره وأذناه وجحفلتاه وشفرته .

(٢) قوله : حديد الثمان : هى عرقوباه وأذناه وقلبه ومنكباه . وعريض الثمان : أى عريض الفخذين والوركين والأوظفة .

(٣) الغرابان : ما أشرف من وركيه . والقطاة : مقعد الرديف من الدابة . والنسر : لحمة صلبة فى باطن الحافر ، كأنها حصاة أو نواة . أو هو ما ارتفع فى باطن حافر الفرس من أعلاه . وقيل : هو باطن الحافر ، واليعسوب : الغرة ، تكون على قصبة الأنف .

(٤) المجاليح : التى تدر فى الشتاء . واحدها : مُجالِحٌ ، وقال الأصمعى : إذا كانت الناقة تدر على الجوع والبرد ، فهى مُجَالِح : وشم : مرتفعة . والذرى : الأسنمة .

(٥) يغادى : أى يتعهد فى وقت الغدو ، والعض : علف أهل الأمصار ، مثل القت والنوى . ونقفيه : نؤثره . والتقفية : الأثرة .

(٦) قاظ : من القيظ . وصنيع : مصنوع .

(٧) هجنا : حركنا والعانة : جماعة الحمر ، وجمعها : عانات وعون . والغطاط بضم الغين : الصبح ، فأما الغطاط بالفتح : فضرب من القطا . وخماص : ضوامر . والعجى : جمع عجاية ، وهى قدر مضغة ملصقة بعصبة تنحدر من ركبة البعير إلى فرسنه . وقيل : هى عصبة فى باطن يد الناقة .

فجدّل خمساً فمن مُقمص وشاص كُرَاعاهُ دامِى الكلى(١)
وثنتان خضخضَ قُصبَيْهِما وثالثةٌ رَوِيَتْ بالدّما(٢)
فرُحْنا بصيد إلى أهلنا وقدْ جلّلَ الأرضَ ثوبُ الدُّجى
وَرُحْنا بهِ مثلَ وقفِ العرو سِ أهْيَفَ لا يتشكى الحفا(٣)
وباتَ النساء يُعوذْنَهُ ويأكلنَ منْ صيدهِ المُشتَوى
وقدْ قيَّدُوهُ وغلّوا لَهُ تمائمَ ينفثُ فيها الرُّقى(٤)

وقال أيضاً ، يمدح سيدى بن محمد لحبيب شيخ الترارزة :

زَارَتْكَ إذْ زَارَ الجفُونَ كراها مِن بعدِ ما مَلَّ المَطِىُّ سُراها
فى جوز مَجهُولٍ تَلَفَّعَ ليلةً طمَسَ النُّجومَ عَجاجُها ودُجاها(٥)
باتَتْ تَجُوب وما السُّرى من دينها تيهاً تُضِلُّ عن الفراخِ قَطاها(٦)
حَتى ألمَّتْ والنجومُ غوارِبٌ بصوارِمٍ نكثَ النُّعاس قُوَاها(٧)
مُتوَسّدِينَ يدِىَ عبْسٍ رُزَّحٍ طَوَت الفلا بذمِيلِها وطَواها(٨)
عاصتْ بهمْ فى هَوْلِ كلّ متيهةٍ مَوْزُونةٍ وُهْدانَهَا وَرُباها
لم يؤنسوا إلا السَّرابَ نهارَها وبليلِها إلا نُئيمَ صَداها

---

(١) جدل : ألقاها على الجدالة ، وهى الأرض . والمقمص : المقتول . والشاصى : المرتفع . وكراعاه : مرفوع بشاص على الفاعلية . ودامى الكلى : أى يسيل الدم من كليته .
(٢) خضخض : حرك : والقصب : المعى ، وجمعه أقصاب .
(٣) الوقف : الخلخال ، ما كان من فضة أو غيرها ، وأكثر ما يكون من القرون والعاج . والأهيف : الضامر .
(٤) غلوا : أغلو فى الثمن ، أى ارتفعوا فى شراء التمائم . والغلو : مجاوزة القدر فى الشىء والارتفاع فيه . والتمائم : جمع تميمة وهى العوذة .
(٥) الجوز : الوسط . والمجهول : المكان الذى لا أعلام به .
(٦) الدين : العادة .
(٧) عنى بالصوارم : رفقاءه ، شبههم بالسيوف فى تنفيذ عزائمهم .
(٨) رزح : جمع رازح ورازحة ، وهى التى أهزلها السفر .

عجباً لِمسراها وكان يعوقها ... عَنْ بيتِ جارتِها القريب وَياها
وإذا تعالجُ نَوأة ناءت بها ... عَلجانةٌ مِنْ عالجٍ أُخراها(١)
نفسي الفداء لِرَشفةٍ جادتْ بها ... مِن بعدِ بُخلٍ منْ سلافِ ظَماها
ولِنظرةٍ نَظَرَتْ إليَّ كما خلتْ ... بينَ الخمائلِ ظبيةٌ بَطَلاها
ولزورةٍ نَعشت حشاشةَ مُهجتي ... مِنْ بعدِ ماحَطَمَ الغرامُ حَشاها
ولفَرْحةٍ أَهدَتْ لنا بقدُومِها ... بعدَ الصُّدودِ وبعدَ طولِ نواها
فَرَحَ البلاد إلى الأمير وقد جَلا ... أعناقَ صُبحٍ قدُومِهِ ظَلْماها
فتباشرَتْ أقطارُها وتَشاخَتْ ... أعلامُها وتأطَّرتْ بحُلاها
وهَمَتْ غيوثُ الأمنِ فيها هُمَّعاً ... حتى أستقاءَتْ سُمَّها أفعاها
وبدَتْ سُيوفُ العدْلِ فيها لُمَّعاً ... حتى رَعَتْ بين الأسُودِ ظِباها
مَلكٌ تدينُ لهُ المُلوكُ مُطيعةً ... وبعزِّ خِدْمتِهِ تَحوطُ حِماها
سارت به هِمَمٌ عزيزٌ نَيْلُها ... فبنات نَعْشٍ دونَها وسُهاها
حتى أفترَى أثرَ الغيوثِ بتيرِسٍ ... يرعى مرامَى رُبْدِها ومَهاها(٢)
تغدو ظمائنُهُ لكلِّ خَميلةٍ ... وتَروحُ رَغْماً مِنْ أنُوفِ عِداها
ترنو بأعينها إلى أشباهِها ... مِن كلِّ مُعْزِلةٍ تعودُ رشاها(٣)
ورصيصِ بيضٍ مودعٍ بدِمائِها ... وأنيقِ أزهارٍ يفوحُ شَذاها(٤)
وتبيتُ نافشةً هناكَ جيادُهُ ... خُضرَ الجحافلِ من غميرِ خَلاها(٥)

---

(١) تعالج : من المعالجة . والنوأة : النهضة للقيام . وناءت بها : أثقلتها . وعلجانة : رملة : وعالج : رمل عظيم ، وأخراها عجزها ، وهو بدل من علجانة .
(٢) اقترى . تتبع .
(٣) المعزلة : ذات الغزل .
(٤) الرصيص : المتراكم . والدماث : الأماكن السهلة اللينة . والأنيق : المعجب . ويفوح : يهب . وشذاها : رائحتها الزكية .
(٥) الجحافل . جمع جحفلة ، وهي بمنزلة الشفة للخيل والبغال والحمير ، كالشفة للانسان .

وتهيمُ مُهملةً مخائضُ سَرْحِهِ تقرُو مواقعَ قَطْرِهِ وحيـاها
وتظلُّ ترْعاها عيونُ مهـابةٍ شمّ الشواهقِ حَصّنَتْ أرْواها
وأتته وافدةً تخـافُ وترتجى غُلْبُ الجبابرِ من حصون قُراها[1]
فتلطفوا وتملّقـوا وتملّقوا بحبـالهِ وتمسكوا بعُراها
ألفى الزوايا كالهشيمِ رمتْ به بين القفار دَبورُها وَصَباهـا
فثنى عليها عاطفـات حنانه وأقام يَرْأَبُ جاهداً مثْـآها
فأضاء ليلتها وجمّع شملهـا وأفرّ بعد مخافةٍ أحشـاها
حتى إذا ملك العـلى بزمامها وحوى المفاخر رافعاً للواها
صرف العزيمة راجعاً لبـلاده من بعد ماحنّت وطال بكاها
يهدى الظعائن كالنخيل بواسقاً تعدو الجيـادُ أمامَها ووراها
جرد مسوّمة على أثباجهـا أُسْدٌ قديمٌ فى الحروب بلاها
من آل أحمدَ زُهرِ أملاك الورى عزّ البلاد وغيثها وسناها
عبد الشريعةَ مكرِمٌ علمـاءها مولى مواليهـا عدوُّ عِداها
أوفى بذمتها وحاط حدودها وأطال سمك منارها وبناها
وثنى البغاة عن الضعيفِ ذليلةً وأقام قسراً درأها وصغـاها
وإذا أستطالت واستشاطت أمةٌ يهوى الهوانُ بكلّ من ناواها[2]
خاض المهالكَ مدلجاً ومهجراً بالخيـل حتى يستبيح حماها
بسوابقٍ أشباهِ سيدان الغضا قُبِّ مُعالَى للمُتونِ كُـلاَهـا

---

(١) غلب : جمع أغلب ، وهو غليظ الرقبة ، وفى هذا البيت مؤاخذة ، لأن الشاعر أراد أن (أحى من عثمان) وهى قبائل من حسان يرأسهم ابن عيد ، بعثوا وفداً على الممدوح ، ليربطوا معه المودة ، بعد ما كان بينهم من العداوة . وهؤلاء ليس لهم قرى ، لأن القرى للزوايا ولو قال : من حصون كداها ، كان أصوب ، لأن حيط آدرار : أعظم الحصون .

(٢) الدرء : الميل المعوج ، والصفا : بمعنى الدرء . وهذا مأخوذ من قول ابن دريد :

هم الذين دوخوا من انتحى وقوموا من صعر ومن صفى

تغدو إلى الغاراتِ شعثاً شزّبا كالطيرِ رائحةً إلى مأواها
توري إذا تعلو الحزون مثيرةً ناراً ونقعاً من متون صفاها
تهدى به أولى الجياد طمرة عَبْلٌ على ظمإِ الفصوص شواها
قد عودتْ أن لاتؤوب عن العدا حتى توطأ فى الوغى صرعاها
وتحوز كل ذخيرةٍ مصطانةٍ وتسوقُ فى أصفادها أسراها

وقال أيضاً :

نفسى الفداء لظبى هاج أحزانا وغادر القلب من نجواه حيرانا
ويسرد النغمَ يجرى فى مفاصلنا جرىَ السُّلافةِ فى أوصال نشوانا
بيناهُ يظهرُ لى ليلا على قمرٍ على قَضيبٍ كغصنِ البان ريّانا
إذ قال من لاجزاه الله صالحةً هذا فلانُ فعاد الوصل هجرانا
فناء عجـــلان مرتاعا فثبّطَهُ رِدف يثبطُ من قد ناء عجلانا

وقال أيضاً :

لاتملى ياعينُ رعى النُّجومِ وأنهلاَلاتِ دمعكِ المسجومِ
قد جنيت الهوى شهياً جناه فاستحالتْ ثمارُهُ كالشمومِ

ومنهـــــا :

لا يظنُّ الظّنونُ أنّ مُقامِي باليُذَيْبيعِ لأطلاَبِ العُلومِ
بلْ لِغَرْبيةٍ تَهُبُّ فأشْفى سقمَ القلبِ من حشاىَ الكليمِ
حبّبَتْ كلّ شقروىٍ إلينا من حميمٍ لها وغيرِ حميمِ

وله من قصيدة بديعة ، تسمى بالزرقاء . يمدح بهـا الشيخ سيدى ، وهذه القصيدة تقرأ فى ثلاثة أبحر . أعنى أنها كلها فى بحر الكامل ، ثم تقرأ أشطارها

الأول : فى بحر المديد : والثوانى : فى بحر البسيط ، أو العكس ، مثل قصيدة الشيخ سيدى ، التى تقدمت الإشارة إليها ومطلعها :

برزتْ عواتقُ دين أحمد ترفُلُ وافى بها الغوثُ الأغرُّ الأكملُ

وله أيضاً من قصيدة :

عجْ بى على دِمنِ النّقى فمغان نهى الإضاةِ فمرْقب الصّيرانِ

فأضى الرعود فملتقى أعراضها فالدُّومةِ البيضاء فالسّندانِ

وقال أيضاً :

يا أيها الإخوان هل من ضاحك من شأننا فهو من الأضاحك

كنا بمنزل لها مبارك نحيى من العلوم كل هالك

ونتكى طوراً على أرائك بكر من الآداب غير فارك

بينا نغوص فى فروع مالك فينجلى بالفهم كل حالك

إذا قال ندب ليس بالمشارَك فى الرأى وقّعوا لذى الشكائك

فكتبتْ كالدُّرّ والسبائك ما حاك قبلُ مثلها من حائك

ثمتَ يأأمام بعد ذلك سرنا بحوب أمتن الدكادك

فمنّ واد تحت قف نابك محفف بسدّر شوابك

فاختلف الآراء من عشاقك لنبقٍ رأوه فى أولائك

فبين فاعل وبين تارك وبين بالع وبين لائك[1]

وبين جاث فيه كالمعارك وساقط فى هوة وسالك

بين الغصون أصعب المسالك فآب كل كالبعير الآرك

أوصاله تهمى بأيم سافك لا صوت تسمعينه هنالك

---

(١) الإشارة فى لائك للسدر . وهذا قليل . ونظيره قول جرير :

ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد ألائك الأيام

لما سوى قعقعة المداوك فخرق الأثواب عن خلانك
شوك له أمضى من النيازك

﴿ هبةُ الله بن محمدٍ ﴾ : حبيب الله اليوحسنى . هو الصالح ، الناسك ، المتواضع . رأيت له قصيدة ، يرثى بها الصالح المختار بن بابانَ العلوى . منها :

بانَ التصوُّفُ والمعروفُ قد بانا أنْ بانَ بدر الدياجى نجل بابانا
أضحت شموس علوم الدين آفلة وبان من ثلم دين الله ما بانا
فالموتُ عِدٌّ لهُ الأنفاس واردة تُسقَى البريةُ كأساً منهُ مَلاَنا
صبرًا حبيبُ وصبرًا ياسعيدُ فما قد كان ذا اليوم إلا وفق ما كانا
كفى عزاءً مَنامُ الهاشميّ كفىٰ ماقدْ أصاب أبا بكر وعثمانا
خَبَتْ مصابيحُ أنوارِ العلوم فذا ضائى لوائحها قد غابَ واكتانا

وكان فى صدر القرن الرابع عشر.

﴿ أحمد باب بن عينين البوحسنى ﴾ : شاعر مطرب ، وسليق يقول فيعرب . مدح أبناء محمد بن محمد سالم المجلسيين بقصيدة ، منها :

إذا ما المشكلات دعَتْ نَزالِ وهابَ لِقاءها الشهم الجنانا
تصَدَّوا للطعانِ لهـا وكانوا بنى من كان يوليها الطعانا

فقبل أن يبرز القصيدة للناس ، عرضها على سيبويه زمانه ، أستاذنا : يحظيه ابن عبد الودود ، أطال الله حياته . وسأله عن الشهم الجنانا : أتقال ، أم لا ؟ فلما أخبره بجوازها ، فرح وأبرز قصيدته ، ورأيت له قصائد جيادا ، فى مدح الشيخ ماء العينين ، وما حفظت منها شيئا .

ومات فى العشر الثانية فى القرن الرابع عشر ، وبه يتم من رويت له من شعراء أبناء أعمر أكداش ، وبعدهم أيدا شغر ، ويصدق على جميع قبائل إيدا بلحسن : فلان البوحسنى .

﴿ ابن الأمين ﴾ : بن الحاج البوحسنى ، هو العالم الذى لا يغلب فى الحجاج ، الشقروى ، ثم القدمى . تفنن فى اللغة والكلام وغير ذلك . وكان جريئاً ، سليط اللسان ، تخافه الناس . وشذّ فى أقوال ، أوجبت له أن يرمى بالزندقة ، من أهل وقته . قالوا : أنه كان يأمر تلامذته بالأكل فى رمضان ، مالم تطلع الشمس ، وأنه كان يقول لهم : اكفروا ، فى ألفاظ يأمرهم أن ينطقوا بها . ثم يقول : إنى سأردكم إلى الإسلام . وكان يقول : إن الطلاق بالثلاث ، إذا وقع دفعة واحدة ، لا يكون إلا واحدة .

وقد ألف العلامة تحنضن باب الديمانى فى تضليله . وقيل : إنه كفره ، وأكثر العلماء يعتد عليه بما تقدم ، ويحط من قدره لذلك ، وليس من الصواب تكفيره بمسألة الطلاق المتقدمة للخلاف فيها . فإن شيخ الإسلام ابن تيمية ، كان يقول بها أيضاً . وذكر الشيخ عليش فى حاشيته على الدردير ، مايفيد أن فيها خلافاً ، ولفظه : والإجماع على لزوم الثلاثة ، إذ أوقعها فى لفظ واحد : نقله ابن عبد البر وغيره ، وفيه نظر ، لقول ابن سلمون : اختلف فى الطلاق ، إذا أوقعه ثلاثاً فى كلمة . فقيل : إنه يلزمه طلقة واحدة . فإن الله تعالى إنما ذكر الثلاث مفرقاً ، فلا يصح إيقاعه إلا كذلك . وهو قول علىّ ، وابن عباس ، وجماعة من الصدر الأول . وقال به أهل الظاهر ، وطائفة من العلماء . وأخذ به جماعة من شيوخ قرطبة : ابن زنباع ، وابن عبد السلام ، وأصبغ بن الحباب وغيرهم ، من الأندلسيين ، وقيل : تلزمه الثلاث ، فلا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره ، وهو قول مالك . والذى عليه جمهور فقهاء الأمصار وجل العلماء .

وسئل ابن رشد : فى كتاب عقد وثيقة برجعة من الطلاق المذكور دون زوج ، فقال : هو رجل جاهل ضعيف الدين ، فعل مالا يسوغ بإجماع من أهل العلم . إذ ليس من أهل الاجتهاد ، فيسوغ له مخالفة ما أجمع عليه فقهاء الأمصار . وإنما يجب عليه تقليد العلماء فى وقته ، ولا يسوغ له أن يخالفهم برأيه ، فالواجب أن

ينتهى عن ذلك ، فإن لم ينته أدب ، وكانت جرحة فيه تسقط إمامته وشهادته . اهـ وحاصله وجود الخلاف ، ولكن لا يفتى إلا بما عليه فقهاء الأمصار ، فلعل مراد الحافظ ابن عبد البر بالإجماع : إجماعهم لا إجماع الأمة . والله أعلم .

وفى إعلام الموقعين لابن القيم : أن المطلق فى زمن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وزمن خليفته أبى بكر ، وصدراً من خلافة عمر ، كان إذا جمع الطلقات الثلاث بفم واحد ، جعلت واحدة . كما ثبت ذلك فى الصحيح عن ابن عباس ، فروى مسلم فى صحيحه عن ابن طاوس ، عن أبيه عن ابن عباس : « كان الطلاق الثلاث على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبى بكر ، وسنتين من خلافة عمر ، طلاق الثلاث واحدة . فقال عمر بن الخطاب : إن الناس قد استعجلوا فى أمر كانت لهم فيه إناءة ، فلو أمضيناه عليهم ، فأمضاه عليهم » اهـ .

وفى بعض الروايات قال ابن عباس رضى الله عنه : « بل كان الرجل إذا طلق امرأته ثلاثاً قبل أن يدخل بها ، جعلوها واحدة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبى بكر ، وصدراً من إمارة عمر ، فلما رأى الناس قد تتابعوا فيها قال : أجيزوهن عليهم » .

ونقل أحاديث تدل على ما عليه الأكثر ، و بعضها يدل على ماعليه ابن تيمية . ونقل صحتها عن الإمام أحمد ، وضعف ما أخذ به الأكثر . وقال : إن ما عليه ابن تيمية لم تجتمع الأمة والله الحمد على خلافه ، بل لم يزل فيها من يفتى به قرنا بعد قرن ، و إلى يومنا هذا . فأفتى به حبر الأمة ، وترجمان القرآن : عبد الله بن عباس . كما رواه حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس « إذا قال : أنت طالق ثلاثاً ، بفم واحد ، فهى واحدة » وأفتى أيضاً بالثلاث . أفتى بهذا وهذا . وأفتى بأنها واحدة . الزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، حكاه عنهما ابن وضاح . وعن على ـ كرم الله وجهه ـ وابن مسعود روايتان . كما عن ابن عباس ، وأما التابعون ، فأفتى به : عكرمة ، رواه إسماعيل بن إبراهيم عن

أيوب عنه ، وأفتى به طاوس . وأما تابعو التابعين ، فأفتى به : محمد بن إسحاق ، حكاه الإمام أحمد وغيره عنه ، وأفتى به خلاس بن عمر والحارث العكلى . وأما أتباع تابعى التابعين ، فأفتى به : داود بن على ، وأكثر أصحابه حكاه عنهم : ابن المغلس وابن حزم وغيرهما . وأفتى به بعض أصحاب مالك ، حكاه القلسانى فى شرح تفريع ابن الجلاب ، قولا لبعض المالكية ، وأفتى به بعض الحنفية : حكاه أبو بكر الرازى ، عن محمد بن مقاتل ، وأفتى به بعض أصحاب أحمد . انتهى الغرض منه .

وقد أشبع الكلام على هذه المسألة ، والغرض الاعتذار عن صاحب الترجمة ، لأن ما وقع فيه خلاف لا يضلل القائل به ، ولعل ما تقدم من تضليل العلامة محنض باب له إنما ، يتعلق بالمسائل الكلامية ونحوها ، ولم أقف على شىء من شعره ، سوى قصيدته الطنانة ، التى هجا بها العلامة محنض باب بن اعبيد الديمانى ، لما نسبه إلى ما تقدم بيانه ، وهى :

على أطلال مَيَّ قفوا وحيُّوا ... وإن لم يبق بالأطلال حَيُّ
ولا تلفوا خلياً مَعْ شجيّ ... فيهلكَ دون صاحبه الشجيُّ
مغانٍ كنتُ فيها ذا فراغٍ ... وعن غير الجنون أنا الغنيُّ
أتت حجج عليها وهْىَ مأتيّ ... لموج الريح يخلفها الأتيُّ
سَرَتْ أظعانُ ميَّةَ عن بُرُوقٍ ... سَرَتْ وهْناً وقائدها سَرِيُّ
بكل ندٍ هبَـــلٍ قيسرىٍّ ... حواليْهِ هَبَـــلٌ قيسرِيُّ

ومنهـــا :

عَلَىَّ على الدنيُّ وإنَّ إدًّا ... على ذِى المجدِ أن يَعلو الدنيُّ
عليكم بالملاء فذا زمانٌ ... ولو كلبـــاً يسُودُ به العَلِيُّ

والذى يظهر ، أنه كان فى القرن الثالث عشر ، لأنه عاصر محنض باب .

﴿ بُلَّا بْنُ مكبد البوحسنى ﴾ : ثم الشقراوى ، هكذا أظنُّ أنى كنت أسمع ممن هو أدرى بنسبه ، ورويت أبياتاً لباب بن أحمد بيب العلوى ـ وهو دغفل زمانه من غير نزاع ـ يمدحه بها ، تدل على غير ما ذكرت . وهى :

يا ربِّ أبقِ لنا بُلاّ لنسألُه عن كلّ سِرٍّ من القرآنِ محتَجبِ
وعن دواوين شعر لا يفسرها إلا أبن بجدتها ابن الفاضل ابن أبى[1]

ولعل الفاضل ، وأبى بعد مكبد ، أما الفاضل : فهو الفال . وأبى مرخم : أبى ميج . كان بُلاّ هذا عالماً مشهوراً ، ونحوياً كبيراً ، وهو ممن تخرجوا على المختار بن بون الجكنى المتقدم . وتخرج عليه هو ، عبد الودود بن عبدالّ بن أنجبنان النحو المشهور الآتى . وله بنت اسمها مريم . نبغت فى الشعر ، واشتهرت به ، وما حفظت لها شيئاً . وكانت تمدح أكابر العلماء ويمدحونها ، حتى كتبت بقصيدة للشيخ سيدى تمدحه بها ، فكتب إليها : المرأة كلها عورة هاجى بلا ابن أحمد دام المتقدم ، إلا أن ابن أحمد دام غلبه ، وما حفظت شيئاً من مهاجاتهما ، إلا قول ابن أحمد دام :

* وقد علم المختار أن شتمها بُلاّ *

يعنى : المختار بن بون ، وشتمها : كلمة يقولونها عند ذكر اضطهاد من يحدثون عنه ، والضمير للقصة . وما حفظت لبُلاّ إلا بيتاً واحداً ، قاله فى أناس ضربوه وهو :

لا يؤلم الضرب ممن لا يميز للـــزيدُونَ يَدْعُون والهندات يدعُونا

قالوا : وفى يدعون الأولى ، ضمير يعود على الزيدين ، وهو الفاعل ، والنون علامة رفع ، والواو فى يدعون الثانى حرف ، وهو لام الفعل ، والنون ضمير يعود على الهندات ، وهو فاعل ليدعون .

﴿ محمد سالم ﴾ : بن يامحمد بن لبيد . هو اللغوى الوحيد ، اشتهر بمعرفة دواوين

(١) يقال : أنا ابن بجدتها ، للعالم بالشىء المتقن له .

العرب ، وله معرفة بالكلام والفقه ، وناضل باب بن أحمد بيب العلوى ، فى مسائل من الفقه ، فأوضح له باب خطأه ، وقال له أنت ابن بليد . وما رويت له إلا قوله من مقطعة :

وثقت ببينهم فقف المهارى على الأطلال واعتبر اعتبارا

ومات فى عجز القرن الثالث عشر .

﴿ أبو بكر بن فتى ﴾ : بن قال الحسن البوحسنى ، ثم الشقراوى ، هو العالم المشارك ، والورع الناسك . لايفتر عن قراءة القرآن ، حلو الشمائل ، غاض لبصره ، توجه إلى الحج بعد العشرين وثلاثمائة . ومات فى الطريق — رحمه الله — وثبت أجره ، ورأيت له مقطعة يمدح بها العالم الطبيب ، أو فى الشمشاوى ، ومنها :

على الشيخ أو فى ما سيأتى وما غبر سلام كريا المسك قد فاح بالسحر

سلام على من باسمه يُشتفى الضنى وتقضى به الحوجا وينكشف الضرّ

﴿ اشويعر ﴾ : بالتصغير ، البوحسنى . هو الشاعر البليغ ، اشتهر بهذا اللقب ، وما أدرى اسمه الأصلى ، ولا اسم أبيه ، وأظنه من قبيلة أبناء أبى الفال ، ويقال له : شويعر الأنبياء ، لأنه كثيراً ما يذكرهم فى شعره الغزلى . ومن ذلك قوله :

حَيّ المعاهدَ حَوْلَ العائديات أغْرَى الزمانُ بها أيدِ البليّاتِ

تلاعبت فوقها الأرواح ساحبة أذيالها فى ضحاها والعشيّاتِ

فكم لَعِبْتُ بمغناها بغانيةٍ تجلو الدُجى فى ليالٍ مُرْقِسياتِ

قدأودعت كل قلب من شجون هوى موسى تقطع أسباب الحشاشاتِ

آيات موسى هواهُ حين تبعثه تسع كآياته التسع الجليّاتِ

سنى مُحَيَّا وألحاظٌ وسالفةٌ يُذْهِبْنَ بَهجةَ أرباب السكينات

وورد خد وجيد لو توسَّمَهُ غَيْلانُ ما رَامَ أرْآما بمَوْمات

ولينُ قدٍ لو أنّ البانَ ما يَسَهُ لما تمايسَ أنواعَ الهبوبات

و بشرةٌ من لجينِ الحسن قيل لها كونى فكانت مراحاً للصبابات
وَلطفُ خَصْرٍ على ردف يعرفه جذب الضعيفِ القويّ الجذبةِ العات
ذى الآى دلت على بعث الأسى كلفا وتلك دلت على صدق النبوات

ومن ذلك قوله فى فتاة من قبيلة أبناء أحمد من يوسف ، زُوجت من غير كفء لها على زعمه :

فتيّةٌ شريت بالبخس حين غلت بوالدٍ المشترى تفدى الفتاةُ وبهْ
أضحى بها المشترى فى الأهل مقترنا بالمشترى بعد وضعٍ كان فى رُتَبهْ
من آل يوسُفَ منه الحسنَ قد ورثتْ و بيعة البخس لما أنْ نأى عن أبهْ

وقال أيضـــاً :

أمن ذِكْر سلمى أن عرفت لها رسما كما رجّعتْ حسناء فى المعصم الوشما
به الورق تشدو والظباء مربّة ومور السوافى ما تركن له وسما
مزجت دموعا بالدماء صبابةً وأغرى بكَ الدّكارُ أزمانها الهما
بلادٌ بها أسماء كانت مقيمةً وكانتْ نَواحيها مجالسنا قِدْما
فأمست يبابا بعدها وتمهمتْ وأمستْ كذا آناؤها بعدها دُهْما
دعانى إليها الشوقُ حتى أتيتها وَرَوّعْتُ سِرْبا كان مستوطناً ثمّا
وما شجـــانى أننى إن سألتُها أكونُ كأنى سائلٌ صَخرةً صَمّا
فما زلت أبكى فى الدّيارِ واثنى كثيباً ومالاقيتُ قدْ أوهن العَظما
وقدْ مرّ بى ركبٌ وقد شفنى الهوى فقالوا وما يبكيك قلتُ نَوى أسْما
فقالوا ومن أسما ومن حيها الذى إذا ذكرتْ أسما نراها له تُنْمى
فقلتُ لهم أسماء منْ آل يوسفٍ و يوسُفُ ذا عمرى هو النسب الأسمى

﴿ابن المحمود البوحسنى﴾ : ولا أدرى اسمه ، ولا من أى قبائل إدا بلحسن ، هو شاعر مجيد ، طار صيته وانتشر ، وشاع فى البادية والحضر ، تخرج على ابن بون

الجسكنى ، ولم أحفظ من شعره إلا بيتين ، من أول قصيدته الطنانة ، وهما :

أباتهمْ أبينتْ مِنْ جمال وحادَ بها الحُداةُ إلى الضلالِ
جمالٌ غادرتْ هضْبَ الحبارى قبيل الصُّبح مَسلوب الجمالِ

﴿ عبد الله بن أىّ ﴾ : هو من قبيلة أبناء أبى الفال ، وكان شاعراً فصيحاً ، وله أخ يقال له : الحسن . ولا أدرى هذين البيتين لأيهما ، وهما :

يا قلب صبراً على نأىِ الحبينا فالدهرُ أحكَمُ من آمالنا فينا
قضى تنائينا قاضى اللقا فعسى يقضى تلاقينا قاضى تنائينا

﴿ محمد بن لِحْظَانَ البوحسنى ﴾ : عالم مشهور ، ويكفيه أنه هو أستاذ ابن حنبل المتقدم . ولم أر له شعراً يذكر ، إلا بيتين خاطب بهما ابن حنبل وصاحباً له ، وكانا يقرآن عليه ، وكان يتعهدهما بالألطاف ، ففقل عنهما مرة ، فكتب إليهما يعتذر :

خليلىَّ كيفَ الحالُ والحال تنبىء عنِ السرِّ منهما السرُّ فى الصدرِ يُخبأُ
لئن نُسئتْ عنكم ظواهرُ وُدِّنا لفى الصدْرِ وُدٌّ باطنٌ ليس يُنْسأُ

فكتب إليه ابن حنبل :

أيُسألُ عن أحوالِ قومٍ تبوَّؤا جَداول عِدٍّ جارُهُ ليس يَظمأُ
يُرَوِّيهِمُ مِنْ بحرِ علمٍ وحكمةٍ تَلاشى لِمَبهاها نُضَارُ ولؤلؤُ

﴿ الطائع البوحسنى ﴾ : ثم هو من قبيلة إدَوكْتْ شَلّ (بكسر الهمزة وفتح الدال المهملة وواو ساكنة وكاف معقودة مفتوحة وتاء مثناة من فوق ساكنة وشين معجمة مفتوحة ولام مشددة) . معدود من شعراءِ قومه ، وقد رأيته ، وبلغنى أنه مات منذ خمس عشرة سنة تقريباً ، أى سنة ١٣١٤ . ومارأيت

له سوى قصيدة ، يحض فيها على معرفة علم اللسان ، ومزجها بألفاظ من اللغة الشلحية ، ومطلعها :

يا طُلَّبَ الفقهِ والأموالِ عن تعب ... لا تستقِلُّوا بعلم الفقه والنشب
فالمُستقِلُّ بعلم الفقهِ مُفتَضحٌ ... بين المحافلِ عند الغوص فى الكُتُبِ
والمستقلُّ بكسب المالِ مختلبٌ ... من حيثُ لم يَدْرِ أنّ السُّمَّ فى الضَّرَبِ
رُدُّوا إليكم جماح الفهم إذ جمحتْ ... بالنحو كى ترأبوا مثأى لغى العرب
فالنحو تثقيف نطق اللسن إذ نطقت ... والشعرُ خِرِّيتُ معنى شاردٍ غَرِب
فلا يجوذكُمُ فقهٌ ترُون له ... حسنَ الكفايةِ من حاجٍ ومنقلب
لا تنسوا الضُّحكَ من جوذا إذا نطقتْ ... برفع منخفضٍ أو خفض منتصب

هذا ما تذكرت منها ، وقد سألت من يعرف تلك اللغة التى تقدمت الإشارة إليها ، عن معنى قوله : لا يجوذكم : فأجابنى : بأن معناه : لا يصيركم جوذاً ، أى جماعة من الأعاجم . والله أعلم .

* * *

﴿ شعراء تندغ ﴾

﴿محمد فال﴾ : بن متالى (بالذال المعجمة المنوَّنة المكسورة) مصحف محمد فال . علامة جليل وصالح نبيل ، أذعنت العلماء لعلمه ، وتضلع كثير من الزوايا من معينه ، وصار حرما آمناً يفر إليه الخائف فيأمنه ، وما خفر ذمته أحد من حسان ، غير أعمر بن أحميدة التروزى وقومه ، فانتقم الله منهم . وذلك أن ابن أحميدة المذكور ، وتره أحد أبناء السَّيِّد ، بأن قتل بعض أقاربه ، ففر إلى الشيخ ، فأجلسه بين كتبه ، وكلم ذلك الرجل ، فى ترك الملتجإ إليه مادام عنده . ويقال إن والدة الشيخ قالت له : إن غدرت بهذا الملتجىء إلينا ، يخرج فيك الرصاص من مؤخر البندقية ، فلما خلا بأصحابه ، قال : أنا أريد أن أضرب

هذا الشخص ومن معه ، فإن خرج السلاح علىّ فانتهوا ، وإن خرج من فم البندقية فاضربوهم ، وإنى جربت سلاحى ، فإن الرصاص لايخرج إلا من مقدمه . فضربوا الناس وقتلوهم . وفى ذلك يقول بعض تلامذة الشيخ ، قصيدة مطلعها :

هتكتمْ حريم الشيخ لازلتموا نهبا لمن أمكم شرقا ومن أمكم غربا

واستجيب دعاؤه ، فإنا أدركناهم لايخرجون من فتنة ، إلا دخلوا فى أخرى . وهذا مشكل ، لأن الحرم المكى لا يعيذ عاصياً . ولا فارا بخربة . ونشأ صاحب الترجمة يتيما ، وكان مقلا ، فبعثته أمه وهو صغير ، إلى أحد العلماء ليتعلم عليه ، فبدأ بقراءة الآجرومية ثم إن الشيخ ما اكترث به ، وصار يجىء إليه ليفسر له درسه ، فيشتغل عنه بالتفسير لغيره ، فضاق صدره وبكى كثيراً . ثم فتح الله عليه دفعة واحدة ، ورجع إلى أهله ، وشاع خبره ، وانثالت إليه الناس ، وأقبلت عليه الدنيا ، وكان كريما صالحاً يتبرك به . ومن شعره :

أنا الفقيرُ وفقر المرء ذا ضرع بالله صدق إلى مولاه محض غنى
ومن رأى أنه بالمال حاز غنى قد مان فى زعمه ما حاز غير عنى

وكان مولعاً بالعربية خصوصاً ، ويحرض الناس عليها ، وله فى ذلك :

تعلمَ اللغـــــة شرعا فضّلِ على التخلى لعبَادة الجليـــل
يؤخـــذ ذا من قوله وعَلّما آدمَ الأسماء ألزم التعلما

يعنى النوافل ، وله أيضاً فى التحريض على طلب العلم ، وحضور مجالسه :

عليـــكَ بالتعليم والتعـــلم ذا رغبة فى أجره المعظم
ولا يزَعْك عن حضور العـــلم وأهله أن لم تكن ذا فهم
فإن فى الجلوس عند العـــالم سبعَ كراماتٍ لغير الفاهِم
تحصيل فضـــل المتعلمينا وحبسهُ عن الذنوب حينا
معَ نزول رحمة الله علَيْه عند خروجه بنيـــة الَيْه
وأنه له نصيب يحصـــل مما من الرحمـــة ثَمّ ينزل

وإنه مادام منـــه سامعا فإنه ممـن يعـد طائعـا
وضيق قلبه من الحرمان وسيلة لرحمـــة الرحمٰن
وأن يرى العالم قد أجـــلاّ فى النـاس والفاسق قد أُذِلاّ
فطبعهُ ثمّ إلى العـلم يميـلْ عسى عليـه الله يفتح الجليل
لذا النبى بحضور العلمـا أمرنا فلازم التعلمـا
صلى عليـه الله كل حـين والآل والصحب مقيمى الدين
عزاه للتحفـة فى نور البصرْ عن السمرقنـدِ الهـلاليّ الأبرْ

ومن نظمـه :

من طلب العلم يبـارى السفها بعلمـه أو ليمـارى الفقهـا
أو لينال العـــز عند الناس باء بغـار وهوذ وإفلاس

وكل أبناء هذا الشيخ فضلاء ملحوظون بعين الإجلال ، وعبد الرحمن ابنه مجيد . وما رويت له إلا بيتين تقدما ، ومات صاحب الترجمة فى عجز القرن الثالث عشر ، وقد عمر .

﴿ معاوية بن الشّدّ ﴾ : التندغىّ . شاعر فصيح وله شعر مليح ، وما رأيت من شعره ، إلا أرجوزته الطنانة ، التى مدح بها السلطان ، مولاى اليزيد بن السلطان سيدى محمد بن عبد الله . وبعض النـاس ينسبها إلى عبد الله بن سيدى محمود الحاجى ، وذلك غلط ، ومطلعها :

لله كم منْ هضـبةٍ وجبل من الهوى بهـا يسير جمـلى
وكم أصابت مهجتى وكبـدى صوارمٌ من العيون النُّجُـلِ
ومقلة ترنو أختـلاساً رشقت منى سهامها بكل مقتـل
كأنها بعـد النعاس والـكرى تمجُّ صهباً من رحيق السلسل

ومنها :

فالأرض لا تمنعنى أن أقتفى آثارهم باليعملات الذلل
أهدى بها من القطا الكدر على أفراخها بكل فيفا مجهلِ

ومنها فى وصف ناقة :

تسبق للأوشال فارط القطا إذا القطا سابقها للوشلِ

إلى أن يقول :

لا واهبٌ أنفس ما ملكه إلا الأمير بن الأمير المعتلى
خليفة الله وبابه هم أهل الخلائف على التسلسل

هذا ماتذكرت منها ، وهى طويلة .

﴿ المصطفى بن جمال ﴾ ويقال له المصطف التندغى ، شاعر مفلق ، ومَعين الفصاحة من شعره متدفق . ومن جيد شعره قوله :

كأنّ عينى وقلبى بعدكم طرفا غصن من البانة الخضراء فينان
يسيل جانبه ماء إذا اشتعلتْ نار مؤججة بالجانب الثانى

وله أيضاً :

أشيمُ بريقاً بات ليلته يهفُ فآونة يخفى وآونة يخفُو
تضمنهُ ريعُ الجَرَيّبِ فاللوىُ إلى حيث من جنب الغضاة شزا النعف
به أتقدتْ بين الجوانح أنؤرٌ دموعك من تيسارها ديم وطفُ

وله أيضاً :

لحونُ العندليبِ بماء بوق أصيلا إذا تأنف فى الغناء
بعثن إلىّ من طربى وشوقى دفيناً مات مذ ولى صبائى

وله أيضاً :

أقول إذ حملوا ليلى على رَمَثٍ باسم المهيمن مجراها ومرساها

يانوتيَ البحرِ سرْ بها على مهل يابحرُ رهواً لم يشغلك مرآها
أودعتها للذى تحظى ودائعـهُ كما أودعت أم موسى قبل موساها

هذا ماروبت من شعره .

﴿ أحمد بن أمين ﴾ بن الفراء التندغى . عالم مشارك فى فنون ، كالنحو ، والفقه ، والبيان . وله معرفة بالعروض عظيمة ، ماأظن أحداً فى هذا العصر يبلغها . ولا جمع أحد من كتبه ، ماأجتمع عنده ، وكان يتقن أربعة ألسن : العربية ، والحسانية ـ وهى العامية الموجودة هناك ، وهى نوع من العربية ، وإن كان كثير منها ليس بعربى ، كما هو واقع فى لغة أهل المشرق ـ واللغة الشلحية ، المعروفة هناك بكلام آزناك ، والسودانية المعبر عنها عند العرب هناك ، بكلام لـكوَرْ . ولا أظنه إلا يعرف لغة إفلان ، وكانت له منزلة عظيمة عند رؤساء السودان . وتولى القضاء لِتَيْن رئيس بَوَلْ .

وكان رحمه الله ، جواداً ظريفاً مزاحاً كثير البشاشة ، يجيد ركوب الخيل والسباحة وبالجملة فإنه من فتيان وقته وبلغنا موته بمصر فى نحو ثلاث وعشرين وثلاثمائة وألف . وله شعر متوسط ومن شعره :

ألا ليتَ شعرى هل أبيتنّ ليلةً بأمّيجرانٍ حيث حلت بها دعدُ
وهل لى مقيلٌ هاهناك بأثلها وهل لى مساء بالأضية من بعـدُ
فيخشى رقيب كان فى البيت حولنا صواعق رب لا تَجُور ولا تعدُ
فيعدُو وما يعدُو عن الله موقنٌ فمـالى أرى ذاك الرقيب إذا يعدو
وأوعد إذ نخـلو بدعد وليتنى علمت متى ينجزْ لمـا ذلك الوعْدُ
تمـاطلنى بالوعدِ دعد وطالمـا أتى دون الأدنى من مواعيدها البعد

وله أنظام كثيرة فى النحو والعروض ، رحمه الله رحمة واسعة

* * *

﴿شعراء مِدْلِشْ﴾

هذا اللفظ ، هو المشهور عند العلمة اليوم ، وهو لقب قديم ، لقبت به هذه القبيلة ، وهو محرف من المجالسة ، جمع مجلس ، لقبوا بذلك ، لأن الناس كانت ترحل إليهم فى طلب العلم .

﴿ بوفين ﴾ : أصله أبوفين ، وهذا لقب اشتهر به هذا الشاعر . فأغنى عن معرفة اسمه واسم أبيه ، وسمعت من بعض الفضليات المتقدمات فى السن ، أنه لقب بذلك ، لأنه لما ابتدأ فى قراءة الألفية ، قرأ قول ابن مالك :

بالجر والتنوين والنـدا وأل ومسند للاسم تمييز حصـل

قال : حصل الإعراب والتمييز ، وحصلا عنده بالفعل ، مع أنه لم يشتغل بالعلم قبل ذلك ، وكان معاصراً لابن رازك ، المترجم فى أوّل الكتاب ، ولما قال قصيدته الطنانة ، التى هجا بها إيدا بلحسن ، ومطلعها :

أيحسب أن لا يزأرَ الأسَدُ الوردُ ذئاب عوت لما تغافلت الأسد

ومنهـا :

وعقل الذى منهم يشدُّ عمامةً كعقل الذى منهم يشدُّ له المهدُ

و بعثوا إليه قصيدة مطلعها :

سلِ الدِّين والدُّنيا من الأسدالوردُ سوانا وما العلوى سواك وما القرد

قال : هو هذا شعر ابن رازك ، فهجاه بأبيات ، وفرّ خوفاً منه ، وقيل : إنه لم يهجه ، ويقال : إن هذه القصيدة ، ليس لابن رازك إلا مطلعها ، ثم أنه بعد فراره هذا ، اشتاق إلى بلاده ، وقال أبياتاً فى ذلك ، هى :

أصِخْ لِقُبَّرَةٍ نأتْ عَنِ الوطنِ كما نأيتَ ويبكى ساكن الوكنِ

مُغْبَرَّةِ الطوقِ والمنقارِ جُؤجؤها تشُوبُهُ حُمْرَةٌ مُصْفَرَّةُ البدنِ

لمّاشدَتْ خِلْتُ أنى كنتُ أعهدُها بذِى ذوى مائةٍ تشدو على فنَنِ

فلما بلغت ابن رازكه ، كتب إليه بالأمان ، فرجع . وكان هجّاء ، مانجا منه أحد .
ونزل يوماً عند قبيلة أنتاب ، فى موضع يقال له إنجول (بهمزة مكسورة ونون ساكنة وجيم مضمومة بعدها واو ساكنة ولام ساكنة) فلم يسلموا عليه ، ولم يكترثوا به ، فقال :

دهرُ الدهارِيرِ لا أقمتُ فيه لدى أنتاب يوما ولا بقرب إنجول
يومُ الإقامةِ فيهم خلته ظلماً يومَ القيامة إذ يحكيه فى الطول
حتى تذكرتُ أنَّ الناسَ قاطبة إذًا تُسالُ وإنى غيرُ مسئولِ

ونزل عند قبيلة إدَغْماجكْ (بكسر الهمزة وسكون الغين المعجمة وميم بعدها ألف وجيم مكسورة وكاف ساكنة) و يقال لهم : بنوماجك ، فرحل من عندهم غير راض عنهم ، ثم رجع فوجدهم رحلوا ، وقد خلفوا بين دورهم قبراً مدفوناً فيه أحدهم ، فقال :

إذا فقد المفقودُ من آلِ ماجِكٍ فمنْ فقدِهِ فقدان بعض الحسائسِ
فلو فاه مغناهم بذى الدرْسِ عنهمُ لأنبأ عنْ لؤمٍ جديدٍ ودارسِ

وقال أيضاً ، فى إدودای ، بطن من بنى ديمان :

ياربّ ليلٍ بهيمِ أليلِ داجِ قدْ بتُّ فى ضيعةٍ لدى إدَوْداج
حتى إذا مادنى الاصباح نبهنى وغُدّ على لقمةٍ فى قعرِ مَجّاج

قوله : إدَوْداج ، أصله إدوْداى . وهذه لغة لبعض العرب ، يبدلون الياء جيما ، وعليها قوله :

خالى عويفٌ وأبو عَلِجّ المطعمانِ اللحْمَ بالعَشِجّ
و بالغداةِ كُتَلَ البرنجّ ينزع بالود و بالصّيصِجّ

فأبو علج : أصله أبو على ، والعشج : أصله العشى ، والبرنج : أصله البرنى . والصيصج : أصله الصيصى .

﴿ الأحنف المجلسى ﴾ : هذا شاعر مشهور بجودة الشعر ، كان هجّاء مثل الذى قبله ، وكان يخرج فى أثواب خلقة ، وعنده حمار يحمل عليه الملح ، يبدله بالدخن ، ومن هذه حرفته ، لا يعبأ به فى تلك البلاد . ثم إنه استضاف إدا شغر ، إحدى قبائل إدابلحسن ، فلم يكترثوا به ، فقال قصيدته التى صارت لهم كالدامغة ، التى لجرير فى بنى نمير ، ومطلعها :

أهلُ الينيبيع لاتعبأ بمـا فعلوا من دأبهم خلتان اللؤمُ والبُخلُ

﴿ المجدد البوحمدى ﴾ : ثم المجلسى ، شاعر مجيد ، وله صيت مديد ، ومما ينسب إليه :

أفى الحقّ أنى لا تزال قلائصى تروحُ بطاناً مولفات المسـارح
وتمضى منيرات الليالى ولم أبت على كور فتلاء الذراعين لاقح
كأنىَ لم أركبْ بركب مفـازَةً جناد بها معروريات الصفائح
ولم أرد الأسدام وهناً وقد خفت وكاد الدجى يثنى حداد المفـاصح

ويقال إنه اجتمع بأ محمد بن الطالب اليعقوبى المتقدم ، فقال أ محمد :

وغـزال أحمّ فى بيت نعمى ظلّ يُبْدى تبسما عنْ لَئـالِ
كاد يسبى العقول عمـا قليل وقليـل أيامـه والليـالى

فقـال هو :

ما لمن راعه الزمان بين من حبيب سوى الرضى بالقضاءِ
ولـئن راعَكَ الزمان ببـين لبوصـل ظفرت قبـل التنائِ
من خـويدِيجَ بالاضـاء زمانا رضىَ الله عن زمان الاضاءِ

﴿ أحمد البدوى المجلسى ﴾ ثم البوحمدى . هو العـالم الـكبير ، والنسابة الشهير ، وليس هو من المتقدمين ، وما أدرى فى أى تاريخ كان ، وهو الذى

أحيى أنساب العرب بنظمه « عمود النسب » وقد أجاد فيه ، ومن تأمل نظمه ، علم سعة اطلاعه ، واقتداره فى ذلك الفن ، ولا يقدح فيه أنه غلط فى مواضع منه ، فأى إمام ماوقع فى الغلط قط ، خصوصاً من أقدم على مثل ذلك الفن ، لما فيه من الاشتباك والغموض . ولم أقف له على شعر . لكن سلامة نظمه ، تدل على جودة شعره . ومن ذلك قوله فى أول نظم الأنساب :

حمداً لمن رفع صيت العرب ... وخصهم بين الأنام بالنبى
وعمهم انعامه بنسبته ... فدخلوا بينها فى زمرته
ودوّخوا بسيفه غُلْبَ العجم ... إذ هم بنو أب وأم بالحرم
إذ الخيول البلق فى فتوحهم ... والرعب والظفر فى مسوحهم
هم صفوة الأنام من أحبهم ... بحبه أحبهمْ وودهمْ
كذاك من أبغضهم ببغضه ... أبغضهمْ تباً له من معضه
أئمة الدين عماد السنه ... لسانهم لسان أهل الجنه

ونظم أيضاً غزوات النبى صلى الله عليه وسلم نظماً جيداً ، يدل على تبحره فى السيرة وأوله :

حمداً لمن أرسلَ خير مرسلِ ... لخيرِ أمةٍ بخيرِ المِلِلِ
وأفضلُ الصلاةِ والسلامِ ... على لبابِ صفوةِ الأنام
وآله أفنان دوحة الشرفْ ... وصحبهِ وتابعى نعم السَّلَفْ
ماأرهفتْ وأرعفتْ يراعهْ ... فى مُهرَقٍ ينابِعُ البراعهْ
وجَلجلَ الرعدُ وسَحَّ مُزْنُهُ ... وهَبَّ شمألٌ وماسَ غُصْنُهْ
وبعدُ فالعلمُ أهمُ ماالهِمِمْ ... تنافَسَتْ فيهِ وَخَيرُ مُغتَنَمْ
وخيرُهُ والعلمُ تسمو رُتبتُهْ ... مِن فضلِ مادلَّ عليهِ سِيرَتُهْ
فهاكَ منها نُبذَةً ليستْ تُمِلْ ... ولم تكنْ بمعظمِ القصْدِ تُخِلْ
أرجوزةً على عيونِ الأثرِ ... جُلُّ أعتمادى نظمها فى السيرِ

وشذّ ماأجترأت فى ذا الهدفِ إذْ لم أكُنْ أهلاً لصوغ النُّتَفِ

وانظر إلى حسن نظمه ، حيث يقول فى غزوة الخندق :

ثُمَّتَ لما أجليتْ يهودُ وأوغرتْ صدورها الحقُودُ
وحزبتْ عساكرا عناجُها إلى ابن حربٍ وقريش تاجُها
وجعلوا كى يتروا خيرَ الورى لغطفانَ نصفَ تمرِ خيبرَا
خندقَ خير مرسل بأمر سلمان والحروب ذات مكر

وكان الأحسن أن يقول : باشارة سلمان ، لكن ألجأته القافية إلى ذلك ، وإلى قوله فى غزوة حنين :

ثمَّ إلى وادي حنين انحدرْ عن مكةمن الألوفِ اثنا عَشرْ
فوجدوا هوازناً تأهبُوا بكلِّ مِخذَمٍ لهم وألبّوا
وبينما الجيش إليهم ينحدرْ بِغَلسٍ شدُّوا إليهِ وهو غِرْ
فاستنفرت بهم لذلك الركابْ وأدبرتْ تخدى بهم غُلْبُ الرقابْ
وأستنزلوا وأدّرَعُوا وهىَ تمُرْ مَرَّ سَحَابٍ بالبهاليلِ نفُرْ
فاقتحموا عنها وآبوا للنبيّ وزحزحوا عنه زحوفَ العربِ

﴿ حماد المجلسى ﴾ : ثم البوحمدى . هو العالم المتفنن ، واللغوى المتقن ، وما وقفت على اسم والده ، بل اشتهر بفضله . وهو ابن أخت الذى قبله ، وشرح نظميه ، اللذين تقدما بعضهم فى مجلدين . وقد أجاد فى شرحه ، إلا أنه وقعت له أغلاط كثيرة ، خصوصاً فى شرح الأنساب ، وذلك لا يضر ، وأى عالم لم يقع له مثل ذلك . ورأيته ذكر فى شرح عمود النسب ، جداً له اسمه : محمد . قال فى كلامه على عمرو بن العاص ، وألغز عبد الله بن القاضى العلوى الزاوى القبلة فى عمرو وابنه عبد الله ، فقال :

أتينـاك نَوْكى مُرْملين فواسنا عن أسلام صحبى على يد تابعى

وسبق أب ميلاده مولد ابنه بخمس وست ما عززن بسابع

فأجابه جدنا محمد رحمه الله ، فقال :

هما عمرو السهمى أسلم مخلصاً بأصحمةَ المَلْكِ النجاشى المتابع

مع ابنهِ عبـــد الله قد جاء قبله بخمس وست ما عززن بسابع

قوله : على يد تابع ، فيه نظر ، لأن التابعى خاص بمن جاء بعد الصحابة . وأما من كان فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم ، ولم يره . فإنما يقال له : مخضرم ، كالنجاشى ، وأمثاله . اهـ .

وصاحب اللغز ، هو ابن دارك ، أول من ترجم فى هذا الكتاب . وما وقفت له على شعر يذكر ، سوى أرجوزة ، يوصى بها ابنه وهى :

بُنَىَّ إنَّ الـــبرَّ شىء هيّنُ دُونَكَ منـــهُ ذا الذى أبيّنُ

نصيحـــــةً مِنْ وَالدٍ حَفِىٍّ بكَ هُدِيتَ الرُّشْدَ مِنْ بُنَيّ

شمّر إلى مكارِمِ الأخلاقِ وخلّصِ الأعمالَ مِنْ نِفَاق

الأدَبَ الادبَ ثمَّ الأدبا وَهُـــوَ أنْ تَبُرَّ أمًّا وَأبا

وَالعَمَّ وَالعَمّةَ والأخ الـكبيرْ والشيخَ إنَّ الشيخ بالبرِّ جديرْ

وكلٌّ من سما عَليكَ تُكْرِمُهْ وكلٌّ من صَغُرَ عنكَ تَرْحَمُهْ

أمَا رَوَيتَ قِدْماً أوْ حـديثاً ولا تزالُ أمّتى الحـــديثا[1]

والخالُ فيه لكَ من كفايَهْ آويْ إليـــهِ أبَوَيْهِ الآيه[2]

هوَ الذى منهُ تنـــالُ المَفْخَرَا قال الزبيرُ من أراد الأثرا[3]

---

(١) يشير إلى قول النبى صلى الله عليه وسلم : « لا تزال أمتى بخير ، ما دام صغيرها يوقر كبيرها ، وكبيرها يرحم صغيرها »

(٢) يشير إلى قوله تعالى : « ورفع أبويه على العرش » فإنه تعالى أخبر عن الخؤولة بالأبوة لأن يعقوب عليه السلام ، كانت تحته خالة يوسف عليه السلام ، فإن أمه راحيل ماتت وهو صغير.

(٣) الزبير : هو ابن العوام ، حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يشير إلى قوله ، مقدمه من إفريقية لابنه عبد الله « من أراد أن يتزوج امرأة ، فلينظر إلى أبيها أو أخيها ، فإنها تأتيه بأحدهما » . والأثر قول الصحابى .

ولا تكنْ على الموَالى فاحِشا وأحْذرْ على الحقيرِ أن تُناقِشا
وإن إلى النادى أنتدبْتَ فاستكِنْ عنِ الخنا أصَمَّ للخيرِ فطِنْ
وإنْ يخوضوا فى الهدىٰ فانتبِهَنْ ولا تصاخِبَنْ ولا تُقهقِهنْ
والصَّبرَ فالصبرُ مريرُ المزدرَدْ مُذْمنه حَرِ بنيلِ ماقصدْ(١)
أخْلِقْ بذِى الصَّبرِ رواهُ وأرتضى رُمْتُ المعالى فأمْتَنعْنَ للرِّضى(٢)
وإنْ أسا أوأحسنَ أبن العمّ فأنشد له إذ أحسن ابنُ العمّ(٣)
بالشىء جُدْ على العشيرِ عفًّا عَنْ شيئهمْ وعنْ أذاهم كُفًّا
لستُ لقَوْمى للزبيدىّ أنْشُدِ ثم إلى الحِلم أزْدَلفِ لِترْشُدُ(٤)
فالحلمُ خيرُ ماأرْتداهُ السَّيدُ لنْ يُدْرِكَ المجدَ لذاك يشهدُ(٥)
فأزْدَنْ به والعلمُ زينُ الظُّرَفا فالعِلمُ نعمَ المقتنى والمقتفىٰ
طَلَبَهُ فريضةٌ وأفرَضُهْ عِلمُ مُهِمّكَ به أبدأ تَقْبِضُهْ
فقُوتُهُ الفقهُ وَمِلْحُهُ الذى يُصلِحُهُ النحوُ جَهُولَهُ أنبِذِ

---

(١) يشير إلى قول الحماسى :
أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

(٢) الرضى : هو الشريف الرضى نقيب الأشراف ، الذى اشتهر فضله ، يشير إلى قوله :
رمت المعالى فامتنعن ولم يزل أبداً يمانع عاشقاً ومشوق
فصبرت حتى نلتهنّ ولم أقلْ ضجراً دواء الفارك التطليق

(٣) يشير إلى قول الشاعر :
إذا أحسن ابن العم بعد إساءةٍ فلست لِشرّى فعله بحمول

(٤) يشير إلى قوله :
ولست لقومى بعيابة وشر القبيلة من عابها
أعفُّ وأبذلُ مالى لها ولا أتعلم ألقابها

(٥) يشير إلى قول الشاعر :
لن يدرك المجد أقوام وإن كرموا حتى يذلوا وإن عزوا لأقوام
أو يشتموا فترى الأعناق خاضعة لاصفح ذل ولكن صفح إكرام

وأسُّهُ إدامُـــهُ تحقيقُهُ سَيرَةُ خـيرٍ واجبٍ تصديقُهُ
لهُ تغرَّبْ وتواضَـعْ وأتبـعْ وهُنْ وجُعْ وأعصِ هواكَ واترعْ
حتى تُرىٰ حالُكَ حالَ المنشدِ لوَ أنَّ سَلْمىٰ أبصرَتْ تخدُّدِ
وَدِقَّةً فى عَظمِ ساقى ويدى وبُعدَ أهلى وجَفاء عُوَّدى
عضَّتْ من الوجدِ أناملَ اليدَ

واقصدْ بهِ وجْهَ الذى أنشاكا ولا تُمار فيـه مَنْ ناوَاكا
للضيفِ هَيىء منزِلا رَحيبـا ولاقِينْهُ البشرَ والترْحيبـا
عَنهُ أكتمِ الأسرارَ والمصائبْ وأزجُرْ أهاليكَ عنِ التَّصاخُبْ
إلى أرتحـالهِ وَشيعْ زَوِّدِ بما تيسَّرَ وفى السُّؤرِ أزْهُدِ
وأخْدِمْهُ نفسَكَ رُوِّىَ أنَّ الخليلْ أوْحى بذا إليه رَبُّهُ الجليلْ(١)
وأجْمِلْ إذا أرَدْتَ أنْ تَموَّلا إجمالَ مَنْ تَجمُّلاً تَجمَّلاَ
وإنْ أبتْ عَنكَ فأنْتَ الأعلىٰ ليهنْكَ الإبا وهىَ النزْليْ
قَوْلُ الزمخشرِ وَمُذْ أفلَحَ لا تَعدِلْ بهِ فهوَ يُضاهى المَثَـلاْ(٢)
أوْ ساعَدَتْكَ فاقْتصدْ فى المالِ وَحِدْ عَنِ الشُّبَهِ لِلحَلالِ
وأصْرِفهُ فى حُقوقهِ مُمْتَثِلاَ لِقَوْلِهِ سُبحانهُ وَلا ولا(٣)
قبلَ السؤالِ أعْطِ لمن أتاكا وإن يكنْ عَجِلَ فاستعطاكا
فهلْ جوابُ هاتِ غيرُ هاكَ

---

(١) روى أن ابراهيم عليه السلام أوحى الله إليه : أكرم ضيفك ، فبالغ فى الإكرام ، ثم أوحى الله إليه ، أن أكرم ضيفك ، فأعد لكل ضيف شاة . ثم أوحى الله إليه : أن أكرم ضيفك ، فعلم أنه لا يريد القرى فخدم ضيفه ، وأوحى الله إليه : الآن أكرمت ضيفك يا ابراهيم .

(٢) قوله : قول الزمخشرى : مذ أفلح ، يشير إلى قوله :

ومذ أفلح الجهال أيقنت أننى أنا الميم والأيام أفلح أعلم
وأخرنى دهرى وقدم معشراً على أنهم لا يعلمون وأعلم

وقوله : فهو يضاهى المثلا ، يعنى : أنه حق ، كما أن المثل لا يكون كذبا .

(٣) يشير إلى قوله تعالى « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط » .

وله نظم فى أسماء من هاجر إلى الحبشة من الصحابه ومنه فى بنى سهم :

هم مَعْمَرٌ وحارث سعيدُ وبشرهم والسائبُ الشهيد
كذا أبو قيسٍ كذا سعيدُ أخ لهم من أمهم شهيدُ

﴿ مولود بن أغشممت ﴾ : المجلسى ، وليس أغشممت أسم والده ، وإنما هو لقب اشتهر به . وكان أبوه عالما ، وعلمهُ عند الناس ، أمرابط اغشممت ، واغشممت أسم منهل كان يألفه كثيراً ، فغلب عليه وبه عرف ، حتى أن اسمه قل من يعرفه . كان مولود عالما جليلا وفقيهاً نبيلا ، وكان ديناً كثير الطهارة ، وكانت أهل ناحيته التى يقيم بها ، أكثر أهل الصحراء تيمماً ، فنظم نظماً أثر فيهم ، وصار كثير منهم يتوضأ ، ومن ذلك النظم :

هذا وقد شاع بأقصى المغرب هجر الوضوء لا لخوف العطب

ولست أحفظه ، وكان يشرب الدخان كثيراً على علمه وصلاحه ، وله من قصيدة يستسقى بها :

أيا من تعالى أن يكون له شرك ومن جائز فى حقه الفعل والترك

إلى أن يقـــــول :

إليك شكونا مادهانا فأشكنا فما إن لنا مشك سواك له نشكوا
وأنزل علينا الماء ماء مباركا كدرّ ترامى عند ما انقطع السلك
فتحيا الزروعُ والضروعُ ويستوى لذى حاله وسع ومن حاله ضنك[1]

وله نظم كفر فيه من لايعرف أبنية الكعبة ، لأنها عنده مما علم من الدين ضرورة ، ولايخفى على أحد أن هذا من التشديد المستغنى عنه ، لأن أكثر العلماء لايعرفها ، فضلاً عن العوام ، ولأن النبى صلى الله عليه وسلم ، لم يفارق الدنيا حتى

(١) لذى بالتخفيف : لغة فى الذى بالتشديد .

أكمل الله به الدين ، و بين للناس ما يجب عليهم ، وما يحرم . ولم يعهد إليهم بوجوب معرفة أبنية الكعبة . ومنه :

هذا وجهل رما من الدين علم ضرورة كفر وذا نظم مهمْ
أبياته قليلةٌ إذا تُلِي لكنها ضأنٌ كما فى المثل[1]
أبنية الكعبةِ فيما شهِرَهْ حَمَّادُ سَبْعة وقيلَ عَشرَهْ
أوَّلُها الأملاك ثمَّ آدمُ ثمَّ الخليلُ فابْنُهُ فَجُرْهُم
ثم قريش بعدهمْ نجل الزبير عبدُ الإله ثم حجاج المُبِيرْ
و بعد ما من الجنان نزلا آدمُ واشتاق إليها أنزلا
رَبُّ الورىٰ الحجرَ الأسود له يؤنسهُ لمّا أعتراهُ الوَلَهُ

هذا ما تذكرت منه الآن . ومن نظمه :

حدثنا محمد بن أبتِ قال خرَجْنا مَغربا من جَدَّةِ
على جمالٍ وانياتِ الأرجل تمشى كمشى الجمل المنسْفَل[2]
حتى إذا ما تمت المنازلُ فحبسوا مطيهم ونزلوا
حتى إذ ما طلع الذَّكاء فطفقوا يمشون ثم جاؤا
مكة بيتَ الله الاصفرَارَا طوبى لمن طاف به وزارا

ومن أعجب ما سمعته يقول : أنه ضلت له أباعر ، فسار يطلبها ، فبعد أن تعب وكاد ييأس ، مرَّ على بلال الولى ، وهو رجل صالح ، كان مملوكا ، فظهرت عليه أشياء تدل على صلاحه ، فأعتقه سيده ، قال : فأنخت عنده ، فأخرج إلىَّ صرة

---

(١) هذا مثل يضربونه للقليل الجيد ، ولفظه عند العامة : آكَلَيِّل ، غير أنعاج إكليل ، (بهمزة مكسورة وكاف معقودة ساكنة ، ولام مفتوحة ، ومثناة تحتية مشددة مكسورة ، ولام ساكنة) : تصغير قليل بالتصغير العامى .

(٢) المنسفل : المقيد وهى عامية .

من تبغ ، وسألته أن يدعو لى بتيسير وجدان الأباعر . قال : فأنشدنى بيتين للولى الصالح أحمد بن العاقل الديمانى ، يهجو بهما قبيلة من الزوايا . يقال لهم : الطَّلاَبين . وقال لى : كررهما حتى تجد أباعرك قال : فلما خرجت من عنده ، ترددت فى امتثال ما أمرنى به ، لأن هذا فى هجاء المسلمين ، ثم قلت : لأجر بنّ ، فبينا أنا أسير فى الظلام أنشدهما ، إذ نفرت منى أباعر ، فإذا هى أباعرى . وضاع من حفظى أوّل البيتين ، وثانيهما هو :

لا يوجد الخير فى أرض يرون بها ما إنّ أصلهم حر العزازين

وكان حياً ، بعد العشر من القرن الرابع عشر ، رحمه الله .

﴿ محمد عثمان ﴾ : ابن أغشممت المجلسى كان أخوه المتقدم ، يبالغ فى الثناء عليه ، وما رويت له إلا أبياتاً ، قالها لما تقدم فاس ، ملغزاً لأهل مدارسها . وهى :

إلى مدارسِ فاسَ الغرّ أسئلةٌ عيالِمِ أهلِ الحفْظِ والمَلَكه
عن حاضِرٍ قَسْمَ متروكٍ لوَلِدِهِ صار البكاء لهُ حَظًّا من التركه[1]
وما بهِ مانعٌ فى القسم يمنعهُ وحاز ألا بعد عنه كلما تركه
وعَنْ طوامِثَ لا يُمنَعْنَ أوْ جُنُبٍ من مسجِدٍوفروعِ الفقهِ مشْتَبكه[2]
واسم فى ألافرادوالتذكيرِ تذكرُهُ وفرْعَ ذين بِنَوْعٍ واحدٍ سلكه[3]
أريدُ منكم جوابا رائقاً حسناً نَظماً وإلا فما أعطتكُم الشبكه

﴿ سيدى أحمد بن الصبار ﴾ : المجلسى . عالم موصوف بالأدب ، وقد

---

(١) يعنى أن العمرى ، ترجع إلى من عمرها ، لا على أهل العمر عليه .

(٢) يعنى أن نساء أهل البيت ، يدخلن المسجد وهن حيض ، وكذلك أهل البيت يدخلون المسجد متلبسين بالجنابة ، ذكوراً وإناثا .

(٣) يعنى أن المصدر لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث . تقول : رجل جنب ، وامرأة جنب ، ونساء جنب .

رأيته ، ومن شعره قوله :

لئنْ طالَ ليلى وصبرى وهَنْ بحَيِّيْ إدَوْدَنْ وإيدَ كْبهَنْ[1]
لقدْ مرَّ دهرٌ بإنْياشَوَنْ تَمُرُّ الليالى كأنْ لازَمَنْ

ولـه :

فائدةٌ أفادَهـا المفيـدُ حُقَّ لهـا بالذهبِ التقْييدُ
وهى ما فى الطبقات رُويا مِن أنَّ بعْضَ الشرفاءِ الأوليا
قال رأيْتُ المصطفى من بعدِ ما قدْ قلتُ يَوْماً مَرَّةً ما نَظما
من راقَهُ البشيرُ والنذيرُ وهوَ هذا الرجزُ الشهيرُ
محمـد بشرٌ لا كالبَشرِ بلْ هوَ كالياقوتِ بين الحجرِ
قال لهُ قدْ غفرَ اللهُ لـكا وكلُّ مَنْ قدْ قالها فمثلـكا
ولم يزلْ هذا الشريف يكثِرُ مِنْ ذكرها بُشْرَىْ بها فبشروا

وكان بعد العشر من القرن الرابع عشر .

* * *

﴿ لِحْرَاكاتْ ﴾

هؤلاء قبيلة اشتهروا بنظم الـكلام العامى ، ويقال لذلك النظم لغن كما تقدم، والناس يقولون : إن أصلهم قيون ، على أن هذا ليس نسباً يرجع إليه عند أهل الشرق ، وهم محقون فى ذلك ، بل هو من باب الحرف ، والصنائع التى تجب على الـكفاية ، وهذا شىء انفرد به أهل صحراء المغرب ، وهو خطأ محض ، إذا أرادوا أن يضعوا من قدر شخص . قالوا : هوا معلم ، وهذا بعينه مدح فى مراكش ، وفاس . فإنى رأيت بعض أشياخ الطرق ، يشتغل بصناعة الحديد ، وكذلك لا فرق

(١) بطنان : من قبيلة إدَ كْففَ .

عند المشارقة بين صانع الحديد و بائع القمح ، ومن يبيع الخيل أو القماش ، أو يخيط الثياب أو غير ذلك ، بل المذموم عندهم ، أن يكون الشخص لا حرفة له تغنيه عن الناس ، وكان الوليد بن المغيرة القرشى المشهور حداداً ، ولم تذمه قريش بذلك ، بل هو المراد بقولهم المحكى فى القرآن ، « وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » والثانى عروة بن مسعود الثقفى ، والقريتان مكة والمدينة ، ولعل أهل الصحراء أخذوا ذلك من هجو جرير للفرزدق ، فإنه كان يعيره بأن جده كان حداداً . فمنهم :

﴿ باباه الأحراكى ﴾ : كان شاعراً مجيداً ، وله قصيدة حسنة مطلعها :

إنَّ ربعا بجانب البَصّارا هاج للعَيْن لوعة وادكارا

ولا أحفظ منها غيره :

﴿ امحمد بن هَدَّارْ ﴾ : اشتهر بالغناء ، وكان صديقاً لأمحمد ابن الطلب المتقدم ، ومما ينسب إليه :

لعمرى وفى ترك النساءِ مزيَّةٌ ومنْ يتَّبعْ أهْوَاءهُ يُمسِ نادِما

لهمت بحدادية منذُ أزْمُنٍ وقدعلمتْ أنى بها صرت هائما

ولم أر فيها خيرَ ذلك مرة فلا خيرَ فى الحدَّادِ لو كان عالما[1]

* * *

(١) هذا مثل عامى عندهم .

هذا باب جعلنـاه للأفراد

وهم من لم نرو لأكثر من واحـد من قبيلته

﴿ الشيخ سيدي المختار ﴾ : بن أبى بكر الكنتى . وقفت على سلسلة نسبه متصلة بعقبة بن نافع الفهرى الصحابى ، الذى فتح بلاد المغرب ، وهذا يعارضه مائبت عند النسابين ، فى أرض الصحراء ، من أن كنت من بنى أمية . لكن يمكن الجمع بينهما ، بأن الشيخ من كنت ، بطريق الموالاة لا من طريق النسب ، كما يوجد فى كثير من الناس . كان الشيخ المذكور ، من أفراد عصره علماً وصلاحاً ولم نر أحداً يطعن فى ولايته ، وما تقدم من أن ابن بون كان ينكر عليه ، يجاب عنه بأنه رجع عن ذلك كما تقدم ، على أنه لا يوجد ولىّ إلا وله من ينكر عليه من العلماء ، ويكفيه أن الشيخ سيدى المتقدم ، حسنة من حسناته ، روى أنه قال جئته وقد انتهيت من تحصيل العلوم ، فردنى مبتدئاً .

ومن نظر فى كتبه ، تبين له فضـله ، سواء كانت فى الحقائق أو غيرها ، ويكفيه أن ابن الحـاج إبراهيم المتقدم ، كان يعتقده ويثنى عليه . أما كراماته ، فليس هذا موضع ذكرها ، وما رأيت من شعره إلا قصيدة ، بقى فى ذهنى منها مايتعلق ببيت قبله ، وقد ضاع من ذهنى ، وهو :

من فتنـة غَشَتْ بظلمائهـا أضحى بها العـالم كالجاهل
وضلّ فيهـا المرء عن رشـده زيغاً عن الحق إلى البـاطل
فاجعـل لنـا ياربنـا مخرجا من هولهـا المقتحم الهـائل

وهى طويلة ، وكان حياً فى أوائل القرن الثالث عشر .

﴿ عبد الله ﴾ : بن سيدى محمود بن المختـار بن عبد الله بن أبجَ الحاجى . كان والد عبد الله المذكور ، من أهل الصلاح والفضل ، وكانت الناس تعتقد فيه

وكانت بين قبيلته وقبيلة كنت ، خصومة قديمة ، فلما وقعت الحرب بين إدولحاج ـ وهم إذ ذاك مقيمون بمدينتهم المعروفة بوادان ـ و بين العلويين المقيمين بمدينة شنقيط ، انتصرت لهم كنت ، فانتصفوا بعد فشلهم ، فصارت كنت ترى لها منة عظيمة على إدولحاج ، وأفرطوا فى الدالة ، حتى صاروا يقتلونهم وتذهب دماؤهم هدراً . وكان سيدى محمود هو رئيس قومه ، ولا تطلب منه قبيلة كنت طلباً إلا فعله كائناً ما كان ، حتى إنهم كانوا يقتلون القتيل من قومه ، فيترجى منهم العفو ، وحتى أخذوا سلاح قومه كله ، وكان إذا أناخ عندهم يطلب الأمان لقومه يقولون : صوت نويقة سيدى محمود .

فلما نشأ عبد الله ، غاظه أمرهم ، وصار يفكر فى حربهم ، وكانت لكنت شوكة عظيمة . فاشتغل فى أوّل أمره بالعلم ، وانكبّ عليه ، وكان لاينام لشدة جده واجتهده ، فكان كما قال الشاعر :

أعاذلتى على إتعاب نفسى ورعيى فى الدجى روض السهاد
إذا شام الفتى برق المعالى فأهونُ فائتٍ طيبُ الرقاد

وروى أن إنساناً كلمه فى ذلك ، فقال له : أنا أفكر فى ثلاث مسائل ، لايمكننى أن أنام قبل أن أنالها ، وهى أن أحج ، ثم أتزوج بنت محمد بن محمد شين رئيس أهل تكانت ، ثم أحارب كنت . وقد نال هذه الثلاث . ولما توجه إلى الحج مر على الوليّ الصالح ، الشيخ سيدى المختار الكنتى المتقدم ، وكان أبوه أوصاه أن لايصير تلميذاً له ، من شدة موجدته على كنت ، فلما قرب منه ، قال : لأمتحننه بثلاث مسائل . فإن فعلها من تلقاء نفسه ، صدّقت مايحكى عنه أوّلا : أن يأخذ هذا الجمل ويقيده مع جماله ، فإنى نويت أن أهديه إليه . ثانياً : أن يأتينى بدواء من امرأته فلانة ، ونسيت الثالثة . فلما أناخ عنده ، قال لأحد تلامذته خذ ذلك الجمل ، وقيده مع جمالنا ، ثم أتاه بالدواء الذى أضمر فى نفسه ، وقال له : هذا من عند فلانة ، ثم فعل الثالثة على وفق ما أضمر ، فسلم له ، ولم يتلذذ له لأجل

وصاة أبيه ، ثم توجه إلى الحج ، فحج وزار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال :

ما كنتَ مذْ زمن ترجوهُ هٰذَاوْهْ ... هذا شفيعُ الورى بُشرى هٰذاوْهْ[1]
هذا العتيقُ وذا أبو الفتوح وذى ... أهـلُ البقيع أحبَّاهُ وأبنـاوْهْ
فسلْ بهِ وبهمْ ما كنتَ تطلبُهُ ... هناك تُقْضى لدى الخوْجاءِ حَوْجاوْهْ
حاشاهُ أن يستغيثَ المستغيثُ به ... وتستطيل عليه الدهرَ أعداوْهْ

ومما قال ، وهو بالمدينة المنوَّرة :

ياسيدَ الناسِ ٱبنَ عبد المطلبْ ... وخيرَ مَدْعُوٍّ وخيرَ مُنتدبْ
إليك جُبْنا كلَّ غوْرٍ وحَدَبْ ... وكلَّ هوْلٍ يشتكى وَيُرْتَهَبْ
وليس ياسيدنا ليس الأرَبْ ... منـا لديكَ فِضـةٌ ولا ذهبْ
وإنمـا أرَبنـا كشف الحجبْ ... وحفظُ ٱلايمان لنا من السَّـلَبْ

ولما رجع إلى بلاده قال :

بان الرسولُ وبانتْ عنكَ طيْبَتُهُ ... إنّ الأحبةَ والأوْطانَ أعـداء

ومن شعره أيضـــاً :

حَبذا أربعٌ لدى أتفيتنـــاتِ ... بعـد لأى عرفتها مقفـرات
ظلتُ أذرو الدموعَ فيها وقلتْ ... لربوع عرفتهـا عـــبرَاتِي
وخشِيتُ احـــتراق ٱلاربع لولا ... دِيمُ الدمع من لظى زفرَاتى
فعـــلى الأربع المحيلةِ مِنى ... وعلى الحى أطيبُ التحيـاتِ

وقال أيضـــاً :

قدْ توالتْ زفـــراتى وٱسْبَـطَرَّتْ عَـــبرَاتى
حـــين أبصرْتُ ربوعا بتـــلاع اتفيتنـــاتِ
وتذكرْتُ سمـــيراً عِنـــد تلكَ السُّمُراتِ

---

(١) هذاوه : إشارة إلى المذكر ، ونظيره قول الشاعر :
هذاوه الدفتر خـير دفتر ... فى كف قوم ماجد مصور

ولما رجع من الحج ، أقبلت عليه الناس ، واعتقدت فيه ، وصار يعاكس كنت ، ولا يقبل لهم ضيما ، وكان يحرض الناس على التألب عليهم ، ويبدى مساويهم نظماً ونثراً ، ومن ذلك قوله :

ألا ياعبـاد الله هـلاَّ تلوتموا ودَبَّرْتموا قولَ الإله فإن بغتْ
وقاتلتموا كنت البغـاة فإنهمْ بقية أحلاف اليزيد التى طغتْ

ومن ذلك قوله :

كان لنـا مخاطبٍ قد أسْنِدَا كان لِجُلِّ الناسِ جُلهمْ مُدَى
قد نسخوا السنة بعـد أحمـدا كنسخها الخـبر بعد المبتدا

ولما انتصر على كنت فى وقائع عديدة ، أقبلت عليه قبائل اللحمة ، التى كانت تظلمها كنت وإدوعيش ، فصار لهم كهفاً ، وهم له جند ، وكذلك التياب ، ويقال لهم : المهاجريون . على اصطلاح الناس فى غير القبلة ، وهؤلاء قوم كانوا من حسان ، فتخلقوا بأخلاق الزوايا ، وصاروا يشتغلون بالعلم وتنمية المال ، وحسان يظلمونهم لرغبتهم عنهم ، والناس ينحلون عبد الله المذكور ، كلما وجدوا فيه حماسة من الشعر ، سواء كان قديماً ، أو حديثاً . ولما أفرط فى قتال كنت . ذكّره إنسان صنيع كنت مع قومه ، فى حرب أهل شقفيط ، فقال له :

ظفرنا بحمـد الله بالله لا كنتا فمن كُنْتَ لا كانوا ومن أنت لا كنتا
فإن كنت كنتياً كبت بكبتهم وإن لم تـكنْ منهم أراك إذا متا

قالوا : ولما أنشد البيتين ، وقع ذلك الشخص ميتاً من غير سبب . والله أعلم بصحة ذلك . ولا يخفى أن عجز البيت الثانى ، ضعيف بالنسبة إلى صدره ، وإلى ماقبله .

وقال يتوسل بالعـالم الناسك ، محمذ فال بن متالى التندغى . الذى تقدمت ترجمته :

أمَخْتُ نضو همومى أشتكى حالى إلى الوليّ التـقى محمّذ فالِ

باللهِ عَفْوَ لوجهِ اللهِ وجهك لى جِنحَ الدياجى لحاجى يابن متّالى

وقال أيضاً ، يهجو إدا بْلِحْسَنْ :

قِرا كُم الضيفَ وهناً يابنى الحسَنِ بالمذقِ فى الحصبِ فعلٌ ليس بالحسَن

وليستِ السُّنةُ الغرّاء تأمرُ كمُ بجعل ماء الأضا للضيف فى اللبن

ومما ينسب إليه :

كان يصبو إلى الحسان الكعاب كل آبٍ عن الخنـــا وابن آب

شامخُ الأنف ضامرُ الكشح قَرمٌ وعليهِ الوقارُ صَعْبُ الجنابِ

فغدَتْ للرعانفِ اليومَ نَهْباً فرأيتُ الصوابَ ترك التصابِ

إنّ ظبياً عزّ الأسودَ أصْطِياداً لم تصده مجلّحات الذئابِ

وكان ـ رحمه الله ـ حياً فى صدر القرن الثالث عشر .

﴿ الشيخ ماء العينين ﴾ : هذا علم اشتهر به ، واسمه مصطفى بن الشيخ محمد فاضل بن مأمَيْنْ . هو العلامة الوحيد ، له معرفة بعلوم الشرائع من الحديث ، والتفسير والفقه ، وغير ذلك .

وما جاء بعد الشيخ سيدى مثله ، فى إقبال الناس عليه وانفاقه . حج فى أيام السلطان مولاى عبد الرحمن ـ رحمه الله ـ وتردد على السلطان مولاى سيدى محمد . وكان حظه فى أيام السلطان مولاى الحسن ، أحسن منه فى أيام أبيه وجده ، وهو فى أيام مولاى عبد العزيز ، أحسن من أيام مولاى الحسن ، وصارت له فى مراكش أملاك طائلة ، من زوايا ، ودور ، وبساتين ، ومزارع ، وكان هذا الشيخ فاضلاً كريماً ، لايوجد أحسن منه أخلاقاً ، وقد اجتمعت به حين خروجى من مدينة شنقيط إلى مراكش ، فى توجهى إلى الحجاز . ورأيت منه ماحيرنى ، لأنى أقدّر من منه فى وادى اسمار من الساقية الحمراء ، بعشرة آلاف

شخص ، ما بين أرملة ومزمن ، وصحيح البنية ، وكل أصناف الناس ، وكل هؤلاء في أرغد عيشة ، كاسياً من ذلك الشيخ ، ويزوّج الشخص ويدفع المهر من عنده ، ويجهز المرأة من عنده ، مع حسن معاشرته لهم ، لافرق عنده بين ولده والمحسوب عليه ، ولايمضي عليه يوم ، إلا وقد بعث قافلة تأتيه بالميرة ، وقدمت إليه أخرى تحملها ، ومتى بلغ الإنسان قريباً منه ، يسمع دوى مريديه يذكرون الله ، وينشدون الأدعية ، ورأيته في تلك الأيام التي أقمت عنده ، لاتفوته صلاة الجماعة في أول الوقت ، مع كبر سنه ، وضعف جسمه ، وبعد صلاة العصر ، يسردون له الحديث ، وهو يسمع ، ثم يشرح لهم بعض المواضع منه ، وكان الموضع الذي هو فيه صعباً ، بعيداً من الأماكن التي تجلب منها الأرزاق ، إلا أنه نفعه مرسى لُبَيْظَ ، إذ كان السلطان يملأ له البابور في كل أربعة أشهر ، أو ستة ، فينزله بها ، وهي تبعد عن محله بأربعة أيام ، أو نحوها ، ولكن معظم المؤنة ، يأتيه من أكليميم وهو نحو عشرة أيام ، ومن لخنيكات ، ومسافتها اثنا عشر يوماً ، ومن آدرار ، وهو قريب من العشرين ، ومن سانكال . ويقال له : اندر . وهو قريب من شهر ، وكثيراً ماتعدو عليه شياطين العرب ، فينتهبون قوافله من جهة سوس وغيرها . وإنما كان الشيخ سيدى ، أشد احتراماً عند حسان منه ، لأن العرب الذين يحوطون بالشيخ سيدى ، لهم رؤساء يطيعونهم ، وهم أحسن ديناً وأخلاقاً من الذين في أرض الشيخ ماء العينين . ولم يزل نافذ الكلمة في المغرب . إلى أن وقعت الفتن ، وازدادت الشرور .

ولما أراد الفرنسيون احتلال شنقيط وصحراءه ، أرسل إليهم الشيخ ماء العينين ، يحضهم على الدفاع ، ويمنيهم بمساعدة السلطان لهم ، وكانوا يعتقدون أن السلطان أقوى من الفرنسويين ، فبعض القبائل سالمهم ، وبعضهم جعل يقطع عليهم الطريق ، ويحاربهم من بعيد بالهجوم ليلاً ونحو ذلك . ثم إن الشيخ بعث إليهم أحد أشراف فاس ، وأخبرهم بأنه هو خليفة السلطان عليهم ، فقدموا إليه من كل

الجهات ، وكان ذلك الشريف حازماً مدبراً ، فوقعت بينه أيام مع الفرنسويين ، انتصر فى بعضها ، وخذل فى بعض ، فلولا قلة الفرنسويين ، وكثرة الصحارى والجبال لقهروهم فى أوّل وهلة ، ولولا رداءة سلاح أهل الصحراء ، وعدم انتظامهم فى أنفسهم ، لدافعوهم سنين كثيرة ، على أنهم مادخلوا أدرار ، منذدخلوا تيجنيك ، إلا بعد سنين ، وهما كالشيء الواحد ، ولولا مايعدهم الشيخ ماء العينين به من إيجاد السلطان ، لسلموا لهم أيضاً ، فطال الروغان ، فلما علم الشريف بعدم الفائدة ، رجع إلى فاس . لأن العرب لما طال عليهم الأمر ، فنيت مواشيهم ، وكابدوا كثيراً من الشدائد ، فصاروا يهربون إلى افرانس ويصالحونهم . ثم بقيت تلاميذ الشيخ ماء العينين، وما انضم إليهم من شذاذ الناس وصعاليكهم ، يقاومون الفرنسويين ، حتى احتلوا مدن آدرار ، فتركوا محاربتهم ، ولجأ الشيخ إلى تيزنيت، من أرض سوس . وتوفى ـ رحمه الله ـ سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة وألف .

﴿ مبايعته للسلطان مولاى الحفيظ ﴾

قدم الشيخ ماء العينين من الساقية الحمراء ، فى جموع كثيرة . ليأخذ لهم المؤونة والسلاح ، من السلطان مولاى عبد العزيز ، وكان إذ ذاك برباط الفتح . فلما وصل إلى نواحى مراكش ، بلغه أن أهله بايعوا مولاى الحفيظ ، وأن أهل المغرب ، ناقمون على أخيه السابق ، وتعرض بينه وبين مولاى عبد العزيز ، وما أمكنه إلا أن يبايع مولاى الحفيظ ، فقدم مراكش بجموعه ، وبايع واحتفل به السلطان وأكرمه ، والناس يخوضون فيما لايعرفون حقيقته . فإن السلطان الحالى ، كان يطفىء الفتن الداخلية ، التى التهمت نارها المغرب ، ولا يمكنه أن يلتفت إلى غيرها . ويكفى الشيخ ماء العينين ، أنه لم يعارضه فى شيء مما يملك . أما أمره له بالرجوع عن فاس . فإنه لم يكن عن نية سيئة ، بل لأن السلطان ، كان محتاجا إلى أن يستنجد بافرانس ، وهم يعادون الشيخ المذكور ، وكان

السلطان يتوقع مجيئهم ، فلو دخلوا فاس ، وقع السلطان بين أمرين ، إما أن يتركهم وشأنهم به ، فإن السلطان لاتسمح له مروأته بذلك ، و إما أن يحدث ذلك ضغائن بينهم و بينه . فذلك مما يضر بصالحه ، فأمره بالرجوع . وللشيخ المذكور ديوان شعر ، وهو لايوجد عندى . ومن شعره :

تغافلْ عن الأخوان فى كل زَلةٍ وإياك والتبصير فى زَلةِ الأخِ
وكنْ راحمَ المسكين واصل رحمه وإياك أن تبدو له بالتبلُّخِ[1]
وإياك والتقصيرَ فيما أحبه وساوِ زمانَ العسر فى ذاك والرخِى
وداومْ على تقوىٰ الإلٰهِ وعلمِهِ تفزْ وتنلْ مما رجوت بَخٍ بَخٍ[2]

﴿ إِدْيَيْجَ بن عبد الله ﴾ : الكمليلى . عالم كبير ، ولغوى شهير ، اشتهر فى الفقه والبيان ، والعروض والنحو ، وكان شاعراً مجيداً ، وما بقيت قبيلة إلا هجاها إلا ماقل ، واشتهر من ذاك هجوه لإدَوْعْلِ ، لما بلغه فشو الطريقة التيجانية فيهم ، فكان يبعث لهم القصائد يهجوهم بها ، فلا يردون عليه . لأن الشيخ محمد الحافظ بن المختار بن لحبيب العلوى ، كان يأمر بذلك . فلما توفى وأكثر من هجوهم ، تصدى له باب بن أحمد بيب ، الذى تقدمت ترجمته فى هـذا الكتاب ، ومحمد الذى تقدمت ترجمته أيضاً ، وقد مضى قليل مما قالوا له ، وما أحفظ شيئاً من شعر إدييج ، وتقدم بعض ماقال فيه باب ، ومحمد . ورأيت له قصيدة فى باب مطلعها :

أيها الراكبُ المغذُّ ذهابا حَيِّ عنى بابَ الهدايةِ بابا
باب عندى منزه عن أمور بلغتنى فقلتُ فيها صوابا

ولما وقعت مسألة الحُبُس التى تقدم ذكر ماجرى فيها ، بين بابَ المذكور

(١) التبلخ : التكبر .
(٢) بخ بخ ، بكسر الأولى منونة وكسر الثانية للقافية ، والأصل تسكينها : كلمة تقال عند الإعجاب والرضى بالشىء ، أو الفخر والمدح .

وحرم الذى تقدمت ترجمته ، وانضم إلى باب محنض ، باب بن اعبيد الذى تقدمت ترجمته ، وانضم إلى حرم ، إديبيج هذا . وكانت بينهما موالاة ، واستثناه هو وأكتوشن بن السيد ، لما رمى العلويين كلهم بالضلال ، فى قصيدة يقول فيها :

شربَ الضلال صغيرهم وكبيرهم إلا أكتوَشْنِ وحرمةَ الرحمٰنِ

وهجا أيضاً أحمد الصغير ابن انبوج ، الذى تقدمت ترجمته ، وهجاه هو ، ونظم فيه منظومة طويلة ، وألف كتابه « الجيش » فى الرد عليه ، وقد طبع هذا الكتاب بفاس و بمصر ، وهجا أيضا ، أعبيدة ابن أنبوج ، وكان حسن الخط ، فقال فيه من قصيدة :

ولما رأينا حُسنَ خَطّ عبـــدةٍ علمنا بأنَّ الخطَّ يُحسنهُ الوغدُ

وقال يخاطب باب ، ومحنض باب المذكورين ، ويأمرهما بالرجوع إلى قول حرم فى مسألة الحبُس :

ياصاحبيَّ قفا بالمنهلِ الصافى وسلّما الحكم للقاضى بانصافِ
ووافقا حُرْمَ فيما قال ويْحكما فإنّ شيخكما أدرىٰ بالأوْقافِ
فحجة الشيخ فى بهرامَ ناهضةٌ لو كان يكفيكما ما كان فى الكافى

وقال باب مجيبا له فى أبيات ، وتقدم بعضها فى ترجمته :

أرْشدتَنا للهُدىٰ والله يعـلمُ أنّـــا قائلون بحقّ غير سَفْسافِ
ودون ماقلتَهُ فى الوقف سوفُ فلاً خوْفَ التنائفِ تُعيى كل سَوّاف[1]
فحجتى وَصِحَابى غيرُ داحِضةٍ مِنْ نَصّ بهرامَ والتّوضيح والكافى
فمالكٌ إن تصف عما يقولُ فإنى لستُ عَنْ قوله يوما بصيافِ
إنى أوافقهُ حقاً وأتبعـــه هل مهتد ناعلٌ كالحائر الحافى
إنْ أنت رِدْ ماوردْناهُ على قَرَبٍ وأشربْ فهذا زُلالٌ باردٌ صافى

(١) السوف : مصدر ساف الأرض يسوفها : أى شمها ، وكانوا يهتدون بالسوف .

صَدَعْتُ بالحق لكن من يقلهُ لكم يَدْيَبِجَ يوطأ بأخفافٍ وأظلافِ
فالحق أمسى فوالهفا وواحَزَنا مثلَ الديارِ التى يسفو بها السافى

وقال محنض باب ، يجيب إديبج أيضاً :

إذا تأملتَ مكتوبى بانصافِ ألفيتَ فيه زُلالا عذبهُ صافِ
هو المصيبُ لصوب الفهم يعضده نقلُ الشيوخ بنص واضح شاف
رووه عن مالك نصاً ووافقهُ نصُّ الإمام ابن عبد البر فى الكافى
دعْ عنك دَعوى تقاييد تقولُ بها شيوخنا بدَليلٍ وجهُهُ خافِ
وما أدّعوهُ من التقييد يمنعهُ ألا تراهُ بلا شرطٍ فى الأوْقاف
والأصلُ فى القيدِ نفىٌ والمفيد لهُ لم نلفه بعد بحث شامل وافى
والانقراضُ الذى يحجوهُ حجته أتى فى الأمّ لامّ نسلها ضافى[1]
وإن تفهمت فى القاموس فانقرضوا ماتوا وليس لِنَسلٍ موتُهمْ نافى
أما الدروجُ ففيه المعنيانِ كما ذا فى الصحاح بإيضاح له شافى

ولاديبج المذكور ، مهاجاة مع قبيلة إدَيْقُبْ ، ولم أحفظ منها شيئاً . ورأيت له شينية ، يهجو بها أبناء أعمر أكداش ، وهى عجيبة ومطلعها :

ياخابطَ البيدِ خبطاً فوق وشواشِ يواصلُ السيرَ فى ضوْء وإغباش
بَلِّغْ لديكَ منى نفسى إذا بلغتْ بك المطيةُ أبنا أعمر أكداشِ
وقلْ لها إننى من بعدها دَنِفٌ والعين جادت بتوكاف وتطشاش
لم أنس أيامَنا حولَ الكُلَيم وإن[2] شط المزارُ وَرَاءتْ قَوْلة الواشى

وهى طويلة ، وسمعت شيخاً فاضلا من قبيلة صاحب الترجمة ، يحدث أنه رآه مضطجعاً على قفاه يترنم ، وعند رأسه ثلاثة من تلامذته ، يملى لكل واحد منهم

---

(١) المراد بالأم : المدونة .
(٢) الكليم : اسم موضع يقال له : اغورط .

بيتاً ، يجيب ثلاث قصائد وردت عليه من إدوعل فى هجوه ، وكلما أتم واحد بيتاً يسرد له غيره ، وهكذا حتى أتم ثلاث قصائد فى وقت واحد ، وهذا عجيب ، وكتب إلى محمد بن المختار المجلسى فى رفعه بالنشوز :

يامن تأمل مكتوبى بما نقلا ... سلم لنا حكمنا أو بيّن الخللا
أنه يعلم أنى ما أردت به ... إلا بيانَ الهدىٰ فى معضلٍ نزَلا
وذاكَ أن فتاةً زانها حسَبٌ ... رامتْ نُشُوزاً ولم تَعبأ بمنْ عذلا
فقامَ بعضُ رجال الحىّ إذ رفعتْ ... إليهمُ أمرَها يقضى بما انتخلا
فطلقَ الخود عن ظلمٍ ومؤدعُها ... نَجلُ الوديعةِ لم يُتحَفْ بما بذَلا
ما كنتُ أحسِبُ أن الزوج مغتفرٌ ... فى حَلّ عصمتهِ لو كان مختبَلا
ولستُ أعرِفُ تطليقاً لمن نَشَزتْ ... إلا بخلعٍ يراهُ الزوجُ منتحلا

وقال أيضـــــاً :

نفسى الفـداء لحبيبٍ هاجرِ ... قاسِى الفؤادِ لَيِّنِ الخواصِرِ
ظبيٍ أحَمِّ المقلتين حُمّ لى ... ماحُمّ من جواهُ فى المقادِرِ
من كان فى الوعد كمَرْقوب ومن ... فى البُخلِ إن طالبتَهُ كمادِرِ[1]
كأنّ طعمَ ريقها بعد الكرىٰ ... طعمُ المعتقة عندَ التاجِرِ
تبسم عن نورِ الأقاحى أصبحت ... بقَفْرةٍ ممطورة الظواهِرِ
لو كلمتْ ميتاً لأحياه الهوىٰ ... واستبدَلَ الإحيا من المقابِرِ
ولو بدتْ لراهبٍ فى دَيْرِهِ ... لصدّ عنها بفؤادٍ حائرِ
فإن حمـــانى وصلها وغيره ... لم يحمنى طيفَ الخيـــالِ الزائرِ
طيفٌ يبيت فى الكرى مسامرى ... طيفى إذا نانأتُ عن مسامرى[2]
وقد مضت لى أعصُرٌ فى وصلها ... ما إن مضت فى سالف الأعاصر
أيامَ كان السعدُ جاراً مسعدا ... وكان صرفُ الدهرِ غيرَ جائر

(١) مرقوب : رجل يضرب به المثل فى الخلف ، ومادر : رجل يضرب به المثل فى البخل .
(٢) نانأت : ضعفت .

لابُرْدةُ الشباب أنهجتْ ولا جَدَّ الحبَّ فى الهوىٰ بالعاثرِ
وكم ليالٍ بِتُّها فى جنـــةِ الهوىٰ بأمثال الدُّمى السوامر
فى خَلقها وخُلقها ماتشتهى نفسى وما يلذ كلَّ ناظرِ
بيضِ الترائبِ حسانِ خُرَّدٍ هيْفِ الخصورِ رجَّحِ الأواخر
أمسى فؤادى من هواه مُدْنَفاً وفاض دمع العينِ كالمواطر
أرومُ كِتمانَ الهوىٰ وأدْمعى تبُوحُ بالمكنونِ فى الضمائرِ
وكيف إخفـــائى الغرامَ بعدَما أبديتُ من مستودع السرائر
لاحَبذا من لامنىٰ فى حبهِ وحبذا منْ فى هواه عاذرى
فإن يكنْ عنْ ناظرى مغيباً فشخصُهُ مصوَّرٌ فى خاطرى
يامنْ يلومُ فى الهوى مهلا فما لوْمُكَ يُسلينى ولا بضـــائرى
داء الهوىٰ صَعْبُ الشفاء مالَهُ غيرُ الحبيبِ من طبيبٍ ماهر
هيهاتَ أن تشفيك منداء الهوىٰ فُتَيَّةٌ نقيـــةُ المـآزر
لطيفةُ الـكشحينِ خَوْدٌ خَذْلةٌ رَوْدٌ رَداحٌ بضّـةُ النّواشر
ريا الروادف أباةٌ طفـــلةٌ مِلء الحجا والعـين والأساور
فإنْ مشَتْ فُغصنُ بانٍ ناعمٍ وإن رنَتْ ترنو بطرْفٍ ساحر
لها مُحَيّـــا مشرقٌ ومنطقٌ كقهوةٍ فى مسمع المحاورِ
وبَشرٌ مثلُ الحريرِ لَيِّنٌ وجيدُ ظبيٍ من ظِبا المشاقرِ
يلوح صبحُ وجهها إذا بدتْ فى ليلِ قَرْعٍ أسحمِ الغدائر
زانَ الجواهرَ بهاء نحرِها وغـــيرها يزانُ بالجواهـــرِ

وكان فى أواسط القرن الثالث عشر.

﴿ غالى بن المختار فال ﴾ : البُصادى. كان من أعيان علماء شنقيط، وهو عقد قبيلته الوسيط، اشتهر باللغة والسيرة، وكان فاضلا ديناً، وفيه يقول حرم بن عبد الجليل العلوى أبياتاً، أوّلها :

فلله درك ما أعـلاك من غالى ياذا البُصادى وما أعلاك من عالى

ومن نظمـه :

وبعد فاللغة من عَـــــدانا يمكث بين أهلها عَـــدَانا[1]
يســـائلُ الصميمَ والدَّدانا والحشمَ الخـوَلَ والعِبْدانا

ومن بليغ شعره :

أبى الشعرُ إلا أن يكون ارتجاله عزيزاً إذا لم ترتجـله رجالُهُ
فـكم جال فى ميدانهِ متشاعِرٌ يَرىٰ أنهُ سهل السبيل مجالُهُ
فحادت به الألحان عن صوب قصده وألقتْهُ فى الجَفرِ المُجَوَّخ جالهُ

ومما يستظرف ، أن بعض الأدباء ، قال له شخص : أريد أن أسمعك أبياتاً قلتها . فقال : هات . فلما أنشده إياها ، سكت . فقال له : كيف وجدت أبياتى ؟ فأعرض عنه . فلما ألح عليه ، قال له : أشعر منك غالى ، وأنشد الأبيات . ورأيت له مقطعة أوّلها :

ألا ليت شعرى هل أرىٰ بين فتية حليفاً لراحولات قَيْن التأنُّق
عليه فتـان كالفـآم وشرخه مُحَلّىٰ بشبهٍ كالشـذور مُنَمَّقِ[2]

وأنشد يوماً فى مسجد قومه ، أبياتاً حسانا من شعره ، فلم يطربوا لها ، لأنهم ليسوا من أهل ذلك الفن . فقال لهم : ليتنى لم أكن منكم . وله نظم جيد فى بعوث النبى صلى الله عليه وسلم وأوّله :

أوّل من بعثـــه النبىّ عبيدةُ بن الحارث البَدْرِىُّ

---

(١) العدان من الزمان : سبع سنين . يقال : مكثوا فى غلاء السعر عدانا أو عدانين ، وهما أربع عشرة سنة ، يعنى أن من أراد معرفة اللغة ، ينبغى له أن يجتهد فى تحصيلها سبع سنين وأن لا يأنف من الأخذ عن أحد .

(٢) الفتان : غشاء الرحل . والفآم : الوطاء الذى يجعل على الهودج . ومنمق : مزخرف .

مَرْجَعَهُ من غزوة الأبواءِ صلى عليه رافع السماء
وجيشهُ سِتُّونَ أو يزيد عشرونَ كلٌّ فاضلٌ مجيدُ

وكان معاصراً لحرم ، الذى تقدمت ترجمته فى أوّل الكتاب ، ولا أدرى أيهما مات قبل الآخر .

﴿ عبد الودود ﴾ : بن عبدالٌ بن أنجبنان الألفغى ، نسبة إلى قبيلة أبناء ألفغ حبيب ألٌ ، نحوى شهير ، انفرد به من غير نكير ، وأوضح للناس أسراره وأعلى مناره . تلقى عن بُلّا الشقراوى ، وسبب ذلك أنه خرج فى عير ، فنزلوا عند بلا ، فرأى عبد الودود تلامذته يكررون دروسهم ، فسمع تحريراً لم يعهده فى بلاده . فلما وصل إلى أهله ، رجع إلى بلا المذكور ولازمه ، حتى أتقن النحو وبرّز فيه ، وبلغ مبلغاً لم يبلغه غيره فى عصره ، وهو شيخ محمد على بن سيدى بن ساعيد بن عمه ، ويعرف بمى . وقد رأيت هذا الشيخ ، وكان لايبارى فى النحو ، وتخرّج عليه الحسن بن زين القنانى ، وهو أحد فطاحل تلك البلاد ، وعلى الحسن تخرّج أستاذنا سيبويه زمانه ، يحظيه بن عبد الودود ـ حفظه الله ـ وهو وإن كان أصغرهم سناً ، فقد اتفقت الناس على أنه فاق الكل فى النحو ، وانفرد عنهم باتقان الفقه ، وغيره من العلوم .

ماترك عبد الودود المذكور عويصة من النحو ، إلا نظمها أسلس نظم ، وأتقنه . وله « روض الحرون من طرة ابن بون » صغير الحجم ، إلا أنه كبير الفائدة ، ولا يستغنى عنه نحوى هناك .

ومن شعره ، يخاطب تلامذة له ، كانوا كفروا نعمة تعليمه ، قصيدة مطلعها:

أبى لىَ سلوانَ الربابِ أبيْ لِيا خيالٌ متى هومتُ وهنا سماليا

ومنهـــا :

لقد مزقتْ قلبى سهامُ جفونها كما مزقتْ مَيْجات عمداً كتابيا

وعيرنى ميجاتُ بالجهـل ضـلة فقلت لهم لم تقذفونى بدائيا

ومنهـــا :

ولست بشيخكم ولستم تلامذى لـكم دينـكم ذاكم ودينىَ ذاليا

وقال مقطعة ، يعارض بها أخرى لشاعر أهل المهارك ، وأظن إسمه محمد مولود بن أحمد فال أو العكس ، وهاهما القطعتان من غير تحقيق للتمييز بينهما . قال أحد الشاعرين :

ما لسليمى من شبيه فى الأممْ كأنها شمسُ الضحى أو بدر تمْ
أو درة قد أخرجت من قمر يمْ غاص لهـا غوّاصها ثم أرتسمْ
حتى إذا مارَاءها بعـد ابتسمْ أو أمْ خِشفٍ خذلت على عَلَمْ
ترعى الخُزامىٰ والبشـامَ والسلمْ بجانبِ الملحَسِ أو فرد الأجَمْ
توجستُ ركز ابن داة من أممْ فَرَاعَها صوت القنيص ذى القرمْ
أبى ثلاثٍ كهازيل الغـنمْ قد كان من عاداته إذا احتزم
أنْ يضعَ اللحمَ لهـا على وضمْ

فقال الثانى منهما :

هلْ وجدُ أسماء القـديم تاركى من قبلِ أن أهلِكَ فى الهوالكِ
ليسَ لهـا فى الحسنِ من مشاركِ كظبيةٍ تَرْعى برملِ عانكِ
توجّستْ رِكزَ ابن عبد المالكِ فراعها صوت القنيص الفاتكِ
يصيبهـــا لابُدَّ فى المهالكِ إذا رَماها فى النسا والحارِكِ

وله قصيدة فى المصادر الغريبة ، وهى غزلية ، ومطلعها :

أخشى على القلب من عرفانه خبلا ربعاً بمَرْيَمِهِ قد كان مزدانا
خَشْيَاً وخَشْيَا وخَشَاةَ ومخشيةً وخَشْيـةً وخَشاةً ثم خشْيانا

أما أنظامه ، فإنها أجود من شعره . ومنها :

ومدُّ مقصُورٍ خـلافه أشتهرْ وفصل الفراء تفصيـلا بهرْ
فجـوَّزَ المَدَّ لِمَا لم يَذهَبِ بالمَدّ عنْ نهْج لسان العربِ
فَمرْمىً ألَةً يقيسُ مَـدَّهُ وفى اللّحا اللحاء جاز عندَهُ
إذ شابها المفتـاحَ والرِّماحا بمدَّةٍ فالاحتجـاجُ لاحا
ولم يجز مـداً لما كالمرمى مفتوحةً ولا اللُّحى إنْ ضَمَّا
لفقدِ ذا الوزن ولم يحفل بما قال سِـوَاهُ من فحـولِ العلما

وكان يكتب لتلميذه ، وابن عمه محمد على المتقدم ، الألغاز ليمرنه ، وكان محمد على لايحسن النظم ، فـكان يجيبه نثراً . ومن ذلك :

قل للذى كان بالتصريف مشتغلا لم يخلُ من درسه يوماً وتكرار
ما وزن نـكْتَلْ وآرام وأثفية وأينـق وعريبٍ ثم ديّار[1]

---

(١) يعنى من قوله تعالى (فأرسل معنا أخانا ، نـكتل) فوزن نـكتل : نفتعل ، بكسر العين ، لأنه من الـكيل ، وأصله نـكتيل . فقلبت الواو ألفاً لتحركها ، وانفتاح ما قبلها ، ثم حذفت الألف لسكونها وسكون اللام ، فصار نكتل وقد سأل أبو عثمان المازنى ، ابن السكيت عن وزن نـكتل ، فلم يعرفه ، لأنه كان ضعيفاً فى النحو . وآرام : وزنه أعفال . لأنه مقلوب أرآم ، وهو جمع رئم بالـكسر ، وهو الظبى الخالص البياض . ووزن أثفية : أفعولة ، على القول بأنها من ثفيت ، كأدحية لبيض النعامة ، من دحيت . وقيل : وزن أثفية فعلوية ، من أثفيت وقال الزمخشرى : الأثفية ذات وجهين ، تـكون فعلوية وأفعولة ، وهى الحجر توضع عليه القدر . ووزن أينق : أيفل . وقيل : أعفل .

قال ابن جنى : ذهب سيبويه فى قولهم : أينق ، مذهبين . أحدهما : أن يكون عين أينق ، قلبت إلى ما قبل الفاء ، فصارت فى التقدير أونق ، ثم أبدلت الواو ياء ،لأنها كما أعلت بالقلب ، كذلك أعلت أيضاً بالإبدال . والآخر أن تـكون العين حذفت ، ثم عوضت الياء منها قبل الفاء . فمثالها على هذا القول : أيفل . وعلى القول الأول : أعفل . اهـ . وأينق : جمع ناقة . وعريب : وزنه فعيل على مايظهر ، فلا يحتاج إلى إمعان نظر . وافة أعلم . ولا يستعمل إلا فى النفى ، نحو : ما بالدار عريب . ووزن ديار : فيعال . لأنه من دار يدور . وأصله : ديوار . فالواو إذا وقعت بعد ياء ساكنة قبلها فتحة ، قلبت ياء وأدغمت ، مثل : إيام وقيام ، ولا يستعمل أحد إلا فى النفى أو شبهه . يقال : ما بالدار أحد ، وهل تحس منهم من أحد .

﴿ محمد مولود ﴾ : بن أحمد قال . هو الذى تقدمت مقطعته فى ترجمة عبد الودود ، وهو من أهل المبارك ، وكان مجيداً . ومن شعره :

حَنَانَكَ ذا الحَنانِ لمن يرُوم شفاء حيث تطلعُ النُّجُومُ
أرَحّى من زُبيدَ شِفاء قلب تياسَرَهُ الوساوسُ والهمومُ
إذا أبتسمَتْ بُعَيْدَ النّوْمِ وهناً وقد خَلَفَتْ مَباسمُ من يَنُومُ
يفوح المسك ثمّ يلوح بَرْقٌ فحسبُكَ ما تَشَمُّ وما تَشِيمُ

ولما رأى أحمد ابن الطلب أبياته هذه ، وكان معاصراً له . قال : يغتفر لحنه لحسن أبياته ، لأن نام : مضارعه ينام . ولا يقال فيه ينوم . ويقال : إنه كان عند شيخ يقرأ عليه العلم ، فبلغ الشيخ عنه ، أنه يحادث النساء ، فأرسل إليه بأن يذهب إلى أهله ، فكتب إليه هذين البيتين ، فتركه :

همنا العلم لأمراض الجفون لا تظنوا مرجمـــات الظنونِ
إن هزلا أقوله فى المجـــون لمعين على صِعابِ الفُنونِ

ويقال : إن بعض الأفاضل المتقدمين ، كان يقول : إنى لاجم نفسى بشىء من الباطل ، لأستعين به على الحق .

﴿ الحسن بن زين ﴾ : بن سيدْ اسليمان القنانى . هو العالم النحوى الذى يجيد النظم ، وما أظن أن له شعراً يذكر ، وهو الذى تخرج على يديه سيبويه تلك البلاد ، أستاذنا يحظيه بن عبد الودود ـ حفظه الله تعالى ـ وتخرج هو على عبد الودود كما تقدم ، وله استدراك على لامية الأفعال مزجه بها ، فلولا أنه كتبه بالحمرة ، لا لتبس بنظم ابن مالك ، وله أنظام كثيرة مفيدة . ومنها :

ورفع ما بعد لولا قيل هو بها أصلا وقيل بأن نابت عن انعدما
وضعفوا رفعه بهـا بأنّ به خروجها عن مدى أشباهها لزما
وقيل رافعه يوجَـدْ مقدرة وذا بهِ كلُّ ناحى كوفة حكما

ومنهـــا :

إن الفتى لَبات بالفقات حيرَانَ مشرفا على الوفات
وإن دمعه لعندما حكى شوقاً فما أطوَل ما كان بكى
جاز لدى الأخفش والأوَلُ قال به هشامٌ الأجَـلُ

ومنهـــا :

آه كماعٍ ثمَرٌ لشجر لا شَجَرٌ كما حكاهُ الجوهَرِى

ومات رحمه الله ، قريباً من العشرين بعد ثلاثمائة وألف . وكان حديد الذهن بعيد الغور ، كان يوماً مع جماعة من طلبة العلم ، و بأيديهم الدماميني على التسهيل ، فإذا هو يقول فى باب الإضافة : قال ابن هشام : وقد سألنى سائل من أين تهب الصبا ، فأنشدته :

ألم تعلمى يا عمرك الله أننى كريم على حين الكرام قليل
وإنى لا أخزى إذا قيل مملق سخى وأخزى أن يقال بخيـل

ولم يبن استخراج الجواب من هذين البيتين اللذين أنشدهما ، وفيه غموض انتهى . فلم يفهم الحاضرون مراد ابن هشام ، فتفكر هو قليلا . وقال : والله لقد فهمت مراده فقالوا له : بينه لنا . فقال لهم يشير إلى قول الشاعر :

إذا قلت هذا حين أسلو يهيجنى نسيم الصبا من حيث يَطّلعُ الفجر

فقوله : حين الكرام قليل . مماثل لقوله : من حيث يطلع الفجر ، إذ كل من حين وحيث ، ظرف مضاف إلى جملة . ونظير هذه المسألة القريبة العهد ، ما حكاه أبو حيان فى شرح التسهيل ، من أن ابن الأخضر ، سأله طالب بحضرة الأبرش ، عن فتح مقالة فى قول النابغة :

مقالة أن قلت سوف أناله وذلك من تلقاء مثلك رائع

فقال له ابن الأخضر :

* ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى *

فقال له : يا أستاذ ، ما فهمت . فقال له ابن الأبرش : قد أجابك : قال أبو حيان : وتوجيه ما سئل عنه ، أن هذا البيت قبله :

أتانى أبيت اللعن أنك لمتنى وتلك التى تستك منها المسامع

والبيت الذى بعده

* مقالة أن قد قلت * الخ

وذلك أن قوله : إنك لمتنى ، فى موضع الفاعل بأتانى ، ومقالة ، ضبط بالفتح والرفع ، وفى كلا الحالين هو بدل من قوله : إنك لمتنى ، فالرفع ظاهر ، وأما الفتح فإنه بنى عليه لإضافته إلى مبنى . وذكر السيوطى فى الأشباه والنظائر : أن هذا الجواب حكى عن الأعلم ، وهو أقدم من أبى حيان : قال : وفى هذا الجواب نظر ، فإنهم نصوا على أنه ليس كلما يضاف إلى مبنى يجوز بناؤه ، وإنما ذلك مخصوص بما كان مبهما ، نحو : غير ، ومثل ، وبين ، ودون ، وحين ، ونحوها . فإن كان ابن الأخضر ، أراد ذلك ، ففيه ما ذكرناه ، وإن كان أراد غيره ، فيفكر فى وجهه . ومن جيد أنظامه قوله :

تفسيرُ ما شذّ وما فشا وما ندرَ معْ ما بالضعيفِ وُسِما
فذو الشذوذ ما عن القياس قدْ حادَ قليلا وكثيراً ما وَرَدْ
والنادِرُ القليلُ قيسَ أو لم يُقَسْ وما فشا بعكسهِ نُمِى
آخرها الضعيف وهو كلما ثُبوتُهُ فيه نزاعُ العلما[1]

وقوله :

الجوْهرِى حَدَّثْ عن شيخهِ الفارسىّ الأقدمِ اللوْذعِ

(١) المراد بالشاذ فى استعمالهم ، ما يكون بخلاف القياس ، من غير نظر إلى قلة وجوده وكثرته ، كالقود ، والنادر ماقل وجوده ، وإن لم يكن بخلاف القياس . كخزعال ، والضعيف ما يكون فى ثبوته كلام ، كقرطاس بالضم .

أن سِوَى خَضَمَ أوْ بَقَمٍ أوْ بَدْرٍ أوْ شَلَمٍ مَوْضِع
خامسها عَشْرٌ منْ فَعَلٍ أسْمًا منَ الأعرابِ لم يُسمع
يا ليتَ شعرِى ما الذى شَمَّرٌ خلفهُ عنْ ذائهِ المنزِع (١)

﴿ اعمر مولود ﴾ : بن شيبة الأنتابى . ليس عندى شىء من خبره ، وما وقفت له إلا على هذه القصيدة ، يقولها فيمن لحنه بغير حق :

أمنْ شأنك التلحينُ لاحَبَّذا اللحن تلحننى طعناً ولم تدر ما اللحنُ
تأمَّلْ صَنيع الشعر واضبط شروطه ليمكنك التلحين والنقد والطعْنُ
فلا تغترِرْ فى الشعرِ بالحدّ وحدَهُ وبالحفظ كى لا يستخف بك القرْنُ
فللشعرِ تحسينٌ يزيد أعتبارُهُ على حده المعروف فى فوته غَبنُ
فمنْ رَامَ فنّ الشعرِ بالحدّ وحدَهُ ولم يأتِ بالتحسينِ ما حسنَ الفنُّ
إذِ الحدُّ معنىً مُحكَمٌ بصناعةٍ وقافيةٍ وَزْن إذا يقصَدُ الوزْنُ
ولم تخل هـذى من محاسن سنّها رعاةُ رقيقِ الشعرِ يا نعمَ ما سَنُّوا
إذ أختلَّ منها البعض فى الشعْر شانه فَحسْنُ نظام الشعرِ فى كلها رَهنُ
فما هي إلا الشرطُ والركنُ حدُّهُ ووهن يُرَى فى الشرطِ فى ركنه رهن
فما الركن يجدى دون إحكام شرطِه وأقلِلْ بجدوى الشرطِ إذ ضَعُفَ الركن
ولـكن إذا ما أستحكما ء د شاعرٍ وكان صفت منه القريحة والذهنُ
وحاك على نيرِ البلاغةِ نسجَهُ ومن حيث راعى الحسن ساعده الحسن
فيجنى ثمار الحسن من هامِ دوحهِ عليه طوالُ الدوْح عاطفةً تحنُو
ويسقى المعانى من مُدامِ بديعهِ وَرَاح بديع اللفظِ شعشَعَها المزنُ

(١) وزاد صاحب المعجم : خَوَّد وخَمَّرَ . ولفظه فى شرح خضم ، ولم يجىء على هذا البناء إلا خضم . وعثر : إسم ماء . وبقم وشمر : اسم فرس . وشلم : موضع بالشام : وبذر : إسم ماء من مياههم . وخضم : أيضاً اسم للعنبر بن عمرو بن تميم ، وبالفعل سمى آكثر ذلك ، وهو من الخضم وهو المضغ . وخود أيضاً : اسم موضع . وخمر : إسم موضع من أراضى المدينة .

فطوْرًا إلى الأرصادِ لم ين راصداً وطوْرًا إلى التجنيس أعينهُ ترْنو
وطورًا يحليه بحلواء حِكمةٍ ومن غُرر الأمثال لهجته تدنو
فجاء جمانا باليواقيتِ فصلتْ فما شانه خبل وقد زانه خَبنُ
إذا شنّفَ الآذان شذر انسجامه يودُّ سوَى الآدان لوْ أنه أذن
يحقُّ له أن يُتّقى لَمزُ شِعرِهِ فتوهينُهُ وَهْنٌ وتلحينُهُ لَحنُ

﴿ محمد محمود بن التلاميد ﴾ : التركزى . التلاميد (بالدال المهملة) مصحف التلاميذ ، بالذال المعجمة ، انفرد فى المشرق باللغة والأنساب . لازم العلامة أجدود ابن أكتوشن العلوى ، وعليه تخرج ، ورحل إلى المشرق ، ومر بابن بلعمش الجكنى بتيندُوفْ ، وتلقى عليه جملا من الحديث . ثم قدم مكة المكرمة ، واتصل بالشريف عبد الله أمير مكة ، وكان من أهل العلم والكرم ، فأكرمه واختصه . ولبث عنده زماناً ، وكان يعجبه ويحرش بينه وبين علماء مكة ، حتى حصلت البغضاء التامة ، وفى أثناء إقامته بمكة ، قدم عكاش اليمنى مكة . فقدّم شرحاً له على لامية العرب للشريف ، فقال الشريف لمحمد محمود : أيمكنك أن تغلطه ؟ فقال : نعم فعمل عليه انتقاداً وجهله ، ونقصه فيه ، فلم يحصل عكاش على شىء من الشريف . وكان محمد محمود ، يراوح فى الإقامة بين مكة والمدينة المنوّرة ، وخصلت بينه وبين المرحوم أديب الحجاز ، وعالمه عبد الجليل برادة ، محبة ، وكان عبد الجليل المذكور ، يبالغ فى الثناء على محمد محمود ويكرمه ، فاستمر على ذلك مدة طويلة ، ثم وقعت عداوة بين محمد محمود وعلماء المدينة ، كلهم عدا عبد الجليل المذكور .

﴿ ماوقع بينه وبين الشيخ الدراج المغربى ﴾

كان الشيخ الدراج رئيساً للمالكية هناك . وفائدة هذه الرئاسة ، أن يأخذ قدراً معلوماً من وقف المغاربة ، لاينافه غيره . فقال محمد محمود : إنه أحق منه

بالرئاسة ، لأنه أعلم منه ، وكان أهل المدينة ، ماعدا عبد الجليل ، يساعدون الدراج ، لأن محمد محمود كان ينقصهم ، فلم يحصل محمد محمود على طائل

﴿ ماوقع بينه وبين السيد على ظاهر الوترى ﴾

وكان هذا الأستاذ يدرس البخارى . فكان محمد محمود يقعد بحيث يسمع مايقول ولا يراه ، فإذا شرع فى درسه يصيح عليه : أخطأت . فيأخذ محفظته ويخرج فاشتدت العداوة بينهما .

﴿ ماوقع بينه وبين السيد أحمد البرزنجى ﴾

كان محمد محمود يشنع على القاضى عياض فى « مشارق الأنوار » ويلحنه ويغلطه فى بعض تفسيره لشىء من الحديث . وكان السيد أحمد البرزنجى ، يغلط الإمام مالكا فى الموطأ ، فى قوله فى كتاب الأيمان والنذور : « وعليه هدى بدنة أو بقرة أو شاة ، إن لم يجد إلا هى » قال فإلا هى لحن . ووافقه على ذلك الشيخ حبيب الرحمن الهندى الكنوى وغيره ، وألف محمد محمود رسالة انتصر فيها للإمام مالك ، وأطال فيها واعتمد على أن يجد فعل لازم بمعنى يستغنى ، وجعل إلا هى ، مبتدأ حذف خبره ، وجواب الشرط محذوف أيضاً ، وتقديره فهى عليه ، وخبر إلا هى ، هو عليه المتقدم : ولا يخفى أن البرزنجى ، ماأحسن فى تغليطه للإمام مالك ، وأن جواب محمد محمود فاسد ، لأن المعنى يصير : أنه إذا لم يكن غنياً ، فليس عليه إلا شاة . فعلى هذا لو كانت له بُدُنٌ ، ولا يصدق عليه ، إذا أنه غنى ، فلا يلزمه أن ينحر منها واحدة . وهذا خلاف الواقع ، والتحقيق : أن نظير إلا هى ، مستعمل عند العرب ، وهو إنابة ضمير عن ضمير . وقد أفردت ذلك برسالة مستقلة ، نقلت فيها كلام النحاة معزوا ، وقد صحح أبو حيان هذا المذهب فى شرح التسهيل ، فليرجع إليه .

﴿ أغلاطه فى رحلته ﴾

وقعت لمحمد محمود المذكور ، أغلاط كثيرة ، منها ما يتعلق بالعربية ، ومنها مايتعلق بالدين . فمن ذلك قوله فى قصيدته الأولى :

لطيفة طىّ الكشح خمصانة الحشا روادفها ملأى من اللحم والشحم

فإن روادف : مبتدأ . وهو جمع ردف نادرا ، قاله فى المخصص ، وملأى : خبره . وهو مفرد ، والجمع لا يخبر عنه بالمفرد ، إلا إذا كان على فعيل ، كقوله تعالى « والملائكة بعد ذلك ظهير » . وقال الشاعر :

يعادين من شيبة قد بدا وهن صديق لمن لم يشب

ومن ذلك مسألة عمر ، فإنه جازف فيها مجازفة شديدة ، وادعى أن النحاة غلطوا فيها منذ اثنى عشر قرناً ، ولم ينتبه لذلك غيره ، وأن أولهم فى ذلك سيبويه فإنه غلط فيما ادعى سماعه من العرب من منعه ، وأن غيره تابعه على ذلك ، كتقليد الأعمى . وحجته فى ذلك ، أنه وجد مائة بيت للعرب مصروف فيها عمر . وأنه صرف فى البخارى ومسلم . وأن العرب لم تمنعه نظماً ولا نثرا ، وقال فى ذلك :

كما خرقوا للعرب ذا المنع مفترى عليهم بلا نثر رووه ولا نظم

وقال فى ميميته التى مدح بها أسكار النصرانى :

ولو كان ذاك الميت حياً وجاءنى لتاب وخص الرجل منى باللثم

وأشياء كثيرة تشمئز منها النفس ، ثم إنه ادعى أن النحاة غفلوا عن كونه جمع عمرة . لأنه لما سمع عامر الذى ادعوا أنه معدول عنه تقديراً سمع عمر جمع عمرة . فهو منقول عن الجمع ، وليس بمعدول عن عامر ، وقد ألفت رسالة وطبعت فى فى مصر فى حياته ، فأرعد وأزبد ونشر فى المؤيد : أنه ألف فى صرفه كتاباً ، يتضمن مائة شاهد ، لم يبق فيه حجة لأحد ، وأنه سيطبعه . ثم انكشف الغيب أن ذلك الكتاب لا حقيقة له ، لأن كتبه أفرزت ورقة ورقة ، وقيدت أسماؤها فى

الكتبخانة الخديوية . كما أنه نوه باسم مؤلف له اسمه « البنيان المرصص ، فى أوهام المخصص » ولا حقيقة له أيضاً ، إلا ما كتب على هوامش المخصص . ولا يخفى أنه أخطأ فى أكثرها . و بالجملة فإن كلما نقل مما يصرف عمر لا حقيقة له كما تقدم . ومن ذلك أيضاً قوله :

ففى سائر الأمثال إثبات صرفه وإبطال منع الصرف والعدل بالوقم

فإن هذا البيت ، يقتضى أن عمر صرف فى سائر الأمثال ، ومن أجل كتبها : أمثال الميدانى . وهذا نصه فى شرح المثل المشهور : أحمق من جحا . قلت : جحا إسم لا ينصرف ، لأنه معدول عن جاح . مثل عمر : من عامر . فكيف لنا أن نصدقه فيما نقل بعد هذا ، فتراه يحرف ما نقل من الكتب المتداولة بين الناس . فما بالك بالتى لا توجد لو نقل عنها .

أما قوله : إنه وجد مائة بيت ، فهذا على تقدير صحته ، لا يثبت صرفه ، لأن النحاة جعلوا معتمدهم فى ذلك سماع العرب ، يمنعونه نثراً . وأجابوا عن ذلك : بأن الأبيات ضرورة ، وقد بينت فى الرسالة التى تقدم ذكرها ، أن الضرورة ماوقع فى الشعر ، لامالا محيد عنه للشاعر . ولعله عد من هذه الشواهد بيت الكميت الذى حرفه ، لما قرىء عليه فى قصائده الهاشميات ، وادعى أنه أقوى فيه ، لأن القافية منصوبة ، والبيت هو :

أهوى عليـاً أمير المؤمنين ولا أرضى بشتم أبى بكر ولا عمرا

فادعى أن الرواية عمر بالجر ، مع أنه لم يرو ذلك عن شخص واحد . ومن ذلك البيت المشهور ، وهو :

لا تلسمنَّ أبا عمران حجتهُ ولا تكونن له عوناً على عُمَرا

فإن لسان العرب ، وتاج العروس ، رو ياه عمرا بالألف . وكذلك ابن جنى فى الخصائص . وابن سيده فى المخصص . ولما طبع المخصص فى مصر ، وكان محمد محمود مشرفاً على طبعه ، حرف هذا البيت فيه ، وقال : إنه عمر بالجر . و إن

النساخ حرقوه ، كما هو مبسوط على هامشه ، وأما قوله : إنه مصروف فى مسلم والبخارى ، فهذا الشىء قاله من تلقاء نفسه ، وهو خلاف ماعليه جميع المحدثين . ولا شك أنّ الحديث لا يعتمد فيه على غير الرواية . وأما قوله : إن النحاة غفلوا عن كونه جمع عمرة . فهذا غير صحيح ، كما بينت فى الرسالة المذكورة . وقد نقلت كلام ابن مالك بلفظه فى عمدته ، فليرجع إليه . وكلام عبد القادر البغدادى ، وابن الحاجب فى شرح المفصل ، وغير هؤلاء . فدعواه الغفلة لا تتأتى . فإن كان اعتنى بالتنقيب ، فلا عذر له فى عدم مراجعة كتب هؤلاء الأعلام ، لأنهم أئمة اللسان ، وإن كان تركها ازدراء لها ، فقد عرض نفسه لاستهزاء الناس به ، وأورد على نفسه ماقال أبو حيان فى الزمخشرى :

وينسب إبداء المعانى لنفسه ليوهم أغماراً وإن كان سارقا

وقال ابن عصفور فى المقرب : وإذا كان فُعَلُ علما ، فإن كان له أصل فى النكرات ، فاقض عليه بأنه مصروف غير معدول ، نحو لبد ، اسم نسر لقمان لأنه يقال : مال لبد . إلا أن يقوم دليل سمعى على عدله ، يمنع صرفه ، نحو : عمر ، فهو معدول عن عامر ، وليس منقولا عن عمر : جمع عمرة . وإن لم يكن له أصل فى النكرات . نحو : قثم ، فاقض عليه ، بأنه ممنوع الصرف معدول ، إلا أن يقوم دليل بصرفه ، على أنه ليس بمعدول نحو أدد اه . فهل يصدق على ابن عصفور هذا ، قوله فى ميميته ؟ .

وقد غفلوا عن كونه جمع عمرة له الصرف قبل النقل للعلم الاسم

بل الأشبه أن يقال : إنه هو غفل عن انتباههم لذلك كلهم ، ولو لم ينص على هذا غير ابن عصفور ، لعذرناه بعدم الاطلاع على كتبه . لكن يبعد أن يكون أراد التنقيب عن هذه المسألة ، ولم ينظر فى كتب ابن الحاجب وابن مالك على الأقل . وأما طعنه فى علة العدل بقوله :

فدعواهمُ منع وعدل مقدر وعن عامر محض التقول بالفم

فلا يخفى أنه تحامل محض ، فلا هو أبدى قاعدة للنحاة ، يبنى عليها الطعن فى علة العدل ، ولا اخترع من نفسه شيئاً يستحق أن يصغى إليه ، وهذا الذى وقع له وقع لقاصرى النظر ، فتراهم يطعنون فى تعاليل النحاة ، ويقولون : إن العرب لم يقصدوا ذلك .

وقد ذكر ابن جنى فى الخصائص ، حكاية معناها أن أحدهم قال : فلان لغوب أتته كتابى فاحتقرها ، فقال له آخر كيف تقول : احتقرها والكتاب مذكر ؟ فقال له : أليس بصحيفة ؟ فهذا يدلك على أن النحاة بنوا تعاليلهم على أمور معقولة عن العرب ، ولنذكر لك مايثلج صدرك . قال ابن برهان فى اللمع : والمثال الكاشف لك عن مغزاهم العدل ، هو أن تتصورهم بصورة ، من غدا سائراً فى الطريق لغاية رفعت له ، ونظر إليها ثم عدل عنها إلى غاية أخرى ، لا على السمت المستطرق ، ففتح بذلك طريقاً فصار إلى المراد . إلا أن العدول إنما كان فى الأصل لغرض زائد ، فالأولى : عامر علما ، والثانية قولهم : عمر . ومثل هذا فى قول العرب : زيد قام . فى قام ضمير لا يظهر ألبتة . وإذا قلت : الزيدان قاما . والزيدون قاموا . ظهر الضمير ، فجعلوا الضمير بمنزلة السيف ، يغمد تارة ، وينتضى أخرى . فإن قيل : ومن أين علمهم العدل ؟ قلنا لما صرفوا عمرا تكسير عمرة ، وصرفوه معرفة ، وتركوا صرف عمر . ولم يكن ذلك لمجرد التعريف ، دلنا ذلك على ماقلناه . وقال سعيد : إنهم نووا فى هذا المعدول أن يبنوه على الأصل ، ثم عرض له هذا البناء بعد النية ، فعمر لم يقع فى كلامهم صفة . وزفر وقع فى كلامهم مثل عمر . ووقع أيضاً مثل حطم . فتقول زفر ، فهو زافر ، والزفر بهذا بمنزلة عمر ، لا ينصرف إن كان علماً . قال أبو على : كان ينبغى أن يقع الاشتقاق لعمر ، من المصدر الذى اشتق عامر منه ، فلما اشتق عمر من عامر ، سمى معدولا ، ولو كان على القياس لسمى مشتقاً . والتغيير فى الأعلام أوجد . فلذلك كان باب

العدول ، إنما هو فى الأعلام . قال : العبد عمر ، أبلغ من عامر ، كما أن الرحمن أبلغ من راحم ، والجارى على الرحمن راحم ، وعلى عمر عامر . فالفرع للفرع ، والأصل للأصل .

وأما قوله : إنه لم يسمع فى نظم ولا نثر ، فإن النظم تقدم منه بيتان ، ونزيد على ذلك قول ذى الرمة ، يمدح عمر بن هبيرة :

أقول للركب إذ مالت عمائمهم شارفتموا نفحات الجود من عمرا

وقول الفرزدق :

إن الأرامل والأيتام إذ هلكوا والخيل إذ هزمت تبكى على عمرا

وقوله أيضاً يمدح بشر بن مروان :

كنا أناساً بنا اللأواء فانفرجت عن مثل مروان بالمصرين أو عمرا

وسئل الخليل بن أحمد ، عن العلل التى يعتل بها فى النحو . فقيل له : أعن العرب أخذتها أم اخترعتها من نفسك ؟ فقال : إن العرب نطقت على سجيتها وطباعها ، وعرفت مواقع كلامها ، وقامت فى عقولها علله ، وإن لم ينقل ذلك عنها ، وعللت أنا بما عندى أنه علة لما علته منه ، فإن أكن أصبت العلة فهو الذى التمست ، وإن يكن هناك علة غير ماذكرت ، فالذى ذكرته محتمل أنه علة له ، ومثلى فى ذلك مثل حكيم دخل داراً محكمة البناء عجيبة النظم والأقسام ، وقد صحت عنده حكمة بانيها بالخبر الصادق والبراهين الواضحة ، والحجج اللائحة ، فكلما وقف هذا الرجل الداخل الدار ، على شىء منها . قال : إنما فعل هذا هكذا ، لعلة سنحت له وخطرت ، محتملة أن تكون علة لذلك ، فجائز أن يكون الحكيم البانى للدار فعل ذلك للعلة التى ذكرها هذا الذى دخل الدار ، وجائز أن يكون فعله بغير تلك العلة ، إلا أن ماذكره هذا الرجل محتمل أن يكون علة كذلك ، وقد نص كثير من النحاة ، على أن سبب تشبثهم بالعدل فى فعل المعدول عن فاعل ، أنهم لما سمعوه ممنوعاً عن العرب ، أرادوا أن يتكلفوا علة ، لئلا يمنع كثير من الأعلام

سبب واحد ، فكلما قدروا علة مع العلمية ، وجدوها غير مستقيمة ، فلذلك اتفقوا على العدل .

فغلطه فى مسألة عمر ، مسألة لغوية تتعلق بالدين ، لأنها يلزم عليها صرف عمر الوارد فى الحديث ، وكذلك تكفيره للبرزنجيين فى رحلته ، بإضافة الاسم إلى الذات ، فإن تكفير المسلم كفر ، وقد جعلهم ملحدين فى أسامى الله تعالى ، وهذا نص عبارته ، قال فى رحلته : وهذا كله من صغائر ذنوب البرزنجيين ، بالنسبة إلى ذنبيهما العظيمين اللذين لا يغتفران ، أولهما : إلحادهم فى اسم الله تعالى ، واجتنابهم إياه فى ابتداء مولدهم النثرى بقولهم :

ابتدىء الإملاء باسم الذات العليـة

وابتداء مولدهم النظمى على زعمهم بقولهم :

بدأت باسم الذات عالية الشـــان

فقد خرقوا إجماع المسلمين والجاهلين بذلك ، ونسخوا اسم الله تعالى ، ولقبوه بالذات المؤنثة ، التى هى فى الوزن كاللات والعزى ، ووصفوه بالعلية ، والعالية المؤنثتين . فكأنهم لا يحمدون ولا يعبدون الله جل جلاله ، وإنما يحمدون ويعبدون الذات . الخ كلامه ، ولا يخفى أن ادعاءه الإجماع ، يعد من الغرائب ، بل أطلقها عليه كثير منهم ، وليس هو أبو عذر هذا الاعتراض بل سبقه إليه ابن برهان وابن الخشاب النحوى ، وقد أجاب العلماء عن ذلك الاعتراض ، ويكفى فى ذلك ، بيت خبيب بن عدى الصحابى ، رضى الله عنه . وهو :

وذلك فى ذات الإله وإن يشـأ يبارك على أوصـال شلو ممزع

وفى صحيح البخارى (باب مايذكر من الذات والنعوت وأسامى الله تعالى)

قال الإمام القسطلانى : قال القاضى عياض : ذات الشىء نفسه وحقيقته . وقد استعمل أهل الكلام الألف واللام ، وغلطهم النحاة ، وجوزه بعضهم ، لأنها ترد بمعنى النفس ، وحقيقة الشىء ، وجاء فى الشعر ولكنه شاذ . واستعمال

البخارى لها على ماتقدم ، من أن المراد بها نفس الشيء ، على طريقة المتكلمين فى حق الله تعالى ، ففرق بين النعوت والذوات .

وقال ابن برهان : إطلاق المتكلمين الذات فى حق الله تعالى من جهلهم ، لأن ذات تأنيث ذو ، وهو جلت عظمته لايصلح له إلحاق تاء التأنيث . قال : وقولهم الصفات الذاتية جهل منهم أيضاً . لأن النسب إلى ذات ذوى ، وأجيب بأن الممتنع استعمالها بمعنى صاحبة . أما إذا قطعت عن هذا المعنى ، واستعملت بمعنى الإسمية فلا محذور ، كقوله تعالى « إنه عليم بذات الصدور » أى بنفس الصدور . وقال خبيب رضى الله عنه :

وذلك فى ذات الإله الخ

وفى الحديث « أخيشن فى ذات الله تعالى » .

وقال ابن الحاجب فى أماليه : قال ابن الخشاب النحوى : لايقال ذات الله . لأن ذات بمعنى صاحبة ، ولا يقال صاحبة الله ، والجواب عن ذلك ، أن العرب تضيف المسمى إلى أسمه فى قولهم ، ذات يوم وذات ليلة ، وشبهه . فالذات ها هنا المراد بها المدلول ، والمضاف إليه المراد به اللفظ ، وكأنه قيل مسمى هذا اللفظ وأما ذات الله ، فلا شك أنها لاتطلق لفساد المعنى ، وإنما الكلام فى إطلاق لفظة ذات مضافة إلى الله ، وهو صحيح بمعنى المذكور ، ومثله من كلام العرب قليل ، والله أعلم بالصواب .

وروى البخارى فى صحيحه : حدثنا محمد بن محجوب ، حدثنا حماد عن زيد ، عن أيوب . عن محمد ، عن أبى هريرة رضى الله عنه . قال : لم يكذب إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلا ثلاث كذبات ، ثنتين منهن : فى ذات الله عز وجل . قوله : إنى سقيم ، وقوله : بل فعله كبيرهم هذا ، إلى آخر الحديث ، وقالت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها فى صفة أبيها : فما برحت شكيمته فى ذات الله تشتد ، حتى اتخذ بفناء بيته مسجداً ، يحيى فيه ما أماته المبطلون .

وقال الغزالى فى « فيصل التفرقة » نقلا عن الأشعرى : الكلام صفة زائدة قائمة بذات الله تعالى .

فإذاً ينبغى له أن ينسب الخليل ، وعائشة ، وأبا هريرة ، والبخارى . رضى الله عنهم ، إلى إلحاد فى إسم الله تعالى ، لأن العبارة واحدة . ونعوذ بالله من ذلك ، ومن ذلك قوله :

ياعجم برزنج آذيتم أبا حسن إيذا أبى الجهل عمرو أو أبى لهب

فإن أبا جهل فى الأصل ، لقب لعمرو بن هشام ، فصار علما له ، ولمح الأصل فى الأعلام . كالعباس ، والحارث ، والفضل ، بابه السماع .

ماوقع بين محمد محمود المذكور

وشيخ المالكية الأستاذ سليم البشرى

قدم محمد محمود من القسطنطينية ، ونزل عند فضيلة السيد عبد الباقى البكرى رحمه الله ، ووافق ذلك عيداً من أعياد المسلمين ، فقدم شيخ المالكية المذكور ، يهنىء السيد البكرى ، ومعه جمع من العلماء ، فيهم الأستاذ الرافعى ، فلما جلسوا ، واطمأن بهم المجلس . قال الرافعى لمحمد محمود ، وكان يعرفه ، وقصد أن يوقع بينه و بين البشرى : شنآنا يامولانا ، تنصرت بعدنا حيث لبست الخف الأسود ؟ فرد عليه بأن قال له : مافعلت إلا السنة ، فقال البشرى : أجمع على كراهة لبس الخف الأسود . فقال له محمد محمود : ثبت فى الصحيح أن النجاشى أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خفين ، فلبسهما ، ومسح عليهما ، فما لونهما ؟ فقال : لاأدرى . فقال محمد محمود : عجباً لك : تدعى الإجماع ، ثم تقول لا أدرى . فقال الشيخ بسيونى الذى كان إماماً للحضرة الخديوية : إن هذا ، وأشار إلى الأستاذ السيد البيلاوى ، يزعم أن علياً رضى الله عنه ، لبس خفين أصفرين ، فقال له : ذلك خارج عن موضوع المسألة ، فسكت الجميع . وكان فى المجلس أحد الأفندية من

المصريين ، فخاطب محمد محمود المذكور ، قائلا : يامولانا ، أفدنا عن لون الخفين المذكورين ؟ فقال له : سأعلمه للعوام ، فتلقوه من هناك . فانفض المجلس .

ثم إن محمد محمود ، أراهم الحديث فى الشمائل ، وأن الخفين كانا أسودين ، فبلغ ذلك الأستاذ البشرى وقال : إن فى رواته ضعيفين ، فهو غير مقبول . وألف فى ذلك رسالة . وقد احتج يوماً على بعض علماء الأزهر ، بأن فى الحديث راويين ضعيفين . فقلت له : إن الضعيف لا يرد إلا بما هو أصح منه ، وإن الشيخ البشرى أضعف منهما ، فلوى شار بيه ، فسكت عنه . ولعله ظن أنى أحقِّر البشرى بذلك ، وليس الأمر كما ظن ، بل لأن أقوى أهل عصرنا هـذا ، لا يبلغ فى السنة مبلغ أضعف من تقدم ، وخصوصاً من روى عنه الترمذى . ولا يخفى أن المسألة دخلها تعصب كبير . فلو فرضنا أن الكراهة مبنية على أن الجلد الذى صنع منه الخفان ميتة ، لما كان ذلك مانعاً !! أليس الدبّاغ يطهره ؟ وإن علمناه بأنه من ذبائح النصارى ، فإن ذبائح النصارى يباح أكلها . فكيف بجلد دبغ ، على أنه من المعلوم عند المشارقة ، أن القسطنطينية لا يذبح فيها غير المسلم من قديم . وإذا صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لبس خفين من صنع أهل الكتاب أصفرين ، فهلا كان ذلك دليلا على جواز لبسهما لو كانا أسودين ؟ لأن اللون لا عبرة به إذا لم يكن فيه نص ، وكيف ومن المعلوم أن خفاف النصارى ، كانت سوداً فى القديم وقد نص ابن السِّيد فى شرح « أدب الكتاب » : على أن النصارى معروفون بلباس الخفاف السودا ، فى شرحه لبيت الشماخ ، يصف أسوق النعام :

وداوية قفرٍ تمشى نعـامُها كمشى النصارى فى خفاف اليرندج

فاليرندج : جلد أسود ، وأضاف الخفاف إليه ، لأنها تصنع منه ، وشبه أسوق النعام ، بأسوق النصارى لابسين الخفاف ، ووجه التشبيه هو السواد ، فلا وجه لإنكار سواد الخفين ، اللذين أهدى النجاشى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا لفظ حديث الترمذى « حدثنا هناد بن السرى حدثنا وكيع عن دلهم بن

صالح الكندى عن حجير بن عبد الله عن ابن بريدة ، أن النجاشى أهدى للنبىّ صلى الله عليه وسلم ، خفين أسودين ساذجين ، فلبسهما ثم توضأ ومسح عليهما ».

« حدثنا قتيبة بن سعيد ، أخبرنا يحيى بن زكريا بن أبى زائدة عن الحسن بن عياش عن أبى إسحاق عن الشعبى ، قال : قال المغيرة بن شعبة : أهدى دُحية للنبى صلى الله عليه وسلم ، خفين فلبسهما » الخ الحديث . وأكثر هؤلاء الرواة روى عنه أهل الكتب الستة . وقد راجعت ابن حجر فى تراجمهم ، فلم ينص على جرحه أحد منهم . وكيف يسوغ للبشرى ، أن يعارض أحاديث الترمذى ، بغير أحاديث تقاومها .

﴿ سفره إلى اسبنيول ﴾

اهتم السلطان عبدالحميد ، بالبحث عن الكتب العربية ، الموجودة فى اسبنيول من كتب الأندلسيين . فأشار إليه أحد رجال مملكته ، أن يبعث محمد محمود المذكور ، فبعث إليه بأن يتهيأ للسفر ، فقبل ذلك بشروط منها : أن يعزل ناظر وقف الشناقطة فى المدينة المنوّرة ، وأن يعطيه طباخا ومؤذنا ، وأن يعطيه المكافأة إذا رجع ، وقد ذكر هو نفسه هذه الشروط فى رحلته ، وإليها أشار فى قصيدته المسماة : هذا حظ جد من المبناه . وبراءة محمد محمود من عاب الجهل الذى عيناه ، بقوله :

فكان من السلطان أمرك بعد ما شرطت أموراً لم تصادف أولى عَزْم

ثم إن السلطان ، بعثه فى وابور مخصوص على كيسه ، وأعطاه مؤذناً وطباخا . وبعث معه أحد أدباء تونس ، وكانا يتخاصمان دائما فى الطريق ، ثم إنه ذهب إلى إسبنيول وكتب أسماء الكتب النادرة ، التى لاتوجد فى القسطنطينية . ثم رجع فبعث إليه السلطان بأن يقدم الأوراق التى عنده ، فأبى أن يقدمها إلا بعد أخذ أتعابه ، فبعث إليه السلطان ، بأن مكافأته ستأتيه ، فامتنع . فرد عليه السلطان

بأن لا حاجة له فى الأوراق ، فضاع سفره بغير فائدة . ثم إن أسكار ملك السويد والنرويج ، بعث إلى السلطان ، أن يبعث إليه وفداً من أبناء العرب ، يسألهم عن أشياء فى القرآن ، وعن أشعار العرب ، وأن يكون فيهم محمد محمود الشنقيطى . فبعث إليه السلطان بأن يتهيأ للسفر . فقال : لا ، حتى تعطونى مكافأة أتعابى . فغضب عليه السلطان ، وأمره بالسفر إلى المدينة .

﴿ خروجه من المدينة ﴾

تقدم أن أهل المدينة ، صاروا يداً واحدة عليه ، ما عدا عبد الجليل برادة رحمه الله ، فإنه لم يزل يواليه ويحتمله ، إلى أن اتفق أنه دخل على جماعة ممن يعاديه . وكان عبد الجليل قاعداً بينهم ، فلم يقم إليه أحد منهم ، وما قام عبد الجليل أيضاً . فقال : هو بال حمار ، فاستبال أحمره . فغضب عبد الجليل ، حيث جعله حماراً فى وجهه ، ثم إنهم اتفقوا على إخراجه من المدينة ، وكلموا الوالى فى ذلك ، فبعث إليه : لئن أصبح فى المدينة ، لأفعلنّ به كيت وكيت . فخرج ليلا ، وشيعه الأديب الفاضل ، محمد بن عبد الرحمن القاضى ، وأمين برى شيخ الفراشين فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم ، وسعد المخرج ، رحم الله الجميع . وترك كتبه وجاريته ، عند أمين برى ، وسار إلى مصر ، ونزل عند نقيب الأشراف السيد توفيق البكرى ، فأكرم منزله واستأجر له بيتاً ، وأجرى عليه خمس جنيهات فى الشهر ، وبعث أحد أعوانه إلى جاريته وكتبه ، ومصروف الكل من عنده . ثم جمع عليه شمله ، وكان السيد البكرى يشرح إذ ذاك أراجيز العرب ، فطبعها فلما تم طبعها ، ادعى محمد محمود أنه اغتصب شرحه ونسبه إلى نفسه ، ورفع عليه قضية ، ففشل فيها . والحق أن السيد البكرى ، لا يعجز عن تأليف مثل ذلك الشرح ، وقد ألف ما هو أحسن منه . على أنا لو فرضنا أنه لمحمد محمود ، لكان الواجب عليه أن يتركه له ، لكثرة إحسانه عليه . فذلك سبب النفرة بينهما ، ثم

خرج من عنده ، واتصل بمحمد عبده مفتى مصر السابق ، وسعى له فى راتب من الأوقاف ، قدره خمس جنيهات ، ولم تقع بينهما وحشة ، حتى ماتا رحمهما الله .

أما مرتبته عندى فى الشعر ، فإنها تعلم من قصائده التى طبعت فى رحلته ، فإن كان له شعر كثير ، فتلك خلاصته . ومن أسلسها ألفاظاً ، قصيدته التى هجا بها الأزهر بين عموماً ، وخص منها شيخ المالكية فى ذلك العصر ، الأستاذ البشرى ، ومنها :

فأشلِ عَلَيَّ الأزهر اللدَّ بُسلاً كأن لهم عندى دماء الطوائل
حلائب علم للسباق أعدها سوابقها فى الشوط خلف الفساكل

وهجا فيها البشرى هجواً قبيحاً . وهى طويلة عددها ١٣١ بيتاً . أما قصيدته التى هجا بها البرزنجيين ، فليست بشىء ، وهى طويلة ، ومنها يخاطب السيد أحمد البرزنجى :

رِباكَ فى النسب المجهول زاد على رباك فى فضةٍ بيضاء أو ذهب

ومنها يذكر زرُّوق باشا ، وعبد الجليل براده ، رحمهما الله تعالى :

زروق والفيخ برادة قد أرتضيا أن تدخل النارذات الجر والحطب
ويدخلا النار مَعْكَ لاتفاقكم على أباطيل من غىّ ومن شغب
إذ أنتم حزبُ شيطان ضعيف قوى يقتادكم فى فيافى الجهل والتعب

وله قصيدة فى هجو عبد الجليل براده ، والسيد أحمد البرزنجى ، وغيرهم ممن شاركهم فى تلك الشحناء ، وعددها ١٤٢ بيتاً ، ومطلعها :

أحنُّ إلى الرسول فيعترينى إذا ليلى دجا ما يعترينى

وله أيضاً قصيدة أخرى فى هجوهم ، عددها ١٢٠ بيتاً ، ومطلعها :

صراط العلم نستبق استباقا وشأو الجهل نجتنبُ السباقا

ومما هجاه به عبد الجليل أفندى براده ، ينتصر للقاضى عياض لما غلطه :

يا أبا الفضل إن يكن ساء قولٌ ... لجهول من شأنه الإزدراء
زور قولٍ به تبجَّحَ جَهلا ... تركزىٌّ له الحماقة داء
تركزىٌّ بكل خِزى ملىٌّ ... شأنهُ العُجْبُ دأبُهُ ألافتراء
ليس يدرى بأنه ليس يدرى ... وله الحُمْق عادة والمراء
ظنَّ منْ حُمْقهِ بأن عياضاً ... عاكشٌ خاب ظنهُ والرجاء
كلُّ من رامَ أن يُخطِّئَ قَوْلا ... لك ذاك الغبيُّ والخطَّاء
يا أبا الفضلِ أنت للفضلِ أهلٌ ... ولك الفضل شيمةٌ والوفاء
ولك الفخرُ بالمشارق أضحىٰ ... شاهداً والشفاء نعم الشفاء
ومساعيك بالمآثر أمستْ ... ما لها فى قبيلها أكفاء
لك بحرٌ من العلوم عميقٌ ... لم تكدّرْ صفاء ذاك الدلاء
ولقد قام نصرةً لك منّا ... عندَ دعواكَ مَعْشرٌ خُشَناء[1]
نصروا الحقَّ بانتصارِكَ حق ... لاحَ ما فيهِ للعيونِ خفاء
لم يكونوا أبناء درزة كلاّ ... لا ولا قطُّ أسلموا من جاؤا[2]
نصرةُ الحقّ دينهمْ من قديم ... ليس فيها على الدُّهور امتراء
فسلامٌ على ضريحكَ منّا ... وثناء ورَحمةٌ ودُعاء

وقال أيضاً :

متى تسألوا شنقيط عن شرّ أهلها ... تجبكم بأعلا الصَّوْتِ تُرْكُز تُرْكُزُ
فتركُزُ فى شنقيط شرُّ قبيلةٍ ... لدائرَةِ اللؤمِ المحيطةِ مركزُ

---

(١) غلطه محمد محمود فى جمعه خشن على خشناء . لأن فعلاء، لا يجمع عليه . إلا وصف على فعيل . وجاب بأن بعض النحاة أجازه فى كل وصف . دل على سجية مدح أو ذم .
(٢) أولاد درزة السفلة . وكان محمد محمود يلقب علماء الدينة بذلك .

ومنها فى تعداد مساوىء محمد محمود المذكور :

وللفخرِ فخرِ الدين قام منقصاً يُكرّرُ تُفْ تُفْ لايبالى ويهمزُ
وفى مصرَ للكفارِ قام مفضّلاً على أهلها فى نظمِهِ الرّذلِ يُلْغِزُ

ومنهـــا :

ما العلم ولا ما يَزين لأهله ويهدى وعن قبحِ الأفاعيل يَحْجِزُ

وهى طويلة ، وله من أخرى :

أوْصتْ بنيها تُرْكُزٌ بوصيةٍ يا بئسَ ما أوصت به أبناءها
شنقيطُ فيها التركُزِىُّ مُحَقَّرٌ يدرى بذلك كلُّ من قد جاءها
وابن التلاميذِ الخبيثُ التركزى أخرى شناقطةَ البلاد وساءها
هو لحمةٌ لا منْ زوايا أرض شنـــقيطٍ ولا حَسَبِها أمراءها[1]
وعلى الذين لهم عليـــــه مِنَّةٌ مُتسلط لا يأتلى إيذاءها
واللهِ لوْ قُسِمَ الذى فيـــه على كلّ التراكزِ لِلْمَساوى ناءها

ومنهـــا :

يا ابن التلاميـذ الذين لهم على رَكَب الفتاةِ تواثُبٌ ماساءها
حلفتْ تقولُ لمن يلومُ على الخنا غيرُ التلاميذِ أمروٌ ما جاءها

وقد أرّخ موته أحد أدباء المصريين . يقال له : كامل ، وكان يعاديه . فلما بلغه موته ، نظم أربعة أبيات ، و بعثها إلى بعض المجلات فنشرتها ، ونشرت موته هو أيضاً ، وقد لقيته بعد المغرب ، فأنشدنى الأبيات ، ومات فى الليلة القابلة من غير علة . ومطلع الأبيات :

---

(١) اللحمة : جنس من الناس منحط فى أرض شنقيط . وليس محمد محمود المذكور منهم ، بل هو فى عداد الزوايا ، ولله در القائل :

من أحوج الناس إلى ذمه ذموه بالحـــق وبالبـــاطل

مات الإمام التركزى وانقضى وبموته مات السباب والشغب

وضاع منى غيره ، إلا موضع التاريخ وهو آخرها :

* أمات الله سراق الكتب *

* * *

تتميم لما تقدم من قصائد ، قد أمليتها ناقصة لطول عهدى بها ، وبعد طبعها وردت علىّ ، فأحببت تتميمها ، لتحصل الفائدة لمن يحب الاطلاع عليها ، وهذه قصيدة ابن رازكة ، المترجم فى أوّل الكتاب ، وتقدم بعضها يمدح بها سيدى محمد العالم ابن السلطان مولاى إسماعيل :

دع العِيسَ والبيداء تذرَعُها شطحا وسمها بُحُورَ الآلِ تسبَحها سبْحا

ولا ترْعها إلا الذميلَ فطالما رعت ناضرَ القيصوم والشيح والطلْحا

ولا تصغِ للناهينَ فيما نويتَهُ وخفْ حيثُ يخفى الغِشّ من يظهرُ النُّصحا

فكنْ قمراً يَفرى الدُّجى كل ليلةٍ ولا تكُ كالقُمْرىِّ يستعذبُ الصَّدحا(١)

وقارضْ همومَ النفس بالسير والشرى على ثقةٍ بالله فى نيلكَ الربحا(٢)

وأمَّ بساطَ ابن الشريفِ محمدٍ مبيدِ العداد كراً ومبدى الهدى صبحا

فتىً يسعُ الدنيا كما هى صدْرُهُ فأمسى به صَدْرُ الديانةِ منذحّا(٣)

ومَنْ هدْيُهُ ساوى النهارَ وليلهُ فأمسى يُنيرُ الخافقينَ كما أضحا

ومن هو غيثٌ أخصَلَ الأرضَ رَوْضُهُ فلا يظمأُ الآوى إليه ولا يضحى(٤)

وليثٌ بحقِّ الله لم يُبقِ رُعْبُهُ عُواءَ لكلابِ الترهاتِ ولا نَبْحا(٥)

---

(١) يفرى : يقطع . والقمرى : ضرب من الحمام . ويستعذب : يستحلى . والصدح : رفع الصوت بالغناء .

(٢) قارض : راوح .

(٣) منذحا : متسماً .

(٤) أخصل الأرض : أى بلها . ويضحى : يعرز للشمس .

(٥) الترهات : الأباطيل واحدها ترهة .

هِزَبْرٌ عدا فى شِرْعةِ الرمح والعدا ... غَدَوْا بَقَراً يستعملُ النحرَ والذبحا(١)

أميرٌ ملوكُ الكفرِ أضحوا لسيفهِ ... كما تتبغّى الذبحَ فى عيدها الأضحى

تزيدُ على الفاقاتِ فيضاتُ كفهِ ... فيَغرَقُ فى التيارِ مَن يأملُ النَّضحا(٢)

فأىُّ مُنىً لم نرْوَ منها فإن تكنْ ... فمحرُومةٌ أن تُبرِدَ الظمأ البَرْحا(٣)

فلا تَرُمِ التشبيهَ فيهِ فقدْ جرى ... معَ الظاهرِ المُدنى إلى السكّرِ الملْحا

سعى وسعوا للسكرُماتِ فأقصرُوا ... ولم يرضَ حتى استكملَ السكرَ القُحّا(٤)

وفلقَ فيهمْ بيضةَ المجدِ قاسمٌ ... فناوَلهمْ قَيْضاً وناولهُ المُلحا(٥)

فتى يستقلُّ البحر جود بنانهِ ... على حالةِ استكثارِ حاتمِ الرَّشحا

مساعيهِ فى الخطب الجليل يرُومُهُ ... كآمالِ مَن يرْجُوهُ تستصحبُ النُّجْحا

صفاتٌ كَدُرِّ البَحرِ صَفواً ولجّهِ ... حِساباً فمن يأتى على مائهِ نَزْحا

وآياتُ علمٍ أغمدَ الجهلَ نُورُها ... وغاياتُ جِدٍّ ليس تطلابُها مَزْحا

ورأىٌ يُرِيهِ اليومَ مافى حشا غدٍ ... ويكشِفُ عنهُ من دُجى ليلهِ جنْحا

وحَزْمٌ يَهُزُّ الراسياتِ ثباتُهُ ... وعزمٌ يُحاكى الزندَ ماضيُّهُ قدحا(٦)

وكفٌّ تُرِى وكُفَّ الحيا كيف ينهمى ... إلى خُلُقٍ يُرِى نسيمَ الصَّبا النفحا

وبشرٌ مُحيًّا عَلّمَ الصُّبحَ ما السَّنا ... وقبضٌ أرَى النارَ التأجُّجَ والالْفحا

وتأليفُهُ أشتاتَ كلِّ فضيلةٍ ... ومكرُمةٍ غرّاءَ تعجزنا شرْحا

---

(١) الهزبر : الأسد .

(٢) الفاقات : جمع فاقة ، وهى الحاجة .

(٣) البرح : الشدة .

(٤) القح : الخالص .

(٥) فلق : شقق . والقيض : قشر البيضة . والملح : صفرة البيضة . وعبارة ابن سيده : فض البيضة ، وهى أحسن .

(٦) قوله : ماضيه الخ . القياس أن يقول : ماضيه بغير إظهار الرفع ويجوز أيضاً إظهاره ونظيره قول جرير :

وعرق الفرزدق شر العروق ... خبيث الثرى كابىُ الأزند

كفانا اتخاذ الفال فى القصد يمنهُ ... فلسنا نخط الرمل أو نضربُ القِدْحا
مهيبٌ مخوفٌ بطشُهُ تحت حلمِهِ ... عَفُوٌّ يَرى إلا عن الباطلِ الصَّفْحا
فهلْ كان معزوًّا إلى الحلم قبله ... نعمْ أو كريم يدَّعى غيرَهُ سَمْحا
فأقدمَ حتى فارق الجُبنَ صافرٌ ... وجاد إلى أن عاف مادِرُ الشُّحا(١)
ولم تُذْعِنِ الأعداء محضَ مودّة ... إليهِ ولكنْ إنما كرهوا القرْحا
رأوْا ضيْغَماً يعطى الحروب حقوقَها ... وإن تضع الأوزارَ يُبْرِمْ لها صلحا(٢)
ويستغرقُ الأوقات فى الجِدّ كلها ... ولا يَهَبُ التلعابَ ما يَسَعُ اللمحا(٣)
مواصلةٌ حَبْلَ الجهادِ جيادُهُ ... ووقفاً على غَزْوِ العِدى عَدْوها ضبْحا(٤)
معاديهُ مُعطًى بالحياةِ منيةَ ... وبالجنةِ الأخرى وبالسُّندسِ المُسحا
أبا ابنُ أميرِ المؤمنينَ وسيفُهُ ... وصمصامه أن يرفَعَ الضربَ والنطحا
تُشابهُهُ خَلْقاً وَخُلُقاً فسامِهِ ... إلى الفَلَكِ الأعلى فإنكَ لا تُلْحا
تهندستِ العليا فأحرزت جسمها ... لإحرازك النقطاتِ والخطَّ والسَّطحا
فكمْ من حديثٍ كان يُسندُ للندَى ... ولكنهُ لولا نوالكَ ماصَحَّا
فأعطيتنى الأعيان والعين والكسا ... وبيض الظبا والنُّوقَ والخيل والطَّلْحا
فلا زالتَ للإسلام عيداً منغّصاً ... تنغصُ حسناه السَّمانين والفصحا(٥)
أبوك لحكم الشرع ولاك عَهدَهُ ... فلم تَلْقَ كدًّا للسؤالِ ولا كدْحا

---

(١) صافر : طائر يضرب به المثل فى الجبن ، ينكس رأسه ويتعلق برجليه وهو يصفر ، خيفة أن ينام فيؤخذ . وقيل : الصافر : الجبان مطلقاً ، وهذا أنسب للمعنى ، أى أقدم حتى علم الجبان الشجاعة . ومادر : رجل يضرب به المثل فى البخل .

(٢) الأوزار : الأثقال . يقال : وضعت الحرب أوزارها ، أى أثقالها من آلة وسلاح .

(٣) التلعاب : اللعب . واللمح : لمح فى الطرف . أى لا ينفك فى الجد ، ولاحظ له فى اللعب .

(٤) الضبح : نوع من العدو ، وهو نائب عن مصدر : عدت . وهذا مقتبس من قوله تعالى « والعاديات ضبحاً » .

(٥) السمانين : عيد للنصارى قبل الفصح بأسبوع . والفصح بالكسر : عيد للنصارى أيضاً ، وهو نوروزهم . وهو إذا أفطروا وأكلوا اللحم .

وأعطاكهُ إذ ليس غيرُك أهله ... وللعقل نورٌ مَيَّزَ الحسنَ والقُبحا
كفى دُرَّهُ فخراً تحليكَ سمطَهُ ... ومَنعكهُ تلك المعزَّةَ والقدْحا
فأهدى إليكَ بلقيسَ الدهرُ ملكه ... وأبدى لك الكرسيّ والعرش والصرحا
وولاّكَ ربُّ العرشِ ملك بقاعِها ... وأصحبَكَ التمكينَ والنصرَ والفتحا
إليك بها يا كعبة المجدِ كاعِباً ... من الشعرِ لاتستطاعُ أركانُها مسحا
إذاشهدَتْ زَكّى الأعادى حديثها ... وإنْ أتْخَنَتْ عنّا قلوبُهُمُ جَرْحا
أكلّفُها فرضَ المحالِ أداءها ... لشُكرِ ندًى لاينتهى مُزنُهُ سَحّا
فخذها أبنةَ الحامِ التى الحمد مبتدا ... لها وبها خلاّقُها كلَّ المَدْحا

وقال أيضاً يمدحُ المولى محمد العالم المتقدم :

أثارَ الهوى سجعُ الحمامِ المُغَرّدِ ... وأرّقنى الطَّيفُ الذى لم أُطرّدِ[1]
ومسرى نسيمٍ من أكيناف حائلٍ ... وبَرقٍ سَقى هاميهِ بُرْقةَ شَهْمَدِ
وذكر التى بالقلب خَيَّمَ حُبُّها ... وألبَسنى قهراً علالة مُكمَدِ
فبتُّ أقاسى ليلةً نابغيّة ... تُعرّفنى هَمَّ السَّليمِ المُسَهّدِ[2]
طويلةُ أذيالِ الدُّجى دَبَّ نَجْمُها ... إلى الغربِ مَشْىَ الحائرِ المتردّدِ
وَيُزْعجُ وُرّادَ الكرى دون مُقلتى ... بُعُوثُ غَرَامٍ من لدُنْ أم مَعْبدِ
بنفسى عُرْقوبيةُ الوَعدِ مانَوَت ... وإن حلفتْ قط الوفاء بموْعدِ
تَرُد إلى دين الصبابة والصِّبا ... فؤادَ الحليمِ الرّاهبِ المُتعبّدِ
وَيقصِدُ فى قتلِ الأحبةِ قُرْبةً ... بشرْعةِ دَيّانِ الهوَى المُتأكدِ

(١) يعنى أنه لم يجف ذلك الطيف ، كما وقع لجرير حيث قال :

طرقتك صائدة القلوب ، وليس ذا ... وقتَ الزيارة فارجعى بسلام

فقد عابت ذلك عليه السيدة سكينة ، وقالت له : هلا قلت : فادخلى بسلام .

(٢) يشير إلى قول النابغة :

فبتُّ كأنى ساورتنى ضئيلة ... من الرقش فى أنيابها السم ناقعُ

فتاةٌ حكاها فرْقدُ الجوّ منظراً ... كما ناسبتها نظـرةً أمُّ فرْقدِ
مُهفهفةُ الكشحَينَ لم يدرِ طرْفُها ... مِنَ الكُحلِ الخلقىّ ما كُحلُ إثمِدِ
إذا ما تثنّتْ واسْبكرّ قوامُها ... عَلِمْتَ بأنّ البانَ لم يتأوّدِ
وخاطبَ قاضى شِرْعةِ الشكلِ رِدْفُها ... إذا ما أقامَ العطْفَ منها بأقعدِ (١)
غَضوبٌ أرَتْها نخوةٌ فى عِظامِها ... أنِ الوَضْمَ وَصْلَ العاشقِ المُتودّدِ
على نَحْوِها تأبى الخليلَ تأنُّفاً ... وشُحّاً برَشْفٍ منْ لمـاها المُبرّدِ
إذا ما تَرَضّاها تسامَتْ بأنفِها ... صُدُوداً وسامَتْنى تجرُّعَ جَلْمَدِ
وأحرَقَ صدْرى مازَهافوقَ نحْرِها ... وأشرَقُ من جمرِ الغَضى المتوقّدِ
سَبقنى فقبّلْتُ الثرَى مُتخلّصاً ... أمامَ أمتداحِ ابنِ الشريف محمد
هوَ الوارثُ الفضْلَ النبىّ خالصاً ... منَ العِلمِ والعَلْيا ومن طيبِ مَحْتِدِ
يُمالُ اليتامَى والأيامى مُوَكّلٌ ... بتفْريجِ غَمّاءِ الشّجى المتنكّدِ (٢)
غَيُورٌ إذا ما الحقُّ غـيّرَ مُولَعٌ ... بقَطعِ لسانِ الباطِلِىّ اليَلَنْدَدِ (٣)
أديبٌ أريبٌ لَينُ الجَنْبِ هَيّنٌ ... ولـكنْ متَى عادى فأىُّ مُشَدِّدِ
إذا كشفَتْ عَنْ ساقِها الحربُ وَالتظتْ ... وَساوَتْ صَدُوقَ الملتقَى بالمُفنّدِ
سَقَى الرُّمْحَ من نحرِ العَدُوِّ فدَيْتُهُ ... وقامَ بحقِ المَشْرَفىّ المُهنّدِ
أغَرُّ المُحَيّا طاهرُ البشرِ طاهرُ السّـ ... ـجايا كريمُ اليوْمِ وَالأمْسِ وَالغدِ
جَزِيلَ النّدَى ماأفّ فى وجهِ حاجةٍ ... ولا كفّ حاشا جُودَهُ كفُّ مُجتدِ (٤)

---

(١) الشكل بالكسر والفتح : غنج المرأة ودلها وغزلها : يقال : امرأة ذات شكل ، وهو ماتتحسن به من الغنج وحسن الدل .

(٢) الثمال : كـكتاب الغياث الذى يقوم بأمر قومه . والتفريج : التوسيع . والغماء : الكرب ، والشجى : الحزين : والمتنكد : الذى نـكد عيشه ، أى عسر .

(٣) اليلندد : الشديد الخصومة الجدل ، ويقال له : الألندد . قال ابن جنى : همزة ألندد وياء يلندد ، كلتاهما للالحاق . والدليل على صحة الإلحاق . ظهور التضعيف .

(٤) أف . قال : أف ، وهى كلمة تقال عند الاستثقال . والمجتدى : طالب الجدى أى العطاء .

كِلاَ الدِّينِ وَالدنيا بهِ أزْدَانَ وَازْدَهى ... وَأَمَّنَ شرَّ المُبطِلِ المتمرِّدِ
فريدُ العُلىٰ يقوىٰ لِرِقةِ طبعِهِ ... عَنِ الجمعِ بينَ النارِ وَالماءِ فى يدِ
حَمِيدُ المساعى سارَ فى الرتبِ العُلىٰ ... مِنَ المجدِ سَيرَ الغائثِ المتفرد
تُساعِدُهُ فى ذاكَ نَفْسٌ نفيسةٌ ... تَعُدُّ الثُّرَيّا للفتى غيرَ مصْعَدِ
دأبتُ على السيرِ المبرّحِ والسُّرَىٰ ... أجُوبُ الفيافى فدْفداً بعد فدْفد(١)
مَهامهَ للسارِينَ فيها توقُّعٌ ... لأهْوَالِ أغْوَالٍ طواغيتَ مُرَّدِ(٢)
بطيرُ لما يُبْدِيهَ من تلونٍ ... شَعاعاً فؤادُ الضابطِ المتجلدِ(٣)
إلى حضرةٍ سَنِّيةٍ حَسَنِيّة ... منيرَةِ آلاءِ الهدىٰ المتصعدِ(٤)
حَوَتْ شَرَفَ العِلمِ الرفيعِ عِمادُهُ ... إلى شَرَفِ البيتِ الكريمِ المصمّدِ(٥)
فما تمّ إلا تمّ فضلٌ ولا اسْتَوَىٰ ... سِوىٰ ما تحلّتْ من كمالٍ وسُؤْدَدِ(٦)
وَبحرُ ندًى ما لِلفُرَاتِ أنسجامُهُ ... وَدِجْلَةُ لا تَحكيهِ فُسْحةَ مَوْرِدِ
فأعْتادُ منهُ ما تعوّدْتُ منْ يدَىْ ... أبيهِ أمـــيرِ المؤمنين المؤيدِ
هُما والدٌ ما توّجَ الملكُ مِثلَهُ ... وَمَوْلودُ صِدْقٍ بالمكارمِ مُرْتَدِ
عَظيمانِ مَعْنِيان بالدينِ وَحدَهُ ... فأعْطتهُما الدُّنيا سُلالةَ مِقْوَدِ

---

(١) دأبت : من الدأب ، وهو الجد والتعب . والمبرح : الذى يبلغ بصاحبه الشدة . والدوامى والفيافى : الفلوات . والفدفد : الفلاة . وقيل : هو المكان الصلب الغليظ .

(٢) المهامه : جمع مهمه ، وهى المفازة البعيدة . وتوقع الشىء : انتظاره . والأهوال : جمع هول : والأغوال : جمع غول ، وهو ذكر السعلاة الذى قيل إنه لا حقيقة له . وطواغيت : جمع طاغوت ، وهو الشيطان . ومرد : جمع : مارد ، وهو العاتى .

(٣) الشعاع : المتفرق ، والضابط : القوى الشديد ، والمتجلد بمعناه .

(٤) الآلاء : النعم .

(٥) المصمد : الذى يقصده الناس لنيل حوائجهم ، وهذا مأخوذ من قول طرفة :

وإن يلتقى الحىّ الجميع تلاقنى ... إلى ذروة البيت الكريم المصمد

(٦) قوله فما تم إلا تم فضل الخ . فضل : فاعل تم . وثم : ظرف متعلق بتم ، أى لم يكمل فضل ، إلا فى الموضوع الذى فيه الممدوح ، أى أصله .

فلا بَرِحا بدْرَيْنِ عَمَّ سَناهُما ... وَبحْرَين لا يعدُوهما قصدُ مُجتد

أمكنهُ من بكرِ شعرٍ خريدةٍ ... نتيجةِ فكرٍ سَلْسَلِ الطبع جَيِّدِ

عَرُوبٌ عروسُ الزىّ أندلسيةٌ ... مِنَ الأدَبِ الغضّ الذى روضه ند (١)

من اللاء يستصبين ميمنحْنُ عَنْوَةً ... ويَمْهدْنَ فى الحرّاقِ أطيبَ مَعْهَدِ (٢)

ويسلبنَ معقولَ ابنِ زَيدُون غِبْطَةً ... بأسْلوبِ ما يَسقين من خمرِ صرخَدِ (٣)

مُهَذَّبةٌ يَستملحُ الذهنُ سرَّها ... ويستعذبُ أسترسالها ذوق منشِدِ

ترقّتْ لما فاقَتْ وَراقَتْ تبرُّجاً ... على مُعْتلى بُرْجِ البديع المشيّدِ

وجانَستُها لفظاً ومعنًى كما اكتستْ ... نقى السّيَراءِ البَضّةُ المُتجَرِّدِ (٤)

وقيّدْتُ فيها غِزلةً لا يَنالُها ... سوابقُ فكرِ السابقِ المتصيِّدِ

وأودعتُها مما ابتدَعْتُ خُلاصةً ... يُبادِرُها بالمدْحِ ألسُنُ حُسَّدِى

تمنَّى العذارى لو تقلّدْنَ سِمْطَها ... مكان عقودِ الزبرجِ المزبرْجَدِ (٥)

وزخرفتها فى معرَض المدْح روضة ... لِتُسقى بوبلٍ من نداهُ مُسرْمَد

رَوىَ أُنُفاً زان الندى صفحاتِها ... وقلّدَها أسلاكَ دُرٍّ مُنضّدِ (٦)

أرَتْ من رَياحينِ الثناءِ أنيقَها ... ومنْ زَهَرِ الآدابِ مالم يُخضّدِ (٧)

---

(١) الغض : الطرى .

(٢) اللاء : بمعنى اللاتى ، وهو صفة لمحذوف ، أى من القصائد اللاء . ومينحن : بضم النون على الحكاية : صالح مشهور . والحراق : هو صاحب الطريقة فى المغرب .

(٣) ابن زيدون : هو الوزير أبو الوليد المشهور صاحب الرسالة المشهورة التى شرحها ابن نباتة . وصرخد : بلد بالشام تنسب إليه الخمر.

(٤) نقى بسكون الياء : أصله نقى بفتحها ، وعدم إظهار النصب فى مثله سائغ . والسيراء : الذهب . والبضة : الرخصة الجسد ، الرقيقة الجلد الممتلئة . والبضة : صفة مشبهة باسم الفاعل وأضيفت إلى فاعلها وهو المتجرد .

(٥) الزبرج : الذهب . والمزبرجد : المزين .

(٦) الأنف فى الأصل : النبات الذى لم يرع . ومنضد : مجعول بعضه فوق بعض .

(٧) الرياحين : جمع ريحان ، وهو نبت طيب الرائحة . والأنيق : المعجب . والزهر : النبات ونوره ، أو النور الأبيض ، والزهر الأصفر منه . ولم يخضد : لم يكسر .

هديةُ مَنْ كسرَى وقيصرُ عندَهُ من النزرِ فى ذاكَ المقامِ المحمدى
تَخادَعْ وإن كنتَ اللبيبَ لبهرَجى ولا تنتقدْ يا سيدِى وابن سيّد(١)
يميناً بما أولاكَ مولاكَ من عُلاً وعِزّ حُلاً فاتَتْ بَنانَ المعَدّدِ
لطابَقتَ وَسْمَ الفاطِمِىّ وسَمْتَهُ فأهلاً وسَهْلاً بالإمامِ المجدِّدِ(٢)
تَهنّأ على رَغمِ الحسودِ وَذُلّهِ لذاكَ الكمالِ الصِّرفِ وأسْعَدْ وأسْعِد
وأبجحْ وأهلِكْ وأملِكْ الأرضَ كلّها فأنتَ ولىُّ العهدِ وأغْوِرْ وأنجِدِ(٣)
وشرّقْ وغرّبْ فالبلادُ مشوقةٌ بما سوف تُحبِى وأشكرِ الله وأحمد

* * *

وقال محنض باب بن أعبيد الديمانى ، الذى تقدّمت ترجمتهُ ، يخاطب حرم ابن عبد الجليل العلوى ، الذى تقدمت ترجمته أيضاً ، فيما وقع بينهما فى مسألة الحبُس التى تقدمت :

دعِ المدْحَ يغدُو فى مسارحه يرعى ولا ترعه إلا كَلاً طيّبَ المرْعى
ولا تمنَحِ المدحَ المهذّبَ غيرَ مَنْ له ربهُ قد طيبَ الأصلَ والفرْعا
فَعمّمْ به فى إيدَوْعل وخصّصَنْ بَنى شيخنا قاضى القضاة تجد مرعا
فإنّ لهمْ فى سالف الدهرِ رُتبةً عَلَتْ بعلىٍّ تَفْرَعُ المرتقى فرْعا(٤)
تمادتْ فما تنفكُّ ثمّ كواكبٌ تضىء لياليها حَنادسَ أوْدُرْعا(٥)
لهمْ من هجانِ الفكرِ أىُّ نجائبٍ تجوبُ قِفارَ العلمِ تذرعُها ذرْعا

(١) التخادع : أن يظهر الإنسان أنه مخدوع ، وليس كذلك . والبهرج هنا : المراد به ردىء شعره . والانتقاد فى الأصل : تمييز الدراهم ، أى لاتدقق فى انتقاد شعرى .
(٢) الفاطمى : هو المهدى المنتظر .
(٣) أبجح : أفرح . ومعنى أهلك : أقتل من يعاديك . وأغور : أذهب إلى الغور ، وهوغور تهامة . والقياس أغر ، ويجوز تصحيحه . وأنجد : أذهب إلى نجد .
(٤) تفرع : تفوق من فرعه إذا غلبه فى الطول .
(٥) الحنادس : الليالى المظلمة . والدرع ، بالضم فالسكون : جمع درعاء على القياس ، وتجمع على فعل ، كصرد من غير قياس ، وهى ليلة ست عشرة ، وسبع عشرة ، وثمان عشرة ، وهى التى تلى البيض .

نجائبُ إن ندّتْ أوابدُ مُشكِلِ ... من العلم شلّتها فتتركُها صَرْعا
فلسنا بمجدِ الله نجحد فضلَهمْ ... وجاحد ضاحى الحق يصرعُهُ صرعا
فجدُّهمُ أستاذ تاشمش كلّهمْ ... قد ارتضعوا من علمه الخلف والضرعا(١)
فحُقَّ علينا نصرُهمْ واحترامُهمْ ... وتوقيرُهمْ ماأنبتتْ تُربةٌ زَرْعا
لقدْ هالنى من وجدِ حرْمَةَ شيخِهمْ ... عَلىَّ شَجاً لاأستطيعُ له جزْعا
هنيئاً مريئاً سَلْسَلاً مابداَلَكم ... مِن القولِ ماباحَتْ إجازَتَهُ شرْعا(٢)
لئن كنتُ قد بُلّغتُ عنكم مقالةً ... فإنى وربى لاأضيقُ بها ذَرْعا
فإنّ لكم حُرْمةُ الشيخُ حُرْمةً ... لدينا لها من تالدِ الحلم أن تُرْعىٰ
وما كان ظنى أن إيضاح مُشكِلٍ ... تنازعَ فيهِ الناسُ تجعلُهُ قذْعا
رُوَيْداً فما فيما كتبتُ اهتضامُكم ... وَإنْ تنصِفونى فى المقالِ فلا بدْعا(٣)
فإنكم الأشراف ألاَ نصاف شأنُكم ... وكلُّ خصالِ الحمدِ كان لكم طبعاً
وإنى لأرجو أن أنالَ رضاكمُ ... ويرجوولوجَ الباب مَنْ أدْمَنَ القَرعا(٤)

وقال حرم بن عبد الجليل العلوى يجيبهُ :

إذا صاحَ بازٍ كاسرٌ تَرَكَ السِّجْعا ... حمام غصون الأيْكِ إذ يحتشى الفَجْعا(٥)

---

(١) تاشمش : خمس قبائل من الزوايا معروفة ، سموا بذلك اشتقاقا من قولهم شَمُش : أى خس ، باللغة الشلحية المعروفة بكلام أزناك ، وهى بجدهم القاضى ابن الطالب العلوى . فإنه لما خرج من مدينة شنقيط إلى أرض القبلة ، كان يقرئ العلوم لإبدا بلحسن ، وتشمش المذكورين . والخلف : واحد أخلاف الناقة ، وهو المؤخر من أطبائها . وقيل : هو الضرع نفسه ، وعليه فالضرع بعده ، من عطف الشيء على مرادفه .

(٢) السلسل : الماء العذب . وباحت : ظهرت .

(٣) قوله : فلا بدع ، أى ليس ذلك بأول مافعلتم من الإنصاف .

(٤) هذا مقتبس من قول الحماسى :

أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته ... ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

(٥) البازى : معروف . والكاسر : الذى ضم جناحيه ، حتى ينقضّ ، يريد الوقوع .

عجمتم أساليب الفصاحة فاصطفت ... قرائحكم أسنا أساليبها فرعا[1]
فأهديت من حوك البلاغة حلة ... تحلى مجيداً وشيها الفكر أو درعا
يترجم لى عن جودة الطبع وشيها ... فقد جاء وترا لا أطيق له شفعا
تدب حميّاها لذى الذوق والذكا ... إذا قرعت من منشديها له سمعا
فأطربتنى فيها كأنك لم ترد ... سواك فمالى فى مدارجها مسعا
فلا يحسن العقد النفيس جواهراً ... إذا لم يكن فى جيد غانية تلعا
فإنكم الأكفا قد زففتموا ... فهر يواتيها أضيق به ذرعا
بنو يوقبن الله مؤثل مجدهم ... تطاول حتى كاد يخترق السبعا[2]
وخص بنى إذ بارك الله فإنهم ... حموا بيضة الإسلام أن تحتشى صدعا[3]
فقطب رحاهم وهو باب هداهم ... محم جامع الخيرات فى بابه جمعا[4]
لقد وجلت أبوابه كل حلقة ... تعانى أصول الدين والأصل والفرعا
فواضلهم دأباً غواد روائح ... فشانئهم لا يستطيع لها دفعا
مناقبهم تثنى عليهم فمدحهم ... حديث معاد لا يزيدهم رفعا
يغرون بالحلم العدو وربما ... إذا قمعوه عن حمى أحسنوا القمعا
إذا اختلف الأقوام فى حل مشكل ... رعى بعضهم ما لم يكن غيره يرعى
فقل ما ترى واترك سواك وما يرى ... فتخطئة الخطين أو غيرهم شنعا
فهل كانت الأسلاف يجبر بعضهم ... سواه على أمر يرى غيره شرعا

---

(١) عجمتم : أى حررتم وأتقنتم : مأخوذ من عجم الشىء : إذا لاكه للأكل ، أو للخبرة. وأساليب : جمع أسلوب . والمراد به هنا الفن والطريقة .

(٢) يقبن الله : بطن من بنى ديمان .

(٣) بنو إذ بارك الله ، نحذ الممدوح ، وخاطبهم على لغتهم ، فإن اللغة الشلحية ، تزيد لفظة إذ ، بين المضاف والمضاف إليه ، فيما يغلب على ظنى .

(٤) محم : يسمون به . وهو فى الأصل : مرخم محمد .

فلوْ كنْتَ خَطَّأتَ المقدَّمَ أحمداً لَصدْتَ الفَرَىٰ والصَّيْدُ فى جوفهِ صَرعا[1]
و إذْ طاشَ منكم تالدُ الحلم غفلةً بطارفهِ أمسكْتُ إذْ سمتنى قذعا
جَرىٰ بيننا فى راجع الوقف ماجرىٰ ومنشئنا أدْرىٰ بأحسننا صُنْعا
أرِحْ منْ تعاطيهِ لسانَكَ إنه حَظيرةُ أبناءِ الأمينِ التى ترْعىٰ
وخصْ فى حديثٍ غير ذاكَ ولاتعُدْ لذِكرِ لهُ ما أسْبلَتْ مُزْنَةٌ دَمْعا
وما ارْتادَ قَوْمٌ مسنتونَ لِقُوتِهِمْ وضيفانِهِمْ بالزرعِ أو غيرهِ زرْعا[2]
دُعاءٌ بأبياتِ الخفيفِ جَوابُهُ علىَّ خفيفٌ لكنِ الصفْحُ لى أدْعا

ولسيدى محمد بن الشيخ سيدىّ الذى تقدمت ترجمته ، يخاطب أباه :

ياسيدى إنى فِدَاكَ اللهَ بى جارى الحما عنه لى من مذهبِ[3]
أطنابُكم موْصولةٌ بطُنُب لحقّ ذى القرْبىٰ وحقّ الجنبِ
وإننى قِنٌّ لكم لم أُشَب وذو انتسابٍ لست بالمؤتَشَب[4]

---

(١) أحمد : هو العلامة أحمد بن العاقل الديمانى . وكان يوافق حرم المذكور ، على مسألة الوقف التى جرَّت هاتين القصيدتين ، والفرى : الثور الوحشى ، يشير إلى المثل المشهور (كل الصيد فى جوف الفرى) والصيد : نفس المصيد : وصرعى : صريع ، وأفرد الصيد ، لأنه مصدر سمى به وجمع الخبر باعتبار المعنى .

(٢) قوله : وما ارتاد قوم مسنتون الخ : هذا من المذهب الكلامى ، فإن صاحب القصيدة الأولى عرض بقوله :

فحق علينا نصرهم واحترامهم وتوقيرهم ما أنبتت تربة زرعا

بان المخاطب وقومه أهل زراعة ، فأقر هو ذلك . وعرض بأنه هو وقومه أهل زراعة للبطيخ ، ويصنعون منه طعاما ، يقال له : آبركط ، ويقرون منه الضيوف . واسم ذلك البطيخ عندهم إشِرْ كاشْ .

(٣) الله : مفعول به لفعل محذوف . أى : أسأل الله فداك بى ، والحما : أصله الحمام ، فحذف منه الميم الآخر ، وهذا هو المسمى بالاكتفاء .

(٤) القن : العبد الذى ملك هو وأبوه . ولم أشب : أى ليست فىّ شائبة عتق . ولست بالمؤتشب : أى لم أكن مشوبا .

وذو تعلُّـــقٍ وذو تحبُّبِ وذو تملُّـــقٍ وذو ترَبُّب
وسائلٌ وذاك غـيرُ مَشْعب لـكننى فى نيلِـكم كأشعبِ(١)
وكم حقـوق لى لم أأنَبِ إنْ قلتُ أهلها بهم أوصى النبى(٢)
لا أنّ إلَّى منكمُ لم يُرْقَبِ غصاً لما من فضلـكم عُلّقَ بى(٣)
لـكن عدا بى الطورَ توقُ رقبى مِن نسبتى لـكم لأعلى مَرقَب(٤)
وأحمـد الله فلو لم أنسَب إلى حماكم فى الورىٰ لم أحسب
ولم تجدْ ركائبى منْ مضربِ فى مشرق الأرض ولا فى المغرب(٥)
نعم كفانى لأمتـلاءِ جُرُبى علمى بكم ورؤيتى وَقُرُبى(٦)
فى جَنب ذلك هَبـاً عندَ هبى ملء البرىٰ من فضةٍ وذهب(٧)
أمّى فِدَاكم بعدَ أن يُبدأ بى وبأبى لو أن غيرَكمْ أبى
ووجنتى لنعلـكم فى التيْرَبِ وِقايةٌ من شـوكةٍ وعقرب(٨)
مَنِ أدّعىٰ عنكم غنىً فى مذهب إنى إلى مذهبـهِ لم أذهبِ

---

(١) المشعب : الطريق . أى لم يكن السؤال طريقى . وأشعب : رجل يضرب به المثل فى الطمع .

(٢) أ أنب : أى لم ألم .

(٣) الإلُّ : كل ماله حرمة ، وحق القرابة ، والرحم ، والجوار ، والعهد . والغمض : الاحتقار .

(٤) عدابى : تجاوز بى . والطور : القدر . والتوق : الاشتياق ، ونزعة النفس إلى الشىء . ورقبى : توقعى لما أنال منـكم .

(٥) المضرب بالـكسر : موضع الضرب فى الأرض لطلب الرزق ، أو التجارة ، أو الغزو .

(٦) الجرب : جمع جراب . وهو المزود . والقرب بضمتين : لغة فى القرب .

(٧) هبا بمعنى هباءً . أى غباراً . وهى : إن كانت مصدراً ، وهب : بمعنى ظن . فالمعنى يستقيم . إلا أن وهب هذه لا تنصرف . ملء البرى : مبتدأ ، وخبره هبا . والبرى : الأرض .

(٨) التيرب : لغة فى التراب .

أمَا دري من جهلهِ المركّب بأنه سوىٰ العمى لم يركبِ[1]
فإنه لولا كمُ لم يُضرَبِ له بسهمِ ماأقلّ مَضرَب
ولم يزلْ حيـاتَهُ فى تَعَبِ ولم يزنْ بين الورى من زَغب[2]
وعذره الجهلُ وعلم الحدب منكم له أدى لسوء الأدب
وما على عالى الذرا من نصب فى هبّةِ الصّبا ورَمْيةِ الصّبى
وكيف أغنىٰ عنكُم ونسبى ونشبى منكم ومنكم حسبى
ومنكُم دفعى ومنكم جلبى ومنكُم درعى ومنكم يَلبى[3]
وأسَلى وقضُبى ومَوْكِبى وجَحْفلى وعضُدِى ومَنكِبى[4]
ومعقلى وملجئى ومهرَبى وملبسى وما كلى ومَشرَبى[5]
ومَركبى وقرَبى وَقرَبى وطاعتى وَزُلَفِي وقُربى[6]
ومنكم راحى ومنكم ضربى وراحتى منكم ومنكم طرَبى
وجَبْرُ كسرِىَ وجَبْرُ حَرَبى وبُرْءُ دَائِىَ وَبُرْءُ جَرَبى[7]
وأنتمُ وسيلتى وسببى لما إليهِ وجهتى وخببى
وأنتمُ دَرِيئتى من لهبِ نارِ لظىٰ يومِ اشتدادِ الصّيْهب[8]
أمْ كيف يَغنَىٰ عنكم ذو أرَب لربه من عجمٍ وعرَبِ

---

(١) الجهل المركب : هو أن يكون الإنسان جاهلا فى نفسه . ويجهل أنه جاهل . أما إذا كان يجهل ، ويعلم جهله ، فذلك هو الجهل البسيط . والعمى : عدم الاهتداء . يقال : ركب رأسه ، إذا مضى على وجهه بغير روية ، لا يطيع مرشداً .

(٢) النعب بالتحريك : الفساد ، والهلاك .

(٣) اليلب : الترسة ، أو الدروع من جلود .

(٤) الأسل : الرماح والنبل . والموكب : الجماعة من الناس .

(٥) المعقل : الملجأ .

(٦) الزلف : جمع زلفة ، وهى القربة . وقرب : جمع قربة .

(٧) الحرب : مصدر حرب الرجل فحرب هو ، إذا سلبه ماله .

(٨) الدريئة : الوقاية ، مأخوذ من الدريئة ، وهى مايستتر به الصائد وغيره . والصيهب : شدة الحر .

ومالك الملك الذى لم يُغلب وفضلهُ إن يعطه لم يُسلَب
والفعل منه عنه لم ينقّب وحكمه فى الكون لم يعقّب
ولآ كمُ من أجْلِ ميراثِ النبى أمرَ الورىٰ مِنَ أقربٍ وأجنبى
رحبُ الفضا لولاكمُ لم يرحُب ولم تجدْ جُرزٌ يغُرّ السُّحب(١)
وإن يَصِبْ صَوبُ الحيا أو يَصِب لم يُحيى ميتا دونكمْ ويُخصِب(٢)
والدُّرُّ لولا رَغسكم لم يُحلب والدُّرُّ لولا سِعْرُكم لم يُجلب(٣)
إذْ لرحىٰ الأكوان حقُّ القُطب أنتمْ وهل تغنى الرحى عن قُطب(٤)
فليؤمنِ الحسودُ أو يكذّبِ ما طُرُقُ الحق كطرُقِ الكذب
وأنتمُ غوثٌ وغيثُ المجدِب والنادب الملهوف والمنتدِب
ألفيتمُ الدين بقُطرِ المغرب طارتْ به فى الجوّ عَنْقا مُغرب(٥)
وَرَسمهُ عفّتهُ هُوجُ النُّكب ولم تعُجْ له صدُورُ الرُّكب(٦)
شدَدْتمُ دُعُمَ كلِّ خَربْ منهُ فلمْ يُهْدَمْ ولم يَضطرِبْ(٧)
وعنه ذُدْتمْ بشبا ذِى شُطب يُجرّعُ البُغاةَ كأسَ العطبِ(٨)

---

(١) لم تجد : أى لم يصبها الجود . وهو المطر الواسع الغزير ، أو الذى لا مطر فوقه ألبتة . والجرز ، بضم فسكون ، وبضمتين : الأرض التى لا تنبت ، أو التى أكل نباتها ، أو التى لم يصبها مطر .

(٢) يصب : مضارع صاب المطر ، بمعنى انصب ، والصواب : الكثير الانسكاب . والحيا : المطر .

(٣) الدر : اللبن . والرغس : البركة . والدر : اللؤلؤ العظيم ، واحدته درة .

(٤) الرحى : معروفة . والقطب : الحديدة التى تدار عليها الرحى .

(٥) عنقاء مغرب : طائر ، معروف الاسم ، مجهول الجسم .

(٦) عفته : درسته . يقال : عفت الدار ، وعفتها الريح . والهوج : جمع هوجاء ، وهى الريح التى تقطع البيوت ، والنكب : جمع نكباء ، وهى كل ريح بين ريحين .

(٧) دعم : جمع دعام ، وهى عماد البيت .

(٨) الشبا : جمع شباة ، وهى حد السيف وغيره ، والشطب : جمع شطبة ، وهى السيف .

مَهْما يَسَمْهُ الخَسْفَ ضَخْمُ القبقَبِ ... قالت سيوفُ الحق فيه قبقَبِ (١)
فبزغت شمس الهدىٰ فى الغيهبِ ... فابيَضَّ كلُّ أبيضٍ وأكهَبِ (٢)
مُشْرِقةً فى نورِها المحتجبِ ... تبارك الله كأن لم تجبِ (٣)
من نوره أستمدَّ نور الشُّهُبِ ... فلاحَتْ أسْعَدُ السنين الشُّهُبِ
فطابتِ الحالُ التى لم تَطِبِ ... وأرطبَ العيشُ الذى لم يُرْطِبِ
وآض صابُ الدهرِ بنْتَ العِنَبِ ... وآعتاضَ نابهُ ببرْدِ الشنَبِ (٤)
بورك فيكُم وفى مطيّبِ ... ما حُزْتمُوا من طيبهِ المطيّبِ
والله يُبقيكم لنفى الرّيَبِ ... ونفعنا منْ حاضرٍ وغيّبِ
وعن سبيل الأبطحىّ اليَثْرِبى ... جزاكم خيرَ الجزا خيرُ رب (٥)
أدْعُوهُ فى كمالهِ المستوْجبِ ... أنى متى أدعهُ يَستَجِبِ
مؤمناً أن غيره لم يهبِ ... ولا يقى فى رغبٍ أو رَهَبِ
بالاسم الأعظمِ ومالهُ أجتبى ... من صفةٍ وأسم وآى الكتب
والأنبياءِ كلّهمْ والنُّخَبِ ... من رُسلهمْ والمصطفى المنتخب
والآلِ والأصحابِ والمنتسبِ ... والأوْليا والمؤمن المحتسبِ
وبالملائكة والمقرّبِ ... ورُسلهمْ من أقربٍ فأقربِ
أن يُولىَ الرضى الذى لم يُعقَبِ ... بِسَخَطٍ لكم وطولِ الحِقَبِ
وأن يزيد من عوالى الرُّتَبِ ... مقامَكمْ دون عنىً ورَتَبِ (٦)
وأن يَقى نِعَمَكم منْ سَلَبِ ... وأن يقيكمْ شرَّ كلّ مخلَبِ

---

(١) القبقب : البطن ، وقبقب الأخيرة : اسم صوت السيوف .
(٢) الغيهب : الظلمة . والأكهب : الذى فى لونه كهبة ، وهى غبرة مشربة بسواد .
(٣) تجب : تغب .
(٤) اض : ترد كصار ، معنى وعملا ، والصاب : شجر مر العصارة . وقيل : هو عصارة الصبر ، وبنت العنب : الخمر .
(٥) رب ، بالتخفيف : لغة فى الرب . وليست خير هنا للتفضيل ، إذ لا مشاركة .
(٦) الرتب : شدة العيش .

وحاسِـدٍ وراصِـدٍ مُرَقِّبِ ونافثٍ وغاسِـقٍ إنْ يَقِبِ(١)
وعائنٍ وخائنٍ مُختَـلِبِ وهـاتِكٍ وفاتكٍ مستلب
وأن يُبارك لكم فى العقب منكم فيَحظى بثبات العَقِبِ
ومنه جَلَّ وهو مولى الرَّغَبِ وفاطِرُ السَّبْعَيْن دون لَغَبِ(٢)
أرْجو بكم نيلَ جميعِ أرَبى ودركَ هملاج هوادِ الربرب(٣)
وفوز سُهمانى بكلّ مَطلَبِ قَصَّرَ عنه كلُّ ماضٍ قُلَّبِ(٤)
وَحملَ العِبء بصلبٍ صُلَّبِ وكونَ بَرْقٍ غيرَ بَرْقٍ خُلَّبِ(٥)
ومتحِيَ الغربَ بأقوى الكَرَب وأن يُفَرِّجَ تعالى كُرَبى(٦)
وأن أفوتَ درك كلّ طلبِ وأدركَ المطلوبَ دون طلب
وأحرزَ الخَصْلَ بغيرِ تَعَبِ وَأَخْرُزَ الخَرْقَ بغيرِ مشعَب(٧)
ويستقيمَ عَـرَجى ونكبى وأركبَ النَّجاةَ خيرَ مَركب

---

(١) النافث : الساحر . والغاسق هنا : الليل . ووقب : أظلم ، وهذا مقتبس من الآية « ومن شر غاسق إذا وقب » وفى تفسير هذه الآية أقوال كثيرة ، تنظر فى مواضعها .

(٢) السبعان : السموات السبع والأرضون السبع ، وقد ثناهما الفرزدق وهو فصيح قال :

فكيف أخاف النـاس والله قابض على النـاس والسبعين فى راحة اليد

واللغب : التعب . وهذا مقتبس من قوله تعالى « ومامسنا من لغوب » .

(٣) الهملاج : حسن السير . وهوادى : جمع هادية ، وهى أوائل الوحش . والربرب : القطيع من بقر الوحش ، يعنى أنه يرجو أن يدرك به أصعب مطالبه .

(٤) سهمانى : جمع سهم ، وهو القدح الذى يقرع به . والماضى من الرجال : هو الذى يمضى فى أموره ، والقلب : البصير فى تقليب أموره ، والأكثر أن يقال : حول قلب على الإتباع . يقال ذلك للعارف بالأمور ، الذى قد ركب الصعب والذلول ، وقلب الأمور ظهرا لبطن .

(٥) العبء : الثقل . والصلب : الظهر . والصلب : القوى . والبرق ، الخلب : هو المطمع المخلف .

(٦) المتح : نزعك رشاء الدلو ، تمد بيد ، وتأخذ بيد على رأس البئر . والغرب : الدلو العظيمة . والكرب : الحبل يشد فى وسط العراق ليلى الماء ، فلا يعفن الحبل الكبير . والكرب : جمع كربة ، وهى الحزن .

(٧) أحرز : أحوى ، والخصل : الخطر الذى يخاطر عليه ، والخرق : واحد خروق المزادة ، كنى به عما يقع بين الناس من الشحناء . والمشعب بالكسر : الآلة التى يخرز بها .

وَتُبْرِدوا من غُلَّتى بِنُغَبِ ... من ثلجكم تُزْرِى ببَرْدِ الثغَبِ (١)
وتسمحوا بنظرةٍ من حَدَبِ ... بها يقومُ أوَدُ المحدَوْدِبِ (٢)
وتنفحوا بنفحةٍ من طيّبِ ... طيبكم المطيِّبِ المطيبِ
وتنشلوا بجَذبة من يُجْذَبِ ... بها يصل بها فلم يذبذَبِ (٣)
حتى أرى بالنائلِ المكتسَبِ ... منكم إليكم صادقَ المنتسَبِ
فيتولانى الذى لم أكسِبِ ... ولاية منهُ فذاكَ مكسِبى
لازِلتموا فى الحرَمِ المحجَّبِ ... والناسُ منْ حُرْمتِه فى عجبِ
وأنتم فى قطرِهِ المرجَّبِ ... وعصره فى مكةٍ ورجبِ (٤)
يأتيه فلٌّ أربٍ وهَرَبِ ... كلُّ أخى مخافةٍ وتَرَبِ (٥)
فآملٌ سيْحَ جِمامِ القُلُبِ ... ومشتكٍ هضْمَ اللُّصُوصِ الغُلُبِ (٦)
ومُسترَقٌ رَامَ فكَّ الرَّقبِ ... وسالكٌ رام جوازَ العقَبِ
وسائلٌ عن مشكِلٍ مستصْعَبِ ... وجاهل يمشى كمشى المُصْعَبِ
فيُلْتقَىٰ جميعهمْ بمرْحَبِ ... وتُبسَطُ الكفُّ لهمْ بالرحبِ

---

(١) النغب : جمع نغبة بالضم ، وهى الجرعة ، ويجوز فتح المفرد . والثغب : أكثر ما بقى من الماء فى بطن الوادى . وقيل : هو بقية الماء العذب فى الأرض . وقيل : هو أخدود تحفره السائل من علو ، فإذا انحطت حفرت أمثال القبور والدبار ، فيمضى السيل عنها ، ويغادر الماء فيها ، فتصفقه الريح ويصفو ويبرد ، فليس شىء أصفى منه ولا أبرد ، فسمى الماء بذلك المكان .

(٢) الأود : الاعوجاج .

(٣) تنشلوا : تجذبوا . ولم يذبذب : لم يكن مذبذبا ، أى مضطرباً فى أمره .

(٤) أى لازلتم محترمين ، لا يهتك أحد حرمكم ، كأنكم فى بلد حرام ، وفى شهر حرام .

(٥) الفل : المنهزمون . يقال : رجل فل ، وقوم فل ، لأنه مصدر . والترب : الفقر .

(٦) السيح : الماء الجارى على وجه الأرض ، وجمام : جمع جمة ، والقلب : جمع قليب . والهضم : الظلم . واللصوص : جمع لص بالفتح والكسر ، وهو السارق ، ومراده : الغاصب الذى يأخذ أموال الزوايا ظلما ،على اصطلاح أهل الصحراء . والغلب : جمع أغلب ، وهو غليظ الرقبة ، وأصله تسكين العين ، ويجوز ضمها .

وآدِبٌ بالنقرَى لم يدْرَب والجفلىٰ مهما دعاها يَطرب[1]
ترام لدى الجناب المُخْصِب على القِرَى كالعَكرِ المُعْصَوْصِب[2]
فمَنْ يَقُمْ يُزَدْ على المطَّلب وَمَنْ يؤبْ فحامِدُ المنقلَب
ولا يزَلْ برْقُ نَدَاكم يطَّبى أهلَ القريض نحوكم وَالْخُطَب
رِكابُهمْ ينهجْنَ كلَّ نَيْسب من سبسبٍ خوارجاً لسَبْسب[3]
لما رأوا مُهدِى الثنا فى النُّصُب إلا لكم لم يذبحوا لِلنُّصب[4]
والكلُّ عَدَّ نفسه كالمذنب لعجزه أطنب أو لم يُطْنب
وكلُّ من أصابَ أو لم يُصِبِ تُغْضُونَ عنهُ من علو النصب
فتتحفونهم بكلّ أرَب تأسّيا بالحنفىّ اليثربى[5]
أتحفه اللهُ بغيث صَيِّب من الصلاة والسلام الطيب
والآل والصحب وكل مُجتبى دينَ النبى المجتبى لم يرْتب
مافاز بالشُّرْب قصيرُ الكرَب مِن أزْرق الجمّ قريب المشرب
ولم يؤب فوق ركابٍ ، خُيِّب مَن أنتهوْا لوالدِ المسيّب[6]

---

(١) الآدب : صانع المأدبة ، وهى الطعام الذى يصنع للدعوة ، والنقرى : الدعوة الخاصة . ولم يدرب : لم يتعود أن يدعو بها . والجفلى : الدعوة العامة .

(٢) العكر ، محركة : مافوق خمسمائة من الإبل ، والمعصوب : الجاد فى سيره .

(٣) النيسب : كحيدر ، الطريق المستقيم الواضح .

(٤) النصب : الداء والبلاء . والنصب : الحجارة التى يذبح لها ، شبه من يمدح غيرهم ، بالذى يذبح للنصب ، لأنه لا يصدق فيما يقول ، ولا يستفيد هو شيئاً .

(٥) تأسيا : اقتداء . والحنفى : هو النبى صلى الله عليه وسلم ، واليثربى : نسبة الى يثرب ، وهى المدينة المنوَّرة ، وراؤها مكسور ، ويفتح فى النسب ، استثقالا لتوالى الكسرات ، ويجوز فيه الكسر ، يعنى أنه يثيب الشعراء اقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم ، لما أثاب كعب بن زهير ، على قصيدته المعروفة بالبردة .

(٦) ولد المسيب : هو حكيم بن المسيب ، الذى يقول فيه الشاعر :

فما رجعت بخائبة ركابٌ حكيم بن المسيب منتهاها

جاءت لقصدِ الزورِ والتقرُّب تحبُّ ذُلاً خدَّها فى التُّرُب
هذَّبها من ليس بالمهذَّب لكنه فى ضمنها لم يَكذب
تمرى النـدى الذى بدرّهِ حُبى مهدى الثنا مَرْىَ الصَّبا للسُّحب
ترجو النجاةَ من دواهى الحقب والفوز بالنجح وحسن العقب

وقال أيضاً :

ما للمحبينَ مِنْ أسرِ الهوىٰ فادِ ولا مُقيدٌ لقتـلاهمْ ولا وادِ
ولا حميمٌ ولا مولىٰ يرِقُّ لهم بلْ همْ بوادٍ وكلُّ الناس فى وادِى
يارحمتى لهمُ ما كان أصبَرَهمْ على مُعاناةِ جمعٍ بين أضدادِ
والناسُ ألبٌ عليهم واحدٌ فلذا ما إنْ ترى مَن يُواسيهم باسْعاد[1]
إمَّا عـذُولٌ وإمَّا ذو مراقبـةٍ أوْ زاعمُ النصح أو ساعٍ بإفساد
إن أظهروا مابهم ليموا وإن كتَمُوا لاقوا بما كابدوا تصديعَ أكباد
وهيِّنٌ كلما لاقوهُ عنـدهم لوَ أنَّ أحْبابَهمْ ليسوا بصُدَّاد
ياعاذِلينَ أقـلُّوا اللَّوْمَ وَيْحكُم إنى لمنْ رامَ قَوْدى غيرُ مُنْقاد
ولا يُلينُ قنـاتى غمزُ غامزِها ولا يقيمُ ثقافُ العـذلِ مُنآدى[2]
أحَيْثُ ما كنتُ أو يممْتُ من جهةٍ ألقِى رَقيبًـا ولوَّاماً بمرصادى[3]
ماأعتادقلبى الصبالكنَّ من ملـكت يَدَ الغرامِ يعَوَّدْ غيرَ مُعْتـاد
يزدادُ باللوْمِ حُب الصادقين هَوًى واهاً لحبٍّ بطول اللوْم مزدادِ
والطرْفُ لِلقلب مُرتادٌ ولا عجبٌ فى قَفْوِ منتجعٍ آثارَ مرتادِ
والحبُّ أمرٌ عزيزٌ ليس مُرتبطاً فى حكمه عند مَن يدريه بالعادى
مالى وحُبِّ الآلىٰ يتركن منتظماً حَبَّ القـلوبِ بألحاظٍ وأجْياد

(١) الألب ، بالفتح والكسر : بمعنى مجتمعين . يقال : هم عليه ألب واحد .
(٢) الغمز : تليين القناة . والثقاف : ما تسوى به الرماح . والمنآد : الاعوجاج .
(٣) المرصاد : الطريق ، والمكان الذى يرصد فيه العدو .

هلِ النساء سِوَى لحم على وضَم ... لمبتغى نُزُلٍ أو مبتغى زاد
فهُنَّ قدْ هنَّ إذ صَيَّرن مبتذَلاً ... ماعِنـدَهنَّ لأوباش وأوغاد
لذاك أعرضْتُ عن لهو وعن غَزَل ... وعنهُما صُنتُ إنشائى وإنشادى
ولى من الفـكرِ أبكارٌ مشنَّفةٌ ... مِن البديع بترصيع وإرصاد(١)
وإنما بى هَوَى بيضاء واضحةٍ ... كُلفْتُ وجداً بها من قبل إيجادى
حَسناء مُعرقة فى الأكرمين وما ... كانت لتدعى لآباء وأجْداد(٢)
ما للزعانِفِ فى وصلٍ لهـا طمعٌ ... ولا لهم سرُّها المكنون بالباد(٣)

وهذا مابقى من قصيدته التى تقدمت من صحيفة ٢٥٢ إلى ٢٦١ بعد قوله : فمن يجل ... الخ :

إلى خيْفِ المُحَصَّبِ رائحاتٍ ... بكلّ أشَمَّ ضاحى الوجنتينِ(٤)
وتغـدو بالشروق مبـادراتٍ ... بنـا إجْلَىْ نَعـام جافَلَيْنِ(٥)
من التعريف مُسْياً صـادراتٍ ... يخـدْنَ مَنـكبات المـأزمينَ(٦)

---

(١) الترصيع ، والأرصاد : نوعان من البديع .
(٢) عنى بالحسناء : الطريقة القادرية ، ومعرفة ذات أصل فى الأكرمين .
(٣) الزعانف : جمع زعنفة . وهو الرذل ، ويقال للقصير أيضاً زعنفة .
(٤) الخيف : هو خيف بنى كنانة ، ومراده : مسجد الخيف . والمحصب : موضع ، وأضاف إليه الخيف ، لأنهما كالشىء الواحد . والأشم : الجمل العظيم القدر . مأخوذ من قولهم : هو أشم المنكب ، أى مرتفع المشاشة ، وضاحى : بارز .
(٥) إجلى نعام : تثنية إجل ، وهو القطيع من النعام ، فلذلك أضافه إليه ، والذى فى القاموس : والإجل : القطيع من بقر الوحش . جمعه آجال ، وزاد شارحه : والظباء .
(٦) التعريف : الوقوف بعرفة . ومسياً : ظرف متعلق بصادرات ، أى صـادرات . وقت المساء ، بناء على أنه من الظهر ، إلى نصف الليل ، لأنه يشترط فى مذهبه الوقوف جزءاً من الليل . ويصح المعنى أيضاً ، على أن المساء من الظهر إلى المغرب ، لأن الجزء يتم بقدر قليل ، ويخدن : يسرن . ومنكبات : متنحيات عن المأزمين ، وهما شعب بين جبلين ، يفضى آخرهما إلى بطن عرنة . وقيل هما مضيقا جبلين ، وفى تنكيب المأزمين ، بحث فى الرهونى فى المناسك ، ينبغى للسالكى أن يطلع عليه .

ومن جُمع يسرنَ مُغلّساتٍ لوقفةِ ساعةٍ بالمشعرَين(١)
ببطنِ مُحسّرٍ مُترامياتٍ لأولىٰ الجمرِ دون الأخريَين(٢)
وترجعُ إنْ أفاضتْ لابثاتٍ ثلاث ليائل أوْ ليلتين(٣)
وللبيتِ العتيقِ مُوَدّعاتٍ قد ارتاحت لإحدىٰ الراحتين(٤)
وأخرىٰ لم تكن لِتنالَ إلا مرُور محلّ إحدىٰ الهجرتين
إليها من كُدَىً يهبطن صُبحاً هبوط السيل بين القُنّتين(٥)
توخّىٰ مسجدَ التقوىٰ تحرّىٰ مُناخَ محمدٍ والصّاحبين(٦)
تَمُرُّ بذى الحُلَيفةِ حالفاتٍ على الألباب بين اللابتين(٧)
فتستقصى بها الرُّكباتُ منها من القصوىٰ مكان الرُّكبتين(٨)
ولا تُلقِى عِصِىَّ السيرِ إلا إذا وصَلتْ لثانى المسجدين
ضريحِ المصطفى صلى عليهِ مع التسليم رب المشرقين
يحفُّ خليفتاهُ بهِ فأكرِمْ بهِمْ من مصطفىً وخليفتين

---

(١) جمع : هو المزدلفة ، سمى بذلك لاجتماع الناس به . ومغلسات : سائرات وقت الغلس ، يعنى مغلسات للوصول إليه . وإلا فالسنة المكث عنده إلى أن تطلع الشمس .

(٢) محسر : موضع بين مكة وعرفة ، وقيل : بين منى وعرفه . وقيل : بين منى والمزدلفة ، وليس من منى ، ولا مزدلفة ، بل هو واد برأسه .

(٣) أفاضت : طافت طواف الإفاضة ، وليائل : جمع ليلة ، وهو شاذ .

(٤) يعنى ارتاحت لانقضاء الفرض من الحج ، وبين الثانية بالبيت بعده .

(٥) كدى ـ بضم الكاف وتنوين الدال ـ : بأسفل مكة عند ذى طوى ، وهو غير كداء المفتوح الكاف مع المد ، وهما كالشىء الواحد .

(٦) توخى : أصله تتوخى ، أى تختار ، ومسجد التقوى : هو الذى ذكره الله تعالى فى قوله « لمسجدٌ أُسّسَ على التقوى » . وتحرى أصله : تتحرى . أى تدقق فى الاهتداء إلى موضع مناخ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم وصاحبيه .

(٧) ذو الحليفة : قرية بينها وبين المدينة ستة أميال ، أو سبعة ، وهى ميقات أهل المدينة ، واللابتان : لابتا المدينة المنورة ، وهما حرتاها .

(٨) الركبات : جمع ركبة . والقصوى : ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يعنى أنها تبرك فى موضع بروك القصوى ، قرب دار أبى أيوب الأنصارى .

وأصحـــابُ البقيع ومن حَوَتهُ ... مِن الأبرارِ كلتا البقعتين
جُزوا عَنا برَيحـــانٍ ورَوْحٍ ... عليهمْ لن يزالا دائمين
وأوتوا جنتـــين دنت عليهمْ ... بخيرٍ جَنىٰ ظِلال الجنتينِ
أولاك الناسُ أهلُ الله حقاً ... حماةُ الدينِ بالأسلِ الرُّدينى
بهمْ يا ربِّ عاملنا جميعـــاً ... بلطفك دائماً فى الحالتينِ
وبالمأمولِ جُـدْ فضلاً علينـا ... وق الاسْواء فى الدارين تَين
وبالحسنىٰ لنـــا فاختمْ إلهى ... كتاب الحافظينِ الـكاتبين

* * *

ولمولود المتقدم مقطعة تقدم منها بيت فى صحيفة ٢١٤ وهي :

لمثلها من عتاق شَمْشَعانات ... قضى اللبانةَ معنىُّ اللُّبانات[1]
مِلْمَوْجِ شُدَّتْ لطياتٍ بأرحلها ... ويلُمّها إبلا شُدّتْ لِطيّات[2]
راحت برَحْلىٍّ من فَرَلٍّ واكتفلَتْ ... تلك العِشيَّةَ بالسبع الأضيّاتِ[3]
طوَىٰ برَحْلىَ أجواز الفلا يَقَقٌ ... عَركْكٌ من ذوات العجرفياتِ[4]
جأبُ الشرَاسِيف ينبو عنْ وليتهِ ... كالأخدَرىّ يُبارى أخدريّات[5]

---

(١) الضمير فى مثلها ، يعود على المطايا المفهومة من السياق . والشمشعانات : الطوال . واحدها : شمشعانى ، وجمع بالألف والتاء ، لأنه يسوغ فيما لا يعقل . واللبانة : الحاجة .

(٢) الموج : اسم موضع بعينه ، والأصل من الموج . والطيات : الحاجات . وويلمها : أصله ويل أمها ، فركب ويل وأمهـا ، وجعلا كالشىء الواحد ، وهذه اللفظة تقال للشىء يستجاد . وأصل ويل : كلمة عذاب ، وهى من المصادر التى أهملت أفعالها .

(٣) وفرل ــ بفاء وراء مفتوحتين ، ولام مفتوحة مشددة ــ اسم موضع . واكتفلت بالسبع الأضيات : أى جعلتها على كفلها ، والأصل بالأضيات السبع . موقع تقديم وتأخير .

(٤) الأجواز : جمع جوز ، وهو الوسط . والفلا : جمع فلاة ، وهى المفازة . واليقق : الأبيض . والعركك : الجمل القوى الغليظ . والعجرفيات : جمع عجرفية ، وهى سير فى نشاط . أى من نوق ذوات عجرفيات .

(٥) جاب : غليظ . والشراسيف : جمع شرسوف ، وهو غضروف معلق بكل ضلع ، أو هو مقط الضلع ، وهو الطرف المشرف على البطن . وينبو : يرتفع . والولية : البرذعة أو ما تحتها . والأخدرى : حمار الوحش .

إذا النجائب أمست لاحراك لها ... تحتَ الوليّاتِ أشباه البلياتِ[1]

تُحُبُ ينجينا من كلّ مَهلكةٍ ... لم يقتحمْ هَوْلَها إلا أبن مقلاتِ[2]

زَوَى الأريب عنها خوفها فخلَتْ ... إلا الوحوشَ جماعاتٍ جماعاتِ

ولوْ تراهنّ يَفرِين الفرىّ بنا ... منا بكلّ فتى كالنصل مِصلاتِ[3]

ضخمُ الدسيعةِ لا ينفكّ ديدنُه ... نَيْطُ المسرات أوْ ميط المضرّاتِ[4]

معصوصباتٍ على معصوصبٍ خشنٍ ... ما بين وهْمٍ عَلندَى أوْ عَلنداةِ[5]

مالى أرانىَ مذْ يومى وليلاتى ... تامت فؤادىَ إحدى اللادميّاتِ[6]

أدْمانةٌ من بنى المبروك حُمّ لنا ... منها لَعَمْرِى إدْمان الصّبابات

وهذا ما بقى من جيميته التى تقدمت بعد قوله فى صحيفة ٢٠٩ : هم الأسود .. الخ :

ما كان أحسن فى الهيجا لقاءهُم ... إذا التقى فى الوغى القِرْنان واعتلجا[7]

وَلأمُهُ الدبُرَ الناسُ الألى جَمعوا ... لهمْ وما منهمُ إلا بها حَبَجا[8]

خاضوا لإظهار دين المصطفى لججا ... لاقتْ بهمْ لججاً تستغرقُ اللججا

يهزُّ عَضباً كأن الموت صورتهُ ... فى كف أزْوعَ يلقى الموت مبتهجا

---

(١) البليات: جمع بلية ، وهى الناقة التى تعقل عند الميت ، وينكس رأسها حتى تموت ، يزعمون أنه يركبها عند الحشر .

(٢) المقلاة : التى لا يعيش لها ولد .

(٣) يفرين الفرى : أى يأتين بالعجب فى سيرهن بنا . والنصل : حد السيف . والمصلاة : الماضى فى الأمور .

(٤) الدسيعة : العطية . والديدن : العادة : ونيط المسرات : أى جلبها . والميط : الإزالة .

(٥) معصوصبات : جادات فى السير . وقوله : على معصوصب ، أى على مكان مجتمع مشتد . والوهم : الذلول فى ضخم وقوة . والعلندى : البعير الضخم الطويل الشديد . والعلنداة : أنثاه .

(٦) الليلاة : الليلة ، وهى الأصل بدليل الليالى . وتامته : استعبدته بالحب . وإحدى اللادميات : واحدتهن . واللادميات : نساء من قبيلة لادم ، وهى قبيلة من اللحمة ، معروفة بكثرة الإبل .

(٧) اعتلجا : تزاولا .

(٨) حبج : حبق .

تراه همتهُ فى الموت تحسبهُ يوفى به نُذُراً يقضى به حَوَجا
تراه يقتحمُ الهيجا كأنَّ به على كمالِ النُّهى عند اللقا هَوَجا
كم قاسموا البيض والسمرَ الموارن من حمىٰ أعاديهم النسوان والمهجا
فللجحاجح منها كلُّ خَرْعَبةٍ روْدٍ حوىٰ خِدرها منها رشا غَنجا(١)
ترنو اليك بطرْفٍ زانهُ سَقَمٌ فيه إذا نظرت منه تراه سجا
والسمهرىُّ توخى ما تخيره منها الكُلى والنّسا والسَّحرَ والثبجا(٢)
والمشرفى تولى أمكنًا شَرُفَتْ منها . القماحيد واليافوخ والحُججا(٣)
وكان مصطفيات المشرفيةِ منْ ذاك العلابىَ والحُلقومَ والودجا(٤)
ماذَا تظن بقوْمٍ بالهدى أقترنوا يَجرون أين جرى يحجون أين حجا(٥)
أرى بمدحى لهم عن مدحهمْ قِصراً حتى كأنَّ بليغَ المدح صار هِجا
يا منْ بقدْرته تقفو إرادتهُ لم يبغ إذ مرَج البحرين ما مرجا(٦)
بنورِ وجهكَ بالذات العلى وبما من الكمالات فى أوصافه أندرجا
وبالنبىّ ومستقفى النبىّ ومَنْ مِنَ أوْليائك ممنْ قبلهُ أندرجا

---

(١) الجحاجح : جمع جحجاح ، وهو السيد الكريم . والخرعبة : الشابة الحسنة الخلق .
(٢) السمهرى : رمح ينسب إلى سمهر ، وهو رجل كان يبيع الرماح بالخط . وامرأته رديئة ، وتنسب إليها الرماح الرديئة . وتوخاه : تحراه وقصد إليه . والكلى : جمع كلية . والسحر : الرئة ، يحرك ويسكن ويضم أيضاً . والثبج : ما بين الكاهل إلى الظهر .
(٣) المشرفى : سيف منسوب إلى مشارف ، وهى قرى بالشام ، منها بصرى . وقيل : قرية من الريف . وقيل : هى بسيف البحر : والقماحيد : جمع قحدوة . وهى الهنة الناشزة فوق القفا . واليافوخ : حيث التقى عظم مقدم الرأس ومؤخره . والحجج : جمع حجاج وهو العظم الذى ينبت عليه الحاجب .
(٤) العلابى : جمع علباء ، وهو عصب فى العنق ، يأخذ إلى الكاهل . والحلقوم : الحلق وقيل : هو مجرى النفس والسعال من الجوف . والودج محركة : عرق فى العنق .
(٥) يحجون : من حجا بالمكان إذا أقام به فثبت . وهذا مأخوذ من قول العجاج :
فهن يمكفن به إذا حجا عكف النبيط يلعبون الفنزجا
(٦) مرج : خلط . وهذا مقتبس من قوله تعالى : « مرج البحرين يلتقيان » العذب والملح ، خلطهما حتى التقيا .

أجعل عُبَيْدَكَ مولودا من أوّل مَن ... فى رحمةِ الله فيها خالداً ولجا
و إننى مؤمنٌ بالمصطفى و بما ... به من الحق من عند المهيمن جا
وأفتحْ علينا من أبواب الكرامة يا ... فتاحُ ما كان منها دوننا أرتتجا
والطفْ بعبدك فى حالاته سيما ... إذ هوَ مُنحنِقٌ من ريقهِ بشجا[1]
وثبتنْ قدمى على الصراط إذا ... ما الاشقيا زَلِجَتْ أقدامُهمْ زلجا
عليه من صلوات الله أطيبها ... ماهاج ذكر حبيب للحبيب شجا
معها سلامٌ كأنفاسِ الرياض إذا ... فيها نسيمُ الصَّبا مع السما مَعَجا[2]

إلى هنا وقف القلم بنا فى الكلام ، على أدباء شنقيط . وما تيسر لنا من شعرهم ، مما حفظناه عنهم ، وليعذرنى المطلع على ذلك ، فإنى أول من عُنى بجمعه وتدوينه ، ولعل من يأتى بعدى لتوسيع نطاق هذا الباب ، يجد كتابى هذا أمامه ، فيحذو حذوه ، والله الموفق .

(١) قوله فى حالاته سيما : الغالب فى لا سيما عدم حذف لا منها ، وسمع حذفها . والشجا : ماا عترض فى الحلق من عظم ونحوه .

(٢) معج السماء : المطر . ومعج هو : سال ماؤه .

الفصول التى وعدنا بتذييل هذا الـكتاب

الـكلام على شنقيط وتخطيطها

﴿ فصل فى شنقيط وحدودها وما يتعلق بذلك ﴾

شنقيط : تـكتب بالقاف والجيم ، وكانت فى العصر الأول ، تـكتب بالجيم فقط ، كما يوجد فى الصكوك القديمة ، وكتبها شارح القاموس فى المستدرك ، بعد شنكات هكذا : « ومما يستدرك عليه : شنكيت ، مدينة بأقصى المغرب » . وفيه أيضاً مستدركا بعد الشنقيط : ومما يستدرك عليه شنقيط بالـكسر : مدينة من أعمال سوس الأقصى بالمغرب .

وتفسير شنقيط ، عيون الخيل : على ماذكره سيدى عبد الله بن الحاج إبراهيم .

وشنقيط فى الأصل : تطلق على مدينة من مدن آدرار ، واقعة فوق جبل ، فى جهة غرب الصحراء الـكبرى ، ثم سمى به القطر كله على ماسيأتى بيانه ، فصار من باب تسمية الشىء باسم بعضه .

ويحدّ هذا القطر شمالاً : الساقية الحمراء ، وهى تابعة له ، وجنوباً قاع : ابن هَيْبَ ، وهو تابع له أيضاً . وشرقاً : ولات والنعم ، وهما تابعتان له أيضاً ، وغرباً : بلاد سنكال ، أو سنغال . المعروفة عند أهل شنقيط بإندر ، وهى خارجة عنه . وقد أخـذنا خريطتها من أحدث الخرائط الفرنساوية ، وزدنا فيها بعض ما اطلعنا عليه .

الـكلام على شنقيط هل هى من السودان أو من المغرب ؟

شنقيط من المغرب على ما كنا نعهد ، وذلك معروف عند أهل شنقيط ،

وأهل المغرب ، وقد أنكر ذلك بعض المشارقة ، وادعى أنها من السودان ، وذلك أن بعض الشناقطة ، كان مقيما بالمدينة المنورة ، فكان يأخذ من وقف المغاربة العمومى ، فتعصب عليه الجزائريون خاصة ، وقالوا : إن الشناقطة ليسوا من المغاربة ، فمنعوه من أخذ حصته ، فلما قدمت إلى المدينة المنورة ، سنة سبع عشرة وثلاثمائة وألف ، واجتمعت به ، أخبرنى بما جرى له . فقلت له : إن سيدى العربى بن السائح ، نص فى كتاب «البغية» على أنهم من أقصى المغرب .

ورأيت فى دار كتب المرحوم عارف حكمت بك بالمدينة المنورة ، كتاباً للسيد مرتضى الزبيدى ، شارح القاموس بخط يده ، يعدد فيه أشياخه ، ويترجمهم فذكر من جملتهم : عبد الرشيد الشنقيطى ، وذكر أنه مر عليهم بمصر متوجهاً إلى فاس ، فى قضية مماثلة لقضيتك ، قال : ثم رجع إلينا ، وقد صدق له السلطان بأنهم من المغاربة ، وحكم بذلك القاضى ابن سودة « والأغلب أن ذلك السلطان هو سيدى محمد بن عبد الله » . فبعد سفرى ، بلغنى أن مفتى المدينة ، وهو تاج الدين إلياس رحمه الله ، لم يقبل ما فى الكتابين ، وحكم بأن الشناقطة من السودان ، زاعماً أن ذلك مقتضى ما فى الجغرافية ، وهذا عجيب . فإن النخبة الأزهرية ، نصت على أن شنقيط من المغرب ، وهذا نصها فى صحيفة ٣٢٣ : ومن الواحات الشهيرة فيها (يعنى الصحراء) غرباً الآدرار ، وتسكنها قبائل الأرواد ، وهم مغاربة مسلمون ومركزها وادان ، ومدنها شنقيط ، ثم تاغانيت ، ومركزها تيشيت ، ثم والاته ، الخ ماذكره[1] .

وقد ذكرنا حكمه هذا ، حكما كاد يقع فى مكة المكرمة بشهادة حمير ، لولا أن المحكوم عليه كان من الظرفاء ، فتنادر للحاكم فضحك ، وخلى سبيله . وذلك

(١) هذا الكلام غير مستقيم ، لأن وادان ليست مركزاً لآدرار ، بل مركزه شنقيط . لأنها كانت تجتمع بها الناس ، ثم تخرج إلى الحج ، وهى التى يذهب منها أكبار (أى القافلة) إلى إندر ، وهى التى تقام بها السوق للملح فى كل سنة ، يحمل إليها من سبخة إجُّلْ ، وتأتى الناس لشرائه من الحوض ، واركيب وتيشيت ، وتكانت ، وليس هذا لغيرها من مدن آدرار .

أن أحد الشبان ، كان يجتمع عنده السفهاء بمكة ، فشكوه إلى الوالى ففناه إلى عرفات ، فكتب إلى أصحابه ، بأنهم صاروا إلى الأمن والنزهة ، فصاروا يكترون حمير المكارين ، ويذهبون إليه ، فشكاه أهل عرفات إلى والى مكة أيضاً ، فأحضره ، فأنكر ، فقيل له : مر بحمير المكارين أن تساق إلى عرفات ، فإذا وقفت عند بيته من تلقاء نفسها ، فذلك دليل ، فأمر بالحمير فسيقت إلى عرفات ، فوقفت على بيته ، فصدق ماقيل له ، فلمّا هم بتنكيله . قال له : والله مافى هذا شىء ، أشد علينا من أن يسخر منا أهل العراق ، ويقولون : إن أهل مكة يحكمون بشهادات الحمير .

فمما يؤسف عليه : أن ذلك المفتى رحمه الله ، نبذ خط السيد مرتضى بيده ، وكلام سيدى العربى بن السائح ، وحكم بالجغرافية ، على أن الجغرافية ليس فيها مانسبه إليها .

والقبائل التى سمّى لاتوجد فى آدرار ، وقوله تاغانيت ، ومركزها تيشيت ، غير صحيح أيضاً ، فتاغانيت هى تا كانت ، وليس بها من المدن إلا تيججك والرشيد ، أما الرشيد ، فليست عامرة دائماً ، بل قد تمر عليها سنين متتابعة ، لايدخلها غير الحمام . وذلك إذا كان أهلها فى الحرب ، كما وقع مراراً ، وأما تيشيت ، فبينها مع تكانت ، أربعة أيام ، وتعترض بينهما أرض آوكار وتكبَ ، وغير ذلك ،

الكلام على تاريخ عمارة شنقيط

كانت شنقيط عيوناً تشرب منها الخيل كما تقدم ، وقد مضى من تاريخ عمارتها إلى وقتنا هذا وهو عام ١٣٢٩[1] خمسمائة سنة تقريباً ، وقد بنيت فى أول الأمر على موضع مستومشتد ، فانتقلت إليها الرمال ، حتى إن جوانبها يخشى عليها أن تواريها الحصباء فيما بعد . وهذا يوجد فى تلك البلاد ، فإن منها أماكن دهسة ، فالريح تنقلها على طول الأزمنة كما هو مشاهد .

(١) هى السنة التى ألف فيها المؤلف هذا الكتاب .

ومن أغرب مايحكى ، أن فى بعض صحارى إدَرَ ، أوداء عامرة من النخل إلى الآن ، فيما يقال ، لا أنيس بها . ويقال : إنها كانت بها قرى فدفنتها الريح ، وأن بعض أودائها عامر بالنخل ، وأن الريح تلقحه لكثرته ، وقرب بعضه من بعض ، لأنها تنسف الطلع إلى النخل المحاذى له ، فيغنيه ذلك عن تأبير الناس . وإذا أفرك ، فإن الريح تسقط ثمره تحت النخل ، فتأكله الوحوش والذئاب ، وربما مر عليه بعض الجيوش الذين يذهبون للنهب ، فيتزوّدون من ثمره . والله أعلم .

قال العلامة سيدى عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوى فى رسالته « صحيحة النقل فى علوية إدوعل وبكرية محمد غل » : وهم يعنى (العلويين) كانوا زمانا قبل توطنهم آبير وشنجيط ، بتبلبالت[1] أخبرنى الثقة ، عن سيدى المختار الكنتى رضى الله عنه ، أنهم كانت لهم مائة ساقية ، وإلى الآن يذكر لنا من مر بتلك الجهة ، أن موالى العلويين بها ، ويتراجون أحداً منهم يكون لهم أساساً ، ثم لم يزل العلويون قبائل كثيرة ، بآبير . بلغنا أن كل من أوّل إسمه إد (بكسر الهمزة وفتح الدال المهملة) من قبائل الزوايا ، خرج من آبير . وكان العلويون فيه أربعين أو اثنتين وأربعين قبيلة ، مابين صميم وحليف وكانوا يقتلون من قتل ، حتى قتل جدنا يحيى قتيلا ، فقال بعضهم : نقتله ، وقال بعضهم نطرده ، ثم طردوه ولم يقتلوه لشرفه فيهم وعلو منزلته . فجال فى البلاد ، ثم أتى شنجيط ، وقد بنيت فيها بيوت قليلة فيها : أعْمَرْ يَبْنى وجد إديجر ومحمد غل ، فأراد النزول معهم فقال بعضهم : خلوه ينزل معكم ، لكن سيستبد بالأمر عليكم ، فسكن معهم .

وآبير : قريب جداً من شنقيط . ومعنى شنقيط : عيون الخيل ، ثم لم تزل عمارة شنقيط تنمو ، وتضمحل عمارة آبير ، إلى أن لم يبق فيه داع ولا مجيب .

---

(١) هى مدينة لم تزل معمورة ، بين إدر وتافلات من جهة البحر .

وابتداء عمارة هذا ، إلى زوال عمارة ذاك ، أربعون سنة . وكان فى شنجيط أحد عشر مسجداً ، بالمسجد العتيق العامر اليوم ، وله اليوم نيف وأربعمائة سنة ، والناس يقولون إنه من المدائن السبع ، ولا أدرى ماالمدائن السبع ، ولما اختصت بالسبع دون سائر المدائن . فإن كان المراد أنها هى الموجودة فى زمنه صلى الله عليه وسلم ، فالموجود إذ ذاك أكثر . والمراد آبير : لأنه هو القديم ، لـكنهما كالبلد الواحد .

وكان الركب يمشى من شنجيط إلى مكة كل عام ، ويتعلق بهم كل من أراد الحج من سائر الآفاق ، حتى إن أهل هذه البلاد ، أعنى من الساقية الحمراء إلى السودان ، إن رءوا ، لا يعرفون عند أهل المشرق إلا بالشناجطة إلى الآن ، وقد تحج الدار منهم كلها ، حتى لا يبقى فيها صغير ولا كبير ، من شدة اعتنائهم بالحج ، ويُحجون من قدروا عليه . وقد بلغنا أن الحاج محمد أحمد ، والد أبى كساء ، أنفق فى الحج على أربعين نفساً من غير عياله ، وحملها لله تعالى . وقد كان العلويون يقدمون من كان معهم من الزوايا للإمامة ، فـكانت أولا للسماسدة ، ثم جعلوها للأغلال ، فتغيروا من ذلك وخرجوا من شنجيط ، فذلك سبب خروج السماسدة من شنجيط . وخرج يوماً من شنجيط ، اثنان وثلاثون ألف جمل موقرة بالملح عشرون لأهله ، واثنا عشر لأهل تيشيت وباعت الرفقة كلها فى زارَ فتعجب الناس أى البلدين أعمر ، مع اتفاق الـكلمة ، وكانوا إذامات شيخ ، رأسوا عليهم آخر . فبقيت دولتهم بشنجيط دولة دين ودنيا ، ثلاثاً وثمانين سنة ، مدة حياة الشيخ سيدى أحمد بن الوافى[1] فلما توفى ، وقعت الحرب بينهم ، واعتزل الفتنة من اعتزلها فمنهم من خرج شذر مذر . ومنهم من بقى مع اعتزاله إياها ، حتى انقضت الحرب بين أهلها ، وقد قتل بتلك الحرب ، مائة وأربعون من البيض[2] وما بقى من الـكحل ، وكانوا

(١) هذا لا ينافى أنهم تبع للدولة المغربية ، إذ الرئيس منهم إنما يسمونه شيخاً فقط ، ولا يذكر إسمه على المنبر ، ولو كان حاضراً يسمع .

(٢) قوله من البيض ومن الـكحل الخ البيض لقب لطائفة من العلويين ، وكذا الـكحل ، وهم أبناء أب وأم من جهة النسب ، وقد لقبهما بذلك عمهما ، بسبب وحشة وقعت بينه معهما ، فنوى له أحدهما الشر ، فلقبه الأكحل ، ورده الآخر عن ذلك ، فلقبه الأبيض .

يقتتلون الليل والنهار ، إلا أنهم لا يغدر بعضهم بعضا ، ولا يقتله إلا إذا لقيه فى الصف ، ولا ينتهبون الأموال . ثم انتقل البيض إلى تيججك ، آخر القرن الحادى عشر » .

موقع بلاد شنقيط

قال ياقوت فى معجمه ، عاطفاً له على سوس خوزستان : « والسوس أيضاً ، بلد بالمغرب ، كانت الروم تسميها قونية . وقيل السوس بالمغرب : مدينة كورتها طنجة . وهناك السوس الأقصى ، كورة أخرى مدينتها طرقلة . ومن السوس الأدنى إلى السوس الأقصى ، مسيرة شهرين ، وبعده بحر الرمل ، وليس وراء ذلك شىء يعرف » .

وبحر الرمل الذى ذكره : أرض دهسة ، يغوص فيها الإنسان والجمل ، فربما أتى الفاض بالحبال ، واحتالوا للغائص فيها ، حتى ينقذوه ، وربما أعجزهم ، وربما انهار معه من أراد أن يخلصه . وبحر الرمل الذى ذكره هو « آمطايش » على ما أظن . ولهذه الأرض منافذ تسلك بمشقة ، ومن تخلف عنها تلف ، ولا يقدر الإنسان أن يمشى على قدميه فيها ساعة من النهار . وقد سلكت أرضاً بين فاى ، وآدرار ، قريبة من هذه الصفة . والظاهر أن أرض بنبار وفوتَ وجلف وإبسنغان وبَوَلْ وسين وسالم ، لم تكتشف إذ ذاك ، ولا تقل هذه الأرض عن مسيرة أشهر عديدة ، وأهلها سودان مختلفون فى الأديان واللغات ، ولا يعلم عددهم إلا الله تعالى .

الكلام على جغرافية بلاد شنقيط

تقدم الكلام أن شنقيط اسم بلد ، ثم ألحق به ما جاوره ، فتسمى الكل باسم البعض ، وبهذا تنقسم بلاد شنقيط إلى أقسام . أحدها : آدرار ، وينقسم إلى قسمين ، أظهر : وفيه شنقيط الأصلية ، والباطن : وفيه آطار ، إحدى مدن شنقيط المشهورة . وباقى الأقسام ، يحتاط بآدرار من جهاته الأربع .

الكلام على آدرار تفصيلا

(آدْرَارْ) سألت بعض أهل اللغة الشلحية ، فقال لى : معناه عندهم الجبل . وله حيط يضاف إليه ، وهو عبارة عن جبال شاهقة ، يعانيها الصاعد ، مقدار أربع ساعات ، وهى كالدائرة محلقة فى السماء ، حتى إذا انتهى إليها الصاعد ، وجد أرضاً مستوية ، فوقها جبال شامخة ومدن ، وأوداء نخل ، وكثبان رمل ، كأنه فى أرض أخرى . وهى التى تسمى أظْهَرْ ، يسير فيها الراكب مقدار ستة أيام طولا ، وأقل من ذلك عرضاً . وقد توجهت إليه من جهة أرض القبلة ، فرأيته مما يزيد على يوم ، وظننته سحائب سوداء .

الكلام على طرق حيط آدرار

(سانِ) هو آخر طرق آدرار ، وهو جبل أزرق سهل ، وبه آبار قصيرة كثيرة الماء .

(الغلاّوية) هى بئر ، وبها سمى جبل قريب منها .

(إنْزِمْرَانْ) جبل أسود وبه بئر ، وهو طريق يطلع منها إلى أظهر ، وينزل إلى الباطن .

(إثناى) طريق ينزل منها للباطن ، ويصعد لأظهر .

(البَيْظِ) بالتصغير العامى ، وهو جبل أزرق ، والطريق التى ينزل إليه منها يقال له : إثناى .

(آغْمَاكُ) وهو واد يصعد منه إلى أظهر وينزل منه إلى الباطن ، وبه نخل كثير ، أعلاه لإيدوعل ، وأسفله للشرفاء ، أهل عبد المالك .

(أمْ لِخْطَبْرَاتْ) طريق فى جبل أسود ، ويصعد منها لأظهر ، وينزل إلى الباطن .

(إجديدَ) بينها مع شنقيط نصف يوم ، ينزل منها إلى إجْرَيْف .

(أوْسْ) وهو طريق فى جبل شاهق أسود ، وهو مثل إجديدَ ، يصعد منه إلى أظهر ، وينزل منه إلى القرارة المسماة به .

(آمكْجارْ) طريق يصعد منها إلى أظهر ، وينزل إلى قرارة عظيمة . وبه سميت .

(الواد الأبيظ) ينزل منه إلى يغْرِفْ ، وأقرب أودية النخل إليه ، تُوْمَكاد ، بينه وبين أوجفت .

(شاة) باسم الشاة ، ويقال له : شاة الجن ، يقال : إنه لا يمر به أحد إلا سمع صوت طبول الجن ، وهذا شائع عند أهل تلك البلاد .

(ارِيج) هو طريق إلى الحفيرة ، ويهبط إلى كَوَاتْ ، وهى جبال سود ، وبعدها اجبيتن وأزكيمِزْ ، وهو جبيل محدد الرأس ، وكل هذه هى أواخر آكان ، عند أهل آدرار .

الكلام على أظْهَرْ

(أظْهَرْ) عبارة عن الحيط المتقدم الذكر ، وما عليه ، وأشهر مدنه : شنقيط ، ووادان ، وأوْجَفْتْ .

أما شنقيط : فهى أقدم مدنه الموجودة ، أعنى ما بعد آبَيْرْ ، الذى تقدم ذكره ، وتقدم بعض خبره ، وسكان شنقيط الآن ، ما بقى فيه من قبيلتى : إيدوعل والأغلال ، وهما أول من عمرها .

وبطحاء شنقيط : هى أحسن بطاح تلك البلاد ، ولها خصوصية ، وهى أن كل البطاح ، يبتدىء سيلها من الشرق إلى الغرب ، إلا بطحاء شنقيط فإنها بالعكس .

ونخل شنقيط من أحر آدرار تمراً ، أعنى أنه لا يصبر عليه آكله ، من غير مايسمونه حُمَّان ، وهو شىء من الطعام الحار ، يؤكل بعد التمر ، ليزيل مايحدث

بآكله من الغم ، الذى يسمون صاحبه « أمْتَيْنَكْ » ، أى وقع به ما يكدره ويبغضه فى التمر ، وهو آخر نخل آدرار نضجاً ، فإن غيره يبتدىء أكله ، من آخر يونيه إلى أول أغسطس ، وأما هو ، فيبتدىء أكله ، عند ما ينتهى من غيره ، ويسمون أغسطس أغشت ، وهو أكثر نخل تلك البلاد حملاً ، وفيه جنس يسمونه بُجَّيْرَ ، قد تحمل الواحدة منه خمسة أوسق ، أى يكون فى حمل الواحدة منه النصاب ، ونخل ذلك الجنس ، ليس من النخل الجيد التمر ، وهو أقل من غيره من أودية آدرار ، صبراً على عدم السقى ، ويقرب من شنقيط .

(لمغالك) وهى رمال عظيمة ، وفى آخرها دور شنقيط ، تمتد منه جنوباً ، وتغرب شمالا ، وتنتهى إلى الزركة .

(الزركة) بمعنى الزرقاء ، وهى جبل أزرق كاسمه ، وجانبها الغربى يقال له : العاتق ، وبها مزارع يزرع بها القمح والشعير والدخن واللوبيا ، ويقال لها عندهم : آدْلَكَانْ . وفُنْدِى ، وهو نوع من البطيخ جيد ، ما رأيته فى غير تلك البلاد ، وقريب منها .

(أنتِكِمْكِمْتْ) واد كثير النخل ، وبه مزارع ، وكله لإدَوعل ، قريب من شنكيط .

(دخلتْ تافُدَالِتْ) وهى أيضاً واد قريب من شنقيط ، على مسيرة يوم ، وكله لإدوعل .

(تِنِيكِّى) (بتاء مثناة فوقية ، مكسورة ، ونون مكسورة بعدها ياء مثناة تحتية ، وكاف معقودة مكسورة) مدينة مشهورة ، وهى من مدن آدرار المعتبرة فيما مضى ، وأهلها قبيلة تجكانت ، وبخلاها من السكان ، يضرب المثل فيقال : أخلا من تنيكى ، وسبب خلاها ، أن شاباً سفيها من أهلها ، اعترض فى طريق ضيقة ، تمر الناس منها ، فوضع رأسه على ناحية منها ، ورفع رجليه على الناحية الأخرى ، وصار إذا أراد أحد المرور ، يمنعه إلا بشرط أن يمر من تحت رجليه ، فأتت امرأة

فكلمته فى أن يتنحى عنها ، فأبى ، فلما طال عليها القيام ، أرادت أن تمر من تحت رجليه ، فلما صارت تحتهما ، أرخاها على رأسها . فوقع فمها على الأرض ، فسقطت ثنيتاها ، فحملتهما إلى إخوتها ، فاخترطوا أسيافهم فقتلوه ، واقتسم أهل المدينة قسمين ، فاقتتلوا وتفرقوا فهى خالية إلى الآن ، وقد تهدمت دورها ، فلم يبق منها إلا بقية من جدرانها وجذوع من نخلها ، وهى بين شنقيط وتنوشرت ، والمسافة بينها وبين شنقيط ، أقل من يوم .

(تنوشرت) هى واد فيه نخل ، وأصله لإدَوغْلِ ، فرهنوه فى ديات عليهم لإدَولحاج ، وكنت ، ففلق رهنه ، وقيل : رهنوه فى دية كبَّاد ، الذى تقدم ذكره فى قصيدة حرم بن عبد الجليل .

(فارِسْ) واد كثير النخل لإيدَيْشِلّ ، بينه وبين شنقيط يوم ونصف .

(تُولْ) واد كثير النخل لإدوعل ، بينه وبين ماقبله ، يوم ونصف .

(أمْحَيْرِثْ) واد كثير النخل ، جيد التمر ، بين إدوعل ، وأولاد غيلان ، قريب مما قبله .

(تِنْبَهْجَتْ) واد كثير النخل ، على جهة الغرب من تُولْ ، بين إدوعل ، وأهل عبد الملك .

(لُدَىْ) واد كثير النخل للسماسدة وإديشلّ ، بينه وبين ماقبله ، نصف يوم .

(تُومْكَاد) واد كثير النخل لايديشلّ والسماسدة ، قريب مما قبله .

(إيرشْ) واد كثير النخل لإيديشل ، بينه وبين ماقبله ، يوم ونصف .

(لِحْفَيْرَه) تصغير حفرة ، بالتصغير العامى ، واد كثير النخل ، لأهل الشيخ سِيدِىّ ، ونخله جيد ، بينه وبين ما قبله ، يوم ونصف ، وفى جودة تمره ، يقول بعض ظرفاء شنقيط :

حسبى بمبسمها الألمى إذا ابتسمت من تمر لِحْفَيْرَ أو من تمرِ وادان

وسأل بعض الطلبة ، الحسن بن زين المتقدم ذكره ، هل هذا البيت لمتقدم أو متأخر ؟ فقال : لمتأخر ثقيل .

(إتْوَيْرَهْ) واد كثير النخل لإديشل .

(آمْدَيْرْ الـكبير) هو واد كثير النخل ، بينه و بين شنقيط يوم ونصف ، من جهة آطار ، وأكثره لإدَوعْلِ ، و بعضه للسماسدة .

(آمدير الصغير) وهو أكبر مما قبله ، وفيه دور ونخل كثير ، بينه و بين ماقبله ، نحو ساعة ، وهو بين إدوعلِ وأهل عثمان والسماسدة وتيزكّه .

(تَـكْوْكْه) (بمثناة فوقية مفتوحة وكاف مشددة مضمومة معقودة وكاف مشددة مفتوحة معقودة أيضاً) وهو واد كثير النخل للسماسدة .

(تِيزِزْكَى) هو واد عظيم ، كثير النخل ، وفيه دور قليلة ، قريب مما قبله ، وهو للسماسدة .

(إزْكَيْنَه) هو واد و به نخل ودور للسماسدة ، قريب مما قبله .

(تَرَوَنْ) واد فيه نخل كثير للسماسدة بينه و بين ما قبله نصف ساعة .

(اتْوَبْزِّكْتْ) واد كثير النخل للسماسدة وتيزك ، و بعضه لإدوعل ، قريب مما قبله .

واما أوْجفتْ

فهى مدينة للسماسدة ، و بها واد كثير النخل جيده ، وفى نواحيها أوداء كثيرة النخل ، وأغلبها للسماسدة ، بينها و بين شنقيط يومان تقريباً .

(إرِيجِ عَبْدَاوه) هو واد كثير النخل ، وعبداوه : رجل من السماسدة ، وأضيف إليه لأنه هو الذى عمره .

(إجْوَالِى) جمع جالة على اصطلاحهم ، والجالة عندهم ، المـكان المنخفض الشبيه بالقرارة ، وهى واد كثيرة النخل ، من نواحى أوجفت ، وكله للسماسدة .

(تِيمِنِيتْ) هو واد مسيرة يوم طولا ، وفيه نخل كثير ، وهو بين إدَوعْل

والأغلال والسماسدة ، وفيه زرائب نخل تدعى لَجْنَبيات . أى هى كالنساء الأجنبيات ، التى لايجوز النظر إليها ، لجودة نخلها .

(لِعْوَيْنَه) تصغير عين ، ويقال لها : إعْوَينتْ مِنَّه ، وهى واد كثير النخل تملكه امرأة ، وهى التى عمرته وبها سمى ، وهى من إديشل ، وقد عاشت كثيراً من الزمان ، وكانت فى عصرنا هذا ، فى قيد الحياة ، وبين هذا الوادى وبين ماقبله ، نصف يوم .

الكلام على جانب آدرار الشرقي

(آمِسكْرانْ) بصيغة الجمع عندهم ، وهو مسيلان طويلان خلف الشعرانية .

(الشعرانية) هى ضلع أزرق طويل ، أى جبل مستطيل على الأرض .

(دَخْلِتْ أبى سيفْ) هى واد كثير الماء .

(تِنْوَيْفَلْ) هى واد كثير الطرفاء والماء .

(آكْلِيمِيمْ) « بمدة وكاف معقودة » هى قلت ، وقريب منها بئر كثير الماء .

(العين الصفراء) واد كثير الطرفاء والماء .

(أسباعيّه) هى واد كثير الماء .

(لِبْحَيْرَه) هو واد كثير الماء .

(آزِيزك) هو جبل كثير الماء .

وأما واديه :

فهو واد فيه نخل جيد ، وأهله من قبيلتى كنت ، وإدَوْلْحاجْ ، وهؤلاء أقدم فيه من كنت ، وكانوا يسكنونه على أحسن وفاق ، وأتم وئام ، حتى نشأت بينهم الحرب ، وبقى فيه المستضعفون من القبيلتين . ثم إن السطوة فيه لبقية كنت ، لقرب أهل سيد أحمد منهم ، وهم طائفة عظيمة من كنت ، يرعون مواشيهم فيما بين آدرار وتيرس ، وهم أهل السبخة المشهورة هناك ، وأسمها سبخة إجِّلْ ، وهى معظم

تجارة أهل تلك البلاد . فإنهم يحملون منها الملح ، و يبيعونه فى السودان ، وهذا الوادى فى آخر الحيط من جهة الشمال ، و بينه و بين شنقيط يوم و بعض يوم ، وتقدم بيان الأماكن المتوسطة بينهما .

الكلام على الباطن ، وهو القسم الثانى من آدرار وصديقته المشهورة :

(آطار) وهى مدينة عظيمة ، و بلغنى أنها أكثر دوراً ونخلا من شنقيط ، وتجاورها أوداء كثيرة ، وأهلها السماسدة ، وتبعد من جهة الغرب الجنوبى عن شنقيط ، مسافة يومين ، ومعنى آطار : الطريق .

(المِنْفكَّعْ) « بميم مكسورة ونون ساكنة وفاء مرأسة مفتوحة ، وكاف معقودة مشددة » ولعلهم اشتقوه من قولهم : فلان مِفْكَعْ ، أى غضبان ، وهو واد به دور ونخل ، لأهل الشيخ محمد فاضل بن أعْبَيْدِى .

(إجْرَيْفْ) موضع فيه نخل كثير على مايقال ، وقد نزلت عند صاحبه ، وهو الشيخ محمد فاضل المذكور .

(كانَوَالْ) وادٍ عظيم ، كثير النخل لأهل عثمان وتيزك ، فيه قريتان متقاربتان ، كلتاهما لقبيلة تيزكة ، ونخله طويل ، وهو الذى عناه أحمد ابن الطلْبَ فى قوله المتقدم :

هاجَ قرْحَ الغرام بعد اندمال ظعن ظعن الخليط يوم إنال
يوم ولت كأنها حين جدَّتْ باسقات النخيل من كانَوال

(إزْكَيبه) هو واد كثير النخل ، وفيه قرية ، وأهله تَيزِكه .

(لِكْرَيْنات) تصغير القرون ، بالتصغير العامى ، ويقال لها اكرينات العتروس[1] ، وهى جبل ، و به نخل ، وأهله تيزكة ، و بينه و بين ماقبله نصف يوم .

---

(١) العتروس : بمعنى التيس عندهم ، وله اشتقاق صحيح فى العربية

الكلام على هوى آدرار :

آدرار أجود البلاد مناخا ، وأصحها هواء ، وهو بين الحرارة والبرودة ، بالنسبة إلى غيره . فأهل البلاد الحارة كتكانت والقبلة ، يعدونه بارداً ، وأهل تيرس يعدونه حاراً ، ويلائم هواء كل طائفة ، وأرضه جيدة ، فإذا أصابها أقل مطر تخضر ، وتدر مواشيها ، ويكثر السمن عند أهلها ، إلا أنها تمر عليها سنين كثيرة من غير أن تمطر ، وكثير من أوديته لايحتاج فسيله إذا غرس إلى السقى ، أكثر من ثلاث سنين ، فيستغنى بعد ذلك عن السقى ، لأن عروقه تصل إلى الماء ، وفيه أماكن تغرس الفسيلة فيها ، ولا تسقى ، لأن ماءها تحت التراب من القرب .

الكلام على الزرع فى آدرار :

أما آدرار ، فإن أهله يزرعون القمح والشعير تحت النخل فى فصل الشتاء ، ويسقون زروعهم بالدلو ، ويسمونه أشيلال ، وهو عمود على فم البئر ، ويجعل فى أسفله حجر عظيم ، وتنصب له خشبتان على فم البئر ، فإذا أراد الساقى أن يمتح ، يرمى الدلو المعقود فى رأس تلك الخشبة ، فيهوى بها ، فإذا امتلأ الدلو ، يترك الخشبة فترتفع بسبب الحجر الذى فى أسفلها ، فيرتفع الدلو إلى أن يقرب من فم البئر فيمتحه ، وهكذا فإذا كان فى آخر فصل الربيع ، يجذ ذلك الزرع . فبعد أن يجذ الثمر ، يحرثون زرعاً يسمونه مُتْرِى على هيئة مايفعلون بالقمح والشعير . فإذا جذ ، يزرعون القمح والشعير ، وهكذا أهل تيجكه . وهناك نوع آخر وهو : فُنْدِى ، وهذا يزرعونه فى المطر ، ويكتفى بقليل من الماء ، ويُزرع فى الرمال والأودية . وهو بطيخ أبيض اللون وأخضر ، وبزره أبيض ضخم ، وهو من أجود البطيخ ، ويصنعون من بزره دقيقاً ، يخلطونه بدقيق الدخن ، ويصير منه شبه العصيدة .

الكلام على أشجار آدرار :

أكثر الشجر الذى فى آدرار وبلاد شنقيط الأخرى ، غير مشاهد فى هذه

البلاد التى دخلتها ، كسورية ، والأناضول ، والروسيا ، ولكنها توجد فى بلاد الحجاز، ويختلف أكثرها بالإسم لاختلاف اللغات ، فمن شجر تلك البلاد : الطلح ، والتمات[١] ، وأيكنين[٢] ، وآتيل[٣] ، وتيشط[٤] ، وتيتارك[٥] ، وتورجه[٦] ، وأجدار ـ ولا يكون إلا فى الجبال ـ والسدر ، ومنه نوع يسمى إهريتك[٧] ، والحاذ وآسكاف . وينبت عندهم الجرجير، وفيه الإذْخِرُ والثمام[٨] . والأسباط

---

(١) هو السلم ، وورقه وأغصانه الرطبة مرعى للابل والغنم ، وترعاه الظباء أيضاً . وتدبغ بورقه الجلود ، وله نوار أصفر ، تهب منه رائحة لابأس بها ، ويسمون نواره : تيدشمه .

(٢) (نكاف معقودة) شجر عظيم صلب ، وله أغصان ، وفيه شوك ، وله ثمر يشبه مايباع فى أسواق الأستانة ، وإزمير ، وهو الذى يسمونه الكرز إلا أن هذا يؤكل ولاضرر فيه ، وأما ثمر الشجر المذكور ، فلا يؤكل غالباً ، لما يقال من ضرره ، وذلك لبطء هضمه ، وهذا الشجر كثير فى الحجاز ، ولاأدرى مايقولون له .

(٣) هو شجر عظيم لايبيس ورقه فى وقت من أوقات السنة ، وله ثمر يسمونه العنب ، وهو صحيح فى المعدة ، إلا أن آكله يتأذى جليسه من رائحته إذا تكلم أو تثاءب ، ويقولون إنه هو السرح .

(٤) هو شجر منه الكبير ، والصغير ، والمتوسط ، وله شوك عظيم ؛ وله ثمر كهيئة التمر ، وإذا أرطب يصفر ، فإذا نضج تجف القشرة عليه ، ويأكله أوباش الناس ، ويأخذون نواه ، ويطبخونه بالماء ، ثم يكسرونه عن شىء فى داخله ، ويأكلونه أيضاً ، وهم بهذا الذى فى داخله ، ألهج مما يكون تحت قشرته .

(٥) هذا شجر طويل ، ومنه القصير ، ولا شوك له ، وأغصانه لينة ، وله ثمر كهيئة فروع اللوبيا ، وفى ذلك الثمر لبن مادام رطباً ، وربما عملت من أغصانه حبال ينتفع بها قبل أن تيبس : فإذا يبست تقطعت ، ولا تزيد مدة بللها عن يوم ، إذا كان بارداً ،فإن كان اليوم حاراً لاتصبر إلا بعض يوم ، وهذا الشجر يوجد أيضاً فى الحجاز .

(٦)شجر لين العود أملس ، وله ورق عظيم ، وهو العُشَر بعينه ، لأن ثمره الذى يشبه بشقاشق الجمال ، موجود فى تورجة وكذلك ورقه ولبنه ، إلا أنهم يذكرون فى صفات العشران له صمغا حلواً ، وليس كذلك مافى الصحراء ، وقد رأيته فى بطحاء أحد ، فهو كالذى فى شنقيط شبه الغراب بالغراب .

(٧) اهريتك : سدر صغير الحرم ، ينبت فى ضواحى مدينة شنقيط ، وله نبق صغير .

(٨) الثمام : يعرف عندهم بأم ركبة ، وهو كثير فى الحجاز .

وأوَراشْ[1] ، والطير ، وأم لِخْرَيْصاتْ : وأشْكَاره[2] والدَّشَمَة ، والحيظ .

الكلام على لِعصايبْ :

(لِعْصايبْ) هى ضلع ، أى جبل ، يمتد عن شماله مقطير ؛ وعن جنوبه حيط آدرار ، وفيه ماننذكره :

(شارْ) هى بئر عظيمة ، وبها دار عجيبة ، بناها أحمد بن اسويد أحمد ابن عَيْدَّه ، وغرس بها نخلا ، وحصنها عدة للدهر ، وفى أثناء حفره إياها ، عثر على ثلاث أثاف مدفونة فى الأرض ، وظنها من الذهب ، ثم تبين أنها من الصفر المطلى بالذهب .

(شون) هو جبل عظيم ، وبه قَلْت لا يغور ماؤها ، وهى غربى شار ، من جهة الجنوب .

(أشَرَيْرِيكْ) هى عين يمتد من غربيها جبل مغرب إلى الجنوب ، وبه قبر أحمد بن البشير بن الحنشى الغلاوى العالم المشهور ، وبجانبه جبل أزرق ، ويمتد منه مغربا على جهة الجنوب ، مسيل يقال له الحِسْيان .

انتهى الكلام على آدرار ، ولما كان كالوسط لتلك البلاد ، بدأنا به ، ثم نتكلم على جهاته الأربع ، التى تمتد منها تلك البلاد .

الكلام على مقطيرْ :

هى أرض متوسطة ، بين آدرار وتيرس ، من جهة الشمال من آدرار ، وهى محسوبة منه عند بعضهم ، وتنتهى فى آركشاش ، وهى أى آركشاش ، أرض كبيرة

---

(١) شجر ليس من الشجر الكبار . بل يكون متوسطاً وصغيراً ، وليس له شوك ، وله أغصان لينة ، وهو من مراعى الإبل ، ويقولون إنه هو الأرطى ، وليس كذلك ، لأن صفة الأرطى تباينه .

(٢) نبت تأكله المواشى ، ولبنه خبيث الرائحة ، ومن شربه يتأذى جليسه برائحته .

لتجكانت ، وهى من شنكيط ، ومن تلك الأرض تيندوف ، ومنها الاحمادَه .

(بئر الطالب بن الخليلْ) هى بئر قديمة ، وقد اندرست من زمان قديم ، فحفرها الطالب المذكور ، وهو أحد أعيان إذيبُسات أو (إدَبُسات) وقد رأيته ، ولما حفرها ، وجد بها رماحا وقسيا قديمة ، فأضيفت إليه .

(آوْشيشْ) هو موضع فيه آبار كثيرة محفورة فى مكان واحد قصيرة ، بينها و بين ماقبلها ، يوم ونصف تقريباً .

(بُوطَلْحايه) هو موضع فيه آبار كثيرة قصيرة ، وهو قريب مما قبله .

(آغريجيتْ) هو موضع فيه آبار مشهورة قصيرة ، محفورة فى مكان واحد .

(لِفْطَيْمَه) موضع به آبار قصيرة .

(تُرِينْ) هى منهل مشهور ، وقد وردته ، و به جبل أسود ، وعن شماله رمال ، و بعده جبل يقال له قلب الدباغ ، وذلك آخر تيرس وقد رأيته ، و بعده إصْفاريات ، وهى جبال زرق ، وقد رأيتها .

(لِحْفُرْ) جمع حفرة ، وهى بلاد مستوية ، تمتد من آخر تيرس قبل زمور .

(زُمُورْ) هى أرض صلبة ، وفيها جبال ، وفى أوّلها قَلْت يقال لها : قلتت زمور ، و بينها و بين الساقية الحمراء أربعة أيام أو خمسة بالسير الحثيث ، ولامعرفة لى بأماكنها ، وقد مررت منها على عجل .

الكلام على الساقية الحمراء :

هى أرض مشهورة ، وهى آخر شنقيط من جهة وادنون ، تبعد عن شنقيط عشرين يوماً بالسير الحثيث ، وتقدمت أبيات ابن الشيخ سيدِىّ ، التى صرح فيها ، أن مسافتها شهر بسير الإبل ، من الصباح إلى المساء ، و بذلك يتضح ماقلت ،

لأن أرضه تبعد عن شنقيط بنحو عشرة أيام ، وكانت الساقية الحمراء ، خالية لا أنيس بها لشدة الخوف ، ولقحولتها دائماً ، حتى عمرها الشيخ ماء العينين ، وبنى فيها الدور ، وغرس النخل فسهلت المواصلة بين شنقيط وغيرها من المواضع المغربية ، أعنى التابعة للمخزن ، وهى فى الأصل ، للزكيبات ، قبيلة أصلهم من الزوايا ، إلا أنهم يحملون السلاح فى أكثر أوقاتهم ، والعلم فيهم قليل .

الكلام على إيشيرى :

هو بعد آدرار من جهة غربيه ، وهى أرض مستوية بينه وبين سنكال ، فى وسطه جبال وآبار مشهورة . منها :

(تابرْنكوتْ) هى بئر مشهورة ، وعندها جبل عظيم .

(إنْوَيزِّكتْ) هى منهل ، وبها دار للشيخ سعد أبيه ، وله بها أخصاص ، وقد خلت من الأنيس ، بسبب الحروب التى وقعت بين قبائل العرب وبينهم أيضاً ، وبين الدولة الفرنساوية .

الكلام على تيرس :

(تيرسْ) أرض مشهورة واسعة جداً ، واقعة غربى آدرار ، وتشتمل على مواضع كثيرة ، وحدودها من جهة أرض القبلة غير معلومة عندى ، وتتصل بالبحر المحيط من جهة الغرب . وهى من أجود ماسمعنا به أرضاً ، إلا أن الأمطار فيها قليلة جداً ، والمطر فيها إن نزل ، يحدث بأهل تلك البلاد ابتهاجاً عظيما ، ونبتها ليس بالسريع النمو ، فبعد نزول المطر ، يرعى بعد ثلاثة أشهر ، قالوا ويصدق عليها قول العرب : شهر ترى وشهر ترى وشهر مرعى ، فأرضها بعد المطر ، تبقى شهراً ثراء من غير نبت . ثم تخرج رؤوس النبت بعد شهر ، ثم تبتدىء المواشى فى رعيه بعد الشهر الثالث ، وإذا نزل المطر ، يقدِّر أهل تيرس العارفون لها ، أمد

الخصب الذى يحدث ، فيقولون : تفعم سنة أو سنتين أو أكثر أو أقل ، وإذا شبعت الإبل من بقلها سنة الخصب ، يرفعون عنها ما يغطون به ضروعها ، وهو شىء يسمونه الشمال ، منسوج مما تعمل منه الحبال ، يشد على ضروعها ، لئلا ترضعها الفصلان ، وذلك خوفاً على ضروعها من أن يفسدها اللبن ، فيرضعها الفصيل متى شاء ، ورعاتها تتفقد ضروعها بالحلب ، وكثيراً مايهرقون اللبن على الأرض ، لعدم من يحتاج إليه ، وإذا وقع الخصب ، يحملون على الفصيل من سنة ولادته ، لأنه يصير كبيراً قوياً ، وربما ولدت الأنثى لسنتين أو نحوهما ، وهذا لايوجد فى غير تيرس ، ولا يوجد فى أرضها مرضُ الذباب ، الذى يسمونه تابُريتْ ، وإذا أجدبت يصيب إبلها الجرب ، وربما أفناها ، وليس بها زراعة ، وربما بلغ أحد أهلها الستين أو أكثر ، ولم يأكل الخبز ولا العصيد ، إنما يشرب اللبن أو يأكل اللحم أو التمر ، وليس بها نخل ، وإنما يصل إليها التمر من آدرار .

وأهلها أشد الناس كلفاً ببلادهم ، ويقولون إنها تنبت الإبل ، كما ينبت المطر النبات . ومن كلامهم : أربعْ أنياكْ[1] وآنحولْ ، وأربعْ ليالى وآنحولْ ، وأعلَ زَندكْ لا تبوّلْ ، أربعْ اسنينْ أتموّلْ .

وأكثر أشجار تيرس : الطلح ، وفيها اليتُوع ويقال له آفرنان ومن نباتها : آسكاف والحاذ وأنسيل والثمام ، ويقال له : أم ركبه ، والفول ، وهو نبت تأكله الإبل ، وهو غير الفول عند المشارقة .

ويحد تيرس من جهه شرقيها الشمالى :

---

(١) أنياك : بمعنى نياق ، وآنحول : هو خل الإبل عنـدهم من غير قيد ، وهو مأخوذ من قول العرب : الخـال للفحل الأسود من الإبل . ومعنى واعل زندك لاتبول : أى كن فى أرض تيرس، فإن مرض الذباب ليس فيها . ومن عادة أهل الإبل أنهم إذا اتهموا الإبل بذلك المرض ، يبيلها الخبير منهم على زنده ، أى ساعده ، فيتركه حتى يبيس فيشمه . فيتبين بذلك أمرها . والمعنى إن من أخذ أربع نياق وخلا وسكن فى تيرس وكانت مخصبة ، يتمول فى أربع سنين ، لأن النوق إن ولدت إناثاً فى السنة الأولى ، فإن تلك الإناث تلد بعد سنتين . وتلد النوق فى كل سنة . فتكثر إبله .

(ترِنْ) وهى المنهل المشهور ، و به كانت الواقعة المشهورة بين كُنْت ، وأولاد بسْباع .

ومن جهة الجنوب :

(إكْدَيْتْ لِغنَمْ) تصغير كدية ، بالتصغير العامى . وهو جبل معروف .

(العرفيه) منهل كثير الماء الملح .

(عِلْبْ مَسْكُورْ) هو كثيب يتصل (بآكْشارْ) وهو أرض . ومنها (لبّة) وهى ماء مشهور ، ومنها (السيقان) وهى جبال زرق ، وفى لبّة ، يقول البو يخيرى المتقدم من أبيات :

وهل أبيت ضجيج الحاذ مفترشاً من رمل لبّة كالعذرية الجدُدِ

(أشْهالاتْ) هي آبار قصار ، و يسمونها (عقل) ينطق بها بالكاف المعقودة .

(إكويدِسْ) هو جبل عظيم و به بئر ملح الماء .

(بئرْ إيكْفى) بكاف معقودة ، وهو منهل مشهور .

(كديت الجل) تبعد عن شنقيط خمسة أيام ، و بها السبخة المعروفة ، وفيها الأعوج ، وهو بئر مشهورة .

(آغوْيقْنات) هى آبار مشهورة ، واقعة غربى الأعوج .

(ابنعميرَه) هو جبل عظيم ، و به ماء مشهور .

(عَيْشه) هو جبل قريب مما قبله ، و يقال له : عيش إذْخِيرَه ، أى الجميلة . وقد عناه محمد بن الطلبَ بقوله :

يسقى الذراع فتيجريت مدوَّماً من خبت عَيْشَ إلى مدافع تنضل

(زُوكْ) هو جبل عظيم ، و به بئر مشهورة ، واقع غربى ما قبله على الشمال .

(إكازرِنْ) هى أربعة جبال زرق .

(إنال) هو جبل أسود ، غربى ما قبله .

(قلب الظليم) جبل أزرق ، غربى ما قبله .

(تِشْلَه) هو جبل عظيم أسود ، و به بئر كثيرة الماء .

(ظايت البقرة) هى حفرة فى وسيط تيرس ، ومعنى الظاية : الأضاة .

(ضلوع لِخْوَيذ) هى جبال سود .

(أغَيلَاس) هو جبل عظيم أسود .

(بُلَرْياح) هو جبل أسود ، قريب مما قبله .

(الأجواد) هى جبال عظيمة سود .

(إيجْ) هو جبل أسود ، قريب من الأجواد .

(أمْ أدْوِيَاتْ) هى جبل أزرق .

(أمْ أرْوِيَسِينْ) هى جبل أزرق أيضاً .

(بوأغْلِيبَه) هو جبل أسود .

(كلب آزوازيل) « بالكاف المعقودة » هو جبل أزرق ، قريب من إجّل ، وآزوازيل عندهم : بمعنى الجمال الخصيان . ويقال لواحدها : آزوزال .

(إتوِيزِرْفاتْ) وهى جبال صفر ، بينها و بين ما قبلها يوم .

(إكْلاب الحَوْلِيَّهْ) « بكاف معقودة ولام مفخمة » هى جبال بيض ، بين الرمال والحجارة .

(ميجِكْ) هو جبل عظيم .

(زيزه) هو جبل طويل محدد الرأس .

(إسماميط) هى جبال سود ، وبها حجارة التيمش ، أى الحجارة التى توقد بها النار ، وتجعل فى أزند البنادق ، التى تسمى عندهم المدافع .

(مَعْطَ أللّه) « بلام مفخمة » بئر كثيرة الماء .

(لِكْرَيْنَاتْ) جمع قرن ، بالجمع العامى ، وهو جبل عظيم أزرق .

(إنْمْزّانْ) كثيب عظيم .

(وادْ حَنَّه) حنَّه عندهم : من أسماء الإماء ، وما أدرى سبب إضافته إليها ، وبهذا الوادى كدية وماء لا ينقطع .

(آدْرَارْ سُطُفْ) هذا موضع من مواضع تيرس المشهورة .

الكلام على الخط :

الخَطْ : أرض مشهورة ، بين تـكانت وآدرار ، وليس لنا بها معرفة .

الكلام على أركيطه

(أركيطَه) أرض بين تـكانت وآدرار وأكان .

(تالغزَه) جبل كبير أزرق ، و به نخل كثير ، وهو لتجكانت .

(تِيدِنيَـكُوت) جبال زرق قريبة من تالغزَه .

(أطريحتْ) ابن أحمد مزيد ، هى أرض مستوية .

(تامكه) جبل كبير أزرق ، تضل فيه الناس ، وفيه قلات ، وفيه عين تِلْسكى و بها نخل .

(إعويفات السراكْ) مُصَحّف السراق ، وهى عيون تجرى من الجبال .

(تَمَسْمِيتْ) هذه جبال سود عظيمة ، وهى عن جنوب تيدنيكوت ، وعن غربى العاتق ، وقد رأيتها ، وهى تابعة لأكان .

الكلام على تكانت (بكاف معقودة)

ومعنى تـكانت : الغابة ، وهى حلقة كآدرار ، يحفها من الجانبين جبل عظيم ، كجبل آدرار المتقدم ، و يسمونه سن تـكانت ، والسن بغير إضافة أيضاً ، كما يقولون : حيط آدرار ، والحيط ، وأوّلها من جهة حيط آدرار غربا ، العاتق وهو كثبان عظام ، متصلة بجبال أكثرها أسود ، و بعضها أزرق ، يقرب فى الارتفاع

من جبال آدرار ، وتمتد مسيرة أيام متعددة طولا ، وعرضها يقرب من خمسة أيام ، ويقال لتلك البلاد وماحوته : تكانت ، ولها طرق كثيرة . منها ما هو صعب ، ومنها ما هو سهل ، وقد سلكت خمسة طرق . منها : العاتق المتقدم ، وهو سهل ، وِدِكِّلْ (بكسر الدال) وهى متوسطة ، وبعدها طريق صعبة ، فى جبال شاهقة بعد السن ، وطريق أخرى بين هذه والعاتق ، واسمها مازَه (بزاى مفخمة) وهبطت من طريق على جهة كُنْدَيْكه (بكافين معقودتين) وليست بالصعبة جداً . ثم نزلت من طريق منها ، يقال لها : أَيْرَيارَ ، بهمزة مفتوحة ، وياء بعدها راء ، وهما ساكنتان ، وألف بعدها راء مفتوحة ، وهذه الطريق هى أصعب ماسلكت من الطرق ، وطرقها كثيرة ، ومنها : امْ أَذْنَيبَه ، وقد يصعد منها القادم من تشيت ، والبَيْظ ، ولا معرفة لى بتلك الجهة ، وتنتهى تكانت من جهة الشمال فى (أدافر) وهى أرض كثيرة الرمال ، قليلة المياه ، وتستجيدها الإبل فى فصل الشتاء ، ولا علم لى بأدافر ، وبتكانت مدينتان . وهما : تِجِجكْة (بتاء مثناة فوقية مكسورة ، ومثناه تحتية وجيمين ، أولاهما : مكسورة ، والثانية : ساكنة ، وكاف معقودة مفتوحة) وهى على ضفة واد كثير النخل ، يقرب من نصف يوم ، ويضاف إليها ، وهى لإدَوعل ، وثانيتهما (الرشيد) ، وهى مدينة صغيرة على رأس جبل مطل على الوادى المسماة به ، وهى لقبيلة كنت ، وقد أقمتُ بذلك الوادى نحو خمسة عشر يوماً ، ولم أصعد إلى المدينة ، لأنها خالية من الأنيس إذ ذاك ، للحرب التى وقعت بين كنت وإدوعيش .

الكلام على مبدإ عمارة تيججكة والسبب فيها :

مضى من تاريخ عمارتها إلى وقتنا هذا ، مايزيد على مائتين وثلاثين سنة ، وذلك أنه لما دام القتال بين العلويين على ما تقدم ، رحل البيض إلى تكانت ، وكان فيهم رجل أعمى من الصالحين ، فنزلوا قريباً من وادى الرشيد ، وكان خالياً

من الأنيس ، وليس به إلا غابة عظيمة ، فهموا بالإقامة فيه ، فيقال : إن ذلك الصالح قال لهم : إ تونى بشيء من تراب بطحائه ، فأتوه بشيء من حصبائهـا فشمه ، فقال لهم : ارحلوا عن هذا الوادى فإنه جيد لغرس النخل ، إلا أن أهله لايطيب لهم : فرحلوا عنه ، والله أعلم بحقيقة ذلك ، ويدل على صحة قوله ، إن أهله بعد عمارته كثيراً ماتركوه خالياً كما تقدم .

ثم إن العلويين رحلوا ونزلوا قريباً من وادى انتُمتا كِتْ ، وهو واد بين تيججكْة ، والرشيد ، فقال لهم : اعطونى ترابه أشمها ، فأتوه بها ، فقال لهم : إن هذا الوادى سبق فى علم الله أنه لايعمر ، ثم نزلوا تيججكْة ، فأتوه بترابها أيضاً ، فقال لهم : هذا بلد مبارك ، أنزلوا على بركة الله ، فنزلوا وابتدأوا يقطعون الشجر ، وكان فى الوادى غابة عظيمة ، وليس به من الناس إلا أولاد طلحة ، وهم قبيلة من إدَوعيش فجعلوا يقطعون لهم الشجر ، ولمـا شرعوا فى بناء الدور ، جعلوا يحملون لهم الحجر على رءوسهم ، وجعلوا لهم فى مقابل ذلك خمسة أمداد من التمر ، فى كل سنة ، عن كل دار ، وهم يأخذونها إلى أن خرجت من هنالك سنة ١٣١٥ هجرية .

الكلام على صفة تيججكْة :

هى مدينة على ضفة البطحاء ، التى تمتد بين الجبال من جهة الشرق مغربة ، إلى أن تتجاوز الرشيد ، وعدد دورها نيف وأربعمائة دار ، ولها جامع واحد فى وسطها ، وهى على مكان مستو صلب .

ونخل تيججكْة ، فيه الجيد والوسط ، ورديئه قليل ، ويحتاج إلى السقى دائماً ، وهو متفاوت فى ذلك ، بحسب جودة الأرض ورداءتها ، وفى تمرها خصوصية ، وهى أنه يقطع بأعذاقه قبل النضج ، فيترك أياماً فى محل لاتمسه الريح ، ثم ينشرونه فى الشمس ، فيستوى بهذه الحالة ، كما شاهدناه مراراً ، ويقرب من تيججكْة : (آدَرْكْ) وهو جبل أسود ، وبجانبه مما يلى تيججكْه ، رمل دهس يمتد

مغرباً ، ثم ينتهى فى أرض فيها بعض صلابة ، ورأسه الشرق يقرب من الوادى. وفى شمال هذا الجبل ، مزارع للفندى والدخن ، تزرع فى آخر الصيف ، وأوّل الخريف ، إذا نزل المطر ، فالفندى يؤكل بعد شهرين تقريباً ، والدخن ـ ويقال له الزرع ـ يؤكل بعد ثلاثة أشهر ونصف تقريباً .

(إجْمَيْلاتْ أدْيَشْ) هذان جبلان يقربان من وادى تيججكْه ، تمر الطريق بينهما من تيججكْه إلى أدَرُوم ، وهو مزرعة عظيمة لأهل تيججكْه ، والمسافة بينها و بين المدينة ، أقل من يوم .

(بَغْدَادْ) موضع فيه نخل ، غير بعيد من وادى تيججكْه ، وكانت به دار ، فلم يبق إلا جدرانها .

(إزيفْ) « بزاى مفخمة ، وهى بين الظاء والزاى المرققة » مواضع شرقى تيججكْه ، و إذا أصابها المطر ، يسيل منها الوادى سيلا مهماً عندهم .

(إدَرْشْ) هو واد يصب فى أدرُوم المتقدم .

(أدَىْ أعْمَرْ) هو واد يصب فى بالسليان .

(أدَىْ أظليم) هو واد قريب مما قبله .

(أدَىْ الزامل) هو واد قريب مما قبله ، والزامل عندهم الحصان .

(واد البركَه) هو واد مشهور ، وهو والأوداء التى قبله ، تسمى بإزيف المتقدم ، وتصب فى وادى تيججكْه ، كما تقدم .

(القُبَّه) تحريف القبة ، هى واد وكان به نخل وقد اندثر ، و بقيت جذوعه ، و به قبر العلامة سيدى عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوى المتقدم ، وقبرسيدى محمود الحاجى ، وهما مدفونان فى موضع واحد ، و بنيت عليهما قبة ، و بها سمى الموضع .

(لِخْشبْ) جمع خشبة فى اصطلاحهم ، هو واد كثير الأشجار .

(التيدوم) هو علم على أحساء بعينها ، والأحساء : الآبار القصيرة ، و يقولون لها الحسيان .

(أم لِعْوَيتكات) هى أحساء أيضاً، وما بعد ذلك أدافر.

(كُنْدَلْ) هو جبل بينه و بين أدرُّوم، يوم أو أكثر بقليل، و به منهل مشهور.

(الغُدِّيَّة) هو جبل عظيم أسود، و به قَلْت مشهورة، وأوداء كثيرة.

(إكراع الناكه) أى الناقة، هو واد كبير، وفيه أشجار كثيرة.

(دَابْدات) وهما جبلان أسودان متقابلان، عن جانب ماقبلهما من جهة الشرق.

(مَيْلسات) هما واديان عظيمان قريبان مما قبلهما.

(إنيظانات) هما واديان يصبان فى أركيبة، وقبلهما السن، والطريق التى تليهما يقال لها آكْشَيْلْ، وهما يصبان فى آكرج، وهو أوّل أركيبَه.

(البيَبه) «بلام مفخمة» هى جبل أزرق، و بها قبر بُبَكر بن عامر (أى أبو بكر) أحد سلاطين مراكش، وهو عم يوسف بن تاشفين، وكان ثار عليه فى مدة غيبته، فتركه وذهب إلى الصحراء، فمات بها، و بينها و بين تيججكه يوم ونصف.

(إمكريرى) هو جبل أسود مستطيل، قريب مما قبله، واقع بينه و بين تيججكه عن الشمال.

(عُرَّيظْ) هو واد قريب من إمكريرى.

(المَيزْ) جبل أسود بين عريظ وكراع الناقة.

(إحَمْناهْ) جُبَيْل يقرب من وادى تيججكه، من جهة غربها الجنوبى.

(كِلمْسى) «بكاف معقودة مكسورة ولام مكسورة، وميم ساكنة وسين مكسورة» جبل عظيم أسود عن شمال تيججكه.

(أنتُمتاكِتْ) جبل أسود بين تيججكه والرشيد، وله بطحاء عظيمة، وليس بها نخل، ومن خلفها جبل كِلمْسى المتقدم.

(إنيمى) جبل أسود ، وعلى رأسه قطعة رمل ، فهو بها أغر كغرة الفرس البهيم ، وسفحه الشرقى مزارع لإدَوعل ، ومسافته من تيججكه ، نحو يوم ، وتمتد من شماله جبال يقال لها ازرايب .

(إغلنبيتْ) واد عظيم كثير الأشجار ، قريب من إنيمى .

(الوادْ الأبيظ) « أى الأبيض » هو واد عظيم ، وفيه أشجار كثيرة .

(أمَيْدِدَارْ) منهلٌ مشهورٌ .

(أغَوْدِيتْ) منهل مشهور ، غربى مافوقه من جهة الجنوب .

(إزرايبْ) جبل أسود غربى إنيمى .

(لِمْخَيْشبَه) جبل عظيم ، وبجنبه واد عظيم ، وبه أشجار كثيرة ، وعلى رأسه عين جارية .

(الرشيد) مدينة لـكنت كما تقدم ، وفيها واد كثير النخل جيده ، مارأيت مثله نخلا ، ومن عجائب أمره ، أنه قطع مرتين ، قطعه أهل سيدِى محمود ، فنبت أحسن منه أولا على مايقال ، فإنى رأيته بعد القطع ، وقد عددت فى جنب جذع النخلة الواحدة ، ست نخلات أو أربع نخـلات ، تنبت من نواحى تلك النخلة الواحدة التى قطعت ، ونخله كثير الحمل لا يحتاج إلى السقى ، لقرب الماء من عروق النخلة ، قالوا سبب جودته أكثر من غيره ، إن الجبلين المـكتنفين له ، يمنعان نخله من الرياح . وآخر نخله مما يلى تيججكه ، يقال له : أرِيجِى ، وفيه ماء ينبع من الأرض وحده من غيره حفر . ولـكن لايبعد سيلانه . ولو وجد مهندس يصلحه لسقى جميع الوادى .

(البُهْرَه) مزرعة تقرب من الرشيد ، وأهلها كنت ، وبها قتل عبيد كنته فارس إد وعيش ، سِيدْ أحمد لبَّات بن أسويد أحمد .

(إنقَيْشِطْ) موضع مشهور ، غربى الرشيد ، وبه منهل .

(تالِمِسْتْ) موضع فيه نخل بعد الرشيد ، مما يلى آدرار لكنت ، ومالك رجل اسمه عباس ، وهو من الصالحين ، وقد انقطع فى تلك الأرض لعبادة الله ، وليست له زراعة ، ولا تأتيه الميرة ، ومع ذلك لا يجىء إليه إنسان إلا أضافه ، والناس يزعمون أن الجن تخدمه .

(قَصرْ البَرْكه) هو واد من أودية تكانت المشهورة ، وأهله كنت ، وكان به نخل ودور ، فلما اشتدت الحرب بين أهله ، وبين أهل سيدى محمود ، خربت دوره وبقى بعض نخله ، وقد رأيته ، وما وقعت عينى على حيطان من أثر دوره . وكان الوقت غير مساعد للتنقيب ، وبُعده عن الرشيد يوم ونصف تقريباً ، وبعض ما تقدم أقرب إلى الرشيد منه ، لكن الذى دعا إلى وضعه هنا ، تعلق بعض البلاد ببعض ، ثم نرجع إلى ما تركناه ، وهكذا وقع لنا فى بعض الأحيان .

(آكْلاليب) هى مواضع من تكانت ، واقعة مما يلى العاتق .

(كْبُّ) قريب مما قبله .

(تَمْرَه) موضع يقرب مما قبله .

الكلام على تامورِت انعاج :

هى أرض مشهورة ، وبها مزارع ، وفيها بحيرة تجتمع من مياه المطر . ومعنى تامورت : أنها كثيرة الشجر المسمى بآمور ، وهو شجر عظام ، وله ثمر يدبغ به . ولذلك الثمر نوى أسود ، ويسمونه الصلّاحه بتفخيم اللام . والناس يقولون : إنه هو الغضا ، إلا أن الغضا من شجر الرمل ، وهذا أكثر مواضعه الأرض السوداء . والغضا له هدب أيضاً ، وهذا لا هدب له ، وله ثمر كما تقدم . ولهذا الشجر أيضاً : صمغ وشوك ، وأقرب الأشجار إليه : الطلح ، وصغاره تشبه السلم . وتامورت أنعاج المذكورة كثيرة السباع والدببة ، وهى وبيئة . وقد تنزلها قبيلة إدَوعيش وقت الخوف ، لتكون لهم كالحصن من عدوّهم .

(لِغْمَيْدْ) تصغير غمد ، بالتصغير العامى . موضع يقرب من تامورت أنعاج .

الكلام على أشجار تكانت :

تكانت من أكثر تلك البلاد أشجاراً . فمنها : الآمورْ ، وشجر الطلح ، والسَّلم والقتاد . ويسميه أهلها : آوِرْوَرْ ، وتَيْشَط والسدر ، وأيكْنينْ ، وآتيل ، والبشام . ويسمونه آدرس ، وآفرنان ، وهو اليَتُوع ، والكِندُوم وهو الخروع ، وإمجيج ، وهو المعروف بالنبع الذى تستجاد قسيه ، وله ثمر أحمر يؤكل ، ولكْلَيّه وهو شجر يقرب مما قبله ، وثمره كثمره ، وأيْزَنْ ، وهو شجر أخضر فى أكثر الأوقات مرّ الطعم ، وحطبه كثير الدخان ، وله ثمر يشبه البن ، الذى تعمل منه القهوة . وأهل تكانت وآدرار ، يغسلونه بالماء ويطبخونه ويأكلونه . ورأيت فى مصر حباً يشبه ذلك الحب ، إلا أنه أصغر منه ، يطبخ مع اللحم . فسألت عنه ، فقيل : هذا يسمى البزاليه . ومن شجرها التيدوم ، وهو شجر عظيم لا يوجد فى المشرق ، وله ورق أخضر ، يصنع منه إدام يشبه ما يصنع من الملوخيا . وله ثمر ينفع دقيقه فى الإسهال . ومن نباتها : تبننه ، وهى فروع تمتد على الأرض ، وتعمل منها الحبال .

(المِجَرِيّه) طريق من طرق تكانت ، من جانبها الشرقى ، وبها عين جارية وماؤها له خرير ، والناس يخاطبونها بقولهم : لو صدقت لسالت التاغْصَه .

الكلام على التاغصه :

(التاغصه) أرض دهسة ، تحف جبل تكانت ، مما يلى القبلة .

(الباطن) أرض صلبة ، تحف جبل تكانت ، مما يلى آوكار ، ولا علم لى بملتقاها مع التاغصه . فان الباطن أرض مطمئنة ، تحف سن تكانت ، من شرقيها الشمالىّ ، كما أن التاغصه كذلك ، من جهة أرض القبلة ، إلا أن التاغصه فيها دمائة تزيد على الباطن .

الكلام على اركـيبه :

(أَرْكَيْبَهْ) تصغير رقبة بالتصغير العامى : أرض مشهورة ، تنتهى مشرقة على جهة الجنوب فى لِعصَابه ، وهى جبال شاهقة ، وفيها مزارع وعيون كثيرة. ولا علم لى بتفاصيلها . ومنها إلى آفطوط ، وهى أرض مستوية فيها صلابة ، كثيرة الأشجار بعيدة المساحة . وتنقسم أركيبه إلى قسمين : أركيبه الـكحله ، أى السوداء . وأركيبه البيظه ، أى البيضاء . ويشتمل هذا القسم الثانى على محال كثيرة منها :

(آكْرج كْسَّامَهْ) وهو واد عظيم ، كثير الأشجار ، أحد جانبيه متصل بالسن ، والآخر ينتهى فى كثيب . يقال له : الـكْعْسَهْ ، أى القعساء ، وهو كثيب عظيم ، وإلى الجانب الشرقى منه جبل يسمى :

(كْنْدَيْكَهْ) وهو جبل أسود ، وعند أصله بئر كثيرة الماء . وبهذا الجبل أول وقعة كانت بين عبد الله بن سيدى محمود الحاجى ، وقبيلة كنت ، وهو أول يوم شفى نفسه فيه منهم .

(إنْوَامْلَيْنْ) هو جبل عظيم مشهور ، وعند أصله بئر عذبة الماء مشهورة ، وتـكتنفه رمال دهسة . وبه الواقعة المشهورة ، بين الشريف مولاى إدريس الفاسى ومن معه من أهل شنقيط ، وبين الفرانسى ، وكانت الدائرة على الفرنسيين .

(كيفه) بئر مشهورة ، ماؤها ملح ، وهى من مناهل الإبل ، التى تنعم بشربه وبكثر لبنها ، وهى ملقط عظيم للصمغ أيضاً .

(بالنِّعمان) بكسر النون ، مكان منبسط ، وماؤه قريب عند حفره . والنعمان : بكسر النون . هو الذى تضاف إليه الشقائق ، إلا أن المسموع من العرب ضم النون . فيقولون : شقائق النعمان : يعنون به ابن المنذر . ويقال لتلك الشقائق : الشقر . قال طرفة بن العبد :

* وعلى الخميـــل دماء كالشقر *

(السلطانية) كثيب عظيم ، و بجنبه أرض مستوية .

(لمسيله) نهر عظيم ، وفيه الزامول المسمى عند أهل القبلة : بالنَّبِّيز . وعند أهل الجغرافية : بفرس البحر ، أو الماء . وفيه بالديزوك ، وهو المعروف بالتمساح . وينتهى هذا النهر فى ماء يقال له :

(بَنْبَلَّهْ) موضع يقرب من مسيرة ثلاثة أيام . و بعد بنبله :

(سُرْمَلِّى) واد فيه نخل ، وفيه ملح تأكله الإبل و بعده :

(إزْوَيْمِـلِّى) محل فيه آمِرْسالْ ، أى ملح ليس بالجيد ، تأكله الإبل .

(السَّيْلْ) بحر يجرى من لِمْسِلَهْ ، و يجتمع منه زبد يتكيف منه الملح .

(تاشـكاست) تيارت طويلة متصلة بتكانت (والتيارت) عندهم ، المكان المستوى ، وكثيراً ما يكون فيه الآجر ، وعند رأسها الشرقى تامورت . أى شجر عظيم من كبار الشجر ، وفيه مياه تدوم أكثر السنة .

(إمْوَيْخْ) تصغير سائح ، ماء قريب مما فوقه .

(السَّمْسِيَهْ)وهو ماء بهيئة ماقبله ، و بعده تيارت ، تمتد إلى سن تـكانت .

الكلام على اركيبه الكحله :

(إجَلْ لِـكرِبْ) كثيب عظيم ، وهو الحاجز بين أركيبه البيظة (أى البيضاء) والكحله .

(إدْمَيْمِرَاتْ) قيعان صفر ، وفيها أشجار كثيرة من شجر أيـكْنِينْ .

(المحموديه) تامورت ، وفيها ماء يجتمع من المطر ، و يمكث أكثر السنة .

(فتَى دَّي) بلفظ أحد الفتيان ، مضافاً إلى لفظ دنى . واد تـكتنفه جبال ، وفيه آبار وأشجار ومناقع ، يكون فيها الماء فى الخريف .

(فرَّي) هو واد عظيم ، وفيه تومرت يكثر ماؤها زمن الخريف ، وهذه الأماكن الخمسة ، كما أنها تسمى اركيبه الكحله . كذلك يقال لها : الخنشيش ، أى الأنف .

(دار ابن الطالب) هو أحمد طالب بن الطالب الغلاوى ، وبجانبها نخل ، وهى الآن خربة ، لم ير منها إلا حيطانها ، ولا من نخلها إلا جذوعه .

(أمّ الطيورْ) تامورت عظيمة ، وبها ماء يدوم أكثر السنة .

(لِمْحَارِدْ) كثبان مرتفعة ، كثيرة الأشجار ، مسيرة ستة أيام ، وتمتد إلى جافنه ، من أرض السودان .

الـكلام على اركيزْ :

(اركيزْ) أرض بعد تـكانت ، واقعة بينها و بين آوكار .

(تِـكْبَهْ) واد مشهور ، وبه دور ، إلا أنها لا أنيس بها الآن ، وكان به نخل أيضاً ، ولم يبق إلا جذوعه ، وهو لتجكانت .

(أكبرْت) واد وبه آبار قصيرة .

(ظايتْ إسْبطْ أى أضاته) وهى غدير مشهور ، وبه أسباط كثيرة .

(أوْطُفُنْ) بئر مشهورة .

(لِفْرَاوَاتْ) أرض مستوية كبيرة ، تشتمل على أماكن متعددة .

الـكلام على أفـلّه :

(أفلّهْ) أرض مشهورة ، بعد الرقيبة وقبل .

(غَبْ) واد كبير جداً ، كثير الأشجار ، وفيه بئر مشهورة ، أحد جانبيه دهس ، والآخر بالعكس ، وبه وقعة مشهورة يؤرخون بها ، ولا علم لى بتفاصيلها ويليه :

(بُغْرِلى) سمى بثمر شجر يسمونه أيـكْنين ، وهو واد كثير الأشجار ، كبير المساحة ، وفيه ناحية دهسة ، وأخرى سوداء ، ويليه :

(لِفْدَه) واد كبير ، كثير الأشجار ، أسود البقعة ، يصب ماؤه مغرباً إلى جهة الجنوب .

(حُمَّارْ أَطْوالْ) ظهر أسود ، أى مكان صلب مرتفع طويل ، مسيرة نصف يوم ، كثير الأشجار جداً .

(المَدْرُومْ) منهل مشهور ، ترده الناس من كل جهة ، كثير الأشجار ، وفيه مزارع من الدخن والفندى .

(بُغُرْظَهْ) واد كثير الشجر ، جانبه الغربى دهس ، وجانبه الشرقى صلب .

(بَلَّهْ) ويقال له : اعوينات بَلَّه . وهو جبل ، ومنه تجرى هذه العيون ، وبجانبه واد كثير الأشجار ، وهو كثير السباع والنمور .

(غيران) جمع غار . وهو مسيل كبير ، كثير الأشجار .

(أَفَيْلْ) جبيل أزرق طويل .

(كِبِدِّى) (بكاف وموحدة مكسورتين ، ودال مشددة مكسورة) غدير كبير ، كثير الغضا وغيره من الأشجار .

(سانْغُو) وهو فى الأصل شجر تتخذ منه السبح ، وبه سمى هذا الوادى ، وفيه الشوحط والنبع وغيره .

(البَيْظْ) مسيل ، وبه بئر مشهور ، وهو منهل معهود .

الكلام على آوكار :

(آوكار) أرض واسعة واقعة بين تكانت وتيشيت وأركيبه والحوض ، فغربيها الجنوبى مما يلى تكانت ، وغربيها الشمالى مما يلى الحوض ، وجنوبها الشرقى مما يلى الركيبه ، وشرقيها الشمالى مما يلى تيشيت ، ويشتمل على المحال الآتية :

(أُمَّاتْ أُتْمامِيش) غدران مشهورة من آوكار .

(بوزربيه) كثيب وبه واد .

(بوسَعْلَهْ) موضع ، وبه آبار تحفر ، فإذا جاءها السيل انهارت .

(العُرش) بضم عينه ، ومعناه عندهم الغصن ، وهو كثيب عظيم ، وإلى سفحه بئر وبه أضاة ، وسمى بعُرشٍ كان نابتاً عليه .

(بتكْرَهْ) رمل عظيم .

(أم أسديرْ) هى أضاة مشهورة .

(إينعمْ) هى بئر مشهورة :

(السدرة) أضاة مشهورة .

(أيْدْوَا) بئر قديمة ، لا ماء فيها ، وبها أكمة من الرمل عظيمة .

(أغَيْدْريتْ) بئر قديمة ، وبجانبها كثيب عظيم .

(إنكْرَاجْ) الأبيض ، كثيب عظيم .

(إنكِراجْ) الأخضر ، كثيب قريب مما قبله .

(آتيله) رمل مشرف ، سمى بواحدة آتيل ، ومعناه شجر السرح .

(ابْغَيْدِيدْ) رمل عظيم .

(إمْبَيْدِيغْ لِخْوَاشِرْ) بئر مشهورة .

(تيارتْ أم الظلْمانْ) أرض مستوية ، والظلمان : جمع ظليم . وأضيفت إليها ، لأنها كانت مألفاً لها .

(اندغمَ برْكهْ) بئر مشهورة ، وكل آبار آوكار طويلة ، لاتمتح إلا بالسوانى .

(عُيونْ المَكْفهْ) هى عيون جارية من جبال سود .

(كُوْر برْبارَه) مسيل ، وفيه بئر كثيرة الماء .

(لِمْوَيْبْرَاتْ) جُبَيْلات كثيرة الأشجار ، وبها الواقعة المشهورة ، التى مات فيها سيدى محمد بن عبد الله بن سيدى محمود الحاجى . وكان رئيس جيش جرار ، مؤلف من كنت والأغلال ومشظوف وأولاد الناصر ، زحف بهم على أخيه سيدى المختار ، فقتله عبد لأخيه غدراً ، بعد أن هزم جيش أخيه بمن معه .

(لِخْماسِينْ) عيون تنحدر من جبل أسود كبير .

(لِـكْدَيْمْ) تصغير القدم ، بالتصغير العامى ، وهى عين كثيرة الماء . تنحدر من جبل عظيم : يقال له العاكر (بكاف معقودة) ومعناه العاقر ، وبهذا الجبل عيون كثيرة تجرى ، وأشهرها الـكرْكوبيات ، وهي أربع عيون كثيرة الماء ، وبها شجر التيدوم ، وإمجيج ، وفيه سباع وفيلة كثيرة .

(حنْكْ النعامهْ) هو واد وسطَ جبل عظيم ، ينحدر من العاقر ، وفيه مزارع كثيرة ، وماؤه جارٍ لاينقطع .

(تِنْـكارَه) واد كبير .

(إسبيخه) تصغير سبخة ، وهى منهل مشهور .

(شرطو) مسيل كثير الأشجار .

(ليبَهْ) منهل مشهور .

(الطّيْنْطانْ) منهل أيضاً .

(أينْ كْرْبهْ) هو مسيل ، مشهور بعيونه الجارية . و به وقعة أهل سيدى محمود المشهورة ، بين سيدى محمد ، وأخيه سيدى المختار ، وهُزم سيدى المختار ومن معه .

(إينْقانْ) جبال عظيمة سود ، وبها ماء كثير ، وهي آخر حدود أَفَلْهْ ، مما يلى السودان .

الكلام على الحوض :

(الحوض) أرض مشهورة بعد آوكارْ . أولها مما يلى تيشيت ، ومن محالّها :

(تيبوشانْ) وهى تلال مشرفة بيض ، وبجانبها تيارِتْ ، أى أرض مستوية صلبة ، يقال لها الواسعة ، وهي كاسمها .

(إم الاحياظ) بالظاء المشالة ، تصحيف الأحياض ، جمع حوض على لغتهم ، وهى بئر غزيرة الماء .

(أم لّى) بئر بينها و بين مافوقها ، نحو يوم ونصف .

(صَوَّانَه) تل عظيم أبيض ، و بها تامورت ، أى غيضة عظيمة فيها غضىً كثير .

(فَوَقْ) بئر عظيمة .

(بُلَـكْلَال) وأصله أبو الأكلال ، بئر مشهورة كثيرة الماء ،قريبة مما قبلها.

(الرَّكْ) أرض عظيمة ، تشتمل على آبار كثيرة منها :

(يُجَـكْنى) بئر ملح تردها الإبل كثيراً .

(البِدْعْ) بئر قريبة مما قبلها .

(إنْوَله) ويقال لها رِكْ أنْوَلهْ ، وهى بئران مشهورتان ملحان ، واحدتهما لاتقدر الناس على شرب مائها .

(إدْريس الصالحين) بئر مشهورة .

(إدريس الأخضر) أى الأسود ، وهو من الأضداد ، وهـذه لغة أهل الحوض وتكانت وآدرار ، وهى بئر أيضاً .

(محموده) تامورت ، أى غيضة كثيرة الغضى ، و بها مياه لاتغور .

(ادْيادَهْ) تامورت عظيمة ، و بها ماء لايغور ، و بها قبر الصالح الشيخ محمد فاضل ، والد الشيخ ماء العينين .

(تِيجطِى) واد مشهور ، وهذا آخر ماوقع لنا علمه من بلاد الحوض ، وهى أرض كبيرة ، وتسكنه قبائل كثيرة .

الكلام على أظهر .

(أظهر) أرض بعد الحوض قبل أزواد ، وهو غير أظهر آدرار .

(إجْنَكه) أرض مستوية ، وبها كثبان دخن .
(المَذُوب) هو كثيب كبير بعيد المسافة ، يسير فيه الراكب أياما .

الكلام على ازواد :

(أزواد) « بزاى مفخمة بين الظاء والزاى » وهى أرض كبيرة بعد أروان . وفيها كثير من قبيلة كنت ، وكانت بها إقامة العالم الصالح الشيخ سيدى المختار المتقدم . ولم تزل أولاده بها ، أعنى أولاد أولاده . ومن أشهرهم : باى . وهو عالم صالح مشهور ، وهو فى قيد الحياة إلى وقتنا هذا ، ولا علم لى بأسماء مواضعه .

الكلام على اروان

(أرَوانْ) : قرية مشهورة ، بينها و بين تينبكتو عشرة أيام ، واقعة فى رمال ولا نبات بها ، وليس بها شجر ولا زرع ولا نخل . ودورها مبنية من الطين فقط ، والناس يقولون : إن المطر لاينزل على البيوت بسبب دعاء صالح ، دعا لهم بذلك . ولو نزل عليهم لتهدمت أبنيتهم . وقد اجتمعت برجل منهم سنة ١٣١٧ بالمدينة المنورة ، وسافرنا إلى أن قضينا الحج ، ثم سافرنا إلى بلاد الترك ثم تفرقنا . ولم أنتقد عليه شيئاً من جهة دينه ، فسألته عما يقال من ذلك . فقال : إن المطر لاينزل على تلك البلاد إلا نادراً ، وأنه إذا نزل لايصيب تلك القرية منه إلا شىء يسير ، وأنهم ربما نظروا إلى الآكام حولهم تمطر ، ولا يصل إلى الدور إلا شىء لا أهمية له ، فسبحان القادر على مايشاء .

الكلام على لمريه :

(لِمْرَيَّهْ) : أرض متوسطة بين شنقيط وأروان ، صعبة المسلك ، لاماء بها ولا شجر ، وهى خطرة على من سلكها ، و إذا عصفت فيها الريح ، لاتقدر الرفقة السالكة لها أن تسير ، خوفا من أن تتيه ، لأن الريح ترفع التراب ، حتى لايفرق

بين السماء والأرض ، وكانوا إذا أرادوا حمل الملح من شنقيط ، يظمئون الإبل حتى تتعود على الشرب ، بعد عشرين يوما أو نحو ذلك . ويحمل كل رجل مايسقيه فى المزاد الجيدة ، ويكون ذلك فى فصل الشتاء ، وربما نفد على الرفقة الماء ، فينحرون الإبل ، ويأخذون ماحوته بطونها ، ويعلقونه فى كروشها ، ويوقدون تحته النار . فإذا صفى ماؤه ، يتركونه حتى يبرد فيشربونه ، وقد فعله خالد بن الوليد رضى الله عنه فى زمن الردة ، لما توجه بعد وقعة اليمامة إلى نواحى العراق . وكان دليله رافع الصحابى ، المعروف بالهداية . وقد تضل الرفقة فى لمرية ، فتهلك عن آخرها . ويقولون : إن الدليل فيها إذا سار مع الركب يتقدمهم ، فيتبعونه ولا يكلمهم ، خوفا أن يذهل فيهلكوا . وهى مسيرة عشرة أيام .

الكلام على تيشيت :

(تِيشِيتْ) : مدينة مشهورة بعد تكانت ، قريبة من الحوض ، بينها وبين تيججكه نحو خمسة أيام ، وبها نخل . وأهلها أدرى من أهل تلك البلاد بالتجارة ، وهى أقرب مدن تلك البلاد للسودان . وكان أهلها ثلاثة أقسام ، قسم يقال له : الشرفاء ، وقسم يقال له : إماشَنَهْ . وقسم يقال له : أولاد بلّهْ . فوقعت حرب بين القسمين الآخرين ، فخرج أبناء بله ، وبنوا بلدة آغْرَيْجيتْ .

(آغْرَيْجيتْ) : مدينة لأبناء بله ، وبها نخل ليس بالكثير ، وعمارتها قريبة من هذا العصر .

(وَلاتَه) مدينة مشهورة ، وهى آخر مدن شنقيط مما يلى بنباره . وأهلها عرب . وجلهم أو كلهم من الزوايا ، وفيها علم وصلاح . ولأهل لَحَيْميدْ عليها سيطرة ، وهم من حسّان ، وأصلهم من اللحمة . وكانوا يعطون المكس لادَوعيش ، فحاربوهم حتى تخلصوا منهم ، وتركوا أرضهم ، ولجئوا إلى الحوض ، فكثروا وكثرت مواشيهم ، وانتشر ذكرهم ، وكل ذلك بعزم محمد محمود ابن لحميد .

(النعمَه) مدينة مشهورة ؛ وما فوقها أقدم منها ، و بينهما مسافة يوم أونحوه .

(تِيْنبُكتُو) مدينة مشهورة ، والمعروف عندنا أنها خارجة عن شنقيط . وأصل أهلها السودان ، وفيها كثير من تجار سوس ، وغيرها من بلاد المغرب .

(بُواُجْبَيْها) تصغير جبهة ، وهى قرية من نواحى تينبكتو فيما أظن ، وهى من شنقيط . و بعض سكانها من إدَوعل ، استوطنوها بعد ما تفرقوا ، بسبب الحرب التى وقعت بينهم ، ولم تزل بقاياهم هناك .

(سَبْخِتْ تاوْدَنِّ) هى سبخة مشهورة بين شنقيط وأروان . و بينها و بين أروان عشرة أيام ، ولعلها منكبة عن شنقيط إلى جهة الشمال الغربى ، ويحمل منها الملح إلى تينبكتو والسودان ، وملحها دون ملح آدرار فى القيمة عند السودان ، ولنعد إلى مابعد تكانت ، على جهة القبلة ، فأول محاله آكَان

الكلام على آكان :

(آكَان) هى أرض كبيرة جيدة الهواء ، وتتفاوت فى ذلك . فما يلى آدرار أجود ، إلا أنه كثيراً مايعتريه القحط . وما يلى تكانت أجود منه بالنسبة إلى المواشى . لأنه قليل القحط . يبتدىء من إجبيتين . وهى جبال سود مما يلى جنوب آدرار قبل الحيط ، من جهة أرض القبلة . ثم يمتد مشرقا ، وفيه حزون وسهول وجبال وآكام . ومن أماكنه المشهورة :

(إيجِّبيتِنْ) وهى جبال سود ، قبل الأرض المستوية ، التى تحف حيط آدرار وتكانت . ولا أدرى مايقال لها من هذه الجهة . أعنى من جهة القبلة ، مع أنى سلكتها ، وتقدم أنها يقال لها من جهة غرب آدرار الباطن ، وكذلك من شرق تكانت وأنها من جهة جنوبها الغربى يقال لها : التاغْصَهْ .

(أزْكَيمِرْ) « بهمزة وصل ، وزاى ساكنة ، وكاف معقودة مفتوحة ،

وياء ساكنة ، وميم مكسورة ، وياء ساكنة أيضاً » وهو جبيل أحمر طويل ، وقد رأيته .

(الكُرَارِيَّة) أضاة كبيرة ، إذا امتلئت ماء تصير كقطعة من بحر ، وتردها الناس ، ومعناها : مقطوعة الأذن .

(بُونَاكَة) أصله أبو ، وحذفت الألف ، وناكه (بكاف معقودة مفتوحة) أصله القاف ، منهل مشهور ، تستمرئه الإبل ، وبجانبه جبل أسود ، وقد رأيته ، ومن مناهله المشهورة :

(تِيدِنْ يَكُوتْ) وهو منهل مشهور متوسط ، بين آدرار وتكانت ، وبه جبال من الرمال ، يضرب المثل بحسن قفاه ، وقد رأيته وهو كما قيل .

(تَمَشْمِيتْ) جبل كبير أسود ، يقرب مما قبله . وقد رأيته .

(زَالْ) جبل أحمر ، فى وسط أكان ، بين تكانت وآمشتيل وآوكار .

(أنْتِشليتْ) منهل مشهور ، يعد من آكان .

(آيْمُ) « بمدة بعدها مثناة تحتية ساكنة وميم مضمومة » وهو أحساء فى آخر آكان ، من جهة آوكار ، وآخره مما يلى آدرار غربا .

الكلام على فاى :

(فَايْ) أرض مشهورة صلبة ، تمتد من آكان ، مما يلى آدرار ، ويحفها من غربيها الشمالى تياشنن . ثم تستمر إلى قريب من أجار . ومن مناهلها المشهورة :

(آكْلالْ) « بمدة بعدها كاف معقودة مكسورة ، ولامان بينهما ألف وآخرها ساكنة » ومعناه مقطوع الذنب فى العامية ، ويقال له آكلال فاى .

الكلام على آوكار :

(آوكار) أرض كبيرة المساحة ، فيه مناهل وقفار ، متوسط بين آكان

وآمشتيل ، وآفطوط والعُقل ، أوله مما يلى آمشتيل مابعد آيْمُهْ ، وقد أجاد ابن الشيخ سيدى ، فى وصفه له . فى قصيدته التى تقدمت فى صحيفة ٢٦٥ .

(زَارْ) منهل مشهور به قبر الصالح الفخ الْحُمُدّ التاكنيتى ، وذكرته شعراء تلك البلاد ، فى أشعارها كثيراً . قال ابن عيد الجكنى من أبيات تقدمت فى صحيفة ٢٨٤ .

من ذا إبل يرعى مصالحها فليك ذا حذر ياقوم من زارَا

وقال ابن أحمد دام فى قصيدة تقدمت أيضاً فى صحيفة ٢٩٦ .

وجادت على أطلال زار مربّة بها كلُّ غراء الجبين دَلوحُ

وقال العتيق بن احمد ابن الطلب اليعقوبى، الذى تقدمت ترجمته فى صحيفة ٢٢١ :

بينما نحن نؤم حول زارٍ إذ أتتنا تميس ثم لميس

وعجبنا بأن ألمت بزار وبعيدٌ زارٌ على من يميس

(آوليكْ الأحمَرْ) « بمدة بعدها واو ساكنة ولام مفتوحة وياء مشددة ، مكسورة وكاف معقودة ساكنة » والأحمر من تمام إسمه ، لأنه مركب من صفة وموصوف ، وهو تصغير آوليكْ ، بمعنى البئر الواسعة الأرجاء ، وهو بئر قديمة ولا ماء بها . ويقال : إن الناس أرادوا أن يصلوا إلى قعرها ، فما أمكنهم ذلك ، ومن منازل آوكار المشهورة :

(أنجَيْدِى) « بهمزة وصل ونون ساكنة ودال مكسورة » وهو بئر مشهورة لأولاد أبير ، وكثيراً مايزدحم الناس عليها فى زمن الخريف ، وقد وردها العلامة محمد فال بن باب العلوى، فصادف عندها المختار بن حميدْ الأبيرى، فسقى له قبل كل أحد ، ثم وردها ثانية، وصادف رجلا من حلفاء المختار المذكور، فأساء معاملته فقال :

علىّ ورود أجيد بعدُ محرم إذا لم يك المختار بالعُقر واقفا

أمختارُ إلا ترجُرُنّ مخالفاً لكم كان فى صنع الجميل مخالفا

فلا يَكُ إلا حيث أنت فأنتما جناحا ذباب ذاك داء وذا شفا

(البئر الأصفَرْ) بئر مشهورة لأبناء أبيير أيضاً .

(تامْرزْ كُيتْ) بئر مشهورة لأهل الشيخ سيدى ، وهى التى يعنى سيدى محمد بن الشيخ فى قصيدته المتقدمة فى صحيفة ٢٦٦ .

(علب أولادِ أمْبَاك) كثيب عظيم أبيض ، والعلب عندهم بمعنى الربع .

(إيمرِزْ كُان) « بهمزة مكسورة ، وياء ساكنة ، وميم ساكنة أيضاً وراء مكسورة ، وزاى ساكنة وكاف معقودة بعدها ألف ونون ساكنة » تلال عظيمة فى آوكار ، وقد رأيتها ، وإياها عنى ابن الشيخ سيدى مع ماقبلها بقوله من قصيدة تقدمت فى صحيفة ٢٥٤ .

وقد حوت الميـــامن منزلات وربع بنى المبارك منزلين

الميامن : هى إيمرزكان وربع بنى المبارك ، هو علب أولاد أمبارك المتقدم .

(نبكت آنخول) النبكة : الأكمة ، وآنخول : فحل الإبل ، وإياها عنى ابن الشيخ سيدى ، فى قوله فى القصيدة المذكورة :

ومغنى حول ذات القرم عاف وآخر دارس بالتيرســـين

(علبْ النّصْ) العلب : الكثيب ، كما تقدم . والنص : بمعنى النصف ، وهو المراد بقول ابن الشيخ سيدى :

ودار حول حقف النصف أقوت وأخرى أقفرت بالتوأمين

(أنَيْزْ) « بهمزة ونون مفتوحة ، وياء مثناة من تحت ساكنة ، وراء ساكنة أيضاً » ، تل عظيم فى آوكار ، وقد رأيته . وهو المعنى بقول ابن الشيخ سيدى فى قصيدته المتقدمة فى صحيفة ٢٤٦ .

تأمل صـــاح هاتيك الروابى فذاك التـــل أحســـبه أنارا

(خَطْ أشْكارَه) أرض مستوية ، قريبة مما قبلها ، وقد رأيتها ، وهى المراد بقول ابن الشيخ سيدى ، فى قصيدته المذكورة :

وتانِ الرملتان هما ذواتا عُلَيَّان وذا خط الشُّقارَا

(إنْوَاكِلْ) بئر مشهورة ، لابناء أبيير ، فى آخر آوكار ، قريبة من فاى ، بينها وبين ازكيمير ، نحو يومين أو ثلاثة .

الكلام على آمشتيل

(آمشتيل) أرض متوسطة بين العُقل وآفطوط وآوكار ، فما قبل انتشليت يعد من آمشتيل ، حتى ينتهى فى العقل ، ومن مناهله المشهورة :

(إتويرسات) وهو بئر مشهورة .

(بو طليحيَّه) تصغير طحاوى ، وهو بئر مشهورة أيضاً .

(أغدَّكَلْ) بئر مشهورة أيضاً .

(كندلك) بئر مشهورة أيضاً .

(أنْتاطراتْ) بئر مشهورة أيضاً .

(مايْكومْ) بئر مشورة لتندغا .

(أنْتْجَىْ) ويقال له : مراجيع انتجى ، و إياه يعنى ابن حنبل بقوله فى قوله :

جُدْنَ ذا الرســل بسيل مفعم والمراجيــع بسحساح لجبْ

(أبَّيْر اللبن) هو بئر مشهورة أيضاً ، وهى المعنية بالرسل ، فى بيت ابن جنل لأن الرسل بمعنى اللبن .

(تِنْ دَوْجه) منهل مشهور ، و به الوقعة المشهورة بين إدوعل ، و إدابلحسن ، وبها قتل الأحول الشاعر المشهور ، وسيأتى بيانها .

(بُتِيلِيتْ) بئر مشهورة لأهل الشيخ سيدى ، وقد مضى عليهـا زمان فى حياة الشيخ سيدى ، لا يصله خائف إلا أمن ، ولا فقير إلا استغنى ، ولا جائع إلا شبع ، فهى كعبة ذى الأعواد ، وقد صدق الأسود بن يعفر فى قوله :

ولقد علمت سوى الذى حدثتنى أن السبيل سبيلُ ذى الأعواد

الكلام على لعكل :

(لِعْكُلْ) « بلام مكسورة وعين ساكنة وكاف معقودة مضمومة ولام ساكنة » جمع مغير عن أصله ، لأن واحده بالعامية عُكَلَهْ « بعين مضمومة وكاف معقودة ساكنة ولام مفتوحة ، و بعدها لام ساكنة » لأنهم يقولون : بنو فلان عند عكلتهم ، فقياس الجمع العقل على فعل بضم ففتح ، لأن مفرده على فعلة فى الحقيقة وهى آبار قصار ، بالنسبة لما يقال له بئر ، فى اصطلاحهم ، لأن ما يمتح على الأيدى يقال له : عكلة ، وما يمتح على السوانى يقال له : بئر ، فى عرف أهل تلك البلاد ، وفى التسمية الأولى توسع ، لأنه فى الأصل يقال : لما يمتح بالعقال وهو قصير ، فصار يطلق على ما طوله خمس قامات ، تبدى العقل من زار المتقدم ، لأن له عقلة و بئرى .

(إنواكْلميش) « بهمزة مكسورة ونون ساكنة وواو مفتوحة بعدها ألف وكاف مكسورة معقودة ، ولام ساكنة أيضاً ، وميم مكسورة بعدها مثناة تحتية ساكنة ، وشين معجمة ساكنة » وهو منهل لأولاد ابييرى .

(إنْوَاتِيلْ) منهل مشهور لتاكنيت ، وهو المراد بقول ابن أحددام فى مطلع قصيدته المتقدمة ، فى صحيفة ٢٩٦ .

تألق لمّاع الوميض لموح بذى السرح يخفى تارة ويلوح

(إنتيشط) منهل مشهور لتاكنيت أيضاً .

(بُغَابه) أصله أبو غابه ، منهل مشهور ، و به يجتنون العلك ، المشهور على ألسنة المشارقة بالصمغ ، وهو منهل مشهور لتاكنيت ، و إياه عنى ابن حنبل بقوله من قصيدته المتقدمة :

وأنهمى بالعين منهـــا أيمن وبذى الغاب مياسير سُكُبْ

(الفُرْغَيْلِيهْ) منهل مشهور ، وأظنه لتيمركيونْ ، و بعدها مناهل لم تحضرنى الآن .

(تِنْدَعُمَرْ أَبَيْلْ) منهل مشهور ، وأهله تاكُنيت .

(أَنْوَدْ كِي) « بهمزة وصل ونون ساكنة وواو مفتوحة ودال مهملة ساكنة وكاف معقودة مكسورة » منهل مشهور ، لإداشغره ، إحدى قبائل إدابلحسن .

(أَبْيَضُ الماء) منهل مشهور ، لإدَغْمَاجِكْ « بكسر الهمزة ودال مفتوحة وغين معجمة ساكنة وميم بعدها ألف وجيم مكسورة وكاف ساكنة » إحدى قبائل الزوايا ، يقولون : إن أصلهم من تندغه .

(لُمَيْلْحَهْ) منهل لإدوعل ، قبيلة من قبائل الزوايا ، ويقال لهم : العلويون ، نسبة إلى على ـ كرم الله وجهه ـ وهو المذكور فى أبيات ابن محمد المتقدمة ، فى صحيفة ٦٦ :

حول المليحة خَيِّمْ واغدونّ ورحْ ثم اغدون ورح ثم اغدون ورح

(المُزَمْزِمهْ) منهل قريب لماقبله ، سمى بذلك ، لأن بعض من يملكه ، قدم من الحجاز وصب فى بئره شيئاً من ماء زمزم ، وهو لإدوعل أيضاً .

(الثُباغِيه) مشتقة من نبوغ الماء ، لكثرة مائها ، وهى منهل لإدوعل أيضاً .

(إتوامَه) منهل لإدوعل أيضاً .

وبعد أتوامه ، مناهل لأبناء أعمر أكداش ، قبيلة من قبائل إدَابلحسن ، ومن أشهرها :

(تِنْدِيحَارْ) « بمثناة فوقية مكسورة ونون ساكنة ودال مفتوحة ومثناة تحتية ساكنة وجيم مكسورة وميم بعدها ألف وراء ساكنة » وهى منهل مشهور .

(شُبُكْ) منهل مشهور ، كثير الماء ، لا أدرى لأى قبائل إدابلحسن ، وبه وقعة مشهورة بين قبائل من التراررة ، كان الظفر فيها لأبناء دامان ، وبها مات الأفجح الشجاع المشهور . وقال قائله : أنا قتلت الأفجح فقال له أحد قومه : كلهم فجح ، يعنى أن قومه كلهم شجعان .

(المَسُومِيه) منهل مشهور لأبناء أعمر أكداش .

(تِنْدَغْمَاجِكْ) منهل مشهور ، لأبناء أعمر أكداش أيضاً .

(أَغْوْرَطْ) منهل مشهور ، لا أدرى لأى قبائل إدابلحسن . وهو المذكور فى قصيدة أبَدّ المتقدمة فى صحيفة ٤٢ :

وأخـرى أغرنا على آخريـن بتنديجمارَ وآغـورطا

وهو الذى عربه إدييج الـكمليلى فى قوله من قصيدته التى تقدمت ، فى صحيفة ٣٧٠ :

لم أنس أيامنا حول الـكُلَيم وإن شطَّ المزارُ وراءت قَوْلَة الواشى

(بُوغَبَيْرَه) منهل لأبناء بانَعْمَر ، إحدى قبائل إدابلحسن ، وهو المراد بقول ابن أحمد دام ، فى مقطعته المتقدمة ، فى صحيفة ٢٩٠ :

إلى جنبتى ذى قسطل متنزه فإنى إليهـا دائم الهيمان

(إنْدُومْرِى) « بهمزة مكسورة ونون ساكنة ودال مضمومة بعدها واو وميم ساكنة بعدها راء » وهو منهل مشهور ، وقد عربه ابن أحمد دام بقوله فى قطعته المشار إليها بقوله :

وهل لى بجنبيْ تغرريت إلى الصفا إلى الأجرع الغربى فالجرذان

إلا أن الجرذان : جمع جرذ . فلعل اندومرى باللغة الشلحية ، معناه الجمع . وبه سمى المنهل .

(تَغْرَرَيْتْ) « بمثناة فوقية مفتوحة » منهل لأبناء بانعمر أيضاً ، المتقدم ذكرها فى البيت المتقدم .

(تِنْ بامْ) منهل لأدابلحسن ، وقد ذكره أبدّ بن محمود العلوى حياته فى أبيات . وكان قد بات بها ضيفاً عند بطن من إدغاجك . يقال لهم : أولاد عام ، فلم يحسنوا ضيافته . وأبدّ هذا غير المتقدم ، وإنما هو ابن أخيه ، وأول الأبيات :

ياليـلة بتهـا شرقىّ تِنْبام غالت بنِى ليلة فيهـا بنو عام

(آمنيكيرْ) منهل لبنى ديمان .

(إشنكاطْ) منهل لبنى ديمان أيضاً .

(تِن محمد) منهل لأدابلحسن .

(إجَّلَّهْ) منهل مشهور ، و به وقعة عظيمة بين أعل بن محمد لحبيب التروزى، وأخيه أحمد سالم ، وانهزم فيها أحمد سالم ومن معه .

(تِنْكَرْكه) منهل من مناهل إدابلحسن .

(لِمَّيْلِحْ) تصغير الملح ، بالتصغير العامى و إنما لم نقل تصغير المالح ، لما هو مشهور عند أهل اللغة من الخلاف فيه ، هل يقال ماء مالح أو لا ؟ والصحيح جوازه بقلة ، و إن جعلناه تصغير مالح ، فهو تصغير ترخيم ، مع أن العامى خارج عن القواعد العربية ، إلا أن الاشتقاق فيه ظاهر ، وهذا منهل قديم ،صيته أكبر منه، وهو الذى جر الحرب بين إدوعل و إدابلحسن ، مع أنه لا قيمة له ، ولو تركته إحدى القبيلتين للأخرى ، كان أليق مما سال من دماء المسلمين بسببه و به أول وقعة ، وكانت الدابرة فيه على إدابلحسن ، على مايأتى بيانه ، وقد صدق طرفة فى قوله :

قد يبعث الأمر العظيم صغيره حتى تظل له الدماء تصيب

ومن العجب ، أنه لم يستقر فى ملك إحدى القبيلتين ، بل بقى مهملاً .

(لِخْوَاوبَّه) منهل مشهور لإدوعل .

(العَين) بلفظ الباصرة ، وهى منهل لإدوعل كثير الماء .

(تِنْ وَغَيْمِلْ) منهل لإدوعل أيضا ، وليس ماؤه بكثير .

(إجَرَّارِبه) منهل مشهور لإدوعل ، قريب مما قبله ، وهو آخر العقل من جهة آتكور .

(أَبْيَيْطِيه) منهل من مناهل إدوعل ، كثير الماء ، وهو من جهة الشمال عن تن وغيمل .

(أنْبَيْطِيه) الثانية ، منهل لأدا بلحسن ، قريب مما قبله .

(تِنْكَادُومْ) منهل لأدا بلحسن ، قريب مما قبله ، ومن تنبيَعْلِ .

(تِنْ بُيَعْلِ) منهل مشهور ، وهو مختلف الأرض مع صغر مساحته ، فمنه محل طوله نحو ثمان قامات ، وهو كثير الماء جيده ، وربما انهار على من يحفره فيموت ، ويسمى هذا الموضع تنبعل البيضاء ، ونوع يقال له : تاحميريت . وهذا أقل ماء مما قبله ، وأقصر منه ، ولا خوف على حافره ، وهو متصل بما قبله ، ولا حاجز بينهما ، ومن هذا المنهل ، نوع آخر يسمى تنيغرف ، وهو أقصرها . وقد يكثر ماؤه وقد يقل :

(أتويفجَّيرت) منهل يبعد عما فوقه بنحو ساعة ، وهما لإدوعل أيضاً .

(آتْكُورْ) هو أرض بعد لِعْكُلْ ، متوسط بينها وبين إزْكِيزْ ، وبين آفطوط الشرقى ، فأوّله مما يلى العقل :

(بارَيْنا) « بباء موحدة وراء مفخمة مفتوحة وياء ساكنة ونون مفتوحة » وهى بئر مشهورة ، تعد من آتكورْ ، واقعة بين العقل وأركيز واكِيدِ ، وهى المراد بقول ابن محمد المتقدم فى صحيفة ٦٦ :

حتى إذا عمت السقيا مسارحها فأسْق المسارح من بارين واسترح

وهى لإدوعل وهى ملقط للعلك (أى الصمغ) وقريب منها بئر لأبناء أعمر أكداش ، نسيت إسمها ، ويليها من شرقيها الجنوبى :

(أبيَّرَاتْ تا كْنَانِتْ) وعن غربى هذه الجنوبى .

(العَرْكُوبْ) بمعنى العرقوب ، وهى بئر لإداشُغْرَه وبعدها .

(إتْوَيدِرى) بئر لإداشغره أيضاً ، وهى التى عناها لحنف المجلسى المتقدم بقوله :

أهْلُ اليُنَيْبيع لا تعبأ بما فعلوا من دأبهم خلتان اللؤم والبخل

وبعدها :

(بئر البركة) بئر لإداشغرة أيضاً .

(أبير أولاد عيسى) بئر لأولاد بنعمر ، وما بعد ذلك من جهة الغرب الجنوبى ، يقال له ايكيدى .

(آمكينى) : بئر قريبة من إركيز ، وهى آخر آتكور ، مما بعد بئر البركة.

(إبلحنوشة) : ويقال له : إبلحلوبه ، وهى بئر تقرب من أبيرات تاكنانت ، وهو لأبناء أعمر أكداش ، وبه وقعة مشهورة ، بينهم وبين إدوعل ، كانت الدابرة فيها على أبناء أعمر أكداش .

(أنكيم) : كثيب متوسط بين آمكينى ، وآفطوط ، وأكثر ذلك الكثيب مشتد ، وبعضه أعلا من بعض .

(آفطوط الشركى) : أى الشرق : هو أرض مشتدة ، كثيرة الأشجار ، مسيرة أيام عديدة طولا .

(إزكيز) : بحر عريض جداً ، يقدّر عرضه بثلث يوم ، وهو راكد ، ويسيل فى بعض السنين على وجه الغرب ، وسيله إنما يكون إذا كثر سيل شمامه .

(حبايه) هذا علم على الموضع الذى يحرث ، إذا سال أزكيز ، وكانت حبايه لطائفة من السودان ، فرحلوا عنها إلى موضع يقال له : (إدوقال) بفاء مفخمة ، فاشتراها منها أحمد بن خيار العلوى ، بأربعة فحول من الخيل العتاق ، وفرقها فى قومه ، وهى مسيرة نصف يوم أو أزيد ، وأولها من جهة الغرب الجنوبى : البيبيدى ، وآخرها من جهة الشرق الشمالى : أخشيم انداريه ، ومن أماكن نواحيها الشمالية المشهورة :

(بركك) أى أنخ جملك : قالوا سمى بذلك ، لأن أحمد بن خيار المذكور ، كان ينزل هناك ، فكان إذا مر به راكب يقول له : برك ، أى انزل لأطعمك ، ومن أماكنه المشهورة :

(لِغْبَيبِرِى) وبه وقعة بين إدوعل ، وإدا بلحسن مشهورة ، كانت الدابرة فيها على إدا بلحسن ، وسيأتى بيانها .

(سَهْوة الماء) : أى آخره ، هذا موضع انتهاء بحر إركيز ، وفى هذا الموضع غيضة عظيمة ، يقال لها (الكانه) وهى أشجار ملتفة ، وتسكنها السباع كثيراً ، وتأوى إليها اللصوص ، وقد ينزلها أبناء دامان ، إذا خافوا ، فيتحصنون بها من عدوهم ، ولم يقدر أحد أن يغزوهم بها ، غير ابن أغْلِ بن محمد لحبيب . فإنه اقتحم عليهم فيها ، ومزقهم كل ممزق .

(المُيَسَّرْ) : بئر مشهورة لأبناء أعمر أكداش ، قريبة من الكانه ، وهى ملقط للعلك ، وهى فى آفطوط .

(إتْوَيْدِيمتْ بالِى) : موضع لأبناء أعمر أكداش ، قريب مما قبله :

(إمْلازِمْ إزْعُودْ) الملزم عندهم . تقال للموضع الصلب الكثير الأشجار ، الذى يجتمع فيه ماء المطر ، ولا معرفة لى بأماكن آفطوط ، وهذه المواضع هى المرادة بقول ابن حنبل :

فاضا الرُّعودِ فملتقى أعراضِهـــا فالدومةِ البيضـــاء فالسندانِ

(إحْسَىْ اللبنْ) : موضع قريب من رأس إركيز ، وبه بئر قصيرة ، تمتح على الأيدى .

(بُوطْرَيفيهْ) موضع به غيضة عظيمة ، وبه نخل لا أعرف لمن هو ، وبه سباع ، ودببة ، وبه واقعة مشهورة بين إدوعل ، وإدابلحسن ، كانت الدابرة فيها على إدَوَعْل ، وسيأتى بيانها .

(المِذَّرِذْرَهْ) : ومعناها المتساقطة الورق : هى بئر تمتح على الأيدى ، لتاشدبيت ، بين الكرعان وإجيد وإركيز .

(إدْخَلْ) : جمع دخلة على اصطلاحهم ، وهى ما بعد رأس إركيز ، مما يلى شمامه ، وهذا يطلق على مواضع كثيرة ، ولم تحضرنى أسماؤها الآن ، وكل موضع

فيه أشجار ، وترعاه المواشى ، متوسط بين نهرين يقال له : دخلة عندهم . وتنتهى إدَخَلْ فى الخشومه ، وهى كثبان كثيرة الأشجار قبل شمامه ، وهى مأسدة دائماً ، وينتجعها الناس من أول الشتاء إلى آخر الصيف ، وهى وبيئة جداً ، وتمتد إلى أرض إكمليلن ، وتندغ مغربة ، وتلفت ، محاذية إلى أرض البراكنه .

الكلام على إكيدى :

(إكِيدِى) : « بهمزة مكسورة ، وكاف معقودة مكسورة ، وبعدها مثناة تحتية ساكنة ، ودال مكسورة » مناهل متعددة ، وكلها آبار تمتح على الدواب ، وهى من غربى العقل الجنوبى ، وكل أرض إكيد ، كثبان إلا أنها ليست بدهسة وآبار تطوى بالحشيش وأغصان الشجر ، وأشهر مناهلها :

(تِنْيخْلِفْ) : بئر لبنى ديمان .

(آمْنَيكِير) : بئر لبنى ديمان أيضاً .

(التَّاكلالِتْ) أى مقطوعة الذنب ، هى بئر لبنى ديمان أيضاً .

(إكْدرنيتْ) : بئر لبنى ديمان أيضاً ، وهو المذكور فى شعر العتيق اليعقوبى المتقدم .

(المحرد) : بئر لإدكْففه .

(إنتيشط) : بئر لإدكْففه أيضاً .

(تندغما جك الطَّلْحْ) : بئر لبنى ديمان .

(إنْبَنْبهْ) بئر لبنى ديمان أيضاً .

(المنار) بئر لبنى ديمان أيضاً .

(النمجاطْ) : بئر للتياب ، وهو المذكور فى شعر أحمد بن الطلب اليعقوبى المتقدم .

(إنْكْكُو) : بئر للتياب أيضا ، وهو المذكور فى شعر مولود اليعقوبى المتقدم .

(أُخْرُوفْ) : بئر للتياب .

(تندكْسِيّ) : هذه آخر إكيدى ، مما يلى إحساء تاكنانت ، وأكثر من ينزلها بنى ديمان .

(آوْلَيـكْات فاوه) بصيغة الجمع ، المشم رائحة التصغير العامى ، وواحدها آوليك ، ومعناه البئر القديمة الواسعة القعر ، وهى بئر لأبناء الفغ حبيب لله ، قريبة مما قبلها .

(حسيان تاكْنانت) : بمعنى الإحساء : وتاكنانت كانت قبيلة معروفة من قبائل الزوايا ، وحسيانهم تبتدىء من أواخر إكيدى إلى أجار ، ومن جهة الشرق من عقل إدابلحسن إلى أجار أيضاً ، فمن أشهرها مما يلى إكيدى .

(إنْواذِيبو) : وهى بئر تعمر فى بعض السنين ، ويرحل أهلها عنها فتنكسر .

(إحْسَىْ لِفْنَمْ) : بئر لتاكنانت ، قريب مما قبله .

(تندكْ فظمهْ) : بئر لتاكنانت ، قريب مما قبله .

(لِمْهَيْريد) بئر لتاكنانت .

(بَيْرْوَارَهْ) : بئر لتاكنانت أيضاً ، وأصله أبوابر واره ، وابر واره بمعنى شجر القتاد ، فأهل القبلة يسمونه إبروار ، ويقولون لواحدته إبرواره ، وأهـل تـكانت والحوض يسمونه آوروار ، ويقولون لواحدته : آورواره .

(بُودْرَيكَهْ) : بئر من آبار تاكنانت ، تقرب من آجار .

(إنْزَمَدّى) : « بزاى مفخمة » : بئر لتاكنانت ، واقعة فى أجار ، من جهة الشمال أرض إديقب ، وما رأيتها ، وأشهرها :

(تِنْيافيلْ) منهل مشهور .

(تيمَجكفانين) : منهل مشهور أيضاً .

الكلام على أظهر وانوللان :

(أظْهَرْ وانوللاَنْ) أرضان بعد أكيدى ، وهما أرض تندغ ، ومن معهم من الزوايا وحسان ، وقد مررت منهما ، إلا أنى لا خبرة لى بهما ، ولا أفرق بينهما ، ومن أشهر مواضع تلك الجهة ، ويقال لها الساحل :

(تِنْضلْها) وهى منهل مشهور ، وكانت به أغلب إقامة العالم الصالح ، باب ابن محمذ بن حمدى الحاجى ، أحد علماء تلك البلاد ، وفيه أماكن كثيرة غيرها ، لم أتذكر أسماءها .

(آفْطوط الساحِلى) أرض صلبة فيها أشجار كثيرة ، ومسافته طولا بعيدة جدا ، بحيث يسير فيه الراكب أياما .

(إزْبارْ) رمال مرتفعة جداً ، تحف المحيط الأطلانطيقى ، ولا علم لى بتفاصيلها .

الكلام على شمامه :

(شَمامَهْ) أرض سوداء كبيرة المساحة ، لا تسكن إلا من مبدإ فصل الشتاء ، إلى آخر الصيف ، وهى متفاوتة فى الهواء ، تبتدىء من قريب من الزيرة مما يلى أندرْ ، ويقال له عند الجغرافيين : سنكال ، وتلوى مع بحر أبحك إلى أرض ابن هيبه ، وهى كثيرة السباع والنمور ، فى أغلب السنين ، وأخبرنى من له بها خبرة أن السيل يعلو على رأس شجرها المسمى عندهم بآمور ، وهذا الشجر فيه مالا يقل عن خمس قامات طولا ، وفيها مزارع كثيرة من الدخن ، ويعرف عندهم بالبشْنَهْ ، يبتدىء سيلها من آخر الصيف ، إلا أنه يقتصر فى أول أمره على الأنهار الجارية ، ثم يعم الأرض كلها ، فإذا انقطع هـذا السيل ، وجفت مجارى تلك الأنهار ، تبقى كالأخدود العميق ، وينقص الكبير منها ، وتبقى نواحيه مرتفعة عن الماء بقامات ، كما شاهدناه مراراً ، فإذا كان فى آخر الخريف ، يتجاوز السيل إلى

جميع شمامه حتى يغطى أكثر أشجارها التى تقدم وصفها ، فإذا كان السيل جاهلا (أى كثيراً) فذلك دليل على سيل حباية ، التى تقدمت ، ويكون سيلها بعد رجوعه من شمامه ، هكذا يقولون . وبعد أن تجف شمامه ، يبتدىء أهلها فى زرعها ، ويكون ذلك غالباً فى شهر يناير .

وهواء شمامه ، ردىء جداً ، وماؤها مضر استعمالا وشرباً . وهي أرض خصبة بالنسبة إلى ذلك القطر ، قريبة من قرى فرانسة . وقد قال بعض الأدباء فى صفتها :

صاح شمّر معى بكورَ غراب ... نسترح من بلاد بولة وجاب
سئم القلب ماؤها وغضاها ... واكتفى من غَنيمها بالإياب
كل أرض لأهلها جعلت شا ... ما وشامام أهلها فى العذاب

انتهى بنا الكلام على شنقيط وتخطيطها و بلدانها ، بحسب ماعلمناه . وهنا نتكلم على سكانها وجنسيتهم ، و بعض شئونهم .

الكلام على سكان شنقيط وجنسهم :-

سكان شنقيط من حيث الجنس : فى الأصل قبائل من البربر ، التى كانت تقطن صحراء المغرب ، ثم دخلها العرب فى الفتوح الإسلامى ، وتغلبوا عليهم . فصاروا قسمين عرباً ، و بربراً . ثم تجنسوا جنسين : الزوايا ، وحسان . وانقسمت قبائل حسان إلى قسمين : العرب ، واللحمة . فصار بهذا الاعتبار سكان شنقيط ، ثلاثة أجناس ، فالأول : كان يتوغل فى البلاد ، ينشر فيها دين الإسلام ، وهم المجاهدون . والثانى : اشتغل بإحياء العلوم . والثالث : اشتغل بإصلاح الأموال ، وكان يدفع للمتعلمين الزكاة ، و يعطى الإعانة للمجاهدين . فغلبت على الأول حسان . وعلى الثانى الزوايا . وعلى الثالث اللحمة . فلما وضعت الحرب أوزارها ، واجتمعت هذه الطوائف ، بقى الزوا على شأنهم من طلب العلم ،

وإقامة الدين . وصارت حسان تتقاهب الأموال ، ويتقاتل بعضها بعضا ، وصار ما كانوا يأخذون من اللحمة ملـكاً متوارثاً ، إلى أن صاروا يبتاعون رقاب اللحمة . أعنى : أنه يبيع أحدهم من يتولاه للآخر ، مع اعترافهم بأنهم أحرار ، ولا يعنون بالبيع : الاسترقاق الشرعى ، بل مرادهم بيع المـكس ، الذى يؤخذ من أحدهم . ويسمون اللحمة أزناكه ، والأصحاب أيضاً ، والأمكاس التى يأخذونها عليهم ؛ ليست إلا على الرجال البالغين ، واعلم أن اللحمة أيضاً يحملون السلاح ، ويشتركون معهم فى الحروب ونهب الأموال ، وربما حاربوهم ، فإذا وقع الصلح يعطونهم ماهو مقرر عندهم .

بقى شنقيط منذ فتحه المسلمون إلى سنة ١٣١٧ ، لا يوجد فيه فرد واحد خارجاً عن الإسلام ، إلا أن أهله متفاوتون فى الاستقامة . فالأغلب على الزوايا : الدين ، وربما وجد فيهم بعض السفهاء ، كما أنه ربمـا وجد فى حسان ، من ينسب إلى الاستقامة ، بالنسبة إلى غيره منهم .

ومن أعجب أمرهم : أنهم لا يعدون ظلم اللحمة ظلماً ، ويقولون : فلان يدافع عن المسلمين ، إذا كان ينصر الزوايا على من ظلمهم ، ولا يقدح عندهم فى استقامته سفك دماء حسان ولا ظلم اللحمة . وربما اعترض علىّ بعض من وقف على أمور أهل تلك البلاد ، بأن بعض زوايا أهل القبلة ، له أتباع من اللحمة ، يأخذ عليهم المـكس ، وكذلك بعض أهل تيرس . فهم فى هذه كحسان . والجواب : إنا أردنا الأكثرية ، ولا ريب فى أن الذى قاله صحيح . وحيث أوضحنا لك انقسامهم فى الأصل ، فلنتكلم على ماهم عليه الآن ، فنقول :

مارأينا منهم من يقر على نفسه بأن أصله من سكان تلك البلاد ، إلا أن قبيلة لمتونة حفظ لها التاريخ أصلها . والخلف فى لمتونة بين المؤرخين قديم . فالأكثر أنهم من حمير ، ودخلوا بلاد المغرب فى الجاهلية ، وقد مشى عليه صاحب عمود النسب ، فقال :

وآل عباد ملوكُ الأندلسْ من نسل ذى الطوق وغالها الندسْ
يوسفُ العدل ابن تاشفينا الحميريُّ ثم من لمتونا

وقال بعض الشعراء المتقدمين :

قوم لهم شرف العلى من حمير وإذا دعوا لمتونه فهمُ هُم
لما حووا علياء كلِّ فضيلةٍ غلب الحياء عليهمُ فتلثموا

وقد ذكر بعض العلماء ، أنهم من البربر ، والأول أصح . إذ يقال : إنهم خرجوا من زمن التبابعة من اليمن ، واستوطنوا المغرب الأقصى ، وملكوه فى القرن الخامس . ومن أشهر ملوكهم : يوسف بن تاشفين ، وهو الذى اختط مدينة مراكش . وذكر ابن خلكان : أنه كان لا يحسن العربية ، وهذا دليل على أنهم تناسوا العربية على القول الأول . أما بقاياهم الموجودة الآن ، فأكثرها فى أرض الحوض ، وقد اجتمعت ببعض أفراد منهم ، وما سمعتهم يتكلمون بغير العامية ، ولعلهم تناسوا لغتهم الأخيرة . أما القبائل الأخرى ، فأغلبها من العرب ، والكل يدعى ذلك ، سواء كان يتكلم بالعربية أو بالشلحية ، ولا بد أن يكون فيهم من أصله شلحى ، وإلى ذلك يشير ابن الشيخ سيدى ، فى قصيدته المتقدمة بقوله :

إلى نسب لهم بلغوا أدعاء به أذواء حمير أو نزارا

وفيهم قبائل ، متحقق عند النسابين هنالك صدقهم فى نسبهم ، فمن ذلك : القبيلتان المسمى بمدينتهما القطر كله ، وهما إدوعل والأغلال ، لم نر من خالف فى أن الأولى علوية ، والثانية بكرية ، وكقبيلة كنت ومدلش ، فلا خلاف أنهما من بنى أمية ، مع تباين مشاربهما ، وكذلك إدوعيش وتجكانت ، وإدولحاج ، فلا خلاف أنهم من حِمير . ، كذلك إدْيبُسات ، فلا خلاف أنهم من الأنصار ، وكإديقب وإدكُبهنى ، من قبائل تشمشه . فالأولى : من ذرية جعفر بن

أبى طالب ، والثانية : لم نر من طعن فى شرفها ، وكأبناء أخطيره ، من قبائل إدا بلحسن ، فإنا لم نر من طعن فى شرفهم .

الكلام على الزوايا :

ولما افترقت سكان شنقيط ، إلى الأنواع الثلاثة المتقدمة ، صار لفظ الزوايا علماً على قبائل كثيرة ، أغلب سيرها فى تعلم العلم وتعليمه ، وتعمير الأرض ، بحفر الآبار وتسيير القوافل ، وقرى الضيف ، وبقيت هذه الطائفة التى هى عمارة الأرض مستمرة على ذلك ، وربما وقعت حرب بين القبيلتين منهم ، أو القبيلة الواحدة مع بعضها ، وقل من نجا من هذا . إلا أنه قليل الوقوع بالنسبة إلى قبائل حسان . ومن العجيب ، أن الزوايا على ديانتهم وعلمهم ، أهل حقد على بعضهم ، فترى القبيلتين إذا وقعت بينهما حرب ، لاتمحى أضغانها من الصدور ، ولا يكون إلا صلح على دخن ، بخلاف حسان ، فإنك ترى الطائفتين المتحاربتين بعد قليل ، صارتا يداً واحدة ، واصطفتا لقتال غيرهما ، وربما التجأ إلى القبيلة منهم بعض عدوهم ، فآووه ونصروه ، وماتوا يدافعون عنه .

ما يحمد من أمر الزوايا وما يذم :

يحمد من أمرهم : عدم شهادة الزور ، والتحرج من مال الغير . وأن أهل الجاه منهم لايأخذون على جاههم ثمناً ، وأن التعليم والإمامة يكونان مجاناً عندهم . أما القرآن ، فلا يرون بأخذ الأجرة على تعليمه بأساً ، وربما تعلق الحىّ منهم بأحد العلماء الأجانب عنه ، فشارطه سنة أو سنتين بشىء معلوم ، على أن يعلمهم ، ففعل . لكن من كان مع العالم فى بلد واحد ، لايأخذ منه أجرة . ومن رحل إليه لايأخذ منه أيضاً ، وربما التزم هذا العالم نفقة الغريب وكسوته ، وعلمه أيضاً . وهذا الذى ذكرت ، إنما هو الأكثر .

ومما ينتقد عليهم ، أعنى زوايا القبلة ، وتيرس ، والحوض ، كثرة التيمم ضيقاً

وشتاء ، وقد أنـكر ذلك بعض العلماء عليهم وشنع ، فمنهم من يحتج بأن النابغة الغلاوى ، أنـكر ذلك عليهم . ثم إنه زكم بعـد سنة ، فصار يتيمم . وما أظن النابغة يتيمم إلا فى أيام مرضه ، ثم يعود إلى الوضوء و بعضهم يزعم أن جده العالم الفلانى ، أضرّ به المـاء فصار يتيمم . وقد رأينا بعضهم يأخذ الدلو على فم البئر ، و يصبه فى الحوض المسمى عندهم بالـكدّه ، فيخوض فى الماء إلى الـكعبين ، ثم يخرج و يتيمم .

وممن أنـكر ذلك عليهم ، العـلامة باب بن أحمد بَيْبَ العلوى ، وقال فى قصيدة :

هذا وإنى أرى أن التطهر لا يكون إلا بمـاء حيث يوجد ما
ومنْ تيمم لايجـــدى تيممه وقد أتى بذنوب لم تـكن لما

وهى نحو الثلاثين بيتاً ، وأورد فيها النصوص على ذلك . وله فى ذلك منظومة منهـــا :

وقد رأيناهم يعومون البحار ويتيممون ذلك النهـــار
وقد رأينـــا المتوضئيفا أطـول أعمـــراً من الذين
لم يتوضـــــؤوا ولم يغتسلوا وقسم الرزق وحـــدّ الأجل

وتقدمت قصيدة أحمد بن الطلب اليعقو بى فى هذا المعنى ، فى ترجمته ، ومع هذا ، فإنك ترى أحدهم لو أئتمن على مال ماخان فيه ، ولا يرضى أن يمر من مزرعة فى طريقه ، إلا بإذن مالـكها ، ولا تفوته صلاة فى الجماعة ، مع خشوع زائد . لـكنه قام فى ذهنه ، أنه متى توضأ ، فقد ألقى بنفسه إلى التهلـكة .

الـكلام على حسانه وسيرتهم :

إن حسان فى أرض شنقيط ، لهم ضرر ونفع ، و بعضهم أكثر ضرراً من بعض . أما نفعهم فهو خوف بعضهم من بعض ، لأن فى ذلك نفعاً للزوايا وحسان ،

فضرر حسان لمن جاورهم من الزوايا ، أقل من ضرر البعيد عنهم . وما أقول فى قوم يعيبون من مات منهم حتف أنفه ، وإذا ذكر أحدهم ميتاً له قتيل فى معركة ، يقول : مات متفرشاً ، يعنى أنه قتل آخر .

وفى طبقتهم العليا أبّهة عظيمة ، فإنهم يحتكرون لفظة العرب لأنفسهم ، ولا يسمحون بهذه اللفظة لغيرهم ، كالزوايا مثلا ، وكالطبقة الوسطى منهم أنفسهم ، ولا يدعون أن من ذكرناه عجمى الأصل ، بل لأنه عندهم لا يستحق ذلك الاسم لضعفه ، ومثال من يقال له عربى عندهم من التراررة ، أبناء أحمد من دامان ، وأهل عَبَّلّ وأبناء دامان . وأما أبناء آكْمَتَارْ ، فأكثر ما يقال لهم : أعريب . فالتصغير العامى ، وجدهم أخو أجداد المتقدمين ، وكأبناء البوغليّه وموسات ، لأنهم أضعف من السابقين .

وتنقسم قبائل حسان فى أرض شنقيط ، إلى أربعة أقسام : قسم يقال له أولاد أخيى من عثمان ، وهم سكان آدرار ، وقد يخرجون عنه أحيانا للفجعة وقسم يقال له : إدوعيش ، وهؤلاء يسكنون تكانت فى أغلب أوقاتهم . وقسم يقال له التراررة ، وهم سكان القبلة ، أى من حدود سنغال إلى إكيدى والعُقل . وقسم يقال له : أولاد عبد الله ، ويقال له البراكنة أيضاً ، وهم متفرقون . منهم من يسكن شمامه ، وهم أبناء السيد ، ومنهم من يسكن فيما بين آمشتيل وأفطوط ، وهم أبناء أحمد إكيدى . وبعض يسكن الرك ، أى القاع ، وهم ابنُ هيبة وأبناء نُعْمَاشْ .

الكلام على التراررة :

التراررة : هم آخر اجناس حسان شنقيط ، مما يلى سنغال ، وهم أحسنهم ، لقلة مضرتهم للزوايا ، بالنسبة إلى غيرهم ، متفاوتون فى ذلك . فأبناء أحمد من دامان ، يدافعون عنهم الظلمة ، ويخاطرون بأنفسهم فى ذلك ، ويرونه فخراً لهم ، ولا يضر

الزوايا منهم إلا رئيسهم ، فإنه قد يأخذ من بعضهم شيئاً . وإذا وقعت فتنة فى الزوايا، فإنه يرى أن الضغط عليهم أصلح لهم . وهذه كانت حالتهم فى القديم ، حتى انتهى الأمر إلى المتأخرين منهم ، فإنهم أفرطوا فى الظلم ، وصاروا يدسون الدسائس بين الزوايا ، ليجدوا طريقاً لأكل مالهم . وهذا بخلاف قديمهم . وقد قال بعض الزوايا : يومان لا ظلم فيهما ، يوم القيامة إذ يقول الله تعالى : لا ظلم اليوم . ويوم ينظر الإنسان إلى خيم أبناء أحمد من دامان ، لأنه يكون يومئذ آمناً .

وفى الترارزة نوع آخر ، يسمونه حر الترارزة ، مثل العِلْبْ ولبيدات وغيرهم . وهؤلاء أعنى العلب ، أصبر على الحرب وروغها من غيرهم . فهم يماثلون أحْيِيْ من عثمان فى آدرار ، وفيهم قبيلة يقال لها : الرحاحلة . يغضبون من لفظ عرب ، لأنهم يعرفون أنهم أحط من ذلك ، ومن اللحمة لأنهم يرون أنفسهم فوقهم .

الكلام على أبناء واصل :

هذه اللفظة فى الأصل ، تطلق على خمس قبائل . وهم : أبناء أحمد من دامان (أى ابن دامان) ، وأبناء ساسى ، وأهل عتام ، وأهل عَبَلّ ، وأهل آكْمْتارْ ، يقال إنهم أبناء رجل واحد . وهو : دامان . فأبناء أحمد من دامان ، هم الشيوخ الذين أبادوا أبناء رزكْ ، وأول من ظهر منهم ، أعل شنذوره ، الذى أعطاه السلطان مولاى إسماعيل ، المحلة التى أفنى بها أبناء رزك ، والمحلة بمعنى العسكر . وهذا بدء ملك الترارزة . وكان ابن رازكه العلوى ، هو السبب فى ذلك كما تقدم . وبقى الاسم الجامع ، وهو أبناء دامان ، علما على أبناء ساسى وأهل عتام ، مع من انضم إليهم .

أما أبناء أحمد من دامان ، فإنهم هم الشيوخ كما تقدم . ولهم مال سنوى على الدولة الفرنساوية ، من عهد أعل شنذوره ، إلى قريب من زمننا هذا . وهذا المال للرئيس منهم ، ويسمونه : آمْـكبّل . وهو معظم أسباب الغدر بينهم ، ليأخذه من

كان رئيساً بعد صاحبه : ويقال : إنهم ما مات منهم رئيس ، إلا بالغدر من أهل بيته وقومه ، وهم متغلبون على التارزة كلهم . ولا يعاندهم منهم إلا أبناء دامان . فإنهم من قديم ، يحاربونهم وتكون الحرب بينهم سجالا ، ثم تحتم بنصرهم : ويقال : إن أحد رؤساء بنى دامان ، حضره الموت ، فبعث إلى الشبان من قومه ، وكشف لهم عن جسده ، وأراهم آثار الرصاص فى كل عضو من أعضائه . وقال : اعلموا أن الرصاص لا يقتل ما لم يصب هذا الموضع ، ووضع إصبعه على ناصيته ، وانحدر ماراً بها بين عينيه ، ومنخريه وترقوتيه ، إلى أن وصل إلى بطنه . ثم قال : أوصيكم بعدم الصبر لبنى أحمد من دامان . فإن قتلوكم صباحاً ، فاقتلوهم مساء . وإن قتلوكم مساء ، فاقتلوهم بكرة ، ومات بعد هذا ، وقد عملوا بوصيته ، وإذا أراد أحد بنى أحمد من دامان ، أن يحارب رئيسه انضم إليهم ، إلا أنهم لم يفلح منهم أحد ، بسبب بغضهم عند عامة التارزة ، غير أعمر سالم بن محمد لحبيب ، ثم إنهم صاروا شؤماً عليه فى الآخر ، كما يأتى :

الكلام على حروب التارزة :

ما وقع بين التارزة مع غيرهم ، لا يذكر بالنسبة لما وقع بين بعضهم و بعض . فقد تقدم أن أعيان التارزة ، هم أبناء أحمد من دامان ، وتقدم ذكر العداوة بينهم و بين أبناء دامان ، وأما ما وقع بين أبناء أحمد من دامان مع بعضهم ، فأغلب ذلك إنما هو طلب الملك ، مثاله ما وقع بين سيدى بن محمد لحبيب ، وأبناء أهل خملش . لما بلغ سيدى المذكور الحلم ، كان أبوه رئيساً على التارزة ، وكان عادلاً مهيباً ، فحسده أخوه أحمد بن الليكاط ، فنازعه الملك فنفاه ، ثم قتله بعد ذلك . فقال أحمد بن عيده يعيره :

محمد لحبيب السلطان إعلَ سمعُ حَتَّ ما عَسْ
أقتل خوه أشكيكُ فى المان داير بيه أخلاص الملحسْ

ثم تآمر سيد أحمد بن أعل خَمْلش وأخوه ، على قتله وكانا ابنى أخيه ، وأسمه إعل ، وأضيف إلى خملش ، وهو إسم موضع ، لأنه ولد عنده ، كما أن الليكاط المتقدمة ، إسم مرضعة أرضعت أخاه أحمد ، فغلبت عليه .

الكلام على غدرة محمد لحبيب :

تآمر أبنا إعل خملش ، على قتل عمهما ، مع من أطاعهما من أبناء أحمد من دامان ، فعينا لذلك ليلة مخصوصة ، وكان أكبر أولاده سيدى المتقدم ، فاتفقوا على قتله مع أبيه ، فاتفق أن سيدى المذكور ، خرج فى اليوم الذى قبل الليلة المعينة مع بعض رجاله ، وكان يريد المبيت عند حىّ من أتباعه ، فخرج معه سيد أحمد بن إبراهيم أخليل ، يريد اغتياله تلك الليلة ، وهو لا يدرى . فلما وصل إلى الحىّ الذى كان يقصده ، وجده قد رحل ، فبات على مكان عال ، ولم يضطجع لشدة حزمه . فبينما هو جالس آخر الليل ، إذ سمع الرصاص فى ناحية الحىّ ، الذى خرج من عنده ، فعلم أن أباه قتل . فأمر أصحابه بالقبض على ابن إبراهيم أخليل ، وأن ينزعوا السلاح منه ، وأن يقودوا به فرسه ، خوفاً أن يهرب عليها ، فرجع إلى أهله فوجد الناس يظنون أنه قتل أيضاً . فلما رآه الناس انضموا إليه ، ولم يبق إلا قتلة أبيه ، وكانوا اثنى عشر رجلا ، فقتلهم فى ذلك اليوم عن آخرهم ، ماعدا إبراهيم ابن بوحُبَيْنى ، فإنه تركه احتقاراً له .

الكلام على غدرة سيدى بن محمد لحبيب :

كان سيدى المذكور ، عادلا ، محباً للزوايا ، مكرماً لهم وكان يجتهد فى الحكم بالشريعة ، أعنى فى منازعات الناس . ويعين لذلك العلماء ، ويدقق فى تحرى ذلك . أما أمر اللحية ، فقد تقدم أن حسان لا يرونه ظلماً ، مثل ماقال الفرزدق لأحد ملوك بنى أمية ، وقد دخل عليه هو وجرير ، فسألهما عن سبب المهاجات بينهما ، فقال له جرير : إنه يظلمنى . فقال له الفرزدق : وجدت آبائى

يظلمون آباءه ، فسرت على نهجهم ، وكان سيدى المذكور ، يستعمل الحرس ، خوفاً على نفسه من الغدر . فلما بلغ أخوه أحمد سالم ، وكان صاحب بطش ، أمن على نفسه من الغير ، فترك الحرس ، فصارت الشياطين من قومه يقولون له : أنت أحق بالرئاسة منه ، لأن لك سبعة أخوة أشقاء ، وهو لاشقيق له ، وخالك شيخ أبناء دامان ، كما أن أباك شيخ على جميع التارارزة ، فغدره . وكان أعل ابن محمد لحبيب فى أخواله ، أعنى السودان ، وكانت أمه أميرة من السودان . يقال لها : جنبت فلما بلغه غدر أخيه ، زحف بمن معه من السودان ، وانضم إليه كثير من التارارزة ، فالتقى معه عند منهل يقال له : إجلّ . وقد تقدم ، فهزمه أشنع هزيمة ، ولم يزل يتوالى له النصر عليه ، حتى أخرجه إلى تكانت ، فى طائفة من أبناء دامان ، فاستعان بادوعيش عليه ، فأمدوه بجيش ، وخرج معه أحد أهل اسويد أحمد ، فكانت وقعة (أيشايَهْ) إسم موضع ، فقتل هو وانهزم جيشه .

الكلام على غدرة اعل بن محمد لحبيب :

لما تولى أعل المذكور ، رئاسة التارارزة ، استتبت له الأمور ، وكان مظفراً . فإن أبناء دامان ما أذلوا قبله ، ولقد كانت الحرب بينهم و بين قومه سجالا كما تقدم . فلما انضموا إلى إخوته ، لم يهزموه يوماً واحداً ؛ وكان لايغزو أحداً . فإذا غزاه ، فإنما يكون مراده الإرهاب ، ولا يوقع به ، وكان لايطرد المنهزم .

فلما غلب إخوته ، وقتل من قتل منهم ، واستتب له الأمر ، استولى على قلبه الطمع . فجمع من المواشى من كل نوع مالا يحصى ، ونشر العدل ، حتى إنه لايتجرأ أحد من التارارزة على أن يغصب شاة لطالب ، ولا يركب جملا له ، وجعل على جميع الناس ، إذا ضرب أحدهم الآخر ، ولو لطمة بيده ، مائة على الضارب ، ومثلها على المضروب ، حتى ما بقى أحد يقدر على ضرب الآخر ، فوقع مرة أن اثنين تشاتما ، فصار كل واحد منهما يبصق فى وجه الآخر ، ولا يقدر أن

يضربه ، فلما طالت أيامه ، ملّه الناس ، فغدره أبناء أخيه سيدى المتقدم ، الذى كان هو الآخذ بثأره ، و بعد قتله ، أخذ أخوه أعمر سالم بثأره ، وتولى مكانه ، فلما استتب له الأمر ، حاربه ابنه ـ أى أعل المذكور ـ فقتله لبغض الناس لأخواله ، الذين تقدم أنهم صاروا شؤماً عليه ، فصار رئيساً ، إلا أن الوقت ضاق على رئاسته ، بخروج النصارى إلى شنقيط ، ثم غدر به أحد أقاربه ، فقتله فى أثناء مراوغته للنصارى ، فانتهى الأمر ، أى رئاسة التارزة

الكلام على حروب حسان :

إن الحرب فى حسان ، أصل معهود بينهم ، فتراهم مرة يحارب أحد أقسامهم المتقدمة بعضاً ، كما وقع بين إدوعيش والترارزة ، و بين إدوعيش ، وأبناء أحمد من دامان ، و بين أحيى من عثمان ، و إدوعيش ، و بين الترارزة والبراكنة ، و بين البراكنة ، و إدوعيش ، وقد ينقسم الجنس الواحد منهم إلى قسمين ، فيتحارب مع بعضه ، كما وقع بين إدوعيش ، حيث انقسموا قسمين ، وكما وقع بين قبيلتين من قسميهم السابقين ، كما وقع بين أبناء طلحة ، واندايات ، وغير ذلك من قبائلهم .

حروب تفرجنت وأبناء يغبوك :

هذه الحرب قريبة العهد ، ولما اتفق الحيان المذكوران على الحرب ، جعل كلهما يرحل إلى الآخر ، فاصطفا للقتال وقت الظهر ، فجعلوا يتضاربون بالرصاص ، ويدنو كل منهم من صاحبه ، حتى اختلطوا ، فصاروا يتضاربون بالخناجر ، فاتفق أن أحدهم ضرب الآخر بخنجره ، فعض المضروب إصبعه ، وقال للضارب : لو كان عندى خنجر لانتقمت منك . فقال له : خنجرى يكفينى و إياك ، فجعل أحدهما يضرب صاحبه . ثم يناوله الخنجر حتى ماتا ، ولم تزل المعركة مستمرة ، حتى انتصف الليل ، فتحاجزا ، ولم يرتد أحدهما على عقبيه .

حروب إدوعيش :

كانت إدوعيش أهل ظفر فى حروبها ، فلذلك كان يقال لهم مفنيين الدول ، أى مبيدوهم . لأنهم أبادوا أبناء أمبارك ، وكانت السيطرة لهم ، ولأنهم قد كسروا التارزة ، أعنى أهل عصر أعن بن محمد لحبيب بكثير ، وأما أبناء أحيى من عثمان ، فأمرهم معهم مشهور ، من السيطرة عليهم .

وكانت إدوعيش يداً واحدة ، تحت رئاسة أهل أعمر بن أحمد ، ويقال لهم أهل أحمد بن خونه ، وكان أشهر رؤسائهم ، محمد بن أحمد شين ، وكان عادلا ، وكان يعتقد كفر توبه ، فلذلك كان يضطهدهم ، وتقدمت قصته مع ابن باه ، فى ترجمة سيدى محمد بن سيدى عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوى ، ولما مات ، تنازع اخوته مع ابنه اسويد أحمد فانقسموا قسمين قسم يقال له : أشراتيت ، ورؤساؤه اخوته ، ومعنى أشراتيت الذيب ، لقبوا بذلك ، لأكلهم أموال الناس ، وقسم يقال له : أبكاك ، ومعناه الصمغ الأسود ، ولعلهم لقبوا بذلك ، لكثرة مافيهم من أطراف الناس ، ويرأس هذا القسم ، أسويد أحمد بن محمد بن أحمد شين ، فتغلب أسويد أحمد على أعمامه ، وتولى بعده أخوه سليمان ، فغدره ابن أخيه المذكور ، وأسمه محمد بن اسويد احمد والد سيد أحمد لبات ، الفارس المشهور ، فغدره عبد لكنته ، فتولى بعده أخوه بكار ، الذى ملأ صيته أرض شنقيط ، وقد اشتهر بالصبر ، وسياسة الحرب ، وإكرام الزوايا ، ولم يدخل إدوعيش أكرم منه ، وطال عمره ، وكثرت أولاده ، وقتله فرانسة ، بعد ماجاوز المائة ، وقد بلغنا ذلك ، ونحن بمصر ، وكان ذلك آخر أمر إدوعيش .

الكلام على أولاد امبارك :

تقدم أن أبناء أمبارك ، كانوا هم أهل الشوكة ، حتى تغلبت عليهم قبائل إدوعيش ، ومن انضم إليها ، وكانوا أهل أبهة عظيمة ، وكرم وعدل ومما يحكى عنهم من النخوة ، أن أحدهم كان يعتاد أن يدخل على أمه فى كل ضحوة ، فيجد عندها

شيئاً من اللبن ، فى قدح نظيف لا يشرب فيه غيره ، فدخل عليها يوماً على العادة ، فلما أدنى اللبن من فمه ، اقشعر جلده فعلم أنه قد شرب منه أحد . فقال لأمه : أصدقينى من شرب من هذا اللبن ؟ فقالت له : شرب منه شقيقك فلان ، وهو مثلك ، فقال لها : إنى رأيته وهو صبى ، عض صبياً من الحدادين بأسنانه ، فامتنع من الشرب من ذاك الإناء بعد ذلك ، ورآه نجس العين .

ومن نحوتهم ، أن « الكفيه » المشهور ، وقد أدركنا من يعرف شخصه ، نزل ببكار بن أسويد أحمد ، رئيس إدوعيش ، فبنى له بيتاً ، وكان بكار يذهب إليه بنفسه ويواكله فى محله ، فأتاه ليلة مع من يحمل له شيئاً من اللحم ، فلما وضعه بين يديه امتنع من أكله ، فسأله عن السبب . فقال : إنى لست سبعاً ، فإن هذا الوقت لا يأكل اللحم فيه غير السباع . وخرجا يوماً يتريضان على فرسين ، فمرا بمنهل غاص بالناس ، يسقون إبلهم فيه ، فأتوهم باللبن ، فشرب منه بكار أولا ، وناوله ، فامتنع من الشرب ، فسأله عن السبب ، فصرح له بأنه لا يشرب فى المنهل ، إلا أوباش الناس ، فحقد عليه بكار ، فكان هذا سبباً فى دس من يقتله بعد ذلك واشتهر الكفيه هذا ، بالنظم المسمى عندهم بالغناء ، ومنه قوله يعتبر بما فعل بهم مشظوف ، وكانوا خولا لهم ، فحاربوهم وغلبوهم ، فقال :

أسْكِ عنْ تصريفْ القيُّومْ وَأسْكِ يَذاكْ التّصرُّوفْ
مشظوفْ اكْبلْ ملْكِ واليُومْ عِدْتْ آنَ مالكْن مشظوفْ

أسك عندهم : كلمة بمعنى التعجب ، ويذاك : بمعنى ياذلك ، والتصروفُ : مصدر بمعنى التصرف ، وأكبل : بمعنى قبل ، وعدت : بمعنى صرت ، وهى عربية ، يعنى أنهم كانوا ملكه فانعكس الأمر . ومن نظمه أيضاً :

مَحَـــدْ الدّنْيَ مايْلَ شَوْرَكْ واغْليـــهَ مايِلْ
أعْـــلمْ بعْدْ أنهَ زايلَ وِانتَ واياهَ زايِـــلْ

محد : بمعنى مادامت ، وشورك بمعنى إليك ، أى مادامت الدنيا تميل

إلى ناحيتك ، وتميل إليها بقلبك ، فاعلم بعد ذلك أنـكما زائلان .

مَذَ مِنْ حَـــدْ أشْتاكْهَ وأجْمَعَهَ بَعْـــدْ أفْرَاكْهَ
مِلْكْ اذْهَبَهَ وأنْياكْهَ بِمِرْكاتِنْ وأشْـــوايلْ
وأمْشَ عَنْـــــهَ ماظاكْهَ وانَ ذا ألّ كْايل

مذ : بمعنى ماذا ، وأشْتاكَهَ : بمعنى اشتقافها ، وأفراكْه : بمعنى فراقها ، وأنياكْه : بمعنى نياقها ، وتمركاتن : بمعنى أنها غير حلوبة ، وأشوايل : بمعنى حلوبة ، وهذه اللفظة عربية ، إلا أنهم عكسوا معناها ، لأن الشائل عند العرب ، هى التى شالت بذنبها اللقاح ، ولا لبن لها أصلا ، والشائلة أيضاً : تقال لما بقى فى ضرعها بقية ، وأمش : بمعنى ومشى ، وظاكه : بمعنى ذاقها ، وان ذال ألّ كايل : أى وأنا هذا الذى أقول :

فاتُ مُلْـكُوهَ لوْلِـــــينْ ألّ مُلْـــكوهَ مُلْكْ زينْ
أعْـكْبتْ فيدْ التّـــــاليين هاذُوكْ أرْحايلْ وانْزايلْ
غَيْرْ ألّ يِمْشُ كـــامْلِينْ عَنْـــهَ مشْيتْ لوَايلْ

أرحايل ، وأنزايل : بمعنى راحلين ونازلين ، هاذوك : بمعنى أولئك .

الـكلام على آنمادى :

أنمادِى ، علم على : أناس تجمعوا للصيد من قبائل شتى ، وسكنوا فى القفار والمهامه ، ولا يملـكون غير الـكلاب ، وليس لهم طعام إلا لحوم الوحوش ، ولباسهم الجلود ، ومهور نسائهم الـكلاب ، وهم أشد الناس عدواً ، حتى إن أحدهم ليطارد هو وكلبه الظبى ، فيسبق كلبه ، وهم أصبر الناس على العطش ، وأشدهم هداية فى مجهول الأرض ، وأغلب إقامتهم فيما بين تيشيت وآوكار ، وآخر تـكانت ، وأدافر ، حيث تـكثر الوحوش ، وتخلو الأرض من الناس ،

وهم أشد الناس وفاء ، بحيث لو أن إنساناً أطعم أحدهم أو كساه ثوباً ، لجعل ذلك منة لاينقضى شكرها ، فإذا وجده فى خلاء من الأرض دله على الماء ، وسار معه إلى أن يبلغه حيث أراد . وهم آفة لضالة الإبل ، وكانت مضرتهم قليلة حتى صاروا يقتلون من يقدرون من المسافرين ، ففعلوا ذلك بأناس ايديبسات ، وكان فيهم — أعنى اديبسات — رجل مدبر يعلم أمور أعادى ، فعزم على إبادة جميعهم ، إلا أنه كان يخاف من حسان ، فذهب إلى رؤسائهم ، فذكر لهم مالقى قومه منهم فتبرؤا منهم ، فنزل منهلا فى جمع من قومه بخيمهم ومواشيهم ، فمر عليه أناس منهم ، فكساهم وأطعمهم ، وأظهر لهم البشاشة ، حتى أمنوه ، فصاروا يأتون إليهم جماعات جماعات ، فيقتل فيهم حتى لم يبق منهم إلا القليل ، ولغة هذا الجنس من الناس ، هى العامية الدارجة إلا أنهم لاينطقون بميم الجمع ، فيقولون : السلام عَليكُ ، فى السلام عليكم ، وكيف حالُكُ ، فى كيف حالكم ، والاستغناء بالضمة عن الواو ، من لغات العرب ، وأفردنا هذه القبيلة بالذكر لغرابتهم ، وهم معدودون من اللحمة .

ومن هدايتهم ووفائهم ، أن تاجراً من أبناء أبى السباع ، كان فى مجهول من الأرض ، يحمل بضاعة ، متوجهاً إلى تينبكتو ، فبينما هو يسير صباحاً ، إذا بأثر شخص جديد ، فجعل يقص أثره ، فإذا هو به نائم ، فوثب على صدره ، وجعل خنجره فى نحره ، فسأله عن خبره ، فلما عرفه أعطاه ثوباً ، على أن يذهب معه ، ويرده إلى موضعه . وكان فى رمال عظيمة ، فلما نفد ماعنده من الماء ، أظهر جزعاً عظيما ، فسكنه ، وخص له فى وسط رمل عن صخرة ، تحتها عين جارية ، فلما سقوا إبلهم ، وملأوا قربهم ، واراها كما كانت ، لئلا يعلم موضعها غيره ، حتى إذا أوصله إلى الموضع الذى يقصد ، قال له : إنى لا آمن هؤلاء الناس ، فواعده على يوم معين يجده فيه ، ليرجعه إلى الموضع الذى أخذ منه ، فوفى له .

الكلام على حسان شنقيط من حيث الشجاعة فى الحرب :

حسان شنقيط ، متفاوتون فى الشجاعة . فالترارزة أهل ثبات و إقدام ، إلا أنهم لا يصبرون على المراوغة ، كما يصبر عليها إدوعيش ، وأثبتهم الترارزة الكحل ، أعنى أبناء بنيوك ، وتغرجنت ، وزنبَتّ ، وأبناء عايد : ومعنى الكحل ، أنهم سود الألوان ، لسكناهم شمامه . وهؤلاء عادتهم عند اللقاء أن يحمل بعضهم على بعض ، حتى يقتتلوا بالخناجر ، وكان أبناء عايد فى محاربتهم لأبناء الفاغى ، يحملون عليهم ، ويجعلون أفواه مدافعهم إلى الخلف ، وأولئك يضربونهم بالرصاص غير مالين برصاصهم ، حتى يختلطوا معهم ، فلذلك اشتد خوفهم منهم .

أما إدوعيش ، فهم أعرفهم بركوب الخيل ، ومعرفة القتال عليها ، والناس يرمونهم بالجبن وحقيقتهم أنهم لايسمحون بمهجهم ، إلا إذا صال عليهم عدوهم ، وواظاهم عند حريمهم ، وأولادهم ، فإنهم يكونون إذ ذاك أسودَ وغى ، وترى الفارس منهم يقتل ، وهو فار عن عدوه ، كما يقتل وهو مقبل ، و إذا رأوا عدوهم اليوم أقوى منهم ، فروا عنه ، ثم يرجعون إليه ، حتى تضعف قواه بذلك ، وكان بكار بن أسويد أحمد رئيسهم ، يقول : عدوى لايستريحون إلا إذا غلبتهم .

أما قبيلة أحيى من عثمان ، فإقدام وثبات ومراوغة ، و إذا فروا لايحسنون الكرة .

حرب بكار وأشراتيت :

كان بكار وأبناء عمه ، على ماعليه جده وأعمامه : فإذا كان صلح ، فبكار هو الرئيس المطلق ، و إذا تحاربوا ، يهزمهم مرة ، ويهزمونه أخرى ، وقد يستعين بكار بكنت ، و يستعين أبناء عمه ، بأهل سيدى محمود ، وأغلب حروبهم ، إنما هى مناوشات . فإذا كان زمن البلح ، يستبقون إلى وادى

تيججك ، فأيهما سبق إليه ، يرجع عنه الآخر ، وقد يبقى لمن هزم الآخر منهما ، ووقعت بينهم أيام كثيرة ، لم تحضرنى تفاصيلها .

حروب التراررة :

لم تبق طائفة من الطوائف ، إلا حاربت التراررة . فأما البراكنة ، فإنهم لم يقووا عليهم . وأما إدوعيش ، فقد صالوا عليهم ، ونزلوا أرضهم وهزموهم . وأما أحيىْ من عثمان ، فقد حاربوا محمد لحبيب أحد رؤساء التراررة إذ ذاك ، وكان ينتجع المراعى ، وأكثر التراررة فى أرض القبلة بعيد منه ، وكان نازلاً عند الملحس ، فغزاه أحمد بن عَيْدٌ فهزمه ، وأخذ ما معه من المال ، وقطع بعض قومه أذنى امرأته ، أم رأس ، فصار محمد لحبيب ، يتحين الخريف ، ليقدر على غزوه ، لبعد مابينهما ، فقال أحمد بن عيد :

محمد لحبيب السلطان ما بان إنّ لاه يمتان
شتّين فى الخطّ أفكان ماجَ فيه ولاجَ فى الصّيف
هو كاعْ ألّ بوجفران بخبارُ بِستتنّ لِخريفْ

كاع : بمعنى لايجاوز أن يكون إياه ، وابوجعران : دويبة معروفة ، تألف النجاسة ، ولا توجد إلا فى الخريف ، وكان ابن عيد المذكور متحصناً بجبل آدرار ، فغزاه سيدى بن محمد لحبيب ، فلم يجده ، فقطع نخله ورجع .

الكلام على أحيى من عثمان :

إن الناس ينطقون باحيىْ بغير ألف ، وأظن أصلها أحياء ، فقصروها ، ثم تركوا الألف ، لكثرة الاستعمال ، وهذه اللفظة ، تطلق على قبائل ، كأهل عمّى وأولاد غيلان وأولاد سَلْمُون وأولاد آكشار وغيرهم ، والرئاسة فى آدرار منذ زمن فى قبائل حسان ، إنما هى لأهل عيدٌ يتوارثونه ويقتل بعضهم بعضاً من

أجلها ، ومع ذلك فلأهل اسويد أحمد ، السيطرة عليهم . ولم نطل الكلام على حروب حسان لكثرتها ، وعدم معرفتنا بتفصيل مواقعها وأسبابها .

حروب الزوايا وحسان :

هذا النوع من الحروب نادر ، لأن الزوايا أصلهم أهل تؤدة وصبر ، ومشربهم الدين ، إلا أن هذا النوع قد وقع . فمنه ما كان الباعث عليه الدين . كما وقع بين زوايا القبلة وحسانها ، كما سنبينه قريباً . ومنها ماجلبه إفراط حسان فى الظلم ، كما وقع بين كنته و إدوعيش . وكما وقع بين أولاد الناصر و تِنْوَاجِيوْ وغير ذلك .

حرب شربُبَّهْ (١) :

هذه حرب دينية ، سَبَبُها أن واحداً من اللحمة أسمه بَبَّهْ ، منع الزكاة ، فأراد الزوايا أخذها منه بالقوة . فدافع عنه حسان ، وقالوا لا يعطيها إلا عن طيب نفس منه ، فصاروا يداً واحدة .

وأما الزوايا : فإن بعض قبائلهم حارب بأجمعه ، كقبائل تشمشه و إجَيْجبهْ ، و بعض القبائل انقسم قسمين : فمنه من دخل ، ومنه من اعتزل هذه الحرب ، كإدوعل و إدابلحسن . فإن إدوعل إذا ذاك لم يصل إلى تلك الأرض منهم إلا عدد قليل . رئيسه عبد الله بن الطالب ، المعروف بالقاظى ، أى القاضى . وذلك قريب من حربهم التى وقعت بينهم فى مدينة شنقيط ، كما سيأتى بيانه . فدخل فى حرب شر ببَّه منهم ثلاثون رجلا ، فاستشهد نصفها ، ونجا النصف الآخر . وأما إدابلحسن : فبعض الناس يزعم أنهم اعتزلوها كلهم ، وذلك يعارضه ماروى

(١) أصلها شَرْ بَبَّهْ فهى منحوتة مغيرة ، والشر عندهم بمعنى الحرب ، كما أن الخير بمعنى الصلح ، وأضيف الشر إلى ببه ، لأنه هو الباعث له .

أن وقعة من الوقائع ، سبق فيها الزوايا حسان إلى غدير لا يوجد غيره من الماء ، وكان النهار حاراً . فلما رأوهم عنده ، أحجموا عنهم ، فأراد الزوايا أن يحملوا عليهم . فقال لهم الميمون ، وكان شاباً : دعوهم يشربوا ، لئلا يقولوا : لولا العطش ما غلبونا ، فتنحى عنهم الزوايا . فلما شربوا أفسدوه عليهم . فعطش الزوايا وكانت الدائرة عليهم . وكان الميمون هذا ، من إدابلحسن . ويقال إنه جد أهل مكْ . وأما من اعتزل الحرب : فقبائل كثيرة ، منها أبناء أبييرى .

ناصر الدين :

لقب عالم من علماء أبناء ديمان . نصبه الناس رئيساً لذلك القتال ، ولا أدرى اسمه . وكان صالحاً ناسكا ، فمات فى تلك الحرب . ولهذه الحرب أيام مشهورة ، لم تحضرنى تفاصيلها . فمنها يوم ترتلاس (بتاء مثناة فوقية مكسورة وراء ساكنة ومثناة فوقية مكسورة أيضاً ، ولام مشددة وبعدها ألف وسين مهملة ساكنة) اسم موضع . ومنها يوم أعليب الغظيا . أعليب تصغير علب ، بالتصغير العامى ، وهو الكثيب العظيم ، وهي عربية ، إلا أن العرب يخصونه بالمكان الذى لا ينبت ، وأهل شنقيط ، يطلقونه على المكان الغليظ مطلقاً . والغظيا بمعنى القضاة . وقد ألف العلامة اليدالى ، تأليفاً فى تلك الحرب مستوفى ، إلا أنى لم أره . وانتهت هذه الحرب بغلب الزوايا ، لقلة معرفتهم بتدبير الحرب ، بعد ما كان النصر حليفهم . وأغلظ عليهم حسان فى شروط الصلح . فمنها أن قبائل حسان من ذلك التاريخ ، لا يحفرون الآبار ، بل كل بئر للزوايا وردوا عليها ، لهم ثلث مائها . ومنها إن المسافر منهم إذا نزل بحىّ من الزوايا يحملونه على دابة ، حتى يصل إلى حىّ آخر ، حتى ينتهى إلى مقصده ، إلا أن هذا لا يرضاه لنفسه أهل المناصب والأقدار من حسان . وهذه الحرب ، هى التى ذكر أحمد بن الطلبَ صنيع قومه فيها ، فى عينيته المتقدمة . فقال :

على حافظ من عهد شربٍّ حافظوا على ملكه مثل الحجرة مهيع

حروب كنته وإدوعيسه :

كانت كنته ، تعط الغفر لإدوعيش على عظمتها ، وشدة شكيمتها ، لأن الزوايا لا يقدر أحد منهم أن يذهب بقافلة إلى السودان ، ويرجع بها موفورة ، إلا إذا كان يعطى الغفر لأحد قبائل حسان ، ويكون ذلك الحسانى صاحب شوكة ، وإلا أكلته حسان ، وكانت أشراتيت تبالغ فى ظلم كنته ، للخصوصية التى بين إشرانيت وإدولحاج ، والتى بين كنته وأبكاكْ ، وربما تقابل الفئتان ، فتقاتلت كنته وإدولحاج وأبكاك وأشراتيت . فمضى زمن على ذلك .

ثم إن أبكاك ، أفرطوا فى ظلم كنته ، إلى أن وقعت موجدة بين بكار ، وإبراهيم ابنه المعروف بإبراهيم بن إبراهيم ، أضيف إلى نفسه ، لأنه لما تكدر من أبيه ، أقسم أن لا يضيفه أحد إليه إلا قتله ، فأضيف إلى نفسه . فرحل إبراهيم عن أبيه ، ونزل مع إشراتيت ، وأهل سيدى محمود . ثم إنه ذهب فى فرسان منهم واستاق إبلاً لكنته ، فتبعه فرسان منهم فأتوه من الأمام ، وقالوا له : أنت غالط أومتعمد . فقال لهم : بل متعمد . فقالوا له : إن كنت تريد بالإبل أباك ، فاذهب بها إليه ، وإن كنت تريد أن تسوقها إلى أعدائنا ، فإن ذلك لا يكون ، فقال : إنه سيكون ، ثم إنهم قتلوه وردوا إبلهم ، فعلم أبوه بذلك ، فقال : هذا ظالم يستحق القتل ، ثم إن كنته ، قتلوا أيضاً اثنين من أبناء بكار ، فغضب لذلك ، فعلم كنته أنهم لا يقدرون على حربه ، وكان ذلك زمن قتل إديشلّى لأحمد بن أحمد بن عَيْدَهْ ، رئيس حسان فى آدرار ، وكان ابن أخت بكار المذكور ، فاحتمى به قتلته ، فأجارهم ، فرأى قبيلة كنته ذلك فرصة ، فانضموا إلى أحمد بن اسويد أحمد بن أحمد بن عيده ، واصطف بكار ، وأشراتيت لقتال كنته وأحيى من عثمان ، (أى ابن عثمان) فتلاقى الجيشان فى تكانت ، فقاتل كنته ، وأشراتيت ، فهزمهم

كنته ، وتقابلت أبكاك ، وأهل آدرار ، فهزمهم أبكاك ، ثم إن بكار حارب فى أثناء ذلك أشراتيت أيضاً ، فصار يضارب هؤلاء من ناحية ، وهؤلاء من ناحية ، حتى غلب الجميع .

حروب الزوايا مع بعضهم :

قدمنا أن حروب الزوايا قليلة بالنسبة لحروب حسان ، فلذلك أخرناها لكونها كالفرع لها ، وتلك كالأصل ، ولنبدأ منها بحرب أهل مدينة شنقيط نفسها ، لأن القطر كله سمى به ، فهو تابع له ، وإنما لم نبدأ بها قبل حروب حسان ، لأنها خاصة بالزوايا . كانت مدينة شنقيط يسكنها ثلاث قبائل كما قدمنا ، إدوعل : ولهم الرئاسة المطلقة : والأغلال ، والسماسدة ، فأعطى إدوعل الإمامة فى الصلاة للسماسدة ، ثم نزعوها منهم وأعطوها للأغلال ، وبقيت فيهم ، ولما نزعت الإمامة من السماسدة ، خرجوا وبنوا مدينة آطار وأوجفت ، وكان السماسدة صمموا على أن يوقعوا بادوعل ، إلا أنهم كانوا يعلمون أنهم أضعف منهم ، فترقبوا خروج القافلة ، لعلمهم أن معظم رجالهم يخرج فيها ، وبلغ إدوعل ماهم عازمون عليه ، فخرجوا وكمنوا لهم قريباً من المدينة ، وبثوا عيونهم ، فلما أخبروهم بخروجهم للغدر بمن بقى منهم ، تلقوهم وهزموهم ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، ولم يحدث بينهم غير ذلك .

حرب إدوعل البيض والكحل :

اعلم أن البيض والكحل ، لقبان لرجلين تفرعت منها هذه القبيلة ، وكانا أخوين شقيقين ، وكان لهما عم ، فرض ، وكان له شراب مخصوص ، فلما أخبرا بأنه يخصه ، امتنع أحدهما من شربه ، شفقة عليه . فسماه الأبيض ، وشربه الثانى وقال كلمة تؤذن بعدم الاكتراث بعمه ، فسماه الأكحل ، فغلب اللقبان عليهما ،

وعلى أولادهما إلى الآن ، ولما كثروا وكثرت دنياهم ، وانتشر صيتهم فى تلك البلاد ، وصار من فى حوزتهم تبعاً لهم ، تنافسوا فى الرئاسة ، فوقع بين طائفتين من الكحل ، منازعة فى بعض المماليك ، والطائفتان أولاد أبوهم[1] وآمكاريج ، هكذا كنا نسمع ، وسمعت أيضاً ممن يوثق به ، أن المنازعة مع بعض البيض والكحل ، وعلى كل ، فإن أولاد أبوهم ومعظم البيض ، صاروا يداً واحدة على بقية الكحل ، وبعض الطائفتين اعتزل الحرب ، ثم إنهم بقوا كلهم فى مدينة شنقيط ، وكانوا يقتتلون الليل والنهار ، فإذا كان القتال ليلا تنهزم الكحل ، لأن الأغلال يعينون البيض عليهم ، فإذا كان نهاراً ينهزم البيض ، وكانوا إذا انهزم المنهزم منهم ، لم يتبعه الآخر ، ولا يقتل الجريح ، وكانوا لا يتناهبون الأموال ، وكانوا لا يقتلون إلا فى الصف ، فإذا لقى أحد منهم عدوه فى غير المعركة لا يزعجه ، وكانوا يصلون فى المسجد جماعة ، ويقسمون الضيوف على عادتهم ، إلى أن وجد بعض قتلى الأغلال بين الأموات من البيض ، فتذمم الأغلال وخرج معظمهم إلى أرض الحوض ، وخرج القاضى ابن الطالب العلوى إلى أرض القبلة ، ثم التحق به من التحق منهم ، وداموا على ذلك ، إلى أن جلس اثنان من البيض على حافة البطحاء ، فنظرا رجلاً من الكحل ، على حافتها الثانية جالساً ، فقال أحدهما لصاحبه : أترى سهمك يصل إليه ، فرماه فقتله ، وكان قصده على مايقال إنما هو اختبار مسافة سهمه ، فغدر بهم الكحل ، وقتلوا منهم أربعين رجلاً ، فخرجوا إلى تيججكه وبنوها ، كما قدمنا ، ومات فى تلك الحرب أربعمائة من الفريقين ، وكان أموات الكحل أكثر ، ولما تم بناء تيججكه ، اكترى البيض رؤساء قبائل حسان ، فوافوهم بتججكه ليغزوا معهم ، ويهدموا مدينة شنقيط ، فبلغ ذلك رئيس الكحل إذ ذاك ، فخرج ليلاً ومعه عبد له ، وتوجه إلى تججكه من غير أن يعلم به أحد ، وكانت أخته عند رئيس أهل تججكه ، فنزل قريباً

(١) أولاد أبوهم : اسم بطن من هذه القبيلة .

من المدينة ليلا ، و بعث عبده إلى أخته ، فدخل عليها خفية ، فخرجت إليه وألبسته كساء عندها ، فسار بجنبها ولم ينتبه له أحد ، فلما دخل زوجها طلب طعامه ، فقالت له : عندك ضيف ، فقال : اخرجيه إلى ، ولم يظن أنه أخوها نفسه ، فتباطأت عليه ، فقال : هو آمن ، ولو أنه فلان فقالت : هو فلان . فسقط فى يديه . فقال له : ما أفعل بهذه الجموع و بقومى ، فإنهم موتورون محنقون ، فأشار إليه بأن يتمارض ، فمكث ثلاثة أيام يدعى المرض ، وكان ضيفه خرج إلى رؤساء حسان سراً ، وأعطاهم كثيراً من المال ، فرجعوا بقومهم ، ولما علم به أهل المدينة ، اخترطوا سيوفهم ليقتلوه ، فتلقاهم أبناء أبوهم ، ودافعوا عنه ، لأن الرئيس الذى آواه منهم ، فخيرهم رئيس أهل شنقيط المذكور ، بين أن يرجعوا إلى دورهم ونخلهم ، و بين أربعين دية ، ولاشىء لهم فى شنقيط . فاختاروا الديات ، وتم الاتفاق بينهم .

حرب أهل شنقيط وأهل وادان :

هذه الحرب واقعة بعد التى قبلها ، وتقدم أن بين البلدين نحو يوم . وكان سكان وادان ، من قبيلة كنته و إدولحاج ، وكانوا كالشىء الواحد . فوقعت الحرب بين أهل المدينتين ، ومن أصح ما نورد عنها ، رسالة حرم بن عبد الجليل العلوى ، وقصيدته . وكان حرم المذكور موجوداً إذ ذاك ، وموضعه من العلم والورع معلوم ، وهذا نصهما :

عفت والعياذ بالله معاهد الإسلام ، وغدى المستضىء بها فى أعظم الغياهب والظلام ، وصار سلوك مسالك الفسق فخراً بين الأنام ، واشتد اشتداد كاهله ، و بلغ أشدّه ، وجاوز فى كل المواطن حدّه . وذاع فلم تدرك يد العَدِّ عدّه . ولكن من أعظم ماسمعنا به فى الزمان ، مافعلته وندمت عليه أهل وادان ، وذلك أنهم مر منهم بأهل شنجيط رجلان ، فقتلهما من غير يمالىء رجل قتلوا قبل أباه ، وطالب الثأر منا ليس ينساه ، فحاولوا ماحميم الشرع يأباه . فقلنا لهم : هذه دية مهذبة الوسط والنواح :

فإنْ ترضـــوا فإنا قد رضينا وإلا فأطـــراف الرماح
مقـــومة وبيض مرهفات تبين جمـــاجماً وبنانَ راح

فقال سيدهم : لتفعلُنّ كيت وكيت ، أو لأطأنكم عما قليل بجحافل ، لكنه مضى من ملتقى المحافل ، والحال منه يضحك : وينشد قول القائل :

عقبى اليمينِ على عقبى الوغى ندمُ ماذا يزيدك فى إقدامك القسمُ
وفى اليمين على ما أنتَ واعده مادل أنك فى الميعـــاد متّهم

وقلنا لهم : لما رأينا مقالهم ، يوم التقى الجيشان كذب الفعل :

أبيتم قبول السلم منّا فكدتمُ لدى الحرب أن تغنوا السيوف عن السّلِ

فصاروا أضحوكة بين أهل السهل والجبال . فحرضتهم نساءهم إذ ذاك على القتال ، فوجهوا إلينا فى الشهر الحرام جيشاً لهُاما ، وكان من مضى من أهل الملل كفراً وإسلاما ، يرى القتال فى الشهر الحرام حراما . فلم نبق منهم غارباً ولا سناما . فمن دعاه حب الحمد إلى القتال بقى منشورا ، ومن دعاه حب التمر إلى الفرار فر مذعورا :

يفر من فر منهمْ للعِدى دهشا كأنهم فى الموامى لم يروا سبلا
وضاقت الأرض حتى كان هاربهم إذا رأى غير شىء ظنـــه رجلا

فلا تلم جيشكم من بعد هزمهم إذا رأيت رجالا منهم ســـلموا
عليك هزمهمُ فى كل معترك وما عليك بهم عار إذا أنهزموا

ولما أغرقهم اللعين ، نكص على عقبيه ، كما فعل بقريش فى غابر الأزمان . فصاروا كأهل قرية كانت آمنة مطمئنة ؛ يأتيها رزقها رغداً من كل مكان ، فكفرت بأنعم الله ، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ، وصاروا حسبنا الله ونعم الوكيل ؛ عبرة يعتبر بها المعتبرون . وصاروا ألين من الماء بعد الصلابة ، فمُتوا إلى كُنْتَ حينئذ بالقرابة ، فملكوهم حينئذ ملك الأمراء ، بل

لم يبلغوا لهم درجة الوزراء ، فألجموا الخيل ، وزموا الإبل ؛ وأتى منهم من يملأ السهل والجبل ، ولما رأينا ماسمعنا من أمرهم ، تذكرت ما قال بعض الولائد :

تجمعتمُ من كل أوب ووجهةٍ على واحد لا زلتمُ قِرن واحد

فأتوا معشراً معاطاة كؤوس الحِمام ، أشهى إليهم من معاطات كؤوس المدام :

فَجُلْ بقولك فى أقصى مآثرهم إن أنت فى ذاك بالأفعال لم تجل
لقد وجدت مكان القول ذا سعة فإن وجدت لسانا قائلاً فقل

أولئك قوم كلُّ من جد غيرهم ترى جِدَّه هزلاً إذا ماهمُ جَدّوا
ولاترج يوماً صالحاً لعدوّهم وإن هومنهم كان أكثر إن عُدوا
ثقال إذا لاقوا خفاف إذا دعوا قليل إذا عُدُّوا كثير إذا شَدُّوا

فسقط فى أيدى تلك العساكر وولوا خائبين ، فكم من فئة قليلة ، غلبت فئة كثيرة بإذن الله ؛ والله مع الصابرين ، فقُطع دابرُ القوم الذين ظلموا ، والحمد لله رب العالمين :

إذا الدهر بالمكروه سامك فاصبرا ولاتجزعنْ منه أقلَّ أو أكثرا
فما دام شجوٌ لامرىء ومسرة أرى الدهر من هذا وهذاك أكثرا
لقد كنتُ أحجو الهجر أكبرَ فاجع فألفيته من أصغر البين أصغرا
أرى البين عن ساقيه أضحى مشمّراً وشجوك لما شمّر البين شمرا
وليس يرد الحزن من شطّ وليُهَا فأقصرْ عن الأحزان إن كنت مقصرا
تغيرتَ أحوالا كما أن رسمها وحُق له من بعدها قد تغيرا
غدا رائحُ الأرواح والمغتدى به إذاً بدلاً منه أصمّ وأعورا
أمرُّ على أكنافه متجاهلا لأنى متى أعرفه جَفْتَنى أمطرا
كأنى حنيناً من تذكر أهلها مسنٌ لأيام الشباب تذكرا
تقول وقد أضمرتُ مابى أترْتضى هوىً لم يزل فى مضمر القلب مضمرا

فقلت لها أمسى وأصبح أمره ... من الشمس أو من فتح وادان أظهرا
أقرّ بذاك الفتح من كان منكراً ... له وغدا يُخفيه من كان مظهرا
وأدلج إدلاجاً به كلُّ راكبٍ ... على رغم أنف الحاسدين وهجّرا
وسـيّر فى الآفاق أمرَ وقائع ... تُطيل إذا فَـكرت فيها التفـكرا
دعا عاجلُ الآجال للحَيْنِ معشراً ... بوادان لنْ يُدعى مدى الدهر معشرا
لئن وردتْ شنجيطَ يوما ظماؤهم ... لقد شربوا زُعْقاً من الموت أكدرا
وكان لهم شر الموارد مورداً ... وكان لهم شر المصادر مصدَرا
هم حزبوا الأحزاب من كل جانب ... كما حزّبت أحزابها أهل خيبرا
أتوا بالرعايا يَنشدون وعيدهم ... فصاروا على البطحاء لحما منشرا
وفاض أنيٌّ من نجيـع دمائهم ... به شجرُ البطحاء أصبح مثمرا
فمن كرّ منهم قد تـكسر عمره ... ومن فرّ منهم صبره قد تـكسرا
نجا مُذعَراً مما رأت عينه وما ... نجا من نجا من مأزِق الحرب مذعرا
إذا هو فى المرآة أبصر وجهه ... توهّم وجه القرب ما كان أبصرا
وإن نام لو حفته منهمْ عساكر ... رأى مَشْرفياً بين فوديه أحمرا
لـكان لهم صبر شـديد وشدّة ... ولـكنهم لاقوا أشـدّ وأصبرا
تطوف بهم طير هنـاك تخالها ... إذا وقعت حول العساكر عسكرا
ترى الذئب مسروراً يقول لصحبه ... يزوّدنا هذا سنيناً وأشـهراً
أبوا وطلبنا السلم منهم قبولهَـا ... وقالوا لقد كنا على الحرب أقدرا
فولوا على أعقابهم خشية الردى ... غداة غدا بازِ المنـايا مصرصرا
غدت كُنتَ تقضى دونهم ماينوبهم ... من الأمر كانوا غائبين وحُضّرا
فأقبل من آكان جندٌ لنصرهم ... وأدبر عنه النصر إذا فرّ مدبرا
فشنجيط ظنـوا هدمه متيسراً ... فألفَوْه من إحياء كبّادِ أعسرا
كلهمُ لم يعرفوا بأس أهـله ... ولو سالوا بانُمّ والمسكَ أخـبرا

أتوا بخميس لم تكن خمس خمسه فقلْ فيه لو ساواه أو كان أكثرا
أتاه يجوبُ البيد والقفر صائلاً فآب من الأبطال والدين مقفرا
بدا إذ بدا ما قد رأوه تواضعٌ لمن كان منهم طاغياً متكبرا
فقال زعيم القوم أصبحتُ راضياً بما كان من أمر القدير مقدرا
فنالوا إذاً عبداً ببعض دمائهم ونيماً وتنورينْ والبعضُ أهدِرا
دمٌ أهدرته سادة علوية وما كان فيهم مثلُ ذلك منكرا
وما استنصروا غير الصوارم ناصرا وأغنتهمُ عمن أتى متنصرا
يخوضون يوم الروع فى لجج الردى كأنَّ منال العز فيهنَّ أبحرا
يسابق عَزرائيلَ وقعُ سيوفهم إذا ما تحَيّا الحرب أصبحَ مسفرا
فكم مشهدٍ فى الحرب يثنى عليهمُ وكم معشر من بأسهم صار أزورا
تراهم وليس الدهر إلا نوائباً إذا كَبُرَتْ تلك النوائب أكبرا
سما المعالى منْ تقدّم منهمُ فيسموا على آثاره من تأخرا
مآثرهُمْ حَلْىُ الزمان لو أنه على صورة الإنسان كان مصوّرا
فكم من فتى فيهم يروقك علمه ويَهزم من أجناد وادان عسكرا
ويجعل فى إحدى يديه مهنداً طريراً وفى الأخرى كتاباً محرّرا
يخب الردى يوم الوغى فكأنه إذا مات فيه لا يزال معمّرا
بعينيك فانظر كىْ ترى بعض مجدهم إذا أنت عن إدراكه كنت مُقْصِرا

ولما أراد كنتَ، أن ينصروا إدوعل لحاج على إدوعل، وقام لذلك « كبادى » وقعد. وكان من رؤساء كنته. فحذرته امرأته من البغى وخوفته من إدوعل. فقال لها: إن رُصَيِّصهم لا يقتل، لأنهم لا يحملون فى مدافعهم من البارود إلا إصبعين، فبلغتهم المقالة. فعرفه رجل من آحاد الناس وضربه، وقال له « صرت عباس الـ صبعين » صرت: أصله سرة. وسرة الإنسان: معروفة. وعباس قريب

الضارب . ومعنى الّ صبعين : يعنى لم أجعل فى بندقيتى غيرهما . وصرت قسم عندهم ، كما يقول أهل المشرق : ورأس فلان ، قالوا : وكان جعل مع بارودة ذلك نواتين ، عوضاً عن الرصاص . فمات كبّادى المذكور من تلك الضربة .

و بعد تلك الواقعة ، التى تقدمت هزيمتهم فيها ، صالوا على شنقيط أيضاً ، فذهب إليه أحد علماء أهل شنقيط ، ليفاوضهم فى الصلح ، فقتلوه ومن معه من تلامذته . وكان أهل شنقيط لايذهبون إليهم ، فإذا أتوهم أنذروهم . فإن لم ينتهوا قاتلوهم . فطلب ابن الشيخ المقتول من قومه ، أن يأخذوا معه بثأر أبيه . فقالوا : لا نصول عليهم ما لم يوافونا . فرجع القوم ، فذهب حتى أتى أهل تيججك . فأخذ شيئاً من صماليكهم ، وغزا بهم قتلة أبيه . فوجدوا قافلة عظيمة من إدولحاج خارجة من تيشيت . فقتلوا أهلها عن آخرهم ، ونهبوا إبلهم .

ثم إن إدولحاج ، جمعوا جموعاً كثيرة ، وحاصروا مدينة شنقيط . فسافرت بينهم السفراء ، ووقع بينهم الصلح ، على أن يعطوهم مائة من كل شىء . فتحملوا لهم ذلك ، ورهنوا لهم مافى تنوشرت من النخل . فبقى النخل تحت أيديهم إلى الآن .

حرب إدوعل و إدابلحسن :

لما اشتدت الحرب بين إدوعل فى شنقيط ، كان القاضى : أى القاضى بن الطالب المتقدم ، هو أعلم من فيهم ، وكان يسعى فى الصلح بينهم . فلما اتسع الخرق بينهم ، خرج عنهم إلى أرض القبلة ، و بقى بعض إخوته مع قومه . فلما وصل إلى أهل القبلة ، وجدوه بحراً لا ساحل له . وكان من أولهم إقبالا عليه ، إدابلحسن وتاشمشه ، كما أشار إليه : محنض باب الديمانى ، فى قوله من قصيدته المتقدمة :

فجدّهم أستاذ تاشمش كلّهمْ قدارتضعوامن علمه الخلف والضرعا

ثم التحق به بعض قومه ، وكانوا مجاورين لإدابلحسن . فوقعت بينهم منازعة فى موضع صغير المساحة يحرث وتحفر فيه الإحساء . فطلب منهم إدوعل أحد أمرين : إما أن يعطوهم عشرين بيضة[1] ، وإما أن يأخذوها منهم ، وإما أن يحاكموهم إلى الشرع . فلم يقبلوا . فوقعت بينهم معركة ، انجلت عن قتل أربعة من إدابلحسن ، وعن شجاج كثيرة من الطرفين . فتوسط بينهم وفود الزوايا ، فاصطلحوا على أربع ديات ، أخذها إدابلحسن من إدوعل . ثم غدرت بهم إدابلحسن ، فقتلوا منهم رجلين ، يقال لهما ابنا الخطاط . فاضطرمت الحرب ثانية ، وكان الذى جرّ الحرب من إدابلحسن : قبيلة أبناء أخطيره . فلما اشتدت اعتزلوها وحل موضعهم أبناء أعمر أكداش . وكانوا أشد قبائل إدابلحسن شكيمة ، وأكثرهم عدداً ، وانضم إليهم تياب أبناء البوعلية . وفى بعض المواقع أعانهم بعض حسانهم ، فكانت الحرب أكثرها مناوشات ، إلا أنها كانت دائمة . ومكثت هذه الحرب سبع سنين . وأشهر أيامها يوم الغبيبيرى ، ويوم إيرزيك ، ويوم بوطريفيه ، ويوم إبلحنوشه ، ويوم تندوجه .

يوم لغبيبيرى :

لغبيبيرى : موضع قريب من إركيز . وكان إدابلحسن ، خرجوا مع من معهم من التياب ، فصبحوا إدوعل ، فبرزوا إليهم . فاشتعل بينهم الرصاص ، وصبر كلا الجيشين . فانتهت المعركة بهزيمة إدابلحسن . ولم أحفظ ممن قتل من أعيانهم غير محمذ بن محمد بوّهْ البوعلى ، ثم التائب . أما إدوعل ، فأعلم من قتلاهم : حرم بن محم بن عثمان ، وكان بطلا مشهوراً صاحب رئاسة ، وأحمد بن المزدف ، والطفيل ابن المختار نلمين ، هكذا ينطق باسم أبيه .

(١) البيضة : علم على ثلاثين ذراعاً من القماش .

يوم ابرْزيك :

موضع قريب من إرْكيز أيضاً ، غزا فيه إدابلحسن إدوعل ، مع من معهم من التياب ، فانهزم إدوعل ، وفى هذه الواقعة ، قتل الصالح الفاسك محم بن العباس العلوى ، وكان منفرداً عن الحى ، ومعه ولد له قبل البلوغ ، وكان يسرد عليه القرآن ، فقتلوه مع أبيه .

يوم بوطريفيه :

بوطريفيه : تقدم تعريفه ، لما انهزم إدوعل فى يومهم السابق ، رحلوا إلى بوطرَيفيه ، وكانت بها أجمة عظيمة يقال لها : الركنه ، أى أنها تـكون حصناً لمن دخل فيها ، فبعثوا قافلة لتأتيهم بالميرة ، فصبحهم جيشان . أحدهما إدابلحسن ومن معهم ، والثانى : يقوده أحمد بن أعمر بن المختار التروزى ، المعروف بابن الليكْياط : أخو محمد لحبيب الأمير المشهور ، فتلقاهم من وجدوا من الرجال ، فمات سبعة رجال من إدوعل ؛ وانهزموا أول وهلة ؛ وكان ابن الـكْياط المذكور يريد أن يأخذ أمة ، عند بابَ بن أحمد بيبه العلوى غصباً ؛ لأنه كان طلبها منه ؛ فلما منعه إياها ، هدده بالانضمام لإدابلحسن ؛ ثم إن إدوعل فروا بتلك الأمة ؛ وأدخلوها الغيضة المذكورة ؛ فرجع أحمد بن الليـكْياط خائباً ؛ و بعد هذه الواقعة ، أحضر محمد لحبيب أمير التارزة ، رؤساء القبيلتين ؛ وأراد أن يصالحهم بشروط ، رأى إدوعل ؛ إنها ظلم لهم ولم يتفقوا على قبولها .

فآلوا إلى أن ضمن بينهم شهراً ، لا يمس أحدهم الآخر فيه ، ففى ذلك الشهر رحل من رحل من إدوعل إلى تـكانت ؛ حيث انضموا إلى قومهم هناك ؛ و بقى من بقي منهم بضمانة محمدلحبيب ؛ فلم يقدر ابن الليكْياط ولا إدابلحسن على إخفاره ؛ ولما وصل إدوعل إلى تـكانت ، مكثوا سنة مشتغلين بمعالجة مرضاهم ؛

مهتمين بصحة أبدانهم ؛ فبلغتهم أغانى من إدابلحسن بالعامية ، يعيرونهم فيها ، فأخذوا جيشاً متوسطاً منهم ، ومن أهل تـكانت ، أعنى من قومهم خاصة ؛ فـكانت وقعة إبلحنوشه .

يوم إبلحنوشه :

غزا إدوعل من تـكانت ؛ فصبحوا أبناء أعمر أكداش بهذا الموضع ، وكان ذلك وقت الصبح ؛ فقابلهم بعضهم ، إلا أنهم لم يثبتوا لهم ، فذلك قول ابن محمود ، فى قصيدته المتقدمة :

فما راعهم غيرُ قيـــل الـكماةِ أتى الغرماء وَهَبْ وَأخبطا

فقتلوا منهم مقتلة عظيمة . ومن أشهر من مات منهم : محمد بن عبدى ؛ وكان شجاعاً معروف المنزلة فيهم ، ولم يمت من إدوعل أحد .

يوم تندوجه :

ثم إن إدوعل أيضاً ، غزوا من تـكانت ، بجيش أعظم من الأول . فأغاروا على أحياء من إدابلحسن متفرقين ، فاستاقوا إبلا كثيرة ، فتجمعت ابناء أعمر أكداش ومن معهم من التياب ، واقتفوهم . فمروا على الصالح الفخ الحمد التاكنيتى . فسألهم أن يرجعوا وأن يعطيهم ديات جيش ادوعل . لاعتقاده أنهم لا يقوون على مدافعتهم لـكثرتهم . فأجابوه بأنا سنقتل منهم البيض ، ونقرن باقيهم فى الحبال . فنشفعك فيه . فلحقوا بهم بعد اختلاط الظلام . وكان أحد النزول واقفاً ناحية ، فضربوه برصاصة ، قطعت بعض أصابع يديه . فقال لهم : بقى مايجذب الغرس[1] فبات الجيشان ينظر بعضهما إلى بعض ، فلما أصبح الصبح

(١) هى الآلة التى تجذب بالإصبع ، فتخرج لهذه الحركة الرصاصة .

تصافا للقتال . فصبر بعضهما لبعض حتى ارتفع النهار . فانهزم إدابلحسن ، وتركوا كثيراً من أبطالهم فى المعركة ، وممن مات منهم الأحول الشاعر ، وتقدمت ترجمته ، وهمر بن أتكير بر البوعلى ، ثم التائبى ، و إبراهيم بن محمد بوّهْ ، وهو قريب من الذى قبله ، والباشا اليوسفى ، ولم يمت من إدوعل سوى الأمين بن أحمد محمود ، المعروف با كيصاص ، وكان من الأبطال ، وأحمد بن المختار نلمين ، أخو الطفيل المتقدم ، وعبد اللامين بن المزدف ، وكان محمد فال بن حمين ، ذبح اللج بن البوسانى اليوحسنى ، فظن أنه أتى عليه ، فلما خلا له الموضع ، وقت مطاردة الناس لقومه ، ربط موضع الذبح لئلا يقطر دمه ، فيقتفوا أثره ، واختفى ناحية خوفاً من أن يذفوا عليه . ثم إنه برأ بعد مدة ، فصارت الناس تميره هو وأبناءه بذلك ، وهذا حيف كبير ، فإن دريد بن الصمة ، فارس هوازن ، قد وقع فيه مثل هذا . ولم نر من عيّره به ولم يمثل إدوعل بأحدمن القتلى ، غير همّر بن أنكير ير ، لنكايته فيهم . ولأنه من حسان . وكانوا يسمون هذا اليوم بدراً الكبرى . إلا أن بدراً ، كان أول وقعة . وهذا آخرها . فاصطلح القوم ، ولم تزل الضغائن كامنة فى صدور الفريقين إلى هذا الوقت .

حرب كنته و إدولحاج :

بعد أن انقضت حرب أهل شنقيط ، وأهل وادان ، وكانت الحرب أولا ، بين إدوعل و إدولحاج ، وكان إدولحاج وكنته ، كالشىء الواحد ، فنصروهم حينئذ أشد نصر ، ثم صاروا بعد ذلك ، يمنون عليهم بمساعدتهم لهم ، و يضطهدونهم . فصبروا لهم كثيراً كما تقدم . قام عبد الله بن سيدى محمود ، وشمر عن ساعده ، لمحاربة كنته ، ونصره الله عليهم ، وطالت هذه الحرب كثيراً من الزمن ، وهى أكثر مدة من حرب البسوس ، التى وقعت بين بكر وتغلب ، فإن تلك استمرت أربعين سنة ، كما قال صاحب عمود النسب :

وأبنـــاء تغلبَ و بكر قاما على الشـــقاق أربعين عاماً

أما هذه الحرب ، فتقرب من مائة سنة ، لأنها استمرت أيام عبد الله المذكور ، وابنه محمد محمود ، وزمناً من مدة سيدى المختار ، إلى أن وقعت الحرب بينه و بين أخيه سيدى محمد ، فسكنت نوعا . إلا أنهم لم يأمن بعضهم بعضاً ، ولا يمر أحدهم من أرض الآخر ، ولهذه الحرب أيام كثيرة ، لم يحضرنى تفصيلها ، إلا أن الغلبة فى أكثرها ، لإدولحاج على كنته ، وكانت تقع بينهم هدنة مؤقتة ، حتى يرى أحدهم فرصة فينتهزها

حرب كنته وتجكانت :

هذه الحرب غير بعيدة العهد ، لأنها كانت فى أيام بكار بن أسويد أحمد ، ولا نعلم من تفصيلها ، إلا يوم « الفلح » . وهو شق فى تكانت ، مثل الأخدود . يقال : إنه لم يبلغ أحد قعره ، ولم أشاهده بعينى ، وكان بكار بن اسويد أحمد ، ظاهر تجكانت فى هذا اليوم . على كنته ، فالتقوا قريباً من ذلك الفلح ، وكان إلى ظهر تجكانت ، فلما التحم القتال ، هزمهم كنته ، وألجأوهم إليه ، فمن حاد عنه نجا ، ومن اقتحمه سقط فيه ، ومات ولم يثبه من الخيل إلافرس ، تحت بكار ، وفرس آخر ، لا أدرى لمن هى ، ولا ندرى تفاصيل حربهم الأخرى ، وقد سافرت مع أناس من تجكانت ، وكانوا يحدثوننى بفوزهم على كنته ، لكن لم أسمع ذلك من غيرهم .

حروب تجكانت والأغلال :

هذه الحرب ، كانت قبل إدوعل و إدابلحسن بقليل ، لأن أحمد المقرى العلوى ، اشترك فيهما ، لأن الأغلال كانوا أخواله ، فحارب معهم تجكانت ، ولم يصل إلينا من خبر تلك الحرب ، إلا يوم تاغطافت ، ولا أظن أنهم اقتتلوا فى غيره

وكان الأغلال اجتمعوا بهذا المحل لقتال تجكانت ، واجتمع تجكانت لقتالهم ، وكانت عدة الحرب قليلة عند الفريقين ، فاتفق أن بطون الأغلال تخاذلت ، فمنهم من رحل ليلا تحرجا ، وأظن أنه لم يشهد تلك الواقعة منهم ، إلا أولاد يبويه ، وكان قدم إليهم أحمد المقرى المذكور ببارود كثير ، فلما رأوا خذلان قومهم إياهم ، باتوا يشعلون البارود ، ليرهبوا تجكانت . فظن تجكانت أن لهم قوة لايقدرون على مقاومتها ، فرحلوا ليلا ، فاقتفوهم وقتلوا منهم كثيراً ، وطلب أحمد المقرى من الأغلال بعد ذلك ، أن ينصروه فى حرب إدابلحسن ، فلم يفعلوا ، فذلك سبب مفارقته إياهم .

مروب أنبيز :

أنبيز : موضع اجتمعت فيه إدوعيش ، ومظوف ، وأولاد الناصر ، وأهل سيدى محمود ، وكنته ، وتجكانت ، لحرب الأغلال . وسبب هذه الحرب : أن الأغلال ، كثروا فى أرض الحوض ، وكثرت الدخلاء فيهم والأشرار ، ودخلت فيهم أولاد أمبارك ، بعد ما أجلاهم إدوعيش عن تكانت ، وقتلوا منهم من قتلوا ، وكان يجنى عليهم الدخيل فيهم جناية من هذه القبائل المذكورة ، فينسب ذلك للأغلال ، وربما أخذ أولاد أمبارك سفهاء من الأغلال ، وشنوا بهم الغارة على بعض القبائل المتقدمة ، باسم الأغلال . فتمكنت العداوة بينهم ، و بين جميع القبائل ، فرحلوا إليهم من كل جهة عن مؤامرة ، وكال الأغلال بلغهم ذلك ، فاجتمعت بطونهم وكان هذا فى آخر الخريف ، فى شهر يعرف عندهم بالاوه . أى حيث يلوى البقل من شدة الحر . وكانوا نازلين عند أنبيز . فمكثوا سبعة أيام يتضاربون بالرصاص . وكل بطن من الأغلال يضارب قبيلتين . فحالت الجموع بين الأغلال والماء . فحلوا عقل إبلهم ليلا . وتعلقوا بأذنابها . فأقحمتهم إبلهم الناس ، حتى أمكنهم الفرار . ومات كثير منهم عطشاً .

عرب كنته وأولاد بسباع أى (أبى السباع) :

إعلم أن كنته . على ثلاث فرق ، فرقة تسكن تسكانت وهى معظمها ، وفرقة تسكن الحوض ، وأخرى فى نواحى آدرار . وهى التى تملك سبخة أجَلْ ، التى يحمل منها الملح. وهى معظم تجارة أهل تلك البلاد . ماعدا أهل القبلة وتيرس . أما أولاد أبى السباع ، فثلاث فرق أيضاً . فرقة منهم فى حوز مراكش . وأخرى فى سوس . وأخرى فى تيرس . وهذه الفرقة هي التى حاربت كنته . وكانوا يتحملون الأمور التى تبدو لهم منهم ، حتى تفاقم الأمر . وكان أولاد أبى السباع مسلحين بسلاح جيد ، يصل رصاصه من مسافة بعيدة ، لا يصل منها رصاص غيرهم من أهل تلك البلاد ، لأن سلاحهم يأتيهم من سوس . وأما سلاح غيرهم ، فإنه ردىء يأتيهم من فرانسة . فالتقت القبيلتان بموضع يقال له : تُرِينْ ، فهزمتهم أبناء أبى السباع ، ثم انتصرت أحيىٰ من عثمان لكنته . فهزم الجميع للعلة المتقدمة . فصار أبناء أبى السباع ، يغيرون على جميع الناس ، لافرق بين عدوّهم وغيره . ولا يعرض أحد دون ماله إلاقتلوه ، فآل أمرهم إلى أن اشتبكوا مع الرقيبات ، وكانوا متسلحين بسلاح مثل سلاحهم ، فضمضموهم ، وألجأوا بقيتهم إلى القائد ابن هاشم فى تازروالت ، فأجارهم .

ولنتكلم هنا على بعض متعلقات الحرب فى أرض شنقيط : إن الحرب فى تلك البلاد لا تخلو عن ظلم ، فإذا قتل فرد من قبيلة قتيلا من غيرهم ، فلا ضابط عندهم فى أخذ ثأر المقتول ، فربما كان القاتل ملصقاً فى القبيلة التى هو فيها ، فيؤخذ فى جريرته الصميم .

وعرب الحجاز فى هذا ، أضبط خطة من أهل شنقيط ، زواياهم وحسانهم . فإن الحجازى إذا قتل قتيلا ، لا يخاف أحد من أقاربه ، مادام غير متغيب ، وتمشى بينهم السفراء لإعطاء المهلة ، فيمهلونهم شهراً مثلا ، أو نحوه . فإذا انقضت المدة ، ربما جددوها أيضاً . وفى أيام الأمن : إن لقوا القاتل فلا يغيرونه . فإذا تغيب القاتل : لا يؤخذ به من كان يجتمع معه فى النسب ، فوق الأب الخامس .

وأما الصلح عندهم ، فيكون بسفارة تمشى بين الطائفتين . والأكثر أن يكون ذلك الوفد من الزوايا ، ويسمونه الصربة ، ورؤساء حسان يتبادلون إرسال أولادهم الصغار ، ويبقى ولد هذا عند هذا ، والعكس ، ويسمون الولد أمنازله وغفيراً . أما الزوايا : إذا سئموا من الحرب ، فإنهم يتبادلون السفراء ، حتى يتفقوا على الصلح . والأكثر أن يضمن بينهم رئيس من رؤساء حسان .

واعلم أن حروب الزوايا : أكثرها إنما يكون فى تكانت والحوض والرقيبا وآدرار . أما أرض القبلة ، فأعظم حرب وقعت فيها : إنما هى حرب إدوعل وإدابلحسن . وقد وقعت حرب قديماً ، بين أولاد أبيير وتندغا ، ولم تحضرنى تفاصيلها ، وسببها : أن تندغا استجار بهم بعض من يعادى أولاد أبيرى ، فأجاروه ولذلك يقول بعض الناس فى شأنهم :

الحربُ أولُ شابَ أجْمِيلَ وأعْكابُ عَزْبَ بالزُّورْهَ
مأتلَ تَنْدَغِ يحكَمْ أدْخيلَ ألا أتلْ وَلدْ أوْلادْ أبيير إدَوُرْهَ

أجميل : بمعنى جميلة . وأعكاب : بمعنى آخره ، وذكّر الحرب ، وهى مؤنثة ، لأن العامى أكثره لحن . والعزبة عندهم : بمعنى المعصر ، أى التى قاربت البلوغ . وآزور : صغيرة تكون لمن هذه سنها . وماتل : بمعنى مابقى . ويحكم : بمعنى يمسك ، والدخيل : الذى يدخل فى كنف من يستجير به . يعنى أن تندغ لايجيرون أحداً بعد هذه الحرب أبداً ، لما وقع فيهم ، وأن أبناء أبيرى لايحاولون أن يسلم لهم الشخص من أجاره ، لما نالهم أيضاً . وظاهر هذا الكلام : أن القبيلتين تعبتا من الحرب ، وهذا شأن كل المتحاربين ، فغالبهم مغلوب .

أما حرب تندغ وتاكنيت ، فإنها قليلة الأهمية ، وليس فيها إلا مناوشات خفيفة . وأما حرب أولاد أبيرى وإجْيجَبهْ ، فإنها قريبة العهد ، وكانت الناس تظن أن إجيجبه لايقدرون على مناوأتهم ، لقلتهم وكثرة أولاد ابيرى . وزد على ذلك : أن أكثر حسان والزوايا مع أولاد ابيرى ، لمكان أهل الشيخ سيدى

عند الناس ، ومالهم من الإحسان عندهم وسبب هذه الحرب أن أحد القبيلتين مر بمنهل ، فترك جمله يشرب فى حوض ، فضرب بعض أهل الماء جمله ، فتشاتما ، وآل الأمر إلى ضرب صاحب الجمل . فتحزب لكل واحد منهما قومه ، وكان ابن الشيخ سيدى الموجود فى وقتنا هذا ، مسموع الكلمة ، وكان من أهل الإصلاح وسعى جهده فيه ، وبذل المال الكثير ، لكنه لم يقدر على إطفاء تلك الثائرة ، فانضم كثير من التارزة إلى أولاد ابييرى ، وانضم ابن أحمد ، رئيس البراكنة إلى إجيجبه . فلما التقى الجمعان ، تقابلت التارزة والبراكنة ، فهزمهم التارزة . وتقابل أولاد ابييرى و إجيجبه ، فهزمهم إجيجبه ، فرجع البراكنة من حيث أتوا ، و بقى إجيجبه يلعبون هيب « وهي لعبة معروفة » و يحرقون أثاث أبناء ابييرى . فتراجمت الطوائف عليهم ، وهزموهم شر هزيمة . ثم إن أولاد ابييرى رحلوا إلى أرض التارزة ، وكان هذا من الأسباب الداعية لتوجه فرانسة إلى أرض شنقيط لكثرة القلق والنهب فيها .

الكلام على لغات أهل شنقيط وأصلها :

يقال : إن لغات تلك الأرض ، كانت قبل دخول العرب هناك قسمين ، قسم يسمى أزَيرْ . وقسم يقال له : أكلام أزناكْه . أما القسم الأول ، فلم يبق له أثر ، إلا فى مدينة وادان ، فإنه إلى الآن يوجد من يتكلم به ، والأغلب فى ظنى أن القسمين واحد . وقد ذكر سيدى عبد الله بن محمد بن القاضى العلوى ، الذى جعلناه أول ترجمة من هذا الكتاب ، هذه اللغة بقوله :

لقد شمخت أنفاً علينا خديجة وقالت بآزار لها إدَوارنِ
ونحن الأنوف[1] الشامخات على الورى تقاصر عنا كل أنف ومازن

وسبب قوله لهذه الأبيات ، أنه كان مقيما بوادان لطلب العلم ، فاتفق أنه كان

(١) الأنوف : منصوب على الاختصاص . كما سمعت من العلماء الخبيرين .

جالساً بقرب بيت من بيوت وادان ، فأرادت امرأة فيه الخروج إلى محل ، فأمرت وليدة لها أن تنظر لها من فى الطريق لتعلمه فإن كان ممن يعتد به عندها ، تتأخر عن المرور ، لئلا يراها . و إن كان ممن لا أهمية له عندها ، تذهب لشأنها . فلما سمته لها ، خرجت من غير مبالاة به . وقالت كلمتها ، التى ذكرها فى شعره . نخطبها بعد ذلك . فلما زفها النساء إليه ، قال لهن : ماخبركن . فقلن له : زففنا إليك فلانة . فقال : ومن فلانة ؟ ثم خرج عنهن ، ولم يعد إلى الآن . وقال البيتين :

وأما القسم الثانى : فإنه كثير فى الزوايا القاطنين فى أرض القرارزة ، ولأهل تلك البلاد ، لسان آخر يسمى عندهم بالحسانية ، وهى العربية الممزوجة بالعامية ، وهى اللسان العام .

الكلام على كلام أزناكن :

هو نوع من أنواع البربرية المغربية ، وهو موافق للسان الشلحى ، ويختلف معه اختلافاً قليلاً ، كما بين لسان الترك والتتر ، فإنا رأيناهم فى سوسة يتفاهمون من أول وهلة ، كما يتفاهم التركى والتترى ، وليس لهذا اللسان كتابة مخصوصة ، ولا أعلم من قواعده ، إلا أن المؤنث تكون التاء منه فى أوله مثال ذلك :

أغَرْبَظْ	بمعنى الطفل	
التاغَرْبَظْتْ	بمعنى الطفلة	وهذه اللفظة فى أولها وآخرها التاء
أوبَلْ	بمعنى العبد	
توبَلْتْ	بمعنى الأمة	
إجم	بمعنى الجمل	
نجم	بمعنى الناقة	
أزكر	بمعنى الثور	

تَشّ بمعنى البقرة : والجمع إتْشِدّاً ، بمعنى البقر .

إنزِكْ بمعنى العجل

تيرك بمعنى العجلة

آجِلْ بمعنى الحمار

تاجل بمعنى الحمارة . والجمع أجَجاً ، الجيم الأولى : مغربية والثانية : مشرقية .

الكلام على اللغة الحسانية :

أهل اللغة المذكورة ، يسمونها كلام حسان ، ولا أدرى من هو حسان ، وأهل اللغة الأخرى ، يقولون لها كلام حسان ، وكلام العرب . وهى لغة بعضها ـ وهو القسم الأكثر ـ عربى ظاهر ، إلا أن تسكين المحرك كثير فيه ، و بعضها لاتعرف له اشتقاقا ، وليس مأخوذاً من اللغة البربرية ، لأنه لا يوجد فيها ، وتختلف هذه اللغة باختلاف لهجات أهل البلاد المتباعدة . مثال ذلك : أن أهل آدرار وتكانت والحوض . يجعلون القاف غيناً محضة ، يقولون : عبدالغادر ، فى عبد القادر وأغديم : فى آقديم ، بمعنى الذى يخدم فى السفر ، وأشباه ذلك . وكأهل آفطوط . فإنهم يعكسون هذه القضية ، وكأهل القبلة ، وهم التراررة ، ومن فى جوارهم . فإن كثيراً منهم يجعل التاء طاء . يقول : الطراب ، فى التراب . والطمر فى التمر . وكل طوائف أهل هذه اللغة ، يرى أنه أفصح من الآخر ، إلا أن بعض زوايا أهل القبلة ، يرى أن الصلاة خلف أهل اللغة الأولى باطلة ، لأنهم يلحنون فى الصلاة لحناً يغير المعنى ، مع إمكان تعليمهم للغة الفصحى ، ومن هذا مسألة الجيم المتفشاة ، والجيم الشديدة . فإن كل أهل ذلك القطر ، متفقون على النطق بالجيم الأولى فى كلامهم الجارى بينهم ، وفى قراءة الشعر والكتب العلمية ، و يختلفون فى قراءة القرآن والحديث ، فأهل القبلة ـ وهم أكثرهم علماً ـ يقرءون الكل ، بالجيم

المتفشاة ، إلا قليلا فإنهم يقرءونهما بالجيم الشديدة ، وهؤلاء مثل إدوعل ، ومن يقلدهم فى ذلك ، وأهل تكانت والحوض وآدرار ، يقرؤن بالجيم الشديدة أيضاً ، وأهل اللغة الأولى ، يقولون لأهل اللغة الثانية : ويحملون لله ما يكرهون ، لأنهم ينطقون فى كلامهم العادى ، وفى الأشعار ، وفى الكتب والفقه ، بالجيم المغربية ، وأما القرآن والحديث : فلا ينطقون فيهما إلا بالجيم الشديدة ، أما هؤلاء فإنهم يجيبون بأنهم راعوا فى القرآن والحديث ، وجوب النطق باللغة الفصحى ، وفيما عداها ، اتبعوا السهل مع جوازه . لأنه لغة توجد بمرجوحية .

حجة أهل الجيم المتفشاة : أن الجيم الشديدة لغة السودان ، وهم أعجام ، وتأولوا كلام التسهيل الآتى ، بما لم يحضرنى الآن .

وحجة أهل الجيم الشديدة : أن الجيم المتفشاة ، لغة الشلح والبربر ، فكما طعنتم فى لغتنا ، نطعن فى لغتكم ، وحيث وقع دليلان متقابلان بالنسبة إلى العجم ، فالحكم بيننا إنما هو كتب الأئمة .

قال سيبويه فى كتابه : « ومن الحروف الشديدة ، وهو الذى يمنع الصوت أن يجرى فيه ، وهو الهمزة والقاف والكاف والجيم والطاء والتاء والدال والباء ، وذلك أنك لو قلت الحج ، ثم مددت صوتك ، لم يجز ذلك . وقال الدماميني عند قول التسهيل : « ومنها : شديدة يجمعها أجدك قطب » ومعنى الشدة على ماذكر سيبويه : امتناع الصوت أن يجرى فى الحرف ، ويعتبر ذلك فى النطق ، فتقول : الحق والحج مثلا ، فلو رمت مد صوتك فى القاف والجيم وغيرهما من حروف الشدة لامتنع . وقال ابن الأنبارى فى أصول اللغة : ومعنى الشديدة أنها حروف صلبة لا يجرى فيها الصوت ، ولذلك سميت شديدة . وفى القاموس وشرحه : والحروف الشديدة ثمانية . وهى : الهمزة والجيم والدال والتاء والطاء والباء والقاف والكاف . قال ابن جنى : ويجمعها قولك : أجدت حبقك . وقولهم : أجدك طبقت : وأجدك قبطت . وفى الهمع : الشدة امتناع الصوت أن يجرى فى

فى الحرف ، والفرق بين المجهور والشديد . أن المجهور يقوى الاعتماد فيه ، والشديد يقوى لزومه فى موضعه . فعرفت أن منع الجرى فى الجيم ولزومه لموضعه ، يمنعان دخول الجيم المغربية تحت هذين المعنيين ، لأنها متفشية قطعاً ، وذلك النوع فرع من غير نكير ، فلا يجعله التعود أصلا يعتمد عليه .

وهذه النصوص المتقدمة ، لاتقبل التأويل ، وقد رأينا قراء مصر ـ وهم من أكثر بلاد الإسلام قراء ـ لاينطقون بالجيم المغربية ، وإن كان بعضهم يجعلها كافاً معقودة ، إلا أن هذه أقرب إلى الجيم الشديدة من المغربية ، فإنها تقارب الشين ، والكاف أقرب إلى الجيم الشديدة من الشين . أما أهل الحجاز واليمن ونجد والعراق ، فكلهم ينطقون بالشديدة . وأما أهل الشام : فواسطة بين النوعين ، وهم ينطقون به دون المغربية بكثير ، وهى بعيدة من الحجازية والحاصل أن الجيم فصحى ، وهى الشديدة . وفرعية ، وهى المغربية ، وأكثر القراء فى جميع الأرض على الفصحى ، إلا المغرب ، وأهل القبلة من صحراء شنقيط . وقد عدّ سيبويه الجيم التى كالشين ، من الحروف غير المستحسنة ، التى لاتكثر فى لغة من يرتضى عربيته . وقال : إنها لا تستحسن فى قراءة القرآن ، ولا فى الشعر . ثم قال : وهى الكاف التى بين الجيم والكاف ، والجيم التى كالكاف ، والجيم التى كالشين . وهذا نص صريح لا يقبل التأويل . فإن الجيم المذكورة يجرى فيها الصوت ، كما يجرى فى الشين .

الكلام على الضاد :

كل أهل شنقيط ، ينطق بالضاد الموجودة فى مصر وغيرها ، سوى العلامة اللقن الفهم ، محمد فال بن باب حفظه الله ، فإنه ينطق بها قريبة من الظاء المألوفة ، وكان أحدث القراءة بهذه الضاد ، بعد أن رجع من الحج فى آخر أيام السلطان مولاى الحسن رحمه الله . وقد أنكر عليه بعض أهل شنقيط ذلك . وقدمت

من القسطنطينية سنة ١٣١٩ ، فاجتمعت ببعض أفاضل الشام . فذكروا أن الفقيه الصالح عبد الحكيم الأفغانى رحمه الله . ذكر أن الضاد التى ينطق بها الدمشقيون وغيرهم غير صحيحة . منكرين ذلك عليه . فقلت لهم : هذا الذى قال : قال به أحد علمائنا ، أعنى محمد قال المتقدم . وهو ظاهر ما فى الكتب . فقالوا لى : أكتم هذا . وإلا نفيت أنت وهو ، من دمشق . وذكروا أن العلماء سلطوا عليه الوالى ، فنهاه عن القول بذلك . فطلب منه المحاكمة إلى مافى الكتب بينه وبين العلماء ، فما قبل .

والحاصل أن هذه الضاد المألوفة عندى ، وعند غيرى غير صحيحة . لأنها تباين التى وصفها سيبويه ولفظه . ومن بين أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس ، مخرج الضاد . وفى التسهيل : وأوّل حافة اللسان وما يليه من الأضراس للضاد . وقال السيوطى فى جمع الجوامع : وأوّل حافتيه وما يليهما من الأضراس للضاد ، وهى من الأيسر أقيس . قيل تختص به ، وقيل : بالأيمن . ولا ينطق بها وبالحاء ، غير العرب .

وقال فى الشرح نقلا عن أبى حيان : والضاد أصعب الحروف فى النطق . وهى من الحروف التى انفردت العرب بكثرة استعمالها ، وهى قليلة فى لغة بعض العجم ، ومفقودة فى لغة الكثير منهم . قال : والضاد لايخرج من موضعها غيرها من الحروف عندهم ، وذهب الخليل ، إلى أن الضاد شجرية ، من مخرج الجيم والشين . فعلى هذا يشركها غيرها فيه ، ومعنى شجرية : خارجة من شجر الحنك ، وهو مايقابل طرف اللسان . وقال الخليل : الشجر ، مفرج الفم أى منفتحه . وقال غيره : هو مجتمع اللحيين عند المنفقة ، وعلى رأى الأولين . قال أبو حيان : خروج الضاد من الجانب الأيسر عند الأكثر ، والأيمن عند الأقل . ويحكى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أنه كان يخرجها من الجانبين معاً . وقال الصيمرى : بعض الناس يخرجها من اليسرى ، وبعض الناس يسهل عليه إخراجها من

الجهتين معاً . قال : وكلام سيبويه أيضاً ، يدل على أن الضاد تكون من الجانبين ، وقد ذهب بعض من لاضبط له ولا معرفة ، إلى أن الجهة اليمنى تختص بها ، اه . فعلمت أن الضاد ، التى ينطق بها أكثر الناس ، غير التى مضت صفتها ، وأنها أقرب إلى الدال منها إلى الضاد المذكورة . ومما بين طرف اللسان ، وأصول الثنايا ، مخرج الطاء والدال والتاء ، فهذا هو مخرج الضاد الموجودة الآن عند أكثر الناس ، وقد أطلنا فى هذين الحرفين ، لفساد الأول عند المغرب ، ولفساد الثانى عند الجميع .

الكلام على العلم فى شنقيط :

مرادنا بالتعميم ، إنما هو بالنسبة إلى الزوايا فقط ، وإلا فإن حسان والفحمة ولحراطين (أى المعتقين من الرق) والمعلمين ، أى صناع الحديد ، وإكاون ، وهم ناس يقال إن أصلهم قيون كما تقدم ، لا يدخلون فى ذلك العموم ، وإن كان قد وجد فرد من هذه الأجناس عالما ، فذلك شاذ لا يجعل أصلا .

أما الزوايا ، فلا يوجد من بينهم ذكر أو أنثى إلا يقرأ ويكتب ، وإن وجد فى قبيلة غير ذلك فإنه نادر ، بحيث لا يوجد فى المائة أكثر من واحد ، على تقدير وجوده .

كيفية التعليم عندهم :

إذا بلغ الصبى خمس سنين يمتحنونه ، بأن يعلموه من الواحد إلى العشرة ، فإن تابعها من غير تقديم ولا تأخير ، يعلموا أنه صار ينجح تعليمه ، وإن لم يعلم كيفية العد يتركوه ، ثم يبدءون فى تعليمه ، وأكثر من يتولى تعليمه إذ ذاك ، النساء ، ثم بعد معرفة الحروف الأبجدية ، يعلمونه كل شكلة ، يقولون : فتحة أو نصبة ، وكسرة أو جرة ، وضمة أو رفعة ، وجزم أو سكون وفى بعض الحروف

يعبرون بما لا يعرف عند غيرهم ، مثل الياء المـكتوبة هكذا « ى » يقولون : أى انظرزّهْ . ولا أدرى من أين أخذوه ، ويقولون فى النون التى تـكتب هكذا « ن » النن أعْرَكْ ، وحتى إن بعض الأدباء ، شبه حظيرة على حرث بها ، فقال يذكر دارا :

أمست لسيدان الفلا مألفا وكلّ حرث مثل نونِ عَرَكْ

إلا أنه حذف الألف ضرورة ، أو لغة لم أسمعها ، ويقولون فى هاء الضمير التى تـكتب مثل هاء ضربوه : أهذوتْ . وفى التاء التى تـكتب هكذا « ة » التذوت . ويعبرون بالصط : موضع الصاد ، والضط : موضع الضاد . وهم مختلفون فى ذلك ، فمنهم من يقول : الـكسرة موضع يا انظرزّه ، ويستمر التعليم فى القرآن ، إلى أن يبلغ الصبى ، أو نحو ذلك ، أعنى إذا لم يحفظ القرآن قبل ذلك ، فإن حفظه إما أن يشتغل بعلم القراآت ، ويسمونه التجويد ، وإما أن يبقى يكرر تلاوة القرآن ، لئلا يضيع من حفظه ، ويقولون : أيطيب صراته ، بمعنى سوره ، جمع سورة ، هكذا ينطقون . فإن بلغ الحلم ، يبدأ فى غير القرآن ، وتختلف الناس إذ ذاك ، بحسب البلدان والقبائل . أما أهل آدرار وتـكانت ومن حذا حذوهم ، فإنهم يبدءون بالأخضرى وابن عاشر والرسالة ثم الشيخ خليل . وأما أهل القبلة ، فإنهم يختلفون فى ذلك أيضاً ، ففيهم البعض ، يقرأ بعض دواوين العرب ، قبل البلوغ ، ثم العقائد الأشعرية ، ويمضى سنين عديدة فى إتقان تآليف السنوسى ، حتى لا يبقى عليه منطوق ولا مفهوم ، ليصير عندهم مؤمناً حقيقة ، وإلا فإنه إذا كان لا يقدر على معرفة أنواع الصفات ، وتعيينها بالألفاظ المتداولة عندهم ، فهو عرضة للـكفر ، ثم يقرؤون النحو والفقه . وفيهم مواضع ، تتأنق أهلها فى البيان والمنطق ، ولـكل جهة اعتناء ببعض العلوم ، أكثر من غيرها .

تعب العالم فى شنقيط وما يظاهره من المشاق :

إذا نظرت إليه من جهة التدريس ، تجده يكابد من الأتعاب مالا يحصى ،

فقد يستغرق يومه كله فى التدريس ، لأن الشيخ عندهم ، لا يلزم الطلبة أن يشتركوا فى درس واحد ، من فن من الفنون ، فتراه مثلا يدرس لعشرة من التلامذة الألفية ، فبعضهم يقرأ من أولها ، و بعضهم يقرأ من وسطها ، و بعضهم يقرأ من آخرها ، ويلقى لكل درسه من موضعه الذى يليق به . وهكذا فى الفقه وغيرها من العلوم ، وقد يضم أشخاصاً في محل واحد من فن واحد ، و يضم آخرين فى محل منه آخر ، و يسمون المشتركين فى الدروس : دولة .

أما ما يكابده العالم من مشاق الدنيا ، فهو أنه يكون مورداً للضيوف والمستفتين ولطالب الحاجة ، وليس للقاضى ولا للمدرس ، هناك أوقاف تصرف عليهما ، ولا يأخذ أحدهما من الطلبة ، بل قد يعطيهم من يده ، والمفتى أيضاً لا يأخذ شيئاً فى مقابلة الفتوى . وقد يكون لبعض العلماء ما يسمونه : كُبط . أى عطية ، يعطيه إيّاها حسان ، أو اللحمة ، أو الأحراطين ، أى المعتقين . وهذه العطية : شاة من الغنم على كل ذى غنم ، أو أمداد من الزرع ، على كل ذى حرث ، وهذا النوع قليل جداً بالنسبة إلى من لا يأخذ شيئاً . و إذا ظلم حسان أحداً ممن ينسب إليه ، يذهب فى طلب استرداد ما أخذ ، وربما جلس فى استرداد ذلك سنة أو نصفها .

كيفية إلقاء الدرس عندهم :

لا ضابط للهيئة التى يلقى عليها المدرس عندهم ، فتراه يدرس مرة ماشياً مسرعاً ، ومرة جالسا فى بيته ، ومرة فى المسجد ، ومنهم من يدرس فى أثناء الارتحال ، من جهة إلى أخرى ، سواء ، كان ماشياً ، أو راكباً ، وقد يكون راكباً ، والطلبة يمشون على أقدامهم فى ناحيتيه .

تأديب المدرس للطلبة :

إذا بلغ الشيخ أن أحد التلاميذ أساء ، فإنه يعاتبه برفق ، بأن لا يلتفت إليه

حتى يعلم التلميذ ذلك من حاله ، وكان العلامة محمذ فال بن أحمد فال التندغى ، تجتمع عنده الطلبة من الزوايا ، ومن قومه فإذا بلغه عن أحدهم قولا لا يليق ، تركهم حتى يجتمعوا عنده . فيقول :

وقـــول مالا ينبغى لا ينبغى لِتندِغ ولا لغـــير تندِغ

فإذا كان الذى بلغه فعل قال :

وفعـــل مالا ينبغى لا ينبغى لتندغ ولا لغـــير تندغ

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يفعل ذلك على جهة التعميم . فيقول : « ما بال أقوام يفعلون كذا ، أو يقولون كذا ، وما بال أقوام يشترطون شروطاً ليست فى كتاب الله ، وهذا النوع أردع للناس » فليت أن علماء الأزهر فعلوا مثله ، وتركوا عنهم ، يا ابن الفاعلة ، أو يا ابن الكلب ، أو ياحمار ، فإن هذه الألفاظ ، تذهب هيبة الشيخ من قلب الطالب .

الكلام على طلب العلم :

إذا تأملت يامشرقى ، طلب العلم فى أرض شنقيط ، علمت أنك تجد من الإعانة مالا يجد ، لأن لك من الأوقاف ما يكفيك ، ووراءك امتحان يحملك على الاجتهاد ، لأنك إذا سقطت ، قطعت من الدفتر ، وإذا لم تكن عالما ، جعلت عسكريا ، وإذا صرت عالما ، تأخذ من الأوقاف ما يكفيك أنت ومن تمون . أما الطالب فى أرض شنقيط ، فبعكس هذا كله ، فإنه إذا لم يتعلم لا يؤخذ للعسكر ، وإذا طلب العلم ، لا يجد وقفاً يتقوت منه ، وإذا صار عالماً ، ليس وراءه وقف يضمن له ما هو مضمون لك ، فهذا كله ، يثبط عن العلم .

وإذا اشتهر عالم بالمهارة فى العلم ، أكثر من يتعلم عليه ، إنما هم الغرباء ، لأن الشخص فى أرض شنقيط ، يصعب عليه أن يتعلم فى بيت أهله ، إذ يلزمه أن يتفقد مواشيه ، وأن يواظب على الضيوف التى تقصده دائماً ، وبالنظر فى الشئون

المنوطة به ، فيتغرب لذلك ، إذ لا يهمه إذا كان غريباً ، غير شؤون نفسه . أما مايعيش به ، فالأكثر أن يأخذ بقرة حلوباً ، أو بقرتين إلى ثلاث ، إلا أن الثلاث لا يقدر عليها إلا القليل ، وهكذا أغلب من يتغرب . وإذا كان الشيخ صاحب إبل ، يذهب الطالب بناقة أو ناقتين إلى ثلاث ، فإذا اجتمعوا عند شيخ يكونون طوائف ، كل طائفة تشترك فيما عندها ، لافارق بين من عنده واحدة ، أو ثلاث . فيحلبون واحدة مثلا ، ويحلّقون كل يحسو حسوة ، ويناول الآخر وهكذا . أما مايسكنون فيه من الأمكنة ، فيصدق عليه قول بعضهم :

تلاميذ شتى ألّف الدّهرُ بينهم ... لها همم قصوى أجَلُّ من الدّهرِ

يبيتون لا كِنٌّ لديهم سوى الهوى ... ولا من سرير غير أرمدة غبر

ويتناوبون رعى مواشيهم ، فيخرج أحدهم اليوم يرعى الإبل ، ويأخذ كتابه أو لوحه ، يظل يقرأه ، ثم يخرج غيره بعده ، وهكذا حتى يدور ذلك عليهم . وقد يوجد شخص معه عبد ، يرعى له نياقه ، وهذا قليل جداً . وإذا كانت الطلبة أهل بقر : يتناوبون الورود على المنهل لسقيها لأن البقر يشرب كل يوم ، بخلاف الإبل ، فإنها فى أيام الصيف ، تغب يومين أو ثلاثة ، وفى غيره أسبوعاً وأسبوعين ، إلى الشهر أو الشهرين ، وقد تمكث ثلاثة أشهر لاتشرب ، إذا كانت الأرض مخصبة .

ومما يحكى عن تلاميذ أهل محمد سالم المجلسيين : أن أحدهم كرع فى ماء يشرب منه ، فنقرته وليدة وقالت له : أنت شربت أمس ، ولا يشرب فى هذا اليوم ، إلا من لم يشرب أمس . وكان ذلك فى شدة الحر .

التجارة فى شنقيط :

إن التجارة فى شنقيط ، كانت فى القديم رائجة . وأعظم مايتجرون به الملح إلى السودان . يقال : إن العبد كان يباع بحذائه ، أى نعله . وذلك إن الملح يقطع على هيئة اللوح الكبير ، فيشد بالحبال ، ويوضع على ظهر الجمل ، فإذا صار إلى

السودان ، يجعل تحت قدم العبد منه مقدار نعل ، فيكون قيمة له ، وهذا العصر تقادم .

أما الذى نعرفه نحن ، بعد الكساد ، أن حمل الجمل ، يباع فى عبد أو أمة ، ويبقى مايوفره من الزرع ، وكل ماعند السودان يباع فى الملح ، كالخيل والثياب والزرع والعبيد . ويقال : إنهم كانوا يبيعون أولادهم فيه . ويقطع هذا الملح من سبخة آجِلْ . وهى تبعد عن مدينة شنقيط بنحو خمسة أيام أو ستة ، وأهلها المالكون لها : كنته ، والناس يدفعون لهم ثمناً قليلاً جداً ، بالنسبة إلى مايبيعونه به ، وتسافر الناس من الحوض وتيشيت وأركيبه وتكانت ، لذلك الملح ، وأكثرهم يشتريه من مدينة شنقيط ، وربما ذهب بعضهم إلى محل السبخة ، فأخذه منها . ثم يباع جميعه فى السودان . أما العبيد التى يأخذها أهل الملح ، فإنهم يرجعون بها إلى أهلهم ، فما كان الشخص مديناً به منه ، سلمه إلى من يطلبه ، وما ليس بمطلوب منه ، فإن شاء باعه فى محله ، وإن شاء جلبه إلى أرض القبلة . ويمسك من العبيد مايحتاج إليه . والمسافة بين السودان وبين محله متفاوتة . فمنها شهر ، ومنها ماهو أزيد . وكلما توغل صاحبه فى السودان ، يكون أروج له .

ومما يأتى به جالب الملح : القماش المعروف بالأكحال ، ويسمونه الانصاف . وأردية يسمونها : دماس وديسه ، وبنائق تبنى منها القبب ، ويسمونها اجّيفْ ، والدخن المسمى عندهم بالبشنة ، وكُرته ، المعروفة عند المصريين بفول السودان ، وعند أهل الشام ، بفستق العبيد ، وعند أهل الحجاز ، باللوز الهندى .

أما تجارة أهل القبلة ، التى تخرج منها إلى غيرهم : فهى العلك ، المعروف عند المشارقة ، بالصمغ . وكيفية اجتنائهم له : إنهم يذهبون إلى المحل الكثير القتاد ، الذى يبلغهم أن الصمغ يوجد فيه بكثرة ، ولا ينضبط قانون ذلك ، لأنه يكثر فى جهة سنة ، ويقل فيها أخرى . ويأتون بعبيدهم ثم يبعثونهم يوميا إليه ، ويرجعون إليهم مساء ، فيوقدون النار فى الليل ، ويقايسون ماجناه العبيد ، فإن أتى أحدهم

بقليل عن مماثله يوبخونه ، وربما ضربوه والعبد بنفسه يخجل ، إذا رأى جناه أقل من جنى غيره . وهذه الحرفة ، خاصة بأهل القبلة ، وأهل الرقيبة والحوض . وهذا الجنى : يباع كله فى فرانسة ، ويؤخذ منهم عوضه من القماش المسمى عندهم بالخنط ، وهو أنواع : منه أسود ومنه أبيض ومنه أخضر . والدخن والسكر والعسل وهو دبس جيد . أما عسل النحل : فإنه قليل ، ويسمونه عسل لعماله .

تجارة أهل شنقيط فيما بينهم :

تكلمنا على مايخرج من بلادهم ومايأتون به ، فبقى أن نتكلم على مايتعاملون به بينهم ، عوض الدراهم . فإن أكثر ذلك ، إنما هو القماش والغنم ، وكل جنس المواشى معروف الأثمان . فالبيصة : وهى علم على ثلاثين ذراعاً من القماش ، مثل الريال عند غيرهم . فيقولون : بكم تبيع هذا العبد ، أو الجمل ، أو البقرة مثلاً . فيقول : بعشر بيصات . فإن كان ذلك فى تكانت أو الحوض : فالبيصة المطلقة إنما يراد بها فلتور ، وهو جنس غليظ ليس بالجيد . وعند أهل القبلة : أغلب مايراد الميلس ، تصغير الأملس ، بالتصغير العامى . وهو جنس جيد ، يتفاوت بحسب أنواعه إلا إذا عينت ، فتكون بحسبها عند الجميع ، أما سعر البيصة : فالأغلب أن يعلم بالغنم . فيقولون : كم ثمن البيصة من الغنم ، فيقولون : ثلاث جدعات . أى جذعات ، أو أربع أونحو ذلك . ومن البقر . التافكيت ، بمعنى التبيعة . أما إذا كانت القيمة بين البقر والغنم ، فيقولون : ثمن هذا الجمل ، أربع تيفكاتين مثلا ، والتافكيت من الغنم : علم على ست جذعات ، وإذا قالوا شاة دية ، فمعناها أنها تساوى جذعة ونصف ، وإذا قالوا : كاطعه ، فمعناها : أنها تقطع جذعتين ، أى تفى بثمنهما .

الصناعة فى شنقيط :

لو قلنا : إن أرض شنقيط لا صناعة فيها ، لكان ذلك وجه من الصحة ،

إذ ليس فيهم من يقدر أن ينسج ثوباً يلبسه ، ولا سيفاً يتقلده ، وفيهم حدادون يصنعون السكاكين الصغار ، وإذا فسدت البنادق المسماة عندهم بالمدافع يصلحونها ، لكن لا يقدرون على صنعها ابتداء ، وهؤلاء الحدادون إنما يصنعون أوانى الخشب ، والعمد والإشفا ، ويصنعون الفراء إذا دبغت ، ورجالهم ونساؤهم يعيشون من عمل أيديهم . فالرجال يصنعون الفؤوس والخناجر والعمد ، والحدائد التى تكون آلة للحراثة ، ويسمونها أوجيل ، ومنهم من يقول : أواجيل ، ونساؤهم يخطن كل مايصنع من الجلود ، وحسان يظلمون هذا الجنس ، ويأخذون عليه المكس ، ولم نفرده بالذكر لقلته ، والناس يزعمون أن أصلهم يهود ثم أسلموا ، ودينهم ضعيف جداً ، والناس ينسبون إليهم الكذب والشر ، ولا ينا كحونهم .

الزراعة فى شنقيط :

هى من أضعف البلاد فى الزراعة ، ماعدا نجد ، والحجاز ، وهى متفاوتة فى ذلك ، فآدرار : كثير النخل ، وليس بأرض زراعة ، وقد يزرعون القمح والشعير تحت النخل فى الشتاء ، ويحصدونه قبل الصيف ، ويزرعون الفندى ، وهكذا فى تجحكه ، وتكانت فيها أودية ، قد تحرث فى آخر الصيف ، وتحصد فى الشتاء ، إذا كثرت الأمطار ، وهذا لايغنى أهلها عن القافلة ، لقلة مايحصل منه .

عاداتهم فى الزواج والولائم :

أما الزواج عندهم ، فعقده إنما هو على مذهب الإمام مالك ، سواء فى ذلك الزوايا ، وحسان ، واللحمة ، أما الزوايا : فهم مطلعون بمعرفة أحكامه ، وأما حسان ، واللحمة : فإنما يتولى لهم العقد أحد الزوايا ، ولا يتولونه بأنفسهم ، وإذا لم يكن معهم أحد الزوايا ، أحضروه حتى يتولى ذلك ، وحسان شنقيط

فى هذا ، أرق من بوادى نجد والحجاز ، لأن كيفية العقد عند بوادى الحجاز ونجد غريبة جداً ، ولا يسوغ لنا أن نكتب ما أخذنا خبره منها . أما المهور عندهم : فإنها بحسب عرف القبيلة ، فمن زوايا القبلة من يأخذ نصف المهر ، ويرد للزوج نصفه . أما حسان مطلقاً ، وزوايا آدرار ، والحوض ، وتكانت : فيأخذونه كله ، وأما الجهاز فبحسب العرف .

والوليمة فى أرض شنقيط ، كلها مخالفة للسنة ، سواء فى ذلك الزوايا أهل العلم ، وحسان أهل الجهل ، لأنها عند الكل على ولى المرأة ، قبل البناء ، ولا يدعى لها أحد مطلقاً ، وأكثر الأطعمة ، يأكله الأوباش ، وتحمل منها موائد إلى أقارب الزوج ، وتبقى المرأة فى كل عيد ، تبعث موائد إلى أقارب الزوج ، كما أن نساء أقارب زوجها ، يبعثن بمثل ذلك إليه ، والوليمة فى الشرق ، باقية على الزوج بعد البناء ، ولا ينتقد فيها إلا التكلف المنهى عنه ، المبيح لعدم إجابة الدعوة ، ودعوة الأغنياء دون الفقراء ، فإذا كان أحدهم لين القلب يدعو الفقراء ، ويطعمهم من سؤر الأغنياء .

الكلام على التاريخ فى شنقيط :

السائر فى أرض شنقيط ، إنما هو التاريخ بالأمور المشهورة ، كالحروب والجدوب ، وموت الأعاظم . يقول أهل القبلة مثلاً : كان ذلك سنة غدرة محمد لحبيب ، أو سنة غدرة سيد بن محمد لحبيب ، وفتنة أجله مثلا ، أو سنة ملكى أصرب ملكى ، بمعنى ملتقى ، وأصرب جمع صربة ، بمعنى الوفود التى اجتمعت لعقد الصلح بين التارزة ، ويقولون : كان ذلك سنة شر بنى فلان ، وبنى فلان ، أى حربهم ، أو سنة خير بنى فلان وبنى فلان ، أى صلحهم ، أو سنة أكبيظ الشمس ، أكبيظ : بمعنى قبضها ، أى كسوفها ، وسنة حواطه ، وهى سنون محدبة ، يزعمون أن المطر حبس سبع سنين ، وفنيت المواشى ، وأكل الناس

الجلود ، وهذه اللفظة عربية ، وأصلها تحوط أو تحيط . قال أوس بن حجر ، يرثى فضالة بن كلدة من أبيات :

والحافظ الناس فى تحوط إذا لم يرسلوا تحت عائذ ربعا

ويقول أهل آدرار : سنة غدرة أحمد بن أحمد بن عيد ، وسنة غدرة أحمد ابن أحمد . وسنة الطيحة الفلانية ، وهذه الأخيرة ، مشتركة بينهم كلا ، أى يسمون الغارة طيحة ، ويقول أهل تكانت : سنة غدرة محمد بن أسويد أحمد ، وسنة شر أشراتيت وأبكاك ، وسنة شر إدوعيش ، وأحيى من عثمان ، وهكذا .

ويقول أهل تيرس : سنة النعم الفلانى ، أى الخصب ، وسنة أذريرة وهى سنة أدركنا من يعرف زمنها ، قالوا : إن تيرس مكثت أزمنة كثيرة ، تتوالى عليها الأمطار ، وهى من أجود الأرض فى الإبل ، وإذا وقع فيها الخصب ، تحدث فيها أمور عجيبة ، منها أن الفصيل يركب قبل سنة ، ومنها أن الناقة تلد فى كل سنة . ويحكى أن بعض أهلها ، حدَّث أنه شرب لبن أنثى ، قبل أن تتم سنة ، أو عند تمامها ، وصورة ذلك ، أن الفحل ضربها ، وهى بنت ستة أشهر أوسبعة ، فأسقطت جنينها بعد ثلاثة أشهر أو أربعة ، فعطفوها على فصيل آخر ، فصارت تحلب . وهذا من الأمور الخارقة للعادة ، لأن الأنثى لاتلد غالباً قبل أربع سنين ، فى غير تيرس .

ويحكى أن أهل بارك الله ، وهم أعظم قبيلة فى تيرس ، من الزوايا ، مكثوا أربعين سنة ، لم يروا جنازة قبل هذه السنة ، فصاروا لايقرؤون أحكام الجنائز ، لعدم الاحتياج إلى ذلك . ثم إن الله تعالى سلط بعض القبائل على بعض ، فصاروا يقتتلون ويغير بعضهم على بعض ، ووقع الجدب ، فهربت الناس إلى أرض القبلة ، وأصاب هذا البلاء ، أدرار وأنيشيرى . ويحكى أن أهل تيرس ، صاروا يهربون عن أولادهم .

ومن المسائل التى وقعت إذ ذاك ، أن رجلا يقال له ابن الديك ، كانت عنده امرأة فتعشقها آخر ، يقال له : البخارى ، ففداها منه بمال ، فطلقها . فبينما هو ينتظر انقضاء عدتها ليتزوجها ، وقعت أذريره ، فخرجت تلك المرأة مع نساء هاربات على أقدامهنّ ، فأضربهنّ الجوع ، فوجدن بقراً لمحبوبها ، فذبحت منه تبيعة ، فوفاها محبوبها وكلمها كلاماً عنيفاً ، وهددها بالضرب ، وطلب منها أن تقضى له تبيعته . فقال بعض الأدباء يعتبر بحالها :

أنظر إلى معشوقة البخارى ... وعزها الآثلِ للصّغارِ
كانت لنجل الديك عرساً وهولا ... يبغى بها من النساء بدلا
ففرق البخارِ بالفداء ... بينهما للاعج الأهواء
وكرعا كأسَ الصّبا زمانا ... وكان من أمرهما ماكانا
غَصّ بها المِجْوَلُ والحجالُ ... وطاب منها ذلك المجالُ
وأسْهرَتْ من هجرها الرجالُ ... وأعملت فى وصلها الجمالُ
وأخضرّ جلدها من اللباسِ ... منْ فاخرَات الهند أوْ دُماسِ
وأسْقيتْ خوالصَ الألبانِ ... عَنْ كثْرةٍ والدّهرُ ذو ألوانِ
راحَتْ سعُودُ سَعْدِها أوافلا ... وأنقلبت رياحُها شمائلا
وشامَتِ الخُلّبَ فى أمصارها ... ونعبَ البارحُ عن يسارها
وأثرتْ عُرَى خَوالصِ الادُمْ ... فى جيدها وغيرُ ربى لم يدمْ
ولم تزلْ فى تيلك الحال إلى ... نعوذُ باللهِ منْ أنواع البلا
أن ذبحت بنت لبون من بَقرْ ... عاشقها الذى بها قد اشتهر
فرام أن تَقْضيه فى الحين ... بعد كلام غير مستلين
بل همّ أن يوجعها بضربها ... على خدود كان مفتوناً بها
نفسَ الأريب أنتبهى واعتبرى ... وجددى العبرة أيضاً وأنظرى

بين التلطفِ إلى المعشـــوقِ وســـطوةِ الطالبِ بالحقـوقِ
وبين لمس الجـلدِ باغتبـاطِ وســومه بمؤلم السـياط

هذا ما تذكرت منها ، وأين البخارى هذا ، من جميل حيث يقول :

فلو أرسلت يوماً بثينة تبتغى يميني وإن عـزّتْ علىّ يميني
لأعطيتهـا ما جاء يبغى رسولها وقلت لها بعـد اليمين سلينى
سلينىَ مالى يابُثين فإنما يبينُ عند المال كل ضـنين

ومن كُثَيِّر ، حين مطلت عَزّة عبده ، فى دين له عليها ، فتمثل بقول سيده :

قضى كل ذى دين فوفى غريمه وعزة ممطول معنّى غريمها

فلما علم أنها محبوبة سيده ، قال لها : أنت فى حل ممالى عليك ، فبلغ ذلك كثير ، وقال : أنت حر وما عندك لك ، وقال :

سيهلك فى الدنيـا شفيق عليكم إذا غاله من حادث الدهر غائله
يودُّ بأن يمسى ســـقيما لعلهـا إذا سمعتْ عنـه بشكوى تراسله
ويرتاح للمعروف فى طلب العلى لتحمد يوماً عند عَزّ شمائله

أما الحساب عندهم ، فمنه عربى ، وهو الحساب بالشهور القمرية ، وأسماؤها منه ما أبقوه على أصله ، ومنه ما غيروه ، يقولون : رمضان ، والفطر الأولى والثانى ، فالأول شوّال ، والثانى ذو القعدة والعيد . وفى بعض الأحيان يقولون : عيد اللحم ، احترازاً من عيد الفطر ، وعيد المولد النبوى ، وعاشور ، أى عاشوراء ، وأتبيع : بمعنى صفر ، والمولود : أى المولد : والبيظ الثلاثة ، بمعنى البيض ، وهى ربيع الثانى ، وجمادى الأولى والثانية ، ويقولون : لكصير الأول : ولكصير الثانى مصفران ، بمعنى القصيران ، ولو قال قائل مثلا : صفر والمولد الثانى ، وجماديان ، ورجب وشعبان ، مافهمه إلا من كان من أهل العلم . وأما الأشهر العجمية ، ففى ألفاظها بعض اختلاف عن أهل المشرق ، يقولون :

يناير فبراير إبريل مَى يونى يولى أغشت شتنبر آكتوبر نونبر دجنبر ، ففى يناير ابتداء حراثة شمامه . وفى مارس تأبير النخل . ويكثر الصمغ فيه . وفى يوليه يزهو النخل . وفى أغشت تكثر الأمطار ، وتطوى الحصر التى ينشر عليها التمر . ماعدا مدينة شنقيط . فذلك وقت أكل بلحها .

الكلام على الكتابة فى أرضه شنقيط :

المكاتبة عندهم ، أكثر أحوالها أن لا تكون متكلفة ، إلا إذا كانت فيها تعمية ، كما وقع للمجيدرى ، وكان بمراكش ، فبعث إلى أهله مع شخص : سلهاما أى برنسا وزربية ، وكان غير مطمئن عليهما من جهة حاملهما ، وعادة الكتب عندهم أن لاتكون فى ظروف ، فكتب مع حاملها : « سلام بزيادة لام ماء إلى لامه » وإحدى خبر كأن ، فى قول الشاعر :

* ترديت . . . . * إلى آخر كلامه

فلام سلام ، لامه الهجائى ، ولام ماء ، المراد به لامه وزنا ، فماء أصله موه ، بدليل مياه ، وإذا قرنت لام ماء ، إلى لام سلام ، يصير اللفظ سلهاما ، وأشار بقوله إحدى خبر كأن ، إلى قول الشاعر :

ترديت من ألوان نور كأنها زرابىّ وأنهلت عليك الرواعد

فزرابى فى البيت ، خبر كأن ، وإحدى زرابى : زربية . وقد كتب بعض أدباء تمبكانت ، إلى صديق له يسأله شيئاً من تبغ ، ولا أدرى لفظ كتابه ، ولعله من جنس الجواب وهو :

« أما بعد ، فإن ابن أخت خالتى ، مصاحب لما جلاؤه من اليم ، وما فى حمى الوحاف الصم ، لما يستحقه المغذُّ إلى الملهم » .

المعنى : ابن أخت خالته ، يعنى به نفسه ، لأن أم الإنسان أخت خالته ، وما : بمعنى الذى . وجلاؤه : ظهوره ، واليم : البحر ، يعنى به موسى عليه السلام ، لما ألقاه اليم بالساحل ، وما : الثانية ، بمعنى الذى أيضاً ، والوحاف : الأثافى ،

و يستخفه : يجده خفيفاً ، فيحمله معه . والمعذّ : المسرع ، يعنى أنه ليس عنده من آلة الدخان ، إلا موسى من الحديد ، ليقطع به الجلدة ، التى كانت لباساً لتبغ ، يفعلون ذلك إذا عدموها . فورّى بموسى عليه السلام ، عن موسى الحديد . وما فى حمى الوحاف . هو الفحم ، يخلطونه مع قطع الجلدة المذكورة . فيشربونهما عوضاً عنها . وقد يكتب بعضهم إلى بعض شعراً ، فيجيبه الآخر فى بحره وروبه . على مقتضى شعره . وقد يكون ذلك صادراً عن موجدة . كما تقدم فى هذا الكتاب . مما وقع بين باب بن أحمد بيب العلوى ، وأدبيج الكمايلى ، وكما وقع بين أدبيج المذكور ، ومحنض باب بن اعبيد الديمانى ، و بين محنض باب ، وحرم بن عبد الجليل العلوى ، وكما وقع بين حرم ، وشيخه المختار بن بون الجكنى ، فإن حرم وعد المختار بإرسال شىء من الزرع ، فأبطأ عليه ، فقال المختار :

لك الفضل إن واعدت ياحرم والفضل ولكنما ميقات إنجازك الفصل
فزرعك هذا لم يشخص بخارج ولم يتعلق فيه كيلٌ ولا أكلُ

فأجابه حرم بقوله :

هنيئاً لشيخى قوله فىّ والفعلُ وما نال من عرضى وزرعى له حل
فلا تك عون الدهر ياشيخُ إنه لأبنائه فى مقتضى صرفه شغل
يعوق فتهجو من يعوق بصرفه ولو أنه ماشاب أخلاقه بخل
و إنى امرؤ عن هفوة الشيخ إن هفا صفوحٌ على أنى لما قاله أهل

وكتب غالى بن المختار قال البستانى ، إلى حرم المذكور ، وكان غالى حسن الخط :

من كاتب الخط منشيه وكاتبه لحائز المجد عن ارث وكاسبه
محمد حرمةِ الله الذى سَحَقَتْ ذُكاه حِكمتِه ظُلْما غَياهبه
أزكى سلام وأنماهُ وأطيبه ما يسترَتْ عُسْرَةً جَدوى مواهبه

فأجابه حرم :

رَدُّ السلام إذا أكدى محاوله فكيف يحسنُ إجلالا لجالبه

سلام غالى على مايستحق به غداهُ مِنْ ربنا أسنى مواهبه
لو كان كاتبَ لا شلّتْ أناملُه رهط أبنِ مقلة لم يفخر بكاتبه

القضاء فى شنقيط :

إن القاضى فى شنقيط ، الأغلب فيه : أن لا يكون مُولى من أحد ، وإنما كيفية توليه ، أن يشتهر بمعرفة الأحكام ، وقد يولى أحد أمراء حسان قاضياً ، ويكون ملازماً له . ولكن الأغلب ، أن هذا لا يذهب إليه إلا فى المسائل ذات الشأن ، كما إذا وقع قتل لينفذ الحكم . ومن أدركناه من هؤلاء الأمراء ، إذا حكم فى قتل لا ينفذ القصاص ، بل يبقى يرتشى ويطاول التنفيذ ، وربما أوعز إلى قاضيه بأن يحكم بما يهوى هو ، أى الأمير . فلذلك لا يتفق عليه الخصمان . وأحسن من أدركنا من رؤساء حسان : أحمد بن أحمد بن عيد ، فإنه على مايقال لا يريد من القاضى ، إلا إظهار الحق ، ويناظر العلماء لذلك . وليس للقضية رسوم تدفع عند رفعها ، ولا للقاضى شىء سوى تعبه ، ولا يرضى إذا كان ورعاً ، أن يخلو بأحد الخصمين دون الآخر ، وهذا هو الأغلب . وقد قال السالك بن باب العلوى ، حفظه الله ، فى صفة بعض أهل العصر ، وإن كان ظاهره التعميم . فمراده الخصوص :

قضاة العصر طراً جائرونا وعن نهج الحقيقة مائلونا
تراهم كاتبين لمن أتاهم ولم يخشوا كراماً كاتبينا

وكل من يخالف شخصاً فى مسألة ، يراه مخطئاً ، إلا أنه إذا كان ذلك خال من الأغراض والتعصب ، لا يقدح . وإذا اختلف المتنازعان فى شنقيط ، يتفقان على من شاء من أهل العلم . فإذا ألقيا حجتهما ، طالب المدعى بالشهود ، ولا تقبل شهادة إلا من علمتْ عدالته عند القاضى ، أو زكاه مبرزان مشهوران بالدين والورع ثم يمدر المدعى عليه فى الشهود ، وهم فى هذه النقطة ، أرقى ممن رأينا من

غيرهم . فإذا حكم القاضى : فإن الحكم نافذ بنفسه ، لا يقدر المحكوم عليه أن يمتنع ، إلا إذا أوعز إليه أحد العلماء ، فإن ذلك الحكم غير صحيح ، فإنه يطلب نقضه ، وربما مكثت القضية بهذا سنين حتى يتفق رأى العلماء فيها .

البيع والشراء فى شنقيط :

أما كيفية البيع فى الزوايا : فإنها على الشريعة . وإذا ظهر فيها مايخالف مذهب الفقهاء ، يقال : هـذا بيع فاسد ، فيفسخ بعد فتوى أحد العلماء بذلك . وأما حسان : فأغلب عقودهم فاسد ، كما وصف به ابن الشيخ سيدى أبناء دليم ، فى قصيدته المتقدمة ، لمّا كان يشكو مقامه بين أظهرهم ، فقال :

سكناه بين أناس جل عقدهم بيع الملاقح أو بيع المضامين

وقد تقع حروب قلمية بين العلماء فى هذا الشأن ، كل يؤيد أقواله ، وقد مضى فى هذا الكتاب ، مايدل على ذلك .

مابقى من الشريعة فى شنقيط وما ذهب أثره :

الزوايا لم يفتهم من الشريعة إلا القصاص ، فإنه ذهب بالفعل ، إلا أن القتل فيهم نادر جداً . لكن إذا وقع ، يصعب الانقياد فيه إلى القود . فإما أن يتفقوا على دية ، وإما أن يتحاربوا ، وكل المسائل الشرعية فيهم قائمة غير هذا .

وأما حسان ، وأكثر اللحمة : فلا يهابون بيعاً فاسداً ، ويشهدون الزور ، ولا يبالون بالأيمان الكاذبة ، ولا يقيمون حداً من حدود الله ، ولا ترث الأنثى عندهم ، ولا يتقون مال اليتيم . فإذا بلغ يقولون : مال هـذا حرام . يعنون أنه لا يقبل أكله . وكثير من علماء الزوايا : يرى أن أموال حسان غير معصومة ، لأن الكفارات استغرقتها ، سواء فى ذلك حسان ، واللحمة . وتزيد حسان ، بأن جميع ماتملك ، مأخوذ من النهب والغصب والمكس . فلذلك تراهم لا يكفنون موتاهم فيما يملكون ، بل يسألون الكفن لأحد الزوايا .

الحيوان فى شنقيط :

ينقسم الحيوان فى شنقيط : إلى أهلى ووحشى ، والبلاد تتفق فى أغلبيته . وقد يوجد فى بعضها ، نوع خاص به . ففى آدرار ، من الأهلية : الخيل ، والإبل والبقر والحمير والغنم . أما الخيل : فتنقسم إلى عتاق وإلى غيرها ، وتسمى العتاق لِحْرَايرْ ، أى الحرائر . ويقولون : هذا الفرس من المدرك الفلانى ، كاغزالات والكشريات وغيرها . فاغزالات لأهل عيدّه ، أمراء آدرار . وما يوجد عند غيرهم من حسان ، إنما يهدونه إياهم .

وأما خيل تكانت : فتكثر فيها العتاق ، وهى مدارك أيضاً ، أى أصول كآدفينيعات ، والكشريات ، وأغزالات وغيرها . وقد يتولد الفرس بين العتاق وغيرها . فتحسن صورته ، ويقرب من العتاق فى أوصافه الحميدة ، إلا أن حسان لا يلبس عليهم بالصريح المحض ، ويسمون هذا النوع : حرطانياً . وحرطانية ، أى معتق ، أو معتقة . سموه بإسم الإنسان المعتق عندهم ، وتكثر العتاق فى الحوض ، عند أولاد الناصر ومشظوف والأغلال . وامتازت أرض شنقيط ، بأن الخيل لا يحمل عليها الأمتعة ، سواء كانت عتاقاً ، أو براذين .

أما الترارزة : فالخيل العتاق عندهم قليلة ، وأرضهم ليست كآدرار وتكانت والحوض ، فى مطابقة هواها للخيل ، ويكثر فيها بارُوشْ ، وهو مرض يقتل الخيل فى شهر اكتوبر ، يقال : إن منشأه ريح هذا الشهر . ويوجد فى غير أرضهم أيضاً ، وهو أكثر آفات الخيل ، وأشهر مدارك الترارزة السبعيات .

صفة الخيل العتاق فى شنقيط :

من كانت عنده فرس حرة ، أو فرسان ، يرى أنه غنى ، ويوجد من أولاد الشيخ سيدى المختار الكنتى ، من كان يملك مبلغاً منها وفيراً ، ويقل من يقدر على شراء فرس حرة كلها ، لكثرة ثمنها ، إذ فيها من يقوم بمائة ناقة ، والأكثر

أن يبيع أحدهم ربع فرس أو ثمنها مع رسنها ، أى بشرط أن تبقى عند المشترى ، حتى يكون لها من النسل ، ما يحمل القسمة ، وهذا إنما يكون فى حسان ، لأن الخيل فى الزوايا قليلة ، وتقدم وصف عقود حسان

وسبب مغالاتهم فى الخيل العتاق ، سرعتها وصبرها ، فقد بلغنا أن سيد أحمد بن إبراهيم اخليل التروزى ، كان عند أحمد بن عيدّ ، رئيس أحيىٰ من عثمان ، زارك ، أى منفياً من رئيسه محمد لحبيب ، فبلغه أن إبلاً له أغار عليها بنو دليم من بعيد ، فركبت فرسانه على خيله العتاق ، فتبعهم ابن إبراهيم أخليل المذكور ، ولحق بأبناء دليم ، فقاتلوه دون الإبل ، فقتل منهم ستة ، كل مرة يرمى عليهم فرسه ، فيقتل اثنين ، ويركضها حتى يجعل فى مدفعه ، أى بندقيته الرصاص والبارود ، ثم يعود كذلك ، حتى تركوا له الإبل ، فجعل يسوقه حتى وافته الخيل ، فتركهم يسوقونها ، ورجع قبل ظهر اليوم الذى خرج صبيحته ، وكان لحق بالمغيرين على بعد سبعة أيام ، وهذا غريب جداً ، ومن هذا القبيل ، ما وقع ليوسف بن لكليب أحَدُ إيكاون أحمد سالم بن محمد لحبيب ، وكان أحمد سالم المذكور ، نازلاً فى أكان ، مع من معه من التارزة ، بعد أن هزمه أخوه أعل بن محمد لحبيب ، فبعث يوسف المذكور على فرسه أغزاله شوفا ، أى طليعة . فذهب صباحا ، وطاف بعدوه فى بلاد يقال لها : أدخل . وهى مسيرة أيام من الموضع الذى توجه منه ، ثم رجع قبل الظهر ، وجعل يدور على أصحابه فى منازلهم ، وجعلت الفرس تأكل علفها ، فتعجب الناس أيهما أقوى . وأما البغال ، فلا توجد فى تلك البلاد .

السباع فى شنقيط :

إن آدرار أقلها سباعاً ، ولا يوجد فيه إلا الذئب والضبع ، ولا يأكلان غير الغنم ، بخلاف الذئب فى أرض الحجاز ونجد . فإنه يأكل بنى آدم ، وكذلك الضبع فى أرض سوس .

أما تـكانت : ففيها الأسود والدببة والضباع والذئاب ، لـكثرة مياهها ، وموضع السباع منها ، إنما هو تامورت انعاج ، وجانبها الشرقيُّ ، وفيها الفهود ، ودبيتها آفة على الإبل .

وأما الرقيبة : فأكثر البلاد فيلة وأسوداً ودببة ، وكل السباع فيها .

وأما آوكار من أرض القبلة : فلا يوجد فيه غير الذئاب والضباع ، وقد توجد كلاب الخلاء ، وهى كلاب فى القفار متوحشة ، تأكل بنى آدم ، وتخاف من رغاء الإبل ، كما يخاف الضبع منه ، فى أرض الفرس والأفغان .

وأما آتـكور ، وما يليه من أرض العقل ، فتوجد فيه الدببة والذئاب والضباع . أما الذئاب والضبع ، فلا يتعرضان لغير الغنم . وأما الدب فيأكل البقر والغنم والحمير ، ولا يتعرض للإبل .

وأما إكيدى ، فإن الدب فيه يأكل الإبل ، كما تقدم .

وأما شمامه ، وأدخل : ففيها السباع والنمور والفهود ، والنوع المسمى بِكَلْنكى ، وهو أشرها كما يقال ، وبعده النمر ، ثم السبع ، وهو أقلها مضرة لبنى آدم .

أما الإبل : فأرضها التى لاتساويها أرض ، فهى تيرس . ودواؤها الذى يستأصلها فيها ، إنما هو الجرب . ولا يوجد فى الأرض مرض الذباب المعروف : بتابريت . والخبيرون بهذا الداء ، يعرفونه باستنشاق بولها ، فيبيلها أحدهم على زنده ، ثم يشمه إذا يبس ، وهى كثيرة فى تلك البلاد ، ولا يفنيها إلا داء الذباب أو الجرب .

أما البقر : فيـكثر فى أرض القبلة وتـكانت والحوض واركيبه ، وأقل البلاد بقراً آدرار ، لـكثرة جدو به ، وهو عندهم على خلقة بقر الحجاز ، ولا يوجد فى تلك البلاد ، الجاموس . وقد يقولون للبقرة ، إذا كانت لاسنام لها جاموسة ، وهو غلط ، لأن الجاموس نوع قائم بنفسه لا يشتبه بغيره .

وأما الغنم عندهم : فلا إليات لها ، كما يوجد فى غنم المشرق ، وقد يصفون

هذه الغنم ، أعنى التى فى المشرق ، ويقولون : إنها من نسل غنم نبى الله شعيب عليه السلام .

وأما الحيوان البرى : فيختلف باختلاف البلدان . أما أرض آدرار : فتكثر فيها الآرام ، ويسمونها الأمهار ، وواحدها مهر ، وفيها الغزال بنوعيه ، فكبيره الأسمر ، يسمونه: الدامى ، والصغير الذى فيه صفرة يسمونه : لِغْزَالْ . وهذه الأنواع توجد فى تكانت بكثرة ، وفى آوكار من أرض القبلة ، حتى يتصل بأرض العقل ، فتنقطع الآرام ، وفيه نوع يسمى : شاتْ أَمْلْ ، أى النمل . وهذا النوع لايخرج نهاراً . وإنما يبقى فى مكامنه ، ثم يخرج ليلاً ويضع ذنبه فى قرية النمل ، حتى يلصق فيه فيأكله ، وقد شاهدت آثاره على القرية كثيراً يتبطح عليها ويجر ذنبه . أما المهى : فأرضه أدافر ويسمونه : لِمْهَ . وواحدته أَمْهايَهْ ، أى مهاة .

وأما الجنس المعروف بأَجَمْلْ وآركيم وحمار الوحش ، الموجود فى بوادى نجد : فإن هذه الأجناس فى أركيبه بكثرة .

أما النعام : فإنه يوجد فى أرض الحوض وأدافر بكثرة ، ولعله يوجد فى نواحى آدرار فى بعض الأحيان ، وقد تطرده حسان فى أيام الصيف يضمرون له الخيل ، ويتجرون بريشه ، ويسمون ذكره : ظليم ، وأنثاه :النعامة .

الحيات فى شنقيط :

الحيات كثيرة فى ذلك القطر كله ، وأكثره تكانت ، وقد ذكر العلامة سيدى عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوى ، أن سرى الراجل فى تكانت حرام ، لما فيه من التعرض للمهالك ، ثم إن الحيات متفاوتة فى المضرة فمنها : إلفاعْ . أى الأفعى . وقد يقولون له : الفاع الأركَطْ ، أى الأرقط ، وهو خبيث منكر . ومنها : كيشكاشه وهى ضرب من الأفاعى ، تحك بعض جلدها ببعض ، إذا آنست الإنسان ، فيسمع لها صوتا مزعجاً ، فإذا سمعه وثب فاراً . وهى التى شبه

الأعرابى صوت شخب ناقته بصوتها ، حيث يقول :

كأن صوتَ شَخْبِهَا المُرفَضِّ كشيشُ أفعيٍ أجمعت للعض

فهى تحك بعضها ببعض

وهذا التشبيه ، فى غاية الحسن ، خصوصاً إذا كانت الناقة كثيرة اللبن ، واسعة مجرى اللبن من الخلف ، ومنها (كُرْجَمَهْ) وهى حية عظيمة ، لا تـكون إلا فى محل فيه البحور غالباً ، وقد تـكون فى محل فيه شجر (إفَرْشِ) هو الآراك الذى تستجاد مساويكه ، وهـذه الحية ، رأيت حية تشبهها فى حديقة مصر المخصوصة بالحيوانات ، إلا أن التى بمصر أصغر ، والأغلب أنها من جنسها ، وهى لاتعض ، وإنما تلتوى على الإنسان فتقطعه نصفين ، إن التوت على نصفه ، و إن التوت على ساقه ، قطعتها وحدها ، هكذا يقولون . ومن العجائب أن السودان يأكلونها ، ورأيت عندهم سيوراً من جلدها ، يجعلونها تـكة للسراويل .

أما العقارب ، فإنها كثيرة جداً ، ولـكنها لاتقتل من لسعته ، والنـاس يزعمون أن من لسعته ، وركب حماراً ، وجعل وجهه إلى ذنبه يبرأ ، وقد جربت هذا فوجدته كذباً ، وأصدق ماقيل فيهـا ، أن من لسعته لايشتفى إلا بعد أن يمكث أربعاً وعشرين ساعة يصيح ، ولا يداويه غير ذلك ، وهذا عندى صواب ، كما جربته فى نفسى ، وقد يعملون للصبيان ترياقاً ينفعهم فى لسعها ، وهو أن يذبحوها وهى حية ، فيقطعوا الأنبوبة التى تلى ذنبها ، والتى فيها الشوكة فيرموها ، ثم يأخذوا الثلاث الباقية ، فيحرقونها بالنار ، حتى تستوى ، فيجعلونها فى شىء يزدرده الصبى ، فيمكث مدة لا يؤثر فيه لسعها ، وهذا صحيح مجرب . ومنها نوع يقال له (بُنَيْنه) وهو حنش فيه نقط سود ، وأكثر لونه يميل إلى الصفرة ، يثن إذا أراد أن يعض الإنسان . و يقال إنه ينقلب على ظهره قبل اللسع (كَيْرُوَه) : هى أشرحيات تلك البـلاد ، وهى حنش ضخم أصفر ، وعلى جلده قشور ، وله ظفر فى ذنبه ، وما رأيته فى تـكنات ، ولـكن لاتخلو . ه أرض ، إذا كانت تنبت

شجر آفرنان ، وهو كثير فى أرض تـكانت ، وهذه لاتنفع فيها الرقاة غالباً ، ولا يعيش من لسعته ، أكثر من ساعة أو ساعتين ، وقد رأيت رجلا من قبيلة إدوعل إسمه : الفغ بن إنجاى يرقيها ، وقد ثبت عندى أنه رقاها وعاش صاحبها ، والحـكمة التى عنده لاتوجد عند غيره ، وقد تلقاها عن رجل من لـكوَرْ ، (أى السودان) ومن عجيب أمر هذا الرجل ، أنه يتخطى الملسوع ، فيشفى من غير أن يمسه ، ومنها :

(صوّاع البجوان) وهو حية ، تطرد راكب الجمل فتثب عليه ، والجمل يجرى به فيلسعه فيموت . ومن عجيب ماشاهدت ، أنى كنت يوماً أمشى فى محل خال ، فرأيت حية تقصدنى من الجهة التى أذهب إليها ، فالتفت راجعاً أريد الفرار ، وأنا مذعور ، فقبل أن أرفع رجلى من الأرض ، تثنت على ساقى ، فنفضتها على الأرض ، وعدوت عدواً شديداً متحققاً أنها لسعتنى ، فلما سكن جأشى ، وجدتها لم تصبنى بأذى ، والله المحمود على ذلك .

الـكلام على المرصه والصحة فى شنقيط :

أرضه متفاوتة فى الأمرين ، وفيها أمراض تختص بجهات مخصوصة . فمن أقلها أمراضاً تيرس ، فإنها لاتعرف توجاط الآتى بيانها ، وأكثر أمراضها ، مرض يسمونه بلعام ، وهـذا المرض ينشأ من شرب المـاء الملح ، وصفته أن تعترى الشخص حرارة زائدة فى ظاهره و باطنه ، بأن يبقى فى الظل نهاراً ، وفى الهواء ليلاً ، و يكثر أكله إلى حد يقرب على الإنسان أن لا يصدقه ، ولولا أنى شاهدته لم أكتب عنه ، وأظن أن القارىء ، ربما ظننى مبالغاً ، ولـكن ليس الخبر كالعيان ، فإنى أعرف رجـلاً من أقل الناس أكلا ، وقد أخذه هذا الداء ، واجتمعت به فى أثنائه ، وكانت بيننا علاقة لايمكننى معها أن تفوتنى حقيقته ، فقد رأيته ، و بجانبه آنية ملأى من اللبن المذوق بالمـاء ، وكثير من لحم البقر

المشوى شيأ خفيفاً ، بحيث أنه بقى أحمر يقطر وسطه من الدم ، و يجنبه شيء من السكر وشيء من الدخن ، يتناول من هذا وهذا ، لا يفتر الليل ولا النهار . وأخبرنى بعض الناس ، أنه رأى بعض من أخذه هذا المرض ، يصيح و يبكى إذا مكث نحو ساعة ، أو نصف ، من غير أن يأكل شيئاً . وقد شاهدت صديقاً لى آخر بهذه الصفة المتقدمة ، و إذا غلبه الإنسان بكثرة الأكل ، ينصرف عنه فى مدة يسيرة ، والناس يقولون : إن صاحبه يبتلع اللحمة الحمراء تقطر من الدم ، فيزدردها فيسمع صوتها فى جوفه ، كصوتها إذا وضعت على الجر ، وهذا المرض يصل إلى غير تيرس ، ولكن الأغلب عليه ، أن لا يصيب إلا من كان مقيما فيها ، ومنها :

(السِلّ) و يسمونه السِّعْلة ، وهذا لا تنفع فيه الأطباء غالباً ، و يزعمون أن أحمد المقرى العلوى ، داواه من شخص ، بأن عمل له دواء قوياً ، فتقيأ دودة كانت فى رئته تأكلها ، و إذا كان هذا المرض ، يتولد من قروح تحدث فى الرئة ، تكون هذه المسألة غير صحيحة ، ولكن بعض الأطباء ، يخفف هذا الداء فيعيش صاحبه كثيراً ، و يقولون لصاحبه : فيه جائفة ، والناس فى تلك البلاد يتجنبون صاحبه ، و يقولون إنه يعدى ، و يزعمون أنه سر : أى يتوارث من أسلاف الشخص ، و يسمونه مرض الشهداء . ومما يعالجون به صاحبه التيشطار ، وهو قديد البقر ، وليس هو القديد ، الموجود فى أرض الترك ، بل ما فى الصحراء أجود ، وهو أن يذبحوا البقر أو ينحروا الناقة ، فيرققوا لحمها مبلولاً . ثم يجعلون عليه مايقيه الشمس ، حتى إذا جف ، قطعوه قطعاً صغيرة ، ثم ينشرونه حتى ييبس ، فيأدمونه بالودك أو بالسمن . ولا يصلح لصاحب هذا المرض شرب الماء ، بل يشرب الشنين ، وهو المخيض المخلوط بالماء . ولا يزيد فى اليوم الحار على شربتين . ولا يصلح له الشراب ليلا ، نجانا الله منه .

(إكْنِد) « بهمزة مكسورة وكاف معقودة مكسورة ونون ساكنة ودال مكسورة » مرض يتولد من أكل الحامض جداً . أو الشيء المر ، تصفر عينا صاحبه ووجهه . وتصيب ثمه المرارة ومن أنجع الدواء فيه ، العيش البائت . ومعنى

العيش ، العصيدة . وتكون هذه العصيدة من البشنه . أى الدخن . ويصب عليها حليب البقر . وصاحبه ينال كمال الصحة ، بعد الشفاء منه . ومن أدواء أرض شنقيط :

(بُرُوتُ) وهو عرق يضرب الإنسان فى ساقه ، أو فخذه . فإذا نزعه الطبيب من غير أن يقطع فيه . قام منه كأن لم تكن به قَلَبَةٌ . وإذا انقطع فيه يقيمه ، وربما صار صاحبه أعرج ، وهذا كثير بتكانت وآدرار ، والناس يقولون : إنه يأتى إليهما من السودان ، ورأيته فى تيجكجه ، يصيب من لم يرهم قط ، ولا يوجد فى أرض القبلة ولا آوكار .

(لِمْحَسْ) هذا مرض كثير فى أرض القبلة ، ويقال له ذات الجنب ، وهو مرض يحدث من البرد ، وأكثر ما يكون فى فصل الشتاء ، وأكثر أوقاته يناير وفبراير ، وهو فى أرض العقل وشمامه وأدخل وآوكَيْرَه كثير ، وقد يكون فى إكيدِ ، وهو فى أظهر وأنوللان وما يليهما من شمامه ، أقل مما تقدم ، ووقوعه فى زمن الربيع والصيف ، أقل منه فى زمن الشتاء ، إلا أن برأه فى زمن الشتاء ، أكثر منه فيهما .

(أَلرَمَدْ) هذا المرض كثير ولكنه لاضرر فيه .

(إشكيكه) هى الشقيقة ، وهى مرض كثير ، يصيب الإنسان فى صفحة وجهه ، وربما عجز عن السجود إلا بالايماء . ودواءه ابن يغلى على النار ، ويجعل فيه شىء من الدهن ولِحْرُورْ ، وهو الفلفل عند المشارقة .

(تَوْجاطْ) هذه اللفظة ، علم على الحمى ، التى تكون فى الخريف ، المسمى عندهم بتوجى ، وهى حمى حارة شديدة جداً ، ويصحبها صداع مثلها ، وصاحبها يهجر المطعم ، وإذا اعترت الشخص يكثر قيئه ، وتضعف قواه . وقد تأخذ أهل البيت كلهم ، وموت صاحبها منها قليل جداً ، وأكثر من تعتريه أهل القبلة واركيبه وتكانت ، وإذا شفى صاحبها ، ينفعه لحم الغنم .

الكلام على السحر في شنقيط :

أنتشر السحر فى عبيد أهل المدن من شنقيط ، وفشا حتى إن العبد صار فى تجحكه ، إذا ضربه سيده أو غيره ، لايلبث إلا يوم أو يومين ، فيقع رأسه على الوسادة ، فيموت عاجلاً ، والناس يقولون : إن العبد الساحر ينظر إلى رئة الإنسان ، وإنه إذا أراد أن يسحره ينزع قلبه ، لكن لا يأخذه إلا إذا لاصقه أو لاصق ظله ، ويزعمون أنه إذا أخذ قلب الشخص ، يواريه فى الرماد ، فينقلب كبشاً بعد مدة قليلة ، وأن المسحور لايموت مالم يذبح ذلك الكبش ، وهـذا لابد أن يكون خرافة ، أما الذى لاشك فيه ، فهو أن العبد يأخذ قلب الشخص ، ومتى وضع يده على صدره ، ليداويه إذا أتاه أهل المسحور ، بعد أن يهددوه بالقتل ، يقم كأنما نشط من عقال ، وإذا قتل الساحر ، قبـل موت المسحور ، يقوم فى الحال ، كأنما نشط من عقال ، وسبب فشو السحر فى عبيد أهل شنقيط ، كثرة العبيد المستجلبة من بنباره ، وهم جنس من السودان ، والسحر فيهم حائد عن القياس .

ولما ظهر أهل تيجحكه على ماانتشر فى عبيدهم من السحر ، تفـكروا فى قتلهم كلهم ، فمنعهم من ذلك ، أن النخل لا يقدر على معاناة شؤونه غيرهم ، فأتوا برجل من السودان ، يقال له شيرنه (بشين فارسية) وبذلوا له مالا كثيراً ، فى أن ينزع مافى صدور أولئك العبيد من السحر ، فقال لهم : وآية معرفتهم أنى أحرق شيئاً عندى ، فإذا انتشر دخانه ، يأتى إلى كل ساحر فى ذلك البلد ، فأوقد بخوره ذلك فأتى كثير من العبيد ، الذين ما كان يظن بهم ذلك ، فلما عرفهم ، صار يسقيهم علاجاً عنده فيتقيؤن ، فزعم أنهم تقيؤا مايعلمون من السحر ، فأخـذ أموالا كثيرة ، فبان أن السحر بقى فى العبيد على حاله ، فصارت الناس تقتل كل من اتهموه بأنه سحر أحداً ، فقل جداً ، وأكثر مايحملهم على قتـل الناس على مايقال ، إنما هو شدة شهوة اللحم والجوع والغيظ من المسحور ، وهو كثير فى تجحكه وأطار وأوجفت .

الكلام على أمثال أهل شنقيط :

(إلّ بَكّاهْ عُودُ لا أسَكتْ) : إلّ عندهم بمعنى الذى . واشتقاقها من العربية غير بعيد ، لأن أل التى بمعنى الذى توافقها خطا ، إلا أن تلك ساكنة اللام . وصلتها صفة صريحة فى الغالب . وتكتب متصلة بما بعدها . وأما هذه ، فإن همزها مكسور ، ولامها مشدد مكسور أيضاً ، ولا يشترط فى صلتها شىء عندهم . العود : معروف ومن عادة أهل شنقيط إذا قسموا شيئاً ، أن يقترعوا عليه بالعيدان . والمعنى أن من غاظه ماوقعت قرعته عليه ، لا أسكته الله .

(إلّ أبْلا أنفع يندفَعْ) : معنى ألفاظه ظاهرة . يضربونه عند مباعدة من لا خير فيه .

(إلَ إنْشكرِتْ لكْ أبْلادْ رَتّعْ أبْلادَكْ) : انشكرت بمعنى شكرت ، أى إذا وصفت لك بلاد غير بلادك بأنها مخصبة ، فلا يزهدك ذلك فى بلادك ، فإنها أليق بك .

(إلّ أذهَبْ بالخير ماذْهَبْ) : هذا يوافق بيت الحطيئة :

من يفعل الخير لايعدم جوازيه لايذهب العرف بين الله والناس

المعنى أن فعل الخير لايضيع ، فإما أن يكافأ عليه من ناله ، وإلا فإن الله يجزى به خيراً ، يضربونه فى الحث على فعل الجميل .

(إلّ أخُوتُ فى الغزّ مايبتطْ إفليخيامْ) : أخوت بمعنى إخوته ، والغز بمعنى الجيش الغازى ، ومايبتط بمعنى مايضرب ، وخيام جمع خيمة ، ومعناه أن من علم أن له أنصاراً ، ولو كانوا غائبين ، يمنعه ذلك من ظلم الناس له .

(الأمْ مأمُونه لو كانتْ كابونهْ) : الأم بتسكين الميم ، بمعنى الأم . وكابونه (بكاف معقودة مفتوحة ، وبعدها ألف وباء مضمومة بعدها ، واو ونون) هى

أنثى الدبيه ويقال لمذكرها كابُونْ ، ومعناه أن الأم مأمونة على إبنها ، ولو كانت شريرة فى نفسها .

(إلّ أحَنْ مِنْ لُمْ كَهّانْ) أحن بمعنى أرأف ، والكهان عندهم ، هو الذى يظهر وداً كاذبا . ومعناه أن من أظهر أنه أرق من أم الشخص عليه ، فهو كاذب .

(إلّ أفكرْشْ لِعْظام ماأيْرَادسْ) : إرادس ، أى يرافس برجليه ، لأن المرافس له يردسه ، أى يرفسه برجله على كرشه ، فيقتله للعظم الموجود فى كرشه . ومعناه : أن من فيه المعايب ، لا ينبغى له أن يعيب الناس .

(إلّ أفِلكْدَحْ أتْرَاهُ لِيدْ) : لكدح بمعنى القدح ، الذى يؤكل فيه . وأتراه بمعنى تعلم حقيقته . وليد بمعنى اليد . يضربونه عند المبالغة فى ذكر ماستعلم حقيقته .

(إبَرّكْ أسْبعْ فى الغابهْ) . إبرك أسبع ، أى يقدر أنه بارك ، والغابة الشجر الملتف . يضربونه لمن يقدر المخاوف فى كل شىء ، من غير دليل عليها .

(إبلْ أنْيَرْزِيكْ) : إبلْ (بسكون الباء واللام) بمعنى إبل ، وإنيرزيك (بهمزة مكسورة ونون ساكنة ومثناة تحتيه مفتوحة وراء ساكنة وزاى مكسورة بعدها ياء ساكنة وكاف معقودة ساكنة) قبيلة ، ليسوا كرماء ، فيعطوا إبلهم ، ولا أهل حبن ، فيتركوها لمن أراد أخذها عنوة يضربونه فى الشىء الذى لامطمع لأحد فيه .

(إلّ أخط النّصْ يبك يطّمَصْ) : النص هو نص المسألة من المتن ، واخط أى لم يصادف ، ويطمص بمعنى لايهتدى إلى صواب . يضربونه لمن يطلب الشىء من غير معرفة لمظانه .

(إلّ أدَوّرْ عَكْلُ ما أيْخيبْ لا ايْدَورْ ال ما يصيبْ) : إل ادور ، بمعنى من أراد ، وعكل بمعنى عقله ، ومعنى ما ايخيب : أى لا يخيب قصده ، ومعنى لا ايدورال ماايصيب : أى لايطلب ما يستحيل إعطاؤه له . ويوافق هذا قولهم :

إذا أردت أن تطاع ، فسل ما يستطاع . منه قول المتنبي :

* إذا عظم المطلوب قل المساعد *

(إتهاب الذيبْ عن سَرحِتْ لِغنمْ) إتهاب الذيب : بمعنى تأبيه . وسرحت لغنم : بمعنى رعيها . يضربونه لمن يظهر التأبي عما هو راغب فيه .

(إلبِلْ ماتواس العيبْ الّ ايوَاسيهْ صاحبها) : البل بمعنى الإبل . وماتواس ماتفعل . ومعناه : أن الإبل لاتفعل عيباً ، وإنما يفعله مالكها . وذلك إذا سأل أحد من أحد جملا يركبه . فقال له إنه لايقدر على السير لهزاله .

(إلى جَ لِمياطْ مِنْ شوْرْ الكُدْىَ لِهرُوب اينْ) : لمياط بمعنى الصياح ، وعبارة القاموس : والتمياط الجلبة والصياح ، أو صياح الأشر . ومن شور : بمعنى من جهة . والكدى بمعنى الكدية بالهاء . ولهروب : الهرب ، وأين : بمعنى إلى ، أى جهة . يضربونه عند مجيء الخوف من الجهة التى يلجأ إليها .

(إلّ حَدّ حَدْرَاصُ يُوغِدْ إلى يغلبُهْ) : معناه : من لا يتجاوز نفع نفسه . يوغد : أى يذهب . وإلى يغلب : بمعنى إلى أن يغلبه . ورأص : بمعنى رأس . يضربونه لمن لاينفع غير نفسه ، بأنه سيعجز عنها .

(إلّ سَبْكْكْ كَبْرَكْ وال عَكْبكْ كَثْرُكْ) : سبكك بمعنى بدأ بك . وكبرك : جعلك كبير القدر . وال عكبك بمعنى من أخرك . وكثرك : أعطاك أكثر مما قبلك ، أى من ناولك الشرب أنت الأول ، فقد عظمك . ومن أخرك فقد كثرك ، لأن الأول لاينبغى له أن يستوفى حصته ، للمنزلة التى نالها ، فيكثر نصيب الباقى .

(إلّ اسْرَخ لكْ دَوّرْلُهْ) أسرح لك : بمعنى رعى لك مواشيك . ودور له : بمعنى أطلب له ضالته . يضربونه فى مقابلة الإحسان بالإحسان . والطراح التعاظم على من يرغب فى مودة الشخص .

(أدْبْ أرْصاصْ ماأيوَلّ) : أدب أرصاص : بمعنى رياضته . وما أيول

ما يرجع من ولى ، أى رجع . يضربونه لمن قهر الشخص وغلبه فى الحرب ، فإن المغلوب لا يتجاسر عليه أبداً .

(إلّ دايرْ لِمْهابَ يَشريها) : إل داير ، بمعنى من يريد . لمهاب : بمعنى مهابة الناس له . المعنى : إن من أراد أن تهابه الناس ، يشترى المهابة منهم ، بأن لا يفعل ما يكدرهم ليهابوه .

(إدْخُلْ بيْنْ لخَوتْ يظايكْ أعْليكْ) : لخوت : بمعنى الإخوة . ويظايك : أى يتضافرون عليك . يضربونه لمن أراد أن ينصر أحد الأقارب على الآخر ، فإنه إن انتصر لأحدهما وضايقه ، يعنه عليه الذى آزره على أخيه ، وهذا يقرب منه قولهم : لا يملك مولاً لمولى نصراً .

(إلى رَيْتْ أجْمَلْ ينباع أفلحمار فاعرف إن لحمارا خير مِنْهُ) .

إلى : بمعنى إذا . وريتْ : لغة فى رأيت . قال عمر بن أبى ربيعة :

صاح هل ريت أو سمعت براع رد فى الضرع ما قرى فى الحِلاب

إلا أنها فى البيت مفتوحة ، وفى المثل ساكنة . المعنى : إذا رأيت الشىء الثمين فى الأصل ، يباع بالشىء الساقط ، فاعلم أن ذلك الخسيس ، خير منه ، لعلة جعلت صاحبه يبيعه فيه .

(إشُوفْ الشيخ المْتكِ الماشاف أفكْراش الواكْفْ) إشُوفْ : بمعنى يرى . والشيخ « بكسر الشين » بمعنى الشيخ بفتحها ، وهو الكبير . وأفكراش : بمعنى الشاب ، وهي عامية محضة ، والواكف : بمعنى الواقف . والمتك : بمعنى المتكىء . يضربونه فى أن الشيخ يرى فى حال ضجعته من حقائق الأمور ، ما لا يراه الشاب القائم ، لأنه أعقل منه .

(إلّ صابْ شَوَايْ ماتِنحرَكْ أيْدُهْ) . إلّ : بمعنى الذى ، وصاب : لغة فى أصابه . وشواى : فعال من شوى اللحم . وتنحركْ : بمعنى تحرق . وأيد : بمعنى يده . المعنى أن من وجد من يباشر عنه الأمر المتعب ، لا ينبغى له أن يتعب نفسه ،

وهو قريب من قولهم : إذا رزقك الله مِعْرفةً ، فلا تحرق يدك .

(إلّ عظُّ لِحْنشْ يَخِلْعُ لِحْبلْ) . إل : بمعنى الذى . وعظ : بمعنى عضه . ويخلع : بمعنى يفزعه . ولحبل : بمعنى الحبل . والمعنى أن من أصابه ما يؤلمه ، يفزع بعده مما يشابهه ، ولو كان لا يضر .

(إلّ غلبْتُ الدُّنيَ إكُولْ الآخرجاتْ) : الدنى : بمعنى الدنيا . والآخر : بمعنى الآخرة . وجات : بمعنى جاءت . والمعنى أن من عجز عن تحصيل الدنيا ، اعتذر بقرب مجىء الآخرة .

(إلّ كَالْ لكْ إكولْ فيكْ) هذا بمعنى قولهم : من قال لك قال فيك .

(إلّ ما أيْنافق ما أيْوافقْ) معناه أن من لم يداهن الناس ، لا توافق طباعه طباعهم .

(إلّ ما يَعرْفَكْ إيْخَضْرَكْ) معناه من لم يعرفك يخسرك . أى يعاملك بغير ما أنت له أهل .

(إلّ ماشاف أسْمَ لاتنعتولُهْ) : إل : بمعنى الذى كما تقدم . وما شاف : بمعنى ما رأى . وَأسْمَ : بمعنى السماء ، مقابل الأرض . ومعنى لا تنعتوله فى اصطلاحهم : لا تره إياه . يضرب به فى أن من لم يعرف الواضح الذى لا يجهل ، لا ينبغى أن يعلم به ، لأنه لا يكون إلا متجاهلا أو غبيا .

(إلّ مَرْ ليلُ مَرْ كْلَبُهْ) . إل مر : بمعنى الذى ذهب . وليل : بمعنى شيئه وكلبه : بمعنى عقله . ومعناه أن من ذهب ماله ، ذهب عقله أيضاً ، فلا يلام على تهمة البرىء .

(إلّ ماخَلّ الطُّلْبَ يجابْرُ عَلْ الفَايتاتْ) . إل ماخل : بمعنى الذى لم يترك والطلب : تشمل قسم من قبائل شنقيط . ويقال لهم الزوايا . وعل : بمعنى التحدث مرة بعد أخرى والفايتات : بمعنى المسائل التى فاتت ، يعنون ما فات من الوقائع ،

وهذا المثل صحيح ، لأن الزوايا لا يزول ماوقع بينهم من العداوة ، للتحدث به دائما ، أما حسان : فإن الفتنة فيهم متى طفئت يذكونها .

(الحَكْ مُرْ أفلوذِنْ) : الحكْ : بمعنى الحق . ومر : ضد حلو . ولوذن : بمعنى الأذن . وهذا يوافق قول عمر رضى الله عنه : ماترك قول الحق لعمر من صديق .

(إلّ يِتْوَلّ فُمْ أسْبعْ مُوْلَ التافُكّيتْ) : يتولّ : بمعنى يتولى . وفم : بضم الفاء لغة فى مفتوحها . واسبع : بمعنى السبع . ومول : بضم الميم ، بمعنى مولى بفتحها ، وهو المالك . والتافكيت : بمعنى التبيعة من البقر . يضربونه فى أن مالك الشيء أحق بالمخاطرة فيه بنفسه من غيره ، ممن يعينه على خلاصه .

(إلّ مايِحمِدْ القليلْ مايحمدْ الكثيرْ) يحمد : بكسر الياء والميم ، بمعنى يحمد بفتحهما ، ومعناه ظاهر . يضربونه فى الحث على الاعتراف بالجميل .

(أكْجارْ إدابلْحَسنيّ) أكْجار « بالهمزة المفتوحة والكاف المعقودة المفتوحة أيضاً والجيم المشددة وبعدها ألف وراء ساكنة » بمعنى الرفس بالرجل ، وإدابلحسنى : رجل من إدابلحسن ، قبيلة من قبائل الزوايا ، يزعمون أن رجلا منهم ضربه رجل من غيرهم ، حتى ألقاه على الأرض ، ثم رفسه برجله ، فظفر به المضروب بعد ذلك ، فقتله وانصرف عنه . ثم تذكر أنه لم يرفسه كما رفسه ، فرجع إليه ورفسه برجله . يضربونه فى الفعل الذى لا معنى له .

(أنْبطْ شَيْفْ) يزعمون أن هذا إسم شخص ورد على منهل ، وعنده فرس ، فطلب من أهله أن يسقوها فلم يجيبوه ، فذهب وجلس ناحية ، ثم أرسل بها رسولا . يضربونه فيمن طلب الشيء بنفسه ، فوسط فيه من هو دونه .

(آفَيّكْ تَندَغ) آفيك : تصغير آفوك ، بالتصغير العامى . ومعناه التبيع من البقر . وتندغ : إسم قبيلة ، يزعمون أن هذا التبيع نشأ مع غيره من جنسه فكبر ،

وتخلف مع أصغر منه ، فكبر أيضاً وبقى هكذا . يضرب به فيمن يعاشر أصغر منه سناً .

(الشَّيْبْ مايحمل العَيْبْ) معناه ظاهر ، ويقرب منه قول القائل :

نزه مشيبك عن شيء يُدَنِّسُهُ إن البياض قليل الحمل للدنسِ

(إلّ فيهْ وحْدَه ماتمْرُكْهْ) وحده : أى واحدة ، والمراد بها الغريزة . وما تمركه : ماتخرج منه . معناه أن من فطر على سجية ، لابد أن تعود إليه مرة . يضرب به إذا ظهرت مسألة متأصلة فى طبع الشخص ، بعد أن أظهر التخلى عنها .

(أدْبْ أرْصاصْ ما أيْوَلّى) أدب : أى تأديب ، والرصاص ، معروف ، وما أيولى . مايرجع إلى الوراء . يضرب به عند استسلام من تقدمت غلبته ، لمن غلبه قبل .

(إلى كذْبَكْ إبشيررَدُّ لِخْبار) إبشير عندهم : بمعنى الصبى . ولخبار : بمعنى الخبر . والمعنى : إذا كذبك الصبى فيما تقول ، فدعه يتكلم بما يعلم . فإنه سيصدقك وهذا قريب من قولهم : صدقنى سن بكره .

(إلّ ماه فى الصُّراكْ ماتَخلْعُ الكْصاصهْ) الصراك : بمعنى السراق جمع سارق . وما تخلع : بمعنى ماتفزعه . والكصاصة : الذين يقتفون الأثر ، مأخوذ من قص الأثر : أى اقتفاه . ومعناه : أن من يعلم من نفسه أنه غير سارق ، لايفجعه من ينقب عن السراق ويقتفى أثرهم .

(إلّ أطرَحْ دَبُّوسْ تِنكْبِظْ لهُ) : إلّ أطرح : بمعنى الذى . واطرح : بمعنى وضع . والدبوس : العصى . وتنكبظ له : بمعنى تقبض له ويضرب بها . المعنى أن من ألقى سلاحه ، فإنه سيضرب به الناس به .

(ألّ مِدَّرّكْ بالأيام عَرْيان) أى الذى استتر بالأيام عَرْيان ـ بفتح العين ـ بمعنى عُرْيان ، بضمها . معناه أن من استتر عن غريمه أو عدوّه بالأيام ، فإنه سيعرى ويؤخذ .

(إمْنَيْن راحِتْ الكارّه أنْرُوحْ إجّارّه) . إمنين : بمعنى إلى أى محل . والكارّة : الرفقة المجدة فى سيرها . وإجارّة : أى التى تمشى على مهل . يضربونه فى أن مايبلغ بالجد ، يبلغ بالتؤدة ، ويقرب منه قولهم : يبلغ الخضم بالقضم .

(إلّ ما أصْبَرْ نَوْبَ أيْعُودْ الدّهْرُ عليهِ نَوْباتْ) النوبة : بمعنى البرهة من الزمن . وهى على حذف مضاف ، أى ضيق نوبة . ويعود بمعنى يصير . وتقدم أن عاد كصار معنى وعملا . ونوبات : جمع نوبة . معناه أن من لم يصبر ضيق نوبة ، وجعل يتورط فى إزالتها بما لا يقدر عليه ، يصير الزمن كله ضيقاً عليه .

(إلّ ما يَحْلَبْ بَيْدُ مايبياظ أخْدَيْدُو) يحلب : من حلب الدابة ، وأيد : بمعنى يده . ويبياظ : بمعنى يَبْيَضُّ . وأخديدو ، تصغير خده ، بالتصغير العامى . ومعناه : أن من لم يباشر أموره بنفسه لايستريح ، وقريب منه قول بعضهم :

ماحَكَّ جِلْدَكَ مِثْلُ ظُفْرِكْ فتولَّ أنتَ جميعَ أمْرِكْ

(إلّ مايعرَفْ لِغْرَامَهْ أتْوَحْلَهْ) لغرامة عندهم : تقال للعكس المقرر ، وهى عربية . وأتْوَحْلَهُ : أى توحله . يضربونه فى أن من لم يتعوّد الأمور الشاقة ، يتعبه تعاطيها .

(إدِيرُ خَمْسَهْ ألّ ما يكْلَعُ عشْرَه) إديرُ : أى يجعلوا ، واستغنى بالضمة عن الواو ، وتقدم أن ذلك لغة ، إلا أن المراد بالخمسة هنا ، الأصابع اليمنى ، ولا يصح مجىء الواو هنا ، لأنها واقعة على مالا يعقل . وإل : بمعنى الذى ، وهو مفعول به لإدير . ويكلع : ينزعوا ، والضمير هنا لعشرة ، أى عشرة أطباء ، على حد أكلونى البراغيث . يضربونه فى التحذير من كثرة الأكل ، التى قد ينشأ عنها مرض يغلب الأطباء .

(إلّ عظك ماعظيتُ كُول أنّكْ أبلاستَيْنْ) إلّ : بمعنى الذى . وعظك : بمعنى عضك . وعظيت : أى ما عضضته . وكُول : بمعنى : قل . وانك : بمعنى

إنك . وابلاسنين : أى لا أسنان لك . معناه أن من آذاك ولم تؤذه ، فلاتدع أنك صفحت عنه ، بل قل إنك عاجز عنه .

(إلّ ما أسْمعْ لكْ ماتنفعُهْ) إلّ : بمعنى الذى وما أسمع لك ، أى لم يسمع نصحك له ، وتنفعه : من النفع ، يضرب به الشخص إذا حذر شخصاً من أمر منتظر ، ولم يسمع نصحه ، ثم وقع فيما حذره منه .

(إلّ وصّاكْ أعْلَ أمّكْ حَكْرَكْ) حكْرك : بمعنى حقرك . يضرب به الشخص إذا وصاه شخص على الاعتناء بمن لا يسعه إهمال أمره .

﴿ حرف البـــاء ﴾

(باحت لُ أجّيفهْ) . باحت بمعنى حلت . ولم نر ثلاثياً من هذه المادة ، ويقال : أباح الله الشيء ، أى أجازه . ولُ : بمعنى له . واجّيفه : بمعنى الجيفة ، أى الميتة . يضرب به فى شدة الحاجة ، وهو موافق لقولهم : تحل له الميتة .

(باتْ كِدّه لا أتْباتْ تِكدّهْ) بات : أمر بمعنى بت . وكِده : أى قدة ، وهى الجلد اليابس ، والتكدة : هى الحوض الذى يهراق فيه ماء البئر . معناه التحذير من الشرب ليلا .

(بَدلْ أعور) هذا مثل قديم ، تركوه على حاله ، وقد قاله أهل خراسان ، لما عزل عنهم يزيد بن المهلب ، وكان كريماً سمحاً ، وولى عليهم قتيبة بن مسلم الباهلى ، وكان شحيحاً أعور .

(بَزُّولكْ أيخبرك أبزُّولْ صاحْبكْ) البزول : بمعنى خلف الدابة . وأيخبرك : يخبرك أى حالك الذى أنت عليه من النعيم ، أو غيره يخبرك عن حال صاحبك .

(بعضُ الشرّ أهونُ من بعض) هذا مثل قديم ، لم يتغير عندهم .

(إبْغيهِ ينكرهْ لكْ) إبغيه : أى أحبه ، والضمير للشىء المطلوب ، وينكره : أى يكره لك . يضرب به فى أن شدة الحرص موجبة للحرمان .

(بِكْرِتْ امْنِيكِيرْ) بكرت : بمعنى بقرة ، وأمنيكير : اسم منهل لبنى ديمان ، كما تقدم ، يزعمون أن بقرة سقطت فى جب بهذا المنهل ، فنزعت من منهل آخر بينهما مسافة . يضربونه فى وجود الشىء فى غير مظانه .

(أَبْلدْ مانكْ لاهِ أَتْناسِبْ فيه جُرْ أَكْساتكْ) ابلد : بمعنى بلد ، ومانكْ لاه أتناسبْ فيه : أى لاتريد أن تصاهر فيه . وجر : اسحب . واكساتك : أى كساءك . معناه إذا كنت فى أرض لايعرفك أهلها ، ولا تريد أن تقيم بينهم فلا تبال بما فعلت ، ويقرب من هذا قول الشاعر :

إذا كنت فى قوم عدًى لست منهم فكل ما علفت من خبيث وطيب

وقول يزيد بن المهلب لابنه أحسن هذا ، وكان يزيد نزل عند امرأة ، فذبحت له شاة ليس عندها غيرها ، فأعطاها من المال ، فلامه ابنه على ذلك ، وقال له إنها لاتعرفك ، ويرضيها أقل من هذا . فقال له : إن كانت لاتعرفنى . فأنا أعرف نفسى . وإن كان القليل يرضيها ، فأنا لا يرضينى إلا الكثير :

(بنْ عَمْكْ إلى أَجْن لايسِبْكْ أَلْ راصْ الكُدْيهْ) بن عمك : ابن عمك وإلى أجنْ : أى إذا جنا ، ولايسبكْ : لايسبقك . وال : بمعنى إلى . وراص : بمعنى رأسْ . والكدية : معروفة . معناه أن من تؤخذ فى جريرته ، ينبغى لك أن تتوقى ، كما يتوقى ، لأنكما سواء عند أهل الطلب .

(بُصَوْمْ منْ الكُوْمْ ولّ ما أَعْليهْ اللوْمْ) بصوم : أى الذى بلغ سن الصوم . ومن الكوم : أى من القوم . يعنون أنه يفعل كما يفعل الرجال . ولّ . بمعنى وإلا . وما أعليه اللوم : أى لا لوم عليه . لأنه ساقط الهمة .

(بَوّاهْ لِغْرِيكْ) البواه عندهم : بمعنى المستخبر . ولغريك : أصله الغريق . ومعناه عندهم ، الموضع العميق من البحر . يضربون هذا فى تقحم الأخطار ، من غير تبصر .

(بَيَّاعْ الصُّحْب بالدَّمْ) بياع : وصف مبالغة من باع . والصحبة : بمعنى الصداقة . والأكثر أن لا ينطقوا بالهاء . والدم : بمعنى القرابة . يضربونه فيمن يقدم الصحبة على قرابة النسب .

﴿ حرف التاء ﴾

(اتعاييبْ لحمَيْرْ بادْبَرْ) اتعاييب : بمعنى المشاتمة ولحمير : بمعنى الحمير . وادبر : جمع دبرة . وهى قرحة الدابة . وهذا الجمع غير صحيح . والصحيح دبر بالتحريك . أو أدبار على أفعال . يضربونه فى سب الشخص لآخر بما فيه مثله .

(تفوزُ رجالٌ بموتِ آخرينَ) تفوز : أى تعلو وتشتهر . وأصله للظفر . وهذا المعنى قديم . وفيه يقول زمعة بن الأسود ، يرثى من قتل من المشركين ببدر :

ألا قد سـاد بعدهمُ رجالٌ ولولا يوم بدرٍ لم يسـودُوا

يضربونه عند تقدم الشخص بعد موت من كان أعلا منه .

(إتْماب الذيبْ عنْ سرْحِتْ لِغْنمْ) إتماب : بمعنى تأبى . وعن سرحت : أى عن رعى الغنم . يضربونه عند نفور الشخص ظاهراً . مما تعلم رغبته فيه باطناً .

﴿ حرف الثاء ﴾

(أثقل من غَصَّهْ بين إيكْاون) أثقل : أفعل تفضيل من الثقل . والغصة : بالفتح . كما يقولون ، وهى مضمومة عند العرب : ما يعترض فى الحلق و إيكاون : جنس من الناس فى شنكيط . قليل عديدهم متفرقون ، و إقامتهم بين حسان ، وحرفتهم يمدحونهم : ويذمونهم . ولهم طبول وأوتار يغنون بها فى أنديتهم . ويجتمع أحدهم وابنه وامرأته وبنته فى المحفل من حسان ، يتراوحون على الغناء . ويقترح بعضهم على بعض ، ولم نفردهم بالذكر ، لقلة عددهم وعدم أهميتهم .

﴿ حرف الجيم ﴾

(جَ إِدَوْرْ الزَّايِدْ اَنْكَطْعُ اَزْوَايِدْ) ج : بمعنى جاء ، والزايد : بمعنى الزيادة وانكطعوا : بمعنى انقطعوا ، والواو فى مثل هذا لاتطرد ، والزوايد : واحدها أزويدة ، وهى الزنمة ، التى تكون تحت فك الشاة ، وهذا مأخوذ من قول العرب فى الحمار : جاء يطلب قرنا ، فجدعت أذنه . يضربونه فيمن طلب الزيادة ، فآل إلى النقصان .

(ج اَيْطبْ اَكْلَعْ عَيْنُ) ج : بمعنى جاء . وأيطب : يداويه . واكلع : بمعنى قلع ، أى نزع عينه . يضرب فيمن تصدى لنفع الشخص فضربه .

(أَجْوَعْ مِنْ آبِيلِيَاتْ) أجوع : أفعل تفضيل من الجوع . وآبيليات : أناس بأعيانهم ، يزعمون أنهم من شدة جوعهم ، يشوون الماء . ويرادفه من أمثال العرب : « بات فلان يشوى القراح » .

﴿ حرف الحاء ﴾

(حزبٌ قليلٌ علمٌ كثيرٌ) معناه : أن المداومة على العمل القليل ، تفضى إلى نيل المراد ، فمن كان يقرأ كل يوم أسطراً من كتاب مثلا ، فإنه سينهيه كله .

(حُفِرتْ الأَعَمَ) الحفرة : معروفة . والأعم : أصله الأعمى . يضربونه فيمن لايضع أموره فى مواضعها ، كما أن الأعمى يحفر حفرة ، ويتقل فى غيرها ، ويوارى غير بصاقه ، وقريب منه قول الشاعر :

أقول له زيداً فيسمع خالداً ويكتبه عمراً ويقرأه بكراً

(حَفْلِتْ التبرنكيتْ) الحفلة : اجتماع اللبن فى الضرع . والتبرنكيت : (بكسر المثناة الفوقية وكسر الموحدة ، وتشديد الراء مكسورة وسكون النون ، وكسر الكاف المعقودة وتسكين المثناتين التحتية والفوقية) بمعنى قليلة اللبن .

وحفلتها : قليلة الجدوى ، ومتى حفلت تكثر القلق والصياح . يضربونه فيمن يتيه بالحصول على القليل .

(حَمْلْ أُجاعَ ريشْ) الحمل : مايحمل . وأجاع : بمعنى الجاعة . وريش : بمعنى خفيف ، لأن الريش يكون كذلك . يضربونه فى تهوين الأمور المتعاون عليها .

(أحْزَمْ منْ عَرْ) أحزم : أفعل تفضيل من الحزم . وعر (بفتح العين المهملة وسكون الراء) خنزير البر ، ويسمونه أيضاً حمار الغابة . يزعمون أنه إذا أراد أن يدخل جحره ، يدخل قفاه أولا ، ويبقى رأسه لئلا يدرك قفاه . يضربونه فى شدة الحزم .

(حَزْمْ أهل أتريريزى) الحزم هنا ، خارج عن معناه الأصلى . يقولون : فلان يريد حزم فلان أى غيظه . وأهل أتريريزى : أهل خيمة ، ذبح جار لهم جزوراً أو شاة ، فلم يعطهم شيئا ، فذبحوا عجلة لهم ، وكانت لهم بقرات ظئرن عليها ، فذبحوها ليغيظوهم ، فذهب لبن بقراتهم . يضربونه لمن أراد أن يغيظ غيره ، بما يضره هو من نفسه .

(أحْشِيشِتْ الكْفانى) الحشيشة : واحدة الحشيش ، وهو نبات معروف . والكفانى : واحد من قبيلة تاكفانت ، وتقدم ذكرها . يزعمون أن الكفانى المشار إليه ، وجد أناساً يطوون بئراً ، فأتاهم بحشيشة ليعينهم على شغلهم ، فلما صلحت بئرهم ، صار يرد عليهم ببقره ، فيقول لهم : إما أن تقدمونى فى السقى ، وإلا نزعت حشيشتى ، يهددهم بذلك ، لأنه إذا نزعها انهارت البئر . يضرب فيمن يحسن ، لينال من إحسانه مأربا أكثر منه .

(حَطّابْ الدّشْرَهْ) الحطاب : الذى يحمل الحطب ، والدشره : بمعنى القرية عندهم ، يزعمون أن حطاباً خرج من قرية ، فجمع حزمة حطب ، فأراد أن يحملها فغلبته ، فجعل فوقها أخرى ، يضربونه لمن عجز عن شىء فأردفه بآخر .

(حَلَّابْ ناكْتَه فى الظايهْ) حلاب : فعال من الحلب . وناكته : بمعنى ناقته . وفى الظايه : بمعنى فى الأضاة . يضرب به فيمن لا يحمد إحسانه ، كما أن من حلب ناقته فى أضاة ، يذهب لبنه بغير فائدة .

(حَسَّانْ يَدْخُلُ بالشَّوْرْ أيمْرُكْ حَتَّه) حسان : جنس من الناس تقدم بيانهم ، ويدخل ، أصله : يدخلون . بالشور : أى برفق . ويمرك حته : أى يخرجون بشدة . ومن عادة حسان ، أنهم إذا أرادوا معاملة الزوايا ، أن يلينوا لهم الكلام ، حتى تحكم العقود ، فإذا حان وقت التقاضى ، يعاملونهم بكل صعوبة . يضرب به لكل من يتساهل أولا ، ثم يشدد أخيراً .

(حَنْشْ الكْايلْ) الحنش بالتسكين : بمعنى الحنش محركة . والكايلة : بمعنى القائلة : يزعمون أنه إما أن يُقتلَ أوْ يَقْتُلَ . يضرب به للشرير .

﴿ حرف الخـــاء ﴾

(خُظْ ألْمَ ايجيكْ الطينْ) خظ : أصله خض . وألم : أصله الماء ، وأيجيك : أصله يجيئك ، والطين معروف . يضرب به فيمن إن حادثته بما لا يشتهى تثير كدره .

(خَيْرْهُمْ الْ تأكلْ البِلْ أعَلى رَوْظتُهْ) خيرهم : أصله أخيرهم ، وحذف همز أخير وأشر ، كثير فى كلام العرب ، والضمير فى هم لحسان . يقال : إن ديلول ، وهو أحد اللحمة ، وكانت حسان تكثر من ظلمه ، فلا يزال يختفى عنهم فى القفار ، سأله شخص عن حسان ، فضرب المثل . وروظته . بمعنى روضته ، أى قبره . يعنى أن أفضلهم من تكون الإبل راتعة على قبره ، آمنة من نحره لها ، وركوبه إياها .

(خيره اذكر) يقولون فلان خيره ذكر ، إذا كان يحسن ولا يشكر إحسانه .

(خيلْ ما أتْرُدْ خيلْ ماءِ أحرارْ) معناه : أن الخيل التى لا ترد الخيل ، التى سارت قبلها غير عتاق . يضرب به لمن لا يفوق إحسانه ، إحسان من بدأه به قبل .

(أخلَ مِنْ تِنيكَى) تنيكى : مدينة من مدن شنقيط تقدم سبب خلاها من أهلها .

(خبرْ إدَ الفغ) إد الفغ : بعضهم يكتبها باللام ، و بعضهم يكتبها هكذا : إدكفغه : وهم قبيلة من قبائل الزوايا ، والناس يرمونهم بالكذب ، حتى قال بعضهم :

وإن أتاك ألفغىٌّ بخبر فشاع فى ذا الباب إسقاط الخبر

يضربونه فى كل خبر سمعوه ، وتوهموا عدم صحته .

﴿ حرف الدال ﴾

(دَخْلونى انكْتمْ الكُمْ) يزعمون أن شخصاً ، مرَّ على قوم يتنازعون فى شىء شركة بينهم ، فخاطبهم به ، يضربونه فيمن يدخل نفسه فى الأمور ، من غير أن يدعى لها .

(دِرْهَمْ فى الكف ألامىٌّ فى أتْلَفْ) الكف : اليد . وقوله ألا : أصله ولا ، والهمزة والواو يتعاقبان . ومى : أصله مائة . وأتلف : بمعنى التلف . معناه أن الحاضر القليل ، خير من الكثير الذى لا يوثق بالحصول عليه .

(الدَّنىَ أسْلوفاتْ) الدنى : بكسر الدال بمعنى الدُّنيا بضمها . وأسلوفات : جمع سلف بالتحريك ، وهو مصدر ، فقياسه أن لا يجمع ، فإذا جمع فلا يجمع هكذا ، لكن الأمثال لا تغير والمعنى أن الدنيا قروض ، لأن صاحبها يفتقر مرة و يستغنى أخرى .

(الدّنيا ماتِنْحاشْ) ماتنحاش ، أى ماتنال . معناه أن الإنسان إذا صرف وجهته لجمع الدنيا ، ينبغى له أن لا يفكر فى نيلها بغتة .

(الدهر يولد أبلا أطْرَعْ) أطرع : أى ضرع . معناه أن حوادث الدهر تطرق من غير مقدمات تدل عليها ، بخلاف الدابة مثلا ، فإن ولادتها تتقدمها علامة بكبر ضرعها ونحوه . يضربونه فى طروق الحادثات بغتة .

(الدوام ولو قل) موافق معناه فى : لحزب قليل علم كثير .

(الدين ما ايخلّصْ الدّيْنْ) معناه : أن من كانت عليه الديون للناس ، فإنه لا يفـكر فى أن ديونه على الناس تنفعه فيها .

(دِيرْ الدّينْ أعْلَ الدّينْ أيغَرْكْ ولّ أيْمَرْكْهْ) دير : اجعل . والدين : ما يكون للشخص على الآخر . وايغركْ : أى يغرقه . وايمركْ : أن يظهره . معناه ظاهر .

(أدْوَ الـكثرة الموت) أدوا : بمعنى دواء . أول من قال هذا المثل : امرأة من إدوعل أسمها ورجاوه . وكان لها ولد واحد من أعيان قومه ، إسمه حرم بن محم . فقتله أولاد أعمر أكداش ، فى وقعة لغبيبيرى . فأرسل لها أحداً بناء أعمر أكداش اسمه همر قال ، يقول تنحى بنفسك عن أهل الحرب ، فقد كانت لك عروة واحدة فقطعت . وكان للرجل المذكور سبعة فتيان ، فقتلهم إدوعل بعد ذلك . فقالت المثل المذكور .

(دَوْرْ لـكبيرهْ باشْ أتصيب أسغيره) دور : بمعنى أطلب . ولـكبيره : صفة لمحذوف . أى المسألة الـكبيرة . باش : بمعنى لأجل . واسغيره : بمعنى الصغيرة ، صفة لمحذوف أيضاً . يضرب به فيمن يشتط فى تعظيم الشىء المطلوب له ، ليحصل على أقل منه .

﴿ حرف الذال ﴾

(الذيبْ ألّ يسْيكْ لِغْنمْ ألْمراحْ) الذئب معروف . ويسيكْ : بمعنى يسبق . والمراح : بمعنى المراح وهو الموضع الذى تروح فيه وميمه مضمومة . يضرب به فى طلب الشىء قبل إبانه .

(ذِرْوتْ الحاشِ وجَوْدِتْ الّ أبلاشِ) الذروة بالـكسر والضم : السنام . والحاشى : الصغير من الإبل . والجودة : مصدر جاد . والّ : بمعنى الذى . وابلاش : أى بلا شىء . معناه أن سمن الصغير من الإبل ، لا فائدة فيه . وجودة الفقير ، لا فائدة فيها أيضاً .

﴿ حرف الراء ﴾

(أرْجال شغلهم ولا توَكّلهمْ) ارجال : بمعنى الرجال . وشَغلهم : مرهم أن يشتغلوا لك . ولا توكلهم : أى لا تؤكلهم الطعام . ومعنى المثل : أن الرجال ينفعونك إذا عملوا لك ، لـكنك إن بلغت مجهودهم فى الأكل يضرونك .

(أرْظع ألاأرْوَهْ) ارظع . بمعنى أرضع . ألا اروه : أى ولم يرو . يضربونه فيمن أتعب نفسه فيما لا يجمل من الأمور ، ولم يحصل على فائدة .

(أرْكوب أعْلى الخنافيسْ ولا المشى على الطنافيس) الخنافيس جمع : خنفساء وهى دويبة معروفة . والطنافيس : جمع طنفسة . مثلثة الطاء والفاء و بكسر الطاء وفتح الفاء وبالعكس ، وهى البساط . وجمعها فى الأصل عار من الياء . ولو كان هذا المثل من كلام من يحتج به لعللناه .

﴿ حرف الزاى ﴾

(إزينهالكْ ألّ ما ينفعك فيها) إزينهالك : أى يحسنها . والضمير للقصة . والّ : بمعنى الذى . يضربونه لمن يحسن للإنسان المسألة ، التى ترجع عليه بالضرر ولا ينفعه فيها .

(زَهْوُ الدُّنَى أشْـكاها) الزهور : بمعنى الحسن . والدنى : بمعنى الدنيا . وأشْـكاها : بمعنى تعبها . يوافق هذا المعنى قول الشاعر :

لا تجتنى راحـــة إلا على تعب ولا ينال العـلى إلا على الهون

فصاحب العقل فى الدنيا أخو كدر وإنمـا الصفو منها للمجانين

(زينْ أحْباليتْ الدّارْ) زين : بمعنى حسن . واحباليت : أصله حبالية الدار . وهى بقلة لها فروع تمتد على الأرض ، تأكلها الإبل . والدار : الدمنة . ويوافق هذا المثل : خضراء الدمن ، وهى المرأة الحسناء فى منبت السوء . فإن الحديث نهى عنها لقلة فائدتها . فـكذلك هذه البقلة : إن كانت فى دمنة الدار ، فلا ترضى الإبل بأكلها . يضربونه للمنظر الحسن ، الذى لا فائدة فيه .

﴿ حرف السين ﴾

(سابكْ مِنْ بحر وحْدُ) سابكْ : بمعنى سابق ومن : بكسر الميم بلفظ الجارة ، أوقعوها موقع من بفتحها ، بمعنى الذى ، و بحر (بكسر المثناة التحتية) أصلها يجرى بفتحها ، و بالياء الواقعة لاما للفعل . ووحد : بضم الدال : أصله وحده بفتحها . وهذا المثل يوافق قول العرب : كل مجر فى خلاء يُسَرّ . ومعناه معروف .

(ساداب الكْارِحْ ذارحْ) ساداب : بمعنى مؤدب . والكْارح : بمعنى القارح وذارح : بمعنى تعب . وهذا يوافق قولهم * من العناء رياضة الهرم * وقال الجميح :

ولو تشاء لقالت وهي صادقة إن الرياضة لا تنصبك للشيب

(السّالم أسمين يَوْكلْ أرْبيع دايرْ) السالم : بمعنى الذى سلم . واسمين : بمعنى سمين . واربيع ، تصغير ربع : بالتصغير العامى . وهو مكيل صغير ، لا يبلغ قوت الشخص . ودايرْ : بمعنى العام المقبل . يضرب بونه فى حب السلامة مع الرضى بالقليل .

(اسْمَعْ إ كلام أمبكيينك لا تسمع إ كلام أمظحْكينكْ) إ كلام : بمعنى كلام . وأمبكيينك : بمعنى من يقولون لك فى نصحك ما يبكيك . وامظحكينك : بمعنى من يقولون لك ما يضحكك . وهذا المثل يوافق قولهم « امْر مُبكياتك لا امر مضحكاتك » كانت فتاة من العرب ، تأتى خالاتها فيضحكنها وعماتها فيؤدبنها فقالت لأبيها : إن خالاتها يضحكنها ، وعماتها يبكينها فقال ذلك لها .

(إصَهّرَكْ هَمّ الّ أصْهرُ أعْنادَكْ) إصهرك : بمعنى يسهرك . وهَمّ : بمعنى مصلحته وأعنادك : أى عنادك . يضرب بونه فيمن يتعب فى مصالح الشخص يريد له الخير ، والآخر يتعب فى مكايدته . و يوافق هذا قول عمرو بن معدى كرب :

أريد حيـــــاته و يريد قتلى عذيرَك من خليلك من مرادِ

وكان سيدنا علىّ رضى الله عنه ، ينشد هذا البيت ، إذا رأى ابن ملجم . لعنه الله .

(أسلعْ من البارْدِى) أسلع : بمعنى أشره . والباردى : قين مشهور بالشره .

يقال إنه بات عند شخص ، فأنامه فى مكان فانتبه ، فوجد بجنبه جلداً مدبوغاً ، فجعل يقطع الجلد بموساه ويأكله ، يظنه لحماً ، ويلقم ما عليه من الدباغ ، يظنه ثريداً ، فأتاه صاحب المنزل ، بشىء من العصيدة ليأكله . فقال له : شبعت من اللحم والثريد . فنظر الرجل فوجده أنى على الجلد ودباغه . وله حكايات من هذا النوع عجيبة . يضربونه فى وصف الشخص بالشره .

﴿ حرف الشـــين ﴾

(الشباب شعبة من الجنون) الشباب : الفتاء ، والشعبة : بالضم الطائفة . يوافقه قول أبى العتاهية :

إن الشباب والفراغ والجـده مفسدة للمرء أى مفســـــده

(أشرُبْ ذاولّ نرشَمَكْ) أشرب بضم الراء ، كما ينطقون وإلا فهو مفتوح لأن الماضى مكسورها ، والمضارع مفتوحها ، والّ : بمعنى وإلا ، ونرشمك : أكويك بالميسم المحمى فى النار ، سمى بذلك لأنه يترك أثراً فى الجلد . يضربون هذا فى الطلب بلا مهلة .

(أشْرِ يوم اتبيعْ) اشر : بمعنى اشتر ، يوم اتبيع : أى لاتشتر شيئاً ، إلا إذا أردت بيعه ، أشترى منك ، وقد أورد بعض أهل شنقيط ، هذا المثل مورداً ظريفاً ، وذلك أن اللصوص من حسان ، قد يتمكنون من عدوهم ، فيوقفونه على الزوايا ليشتروه منهم ويخلوا سبيله ، فإن لم يفعلوا ذلك ، يعادهم أهل الأسير ، فاتفق أن أحد اللصوص أخذ بعض أعدائه ، وكان ذلك الأسير شريراً ، فعرضه للبيع ، فقال بعضهم المثل ، وهذا مأخوذ من قول العرب : إذا اشتريت فاذكر السوق .

(الشرْجَرْ) الشر : بمعنى الحرب ، والجر : أصله السحب ، والمراد به المكايدة ، يضربونه فى الحض على المطاولة وقت المناواة .

(اشروط الشدّة يلتكْطو فى ارْخَ) الشروط : معناها هنا العدة ، والشدة :

ضد الرخاء ، و يلتكطوا : بمعنى يُلْقَطْن ، وفى ارْخَ : بمعنى فى الرخاء : يضربونه فى الحث على الاستعداد للطوارىء

(شاته اتموتْ فى ارْباطْ) الشاة معروفة ، والضمير المحدّث عنه ، وارْباط : بمعنى الربط ، مصدر ربطه : أى شده ، وقد يطلقونه على الحبل الذى يربطون به ، و يصح تفسيره بهما هنا . يضربونه فى المبالغة فى وصف الشخص بالبطء فى أموره .

(اشهابْ مايُولدْ الّ احْمرْ) اشهاب : بمعنى الشهاب . ومايولد : بمعنى لايلد . الّ أحمر : بمعنى إلا الحمر . يضربونه فى أن الأب الشرير ، لايلد إلا من هو أشر منه .

(الشوْفْ ما يملّ الجوْفْ) الشوف : بمعنى النظر . وما يمل : بمعنى لايملأ ، والجوف معروف ، يضربونه ، فى أن نظر الإنسان إلى مالايقدر عليه لافائدة فيه.

(الشوْكْ من سُغْرتهْ احدّهْ) الشوك : بمعنى الشوكة ، ومن سغرته : أى من صغرها ، واحده : أى ذا حدة . يضربونه فى أن علامات المهارة فى الشىء ، تبدو على الإنسان من أول مرة .

(شيعتْ أغاجيتْ) شيعت : بمعنى الصيت ، وأغاجيت : اسم عبد ، يقال إنه فكر فى شىء يشتهر به . فحرق أرضاً ذات عشب ومرعى . يضربونه فى طلب الشهرة ، بالأمور الرديئة .

(شينْ السعدْ اشينْ الميمونْ) السعد : بمعنى الحظ ، الميمون : إسم شخص تقدمت قصته فى شربيه . وقد يقولون : أشيان سعد فلان أو فلانة ، إذا تزوج المتزوج منهما بغير كفىء ، يضربونه فيمن ساء بخته .

(شوكتْ جملْ التندغى) الشوكة : معروفة ، والتندغى : رجل من تندغ ، قبيلة من قبائل الزوايا ، يزعمون أن رجلاً منهم كان راكباً على جمل له ، فأصابت الجمل شوكة فى رجله فضرب الأرض برجله بقوة ، فغاصت الشوكة فى لحمه

أكثر من أول . يضربونه فيمن وقع فى ورطة ، فرام أن يتخلص منها بما يزيدها تمكناً منه .

(إشْرِيفْ إدِيبسات) قبيلة من قبائل الزوايا ، يزعمون أن أحدهم ادعى الشرف ، مع أن أباه وأمه لم يدعيا ذلك . يضربونه فيمن ابتكر شيئا ليست أسلافه عليه .

﴿ حرف الصـــاد ﴾

(الصّبّارْ يُصبُرْ عنْ اسمُهْ) الصبار : مبالغة صبر ، ويصبر . مضارعه ، واسم الشخص معروف . معناه أن الإنسان ، قد يسمع من ينادى باسمه فيجيبه . ومقصود الداعى غيره . يضربونه فى استحباب التأنى والاستبصار .

(صاحبُ الحاجة أعمى) معناه أن من له حاجة ، لا يبصر أعذار من يسألها منه . يضربونه عند ذلك :

(صُرْبُتْ تيزكّه) الصربة : تقال عندهم للوفد الذى يذهب ليصالح بين الطائفتين ، أو ليطلب من المغيرين أو الظالمين ، إرجاع ما أخذوه ، وأصل هذا المثل كما تقدم ، فى ترجمة ابن أحمد دام ، أن تيزكّه : وهم قبيلة من لحمة آدرار ، كانوا يعطون مُدّاً من التمر وقت جذاذه ، لأحد رؤساء حسان ، فذهب وفدهم يرجو منه إسقاط ذلك المدّ ، فحوّله عكة . يضربون هذا فيمن خرج يدفع خطباً صغيراً ، فجر على قومه أثقل منه .

(صَفّيها تَصفا لكْ خوّظَهْ تِنسْكالكْ) أى اجعلها صافية ، والضمير للشربة ، وخوّطه ، بمعنى خضها ، وتنسكالك : أى تسقى لك . يضربونه فى أن الإنسان يجازى بمثل سعيه ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر .

(صكُّوطى ما يحملْ آخرْ) الصكوطى عندهم بمعنى الطفيلى ، وما يحمل : لا يتحمل آخر . يضربونه فى أن من له حاجة عند شخص ، لا يحب أن يشاركه أحد فى مثلها عنده .

﴿ حرف العـــين المهملة ﴾

(عادْ أحْمُورَهْ) الضمير فى عاد ، يحسب من يحدث عنه . وعاد : بمعنى صـار . كما تقدم ؛ واحموره : اسم بهيمة . يقال : إنها كانت لا تشرب اللبن ، فصـارت تـكرع فى الرماد من شغفها به ، يضربونه فيمن لهج بالشىء ، بعد أن لم يكن ممن يتعاطاه .

(العافَ ماتِنْعملْ عادَهْ) العافى : بمعنى العـافية ، وما تنعمل : ماتجعل ، والعادة معروفة . يضربونه فى عدم الاغترار بالعافية .

(عبدْ ماهُ عبدك حُرْ كيفكْ) كيفك : بمعنى مثلك . معناه . أن الإنسان لاينبغى له أن يتعاظم على خول غيره ، لأنهم لا يحترمونه كما يحترمون سيدهم .

(عَلْمُ العَوْمْ عادْ ايغمسُ) العوم : السباحة ، وعاد : بمعنى صار وايغمس : أىْ يغمسه فى الماء . وهذا يوافق قول الشاعر :

أعلمـــه الرماية كلّ يومٍ فلمـــا استدّ ســـاعِدَه رمانى
وكم علمتـــه نظمَ القوافى فلمـا قال قافيـة هجـــانى

(عِزّتْ ش اتخصّرْشِ) عزتْ : بمعنى محبة . وش : بمعنى شىء ، واتخصر : تفسد ، معناه أن الحرص سبب الحرمان .

(عَصرْ أهلْ عَتّامْ) العصر هنا الصلاة المعروفة ، وأهل عتام : بطن من بنى دامان ، قبيلة من التارزه يقـال : إنهم تذكروا عصر يوم اقتتلوا فيه مع عدو لهم بعد سنة . يضربونه فيما تأخر بزيادة .

(عظمكْ مِنْ شاتك فوكْ دَبْشكْ) العظم معروف ، وفوركْ : بمعنى فوق والدبش : أثاث البيت . معناه أن من ذبح شاة فأعطى جيرانه منها عظماً . فإنهم يردون إليه مثله إن ذبحوا . يضربونه فى أن الإنسان يجازى بما يعامل به الناس ، وهو موافق لقولهم : إن الأيادى قروض .

(إعمودْ تورجه) العمود معروف ، وتورجه : هو العشر بعينه ، أى شجر يوجد فى شنقيط ، وفى الحجاز ، وإذا رأى شخص عمود ، يظن أنه له قوة ، فإذا ضرب به شيئاً انكسر . يضربونه فيمن يرهب منظره ، ويحتقر إذا امتحن .

(عَيبْ الدَّارْ اعلَ مْنْ ابْكْ فيها) الدَّار : المنزل ، وأعل : بمعنى على ، ومن : بمعنى الذى ، وابك : بمعنى بقى . ومعناه أن اللوم إنما يكون فيمن أخلف الشخص فى موضعه ، فقصر عن أفعاله ، مثل أن يخلف رئيساً . فيقصر عن مداه . يقال : إن محمد فال بن عمير التروزى ، لما قتله إبراهيم والد ابن اعمر ابن المختار ، وإبراهيم والد هذا ، أخو محمد لحبيب أمير الترارزه ، قال قبل خروج روحه لشخص : « سلم على أخى فلان ، وقل له : عيب الدار أعل مْنْ ابك فيها » فلما بلغه ذلك ، قال له : قل ذلك لأخى هدّى ، أما أنا فلست باقياً ، وسأموت فى أول وقعة بيننا و بين قاتليه ، فكان الأمر كما قال :

(إعمارتْ الفيلْ ماتنِخبطْ أفكُرْفافْ) العمارة عندهم : تقال لما يجعل فى البندقية من البارود والرصاص ، والفيل : معروف ، وما تنخبط : أى مايضرب بها ، وافكرفاف : أى فيه وكْرفاف : بمعنى الدب فى لغة أهل تكانت والحوض ، وأهل القبلة يسمونه كْابون وشرتات . وكنت يوماً فى مجلس ابن الحامد ، رئيس كنته بمدينة شنقيط ، فأسر إليه شخص ، أن رجالا منهم تضاربوا مع آخرين من إديشل ، فمات من إديشل قتيل أو قتيلان ، فقال المثل المذكور ، يعنى أنهم ، أى كنته . لا يعملون قوتهم التى يحاربون بها إدوعيش فى إديشل ، شبه إدوعيش بالفيل لقوتهم ، و إديشل بكْرفاف لتفاهتهم ، ولا أدرى أكان هذا المثل قديماً ، فتمثل به ، أم ضربه فى ذلك الوقت .

(أعْبرْ مِنْ ولدْ العَيْدُود) أعبر : يعنى أقوى فى المصارعة ، وابن العيدود : إسمه محمد ، وهو من بنى دامان . يضرب المثل بشدته وقوته .

(أعْقلْ من ديلولْ) ديلول : أحد اللحمة ، معروف بصدق الفراسة .

﴿ حرف الغـــين المعجمة ﴾

(إغْزالْ اجْدْبْ) الغزال : نوع من الظبـاء معروف ، واجْدب : بمعنى الجدب ، يضربونه فيمن يفضل بؤس بلده ، على نعيم أرض غير أرضه .

(أغلظ من الـكَفْيهْ) بمعنى أشـد أنفة ، والـكفيه : رجل من أولاد أمبارك ، وتقدم خبره يضربونه فى شدة الأنفة ، وهذه الـكلمة عربية . إلا أنهم استعملوها فى غير معناها الأصلى .

﴿ حرف الفـــاء ﴾

(أفْقَرْ مِنْ بُيُوْمَينْ) أفقر : أفعل تفضيل من الفقر . و بيومين : أى أبى يومين ، وهو من لم يمض على ولادته أكثر منهما . يضربونه فى شدة الفقر .

(فخلينْ ماينْهدُّ أفدَوْلهْ) فخلين تثنية فخل ، ومعناه الرفع على الابتداء ، إلا أنهم أوردوه منصوباً ، وما ينهد : أى لا يتخذان للفحالة . والدولة : بمعنى الإبل الـكثيرة ، يضربونه فى أنه لا يصح وجود رئيسين فى وقت واحد .

(فرحتْ لـكْـرادْ) فرحت : بمعنى فعلة من الفرح ، وهو السرور . ولـكْراد : القراد ، وهو معروف . وهذا مما شاهدناه ، فإن الإنسان فى الصحراء ، ربما قصد ظلا يستريح ، فيجيئه القراد يجرى ، فيمضه . يضربونه فيمن يفرح بالشخص ليضره .

(فرْوْ ادْليميهْ) الفرو : معروف . وادليميه : إحدى نساء بنى دليم ، قبيلة من حسان يقال إن لها أولاداً كانوا إذا بكوا من شدة البرد ، تهددهم ، بأنهم إذا لم يسكتوا تلبسهم فرواً عندها محرقاً ، يزيدهم برداً . يضربونه فيما يكون ضره أكثر من نفعه .

(فهم أولاد ابيْرى) أولاد ابيرى : قبيلة من قبائل الزوايا فى شنقيط ، ترميهم

الناس بسقم الفهم ، و ينسبون لهم حكايات عجيبة . فمنها أن رجلا من غيرهم ، حكى أنه مرّ على أناس منهم ، يدفنون ميتاً ، فحضر لينال الثواب ، فلما وضعوه فى القبر ، صبوا عليه شكوة من اللبن . فقال لهم الغريب : ماهذا ؟ فقال له عالمهم فى رسالة ابن أبى زيد : و يصب عليه اللبن . الأصل : ينصب عليه اللبن ، بكسر الباء ، فحرف هذا . فقال الغريب : تكفيه الشكوة الواحدة . ومن ذلك أيضاً : أن أحدهم ولدت له ناقة قبل أوان ولادتها ، فجاءت بجوار ميت ، فسأل عن إباحة أكله ، فأجابه أحدهم فوراً : أعليه زغب أم لا ؟ فقال : نعم . قال : يؤكل . وسرد قول ابن عاشر :

أو بمنيّ أو بإنبات الشعَر أو بثمان عشرةٍ حولا ظهر

وقال : ذاك ادبيزن ، عند آتنيتات . ادبيزن : بمعنى تعليمنا ، إذ نكثر مما نكتب ، وآتنيتات : بصيغة الجمع ، اسم موضع ، و بيت ابن عاشر ، إنما هو فى أمارات بلوغ الشخص سن التكليف ، والناس يحكون عنهم كثيراً من هذا النوع ، وعلى تقدير صحته ، فإنه زال من ظهور الشيخ سيدى فيهم . فإنهم صاروا من أرقى تلك القبائل فى العلم والفهم .

﴿ حـــرف الكاف ﴾

(كلمت كوْرِى) كلمت : بمعنى كلمة . وكورِى : واحد لكوْرْ ، وهم السودان ، يقال : إن الكورى لا يرضى بتبديل قوله . يضربون المثل فيمن لا يغير خطته ، ولو إلى أحسن منها .

(كِذْبه وحْدَهْ تملَ مِزْودْ اُثنتينْ مايدِيرُ فيه حبه) الكذبة : واحدة الكذب . وتمل : بمعنى تملأ . والمزود : الوعاء المعروف ، والهمزة فى اثنتين . بمعنى الواو والهمزة الأصلية ساقطة ، وهى لغة تميمية . و إدير : أى يجعلوا . وهذه الضمة التى هى الراء ، تنوب عن ضمير الجمع عندهم ، والموضع : موضع تثنية لا جمع ، لكن شرحناه على مقتضى مايلفظون به . ومعنى المثل . أن كذبة واحدة ، قد ينال بها

صاحبها مايريد لتغفيله الناس ، وأما اثنتان : فلا ينال صاحبهما شيئاً للحذر منه .

(الكلب مايرُومْ ال خَنَاكُهْ) مايرُوم : أى لايألف . وخناكه : من يخنقه . يضربونه فيمن يصحب من يهينه .

(أكذبْ منْ الكُلوكْ) الكُلوكْ : شخص يبالغون فى كذبه ، ولا أعلم شيئاً عنه .

(اكْفرْ منْ كابتينْ) كابتين : نصرانى يبالغون فى كفره ، ولا أعلم شيئاً من خبره .

(كِلْوَه أفرْسِنْ مايجتمعُ فى أشْدِكْ) الكلوه : بمعنى الكلية . والفرسن : الظلف . ومايجتمع . أصله مايجتمعوا واستغنى بالضمة عن الواو ، وهو خطأ من وجهين . الأول : أن واو الجمع لاتكون إلا للعاقل ، إلا أنه قد سمع فى شعر النابغة الجعدى ، أو النمر بن تولب ، لا أدرى لأيهما هو .

* إذا مابنو نعش دنوا فتصوبوا *

والثانى : أن الكلية والفرسن مثنى ، فالأولى أن يقولوا : يجتمعان . لكن الأمثال تحكى كما وردت . واشدكْ : بمعنى شدق . ونظم هذا محمد بن السالم البوحسنى ، الذى تقدمت ترجمته فى قوله :

ماحضرة الشيخ ماهى عاشق كلف ولا الكلى والعجى يجمعن فى شدق

وقد جمع الكلى والعجى ، وهما مفردان فى أصل المثل والأمثال لا تغير . يضربونه فى الجمع بين شيئين متناقضين .

﴿ حرف اللام ﴾

(السّانْ أخرِيفْ والفِعْلْ أمْصِيفْ) السان : بمعنى اللسان ، ومعناه : القول فى هذا الموضع . واخريف : أى محصب ، وامصيف : بمعنى جدب ، والخريف عندهم ، بمعنى اخضرار الأرض ، وكثرة اللبن ، ولذلك يقولون . البلد الفلانى أخرف ، أى مخضر ، والبلد الفلانى صيف : أى جدب . يضربونه فيمن يعد بالجميل ، ولا ينجز ، وفيمن يظهر الصداقة ، ويبطن خلاف ذلك .

(لفظ مِنْ حرْ اعْليهْ دَيْنْ) لفظ بمعنى لفظة ، أى كلة . والحر : ضد العبد . والدين معروف ، وهذا يوافق : العدة دين .

(لِمْحالِ مَنْ ينكرُ حسبهْ) لمحال : بمعنى اللئيم . وينكر ، بفتح المثناة : بمعنى مضمومها . وحسبه : بمعنى نسبه . يضر بونه فيمن يخفى نسبه .

(لمخاطْمَهْ أكثرْ منْ لِمْلاطْمَهْ) لمخاطمه : بمعنى التى تفوت . يقولون : خطمه ، أى فاته ، ولم يصادفه ، ويعنون بالمخاطمه : القافلة التى تفوت قطاع الطريق . والملاطمه : أى التى تصادف القطاع . وهذا يوافق قولهم : طرق السلامة أكثر .

(لِهرُوب كْمَلْ الحوكْ) لهروب : مصدر هرب ، ولم نره إلا محركا ، وصحح فى التاج ، أن فعله من باب نصر ، وغلط من قال : إنه من باب فرح ، ومن قال : من باب فتح أو ضرب . والحوكْ : بمعنى اللحاق . يضر بونه فى أن الحذر ، إنما يكون قبل الوقوع ، ويوافقه قول الشاعر :

أفر من الشر فى رخوة فكيف الفرار إذا ما أقترب

(لاتوصّ اليتيمْ اعْلَ كُبرْ اللُكْمَهْ) لاتوصّ : أى لاتوصِ . واليتيم : من الآدميين : من مات أبوه . والكجى : الذى ماتت أمه . واللطيم : الذى مات أبواه . وكبر اللكمه : أى عظم اللقمة . ويقرب من هذا قولهم : إن العوان لاتعلم الخمرة . يضر بونه فى عدم تعليم الخبير بالشىء المتصدى له .

(لاتْمانْدالّ اصْكيطته لطّيبْ افشايكْ) لاتماند : أى لاتناو . والّ : بمعنى الذى . واصكيطته : أصلها جثة الشاة التى ذبحت . وأفشاى : بمعنى أطرافها ، كرأسها ورقبتها ونحوها . معناه لاتماند من أرذل ماله ، يأتى على جميع ماعندك .

(لاخيرَ فى الحدّادِ ولو كان عالماً) معناه : أن لئيم الأصل ، لاينفعه أن ينال مايكسب الشرف ، لأن أصله لابد أن يبقى فيه أثره ، وتقدم قول ابن هدار :

ولم أرَ فيها خير ذلك مرّةً فلا خيرَ فى الحدّاد ولو كان عالماً

يضر بونه فى اللئيم الأصل ، إن ظهر منه مايقتضيه أصله .

(لا عَجْلة عن أصلاحْ) إصلاح : بمعنى الاصلاح ، يضرب فى أن البطء لا يضجر ، ما دام الحال لا يقتضيه .

(لا أيْمُوتْ لِعْجِلْ ألا تيبسْ التأديتْ) لا أيموت : أصله لا يمت ، لأن لا ناهية ، والفعل مجزوم . والعجل : معروف . وتيبس : بكسر التاء . معناه : تيبس بفتحها . والتأديت : آنية من الخشب يحلبون فيها البقر . يضرب فى التوسط فى الأمور ، وإعطاء كل ذى حق حقه .

(لا يلْكى حَشْمانْ أظارِ) لا يلكى ، أى لا التقى . فلا دعائية . والحشمان : الذى أخجلته غلبته وقهره . وظارى : بمعنى ضارى : ومعناه أن الذى أخجلته غلبته من الناس ، والذى ضرى بالفتك به إذا التقيا ، يبذل كل منهما جهده ، الأول فى دفع العار عنه . والثانى : فيما ضرى به ، فلا يبقى أحدهما على الآخر .

(لحمْ الرَكْبَ مَوْكولْ أمذْمومْ) الركب : بمعنى الرقبه . وموكول : بمعنى مأكول . أمذموم : أى ومذموم ، يوافقه قولهم : أكلا وذما .

(اللحمهْ إلى خُنزتْ ما يحملها الّ صاحبها) اللحمة معروفة . وإلى : بمعنى إذا . وخنزت : تغيرت رائحتها ، أصله « خنزت » بفتح الخاء وكسر النون . وإل : بمعنى إلا . معناه أن الإنسان إذا أصابه مرض أو مصيبة ، لا يشفق عليه إلا قريبه . يضرب فى الحث على الإحسان والعطف على القريب ، ولو أن هذا القريب واجد عليه .

(لِحْوَارْ إلى أمْشَ أمعْ لحمارْ يعْلَمْ اشْهيكْ ولّ أنهيكْ :) لحوار بمعنى الحوار . وإلى امش : أى إذا مشى . واشهيكْ : بمعنى الشهيق . وانهيكْ : بمعنى النهاق . وقد عقد النابغة الفلاوى هذا المثل ، فى قوله من نظم له :

إذا الحمـــارُ بالحمار سيقا عَلّمَهُ الشّهيقَ والنّهيقـــا

يضرب فى التحذير من معاشرة من لا يرضى طبعه ولا دينه ، خوفاً من سريانهما .

(لِحْمِيَّهْ تعلَبْ أُسْبعْ) لحميه : بمعنى التعاضد والتعاون . السبع : معروف ، ويقرب منه قول الشاعر :

لا تحاربْ بمقلتيك فؤادِى فضعيفان يغلبـــان تويا

(لِمْعَلِّمْ إلى انْواكْ ايْفحَّمْ لكْ بالجارَهْ) لمعلم : الحداد وإلى : بمعنى إذا . وانواك : بمعنى نصحك واهتم بأمرك . وايفحم لك : يصنع لك ما يصنع بالفحم بالفجارة . وهى البراية التى تلقى من الخشب : يضربونه فى أن من يحب أن يصنع للانسان ما يريد ، لا يدافعه عنه ، بل يتوسل لمطلوبه بكل وسيلة .

(لِكْمِتْ الصّيفْ يادْمَهْ راسْها) . اللكْمة : بمعنى اللقمة . والصيف معروف . ويادمه : أى تؤدم رأسها ، والصيف عندهم ليس من أوقات الخصب . يضربونه فى أن طعام الشدة ، يكتفى بوجوده عند التأنق فيه .

(لكْزانه ما كذّ بناها ألا صدقناها) لكزانه : هى ضرب الرمل المعروف ، المقول بعدم جوازه . يضربونه عند سماع حديث من يصدق مرة ويكذب أخرى .

(ألعَبْ مِنْ بَيْبوطْ) ألعب : أفعل تفضيل من اللعب . وبيبوط : رجل يزعمون أنه مات عطشاً بين بحرين ، لأن اللعب استغرق أوقاته ، فلم يفض للذهاب للشرب حتى مات . يضربونه فى المبالغة فى وصف الشخص باللعب .

﴿ حرف الميم ﴾

(مزغُوبه صُرّ تعكْبْ الصيفْ) مزغوبة : أى غير مباركة . والصرة : الشىء الذى يدخر . وتعكب : أى تعقب وتتأخر . والصيف : معروف ، وهذا قريب من قولهم : لا عطر بعد عروس .

(مُوسْ لِمْعَلْمْه) . الموس : بمعنى الموسى . ولمعلمه : أى الحدادين ، وموساها يقطع من ناحية واحدة . يضربونه فيمن يلح فى طلب ماله ، ولا يعطى ما عليه .

(ماسْمَعْها الفالْ) الفال : إسم رجل ، يقال إن امرأة أتته بابن ، ليقرأ عليه ،

لتسقيه مريضاً لها ، فناولته إياه فشربه . فقالت : ما اسمها الفال ، فذهبت مثلا . يضربونه فى كل من فعل غير مايتنظر منه .

(ماحزمتن تكورَهْ تحزمنى يا أبَيْرْ اشكاوى) . ماحزمتن : أى لم تحزنى وتكوره : اسم بئر . وابير اشكاوى : اسم بئر ، وجمع شكوة . وهى وعاء معروف للبن والماء . وهذا الجمع عامى . وأما جمعه الصحيح ، فهو شكوات ، وشكاء ، بالكسر والمد يقال : إن عبداً دخل فى بئر تكوره ، فانهارت عليه ، فخلص منها . وكانت عميقة ، فدخل ابير اشكاوى ، وكانت قصيرة ، فانهارت عليه أيضاً . فقال المثل . يضربونه فيمن وقع فى ورطة خفيفة ، بعد أن خلص من أعظم منها

(ما اجِيدْ دَلْ يجيد دَلوين) ما اجيد ، أى مامتّح . والدلو معروف . وحقه النصب ، لأنه مفعول به ، لكن المثل يحكى كما ورد ، والعامى لايطابق العربية من كل وجه يضربونه فيمن عجز عن حمل ثقيل واحد ، فأراد أن يحمل معه ضعفه ، وهو قريب من خطاب الدشره المتقدم .

(مايحكم آكُوفْ الّ جلدَ مِنْ رَكْبَتُهْ) مايحكم : مايسكن . وآكوف : ثور الوحش وال : بمعنى إلا . وجلد : أصله جلدة ، أى حبل . ومن ركبته : أى من رقبته ، يعنون أنه لقوته ، لايمسكه إلا حبل مفتول ، من رقبة ثور من جنسه . وهذا قريب من قولهم : إن الحديد بالحديد يفلح .

(مايسْكَى المُرْ الّ امَرْ مِنْ) . مايسكى : أى لايسقى الشىء المر ، إلا ماهو أمر منه . معناه : أن الدواء المر الذى يشربه المريض ، لايحمل على شربه إلا ماهو أمر منه ، أى المرض . يضربونه فى التجلد على مالا يحبه الإنسان ، ليدفع به ماهو أضر منه .

(مايوْكلْ أجيفَ غيْرْ يشرُبْ مِنْ ماها) . مايوكل : أى مايأكل ، والضمير يرجع على من يحدث عنه . واجيف بمعنى الجيفة ، أى الميتة . وماها :

أى ماؤها الذى تطبخ فيه . يضربونه فيمن يزعم أنه لا يفعل الشىء ثم إنه يفعل مايماثله .

﴿ حرف النون ﴾

(نبغيلَكْ بَغْيك ألا نـكرهْ لكْ كُرْهكْ) . نبغى : أى أحب لك . و بغيك : أى ماتحب . ومعنى ألا ، أى . ولا نـكره لك : أى أبغض لك . وكرهك : بغضك . معناه : أن الصديق ينبغى له أن يحب مايحبه صديقه ، لـكن لايلزمه أن يعادى معاديه ، هكذا يقولون . وهو خلاف ماعليه العرب .

(انهظْ الـكُورْ طاح فجيجبه) انهظ : بمعنى نهض ، أى غزا . والـكور : بمعنى السودان عندهم . وطاح : أى وقع . وفجيجبه : أصله فى إجيجبه ، وهم قبيلة من الزوايا . يضربونه فيمن أخذ أحداً بأحد ، ليست بينهما علاقة ولا جنسية .

(أنير من كلبْ) أنير بمعنى أهدى . والـكلب شديد الهداية . يضربونه فى وصف الشخص بالهداية .

﴿ حـرف الواو ﴾

(أوْ كلْ مِنْ لَرْظهْ) أوكل : أصله آ كل . أى أكثر أكلاً . والأرظة : بمعنى الأرضه ، وهى دويبة معروفة . وهو قريب من قولهم : آ كل من السوس .

﴿ حـرف الهـاء ﴾

(هِينَ كْسِمتْ ش سَابكْتها صاحبْتها) هين . من الهون . وأصله هينة . وكْسمت : بمعنى قسمة . وش : بمعنى شاة . وسابكتها . أى سابقتها . وصاحبتها : أى شاة أخرى . معناه : أن شاة ذبحها شخص . وقد ذبح جاره قبله مثلها ، فإن قسمتها هينة ، أى سهلة ، لأنه يفعل مافعل جاره قبله . يضربونه فى المكافأة بالمثل . ويقرب منه المثل المتقدم : عظمتك من شاتك فوكْ دبشك .

(هِينَ عَيِشتْ الّ ما ايْدَوْرْ أشْحَمْ) هين : سهلة . وعيشة الإنسان . عيشه. والّ : بمعنى الذى : وما ايدور : أى ما يطلب . والشحم : السمن . معناه : أن عيشة من لم يطلب الرفاهية سهلة .

(أهرجْ منْ حَبْشهْ) أهرج عندهم : بمعنى أجبن . والحبشة : واحدة الحبش ، وهو جنس من الطيور معروف عندهم ، يصفونه بالجبن .

﴿ حرف الياء ﴾

(إخافْ من ظلهْ) إخاف . أصله يخاف والضمير للشخص المحدث عنه . والظل معروف ، وذكرناه فى الياء ، مع أن أوله همزة ، اعتباراً بأصله ، لأن أصله يخاف . ولو ذكرناه فى الهمزة ، لكان له وجه ، وقد فعلنا مثل هذا كثيراً . يضربونه فى المبالغة فى وصف الشخص بالجبن .

(يَحرِكْ أمْ اسْبعْ فى اكْفاه) يحرك بمعنى يحرق . وأم اسبع : أمه . وهذه كلمة يقولها الذى يريد إغاظة الشخص عندهم . يقول : له يحرق أم البعيد ، كما يقول المشارقة : يا ابن الفاعلة . وفى أكفاه : بمعنى عن ظهر غيب . يضربونه فى الاستهانة بما يقوله الشخص فى غيبة الآخر ، كما أن السبع يقدر كل أحد على شتمه ، إن كان غائباً .

(أيْدْ اسْبِّحْ وايْدْ اتذَبْحْ) أيد : بمعنى يد . واتسبح أى تسبح الله فى المسبحة . وأيد أتذبح . أى تذبح : يضربونه فيمن يظهر النسك ، وأفعاله الباطنة على خلاف ذلك . يحكى عن أبّابَ بن بنيوكْ ، أحد إدوعيش ، وهو قريب من عصرنا هذا . كان يتعرض للقوافل فى عصابة من قومه ، وكان لا يتكلم قبل طلوع الشمس . فإذا لقوا فى ذلك الوقت قافلة . يقول سبحان الله ، بمعنى خذوا جميع ما عندهم .

(أيد التاجر ماانشكْ لبنتهْ) أيد : بمعنى يد . وماانشك لبنته : أى لا تشقها .

ومعناه : أن يد التاجر لا يؤذيه بسطها بالعطية ، لأنها كالمدارا عنه . يضرب به عند الحث على إعطاء من يخاف شره ، ليسكنه ذلك .

(اليدُالّ ما صُبْتُ تـكْطعْ حبها) اليد : معروفة وال : بمعنى التى . وما صبت : أى ما قدرت . وتـكْطع : بمعنى تقطع . وحبها : أى قبلها . وهذا المثل : حل لبيت الإمام الشافعى رحمه الله :

وكم من يد قبلتها عن ضرورة وكان مرادى قطعها لو أمـكَنُ

(إدَخّلْ السلطانْ الّ ما أيمرْكُهْ) إدخل : بمعنى : يُدخل . وال : بمعنى الذى : وما ايمركه : أى ما يخرجه . وما هنا ، بمعنى الذى . والمراد به العاقل ، على حد : ولا أنتم عابدون ما أعبد . معناه أن السلطان يدخله فى الأمر ، من لا يقدر على إخراجه منه ، كأن يستعين به على أخذ حقه من شخص أولا . ثم إنه لا يقدر بعد ذلك أن يخرجه مما أدخله فيه . يضرب به فيمن أدخل ذا قوة فى أمره ، ثم لم يقدر على نزعه .

(يُعطى اشْرعْ الّ تابى عنْ الرّكْبهْ) ال : بمعنى الذى . والركبه : بمعنى الرقبة : معناه أن بعض ما يجوز شرعاً ، لا ينبغى للانسان أن يقتحمه ، لما يكون فيه من العار . وقد قال مولود بن أحمد الجواد اليعقوبى المتقدم ، وقد قال له شخص يعطى الشرع الخ ما ركبتى أنا . يعنى أنه لا يأنف مما هو مشروع .

(يكْلعْ منْ الحفيانْ أنعايلهْ) يكلع : أى يغصب . والحفيان : الذى لا نعال له . وانعايله : بمعنى نعليه . يضرب به فيمن يطمع فى غير مطمع . ومثله : عريان إصبوع امجرد ، المثل المتقدم .

(يمشى بالشوْرْ الّ فى اخْلاكُ يجرى) يمشى (بكسر المثناة التحتية بمعنى يمشى بفتحها) وبالشور : أى ببطء . والّ : بمعنى الذى : وفى أخلاكُ : أى فى خاطره . ويجرى (بكسر المثناة التحتية) بمعنى يجرى بفتحها . وأصله أن يجرى ، فحذفت أن المصدرية ، وهى وصلتها فى موضع مبتدأ ، والصحيح : عدم جواز

حذفها دون صلتها . يضربونه فيمن يظهر التأنى ، وهو يريد العجلة .

(يُومْ أُرْفُودُ يومْ هزْ لِكْفَفْ يوم اخْلاصُ يومْ عظْ أشفِفْ) ارفود : بمعنى التزامه ، والضمير للدين . والهز : بمعنى التحريك . ولكفف : اللمم ، واحدها : كفه ، أى لمة . واخلاص : بمعنى قضائه ، والضمير للدين أيضاً . وعظ : بمعنى عض . واشفف : جمع شفة عندهم . وهذا الجمع غير صحيح ، وإنما جمعها شفاه . يضربونه عند الفرح بتحمل الدين ، فإن حامله سيندم عند قضائه .

هذا ماتذكرناه من أمثالهم . وفى هذا القدر الكفاية ، للدلالة على سيرهم وعاداتهم .

* * *

الكلام على الطب فى شنقيط :

الطب فى شنقيط قليل جداً . ولم يشتهر فيه إلا أفراد قليلون فى أرض القبلة ، وعائلة بأجمعها فى تكانت . ومشرب هؤلاء الأطباء مختلف ، كما سنبينه .

فممن اشتهر فى أرض القبلة : أوفى الإدكفى ومنزع طبه ، إنما هو الكتب العربية القديمة . فطبه مبنى على العلم . وقد نظم فيه نظماً جيداً كبيراً ، بين فيه علل الأمراض وأسبابها ، وكيفيات الطعام حارّها وباردها . ومن أبرع من أخذ عنه : محمد فال بن باب العلوى ، وهو موجود الآن .

أما أوفى المذكور ، فلم أره ، ولكن وصل إلىّ من خبره مايكفى ، فإنه كان ماهراً فى هذا الشأن ، ويحلل البول فى الزجاج ، كما يفعل أطباء المشرق . وأما محمد فال : فإنه درس كتب أوفى ، واستجلب غيرها من الكتب . ونظر فيها نظراً دقيقاً . وشاهدت أناساً يُنذر مرضهم بالخطر ، فشفاهم الله على يديه . ورأيته يبنج الناس ، وأظن أنه تلقاه عن أطباء المشرق ، لما حج ، فإنه أتى بعقاقير وكتب وآلات لا توجد هناك . وممن اشتهر بالطب أيضاً : ابن أوفى المتقدم ، وأظنه فى قيد الحياة من غير جزم ، وكان على طريقة والده . وممن اشتهر أيضاً : ابن عمارة التاشِدْبيتىُّ . ولا أدرى منزعه فى الطب

أما تكانت : فقد اشتهر فيها الطالب محمد العلوى وذريته ، صغاراً وكباراً ، ذكوراً وإناثاً ، ومنزع طبهم ، إنما هو فراسة لا تخطىء ، ويقال إنهم ورثوا الطب عن جدة لهم ، وعندهم فتاوى العلماء ، أنهم لا يضمنون لو أخطأ أحدهم ، لما جرب من مهارتهم ، ولنذكر لك بعض أمور ظهرت منهم تحير . فمنها : أن محمد الأمين ابن زروق ، الذى توفى قريباً من سنة اثنتى عشرة وثلاثمائة وألف ، ودعاه ابن عمه عبد الرحمن بن أحمد المقرى ، وكان أسن تلك العائلة ، ومن عادتهم أن لا يباشر أحدهم علاج شخص ، إذا كان معه من هو أسن منه ، من أهل بيته ، يستطلع رأيه ، فى شخص : كان يقطع شجرة ، فانكسرت شوكة فى إنسان عينه ، فأخذ الأمين المذكور ثوباً وخنق به الشخص ، وقال له صوب رأسك ففعل ، فلما انحشر الدم سقطت على الأرض . ومن ذلك أن شخصاً ، أصابه ماأسقط عينه على وجنته ، و بقيت معلقة بعروقها . فأتوا به إلى عبد الرحمن المذكور ، فما اهتدى إلى مايفعل ، فأرسل لمحمد الأمين المذكور ، ففكر هنيهة ، فأخذ أذن الشخص فجذبها جذبة قوية ، فرجعت عينه إلى موضعها .

ومن ذلك أيضاً : أن محمد فال بن عمير التروزى ، وكان منقطع النظير فى حسان ، شجاعة وكرماً ، أصابته رصاصة فى جنبه ، واختفت فى جوفه ، فما قدر أطباء أرضه ، على معرفة علاجها ، فمرض مدة طويلة ، حتى انتفخت بطنه وقل لحمه ، و بقى لا يقدر على الجلوس ، فضلا عن القيام ، وكان أحمد بن عبدالله بن أداعه العلوى صديقاً له ، فقال له : أنا أعلم من يقدر على معالجتك ، وهو ابن عمى أحمد المقرى فى تكانت ، وكان يبعد نحو خمسة عشر يوماً ، فذهب إليه وأحضره ، فلما بلغ أعمر ابن المختار رئيس التزارزة أنه حضر ، بعث إليه ، فلما دخل عليه ، قال له : والله لا تقتل ابن عمى هذا إلا قتلتك ، ومراده أن يخيفه حتى لا يعالجه ، لأنه يحب موته لاستبداده عليه ، حتى أنه كان هو الرئيس معنى ، واعمر رئاسته لفظية ، فأخرج موسى عنده ، وقال له : والله لأدخلن هذا الموسى فى جوفه حتى أواريه ،

لأنه فهم غرضه ، فلما تأمله ، قال له : أتقدر أن تصف لى الحالة التى كنت عليها ، حتى أصابتك الرصاصة ؟ فقال له : لم يسألنى طبيب قبلك عن هذه الحالة . فلما تأمله قال له : أنا أداويك بثلاثة شروط . أن لاتخالفنى فيما أقول . وأن تصبر على ما أريد أن أفعل بك . وأن تعطينى ما أطلب منك ، فالتزم له ما قال ، فأمر بحطب جزل ، فلما صار جمراً ، تركه يتململ حوله ، فأمر أناساً بإمساك يديه ورجليه ، ليشق بطنه فأنف ان عمير من ذلك . وقال له : اعطنى شيئاً صلباً أجعله فى يدى ، وأفعل ماتريد ، فشقه من بين ضلعين من أضـــلاعه ، وجعل القيح يسيل ، حتى ملأ منه ثلاثة أقداح ، فبرأ فى مدة قليلة ، وقال له : سل ما تريد من الدنيـا . فقال : لا آخذ منك شيئاً ، إلا أنى آمرك بنصرة من فى أرضك من قومى ، فرجع إلى أرضه ، ولم يأخذ منه شيئاً ، غير جمل يبلغ عليه أرضه .

ولنتكلم على نبذة تتعلق بأطباء شنقيط ، تباين صنيع أطباء المشرق : الطبيب فى أرض شنقيط ، إذا طلبه المريض لينظر فى مرضه ، لايرى أن له بمجرد جسه أو إرشاده إلى علاج ، أن يأخذ منه شيئاً . ولو قل ، وإنما يأخذ قليلا إن عالجه ، مثل ثوب أو شاة ، يسمونه ملح اليد . فإذا برأ صار له أن يأخذ شيئاً . ولايتكرر العلاج فى مرض واحد . وأهل المروءة منهم ، يعالجون الشخص . فإن برأ وطابت نفسه بشىء ، يؤخذ منه . وإن لم يفعل ، فلا يقولون له كلمة واحدة . وربما قاول بعضهم شخصاً ، إذا كان مرضه مزمنـاً ، فإن برأ أعطاه . وإن مات ، ذهبت أتعاب الطبيب أدراج الرياح .

خاتمـــة الـكتاب

لم أترجم فى هذا الـكتاب ، إلا من رويت له من الشعراء الأموات ، سواء كان عالماً أو غيره ، ولا يتوهم متوهم ، أنى أحطت بجميع أشعارهم . بل يوجد منهم من لم أرو العشر من شعره . بل ولا عشر عشر شعره . ولم أورد من أخبارهم إلا ما علمت . أما من ذكرت أسمه ، من غير أن أترجمه . بل ولا ذكرت أسم أبيه . بل ربما ذكرت لقبه دون أسمه . فإنما ذلك لعدم معرفتى به ، ولم أتعرض للشعراء الأحياء ، مع كثرتهم ، لقلة من رويت له منهم . أما المؤلفون : فليسوا بالـكثيرين ، بالنسبة إلى غيرهم . وما ذلك إلا لعدم عجبهم بأنفسهم . وعدم احتقارهم لمن قبلهم . ومع ذلك ، فقد ألف منهم فطاحل ، تآليف مفيدة . فمن أقدم من وقفت عليه منهم : الطالب محمد بن الأعمش العلوى . فإنه أول من أجاد من أهل تلك البلاد ، فى تصنيف النوازل . وكل من ألف فيها ينقل عنه . وقد نظم عبد الله أحمد بن الحاج أحياه الله ، نوازله . وتقدمت ترجمة عبد الله هذا . ومن العجيب أن بعض أفاضل علماء تمكانت ، رأى النوازل الأعمشية ، فنسبها لابن الأعمش الجـكنى ، صاحب تيندوف . وهذا غير صحيح . وابن الأعمش الأخير ، لم يدعها لنفسه . ولابن الأعمش ـ أعنى العلوى ـ شرح نفيس على متن إضاءة الدجنة . وكل شراحها المتأخرين ، إذا قالوا : قاله الشارح ، فمرادهم إنما هو الطالب محمد المذكور . وله قصيدة طويلة عينية ، فى علم الحساب . ولم أرو منها شيئاً . فأبنى عليه ترجمته . وقال فيه الشاب الشاطرى[1] : ولد المختار ، هو ألّ مختار ، « نسبه إلى جده » .

---

(١) الشاب الشاطرى : وصل إلى شنقيط ، فى القرن الحادى عشر ، وهو من العجائب ، وخبره شائع عند أهل مدينة شنقيط ، أعنى إدوعل والأغلال . قالوا : ذكر أحد خدام النخل ، أنه رأى شخصاً ، دخل فى عين من عيون النخل ، وهى جب ليس بالطويل ، يغتسل ليلا ، وإنه كلما دخل ، تضىء بنور كالسراج ، وكان ذلك فى شدة البرد ، ومدينة شنقيط باردة =

ومنهم : سيدى عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوى . وتقدمت ترجمته ، وعددنا فيها بعض كتبه . ومما نذكر منها : « غرة الصباح » فى رجال الحديث ، و « نظم مكفرات الذنوب » وشرحه ، و « نظم روضه النسرين فى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم » وشرحه ، و « نظم فى شأن السحر » وشرحه وغير ذلك .

ومنهم : ابنه سيدى محمد وقد مرت ترجمته . ومنهم : باب بن أحمد بيب ، وتقدمت ترجمه أيضاً . ومنهم : عبد الله بن أحمد بن الحاج أحماه الله . وتقدمت ترجمته . والنابغة الغلاوى . وتقدمت ترجمته . وأحمد بن البشير الغلاوى أيضاً . ولم نترجمه ، لأنا لم نروله ، ولم أقف له إلا على كتاب فى الفقه ، مقبول عند الناس .

ومنهم : محمد اليدالى الديمانى ، وتقدت ترجمته ، وذكر ما وقفت عليه من كتبه ، وبقى منها كتاب فى السيرة لم يحضرنى اسمه . ومحنض باب بن أعبيد الديمانى ، وتقدمت ترجمته . ووالد الديمانى ، شارح الشيخ خليل ، ويعرف شرحه بمعين والد ، ولم نترجمه لتخلف الشرط . والمختار بن بون الجكنى ، وتقدمت ترجمته . وأحمد البدوى الجلسى ، وابن أخته حماد . وتقدمت ترجمتهما . ومحمد

= جداً ، فأخبر أحد العلماء ، فأمره بالقبض عليه ، إذا رآه مرة أخرى ، وأن يأتيه به إذا قبضه ، فأتاه به ، فأراد أن يستنطقه ، فلم يفه بكلمة واحدة . وكان ذلك العالم ، فهم أنه من أولياء الله ، فوضع العالم إصبعه بين شفتيه . فعلم أنه يشير له إلى : « من كتم علماً ، ألجمه الله بلجام من النار » فقال : دعنى وذلك اللجام . ثم إنهم وجدوه بحراً ، لا ساحل له ، فانتخب أربعة منهم بعلمهم ، ثلاثة من العلويين ، والرابع بكرى . ولما أراد السفر عنهم . قال لهم : تركت فيكم المحمدين والعبدلين . وابن المختار ، هو ال نختار . يعنى : الطالب محمد هذا . والثانى : لم يحضرنى من هو ، وبالعبدلين : عبد الله بن الطالب ، المعروف بالفاظى ، جد ابن رازكه المترجم فى أول هذا الكتاب ، ولم يحضرنى تعيين عبد الله الثانى . قالوا : وأقام فيهم سنة . وانتفعوا منه كثيراً ، ثم إنه أخذ أحد تلاميذه المذكورين ، وبلغه المحيط الأطلانطيق ، فوضع إلويشه ، أى فراشه الذى يجلس عليه ، على ثبج البحر ، وتوارى عنه ، تتعاطاه الأمواج ، على جهة قصده . وهذا شائع عند علماء أهل شنقيط ، ولولا أنى سمعته من رجال ثقات ، ما كتبته . والله على كل شىء قدير . وهذا الرجل شريف فاسى .

سالم المجلسى ، شارح مختصر الشيخ خليل ، فى عشر مجلدات ضخام ، وهو الذى اعتنى بكتاب الشيخ خليل ، حتى لم تزل هنالك رجال لا يوجد من يدانيهم فى معرفته من غيرهم . وحبيب الله بن الشيخ القاضى الأجَيجيُّ ، شارح الشيخ خليل . ويعرف شرحه ، بمعين حبيب الله . والحارث بن محنض الشنقيطى البوحسنى ، شارح دواوين الشعراء الستة ، شرحاً لم يتقدم مثله لغيره ، ولم نترجمه لتخلف الشرط . وهو عالم جليل ، مات قريباً ، رحمه الله . وغير هؤلاء ممن لم يحضرنى اسمه .

أما العلماء الأحيـاء ، فـكثيرون ولله الحمد ، ومن يطلق عليه عالم هناك ، أكثر حفظاً للمتون ، ممن يطلق عليه من غيرهم ، ولـكن الطلب قد تأخر ، منذ بو مرارة « وهو داء أصاب البقر فى مرائره فأفناه ، وذلك قريب من سبع عشرة سنة » وازداد الطين بلة ، بعد الحرب التى كثرت بين القبائل والغارات ، وخروج فرنسة إليهم ، وحرب من حاربهم منهم ، وبقى علماء لم تزل حلقهم عامرة ، لـكن المهمل أكثر من المشتغل ، للأسباب المتقدمة .

والله الموفق للصواب ، وإليه المرجع والمآب ، والحمد لله أولا وآخراً ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

تصويب واستدراك

وقعت بعض أغلاط فى هذا الكتاب ، أحببنا أن ننبه إليها[1] ، منها :

قد أسقطنا أبياتاً مشهورة ـ فى أرض شنقيط ـ أنها من ميمية حميد ، الواردة فى هذا الكتاب من صحيفة ١٢٨ إلى ١٢٩ وهى :

فلاتبك جُمْلا إن رأيت جمالها تسنمن من رمل الغضى ماتسنما

أراك زنياً إن تعرضت ليلة لأدم رماح أو لغزلان أزنما

مع غير هذين البيتين : والدليل على أن الأبيات المذكورة ، ليست لحميد ، أنها تناقض سيره فى قصيدته .

وقد أورد صاحب لسان العرب ، كثيراً من هذه القصيدة منسوباً إلى حميد . وفى الأبيات المذكورة ، كلمات فيها من اللغات ، ما كان يسوق عليه الأبيات شواهد . وأيضاً . فإن ياقوت فى معجمه استشهد بأبيات منها :

* رعى السدرة المحلال مابين زاين * الخ

وساق منها عشرين بيتاً فى « يبنبم » ولو كانت تلك الأبيات له ، لساقها فى رماح وأزنم ، بل هذه الأبيات فى لزوميات المعرى ، وهى مشابهة لشعره .

وفى صحيفة ١٣١ سطر ٣ : فقرن موضوراً كأن وضينه الخ . والصواب : قرن مُقْوَرًا كأن وضينه الخ . والاقورار : الضمر والتغير ، وهو أيضاً : السمن ضد ، وسقط من الأصل بيت ، فى صفة الهودج ، ذكره فى اللسان وهو :

برته سفاسير الحديد فجردت وقيع العوالى كأن فى الصوت مكرما

السفاسير : جمع سفسير ، وهو الحاذق بأمر الحديد ، وبيت آخر فى صفة ناقته ، التى تبع الظعن عليها ، ذكره فى اللسان وهو :

---

(١) هذه الاستدراكات مما ألحقه المؤلف فى آخر الطبعة الأولى .

أجدّتْ برجليها النجاء وكلفت بعيرىْ غُلامىّ الرّسيم فأرْسما

وفى رواية :

* وكلفت غلامى بعيرى الرسيم فأرسما *

قال أبو حاتم : إنما أراد : أرسم الغلامان بعيريهما ، ولم يرد : أرسم البعير . والرسوم : الذى يبقى على السير يوما وليلة .

وهناك غلطات مطبعية أهملنا ذكرها ، اتكالا على فطنة القارىء .

فهرست الكتاب

صحيفة

٠ مقدمة الكتاب

قبيلة إدَوْعَل

١ عبد الله بن محمد العلوى المعروف بابن رازكه

١٨ فائية ابن رازكه المذكور التى مدح بها نعله صلى الله عليه وسلم معارضاً بها فائية أبى الحسن الشامى الفاسى

٢٤ حرم بن عبد الجليل العلوى

٣٠ محمد بن سيدى عبد الله العلوى

٣٤ باب بن أحمد بيب العلوى

٣٧ سيدى عبد الله بن الحاج إبراهيم

٤٠ أبدّ بن محمود العلوى

٤٧ محمد بن سيدى محمد العلوى

٦٩ التجانى بن باب بن أحمد بيب العلوى

٧٢ الهادى بن محمد العلوى

٧٨ حرم بن عبد الله المعروف بلكنيز العلوى

٧٩ محمد الحسن بن محمد عبد الجليل العلوى

٨١ إجدود بن أكتوشن العلوى

٨٣ محمد محمود بن أكتوشن العلوى

٨٣ سيدى محمد بن عبد الله العلوى

٨٥ العم بن أحمد فال العلوى

صحيفة

٨٧ فتى بن الحاج العلوى

٨٩ سيدى أحمد بن محمد الصغير العلوى

٩٠ محمد لحبيب بن لمرابط العلوى

٩١ عبد الله بن الحاج أحماه الله الغلاوى

٩٣ النابغة الغلاوى

قبيلة إدَيْقُب

٩٤ أُمحمد بن الطلب اليعقوبى

١٠٩ مطلب فى الشماخ بن ضرار

١٢٨ « ميمية حميد بن ثور الهلالى

١٥٥ مطلب فى جيمية لامية اعشى قيس

١٩٠ مولود بن أحمد الجواد اليعقوبى

٢١٤ لمجيدرى بن حبيب الله اليعقوبى

٢١٧ المأمون اليعقوبى

٢١٨ البخارى بن المأمون اليعقوبى

٢١٩ شيخنا اليعقوبى

٢٢٠ محمد مولود اليعقوبى

٢٢١ العتيق بن امحمد اليعقوبى

٢٢٣ صُلاّحى بن المامى اليعقوبى

شعراء بنى ديمان

٢٢٣ محمد بن سعيد اليدالى الديمانى

٢٣٦ محنض باب بن عبيد الديمانى

٢٣٨ ابن عبدم الديمانى

٢٣٩ صلاح الديمانى

صحيفة
٢٣٩ المختار بن ألما الديمانى

شعراء أولاد أبيير

٢٤٠ الشيخ سيدى بن المختار الابيرى
٢٤٣ سيدى محمد بن الشيخ سيدى الابيرى
٢٧٧ المختار بن بون الجكنى
٢٨٤ ابن عيد الجكنى
٢٨٤ ابن مقامى الجكنى
٢٨٤ الامام بن محمذ الفغ الجكنى

شعراء إدابلحسن

٢٨٧ سيدى عبد الله بن أحمد دام البوحسنى
٢٩٩ محمذ بن السالم البوحسنى
٣٠٤ عبد الله الاحول البوحسنى
٣١١ محمد بن حنبل بن الفال البوحسنى
٣٢٤ مقصورة أبى صفوان الاسدى
٣٢٥ هبة الله البوحسنى
٣٢٥ أحمد باب بن عينين البوحسنى
٣٣٦ ابن الأمين بن الحاج »
٣٣٩ بلا بن مكبد »
٣٣٩ محمد سالم بن يا محمد »
٣٤٠ أبو بكر بن فتى »
٣٤٠ أشويعر »
٣٤١ ابن المحمود »
٣٤٢ عبد الله بن أىّ
٣٤٢ محمد بن لحظان البوحسنى
٣٤٢ الطائع »

صحيفة

شعراء تندغ

٣٤٣ محمد فال بن متالى التندغى
٣٤٥ معاوية بن الشد »
٣٤٦ المصطفى بن جمال »
٣٤٧ أحمد بن أمين »

شعراء مِدْاِشْ

٣٤٨ بوفمين المجلسى
٣٥٠ الاحنف »
٣٥٠ المجدد البوحمدى المجلسى
٣٥٠ أحمد البدوى »
٣٥٢ حماد »
٣٥٦ مولود بن أغشممت المجلسى
٣٥٨ محمد عثمان المجلسى
٣٥٨ سيد أحمد بن الصبار المجلسى

قبيلة لِحْرَاكات

٣٦٠ باباه الاحراكى
٣٦٠ أحمد بن هدار الاحراكى

باب الأفراد

٣٦١ سيدى المختار بن أبى بكر الكنتى
٣٦١ عبد الله بن سيدى محمود الحاجى
٣٦٥ الشيخ ماء العينين
٣٦٨ أدبيج بن عبد الله الكمليلى
٣٧٢ غالى بن المختار فال البصادى
٣٧٤ عبد الودود بن عبد الّ الالفغى
٣٧٧ محمد مولود بن أحمد فال
٣٧٧ الحسن بن زين القنانى

صحيفة	
٣٨٠	أعمر مولود بن شيبة الانتانى
٣٨١	محمد محمود بن التلاميد التركزى
٣٨٢	مطلب فى مسألة عمر وصرفه
٣٩٠	مناظرته مع الشيخ سليم البشرى
٣٩٢	سفره إلى اسبانيول
٣٩٧	مطلب قصيدتى ابن رازكه العلوى
٤٠٤	تتمة لمحنض باب الديمانى
٤٠٥	تتمة لحرم بن عبد الجليل العلوى
٤٠٧	تتمة لسيدى محمد بن الشيخ سيدى
٤١٨	تتمة لمولود اليعقوبى
٤٢٢	الكلام على شنقيط وتخطيطها
٤٢٢	الكلام على شنقيط ، هل هى من السودان أو من الغرب
٤٢٤	الكلام على تاريخ عمارة شنقيط
٤٢٧	» على موقع بلاد شنقيط
٤٢٧	» على جغرافية بلاد شنقيط
٤٢٨	» على آدرار تفصيلا
٤٢٨	» على طرق حيط آدرار
٤٢٩	» على أظهر
٤٣٢	» على أوجفت
٤٣٣	» على آدرار الشرق
٤٣٣	» على وادان
٤٣٤	» على الباطن ، وهو القسم الثانى من آدرار
٤٣٥	» على هواء آدرار
٤٣٥	الكلام على الزرع فى آدرار
٤٣٥	» على أشجار آدرار
٤٣٧	» على لعصايب
٤٣٧	» على مقطير
٤٣٨	» على الساقية الحمراء
٤٣٩	» على إينشيرى
٤٣٩	» على تيرس
٤٤٣	» على الخط
٤٤٣	» على اركيطه
٤٤٣	» على تكانت
٤٤٤	» على تيججكه
٤٤٩	» على تامورت العاج
٤٥٠	» على أشجار تكانت
٤٥٠	» على التاغصة
٤٥١	» على اركيبه
٤٥٢	» على اركيبه الكحله
٤٥٣	» على أركيز
٤٥٣	» على أفله
٤٥٤	» على آوكار
٤٥٦	» على الحوض
٤٥٧	» على أظهر
٤٥٨	» أزداد
٤٥٨	» على أروان
٤٥٨	» على لمريه
٤٥٩	» على تيشيت
٤٦٠	» على أكان
٤٦١	» على فاى

صحيفة
٤٦٤ الكلام على آمشتيل
٤٦٥ « على لعكل
٤٧٢ « على إكيدى
٤٧٤ « على أظهر وانوللان
٤٧٤ « على شمامه
٤٧٥ « على سكان شنقيط وجنسهم
٤٧٨ الكلام على الزوايا
٤٧٨ ما يحمد من أمر الزوايا وما يذم
٤٧٩ الكلام على حسان وسيرتهم
٤٨٠ « على الترارزة
٤٨١ « على أبناء دامان
٤٨٢ « على حروب الترارزة
٤٨٣ « على غدرة محمد لحبيب
٤٨٣ « على غدرة سيدى بن محمد لحبيب
٤٨٤ الكلام على غدرة أعل بن محمد لحبيب
٤٨٥ الكلام على حروب حسان
٤٨٥ حروب تغرجنت وأبناء بنيوك
٤٨٦ حروب إدوعيش
٤٨٦ الكلام على أولاد امبارك
٤٨٨ « على آنمادى
٤٩٠ « على حسان شنقيط من حيث الشجاعة فى الحرب
٤٩٠ حرب بكار وأشراتيت
٤٩١ حروب الترارزة

صحيفة
٤٩١ الكلام على أحيى من عثمان
٤٩٢ حروب الزوايا وحسان
٤٩٣ « شرببّه
٤٩٣ « ناصر الدين
٤٩٤ « كنته وإدوعيش
٤٩٥ « الزوايا مع بعضهم
٤٩٥ « إدوعل البيض والكحل
٤٩٧ « أهل شنقيط وأهل وادان
٥٠٢ « إدوعل وإدابلحسن
٥٠٣ يوم لغبييرى
٥٠٤ « إبرزيك
٥٠٤ « يوم بوطريفيه
٥٠٥ « إبلحنوشه
٥٠٥ « تندوجه
٥٠٦ حرب كنته وإدوالحاج
٥٠٧ حرب كنته وتجكانت
٥٠٧ حروب تجكانت والاغلال
٥٠٨ حروب أنبز
٥٠٩ حروب كنته وأولاد بسباع (أى أبى السباع)
٥١١ الكلام على لغات شنقيط وأصلها
٥١٢ « على كلام أزناكه
٥١٣ « على اللغة الحسانية
٥١٣ « على الجيم
٥١٥ « على الضاد
٥١٧ « على العلم فى شنقيط
٥١٧ كيفية التعليم عندهم

صحيفة
٥١٨ تعب العالم فى شنقيط وما يكابده
٥١٩ كيفية إلقاء الدروس عندهم
٥١٩ تأديب المدرس للطلبة
٥٢٠ الكلام على طلب العلم
٥٢١ التجارة فى شنقيط
٥٢٣ تجارة أهل شنقيط فيما بينهم
٥٢٣ الصناعة فى شنقيط
٥٣٤ الزراعة فى شنقيط
٥٣٤ عاداتهم فى الزواج والولائم
٥٢٥ الكلام على التاريخ فى شنقيط
٥٢٩ الكلام على المكاتبة فى أرض شنقيط
٥٣١ القضاء فى شنقيط
٥٣٢ البيع والشراء فى شنقيط

صحيفة
٥٣٢ مابقى من الشريعة فى شنقيط ماذهب
٥٣٣ الحيوان فى شنقيط .
٥٣٣ صفة الخيل العتاق فى شنقيط
٥٣٤ السباع فى شنقيط
٥٣٦ الحيات فى شنقيط
٥٣٨ الكلام على المرض والصحة بشنقيط
٥٤١ الكلام على السحر فى شنقيط
٥٤٢ الكلام على أمثال أهل شنقيط
٥٧٥ الطب فى شنقيط
٥٧٨ خاتمة الكتاب
٥٧٨ الشباب الشاطرى
٥٨١ تصويب واستدراك